

بأخبار دار المصطفى

تأليف

نور الدين على بن أحمد السمهودى

المتوفى فى عام ٩١١ من الهجرة

حققه ، وفصله ، وعلق حواشيه

محمد محيى الدين عبد الحميد

عفا الله تعالى عنه

الجزء الثالث

دار الكتب العلمية

بيروت — لبنان

الطبعة الأولى ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م

الطبعة الثانية ١٣٩٣هـ - ١٩٧١م

الطبعة الثالثة ١٤٠١هـ - ١٩٨١م

الطبعة الرابعة ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م

يطلب من: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان

هاتف: ٨٠١٣٣٢ - ٨٠٥٦٠٤ - ٨٠٠٨٤٢

ص.ب: ١١/٩٤٢٤ تلكس: Nasher 41245 Le

بسم الله الرحمن الرحيم

الباب الخامس

في مُصَلَّى النبي صلى الله عليه وسلم في الأعياد ، وغير ذلك من المساجد التي صَلَّى فيها النبي صلى الله عليه وسلم ، مما عَلِمْتُ عينَه أو جِهَتَه ، بالمدينة وما حولها ، وما جاء في مَقْبُرَتِها ومَنْ دُفِنَ بها ، والمشاهد المعروفة ، وفضل أُحُدٍ والشُّهَدَاء به . وفيه سبعة فُصولٍ:

الفصل الأول

في المُصَلَّى في الأعياد ، وفيه أطْرَاف

الأول : في الأماكن التي صَلَّى فيها النبي صلى الله عليه وسلم العيد .

أول عيد صلاه النبي بالمصلى

قال الْوَاقِدِيُّ : أولُ عيدٍ صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمُصَلَّى سنةَ ثنتين من مَقْدَمه المدينةَ من مكة ، وحُملت له العَنَزَة وهو يومئذ يصلي إليها في الفضاء ، وكانت العَنَزَة للزبير بن العوام ، أعطاه إياها النَّجَاشي فوهَبَها للنبي صلى الله عليه وسلم ؛ فكان يخرج بها بين يديه يوم العيد ، وهي اليوم بالمدينة عند المؤذنين ، يعني يخرجون بها بين يدي الأئمة في زمانهم .

وروى ابن شبة عن جابر بن عبد الله قال : لما رجعنا من بني قَيْنُقَاع ضحينا أولَ أضحى في ذي الحجة صبيحة عشر ، فكان أول أضحى رآه المسلمون ، وذبح أهل اليُسْر من بني سلمة ، فعددت في بني سلمة سبعَ عشرة أضحية .

وروى ابن زبالة وابن شبة عن أبي هريرة قال : أول فطر وأضحى صلى

مكان مصلى العيد

فيه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم للناس بالمدينة بفناء دار حكيم بن العـداء عند أصحاب المحامل .

وروى الثانى عن ابن أبى فروة أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى فى ذلك المكان.

وروى الأول عنـه ما يقتضيه ؛ فإنه روى عن إبراهيم بن أبى أمية قال : أدركتُ مسجدا فى زمان عثمان عند حرف زاوية أبى يَسَار عند أصحاب المحامل ، وليس ثم مسجد غـيره ، وذلك المسجد هو الذى صَلّى فيه النبى صلى الله عليـه وسلم يوم أضحى ، وضَحّى هناك هو وأصحابه حتى احتملت ضحاياهم من عنده . قال : وأخبرنى من رأى الأنصار يحملون ضَحَاياهم من هناك ، ثم روى عن ابن أبى فَرْوَة قال : إن النبى صلى الله عليه وسلم صَلّى فى ذلك المسجد وهو خلف المَجْزَرَة التى بفناء دار العداء بن خالد ، ويقال لها : دار أبى يسار .

قلت : فالروايات المذكورة مُتّفقة على الصلاة بالمحلّ المذكور ، ودارُ حكيم ابن العداء هى دار أبيه العداء بن خالد بن هوذة بن بكر بن هوازن ؛ فلا مخالفة فى ذلك ، ولم أعلم محل داره ، غير أن الظاهر من قوله « عند أصحاب المحامل » أنه موضع بأعلى السوق مما يلى المصلى، وفى أول الروايات المذكورة بيان أن الصلاة فيه كانت فى أول الأمر .

تعدد موضع صلاة العيد

وروى ابن زبالة أيضاً مايخالفه بالنسبة إلى الأولية عن إبراهيم بن أبى أمية عن شيخ من أهل السنّ والثقة قال : أول عيـد صَلاّه رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى فى حارة الدوس عنـد بيت ابن أبى الجنوب ، ثم صلى العيد الثانى بفناء دار حكيم عند دار حفرة داخلا فى البيت الذى بفنائه المسجد ، ثم صلى العيد الثالث عند دار عبـد الله بن درة المزنى داخلا بين الدارين دار معاوية ودار كثير بن الصّلْت ، ثم صلى العيد الرابع عند أحجار كانت عند الحناطين بالمصلى ، ثم صلى داخلا فى منزل محمـد بن عبد الله بن كثير بن الصلت ، ثم صلى حيث يصلى الناس اليوم .

وروى ابن شبة من طريق إبراهيم بن أبى أمية مولى بنى عامر بن لؤى قال: سمعت ابن باكية يقول : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العيدَ عند دار الشفَّاء ، ثم صلى فى حارة الدوس ، ثم صلى فى المصلى ؛ فثبت يصلى فيه حتى توفاه الله تعالى .

وروى أيضاً عن ابن شهاب قال : صلى النبى صلى الله عليه وسلم العيدَ فى موضع آل درة ، وهم حى من مُزَيْنَة ، ثم صلى دون ذلك فى مكان أطُم بنى زريق عند أذنه اليسرى .

قلت : قوله « ثم صلى فى المصلى فثبت يصلى فيه حتى توفاه الله تعالى » هو بمعنى قوله فى الرواية التى قبلها « ثم صلى حيث يصلى الناس اليوم » يعنى بالمسجد المعروف بمسجد المصلى .

بين مصلى العيد . وباب السلام ألف ذراع

وقد نقل ابن شبة عن شيخه أبى غَسَّان وهو الكنانى من أصحاب مالك أنه قال : ذرع ما بين مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى عنده دار مروان ابن الحكم و بين المسجد الذى يصلى فيه العيد بالمصلى ألف ذراع .

قلت : وقد اختبرته فكان كذلك ، وهذا المسجد هو المراد بقوله فى حديث ابن عباس فى الصحيح « إن النبى صلى الله عليه وسلم أتى فى يوم عيد إلى العَلَمَ الذى عند دار كثير بن الصلت ـ الحديثَ » وكأنهم كانوا قبل اتخاذ المسجد بذلك المحل جعلوا لصلاة الشريف شيئاً يعرف به ، وهو المراد بالعَلَم بفتحتين .

وقال ابن سعد : كانت دار كثير بن الصلت قبلة المصلى فى العيد ، وهى تطل على بطحان الوادى فى وسط المدينة ، انتهى . وليس المراد أنها متصلة بوادى بطحان ، بل بينهما بعد . ودار كثير هذه كانت قبله للوليد بن عقبة ، ثم اشتهرت بكثير بن الصلت ، وهو من التابعين ، ولد فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم فوقع التعريف بداره ليقرب إلى ذهن السامع فَهْمُ ذلك ، وليس كثير بن الصلت هو

الذى اختطها ، خلافا لما وقع فى كلام الحافظ ابن حجر حيث قال : و إنما بنى كثير بن الصلت داره بعد النبى صلى الله عليه وسلم بمدة ، لكنها لما كانت شهيرة فى تلك البقعة وصف المُصَلّى بمجاورتها ، انتهى . ومأخذنا فيما قدمناه قول ابن شبة فى دور بنى عبد شمس ونوفل: واتخذ الوليدُ بن عقبة بن أبى مُعَيْط الدارَ التى فى مصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم التى صلى إليها العيد ،وهى يصلى إليها اليوم لآل كثير ابن الصلت الكندى ، فجَلَدَ عثمانُ الوليدَ فى الشراب ، فحلف لا يساكنه إلا و بينهما بطن واد ، فعارض كثير بن الصلت بداره هذه إلى دار كثير ببطحان التى يقال لها دار الوليد بن عقبة فى شَفِير الوادى ، أى من العُدْوَة الغربية كما بينه فى موضع آخر .

تحديد المواضع التى صلى فيها العيد

وأما الموضع المذكور لصلاة العيد أولا عند أصحاب المحامل ــ وهم الذين يبيعون المحامل و يصنعونها ــ فيظهر أنه المسجد المعروف اليوم بمسجد على رضى الله تعالى عنه الآتى ذكره .

وأما الموضع المذكور فى الرواية الأخرى عند دار بن أبى الجنوب فلم أعلم محله ، غير أن دار ابن أبى الجنوب كانت بالحَرَّةِ الغربية التى غربى وادى بطحان كما يؤخذ مما سيأتى فى الخندق ومسجد الشجرة والمغرس .

وأما الموضع المذكور فى قوله « عند دار عبد الله بن درة المزنى إلى آخره » فقد تقدم أن منازل مُزَيْنة كانت فى غربى المصلى وفى قبلتها . وتقدم أن دار كثير بن الصَّلْت كانت قبلة المصلى ، ودار معاوية رضى الله تعالى عنه كانت فى مقابلتها ، وسيأتى فى بيان طريقه صلى الله عليه وسلم إلى قباء أنه كان يمر على المصلى ثم يسلك فى موضع الزقاق بين الدارين المذكورتين ؛ فيكون ذلك المحل فى قبلة المصلى اليوم : إما من المغرب ، و إما من المشرق ، والأول هو الأقرب .

وأما بقية المواضع المذكورة فلم أعرف جهاتها ، غير أن الذى يظهر أنها حول المصلى ، و بعضها بسوق المدينة ، لذكر الحناطين فيها ، وسيأتى فى مشهد مالك

أبن سنان أنه بطرف الحناطين ، والظاهر أن من هذه المواضع المسجد المعروف اليوم بمسجد أبى بكر رضى الله تعالى عنه بالحديقة المعروفة بالعريضية ، كما سيأتى عن المطرى .

وأما ما رواه الشيخان وأبو داود والترمذي والنسائى من حديث البراء بن عازب رضى الله تعالى عنه قال : خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يوم أضحى إلى البقيع فصلى ركعتين ثم أقبل علينا بوجهه وخطب وقال : إن أول ما نبدأ به فى يومنا هـذا أن نصلى ، ثم نرجع فننحر ـ الحديث ؛ فظاهره أن المراد بَقيع الغَرْقَد ، لـكنى أستبعده ؛ لأن المتقدمين من مؤرخى المدينة لم يذكروا ذلك مع اشتهار هـذا الحديث ، وكذلك المطرى ومن تبعه . وأغرب الحافظ ابن حجر فقال فى الـكلام على ترجمة البخارى للرجم بالمُصَلّى : المراد المـكان الذى كان يصلى عنده العيد والجنائز ، وهو من ناحية بقيع الغرقد ، اه .

ومأخذه فى ذلك ظاهر هذا الحديث ، مع ما ورد من رواية أخرى من الرجم عند موضع الجنائز ، وقد تقدم أن موضع الجنائز فى شرقى المسجد عند باب جبريل ، وليس هو من البقيع ، وأما المصلى حيث أطلقت فإنما يراد بهـا الموضع المعروف الذى قدمناه فى غربى المدينة ، و بقيع الغرقد فى شرقيها ، وقد ذكره الحافظ ابن حجر فى موضع آخر على الصواب كما سيأتى عنه فى الطرف الثانى ، وعلى تقدير أن يكون المراد من حديث البَرَاء المتقدم بَقيع الغَرْقَد فهو من المواضع التى صلى فيها النبى صلى الله عليه وسلم فى بعض السنين ، وليس هو المراد إذا أطلق المصلى جزما . والذى يترجح عندى أن المراد بالبقيع فى حديث البراء سوق المدينة ؛ لمـا قدمناه فيه من أنه كان يسمى بقيع الجبل ، وهو أحَدُ الأماكن المتقدم ذكرها لصلاة العيد ، وكذلك هو المراد من حديث ابن عمر « أنى أبيع الإبل بالبقيع بالدراهم وآخذ مكانها الدنانير » كما قدمناه .

وقال الجمال المطرى عقب نقله لمـا قدمناه عن ابن زبالة : ولا يعرف من

المساجد التي ذكر لصلاة العيد إلا هـذا المسجد الذي يصلى فيه اليوم ، ومسجد شماليه وسط الحديقة المعروفة بالعريضي المتصلة بقبة عين الأزرق ، ويعرف اليوم بمسجد أبي بكر الصديق رضى الله تعالى عنه ، ولعـله صلى فيه في خلافته ، ومسجد كبير شمالي الحديقة متصل بها يسمى مسجد على بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه ، ولم يرد أنه رضى الله عنه صـلى بالمدينة عيدا في خلافته ؛ فتكون هذه المساجد الموجودة اليوم من الأماكن التي صلى فيها رسـول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العيد سنة بعد سنة وعيدا بعد عيد ؛ إذ لا يختص أبو بكر وعلى رضى الله عنهما بمسجدين لأنفسهما ويتركان المسجد الذي صلى فيه النبي صلى الله عليه وسلم ، انتهى .

قلت : ما ذكره من أنه لم يرد أن عليا رضى الله تعالى عنه صلى بالمدينة عيدا في خلافته ، أي فلا تظهر نسبة المسجد المذكور إليه ، وكأنه لم يقف على ما رواه ابن شبة عن سعد بن عبيد مولى ابن أزهر قال : صليت العيدَ مع على رضى الله عنه وعثمان رضى الله عنه محصُورٌ؛ فصلى ثم خطب بعد الصلاة.

وروى أيضا عن الزهري قال: صلى سَهْل بن حُنَيف وعثمان محصور الجمعة، وصلى يوم العيد على بن أبي طالب ؛ فالظاهر أنه صلى حينئذ بذلك المكان لكونه أحَدَ المصلّيات التي صلى فيها النبي صلى الله عليه وسلم، لا أنه ابتكر الصلاة فيه، والله أعلم .

مصلى العيد بالصحراء

ولم يكن المصلى في زمن النبي صلى الله عليه وسلم مسجداً ، بل كانت صَحْراء لا بِناء بها ، ونهى صلى الله عليه وسلم عن البناء بها كما سيأتي ، ولهذا وقع الرجم بها . وذهب بعض العلماء إلى أن المصلى يثبت لها حكم المسجد ، وإن لم يُوقَفْ ، وهو مردود ؛ فإن مَنْ شاهد مصلاه صلى الله عليه وسلم وما ذكر من امتدادها إلى سوق المدينة كما قدمناه فيه وما بها من الدور والشوارع علم عدم صحة ذلك ، وحَمْلُ الرجم المذكور في الحديث على أنه وقع بالقرب منها خلافُ مُقتضى اللفظ . والمسجد المتخذ بها اليوم إنما هو في بعضها ، وهو المحل الذي قام به النبي صلى الله

عليه وسلم ، وكذلك المسجدانِ الآخران ، والظاهر أن بناء الثلاثة كان فى زمن عمر بن عبد العزيز .

وقد قدمنا ذكر الأول منها ، وهو المعروف اليوم بمسجد المصلى فيما نقله ابن شبة عن أبى غسان من الذَّرْع ؛ لما بينه و بين المسجد النبوى .

والثانى المنسوب إلى أبى بكر الصديق رضى الله عنه بالحديقة المذكورة عن يساره مخزن لدواب الحديقة المذكورة ، ومدخل الدواب من باب المسجد الذى فى شاميه ، فيمتهنه أهل الحديقة بمرور البهائم منه ، ور بما حَبَسُوها فيه ، فدخلته مرة فوجدته كالمزبلة ، وهو فى غاية الامتهان قد امتلأ بِرَوْثِ الدواب وبَوْلها ، ولم أجد موضعاً للصلاة فيه فتكلمت مع شيخ الخدام الأمير إينال الناظر على الحديقة المذكورة فى أن يغير باب المخزن المذكور ، و يجعله من خارج المسجد ، فأمر فقيهه الفقيه الشهاب أحمد النوسى بالنظر فى ذلك ، فجعل على الموضع المسقف من المسجد المذكور الذى فيه المحراب جدارا فى شاميه يمنع من وصول البهائم إليه ، وكان فى جدار المسجد الغربى مما يلى القبلة هيئة باب مشبك ، فجعله بابا لذلك المحل ، و بقيت رحبة المسجد التى فى شاميه دهليزا للدواب ، فكلمته فى ذلك فذكر أنه قيل له : إن المسجد هو ذلك المسقف فقط ، وجدران المسجد شاهدة بخلاف ذلك ، فليتنبه له .

والمسجد الثالث المنسوب لعلى رضى الله تعالى عنه كان قد تَهَدَّم ودَثَر حتى صار بعض الحجاج يدفن فيه مَنْ يموت فى زمن الموسم ، فإنه إلى جانب منزلة الحجاج ، فجدد بناءه الأمير زين الدين ضغيم المنصورى أمير المدينة الشريفة سنة إحدى وثمانين وثمانمائة[1] .

وأما المسجد الأول المعروف اليوم بمسجد المصلى فلم يزل مَصُونا ، وكان بابه لا يزال مفتوحا فر بما يقع له انتهاك ، فأمر شيخ الخدام بغلقه ، وعمارته الموجودة اليوم لاأدرى لمن تنسب ، إلا أنى رأيتُ على بابه حجرا قد انمحى بعضُ الكتابة

(١) جدده السلطان عبد المجيد العثمانى فى سنة ١٢٦٨ (حسب الله)

منه ، وفيه « أمر بتجديد هذا المسجد المنسوب للنبى صلى الله عليه وسلم بعد خرابه وذهاب عز الدين شيخ الحرم الشريف النبوى ، وذلك فى أيام السلطان الملك الناصر حسن بن السلطان محمد بن قلاون الصالحى » وما بعد ذلك قد انمحى . وابتداء ولاية السلطان حسن المذكور فى سنة ثمان وأربعين ، واستمر إلى أثناء سنة اثنتين وستين وسبعمائة ، وهذا المسجد بابُهُ فى حائطه الشامى قريبا من محاذاة محرابه ، ومن خارج بابه على يمين الداخل منه درج يصعد إلى موضع لطيف على ميمنة الباب المذكور ، وقد أصلح ما تَشَعَّثَ من هذا المسجد الأمير بردبك المعمار سنة إحدى وستين وثمانمائة فى دولة الأشرف إينال ، وأحدث لذلك الموضع المتقدم وصفه فى ميمنة الباب المذكور درجة أخرى يتوصل بها إليه من داخل المسجد ، وذلك الموضع هو الذى يقوم عليه الخطيبُ فى يوم العيد ، وأحدث الأمير بردبك أيضا أمام ذلك الموضع من خارج المسجد مسقفا ليجلس عليه المبلغون أمام الخطيب ، وفى يوم العيد يجتمع أهل السنة من أهل المدينة وأعيانهم بالمصلى المذكور ، بحيث لا يبقى خارجه من أهل السنة إلا اليسير مع شيخ الخدام وجماعته ، لأن العادة جَرَت بأن يكون صفهم أمام الخطيب فى الجمعة والعيد؛ لما ذكره البدر ابن فرحون من أن أول قاض ولى لأهل السنة القاضى الإمام العلامة السراج عمر بن أحمد الخضر سنة اثنتين وثمانين وستمائة فى دولة المنصور قلاوون الصالحى ، وكان القضاة قبل ذلك من الشيعة آل سنان ، وكانت الخطابة بأيديهم ، فانتزع السلطان المشار إليه ذلك منهم للسراج ، فكانوا يؤذونه أذى شديدا .

قال ابن فرحون : أدركت من أذاهم له أنهم كانوا يرجمونه بالحَصْباء وهو يخطب على المنبر ، فلما كثر ذلك منهم تقدم الخدام وجلسوا بين أيديهم أمام المنبر ، فذلك هو السبب فى إقامة صَفّ الخدام قبالة الخطيب ، وخلفهم غلمانهم وعبيدهم ، اهـ .

وقد استمر ذلك إلى اليوم ، فإذا صلى الإمام بأهل المسجد المذكور صلاةَ العيد انصرف ، وخرج من بابه المذكور مخترقا الصفوف متخطّيا الرقاب إلى أن

يصعد فى أعلى تلك الدرج ، فيستدبر القبلة و يستقبل جهة الشام على عادة الخطباء ، ثم يخطب هناك ، فيصير جميع مَنْ فى المسجد خلف ظهره ، ثم إن أهل المسجد يستدبرون القبلة و يستقبلون ظهره وغالبُ من يصلى خارج المسجد لايشاهده أيضاً لحيلولة المسقف المحدث أمام ذلك الموضع ، وهذا كله مخالف للسنة ، ولما ثبت من فعله صلى الله عليه وسلم فى هذا المحل من قيامه فى مُصَلاه مستقبلا للناس وهم على صفوفهم كما سنوضحه ، ومَنْ زعم أن هذا الوضع فى محل قيام النبى صلى الله عليه وسلم وأنه صلى بذلك المحل على هـذه الصفة الموجودة اليوم فقد أخطأ خطأ عظيما وأساء الأدب ، فكيف يظن به صلى الله عليه وسلم أنه ينصرف عن أصحابه حتى يستدبرهم أو الكثير منهم ثم يخطب لهم ؟ وتترك الصحابة رضى الله تعالى عنهم طلعته البهية و يرضون باستدباره صلى الله عليه وسلم مع قيامه لمخاطبتهم ، وهم أعظم الناس أدبا وحرصا على رؤيته الشريفة ، وكيف يتفق علماء الإسلام على أن السنة خلافُ ذلك كما سيأتى ؟ فالمتعين تغيير هذه الهيئة ، والله أعلم .

الطرف الثانى : فيما جاء من أن النبى صلى الله عليه وسلم قام بالمصلى على غير منبر مستقبلا للناس .

كيف صلى الرسول العيد؟

قال البخارى فى صحيحه ، باب الخروج إلى المصلى بغير منبر ، ثم روى فيه حديث أبى سعيد الخدرى قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم يخرج يوم الفطر والأضحى إلى المصلى ، فأول شىء يبدأ به الصلاة ، ثم ينصرف فيقوم مُقَابل الناس والناسُ جلوسٌ على صفوفهم ، فيَعِظهم و يوصيهم و يأمرهم ، فإن كان يريد أن يقطع بعثا قطعه ، أو يأمر بشىء أمر به ، ثم ينصرف ، فقال أبو سعيد : فلم يزل الناس على ذلك حتى خرجْتُ مع مروان وهو أمير المدينة فى أضحى أو فطر ، فلما أتينا المصلى إذا منبر بَنَاه كثير بن الصلت ، و إذا مروان يريد أن يرتقيه قبل أن يصلى ، فجبذته بثوبه ، فجبذنى ، فارتفع فخطب قبل الصلاة ، فقلت له : غيرتم والله ، فقال : أبا سعيد قد ذهب ما تعلم ، فقلت : ما أعلم والله خير مما لا أعلم ،

فقال : إن الناس لم يكونوا يجلسون لنا بعد الصلاة ، فجعلتها قبل الصلاة ، هذا لفظ رواية البخارى .

قال الحافظ ابن حجر : المراد بقوله إلى المصلى المصلى المعروف بالمدينة بينه و بين باب المسجد ألف ذراع ، قاله عمر بن شبة عن أبى غسان صاحب مالك ، وفى رواية ابن حبان من طريق داود : فينصرف إلى الناس قائما فى مُصَلّاه.

قلت : وهذا معنى قوله فى رواية البخارى «ثم ينصرف فيقوم مقابل الناس» يعنى أنه يستدبر القبلة و يقف فى مصلاه ، وقد ترجم البخارى لاستقبال الإمام الناسَ فى خطبة العيد ، وأورد فيه طرفا من حديث أبى سعيد المذكور، وقد صرح الأئمة بأن ذلك هو السنة .

قال الزين ابن المنير : و إنما أعاد البخارى هذه الترجمة مع أنه قدم نظيرها فى الجمعة لدفع احتمال توهم أن العيد يخالف الجمعة فى ذلك ، وأن استقبال الإمام فى الجمعة يكون ضروريا لكونه يخطب على منبر ، بخلاف العيد فإنه يخطب فيه على رجليه لحديث أبى سعيد المذكور ، فأراد أن يبين أن الاستقبال سُنّة على كل حال .

من أحدث منبر المصلى العيد

قال الحافظ ابن حجر : وهذا يقتضى أنه لم يكن فى المَصَلّى فى زمان النبى صلى الله عليه وسلم منبر إلى أن اتخذ لمروان ، و يدل عليه قول أبى سعيد «فلم يزل الناس إلى آخره» . ووقع فى المدونة لمالك ، ورواه ابن شبة عنه قال : أول مَنْ خطب الناسَ فى المصلى على منبر عثمان بن عفان ، كلمهم على منبر من طين بَنَاه كثير بن الصلت ، وهذا مُعْضَل ، وما فى الصحيحين أصح ؛ فقد رواه مسلم بنحو رواية البخارى ، و يحتمل أن يكون عثمان فعل ذلك مرة ثم تركه حتى أعاده مروان ، ولم يطلع على ذلك أبو سعيد ، انتهى .

قلت : لكن روى أبو داود وغيره فى حديث ذكر أنه غريب وأن سنده جيد عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت : شكا الناسُ إلى رسول الله صلى الله

عليه وسلم قُحُوط المطر ، فأمر بمنبر فوضع له بالمصلى . وفى رواية للترمذى أن النبى صلى الله عليه وسلم خرج إلى الاستسقاء حتى أتى المصلى فرقى على المنبر ؛ فهذا يقتضى أن النبى صلى الله عليه وسلم خَطَب فى الاستسقاء بالمصلى على منبر ، وكان ذلك هو المستند لمن أحدث المنبر فى خطبة العيد قياسا على الاستسقاء ، ويحتمل أنه صلى الله عليه وسلم خَصَّ الاستسقاء بذلك لتيسر رؤيته لعامة الناس فيها ، فيقتدون به فى تحويل الرداء عند تحويله ، وفى كيفية رفع اليدين فى الدعاء ، ونحو ذلك مما يختص بخطبة الاستسقاء .

قال الحافظ ابن حجر : وقول أبى سعيد « غيرتم والله » صريحٌ فى أنه هو المنكر ، ووقع فى رواية مسلم « فقام إليه رجل فقال : الصلاة قبل الخطبة ، قال : قد ترك ما هنالك ، فقال أبو سعيد : أما هـذا فقد قضى ما عليه » فيحتمل أن يكون المنكِرُ أبا مسعود الذى وقع فى رواية عبد الرزاق أنه كان معهما ، ويحتمل أن يكون القصة تعددت ، ويدل على ذلك المغايرة بين روايتى عياض ورجاء ، ففى رواية عياض أن المنبر بُنِىَ له بالمصلى ، وفى رواية رجاء أن مروان أخرج المنبر معه ، ولأن إنكار أبى سعيد كان بينه وبينه ، وإنكار الآخر وقع على رؤوس الناس .

وقوله «إن الناس لم يكونوا يجلسون لنا بعد الصلاة» يشعر بأن ذلك باجتهاد من مروان .

أول من خطب قبل صلاة العيد

وقد اختلف فى أول من خطب قبل الصلاة ، فرواية الصحيحين عن أبى سعيد مصرحة بأنه مروان .

وروى ابن المنذر بإسناد صحيح عن الحسن البصرى قال : أول من خطب قبل الصلاة عثمان ، صلى بالناس ثم خطبهم ، يعنى على العادة ، فرأى ناسا لم يدركوا الصلاة ، ففعل ذلك ، أى صار يخطب قبل الصلاة . وهذه العلة غير التى اعتلَّ بها مروان ؛ لأن عثمان رضى الله تعالى عنه راعى مصلحة الجماعة فى

إدراكهم للصلاة ، وأما مروان فراعى مصلحتهم فى استماعهم الخطبة ، لكن قيل : إنهم كانوا فى زمن مروان يتعمدون ترك سماع خطبته لما فيها من سَبّ مَنْ لا يستحق السب ، والإفراط فى مدح بعض الناس ، فعلى هذا إنما راعى مصلحة نفسه . ويحتمل أن يكون عثمان فعل ذلك أحيانا ، بخلاف مروان فواظب عليه فلذلك نسب إليه .

وقد أوردنا بقية كلام الحافظ ابن حجر وغيره من الفوائد المتعلقة بذلك فى كتابنا الموسوم « بالوفا ، بما يجب لحضرة المصطفى صلى الله عليه وسلم » وبينا فيه أن الدرج الموجودة التى يقوم عليها الخطيب اليوم ليست فى الموضع الذى بنى لمروان ؛ لأن مروان وإن قدّم الخطبة على الصلاة فلما له فى ذلك من المقصد . وأما جعله المنبر على خلاف السنة وجعله القومَ أو بعضَهم خلف ظهره فلا ثمرة له ، وأيضاً فيبعد إقرار مَنْ جاء بعده على ذلك ، وأيضاً لو كان ذلك من فعله لأنكر عليه كما أنكر عليه ما تقدم ، ولو سلم أن تلك الدرج فى موضع منبر مروان فالسنة تغيير ذلك واتباع ما صح من فعله صلى الله عليه وسلم ، كما خولف فى أمر الخطبة واتبع بها فعله صلى الله عليه وسلم حيث جعلت بعد الصلاة ، والتشبث باستمرار أفعال الناس إنما يكون فى شىء لم يعلم حكمه من جهة الشرع ، أما ما علم حكمه فالواجب اتباعُ الشرع فيه ، واعتقاد حدوث ما عليه الناس ، وتقديره بأقرب زمان ، وقد ذم الله تعالى قوما تمسكوا فى جَحْد الحق بفعل سَلَفهم حيث قال حكاية عنهم : (إنا وجدنا آباءنا على أمة ، وإنا على آثارهم مقتدون) فمن الواجب تطهير هذا المحل الشريف المنسوب للمصطفى صلى الله عليه وسلم عن هذه البدعة الشنعاء ، ولذلك بينا بعض الدرج عن يمين القائم فى محراب المسجد المذكور كما ذكر العلماء أنه السنة ، وتكون مرتفعة بحيث يرى القائم عليها من خارج المسجد ، والذى يظهر أن تلك الدرج إنما جعلت للمبلغ ، وأن الخطيب إنما كان يقوم فيه على الأرض ؛ لأنه الثابت من فعله صلى الله

عليه وسلم ، فكأن بعض الخطباء قام عليها بعد ذلك فاستمر الأمر على ذلك ، والله أعلم .

فضل المصلى

الطرف الثالث : فيما جاء فى فضل المصلى الشريف ، والدعاء به ، ونهيه صلى الله عليه وسلم عن تضييقه والبناء به .

أورد ابن شبة فى ترجمة المصلى عن جناح النجار قال : خرجت مع عائشة بنت سعد بن أبى وقاص إلى مكة ، فقالت لى : أين منزلك ؟ فقلت لها : بالبلاط ، فقالت لى : تمسك به فإنى سمعت أبى يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ما بين مسجدى هذا المسجد ومصلاى روضة من رياض الجنة » .

وقوله فى هذه الرواية « ما بين مسجدى هذا المسجد — إلى آخره » يدفع تأويلَ مَنْ أوَّلَ حديث الأوسط للطبرانى بلفظ « ما بين حجرتى ومُصَلَّاى » والحديث الذى رواه ابن زبالة من طريق عائشة بنت سعد عن أبيها بلفظ « ما بين منبرى والمصلى » بأن المراد مُصَلَّاه الذى يصلى فيه فى المسجد ؛ لأنه لا يصح أن يقال : ما بين هذا المسجد والمصلى الذى فيه ، ولهذا استدلَّتْ به عائشةُ بنت سعد على الحث على التمسك بالدور التى بالبلاط ، يعنى الآخذة من باب السلام إلى المصلى ؛ لأنها فيما بين المسجد ومصلى العيد ، وإذا كان ما بين المسجدين المذكورين روضة فهماروضة من باب أولى ؛ لأن ذلك الفضل إنما حصل لما بينهما بحصوله صلى الله عليه وسلم فى ذلك وتردده صلى الله عليه وسلم فيما بينهما، فكيف بمحلِّ سجوده وموقفه الشريف ؟

وروى ابن شبة عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا قَدِمَ من سفر فر بالمُصَلَّى استقبل القبلة ووقف يدعو .

وعن أبى عطاء عن أبيه قال : قال لى سعيد بن المسيب : يا أبا محمد ، أتعرف موضع دار كثير بن الصلت ؟ قلت : نعم ، قال : فإن النبى صلى الله عليه وسلم

بخرج حتى انتهى إلى ذلك الموضع فقام وَصَّف أصحابه خلفه فصلى على النجاشى حين مات فى أرض الحبشة .

وعن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى المصلى يَسْتَسْقِى ، فبدأ بالخطبة ، ثم صلى وكبر واحدةً افتتح بها الصلاة وقال : هـذا مجمعنا ومُسْتَمْطَرُنَا ومدعانا لعيدنا ولفطرنا وأضحانا ؛ فلا يبنى فيه لبنة على لبنة ولا جهة ، ورواه ابن زبالة إلا أنه قال : ثم قال : هذا مجتمعنا ومستمطرنا ومدعانا لعيدنا لفطرنا وأضحانا ، الحديثَ .

وروى يحيى عن داود بن أبى الفرات قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المصلى فقال : هـذا مستمطرنا ومُصَلَّانا لأضحانا وفطرنا ، لا يضيق ، ولا ينتقص منه شىء .

وسيأتى فى ترجمة أحجار الزيت أن النبى صلى الله عليه وسلم استسقى عندها قريبا من الزوراء .

بيان طريق ذهاب النبى للمصلى ورجوعه

الطرف الرابع : فيما جاء من أنه صلى الله عليه وسلم : كان يذهب إلى هذا المصلى الشريف من طريق ويرجع فى أخرى ، وبيان كل من الطريقين .

روينا فى صحيح البخارى فى باب مَنْ خالف الطريق إذا رجع يوم العيد عن جابر رضى الله تعالى عنه قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا كان يوم عيد خالف الطريق .

وروى ابن شبة عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم أخذ يومَ العيدِ فى طريق ورجع فى طريق آخر ، وفى رواية « كان يأخذ يومَ العيدِ فى طريق ويرجع فى طريق آخر » .

وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا خرج إلى العيد فى طريق لم يرجع فيه .

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم « كان إذا خرج إلى العيد رجَعَ في غير الطريق الذي أخذ فيه » .

وعنه رضي الله تعالى عنه أنه قال : ركن باب داري هذا أحَبُّ إليّ من زِنتها ذهبا ، سَلَكَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على داري إلى العيد ، فجعلها يَسَارا ، فمر على عضادة داري مرتين في غداةٍ واحدة .

قلت : ولا مخالفة بين هذا و بين الرواية الأولى لأن دار أبي هريرة كانت بالبلاط عند زقاق عبد الرحمن بن الحارث كما قدمناه في الدور المحيطة بالبلاط الأعظم ، و بعدها إلى جهة المصلى قريبا منها دارُ سعد بن أبي وقاص .

وقد روى ابن شبة عن يحيى بن عبد الرحمن عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « كان يأتي العيد ماشيا على باب سعد بن أبي وقاص ، ويرجع إلى أبي هريرة » وحينئذ فيمر على دار أبي هريرة في ذهابه ثم في رجوعه ؛ لأن الشافعي روى في الأم ومنها نقلت عن المطلب بن حنطب أن النبي صلى الله عليه وسلم « كان يغدو يوم العيد إلى المصلى من الطريق الأعظم ، فإذا رجع رجع من الطريق الأخرى على دار عمار بن ياسر » .

ورواه ابن زبالة عن محمد بن عمار بلفظ « كان يخرج إلى المصلى من الطريق العظمى على أصحاب الفساطيط ، ويرجع من الطريق الأخرى على دار عمار ابن ياسر » وقد قدمنا أن دار عمار بن ياسر في زقاق عبد الرحمن بن الحارث الذي يسلك إلى البلاط عند دار أبي هريرة بابُها يقابل دار عبد الرحمن بن الحارث ، ولها خَوْخة في كُتَّاب عروة ، فصَحَّ مروره صلى الله عليه وسلم عليها مرتين في غداة واحدة مع ذهابه من طريق ورجوعه في أخرى .

وسيأتي في ذكر طريقه صلى الله عليه وسلم إلى قباء ذهابا و إيابا ما يصرح بأنه إذا رجع يمر على مسجد بني زريق من كُتَّاب عروة حتى يخرج إلى البلاط ، يعني من الزقاق المذكور ؛ لما قدمناه في وصف البلاط .

والطريق العظمى — كما قال المطرى — هى طريقُ الناسِ اليوم من باب المدينة : أى الدرب المعروف بدرب سويقة إلى مسجد المصلى ، ولم يتعرض لبيان الطريق الأخرى ، وقد مَنّ الله سبحانه وتعالى ببيانه فله الحمد على ذلك . وهذه الطريق هى المرادة بما رواه ابن زبالة عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « كان يذبح أضحيته بيده إذا انصرف من المصلى على ناحية الطريق التى كان ينصرف منها » وتلك الطريق والمكان الذى كان يذبح فيه مقابل المغرب مما يلى طريق بنى زريق ، أى أنه إذا انصرف من المُصَلَّى أتى موضعا فى غربى طريق بنى زريق فذبح ، ثم سلك فى تلك الطريق ، وهى سالكة فى بنى زريق آخذة من قبلة المصلى إلى أن يمر بدار أبى هريرة كما تقدم ، ولهذا روى الواقدى عن عائشة وابن عمر وغيرهما أنه صلى الله عليه وسلم « كان يذبح عند طرف الزقاق عند دار معاوية » أى المتقدم ذكرها . وسور المدينة اليوم مانع من سلوك هذه الطريق فى الرجوع . ويستفاد من هـذا أن المخالفة بين الطريقين لم تكن فى جميعهما ، إلا أن يكون النبى صلى الله عليه وسلم كان إذا وصَلَ إلى محل البلاط الذى عند دار أبى هريرة لم يسلك فى بقية الطريق العظمى ، وهى الشارعة اليوم إلى باب السلام ، بل يأخذ فى ميسرة البلاط إلى الشام ؛ لأن الظاهر أن غالب تلك الأماكن كانت بَرَاحاً ثم يعرج إلى جهة داره بعد ذلك . على أن ما ذكرناه فى وَصْف هذه الطريق مُقْتَضٍ لأن طريقه صلى الله عليه وسلم فى ذهابه أَقْصَرُ من طريق رجوعه كما لا يخفى ؛ فيعكر على القول بأن المستحب أن يذهب فى أطْوَل الطريقين ويرجع فى أقصرهما .

وقد روى الشافعى رحمه الله تعالى فى الأم عقب ما قدمناه عنه وصف طريق أخرى الرجوعُ فيها أبعدُ من الذهاب أيضاً بكثير جداً ؛ فإنه روى عقب ذلك عن معاذ بن عبد الرحمن التيمى عن أبيه عن جده أنه رأى النبى صلى الله عليه وسلم رَجَعَ من المصلّى يوم عيد فسلك على التمارين من أسفل السوق ، حتى إذا

كان عند مسجد الأعرج الذى هو عند موضع البركة[1] التى بالسوق قام فاستقبل فج أسلم فدعا ثم انصرف .

قال الشافعى عقبه : وأحبُّ أن يصنع الإمام مثل هذا ، وأن يقف فى موضع فيدعو الله مستقبل القبلة ، و إن لم يفعل فلا كفارة ولا إعادة عليه ، هذا لفظ الأم ومنها نقلت .

و يؤ يد هذا ما رواه يحيى عن محمد بن طلحة بن طو يل قال : رأيت عثمان ابن عبد الرحمن ومحمد بن المنكدر ينصرفان من العيد فيقومان عند البركة التى بأسفل السوق ، قال : وسألت عثمان بن عبد الرحمن عن ذلك فقال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقف عند ذلك المكان إذا انصرف من العيد .

وقد قدمنا عن ابن ز بالة فى سوق المدينة أن محمد بن المنكدر وعثمان بن عبد الرحمن وجماعة كانوا يقومون بفناء بركة السوق مستقبلين ، وأن عثمان بن عبد الرحمن قال : قد اختلف علينا فى ذلك ؛ فقائل يقول : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو هنالك ، وقائل يقول : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم هنالك فينظر إلى الناس إذا انصرفوا من العيد .

قلت : وقد بينَتْ روايةُ الشافعى المذكور أنه كان يدعو هنالك إذا انصرف من العيد ، ولا مانع من كونه مع ذلك ينظر إلى الناس المنصرفين من العيد أيضاً فلا اختلاف . وقد بينا هناك ما يقتضى أنه كان يسلك على سوق التمارين ، وهو فى شامى المصلى مما يلى المغرب ، و بينا أيضاً أن منازل أَسْلَمَ كانت فى غر بى سوق المدينة إلى الشام بعد التمارين ، وذلك عند حصن أمير المدينة وما سفل منه إلى جهة الشام مما يلى غر بى سوق الشاميين عند منزل الحاج الشامى بالموسم ، و بينا أن بركة السوق هى المنهل المدرج الذى على يسار المتوجه إلى ثَنِيَّةِ الوَدَاع عند مشهد النفس الزكية ، والقائم عندها إذا استقبل فَجَّ أسلم كان مستقبلا للقبلة ، ولعل مسجد الأعرج الذى أشار الشافعى فى روايته إلى أنه عندها هو الموضع الذى

(١) هى المنهل الذى بقرب مشهد النفس الزكية،ويقال لها اليوم «عين الزكى» (حسب الله) .

هو قبلة مشهد النفس الزكية ، فإنه مسجد،وهو عند موضع البركة ، وماعلمتُ المرادَ بالأعرج الذى نسب إليه المسجد المذكور .

وقد أنشأ قاضى الحرمين السيد الشريف العلامة محيي الدين عبد القادر الحنبلى الفاسى المكى مسجدا بمنزلة الحاج الشامى بالقرب من المنهل المذكور فى جهة قبلته[1] .

إذا علمت ذلك فهذه الطريق تزيد على الطريق العظمى إلى المصلى بنحو ضعفها ، ويمكن سلوكها اليوم فى الرجوع من المصلى ، بخلاف الطريق السابقة ؛ لحيلولة السورِ .

وأهلُ المدينة اليوم يذهبون من الطريق العظمى ، ويرجعون فى بعض تلك الطريق السابقة ؛ لأنهم يأخذون من جهة قبلة المصلّى إلى المشرق خارج سور المدينة ، فيدخلون من درب البقيع ، وطريقهم هذه فى الرجوع أطول من الذهاب أيضاً ، ولو سلكوا الطريقَ المذكورة فى رواية الشافعى الثانية لكان أولى ، وليحصل الدعاء بذلك المحل الشريف اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم ومن تقدم ذكره من السلف الصالح .

وقد فعلتُ ذلك فى عامنا هذا ، فسلكت فى الذهاب إلى المُصَلّى من الطريق العظمى ، ورجعت من أسفل السوق إلى أن قمت بفناء بركته المذكورة ، ثم انصرفت فدخلت المدينة من الباب الذى يلى حصن أمير المدينة ، والخيرُ كله فى الاتباع ومجانبة الابتداع ، وأى بركة أعظم من ذهاب الإنسان إلى المصلى فى ذلك اليوم السعيد فى طريق ذهب منها النبيُّ صلى الله عليه وسلم ؟ ثم صلاته بمُصَلّاه الشريف ، ثم رجوعه فى طريقه التى رجع منها .

وقد قال المجد : وإذا ثبت بما رويناهُ ــ يعنى من الأحاديث المتقدمة ــ أن المصلّى الموجودَ هو مصلى النبى صلى الله عليه وسلم فى الأعياد ، فالصلاةُ فيه تزداد فضلا ومزية على كل مصلى أىّ ازدياد ، ويخص الفائزون بالصلاة فيه من الله تعالى

---

(١) يعرف اليوم بمسجد السبق (حسب الله) .

بأسبغ نِعَم وأياد ، و يمنح الحائزون فضل الحضور إليها فواضل قصرت عنها معالى معد وأيادى إياد .

قلت : وأخبرنى جماعة من المشايخ منهم شيخنا الكمال أبو الفضل محمد ابن العلامة نجم الدين المرجانى وأخته المسندة أم كمال كماليه والمسندة أم حبيبة زينب ابنة الشهابى أحمد الشونكى وغيرهم إذنا عن المجد المشار إليه قال عقب ما تقدم عنه : أنشدنى أبو عمر عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم الحموى كتابة عن أبى البركات أيمن بن محمد بن محمد بن محمد الغرناطى لنفسه :

إنّ عيداً بطيبة وصلاةً ... بمُصَلّى الرسولِ فى يوم عيد

نِعَمٌ ضاق واسعُ الشكرِ عنها ... فَهْيَ بُشْرَى لكل عبد سعيد

كم تمنيتها فنِلْتُ التمنى ... آخِرَ العمر من مكان بعيد

و إذا كان فى البقيع ضَريحى ... وتوسَّدْتُ طيبَ ذاك الصعيد

فاشْهَدُوا لى بكلِّ خير و بشرٍ ... عند ربى ومُبْدِئى ومعيدى

والمسئول من فضل الله تعالى أن يكمل لأهل هـذا المصلى الشريف عظيمَ منته بجعل منبره المنيف على طريقته صلى الله عليه وسلم وسنته ، بمنه وكرمه ، آمين

الفصل الثانى

فى مسجد قباء ، وفضله ، وخبر مسجد الضِّرَار

تأسيس مسجد قباء

تقدم تأسيس النبى صلى الله عليه وسلم لمسجد قباء فى الفصل العاشر من الباب الثالث ، عند مقدمه صلى الله عليه وسلم قباء ، و بَسَطْنا ذلك هناك ، فراجعه وذكرنا هناك ما جاء من أن النبى صلى الله عليه وسلم عمل فيه بنفسه ، وأنه أسّسه وجبريل يَؤُمُّ به البيت ، وأنه كان يقال : إنه أقْوَمُ مسجد قبلةً ، وأنه صلى الله عليه وسلم أسسه ثانيا بعد تحويل القبلة ، وقدمنا أيضاً قول عروة فى الصحيح

فى حديث الهجرة الطويل « فَلَبِثَ فى بنى عمرو بن عوف بضع عشرة ليلة ، وأسس المسجد الذى أسس على التقوى » .

وفى رواية عبد الرزاق عنه قال « الذين بنى فيهم المسجد الذى أسس على التقوى هم بنو عمرو بن عوف » وكذا فى حديث ابن عباس عند ابن عابد ولفظه « ومكث فى بنى عمرو بن عوف ثلاث ليال ، واتخذ مكانه مسجدا فكان يصلى فيه ، ثم بناه بنو عمرو بن عوف ، فهو الذى أسس على التقوى » وقدمنا أيضاً أنه أول مسجد بناه النبى صلى الله عليه وسلم وصلى فيه بأصحابه جماعة ظاهرا .

المسجد الذى أسس على التقوى

قال الحافظ ابن حجر : اختلف فى المراد بقوله تعالى (لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه) فالجمهور على أن المراد مسجد قباء ، وهو ظاهر الآية ، وتقدم فى فضل المسجد النبوى حديث مسلم المشتمل على أن أبا سعيد سأل النبى صلى الله عليه وسلم عن المسجد الذى أسس على التقوى فقال « هو مسجدكم هذا » وفى رواية لأحمد والترمذى عنه : اختلف رجلان فى المسجد الذى أسس على التقوى ، فقال أحدهما : هو مسجد المدينة ، فسألاه عن ذلك ، فقال : هو هذا ، وفى ذلك — يعنى مسجد قباء — خير كثير ، وقدمنا أيضاً الجمع بأن كلا من المسجدين قد أسس على التقوى من أول يوم تأسيسه ، وأنهما المراد من الآية ، وأن السر فى اقتصاره صلى الله عليه وسلم على ذكر مسجد المدينة دفع توهم اختصاص ذلك بمسجد قباء ، كما هو ظاهر ما فهمه السائل وتنويها بمزية مسجده الشريف .

قال الحافظ ابن حجر : والحق أن كلا منهما أسس على التقوى ، وقوله تعالى فى بقية الآية (فيه رجال يحبون أن يتطهروا) يؤيد كون المراد مسجد قباء .

وعند أبى داود بإسناد صحيح عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : نزلت (فيه رجال يحبون أن يتطهروا) فى أهل قباء ، قال : كانوا يستنجون بالماء ، فنزلت فيهم هذه الآية .

قال الحافظ ابن حجر : فالسر فى جوابه صلى الله عليه وسلم بما تقدم دفع توهم أن ذلك خاص بمسجد قباء .

قال الداودى وغيره : ليس هذا اختلافا ؛ لأن كلا منهما أسس على التقوى وكذا قال السهيلى وزاد أن قوله تعالى (من أول يوم) يقتضى مسجد قباء ؛ لأن تأسيسه كان فى أول يوم حَلَّ النبى صلى الله عليه وسلم بدار الهجرة .

روى أحمد وابن شبة ، واللفظ لأحمد ، عن أبى هريرة قال : انطلقت إلى مسجد التقوى أنا وعبدُ الله بن عمر وَسُمَرة بن جندب ، فأتينا النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا لنا : انطَلَقَ نحو مسجد التقوى ، فانطلقنا نحوه ، فاستقبَلَنا يَدَاه على كاهلَىْ أبى بكر وعمر ، فثرنا فى وجهه فقال : مَنْ هؤلاء يا أبا بكر ؟ فقال : عبد الله بن عمر ، وأبو هريرة ، وسمرة .

وروى ابن شبة من طرق ماحاصله أن الآية لما نزلت أتى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أهلَ قباء ، وفى رواية أهل ذلك المسجد ، وفى رواية بنى عمرو بن عوف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله قد أحْسَنَ عليكم الثناء فى الطهور ، فما بلغ من طهوركم ؟ قالوا : نستنجى بالماء » .

وذكر أبو محمد المرجانى الجمع بأن كلا من المسجدين أسِّسَ على التقوى ، ثم قال : فقد رُوِى عن عبد الله بن بُرَيْدة فى قول الله عز وجل (فى بيوتٍ أذِنَ الله أن ترفع) قال : إنما هى أربعة مساجد ، لم يبنهنَّ إلا نبى : الكعبة بناها إبراهيم و إسماعيل عليهما السلام ، و بيت أريحاء بيت المقدس ،بناه داود وسليمان، ومسجد المدينة ومسجد قباء اللذين أسِّسا على التقوى ، بناهما رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قلت : وقال يحيى بن الحسين فى أخبار المدينة : حدثنا بكر بن عبد الوهاب أنبأنا عيسى بن عبد الله عن أبيه عن جده عن على بن أبى طالب أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « المسجدُ الذى أسِّسَ على التقوى من أول يوم هو مسجد قباء ،

قال الله جل ثناءه (فيـه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين) و بكر ابن عبد الوهاب هو ابن أخت الواقدى صدوق ، وعيسى بن عبد الله يظهر لى أنه عيسى بن عبد الله بن مالك وهو مقبول ؛ فيـكون جده حينئذ عبد الله بن مالك ، وهو شيخ مقبول يروى عن على وابن عمر ؛ فالحديث حسن ؛ فتعين الجمع بما تقدم والله أعلم .

ما جاء فى أن الصلاة فيه تعدل عمرة

روى الترمذى عن أسيد بن حضير الأنصارى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « الصلاةُ فى مسجد قباء كعمرة » قال الترمذى : وفى الباب عن سهل ابن حنيف ، وحديث أسيد حديث حسن غريب ، ولا يعرف لأسيد شىء يصح غير هذا الحديث .

قلت : وأخرجه البيهقى وابن ماجه من طريق أبى بكر بن شيبة بإسناد الترمذى ، وهو جيد ، بلفظ « الصلاة فى مسجد قباء كعمرة » .

وأخرج ابن حِبَّانَ فى صحيحه عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أنه شهد جنازة بالأوساط فى دار سعد بن عبادة ، فأقبل ماشيا إلى بنى عمرو بن عوف بفناء بنى الحارث بن الخزرج ، فقيل له : أين تؤم يا أبا عبد الرحمن ؟ قال : أهل هذا المسجد فى بنى عمرو بن عوف ؛ فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « مَنْ صَلى فيه كان كعدل عمرة » .

ورواه ابن زبالة موقوفا ، ولفظه أن عبد الله بن عمر شهد جنازة فى الأوساط من بنى الحارث بن الخزرج ، ثم خرج يمشى ، فقالوا له : أين تريد يا أبا عبد الرحمن ؟ قال : أريد مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بقباء ؛ « مَنْ صلى فيه ركعتين كان كعدل عمرة .

وأخرج ابن ماجه وعمر بن شبة بسند جيد عن سهل بن حنيف قال : قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم « مَنْ تطهر فى بيته ثم أتى مسجد قباء فصلى فيه صلاة كان له كأجر عمرة » .

ورواه أحمد والحاكم وقال : صحيح الإسناد .

ورواه يحيى من طريقين فيهما مَنْ لم أعرفه بلفظ « مَنْ توضأ فأسبغ الوضوء ثم جاء مسجد قباء فصلى فيه ركعتين كان له عدل عمرة » .

ورواه الطبرانى فى الكبير عن سهل من طريق موسى بن عبيدة — وهو ضعيف — بلفظ « مَنْ توضأ فأحسن الوضوء ثم دخل مسجد قباء فيركع فيه أربع ركعات كان ذلك عدل رقبة » .

ورواه ابن شبة عن سهل من طريق موسى بن عبيدة المذكور بلفظ « مَنْ توضأ فأحسن وضوءه ثم جاء مسجد قباء فركع فيه أربع ركعات كان له عدل عمرة » .

ورواه أيضاً بسندٍ فيه يوسف بن طهمان — وهو ضعيف — عن سَهْل ابن حُنَيف عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « ما من مؤمن يخرج على طهر إلى مسجد قباء لا يريد غيره حتى يصلى فيه إلا كان بمنزلة عمرة » .

وروى الطبرانى فى الكبير بسند فيه يزيد بن عبد الملك النوفلى — وهو ضعيف — عن كعب بن عجرة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « مَنْ تَوَضَّأ فأسبغ الوضوء ثم عَمدَ إلى مسجد قباء لا يريد غيره ، ولا يحمله على الغُدُوِّ إلا الصلاة فى مسجد قباء ، وصلى فيه أربع ركعات يقرأ فى كل ركعة بأم القرآن كان له كأجر المعتمر إلى بيت الله » .

وقال عمر بن شبة : حدثنا سويد بن سعيد قال : حدثنا أيوب بن صيام عن سعيد بن الرقيش الأسدى قال : جاءنا أنس بن مالك إلى مسجد قباء فصلى ركعتين إلى بعض هذه السوارى ثم سلم وجلس وجلسنا حوله ، فقال : سبحان الله ! ما أعْظَمَ حَقِّ هذا المسجد ، لو كان على مسيرة شهر كان أهلا أن يؤتى ،

مَنْ خرج من بيته يريده معتمداً إليه ليصلى فيه أربعَ ركعاتٍ أقلبه الله بأجرِ عُمْرة » .

قال ابن شبة : قال أبو غسان : ومما يُقوِّى هذه الأخبار ويدل على تظاهرها فى العامة والخاصة قولُ عبد الرحمن بن الحكم فى شعر له :

فإن أهْلِكْ فقد أقْرَرْتُ عيناً　　من المتعمرات إلى قباء

مِنَ اللاتِى سَوَالِفهُنَّ غيد　　عَلَيْهِنَّ الْمَلاَحَةُ بِالْبَهَاء

تفضيل الصلاة فى مسجد قباء على بيت المقدس

ما جاء فى تفضيل الصلاة فيه على بيت المقدس ، ومغفرة ذنوب مَنْ صلى فيه مع المساجد الثلاثة .

روى ابن شبة بسند صحيح من طريق عائشة بنت سعد بن أبى وقاص قالت: سمعت أبى يقول : « لأن أصَلِّىَ فى مسجد قباء ركعتين أحَبُّ إلىّ من أن آتىَ بيت المقدس مرتين ، لو يعلمون ما فى قباء لضربوا إليه أكباد الإبل » .

ورواه الحاكم عن عامر بن سعد وعائشة بنت سعد سمعا أباهما يقول : لأن أصلىَ فى مسجد قباء أحَبُّ إلىّ من أن أصلى فى مسجد بيت المقدس ، قال الحاكم : وإسناده صحيح على شرطهما . وهذا شاهد لما روى عن محمد بن مسلمة المالكى أنه قال : إن إتْيانَ مسجد قباء يلزم بالنذر ، وجمهور العلماء أن ذلك وإن كان قربة لا يلزم بالنذر .

وعن عاصم قال : أخبرنا أن مَنْ صلى فى المساجد الأربعة غُفِرَ له ذنبه ، فقال له أبو أيوب : يا ابن أخى أدلُّكَ على ما هو أيسر من ذلك ، إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « مَنْ توضأ كما أمر ، وصلى كما أمر ، غفر له ما تقدم من ذنبه » أخرجه أبو حاتم وقال : المساجد الأربعة : المسجدُ الحرام ، ومسجد المدينة ، ومسجد الأقصى ، ومسجد قباء .

إتيان الرسول مسجد قباء

ما جاء فى إتيان النبى صلى الله عليه وسلم له راكبا وماشيا ، وصلاته فيه ، وتعيين الأيام التى كان صلى الله عليه وسلم يأتى قباء فيها هو وغيره من الصحابة .

روينا فى الصحيحين عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم يَزُورُ قباء ، أو يأتى قباء ، راكبا وماشيا .

زاد في رواية لهما : فيصلى فيه ركعتين .

وروى ابن شبة عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أنه كان انطلق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مسجد قباء ، فصلى فيه ، فجعلت الأنصار يأتُونَ وهو يصلي ، فيسلِّمُونَ عليه ، فخرج عَلَيَّ صُهَيْبٌ فقلت : يا صُهَيْب كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يردُّ على مَنْ سلم ؟ قال : يُشير بيده .

وفى رواية للبخارى والنسائى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « كان يأتى مسجد قباء كل سبت راكبا وماشيا » وكان عبد الله يفعله .

وفى رواية لابن حِبَّان فى صحيحه « كل يوم سبت ». وفيها رد على من قال : إن المراد بالسبت الأسبوع .

وروى ابن شبة عن سعيد بن عمرو بن سليم مرسلا أن النبى صلى الله عليه وسلم « كان يُطرَحُ له على حمار أنبجانيّ لكل سبت ، ثم يركب إلى قباء » .

ورواه ابن زبالة بنحوه ، وزاد « ويمشى حوله أصحابه » .

وروى ابن شبة عن شريك بن عبد الله بن أبى نمر مرسلا أن النبى صلى الله عليه وسلم « كان يأتى قباء يوم الاثنين » .

وعن محمد بن المنكدر مرسلا قال « كان النبى صلى الله عليه وسلم يأتى قباء صبيحة سبع عشرة من رمضان[1] » .

ورواه يحيى عن ابن المنكدر عن جابر متصلا . وفى كتاب رزين عن ابن المنكدر قال : أدركت الناس يأتون مسجد قباء صبيحة سبع عشرة من رمضان .

وروى يحيى عن ابن المنكدر نحوه أيضاً .

وعن أبى غزية قال : كان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه يأتى قباء يوم الاثنين ويوم الخميس ، فجاء يوماً من تلك الأيام فلم يَجِدْ فيه أحداً من أهله ،

---

(١) هذا باق إلى زماننا والناس يسمون ذلك العمرة (حسب الله) .

فقال : والذى نفسى بيده لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر فى أصحابه نَنقُلُ حجارتَهُ على بطوننا، يؤسِّسُه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بيده ، وجبريل يؤم به البيتَ ، ومحلوف عمر بالله لو كان مسجدنا هــذا بطرف من الأطراف لضربْنا إليــه أكباد الإبل ، ثم قال : اكسروا لى سَعَفَه واجتنبوا العَوَاهن ، أى ما يلى القلب من السَّعف ، فقطعوا السعفة ، فأتى بها ، فأخذ رزمة فربَطها فمسحه ، قالوا : نحن نـكفيك يا أمير المؤمنين ، قال : لا تكفو نيه .

وفى رواية لرزين عقب قوله « وجبريل يؤم به البيت » ثم أخــذ أى عمر رضى الله تعالى عنه جَرَائدَ فجعل يمسح جُدْرَانه وسطحه ، فقيل له : نــكفيك يا أمير المؤمنين ، فقال : لا تكفونيه ، أنا أريد أن أكفيــكم أنتم مثل هــذا ، وإن شئتم اعملوا مثل ما أعمل .

وقد استشكل الزين المراغى قوله «وجبريل يؤم به البيت» بأن ذلك كان قبل تحويل القبلة ، وقد أشرْنا فيا تقدم لجوابه .

وأسند ابن زبالة عن شيخ من بنى عمرو بن عوف قال : أتانا عمرُ بن الخطاب بقباء فقال لخياط بسُدَّة الباب : انطَلِقْ فأتِنِى بجريدة وإياك والعَوَاهنَ ، فأتاه بجريدة ، فقَشَرها وترك لها رأسا فضرب به قبلة المسجد حتى نفض الغبار .

ورواه ابن شبة ، إلا أنه قال : عن شيوخ من بنى عمرو بن عَوْف أن عمر رضى الله تعالى عنه جاءهم بقباء نصفَ النهارِ ، فدخل مسجد قباء ، فأمر رجلا يأتيه بجريدة رَطْبة ، الخبرَ بنحوه .

وروى ابن زبالة عن زيد بن أسلم قال : الحمد لله الذى قرَّبَ منا مسجد قباء ، ولو كان بأفُقٍ من الآفاق لضربْنَا إليه أكباد الإبل .

وفى صحيح البخارى : كان سالم مولى أبى حُذَيفة رضى الله تعالى عنهما يؤم المهاجرين الأولين من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فى مسجد قباء ، فيهم أبو بكر وعمر .

ورواه ابن شبة عن ابن عمر ، ولفظه : وكان سالم مولى أبي حُذَيفة يؤم المهاجرين الأولين وأصحابَ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأنصار في مسجد قباء ، فيهم أبو بكر وعمر وأبو سَلمة وزيد وعامر بن ربيعة رضوان الله عليهم .

وروى أيضاً عن أبي هاشم قال : جاء تميم بن زيد الأنصاري إلى مسجد قباء وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر مُعَاذا أن يصلي بهم ، فجاء صلاة الفجر وقد أسْفَرَ فقال : ما يمنعكم أن تُصَلوا ؟ ما لكم قد حبستم ملائكة الليل وملائكة النهار ؟ قالوا : يمنعنا أنا نَنْتَظِر صاحبَنَا ، قال : فما يمنعكم إذا احتبس أن يصلي أحدكم ؟ قالوا : فأنت أحَقُّ من يصلي بنا ، قال : أترضون بذا ؟ قالوا : نعم ، فصلى بهم ، فجاء معاذ فقال : ما حَمَلَكَ يا تميم على أن دخلت عليَّ في سِرْبَال سَرْبَلَنيه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : ما أنا بتاركك حتى أذهب بك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله إن هذا تميمٌ دخل في سربالٍ سَرْبَلْتَنِيه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ما تقول يا تميم ؟ فقال مثل الذي قال لأهل المسجد ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : هكذا فاصْنَعُوا مثل الذي صنع تميم بهم ، إذا احتبس الإمام .

وروى ابن زبالة عن عويم بن ساعدة أن سعد بن عويم بن قيس بن النعمان كان يصلي في مسجد قباء في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفي زمان أبي بكر حتى توفي ،[وفي] زمان عمر بن الخطاب فأمر عمر مجمع بن حارثة أن يصلي بهم بعد أن رَدَّه ، وقال له : كنت إمام مسجد الضِّرَار ، فقال :يا أمير المؤمنين كنت غلاما حدَثا ، وكنتَ أرى أن أمرهم على أحْسَن ذلك ، وقدَّمُوني لما معي من القرآن ، فأمَرَهُ فصلّى بهم .

ما جاء في تعيين مُصَلاَّه صلى الله عليه وسلم منه ، وصفته ، وذَرْعِهِ

المكان الذي كان الرسول يصلي فيه بمسجد قباء

روى ابن زبالة أن النبي صلى الله عليه وسلم صَلى إلى الأسطوان الثالثة في مسجد قباء التي في الرحبة .

ونقل ابن شبة عن الواقدى أنه قال : عن مجمع بن يعقوب عن سعيد بن عبد الرحمن بن رقيش قال : كان المسجدُ فى موضع الأسطوان المخلّقة الخارجة فى رحبة المسجد .

وعن ابن رقيش قال : بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجد قباء ، وقدّم القبلة إلى موضعها اليوم ، وقال : جبريلُ يؤم بى البيت . قال ابن رقيش : فحدثنى نافع أن ابن عمر كان بعدُ إذا جاء مسجد قباء صلى إلى الأسطوان المخلّقة يقصد بذلك مسجدَ النبى صلى الله عليه وسلم الأول .

قال ابن شبة : قال أبو غسان : وأخبرنى مَنْ أثِقُ به من الأنصار من أهل قباء أن موضع قبلة مسجد قباء قبل صَرْف القبلة أن القائم كان يقوم فى القبلة الشامية فيكون موضع الأسطوان الشارعة فى رَحْبة مسجد قباء التى فى صفة الأسطوان المخلّقة المقدمة التى يقال لها إن مصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حَرْفها .

قال : وأخبرنى أيضاً أن مُصَلَّى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسجد قباء بعد صَرْف القبلة كان إلى حرف الأسطوان المخلّق كثير منها المقدمة إلى حرفها الشرقى ، وهى دون محراب مسجد قباء عن يمين المصلى فيه .

وروى ابن زبالة عن عبد الملك بن بكر بن أبى ليلى عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صَلّى فى مسجد قباء إلى الأسطوان الثالثة فى الرحبة إذا دخلْتَ من الباب الذى بفناء دار سعد بن خيثمة .

قلت : والباب المذكور هو المسدود اليوم يظهر رَسْمُه من خارج المسجد فى جهة المغرب ، وكان شارعاً فى الرواق الذى يلى الرحبة من المسقف القبلى ؛ فالأسطوان الثالثة فى الرحبة هى الأسطوان التى عندها اليوم محراب فى رحبة المسجد ؛ لانطباق الوَصْف المذكور عليها ؛ فهى المراد بقول الواقدى « كان المسجدُ فى موضع الأسطوان المخلّقة الخارجة فى رحبة المسجد وهى التى كان ابن عمر يصلى

إليها . ومقتضى ما تقدم عن أبى غسان أن هذه الأسطوانة عندها مصلّى رسول الله صلى الله عليه وسلم الأول قبل تحويل القبلة ، وأن مصلاه بعد التحويل كان إلى الأسطوانة التى فى صفّ هذه الأسطوانة مما يلى القبلة ، وهى الثالثة من أسطوان الرحبة المذكورة ؛ فإنها الموصوفة بما ذكره من كونها دون المحراب على يمين المصلى فيه ، والمصلى إلى حرفها الشرقى يكون محاذيا لمحراب المسجد ؛ فالرواق القبلى مَزِيد فى المسجد ، وجعلوا المحراب به فى محاذاة المصلى الشريف من الأسطوان المذكورة . لكن قوله فى الرواية الأخرى « وقدم القبلة إلى موضعها اليوم » يقتضى أنه لم يزد أحَدٌ فى جهة القبلة بعد النبى صلى الله عليه وسلم ؛ فينبغى أن يتبرك بالصلاة عند محراب القبلة ، وعند المحلين من الأسطوانتين المذكورتين .

وقد اقتصر يحيى فى بيان مصلى النبى صلى الله عليه وسلم على الأسطوان التى فى الرحبة ؛ فذكر رواية ابن زبالة ، ثم روى عن معاذ بن رفاعة قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى إلى الأسطوان الخارجة ، وهى فى صَفِّ المُخَلَّقة ، وإنما كان موضعها يومئذ كهيئة العريش . ثم ذكر أن موسى بن سلمة حدثه أنه رأى أبا الحسن على بن موسى الرضى يصلى إلى هذه الأسطوانة الخارجة . ثم قال يحيى : ورأيت غيرَ واحدٍ من أهل بيتى منهم عبدُ الله وإسحاق أبنا موسى بن جعفر وحسين بن عبد الله بن عبد الله بن حسين يصلون إلى هذه الأسطوانة الخارجة إذا جاءوا قباء ، ويذكرون أنه مُصَلّى رسولِ الله صلى اللهِ عليه وسلم . قال : ورأيت من أهل بيتى مَنْ يأتى قباء فيصلى إليها ممن يُقْتَدَى به ممن لا أبالى أن لا أرى غيرَه فى الفقه والعلم ، انتهى .

وعن يمين مستقبل الأسطوانة المذكورة هيئة محاريب فى رحبة المسجد لم أعلم أصَلَها ، وبالرواق الذى يلى الرحبة قريبا من محاذاة محراب المسجد دِكّة مرتفعة عن أرض المسجد يسيراً أمامَهَا محرابٌ فيه حجر منقوش فيه قوله تعالى (لمسجد أُسِّسَ على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه ــ الآية) وبعدها ما لفظه :

هذا مقامُ النبي صلى الله عليه وسلم ، جُدِّد هـذا المسجد فى تاريخ سنة إحدى وسبعين وستمائة ، ولم يتبين اسمُ مَنْ جدد المسجد . وظاهر حال منْ صنع ذلك فى هذا المحل أنه محلُّ المصلَّى الشريف ، وفيما قدمناه ما يرده ، وقد اغترَّ المجدُ بذلك فجزم بأن تلك الدكة هى أول موضع صلى فيـه النبى صلى الله عليه وسلم ، وكأنه حين ألَّفَ كتابه كان غائبا عن المدينة ، فوصف تلك الدكة بقوله : وفى صَحْنه ممـا يلى القبلة شِبْهُ محرابٍ على مصطبة هو أول موضع رَكَعَ فيه النبى صلى الله عليه وسلم ، وكأنه وصفها بأنها فى صحن المسجد ليجامع ما تقدم عن المؤرخين فى وصف المصلى الشريف . ولا يصح القول بأنها كانت أولا فى رحبة المسجد ؛ لاحتمال أنه زيد بعده فى المسقف القبلى رواق ؛ لمـا سنبينه من أن أروقَةَ المسجد ورحْبته كانت على ما هى عليه اليوم ، لم يزد فيها شئٌ بعد ما ذكره المؤرخون .

ثم رأيت ما ذكره المجد بحدوثه فى رحلة ابن جُبير ، وكانت عام ثمان وسبعين وخمسمائة ، فتلك الدكة التى يعنيها ابن جبير كانت فى صحن المسجد عند الأسطوانة التى إليها اليوم المحراب فى رحبة المسجد ، فيوافق ما أطبق عليه الناسُ وكأنها دَثَرَتْ على طول الزمان ، ثم أعيدت فى غير محلها ؛ فإنه ذكر أنها بصحن المسجد مما يلى القبلة ،ووصف أروقة المسجد بما هى عليه اليوم ؛ فليست الدكة الموجودة اليوم لحدوثها بعده .

وأما الحظيرة التى بصحن المسجد فلم أرَ فى كلام المتقدمين تعرضا لذكرها ، والشائعُ على ألسنة أهل المدينة أنها مَبْرَكُ ناقة النبى صلى الله عليـه وسلم ، وبه جزم المجد تبعا لابن جبير فى رحلته ؛ فقال : وفى وسط المسجد مَبْرَكُ الناقة بالنبى صلى الله عليه وسلم ، وعليه حظيرة قصيرة شبه روضة صغيرة يتبرك بالصلاة فيه ، انتهى .

وهو محتمل؛ لأن أصل مسجد قباء كان مِرْبَداً لـكلثوم بن الهدْم ، وعليه

نزل النبي صلى الله عليه وسلم على ما أسلفناه ، فأعطاه النبيّ صلى الله عليه وسلم فأسّسه مسجدا . وقيل فيه غير هذا مما قدمناه .

وقال ابن زبالة : حدثنا عاصم بن سويد عن أبيه قال : وكان مسجد قباء على سبع أساطين ، وكانت له درجة لها قبة يؤذن فيها يقال لها النعامة ، حتى زاد فيه الوليد بن عبد الملك بن مروان بعد ذلك .

قلت : وعدد كل صف من أساطينه اليوم بين المشرق والمغرب سبع أيضا .

وقال الزين المراغي عقبَ نَقْلِ ذلك عن ابن زبالة : فيحتمل أن هذه — يعنى الصفة المذكورة فى كلام ابن زبالة — صفة بنائه عليه الصلاة والسلام ، ويؤكده قولهم « ولم يزل مسجد قباء على ما بناه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن بناه عمر بن عبد العزيز » أى زمن الوليد .

قلت : وما أيد به الاحتمالَ المذكور لم أرَهُ فى كلام أحد من المؤرخين غير المطرى ومن تبعه .

وقد روى ابن شبة ما يصرح بخلافه عن أبى سلمة بن عبد الرحمن ، قال : إن ما بين الصومعة إلى القبلة زيادة زادها عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه .

قلت : والصومعة هى المَنَارة التى فى ركنه الغربى مما يلى الشام ، وسيأتى فى ترجمة غرة أنه اسم أُطُم لبنى عمرو بن عوف ابتنيت المنارة فى موضعه .

وقال ابن النجار : كان النبى صلى الله عليه وسلم نزل بقباء فى منزل كلثوم بن الهدم ، وأخذ مِربَدَهُ فأسسه مسجدا وصلى فيه ، ولم يزل ذلك المسجد يزوره صلى الله عليه وسلم ويصلى فيه أهلُ قباء ، فلما توفى صلى الله عليه وسلم لم تزل الصحابة تزوره وتُعَظمه .

تجديد مسجد قباء

ولما بنى عمر بن عبد العزيز مسجد النبى صلى الله عليه وسلم بنى مسجد قباء ووسّعه ، وبناه بالحجارة والجص ، وأقام فيه الأساطين من الحجارة بينها عواميد الحديد والرصاص ، ونقشه بالفُسَيْفِسَاء ، وعمل له منارة ، وسقفه بالساج ، وجعله

أروقة ، وفى وسطه رحبة ، وتَهَدَّم على طول الزمان حتى جَدَّد عمارته جمالُ الدين الأصفهانى وزير بنى زَنْـكى الملوك ببلاد الموصل .

قلت : وكان تجديد الجَوَاد لمسجد قباء فى سنة خمس وخمسين وخمسمائة ، كما قاله المطرى .

وفيما قدمناه من صورة ما كتب فى محراب الدكة التى بالرواق الذى يلى الرحبة ما يقتضى أنه جدد بعد ذلك فى سنة إحدى وسبعين وستمائة

وبالمسجد منقوش أيضا ما يقتضى أن الناصر بن قلاوون جَدَّد فيه شيئاً سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة ، وجدد غالب سقفه الموجود اليوم الأشرفُ برسْبَاى على يد ابن قاسم المحلى أحد مشايخ الخُدَّام سنة أربعين وثمانمائة .

وقد سقطت منارته سنة سبع وسبعين وثمانمائة ، فجدَّدها متولى العمارة فى زماننا الجناب الخواجكى الشمسى بن الزمن ـ عامله الله بلطفه ـ فى سنة إحدى وثمانين وثمانمائة فى أثناء عمارته السابقة بالمسجد النبوى بعد هدمها إلى الأساس ، وهدم الأسطوانة التى كانت لاصقةً بها ، وكانت تلك الأسطوانة محكمة بالرصاص ، وأعيدت بغير رصاص ، وأبدلوا من أحجارها ما قدمنا أنهم أدخلوه فى أسطوان الصندوق التى فى جهة الرأس الشريف بالمسجد النبوى .

وهدم متولى العمارة أيضا ما يلى المنارة المذكورة من سور المسجد إلى آخر بابه الذى يليها فى المغرب ، وأعاد بناء ذلك ، وجدد بعض سقفه ، وبنى السبيل والبركة المقابلين للمسجد فى المغرب بالحديقة المعروفة بالسراج العينى الموقوفة على قرابته ، وقد كانت المنارة الأولى ألطَفَ من هذه فزاد فى طولها ؛ فإن ابن النجار قال : وطول منارته من سطحه إلى رأسها اثنان وعشرون ذراعا ، وعلى رأسها قبة طولها نحو عشرة أذرع ، قال : وعرض المنارة من جهة القبلة عشرة أذرع شافَّة ، ومن المغرب ثمانية ، وذكر قبل ذلك أن ارتفاع المسجد فى السماء عشرون ذراعا ؛

فيكون جملة طول المنارة الأولى اثنين وخمسين ذراعا من أعلاها إلى أسفل الأرض ، وهو يقرب لما نقله ابن شبة فى وصف المنارة المذكورة ، فإنه قال : وطول منارته خمسون ذراعاً ، وعرضها تسعة أذرع وشبر فى تسعة أذرع ، انتهى . وذَرْعُ هـذه المنارة المجددة اليوم من الأرض الخارجة عن المسجد إلى أعلى قبتها أحَدٌ وستون ذراعا ، وعرضها تسعة أذرع فى المشرق والقبلة ، وهناك بابها .

ونقل ابن شبة عن أبى غسان أن طول مسجد قباء وعرضه سواء ، وهو ست وستون ذراعا . قال : وطول ذَرْعه فى السماء تسعة عشر ذراعاً ، وطول رحبته التى فى جوفه — يعنى صحنه — خمسون ذراعا ، وعرضها ستة وعشرون ذراعا . وذكر ابن النجار نحوه ، فقال : طوله ثمانية وستون ذراعا تشف[1] قليلا ، وعرضه كذلك .

قلت : وقد اختبرت ذلك فكان ذرع طوله من المشرق إلى المغرب مما يلى الشام ثمانية وستين ذراعا ونصفا ، وكان عرضه من القبلة إلى الشام تسعة وسبعين ذراعاً ، وذَرْعُ طوله بين المشرق والمغرب مما يلى جدار القبلة أرْجَحُ من سبعين ذراعاً بيسير ، وطول ذَرْعِهِ فى السماء من أرض المسجد إلى سَقْفه تسعة عشر ذراعاً ، وطولُه من خارجه من البلاط الذى فى غربيه إلى أعلى شَرَاريفه أربعة وعشرون ذراعا ، وذَرْعُ طول صَحْنه من المشرق إلى المغرب أحد وخمسون ذراعاً ، وعرض صحنه من القبلة إلى الشام ستة وعشرون ذراعا وربع ، وهذا الصحن هو الذى عبر عنه أبو غسان بالرحبة فى جوفه ؛ فصح بذلك أن رحبة المسجد اليوم على ما كانت عليه فى زمن أبى غسان وغيره من المؤرخين الذين قدمنا كلامهم ، وأن ما قدمناه فى بيان مُصَلَّى النبى صلى الله عليه وسلم بكونه عند المحراب الذى بجانب الأسطوانة التى فى رحبة المسجد اليوم صحيح ، وأن ماقاله المجدُ من كون تلك الدكة المتقدم وَصْفُها بصحن المسجد غير صحيح .

---

(١) تشف تنقص .

وقال ابن جبير فى رحلته : إن مسجد قباء سبع بلاطات ، يعنى أرْوِقة كما هو فى زماننا ، و بيانه أن المسقف القبلى ثلاثة أروقة ، والشامى اثنان ، وفى المغرب رواق واحـد يلى باب المسجد اليوم ، وفى المشرق فى مقابلته رواق واحد أيضاً .

وذكر ابن النجار فى عدد أساطينه ما يوافق كونه على سبعة أروقة أيضاً ؛ فقال : وفى المسجد تسعة وثلاثون أسطواناً ، بين كل أسطوان وأسطوان سـبعة أذرع شافَّة .

قلت : وعددُها اليوم كذلك ؛ لأن جهة القبلة ثلاثة صفوف كل صف سبعة أساطين بين المشرق والمغرب ، وجهة الشام صفان كل صف سبعة أيضاً ، وفيما يلى الرحبة من المغرب أسطوانتان ، وفيما يليها من المشرق أسطوانتان ، وجملة ذلك ما ذكره .

ووقع فيما نقله ابن شبة عن ابن عساكر فى النسخة التى وقعنا عليها تصحيف فى عدد الأساطين ، وما قدمناه هو الصواب .

قال ابن النجار : وفى جُدْرَانه طاقات نافذة إلى خارج فى كل جانب ثمان طاقات ، إلا الجانب الذى يلى الشام فإن الثامنة فيها المنارة .

قلت : ولما أعادوا بناء ما هَدَموه مما حول المنارة المذكورة فى زماننا سَدُّوا من الجهة الشامية طاقة أخرى مما يلى المنارة المذكورة ، وسَدُّوا ممـا يليها من جهة المغرب ثلاث طاقات أيضاً ، فإنهم جعلوا الجدار فى بنائهم مُصْمَتا كله ، والله أعلم .

بيان ما ينبغى أن يُزَار بقباء من الآثار تتميما للفائدة

دار سعد ابن خيثمة

منها :دار سعد بن خَيْثَمة ، وقد تقدم أن باب مسجد قباء المسدود فى المغرب بفناء دار سعد بن خيثمة ، وهى فى قبلة مسجد قباء ، والجانب الذى يلى هذا الباب المسدود منها يدخله الناس للزيارة و يسمونه مسجد على رضى الله تعالى عنه ، وكأنه المراد بما سيأتى فى الفصل الرابع فى مسجد دار سعد بن خيثمة .

وروى ابن شبة عن أبى أمامة عن أبيه أن النبى صلى الله عليه وسلم « اضطجع فى البيت الذى فى دار سعد بن خيثمة بقباء » وعن ابن وقش أن النبى صلى الله عليه وسلم « دخَلَ بيت سعد بن خيثمة بقباء ، وجلس فيه » وروى ابن زبالة عنه أنه قال : يزعمون أن النبى صلى الله عليه وسلم توضأ من المُهْرَاس الذى يلى دار سعد بن خيثمة بقباء .

دار كلثوم ابن الهدم

ومنها : دار كلثوم بن الهدم ، وهى إحدى الدور التى قبلى المسجد أيضا ، يدخلها الناسُ للزيارة والتبرك . وقد قدمنا نزوله صلى الله عليه وسلم على كلثوم ابن الهدم بداره لَمَّا قدم قباء ، وكذلك أهله وأهل أبى بكر حين قدموا .

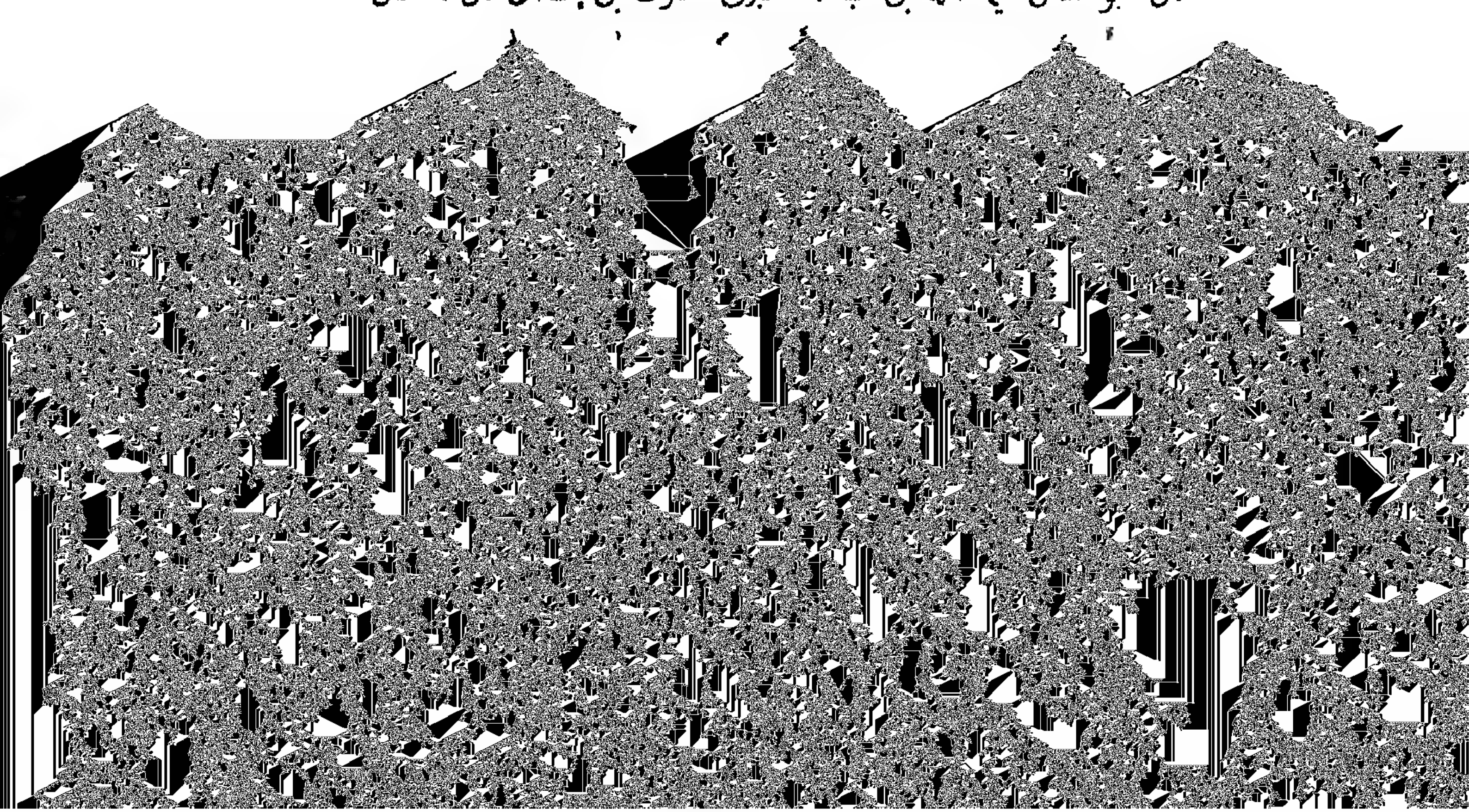
بئر أريس

ومنها بئر أريس ، وسيأتى ما جاء فيها فى الآثار، قال ابن جبير فى رحلته : وبإزائها دار عمر، ودار فاطمة ، ودار أبى بكر ، رضى الله تعالى عنهم !. ولعله يريد أماكن نزولهم قبل التحوُّل إلى المدينة ، والله أعلم .

طريق النبى إلى قباء ذاهبا وراجعا

ما جاء فى بيان طريقه صلى الله عليه وسلم إلى قباء ذاهبا وراجعا

قال أبو غسان فيما نقله ابن شبة : أخبرنى الحارث بن إسحاق قال : كان



زريق فى جهته ، وقد سبق فى المصلى أن دار كثير بن الصَّلْت كانت قبلة المصلى ، وسبق ما يؤخذ منه أن دار معاوية رضى الله عنه كانت مقابلها .

وقوله « حتى يخرج إلى البلاط » أى الآخذ من باب السلام إلى جهة درب سويقة ؛ لما سبق فى الكلام على المصلى من رجوعه صلى الله عليه وسلم على مسجد بنى زريق من كُتَّاب عُرْوَة حتى يخرج إلى البلاط من زقاق دار عبد الرحمن بن الحارث المتقدم بيانُه فى الدور التى فى ميمنة البلاط المذكور ، وكثيرٌ من الناس اليوم يسلكون إلى قباء من طريق دَرْب البقيع ؛ لكونها أقصد يسيراً .

ذرع الطريق

وقد ذَرَعْتُ الطريقَ من هذه الجهة فكان بين عَتَبة باب المسجد النبوى المعروف بباب جبريل وعتبة باب مسجد قباء سبعة آلاف ذراع ومائتا ذراع بذراع اليد المتقدم تحريره يَشِفُّ يسيرا ، وذلك ميلان وخمسا سبع ميل . وسيأتى فى ترجمة قباء ما وقع للناس من الخبْط فى بيان هذه المسافة ، فإن أسقطْتَ حصة ما بين باب جبريل و باب درب البقيع من ذلك كانت المسافة بين باب سور المدينة المذكور و باب مسجد قباء ميلين إلا مائتى ذراع وثلاثا وثلاثين ذراعا ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

ما جاء فى مسجد الضِّرَار مما يُنَوِّه بقدر مسجد قباء

بناة مسجد الضرار

روى البيهقى فى الدلائل عن ابن عباس فى قوله تعالى : (والذين اتخذوا مسجدا ضراراً) هم أناس من الأنصار ابْتَنَوا مسجدا فقال لهم أبو عامر : ابنُوا مسجدكم،

يعنى مسجد قباء (أحق أن تقوم فيه) إلى قوله : (على شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فانْهَارَ به فى نار جهنم) يعنى قواعده (والله لا يهدى القوم الظالمين) .

وروى ابن شبة عن هشام بن عُرْوة عن أبيه قال : كان موضعُ مسجد قباء لامرأة يقال لها لية ، كانت تربط حماراً لها فيه ، فابتنى سَعْدُ بن خَيْثَمة مسجداً ، فقال أهل مسجد الضرار : أنحن نصلى فى مَرْبط حمار لية ؟ لا ، لعمر الله ، لكنَّا نَبْنِي مسجداً فنصلى فيه حتى يجىء أبو عامر فيؤمَّنا فيه ، وكان أبو عامر فرَّ من الله ورسوله فلحق بمكة ، ثم لحق بعد ذلك بالشام فتنصر فمات بها ، فأنزل الله تعالى : (والذين اتَّخَذُوا مسجداً ضِرَاراً وكفرا) الآيات .

وعن سعيد بن جُبَيْر أن بنى عمرو بن عوف ابتنوا مسجداً ، وأرسلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعَوْهُ ليصلىَ فيه ، ففعل فأتاهم فصلّى فيه ، فحَسَدَهم إخوتهم بنو فلان بن عمرو بن عوف ، يشك ، فقالوا : لا ، نبنى نحنُ مسجداً وندعو النبىَّ صلى الله عليه وسلم فيصلى فيه كما صلى فى مسجد إخوتنا ، ولعل أبا عامر يصلى فيه ، وكان بالشام ، فابتنوا مسجداً ، وأرسلوا إلى النبى صلى الله عليه وسلم ليصلى ، فقام ليأتيهم ، وأنزل القرآن (والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفرا وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمَنْ حارَبَ اللهورسوله من قبل ، وليحلفُنَّ إن أردنا إلا الحسنى ، والله يشهد إنهم لكاذبون ، لا تقم فيه أبداً ، لمسجدٌ أسِّسَ على التقوى من أول يوم أحَقُّ أن تقوم فيه ، فيه رجالٌ يحبون أن يتطهروا ، والله يحب المطهرين ، أفمن أسَّسَ بنيانه على تقوى من الله ورضوان خيرٌ أم من أسَّسَ بنيانه على شَفَا جُرُفٍ هارٍ فانهار به فى نار جهنم ؟ والله لا يهدى القوم الظالمين لا يزال بنيانهم الذى بنوا ريبة فى قلوبهم إلا أن تقطع قلوبهم) قال : قال عكرمة: إلى أن تقطع قلوبهم (والله عليم حكيم) .

وأسند الطبرى فيما قاله ابن عطية عن ابن إسحاق عن الزهرى وغيره أن النبى

حرق مسجد الضرار

صلى الله عليه وسلم « أَقْبَلَ من غزوة تَبُوك حتى نزل بذى أوان بلدٍ بينه و بين المدينة ساعة من نهارٍ ، وكان أصحابُ مسجد الضِّرَار قد كانوا أتَوْهُ وهو يتجهَّزُ إلى تَبُوكَ فقالوا : يا رسول الله إنا قد بنينا مسجداً لِذِى العِلّة والحاجة والليلةِ المَطِيرة ، و إنا نحبُّ أن تأتينا فتصلى لنا فيه ، فقال : إنى على جَنَاح سَفَرٍ وحالِ شغلٍ ، ولو قدمنا إن شاء الله أتيناكم فصلينا لكم فيه ، فلما قَفَلَ ونزل بذى أوان نزل عليه القرآن فى شأن مسجد الضرار ، فدعا رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم مالكَ ابن الدخشم ومَعْن بن عدى ، أو أخاه عاصم بن عدى ، فقال : انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهلُه فاهْدِمَاه وحَرِّقاه ، فانطلقا مسرعَين ففعلا وحرقاه بنار فى سَعَف .

وفى رواية ذكرها البغوى أن الذين أمَرَهم النبى صلى الله عليه وسلم بهَدْمه و إحراقه انطلقوا سريعاً حتى أتوا سالم بن عوف ، وهم رَهْطُ مالك بن الدخشم فقال مالك : أنظِرُونى حتى أخرج إليكم بنار من أهلى ، فدخل أهله فأخذ سَعَفاً من النخيل ، فأشعل فيه ناراً ثم خرجوا يَشْتَدُّون حتى دخلوا المسجد وفيه أهله فحرقوه وهَدَموه ، وتفرق عنه أهله ، وأمر النبى صلى الله عليه وسلم أن يتخذ ذلك كناسة تُلْقَى فيها الجيفُ والنتن والقُمَامة .

وقال ابن النجار : هذا المسجد بناه المنافقون مُضَاهاة لمسجد قباء ، وكانوا يجتمعون فيه ويَعِيبُون النبى صلى الله عليه وسلم ، و يستهزئون به .

أسماء بناة مسجد الضرار

قال ابن إسحاق : وكان الذين بَنَوْهُ اثنى عشر رجلا : خدام بن خالد ، وهو من بنى عبيد بن زيد بن مالك ومن داره أخرجه ، وثعلبة بن حاطب من بنى أمية بن زيد أى أحد بنى عمرو بن عوف ، ومُعَتِّب بن قشير من بنى ضبيعة ابن زيد ، وأبو حبيبة بن الأذعر ، وعباد بن حنيف من بنى عمرو بن عوف ، وجار بن عامر ، وابناه مجمع وزيد ، ونبتل بن الحارث ، ومخرج وبجاد بن

عثمان ، سبعتهُمْ من بنى ضـبيعة ، ووديعة بن ثابت من بنى أمية بن زيد ، انتهى .

وقال بعضهم : إن رجالا من بنى غنم بن عوف و بنى سالم بن عوف كان فيهم نِفَاق حَسَدُوا قومهم بنى عمرو بن عوف ، وكان أبو عامر المعروف بالراهب ـ وسماه النبي صلى الله عليه وسلم بالفاسق ـ منهم .

قلت : وهو من بنى ضبيعة أحد بنى عمرو بن عوف من الأوس ، وتقدم أن بنى غنم بن عوف و بنى سـالم بن عوف من الخزرج وليسوا بقباء ، ففى هذا القول نظر .

قال : فكتب أبو عامر وهو بالشام إلى المنافقين من قومه أن يبنوا مسجداً مُقَاومة لمسجد قباء وتحقيراً له ، فإنى سآتى بجيش أخرج به محمداً وأصحابه من المدينة فبنوه وقالوا : سيأتى أبو عامر و يصلى فيه ، ونتخذه متعبداً ، وذلك هو المشار إليه بقوله تعالى (و إرصاداً لِمَنْ حَارَبَ الله ورسوله) .

وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزلت (لا تقم فيه أبداً) كان لا يمر بالطريق التى فيها المسجد ، وهذا مما يؤيد ما قدمناه من أن المراد من قوله تعالى (لمسجد أُسِّسَ على التقوى) مسجد قباء .

وقال ابن عطية : روى عن ابن عمر أنه قال : المرادُ بالمسـجد المؤسَّس على التقوى هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والمراد يعنى بقوله تعالى :(أفمن أسَّس بنيانه على تقوى من الله ورضوان) هو مسجد قباء ، وأما البنيان الذى أُسِّسَ على شَفَا جُرُفٍ هار فهو مسجد الضِّرار بالإجماع .

وقوله « فانهار به فى نار جهنم » قال ابن عطية: الظاهِرُ منه ومما صح من خبرهم وهَدْم رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجدَهم أنه خارج مخرج المثل لهم : أى جالهم كمن ينهار بنيانه فى نار جهنم . وقيل : بل ذلك حقيقة ، وأن ذلك المسجد

بعينه انهارَ فى نار جهنم ، قاله قتادة وابن جريج . وروى عن جابر بن عبد الله وغيره أنه قال : رأيتُ الدخانَ يخرج منه على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم . وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رآه حين انْهارَ حتى بلَغَ الأرض السابعة ، ففزع لذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم . وروى أنهم لم يُصَلّوا فيه أكثرَ من ثلاثة أيام ، وانهار فى الرابع . قال ابن عطية : وهـــذا كله بإسناد لين ، والأول أصح .

وأسند الطبرى عن خلف بن ياسين أنه قال : رأيت مسجدَ المنافقين الذى ذكر فى القرآن ، ورأيت فيه مكاناً يخرج منه الدخان ، وذلك فى زمن أبى جعفر المنصور .

وقيل : كان الرجل يدخل فيه سَعَفَة فتخرج سوداء محترقة ، ونقل عن ابن مسعود أنه قال : جهنم فى الأرض ، ثم تلا (فانهار به فى نار جهنم) .

الخلاف فى موضع مسجدالضرار

قال الجمال المطرى : وأما مسجد الضِّرَار فلا أثر له ، ولا يعرف له مكان فيما حول مسجد قباء ، ولا غير ذلك .

قلتُ : وهو كذلك ، لكن بالنسبة إلى زمنه وزمننا ؛ فقد قال ابن جُبَير فى رحلته : وهذا المسجد مما يتقرب الناسُ إلى الله برَجْمه وهَدْمه وكان مكانه بقباء عارض به اليهودُ مسجدَ قباء .

وقوله « اليهود » صوابه المنافقون .

وقال ابن النجار : وهذا المسجد قريب من مسجد قباء ، وهو كبير ، وحيطانه عالية ، وتؤخذ منه الحجارة ، وقد كان بناؤه مليحاً ، انتهى .

وهذا يقتضى وجودَه فى زمن ابن النجار على تلك الحالة ، وقد قال المطرى : إنه وَهَم لا أصل له ، وتعقبه المجد بأنه لا يلزم من وجوده زمانَ ابن النجار كذلك استمراره ، وقد تبع ابن النجار فى ذلك غيره إن لم يكن شاهَدَه ، فهذا البشارى

يقول : ومنها مسجد الضِّرَار يتطوَّعُ العوام بهَدْمه ، وتبعه ياقوت فى معجمه ، وابن جبير فى رحلته ، انتهى .

وقال ابن النجار أيضاً ، فى ذكر المساجد المعروفة فى زمنه ما لفظه : واعلم أن بالمدينة مساجدَ خرَاباً فيها المحاريب و بقايا الأساطين وتنقض وتؤخذ حجارتها : منها مسجدٌ بقباء قريب من مسجد الضِّرَار فيه أسطوان قائمة .

قلت : وهذا غيرُ معروفٍ اليوم ، وهو صريح فى اشتهار مسجد الضرار فى زمنه بقباء حتى عرف به المسجد المذكور .

ووقع فى كلام عياض فى المشارق ، وتبعه المجدُ ، ما يقتضى أن مسجد الضِّرار بذى أوان ؛ فإنه قال فى ذروان : إن روايته بلفظ ذى أوان وَهم . قال : وهو موضع آخر على ساعة من المدينة ، هو الذى بنى فيه مسجد الضرار ، هذا لفظه .

ولعل مراده هو الذى وقع ذكر بنائه به فى حديث مسجد الضرار ؛ لما قدمناه من أن أصحابه جاءوا للنبى صلى الله عليه وسلم وهو بذى أوان ، وأخبروه ببنائه ، والله أعلم .

الفصـــــــل الثالث

فى بقية المساجد المعلومة العين فى زماننا بالمدينة الشريفة وما حولها

اعلم أن الاعتناء بهذا الغرض متعين ؛ فقد قال البغوى من الشافعية : المساجد التى ثبت أن النبى صلى الله عليه وسلم صَلى فيها لو نَذَر أحدٌ الصلاةَ فى شىء منها تعين كما تتعين المساجد الثلاثة ، واعتناء السلف بتتبع آثار النبى صلى الله عليه وسلم معلومٌ ـ سيما ما جاء فى ذلك عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما ـ وقد استفرغنا الوسع فى تتبعها .

مسجد الجمعة

فمنها : مسجد الجمعة ، و يقال «مسجد الوادى» قد تقدم فى الفصل الحادى عشر

من الباب الثالث أن النبي صلى الله عليه وسلم لما خَرَج من قباء مَقْدمه المدينة أدركته الجمعة في بني سالم بن عوف فصلاها في بطن الوادي ، وادي ذي صُلب – بضم أوله – وأن ابن إسحاق قال : إن الجمعة أدركته في وادي رَانونا ، يعني بني سالم ، وكانت أول جمعة صلاها بالمدينة ، وفي رواية لابن زبالة « فمر على بني سالم فصلى فيهم الجمعة في القبيب[1] بني سالم ، وهو المسجد الذي في بطن الوادي » وفي رواية له « صلى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أول جمعة بالناس في القبيب[1] بني سالم فهو المسجد الذي بناه عبد الصمد » .

والمراد أن موضع المسجد يسمى بالقبيب[1] ، وسيأتي في أودية المدينة أن سَيْلَ ذي صُلَب وسيل رَانُونا يَصِلاَنِ إلى موضع مسجد الجمعة ، فلا مخالفة بين هذه العبارات ، وإنْ غَلَبَ اشتهار اسم رانونا على ذلك الموضع دون بقية الأسماء .

وروى ابن شبة عن كعب بن عجرة رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم « جَمَّعَ في أول جمعة حين قدم المدينة في مسجد بني سالم في مسجد عاتكة » وعن إسماعيل بن أبي فديك عن غير واحد ممن يَثِقُ به من أهل البلد أن أول جمعة جمعها النبي صلى الله عليه وسلم حين أقبلَ من قباء إلى المدينة في مسجد بني سالم الذي يقال له مسجد عاتكة .

وقال المطري : في شمالي هذا المسجد أُطم خراب يقال له « المزدلف » أُطم عتبان بن مالك ، والمسجدُ في بطن الوادي صغير جداً ، مبني بحجارة قدر نصف القامة ، وهو الذي كان يحول السيل بينه و بين عتبان بن مالك إذا سال ؛ لأن منازل بني سالم بن عوف كانت غربيّ هذا الوادي على طرف الحرة ، وآثارهم باقية هناك ، فسأل عتبان رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يصلي له في بيته في مكان يتخذه مُصَلى ، ففعل صلى الله عليه وسلم .

قلت : قصة عتبان المشار إليها مَرْوية في الصحيح بلفظ أن عتبان أتى رسول

(١) وقع في الخلاصة « العسيب » وفي أصول هذا الكتاب « الغبيب » وكلاهما تحريف صوابه ما أثبتناه بالقاف وبباءين بينهما ياء على صورة التصغير (عن حسب الله)

النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، قد أنكرتُ بَصَرى ، وأنا أصلى لقومى ، فإذا كانت الأمطار سال الوادى الذى بينى و بينهم لم أستطع أن آتى مسجدهم فأصلى بهم ، الحديثَ .

وسيأتى فى المساجد التى لا تعلم عينها أن بنى سالم لهم مسجد آخر هو مسجدهم الأكبر ؛ فالذى يظهر أنه المراد من حديث عتبان ، وأما هذا فهو مسجدهم الأصغر وقد تهدم بناؤه الذى أشار إليه المطرى ، فجدده بعض الأعاجم على هيئته اليوم ، مُقدَّمه رِوَاقٌ مُسَقف فيه عقدان بينهما أسطوان ، وخلفه رحبة ، وطوله من القبلة إلى الشام عشرون ذراعاً ، وعرضه من الجدار الشرقى إلى الغربى مما يلى محرابه ستة عشر ذراعاً ونصف ، وكان سقفُه قد خَرِبَ فجدده المرحوم الخواجا الرئيس الجَوَاد المفَضَّل شمس الدين قاوان تغمده الله برحمته

ومصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيت غسان ليس فى الأطم المذكور، بل عند أصله كما سيأتى .

مسجد الفضيخ

ومنها : مسجد الفضيخ ـ بفتح الفاء وكسر المعجمة بعدها مثناة تحتية وخاء معجمة ـ قال المطرى : و يعرف اليوم بمسجد الشمس وهو شرقى مسجد قباء على شفير الوادى ، على نَشَزٍ من الأرض ، مَرْضُوم بحجارة سود ، وهو مسجد صغير .

وروى ابن شبة وابن زبالة و يحيى فى عدة أحاديث أن النبى صلى الله عليه وسلم « صلى بمسجد الفضيخ » .

وروى الأولان ـ واللفظ لابن شبة ـ عن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنهما قال : حاصَرَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم بنى النضير ، فضرب قبته قريباً من مسجد الفضيخ ، وكان يُصَلِّى فى موضع مسجد الفضيخ ستَّ ليال ، فلما حرمت الخمر خرج الخبَرُ إلى أبى أيوبَ فى نفر من الأنصار ، وهم يشربون فيه فَضِيخاً ، فحلّوا وِكاء السِّقاء فهراقوه فيه ؛ فبذلك سمى مسجد الفضيخ .

قال الزين المراغى : وذلك قبل اتخاذ الموضع مسجداً ، أو كان الإعلام بنجاسة الخمر بعد ذلك ، لكن المشهور تحريم الخمر فى شوال سنة ثلاث ، ويقال أربع ، وعليه يتمشى ؛ لأن غزوة بنى النَّضِير سنة أربع على الأصح .

قلتُ : الحديثُ إنما تضمَّنَ صلاة النبى صلى الله عليه وسلم بذلك المحل فى حصار بنى النضير ، ولا يلزم من ذلك اتخاذُه مسجداً حينئذ ؛ فيجوز أن يكون بناؤه مسجداً تأخر إلى أن حُرِّمت الخمر ، على أن أحمد روى فى مسنده من حديث ابن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم يعنى أتى بفضيخ فى مسجد الفضيخ فشربه ، فلذلك سمى مسجد الفضيخ .

ورواه أبو يَعْلى ولفظه : أتى بجر فضيخ ينش[1] وهو فى مسجد الفَضِيخ فشربه ، فلذلك سمى مسجد الفضيخ ، وفيه عبد الله بن نافع مولى ابن عمر ، ضعفَّه الجمهور ، وقيل فيه : يُكْتَب حديثه ، وهو أولى بالاعتماد فى سبب تسمية المسجد المذكور بذلك ؛ لأن ابن زبالة ضعيف ، وأما ابن شبة فرواه من طريق عبد العزيز بن عمران وهو متروك ، ولم أرَ فى كلام أحد من المتقدمين تسمية المسجد المذكور بمسجد الشمس .

وقال المجد : لا أدرى لم اشتهر بهذا الاسم ، ولعله لكونه على مكان عالٍ فى شَرْقى مسجد قباء أول ماتطلع الشمس عليه ، قال : ولا يظن ظانّ أنه المكانَ الذى أعيدت الشمسُ فيه بعد الغروب لعلى رضى الله تعالى عنه ؛ لأن ذلك إنما كان بالصَّهْبَاء من خيبر ، قال عياض فى الشفاء : كان رأس النبى صلى الله عليه وسلم فى حِجْر على رضى الله تعالى عنه وهو يُوحَى إليه ، فغربت الشمس ولم يكن علىٌّ صلى العصر ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : أصَلَّيْتَ يا على ؟ قال : لا ، فقال : اللهم إنه كان فى طاعتك وطاعة رسولك ، فَارْدُدْ عليه الشمسَ ، قالت أسماء : فرأيتُهَا غربت ثم رأيتها طلعت بعدما غربت ، ووقعت على الجبال والأرض وذلك بالصهباء فى خيبر ، قال عياض : خرَّجه الطحاوى فى مشكل الحديث ،

(١) ينش : يغلى ويفور ، وبابه ضرب (حسب الله) .

وقال : إن أحمد بن صالح كان يقول : لا ينبغى لمن سبيله العلم التخلف عن حفظ حديث أسماء ؛ لأنه من علامات النبوة .

قال المجد : فهذا المكان أولى بتسميته بمسجد الشمس دون ما سواه ،وصرح ابن حزم بأن الحديث موضوع ، قال : وقصة ردّ الشمس على علىّ رضى الله تعالى عنه باطلة بإجماع العلماء وسفه قائله .

قلت : والحديثُ رواه الطبرانى بأسانيد قال الحافظ نور الدين الهيتمى : رجالُ أحدها رجال الصحيح ، غير إبراهيم بن حسن ، وهو ثقة ، وفاطمة بنت على ابن أبى طالب لم أعرفها ، انتهى .

وأخرجه ابن منده وابن شاهين من حديث أسماء بنت عميس ، وابن مردويه من حديث أبى هريرة ، و إسنادهما حسن ، وممن صححه الطحاوى وغيره ، وقال الحافظ ابن حجر فى فتح البارى ، بعد ذكر رواية البيهقى له: وقد أخطأ ابن الجوزى بإيراده له فى الموضوعات ، انتهى .

وهذا المسجد مربع ذَرْعُه من المشرق إلى المغرب أحد عشر ذراعاً ، ومن القبلة إلى الشام نحوها .

مسجد بنى قريظة

ومنها : مسجد بنى قُرَيظة ، وهو شرقى مسجد الشمس، بعيد عنه ، بالقرب من الحَرّة الشرقية ، على باب حديقة تعرف بحاجزة هى وقف للفقراء ، قاله المطرى وقد قدمنا فى منازل يهود أن أُطُمَ الزبير بن باطا كان فى موضع مسجد بنى قرَيظة وعنده خراب أبيات من دور بنى قريظة شمالى باب الحديقة المذكورة ، و بقربه ناس نزول من أهل العالية ، وقد روى ابن شبة من طريق محمد بن عقبة بن مالك عن على بن رافع وأشياخ قومه أن النبى صلى الله عليه وسلم « صَلّى فى بيت امرأة من الخضر ، فأدخل ذلك البيت فى مسجد بنى قريظة » فذلك المكان الذى صلى فيه النبى صلى الله عليه وسلم شرقى بنى قريظة عند موضع المنارة التى هُدِمت،هذا لفظ ابن شبة ؛ فينبغى الصلاة فى مسجد بنى قريظة مما يلى محل المنارة فى شرقى المسجد.

وقد روى ذلك ابن زبالة عن محمد بن عقبة ، إلا أنه لم يعين المحل المذكور ، بل قال : فأدخل الوليد بن عبد الملك حين بنى المسجد ذلك البيتَ في مسجد بنى قُرَيْظة ، ويحتمل أنه صلى الله عليه وسلم صلى في بمقدم المسجد أيضا ، وإلا لجعلوا ما عند المنارة مقدمة .

قلت : الظاهر أن هذا المسجد هو المذكور في حديث الصحيحين عن أبي سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه قال : نزل أهلُ قُرَيْظَة على حكم سَعْد بن مُعَاذ ، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى سعد ، فأتى على حمار ، فلما دنا قريبًا من المسجد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للأنصار « قومُوا إلى سَيِّدكم أو خيركم » ثم قال « إن هؤلاء قد نزلوا على حكمك » فقال : تقتل مُقَاتلتهم وتَسْبِي ذريتهم ، الحديثَ .

فقوله « قريبًا من المسجد » ليس المراد به مسجد المدينة ؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن به حينئذ ، ولذا قال الحافظ ابن حجر : وقوله « فلما بلغ قريبا من المسجد » أى الذى أعَدَّه النبي صلى الله عليه وسلم أيام مُحَاصرته لبني قريظة للصلاة فيه ، وأخطأ مَنْ زعم أنه غَلَط من الراوى لظنه أنه أراد بالمسجد المسجد النبوى بالمدينة فقال : إن الصواب ما وقع عند أبي داود من طريق شعبة بإسناد الصحيح بلفظ « فلما دنا من النبي صلى الله عليه وسلم » انتهى . وإذا حمل على ما سبق لم يكن بين اللفظين اتفاق ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

قال ابن النجار : وهذا المسجد اليوم باقٍ بالعَوَالى ، كبير ، وفيه ست عشرة أسطوانة قد سقَط بعضها ، وهو بلا سقف ، وحيطانه مهدومة ، وقد كان مبنيا على شكل بناء مسجد قباء ، وحوله بساتين ومزارع .

وذكر في ذَرْعه شيئًا الظاهرُ أنه تحريف فإنه قال : طوله نحو العشرين ذراعًا وعرضه كذلك ، وهذا لا يطابق ما عليه المسجد اليوم ، ولا ما قدَّمه هو من الوَصْف ولعله خمن أن ذَرْعَهَ كذلك في حال غيبته عنه ، فقد قال المطرى : إن ذَرْعه نحو من خمسة وأربعين ذراعًا ، وعرضه كذلك

قال : وكان فيه أساطين وعقود ومَنارة فى مثل موضع منارة قباء ، فتهدّم على طول الزمان ، ووقعت منارته ، وأثَرُها اليوم باقٍ تعرف به ، وأخذت أحجاره جميعاً . قال المطرى : و بقى أثره إلى العشر الأول بعد السبعمائة ، فجدَّدَ و بنى عليه حَظِير مقدار نصف قامة ، وكان قد نسى فمن ذلك التاريخ عُرِف مكانه .

قلت : وهو اليوم على الهيئة التى ذكرها المطرى ، وقد اختبرتُ ذَرْعَه فكان من القبلة إلى الشام أربعة وأربعين ذراعا وربعا ، ومن المشرق إلى المغرب ثلاثة وأربعين ذراعا ، وقد جَدَّد بناء جداره الشجاعىُّ شاهين الجمالى شيخ الحرم النبوى وناظره عام ثلاث وتسعين وثمانمائة .

مشربة أم إبراهيم

ومنها : المسجد الذى يقال له « مَشْرُبة أم إبراهيم عليه السلام » .

وروى ابن زبالة و يحيى من طريقه وابن شبة من طريق أبى غسان عن ابن أبى يحيى عن يحيى بن محمد بن ثابت أن النبى صلى الله عليه وسلم « صَلَّى فى مَشْرُبة أم إبراهيم » .

وروى ابن شبة فيما جاء فى صَدَقَات النبى صلى الله عليه وسلم عن ابن شهاب أن تلك الصَّدَقات كانت أموالا لُمخَيْريق ، كما سيأتى ، وعَدَّ منها مَشْرُبَةَ أم إبراهيم ، ثم قال : وأما مشربة أم إبراهيم فإذا خَلَفْتَ بيت مِدْرَاس اليهود فجئت مالَ أبى عُبَيْدة بن عبيدالله بن زمعة الأسدى فمشربَة أم إبراهيم إلى جنبه ، وإنما سميت مشربة أم إبراهيم لأن أم إبراهيم ابن النبى صلى الله عليه وسلم ولَدَتْه فيها ، وتعلَّقَتْ حين ضربها المَخَاضُ بخشبة من خشب تلك المَشْرُبَة ، فتلك الخشبة اليوم معروفة ، انتهى ما رواه ابن شبة عن ابن شهاب .

قال ابن النجار : وهذا الموضع بالعَوَالى من المدينة بين النخيل ، وهو أكَمَة قد حُوِّط عليها بِلَبِنٍ ، والمشربة : البستان ، وأظنه قد كان بستانا لمارِيَةَ القِبْطية أم إبراهيم ابن النبى صلى الله عليه وسلم .

قلت : قال فى الصحاح : المشربة بالكسر ـ أى بكسر الميم ـ إناء يشرب فيه ، والمَشْرُبَة بالفتح : الغرفة ، وكذلك المشربة بضم الراء ، والمشارب : العَلاَلى، وليس فى كلامه إطلاق ذلك على البستان ، والظاهر أنها كانت عِليَّة فى ذلك البستان ، وهو أحَدُ صَدَقَات النبى صلى الله عليه وسلم ، وهذا هو الذى يناسب ماتقدم من رواية ابن شبة فى سبب تسميتها بذلك .

وقال ابن عبد البر فى الاستيعاب : ذكر الزبيرُ أن مارية ولدت إبراهيم عليه السلام بالعالية فى المال الذى يقال له اليومَ مَشْرُبة أم إبراهيم بالقف .

وروت عَمْرَة عن عائشة حديثا فيه ذكر غَيْرتها من مارية ، وأنها كانت جميلة ، قالت : وأُعْجِبَ بها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، وكان أنزلها أولَ ماقدم بها فى بيت لحارثة بن النعمان، وكانت جارتنا ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم عامة النهار والليل عندها ، حتى قذعنا لها ـ والقذع الشتمُ ـ فحوّلها إلى العالية ، وكان يختلف إليها هناك ، فكان ذلك أشدّ ، ثم رزقها الله الولَدَ وحُرِمْناه منه .

قال المجد : والمشربة المذكورة مسجدٌ شمالىّ بنى قُرَيْظة قريب من الحَرَّة الشرقية فى موضع يعرف بالدشت ، بين نخل تعرف بالأشراف القواسم ، من بنى قاسم بن إدريس بن جعفر أخى الحسن العسكرى ، قال : وذَرَعْته فكان طوله نحو عشرة أذرع وعرضه أقل من ذلك بنحو ذراع ، وليس عليه بناء ولا جدار، وإنما هو عُرَيصة صغيرة[1] على رويبية، وقد حُوِّط عليها برضم لطيف من الحجارة السود، قال : وعلى شمالى المشربة دار متهدِّمة لم يَبْقَ من معالمها سوى بعض الجدران ، يظن الناس أنه مكان دار أبى سيف القين . والذى يغلب على ظنى أن ذلك بقايا أُطمِ بنى زَعُوراء ، فإن الزبير بن بكار قال مانصه : وكان بنو زَعُورَاء عند مَشْرُبَة أم إبراهيم ، ولهم الأُطم الذى عندها ، و بنو زَعُورَاء من قبائل اليهود.

قلت : دار أبى سيف القين التى كان إبراهيم ابنُ النبى صلى الله عليه وسلم مسترضَعًا فيها إنما هى فى دار بنى مازن بن النجار كما سيأتى . وما ذكره فى وصف

(١) فى أصول هذا الكتاب وفى الخلاصة « عريضة » بالضاد معجمة ، وصوابه ما أثبتناه بالصاد مهملة بزنة التصغير (عن حسب الله) .

المسجد المذكور قريبٌ مما هو عليه اليوم ، لكنّ ذَرْعه من القبلة إلى الشام أحَدَ عشر ذراعا ، ومن المشرق إلى المغرب أربعة عشر ذراعا راجحة ، وفى جهة المشرق منه سقيفة لطيفة ، و بالقرب منه فى جهة المغرب نخيل تعرف بالزبيريات . وسيأتى أنها المالُ الذى كان للزبير بن العَوّام فتصدق به ، وفيه مسجده الآنى ، والله أعلم .

مسجد بنى ظفر

ومنها : مسجد بنى ظَفَر من الأوس ، و يعرف اليوم بمسجد البغلة ، وهو بطرف الحرة الشرقية فى شرقى البقيع[1] ، طريقه من عند القبة المعروفة بفاطمة بنت أسَدٍ أمِّ على رضى الله تعالى عنهما بأقصى البقيع ، وقد روى يحيى عن جعفر بن محمود ابن محمد بن مسلمة أن النبى صلى الله عليه وسلم « صَلّى فى مسجد بنى معاوية » أى الآنى « ومسجد بنى ظَفَر » .

وقال ابن زبالة : إن إبراهيم بن جعفر حدثه بذلك عن أبيه جعفر المذكور .

وروى ابن شبة عن الحارث بن سعيد بن عبيد أن النبى صلى الله عليه وسلم « صَلى فى مسجد بنى حارثة ومسجد بنى ظَفَر » .

وروى يحيى عن إدريس بن محمد بن يونس بن محمد الظفرى عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « جَلَسَ على الحجر الذى فى مسجد بنى ظَفَر » وأن زياد بن عبيد الله كان أمر بقَلْعه حتى جاءته مشيخة بنى ظَفَر وأعلموه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جَلَسَ عليه ، فرده ، قال : فقلّ امرأة نَزَر ولدها تجلس عليه إلا حملت . قال يحيى عقبه : مسجد بنى ظفر دون مسجد بنى عبد الأشهل ، قال : وأدركت الناسَ بالمدينة يذهبون بنسائهم حتى ربما ذهبوا بهنّ بالليل فيجلسن على هذا الحجر .

قلت : ولم أزل أتأمل فى سر ذلك حتى اتضح لى بما رواه الطبرانى برجال ثقات عن محمد بن فضالة الظفري ، وكان ممن صحب النبي صلى الله عليه وسلم ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « أتاهُمْ فى مسجد بنى ظَفَر ، فجلس على الصخرة التى فى مسجد بنى ظَفَر اليومَ ومعه عبد الله بن مسعود ومعاذ بن جبل وأناس من

(١) لعل الأصل « شرقيه البقيع » (حسب الله) .

أصحابه ، وأمر النبي صلى الله عليه وسلم قارئاً فقرأ حتى أتى على هذه الآية (فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا) فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اضطرب[1] لَحياه .فقال: «أىْ رَبِّ شهيد على مَنْ أنا بين ظَهْرَانيه ، فكيف بمن لم أر» ؟

قلت : ولم يزل الناس يصفون الجلوسَ على ذلك الحجر للمرأة التى لا تلد ، ويقصدون ذلك المسجدَ لأجله ، غير أنى لم أر فيه حَجَراً يصلُح للجلوس عليه ، إلا أن فى أسفل كتف بابه عن يسار الداخل حجراً مُثْبَتاً من داخله ، فكأنه هو المراد ، والناس اليوم إنما يقصدون حجراً من تلك الصخور التى هى خارجه فى غربيه فيجلسون عليه ، وهذا بعيد لأن الرواية المتقدمة مُصرِّحة بأنه فى المسجد .

وقال المطرى : وعند هذا المسجد آثار فى الحرة من جهة القبلة ، يقال : إنها أثرُ حافر بغلة النبى صلى الله عليه وسلم ، وفى غربيه أى غربى أثر الحافر أثر على حجر كأنه أثر مِرْفَق يُذْكَر أن النبى صلى الله عليه وسلم اتَّكأ عليه ، ووضع مرفقه الشريفَ عليه ، وعلى حجر آخر أثر أصابع ، والناسُ يتبركون بها .

قلت : ولم أقف فى ذلك على أصل ، إلا أن ابن النجار قال فى المساجد التى أدركها خرابا مالفظه : ومسجدَانِ قريبَ البقيع ، وذكر ما سيأتى عنه فى مسجد الإجابة ، ثم قال : وآخَرُ يعرف بمسجد البغلة فيه أسطوان واحد ، وهو خرابٌ ، وحوله كثير من الحجارة فيها أثر يقولون: إنه أثر حافرَىْ بغلة النبى صلى الله وسلم ، انتهى.

وقد بنى ماتهدم منه بعد ابن النجار ، إلا أنه لم يجعل له سقفا ، فليس به شىء من الأساطين . ورأيت فيه حجر رخام عن يمين محرابه قد كتب فيه ماصورته: خَلّد الله ملك الإمام أبى جعفر المنصور المستنصر بالله أمير المؤمنين . عمر سنة ثلاثين وستمائة ، وذرعته فكان مربعا ، طوله من القبلة إلى الشام أحد وعشرون ذراعا ، ومن المشرق إلى المغرب مثل ذلك ، والله أعلم .

مسجد الإجابة

ومنها : مسجد الإجابة ، وهو مسجد بنى معاوية بن مالك بن عَوْف من الأوس، كما قدمناه فى المنازل مع بيان ماوقع للمطرى ومَنْ تبعه من الوَهْم فى جَعْلهم

(١) فى نسخة « اضطربت » (حسب الله) .

من بنى مالك بن النجار من الخزرج ، و بيان منشأ الوهم ، وما ناقض المطرى به كلامه عند ذكره مسجد بنى جديلة ، وهو مسجد أبىّ الآتى فى الفصل بعده .

وقد روينا فى صحيح مسلم من حديث عامر بن سعد عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « أَقْبَلَ ذات يوم من العالية ، حتى إذا مر بمسجد بنى معاوية دخل فركَعَ ركعتين ، وصلينا معه ، ودعا رَبّه طويلا ، ثم انصرف إلينا فقال : سألتُ ربى ثلاثا فأعطانى اثنتين ، ومنعنى واحدة ، سألته أن لا يهلك أمتى بالسَّنَة فأعطانى ، وسألته أن لا يهلك أمتى بالغرق فأعطانيها ، فسألته أن لا يجعل بأسَهُم بينهم فمنعنيها ، فهذا سبب تسمية هذا المسجد بمسجد الإجابة .

وروى ابن شبة بسند جيد ، وهو فى الموطأ ، عن عبد الله بن عبد الله بن جابر ابن عتيك قال : جاءنا عبدُ الله بن عمر فى بنى معاوية ، وهى قرية من قرى الأنصار ، فقال : تَدْرُونَ أين صَلَّى النبى صلى الله عليه وسلم فى مسجدكم هذا ؟ فقلت : نعم ، وأَشَرْتُ له إلى ناحية منه ، قال : فهل تدرون ما الثلاث التى دعا بهن فيه ؟ قلت : نعم ، قال : فأخبرنى ، قلت : دعا أن لا يظهر عليهم عدو من غيرهم ، وأن لا يهلكهم بالسنين ، فأعطيهما ، ودعا أن لا يَجْعَلَ بأسَهُم بينهم ، فمنعها ، قال : صدقت ، فلن يزال الهرج إلى يوم القيامة .

وعن سعد بن أبى وَقّاص أنه كان مع النبى صلى الله عليه وسلم فمرّ بمسجد بنى معاوية ، فدخل فركَعَ فيه ركعتين ، ثم قام فناجى رَبّه ، ثم انصرف

ونقل ابن شبة أيضا عن أبى غسان عن محمد بن طلحة أنه قال : بلغنى أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى فى مسجد بنى معاوية على يمين المحراب نحواً من ذراعين .

قلت : فينبغى أن يتحرّى بالصلاة ذلك المحل ، وأن يكون الدعاء فيه قائما بعد الصلاة ؛ للرواية المتقدمة .

وهـذا المسجد هو المراد بقول ابن النجار فى المسجدين اللذين أدركهما خرابا قريب البقيع أحدهما يعرف بمسجد الإجابة وفيه أسطوانات قائمة ومحراب مليح وباقيه خراب .

قلت : ليس به اليوم شئ من الأساطين ، وقد رُمِّم ما تخرب منـه ، وهو فى شمالى البقيع على يسار السالك إلى العريض ، وسط تلول هى آثار قرية بنى معاوية ، وذَرَعْتُه فكان من المشرق إلى المغرب خمسة وعشرين ذراعا ينقص يسيرا ، وكان من القبلة إلى الشام عشرين ذراعا ينقص يسيرا .

مسجد الفتح ومنها : مسجد الفتح ، والمساجد التى حوله فى قبلته ، وتعرف اليوم كلها بمساجد الفتح ، والأول المرتفع على قطعة من جبل سَلْع فى المغرب غربيه وادى بطحان ، وهو المراد بمسجد الفتح حيث أطلقوه ، ويقال له أيضا « مسجد الأحزاب » و« المسجد الأعلى » .

وروينا فى مسند أحمد برجال ثقات عن جابر بن عبد الله أن النبى صلى الله عليه وسلم « دَعَا فى مسجد الفتح ثلاثا يوم الاثنين ويوم الثلاثاء ويوم الأربعاء ، فاستُجِيبَ له يوم الأربعاء بين الصلاتين ، فعُرِفَ البِشْرُ فى وجهه » قال جابر : فلم ينزل بى أمر مهمّ غليظ إلا توخَّيْتُ تلك الساعة فأدعو فيها فأعرف الإجابة ، ورواه ابن زبالة والبزار وغيرهما .

وروينا فى مسند أحمد أيضا بإسناد فيه رجل لم يُسَم عن جابر أيضا أن النبى صلى الله عليه وسلم « أتى مسجدَ يعنى، الأحزاب ، فوضع رداءه وقام ، ورفع يديه مدا يدعو عليهم ، ولم يصل ، ثم جاء ودعا عليهم وصلى » .

وروى ابن شبة عن جابر رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم «قَعَدَ على موضع مسجد الفتح وحَمِدَ الله ودعا عليهم وعرض أصحابه وهو عليه» .

وعن سعيد مولى المهديين قال « أقبل النبى صلى الله عليه وسلم من الجرف ، فأدركَتْهُ صلاةُ العصر فصلاها فى المسجد الأعلى » .

وروى ابن زبالة ويحيى وابن النجار من غير طريقهما عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « مَرَّ بمسجد الفتح الذى على الجبل وقد حضرت صلاة العصر ، فرَقِيَ فصلى فيه صلاة العصر » .

وروى ابن زبالة عن المطلب مرسلا أن النبى صلى الله عليه وسلم « دَعَا فى مسجد الفتح يوم الأحزاب حتى ذهبت الظهر وذهبت العصر وذهبت المغرب ، ولم يصل منهن شيئًا ، ثم صلاهن جميعا بعد المغرب » .

قلت : وفيه بيان الشغل الذى أخر لأجْلِهِ تلك الصلاةَ ؛ فإن المعروف تأخيرها أو تأخير العصر فقط كما فى الصحيح من غير بيان هذا السبب ، وذلك كان قبل مشروعية صَلَاة الخوف .

وروى أيضا عن جعفر بن محمد عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم « دَخَلَ مسجدَ الفتح فخَطَا خطوة ثم الخطوة الثانية ، ثم قام ورفَعَ يديه إلى الله حتى رؤى بياض إبطيه ــ وكان أعفَرَ الإبطين ــ فدَعَا حتى سقط رداؤه عن ظهره ، فلم يرفعه حتى دعا ودعا كثيرا، ثم انصرف » .

وعن جابر قال « صَلَّى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من وراء مسجد الفتح نحو المغرب » .

ورواه ابن شبة عنه بلفظ « دَعَا النبى صلى الله عليه وسلم على الجَبَل الذى عليه مسجد الفتح من ناحية المغرب ، وصلى من وراء المسجد » أى فى الرحبة .

قال ابن شبة : قال أبو غسان : وسمعتُ غيرَ واحدٍ ممن يوثق به يذكر أن الموضع الذى دعا عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من الجبل هو اليوم إلى الأسطوان الوسطى الشارعة فى رحبة المسجد .

قلت : ويستفاد منه أن الصلاة والدعاء هنالك يتحرّى بهما وسط المسجد فى الرحبة مما يلى سقفه ، ومقتضى الرواية الأولى أن تكون أقرب إلى جهة المغرب ، وإذا ضممت إلى ذلك الرواية المتقدمة من أنه صلى الله عليه وسلم « خَطَا خطوة

ثم الخطوة الثانية ، ثم قام ورفع يديه » ظهر لك أن طريقه صلى الله عليه وسلم كانت من جهة الدرجة الشمالية .

وروى يحيى عن هارون بن كثير عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « دَعَا يوم الخندق على الأحزاب فى موضع الأسطوانة الوسطى من مسجد الفتح » قال يحيى : فدخلْتُ مع الحسين بن عبد الله مسجد الفتح ، فلما بلغ الأسطوانة الوسطى من المسجد قال : هذا مَوْضِـعُ مُصَلّى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم الذى دعا فيه على الأحزاب ، وكان يصلى فيه إذا جاء مسجد الفتح .

وروى ابن شبة عن جابر قال : دعا النبى صلى الله عليه وسلم فى المسجد المرتفع ، ورَفَع يديه مدا .

وعن سالم أبى النصر قال : دعا النبى صـلى الله عليه وسلم يوم الخندق « اللّهُمَّ منزل الـكتاب ، ومُنْشِئ السحاب ، اهزمهم وانصرنا عليهم » .

وروى ابن زبالة من طريق عمر بن الحكم بن ثوبان قال : أخبرنى مَنْ صلى وراء النبى صـلى الله عليه وسلم فى مسجد الفتح ثم دعا فقال « اللهم لكَ الحمد هدَيْتَنِي من الضلالة ، فلا مُـكْرِم لمن أهَنْت ، ولا مُهِين لمن أكرمت ، ولا مُعِزّ لمن أذللت ؛ ولا مُذِلّ لمن أعْزَزْتَ ، ولا ناصر لمن خَذَلْت ، ولا خاذِلَ لمن نَصَرْت ، ولا معطى لما منعت ، ولا مانع لما أعطيت ، ولا رازِقَ لمن حَرَمْت ، ولا حارم لمن رَزَقْت ، ولا رافع لمن خفضت ، ولا خافض لمن رفعت ، ولا خارق لمن سترت ، ولا ساتر لمن خرقت ، ولا مقرب لما باعدت ، ولا مباعد لما قربت » .

وذكر القرطبي دعاء آخر فى رواية يتضمن أن الدعاء وقع من النبى صلى الله عليه وسلم هناك فى الليلة التى أرسل الله فيها الريحَ على الأحزاب ، ولا مانع من أن يكون النبى صلى الله عليه وسلم دعا فى تلك الليلة أيضا هناك ، ولفظه : ولما اشتد الأمر على المسلمين وطال المُقَام فى الخَنْدق قام عليه الصلاة والسلام على التل الذى عليه مسجد الفتح فى بعض الليالى وتوقّع ما وعده الله من النصر . وقال : مَنْ

يذهب ليأتينا بخبرهم ؟ قال : فانطلق حُذَيفة بسلاحه ، ورفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يَدَه يقول « يا صَرِيخ المَكْرُو بين ، ويا مُجيبَ المضطرين ، ويا كاشفَ همى وغمى وكربى ، فقد ترى حالى وحالَ أصحابى » فنزل جبريلُ فقال : إن الله سمع دَعْوتَكَ وكفاكَ هَوْلَ عدوك ، فخرَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على ركبتيه ، وبسط يديه ، وأرخى عينيه ، وهو يقول : شكراً كما رحمتنى ورحمت أصحابى ، وأخبره جبريل بأن الله مُرْسِل عليهم ريحاً ، فبشر أصحابه بذلك .

قلت : فينبغى أن يدعى بذلك كله هناك،فيقول : اللهم ياصريخ المستصرخين والمكروبين ، ويا غياث المستغيثين ، ويا مفرج كرب المكروبين ، ويا مجيب دعوة المضطرين ، صَلِّ على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ، واكشف عنى كربى وغمى وحزنى وهمى ، كما كشفت عن حبيبك ورسولك صلى الله عليه وسلم كربه وحزنه وغمه وهمه فى هذا المقام ، وأنا أتشفع إليك به صلى الله عليه وسلم فى ذلك، يا حَنان يا مَنان ياذا الجودِ والإحسان .

ويقدم عليه ما فى الصحيح من حديث ابن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم « كان يَدْعو عند الكرب لا إلهَ إلا الله العظيم الحليم ، لا إلهَ إلا الله رب العرش العظيم ، لا إله إلا الله ربُّ السموات ورب الأرضين رب العرش الكريم » . وكذلك دعاء الشافعى رحمه الله تعالى الذى دعا به عند دخوله على الرشيد فى محنته فقد روى أبو نعيم بإسناد من طريق الشافعى أن النبى صلى الله عليه وسلم دعا به فى يوم الأحزاب،ورفعه غير صحيح كما قال البيهقى ، لكنه دعاء عظيم ، وفى ألفاظه اختلاف ، وقد جمعت بينها وهو « شَهِدَ الله أنه لا إلهَ إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط ، لا إله إلا هو العزيز الحكيم » ثم قال « وأنا أشهد بما شهد الله به ، وأستودع الله هذه الشهادة ، وهى وَدِيعة لى عند الله يؤدِّيها إلى يوم القيامة ، اللهم إنى أعوذُ بنور قُدْسِك وعظمة طهارتك وبركة جلالك من كل

آفةٍ وعاهةٍ ومن طوارق الليل والنهار، وطارق الجن والإنس، إلا طارقا يَطْرُقُ بخير، اللهم أنت غياثى فبك أغوث، وأنت ملاذى فبك ألوذ، وأنت عياذى فبك أعوذ، يامن ذلَّتْ له رقاب الجبابرة، وخضعت له أعناق الفراعنة، أعوذ بجمال وجهك وكرم جَلالك من خِزْيك وكشف سَترك، ومن نسيان ذكرك، والإضراب عن شكرك، أنا فى حِرزك وكنَفك وكلاءتك فى ليلى ونهارى، ونومى وقرارى، وظعنى وأسفارى، وحياتى ومماتى، ذكرك شِعارى، وثناؤك دثارى، لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك، تنزيهاً لاسمك وعظمتك، وتكريماً لسُبُحات وجهك، أجرنى من خِزْيك ومن شر عبادك، واضرب علىّ سُرادقات حفظك، وقنى سيآت عذابك، وجُدْ على، وعِدْنى منك بخير يا أرحم الراحمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم الكريم، والصلاة على النبى المرتضى محمد وآله وصحبه وسلم » .

قلت : ومما يدل على اشتهار الاستجابة بهذا المسجد فى يوم الأربعاء وقصد السلف له فى ذلك اليوم حتى النساء ما حكاه الأديب شهاب الدين أبو الثناء محمودٌ فى كتابه « منازل الأحباب » من رؤية عتبة بن الحباب بن المنذر بن الجَموح امرأةً ممن يزور هذا المسجد فى يوم الأربعاء مع نسوة المرةَ بعد الأخرى وذكر قصته فى تزوجه بها، وإنشاده :

يا للرِّجال ليَوْم الأربعاء أما ... يَنفكُّ يحدث لى بعد النهى طَرَبا
ما إن يزال غزالٌ فيه يظلمنى ... يَهوى إلى مَسْجد الأحزاب مُنْتَقبا
يخبِّرُ الناسَ أنَّ الأجر هِمَّتهُ ... وما أتى طالبًا للأجر محتسبًا
لو كان يبغى ثوَابًا ما أتى ظهراً ... مُضَمخًا بفتيتِ المسك مُختَضِبًا

وفى كلام الزبير بن بكار ما يقتضى نسبة هذه الأبيات مع زيادة فيها لعبد الله بن مسلم بن جندب الهذلى، وأنه كان إمامَ المسجد المذكور فإنه قال : ولما ولى الحسنُ بن زيد المدينة منعَ عبد الله بن مسلم بن جندب الهذلى أن يؤمَّ

الناسَ فى مسجد الأحزاب ، فقال له : أَصلَح الله الأميرَ لم منعتنى مقامى ومقام آبائى وأجدادى قبلى ؟ قال : ما منعَكَ منه إلا يوم الأربعاء ، يريد قوله :

* يا للرِّجالِ ليوم الأربعاء *

وذكر الأبيات الأربعة المتقدمة وزاد عقبها أربعة أخرى ، وهى :

فإن فيــه لمَنْ يَبْغِى فَوَاضِلَهُ ... فَضْلاً وللطالب المرْتاد مُطلَبَا

كم حُرَّة دُرَّة قَدْ كنْتُ آلفُهَا ... تَسُدُّ من دونها الأبْوَابَ والُحجُبَا

قد ساغ فيه لها مَشْيُ النهار كما ... ساغ الشرابُ لعَطشَانٍ إذا شَرِبَا

أخرجن فيه ولا ترعين ذا كذب ... قَدْ أبْطَلَ الله فيه قولَ مَنْ كَذبَا

قال المجد : وأما تسميته يعنى المسجد الأعلى بمسجد الفتح فيحتمل أنه سُمِّى به لأنه أجيبت فيه دعوة النبى صلى الله عليه وسلم على الأحزاب ، فكان فَتْحًا على الإسلام أو أنزل الله عليه صلى الله عليه وسلم سورة الفتح هناك ، انتهى .

قلت : وبالثانى جزم ابن جبير فى رحلته ، لكن جاء فى خبر أن النبى صلى الله عليه وسلم « كان قد تَقَنَّعَ بثوبه يوم الخندق واضطجع لما أتاه أصحابه بخبر بنى قريظة ، ثم إنه رَفَعَ رأسه فقال : بشروا بفَتْح الله ونصره » كما فى مغازى ابن عقبة ، فلعل ذلك كان فى موضع هذا المسجد ، فسمى بذلك لوقوع البشارة بالفتح فيه .

وأيضًا فقد روى القرطبى ما يقتضى أن النبى صلى الله عليه وسلم لما أرسل حُذَيفة ليأتيه بخبر الأحزاب كان بمحل هذا المسجد .

وقد قال ابن عقبة : إن حذيفة لما رجع وجد النبى صلى الله عليه وسلم قائما يصلى ، ثم انصرف إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر ، فأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون قد فتح الله عز وجل لهم وأقر أعينهم ، اهـ

وروى ابن شبة عن أسيد بن أبى أسيد عن أشياخهم أن النبى صلى الله عليه وسلم « دَعا على الجبل الذى عليه مسجد الفتح ، وصلى فى المسجد الصـ

الذى بأصل الجبل على الطريق حين يصعد الجبل» . وروى ابن زبالة عن معاوية ابن عبد الله بن زيد ، نحوه .

وعن معاذ بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « صَلّى فى مسجد الفتح الذى على الجبل وفى المساجد التى حوله » .

المساجد التى حول مسجد الفتح

قلت : وظاهره أن المساجد حوله ثلاثة لأنه أقل الجمع ، وهو ما صرح به ابن النجار فقال : إن مسجد الفتح على رأس جبل يصعد إليه بدَرَج ، وقد عمر عمارة جديدة ، أى عمارة ابن أبى الهيجاء الآتية فإنه أدركها .

قال: وعن يمينه فى الوادى نخل كثير ، و يعرف ذلك الموضع بالسيحى، أى بالياء آخر الحروف . ومساجد حوله ــ وهى ثلاثة ــ قبلة الأول منها خراب ، وقد هدم وأخذت حجارته ، والآخران معموران بالحجارة والجص ، وهما فى الوادى عند النخل ، انتهى .

وقال المطرى : إن المسجدين اللّذَين فى قبلة مسجد الفتح تحته يعرف الأول منهما يعنى الذى يلى مسجد الفتح بمسجد سَلْمَان الفارسى . والثانى الذى يلى القبلة ــ يعنى فى قبلة مسجد سلمان ــ يعرف بمسجد أمير المؤمنين على بن أبى طالب ، ثم ذكر ما تقدم عن ابن النجار من أنه كان معهما مسجدٌ ثالثٌ ، ثم قال : وهذا لم يبق له أثر .

قلت : وفى قبلة المسجد المعروف بأمير المؤمنين جانحا إلى جهة المشرق يلحق طرف جبل سَلْع الذى فى قبلة المساجد رضم من حجارة رأينا الناس يتبركون بالصلاة بينها . وقد تأملتها فوجدت فى طرفها مما يلى المشرق حَجَراً من المقام الذى يجعل منه الأساطين ، وهو مثبت فى الأرض بالجص ، فترجح عندى أنه أثر أسطوان ، وأن ذلك هو المسجد الذى يشير إليه ابن النجار ، وما ذكره المطرى من نسبة المسجدين المذكورين لسلمان وعلى رضى الله تعالى عنهما شائع على ألسنة الناس ، ويزعمون أن الثالث الذى ذكر المطرى أنه لم يبق له أثر مسجد أبى بكر

رضى الله تعالى عنه ، و بعض العامة يسمى مسجد سلمان بمسجد أبى بكر رضى الله عنه ، ولم أقف فى ذلك كله على أصل .

قال المطرى : و يصعد إلى مسجد الفتح بدرجتين شمالية وشرقية ، وكان فيه ثلاث أسطوانات من بناء عمر بن عبد العزيز ، فلذلك قال فى الحديث « موضع الأسطوانة الوسطى » .

قلت : والمراد أنها ثلاث أساطين بين المشرق والمغرب ، فمسقّفه رواق واحد فقط كما هو عليه اليوم ، قال المطرى : لكنه تهدّم على طول الزمان فجدّده الأمير سيف الدين الحسين بن أبى الهيجاء أحد وزراء العُبَيْدِيِّينَ ملوكِ مصر فى سنة خمس وسبعين وخمسمائة ، وكذلك جدد بناء المسجدين اللذين تحته من جهة القبلة فى سنة سبع وسبعين وخمسمائة .

قلت : واسمه اليوم مرسوم على مسن فى أعلى قبلة مسجد الفتح ، وفى أعلى قبلة المسجد الذى يليه . وفيه ذكر العمارة فى التاريخ المذكور .

وأما المسجد الآخر ـ وهو الذى فى قبلتهما ، المنسوب لأمير المؤمنين على ـ فتهدَّمَ بناؤه ، فجدَّده الأميرُ زين الدين ضغيم بن حشرم المنصورى أمير المدينة الشريفة فى سنة ست وسبعين وثمانمائة ، وكان سقفه عَقْداً ، وفيه مسن عليه اسم ابن أبى الهيجاء كالمسجدين الآخرين ، فجعل سقفه خشبًا على أسطوان واحد ، وسقف كل من مسجد الفتح والذى فى قبلته رِوَاق واحد مَقْبوّ قبواً محكما ، وفى كل منهما ثلاث قناطر آخذة من المشرق إلى المغرب ، والظاهر أن الرحبة التى خلف الرواق المذكور لم تغير عن حالها القديم . وذَرْعُ المسجد الأعلى من القبلة إلى الشام عشرون ذراعا ينقص يسيرا ، ومن المشرق إلى المغرب مما يلى القبلة سبعة عشر ذراعا . وذَرْعُ المسجد الأسفل المنسوب لسلمان رضى الله تعالى عنه من القبلة إلى الشام أربعة عشر ذراعا شافة ، ومن المشرق إلى المغرب مما يلى القبلة سبعة عشر ذراعا . وذَرْع المسجد الذى يليه ـ وهو المنسوب لعلى رضى الله عنه ـ من القبلة إلى الشام ثلاثة عشر ذراعا شافة ، ومن المشرق إلى المغرب مما يلى القبلة ستة عشر ذراعا شافة .

مسجد بنى حرام الكبير

وينبغى لقاصد مساجد الفتح أن يزور مسجد بنى حَرَام الكبير ، وهو غير مسجدهم الصغير الآتى ذكره ، وهذا المسجد هو الذى اتخذوه لشعبهم من سَلْع لما تحوَّلوا إليه على ما قدمناه فى ذكر المنازل ؛ لما فيه مما يقتضى أنهم تحلوا إليه بإذن النبى صلى الله عايه وسلم لهم .

وقد روى رزين عن يحيى بن قتادة بن أبى قتادة عن مشيخةٍ من قومه أن النبى صلى الله عليه وسلم « كان يأتى دور الأنصار فيصلى فى مساجدهم » .

وقدمنا هنالك أيضاً أن عمر بن عبد العزيز زاد فيه على بناء أهله له مِدْمَا كَيْن من أعلاه ، وطابق سقفه ، وكان أولا بخشب وجريد ، وجعل فيه زيت مسجد رسولِ الله صلى الله عليه‌الله وسلم ؛ فهذا يقتضى أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى فيه ، لكن تقدم أيضاً ما يقتضى أن بنى حرام إنما انتقلوا للشعب المذكور فى زمن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه .

وروى ابن شبة فى ذكر المساجد التى يقال إن النبى صلى الله عليه وسلم صلى فيها ، ويقال إنه لم يصل فيها ، عن حرام بن عثمان أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يُصَلِّ فى مسجد بنى حرام الأكبر ، ثم روى ما قدمناه من الاختلاف فى وقت تحوُّلهم إلى ذلك المحل.

فيتلخص من ذلك أنه مما اختلف فى صلاة النبى صلى الله عليه وسلم فيه ، ولذلك لم يفرده بالذكر ، وقد ظهر لى محله فى قرية بنى حرام بشعبهم غربى جبل سَلْع على يمين السالك إلى مساجد الفتح من الطريق القبلية ، وعلى يسار السالك إلى المدينة من مساجد الفتح ، فإذا جاوَزْتَ البطن الذى فيه مساجد الفتح وأنت قاصدُ المدينة يَلْقاكَ بعد ذلك بَطْن مُتسع من سَلْع فيه آثار قرية هى قرية بنى حَرَام ، وذلك شعبهم ، وقد انهدم المسجدُ بأجمعه ، وبقى أساسه وآثار أساطينه من الحزر المكسر ، وفيها آثار الرصاص وعُمُد الحديد وآثار الرمل بأرضه ، ولعل الله تعالى يبعث له من يحييه .

وينبغى لقاصد المسجد المذكور أن يَزُور كهف بنى حرام قرب شعبهم كهف بنى حرام المذكور ؛ لما سيأتى فى ذكر عين النبى صلى الله عليه وسلم عن عبدالملك بن جابر ابن عتيك أن النبى صلى الله عليه وسلم « تَوَضَّأَ من العيينة التى عند كهف بنى حرام » قال : وسمعتُ بعضَ مشيختنا يقول : قد دخل النبى صلى الله عليه وسلم ذلك الكهف .

وفى رواية أنهم كانوا — يعنى الصحابة — يخرجون مع النبى صلى الله عليه وسلم ويخافون البيَات ، فيدخلونه كهف بنى حرام ، فيبيت فيه ، حتى إذا أصبح هَبَط ، وإنه نقَر العيينة التى عند الكهف .

ولما روى ابن شبة عن يحيى بن النصر الأنصارى أن النبى صلى الله عليه وسلم « جَلَس فى كهف سَلْع » والمراد به كهف بنى حرام .

ولما روى الطبرانى فى الأوسط والصغير عن أبى قتادة قال : خرج مُعَاذ بن جبل فطلب النبى صلى الله عليه وسلم فلم يجده ، فطلبه فى بيوته فلم يجده ، فاتّبعه فى سكة سكة حتى دُلَّ عليه فى جبل ثواب ، فخرج حتى رقى جبل ثواب فنظَر يمينًا وشمالا فبصر به فى الكهف الذى اتخذ الناس إليه طريقا إلى مسجد الفتح ، قال معاذ : فإذا هو ساجدٌ ، فهبطت من رأس الجبل وهو ساجد فلم يرفع حتى أسأتُ به الظن ، فظننته أنه قد قُبِضَتْ روحُه ، فقال : جاءنى جبريل بهذا الموضع فقال : إن الله تبارك وتعالى يقرئك السلام ويقول لك : ما تحبُّ أن أصْنَعَ بأمتك ؟ قلت : الله أعلم ، فذهب ثم جاء إلى فقال : إنه يقول : لا أسُوءكَ فى أمتك ، فسجدت فأفضل ما تقرب به إلى الله عز وجل السجود .

قلت : وجبل ثواب لم أقف له على ذكر ، ولكن يؤخذ من قوله فى هذا الكهف إنه الذى اتخذ الناس إليه طريقا إلى مسجد الفتح أنه جبل سَلْع ، والمراد اتخذ الناس إلى الكهف طريقاً إلى طريق مسجد الفتح ، فهو كهف بنى حرام بقرينة ماسبق ، والكهف كما فى الصحاح : شبه البيت المنقور فى الجبل ، وهذا

الـكهف يظهر أنه الذى على يمين الْمُتَوَجِّه من المدينة إلى مساجد الفتح من الطريق القبلية أيضا إذا قَرُبَ من البطن الذى هو شعب بنى حرام فى مقابلة الحديقة المعروفة اليوم بالنقيبينة عن يساره.

وكذلك الحِصْنُ المعروفُ بحصن حمل يكون فى جهة يساره فهناك مجرى سائلة تسيل من سَلْع إلى بطحان ، فإذا دخل فى تلك السائلة وصعد يسيراً من سلع طالباً جهةَ المشرق كان الـكهف المذكور على يمينه ، وعنده أثر نقر ممتد فى الجبل هو مجرى السائلة المذكورة ، وإذا صعد الإنسان من ذلك المجرى وكان فى أعلاه وجد كهفاً آخر ، لـكنه صغير جداً ، والأول أقرب إلى كونه المراد ، ولعل ذلك النقر هو المراد فيما يتعلق بالعيينة ، وإذا حصل المطر بسَلْع سالَتْ تلك السائلة ، ويبقى هناك مواضع يتحصل فيها المـاء ثم يجرى منها ؛ فينبغى التبرك بها ، والله أعلم .

مسجد القبلتين

ومنها : مسجد القبلتين ، قال رزين : وهو مسجد بنى حَرَام بالقاع ، وتبعه ابن النجار فَمَنْ بعده ، وزاد المطرى وتبعه من بعده أنه الذى رأى النبى صلى الله عليه وسلم النخامة فى قبلته فحـكّها بعُرْجُون كان فى يده ، ثم دعا بخَلُوق فجعَله على رأس العُرْجُون ثم جعله فى موضع النخامة ، فكان أوّل مسجد خُلِّق ، وهذا كله مردود ؛ لأن ابن زبالة قال كما قدمناه فى المنازل : إن بنى سَوَاد بن غنم بن كعب نزلوا عند مسجد القبلتين ، ولهم مسجد القبلتين ، ونزل بنو عبيد بن عدى بن غنم ابن كعب عند مسجد الخربة ، ونزل بنو حَرَام بن كعب بن غنم بن كعب عند مسجد بنى حرام الصغير الذى بالقاع ، وابتنوا أُطُماً يقال له جاعص كان فى السهل بين الأرض التى كانت لجابر بن عتيك وبين العين التى عملها معاوية بن أبى سفيان ، وحينئذ فلا يصح كون مسجد بنى حرام الصغير هو مسجد القبلتين . وكأن هؤلاء الجماعة فَهِمُوا من وصف مسجدهم هذا بالصغير أن مسجدهم الـكبير هو مسجد القبلتين ، وليس كذلك ؛ لمـا قدمناه من أن مسجدهم الـكبير نقل أن النبى

صلى الله عليه وسلم لم يُصَلِّ فيه ، وأنه الذى بشعب سَلْع ، وأيضا فقد صرح ابن زبالة بأن مسجد القبلتين لبنى سواد ، وأيضا فاسْمُ القاع إنما يناسب ما قدمناه فى بيان منازل بنى حرام فى غربى مساجد الفتح ، فسجد بنى حرام هذا من المساجد التى لا تعلم اليوم عَيْنُها ، ولـكن تعلم جهتها . ومما يوضح المغايرة بين مسجد بنى حرام وبين مسجد القبلتين ، ويصرح بخطأ ما ذهب إليه مَنْ جَعَلهما متحدين أن ابن شبة روى عن جابر أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى فى مسجد الخربة ، وفى مسجد القبلتين ، وفى مسجد بنى حرام الذى بالقاع . ورواه أيضا ابنُ زبالة عن جابر بلفظ « صَلَّى فى مسجد القبلتين وفى مسجد بنى حرام بالقاع » ولم يذكر مسجد الخربة ؛ فاتَّضَح بذلك ما قلناه ، وتعين اجتناب ما عداه ، وما ذكره المطرى من كون مسجد القبلتين أول مسجد خُلِّقَ أخذه من ورود ذلك فى مسجد بنى حرام لظنه اتحادهما ؛ فاجتنبه .

وقال ابن زبالة : وحدثنى موسى بن إبراهيم عن غير واحد من مَشْيَخة بنى سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم «صَلَّى فى مسجد القبلتين» وقد قدمنا فى الفصل الثالث من الباب الرابع الاختلافَ فى تعيين المسجد الذى وقع فيه تحويلُ القبلة وسَنَتِه والصلاةِ التى وقَعَ ذلك فيها ، وفى بعض تلك الروايات أن ذلك كان بمسجد القبلتين ، وأن الواقدىّ قال : إن ذلك هو الثابت عنده .

وروى يحيى عن عثمان بن محمد بن الأخنس قال : زار رسولُ الله صلى الله عليه وسلم امرأة — وهى أم بشر من بنى سلمة — فى بنى سلمة ، فصنعت له طعاما ، قالت أم بشر : فهم يأكلون من ذلك الطعام إلى أن سألوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عن الأرواح ، فذكر حديثها فى أرواح المؤمنين والـكافرين ، ثم قال : فجاءت الظهرُ فصلى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بأصحابه فى مسجد القبلتين الظهر ، فلما أنْ صَلَّى ركعتين أُمِرَ أن يوجه إلى الـكعبة ، فاستدار رسول الله صلى الله

عليه وسلم إلى الـكعبة واستقبل الميزاب ؛ فهى القبلة التى قال الله تعالى «فلنولينك قبلة ترضاها» فسمى ذلك المسجد مسجد القبلتين .

وفى رواية له : فلما صلى ركعتين أُمِرَ أن يولى وجهه إلى الـكعبة ، فاستدار رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى الـكعبة والمسجد مسجد القبلتين ، وكان الظهر يومئذ أربعا منها ثنتان إلى بيت المقدس وثنتان إلى الـكعبة .

قلت : وهذا ما أشار إليه ابنُ سعدٍ بقوله : ويقال إنه صلى الله عليه وسلم زار أم بشر بن البراء بن مَعْرور فى بنى سلمة ، فصنعت له طعاماً وحانَتِ الظهرُ ، فصلى بأصحابه ركعتين ، ثم أُمِرَ أن يوجَّه إلى الكعبة ، فاستداروا إلى الكعبة ، فسمى المسجد مسجد القبلتين .

وتقدم ما قاله الزمخشرى من صَرْفِ القبلة فى هذا المسجد فى صلاة الظهر ، وإنه صلى الله عليه وسلم تحول فى الصلاة وحوّل الرجال مكان النساء والنساء مكان الرجال .

وروى ابن زبالة عن محمد بن جابر قال : صُرِفت القبلةُ ونفرٌ من بنى سلمة يصلون الظهر فى المسجد الذى يقال له مسجد القبلتين ، فأتاهم آتٍ فأخبرهم وقد صلوا ركعتين،فاستداروا حتى جعلوا وجوهَهم إلى الكعبة،فبذلك سُمِّى مسجدالقبلتين.

قال المجد : فعلى هذا كان مسجد قباء أولى بهذه التسمية ؛ لما ثبت فى الصحيحين من وقوع نحو ذلك به .

وقد أطنب المجد هنا فيما جاء فى تَخْليق القبلة لتوهمه أن مسجد القبلتين هو المراد ، وذلك وَهَم لما أسلفناه ، وهذا المسجد — كما قال المطرى — بعيد من مساجد الفتح من جهة المغرب على رابية على شفير وادى العقيق ، يعنى العقيق الصغير .

قلت : وهو مرتفع عن شَفير وادى العقيق كثيرا ، وكأنه أراد بذلك بيانَ مناسبة ما ادّعاه من تسمية موضعه بالقاع ، وقد جدد سقف هذا المسجد وأصلحه الشجاعى شاهينُ الجمالى شيخُ الخدامين عام ثلاث وتسعين وثمانمائة ، والله أعلم .

مسجد السقيا ومنها : مسجد السقيا[1] ، سُقْيَا سعد الآتى ذكرها فى الآبار ، فى شامى البئر المذكورة قريبا منها جانحا إلى المغرب يسيرا فى طريق المار إلى الرقيقين من طريق العقيق ، وهذا المسجد ذكره أبو عبد الله الأسدى من المتقدمين فى مَنْسَكه فى المساجد التى تُزَار بالمدينة .

وروى ابن شبة فى ترجمة المواضع التى صلى فيها النبى صلى الله عليه وسلم ومساجده عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه ، قال : عَرَضَ النبىُّ صلى الله عليه وسلم المسلمين بالسقيا التى بالحرة متوجها إلى بَدْرٍ وصلى بها .

وقد قدمنا فى الفصل الرابع من الباب الثانى ما رواه الترمذى وقال حسن صحيح عن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا كنا بحَرَّة السُّقْيا التى كانت لسعد بن أبى وقاص فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : ائتونى بوَضُوء ، فتوضأ ثم قام فاستقبل القبلة فقال : اللهم إن إبراهيم كان عَبْدَك وخليلَكَ ودعاكَ لأهل مكة بالبركة ، وأنا عَبْدُك ورسولك أدعوك لأهل المدينة أن تبارك لهم فى مُدِّهم وصاعِهم مثل ما باركت لأهل مكة مع البركة بركتين.

وقدمنا أيضا أن ابن شبة رواه بنحوه إلا أنه قال : حتى إذا كنا بالحرة بالسقيا التى كانت لسعد بن أبى وقاص رضى الله تعالى عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ائتُونِى بوَضُوء ، فلما توضأ قام فاستقبل القبلة ثم كبر ثم قال ، الحديثَ بنحوه .

وتقدم أيضا رواية الطبرانى له بسند جيد ، وأن أحمد روى برجال الصحيح عن أبى قتادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « صَلَّى بأرض سعد بأصْلِ الحَرَّةِ عند بيوت السقيا ، ثم قال : إن إبراهيم خليلَكَ وعَبْدَكَ ونبيك دَعَاك لأهل مكة ، وأنا محمد عبدك ورسولك أدعوك لأهل المدينة مثلى ما دعاك به إبراهيم لمكة ، أن تبارك لهم فى صاعِهم ومُدِّهم وثمارهم ، اللهم حَبِّبْ إلينا المدينة كما حببت

(١) هذا المسجد هو القبة التى فى خارج باب العنبرية اليوم (حسب الله) .

إلينا مكة ، واجعل ما بها من وَبَاء بخم ، اللهم إنى حَرَّمْتُ ما بين لاَ بَتَيْهَا كما حرمت على لسان إبراهيم الحرم ».

وقال الواقدى فى غزوة بدر : لما نزل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عند بيوت السُّقيا ، فحدثنى ابن أبى ذئب عن المقبرى عن عبد الله بن أبى قتادة عن أبيه قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم صَلَّى عند بيوت السُّقْيَا ودعا يومئذٍ لأهل المدينة : اللهم إن إبراهيم عبْدك وخَليلك و نبيك ، الحديثَ .

وروى أيضا عن سعد بن أبى وقَّاص قال : خرجنا إلى بَدْر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومعنا سبعون بعيرا ، وكانوا يَتَعَاقبون الثلاثة والأربعة والاثنان على بعير ، وكنت أنا من أعظم أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم غِنًى وأرْجَلِهم رُجْلَةً(١) وأرماهم بسَهم لم أركب خُطْوة ذاهباً ولا راجعا . وقال صلى الله عليه وسلم حين فَصَلَ من يثرب للسقيا : اللهم إنهم حُفَاة فاحْمِلْهم ، وعُرَاة فاكْسُهُمْ ، وجِيَاعٌ فأشْبِعْهُمْ ، وعَالَةٌ فأغْنِهِمْ من فضلك ، قال : فما رجَع أحد منهم يريد أن يركَبَ إلا وجَد ظهْرا للرجُلِ البعيرُ والبعيران ، واكتسى من كان عاريا ، وأصابوا طعاما من أزْوَادِهم ، وأصابوا فِدَاء الأسرى فأغنى به كل عائل .

وروى ابن زبالة عن عمر بن عبد الله الديناري وعمار بن حفص أن النبى صلى الله عليه وسلم عَرَضَ جيش بدر بالسقيا ، وصلى فى مسجدها ، ودعا هنالك لأهل المدينة أن يبارك لهم فى صَاعِهِم ومُدِّهم ، وأن يأتيَهُم بالرزق من ههنا وههنا . قال : واسم البئر السقيا ، واسم أرضها الفلجان .

قلت : ولم يكن هذا المسجد معروفا ، ولم يذكره المطرى ، بل تردد فى البئر بين البئر التى فى المحل المذكور وبين البئر المعروفة بزمزم ، ومال إلى ترجيح أنها

---

(١) الرجلة — بضم الراء وسكون الجيم — الشدة ، والأرجل : الوصف منه

التى فى المحل المذكور ، فاتفق أنى جئت إلى ذلك المحل وتطلبت المسجد ، فرأيت محله رضما ، فأرسلت إليه بعضَ المعلمين وأمرته أن يتتبع الأساس بالحَفْر من داخله فظهر محراب المسجد وتربيعه وبناؤه بالحجارة المطابقة بالجص ، وقد بقى منه فى الأرض أزيد من نصف ذراع فيه بياض المسجد بالقَصَّة بحيث يَعْلم الناظر أنه من البناء العمرى ، وخرج الناس أفواجا لرؤيته والتبرك به ، ثم بُنى ولله الحمد على أساسه الأول ، وهو مربع ، مساحته نحو سبعة أذرع فى مثلها .

مسجد ذباب (الراية)

ومنها : مسجد ذباب ، ويعرف اليوم بمسجد الراية ، ولما لم يعرفه المطرى قال : وليس بالمدينة مسجد يعرف غير ما ذكر إلا مسجدا أعلى ثنية الوَدَاع عن يسار الداخل إلى المدينة من طريق الشام ، ومسجدا آخر على طريق السافلة ، ولم يرد فيهما نقل يعتمد عليه .

قال الزين المراغى فى بيان المسجد الأول : وكأنه يريد به المسجد المعروف بمسجد الراية .

قلت : هو مراده ؛ لوجوده فى زمنه ، ولم يعدَّه فى المساجد وأطلق على محل ثنية الوداع لقربه منها ، وهو مبنى بالحجارة المطابَقَة على صفة المساجد العمرية ، وكان قد تهدم فجدده الأمير جانبك النيروزى رحمه الله تعالى سنة خمس أو ست وأربعين وثمانمائة ، وقد اتضح لنا ما جاء فى هذا المسجد بحمد الله تعالى لأن الإمام أبا عبد الله الأسدى فى المتقدمين لما عدد فى كتابه الأماكن التى تزار فى المدينة الشريفة قال : مسجد الفتح على الجبل ، ومسجد ذباب على الجبل ، انتهى . وذباب : اسم الجبل الذى عليه المسجد المذكور كما سنوضحه .

وقد روى ابن زبالة وابن شبة عن عبد الرحمن الأعرج أن النبى صلى الله عليه وسلم صَلّى على ذُبَاب .

وروى الثانى عن ربيع بن عبد الرحمن بن أبى سعيد الخدرى قال : ضرب النبى صلى الله عليه وسلم قبَّته على ذباب .

وعن الحارث بن عبد الرحمن قال : بعثَتْ عائشة رضى الله تعالى عنها إلى مروان بن الحكم حين قتل ذبابا وصَلَبه على ذباب تقول : مَوْقِفٌ صلى عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم واتخذْتَهُ مَصْلَبا .

قال أبو غسان : وذباب رجل من أهل اليمن عَدَا على رجل من الأنصار ، وكان عاملا لمروان على بعض مساعى اليمن ، وكان الأنصارى عَدَا على رجل فأخذ منه بقرة ليست عليه ، فتبع ذباب الأنصاريَّ حتى قدم المدينة ، ثم جلس له فى المسجد حتى قتله ، فقال له مروان : ما حملك على قتله ؟ قال : ظلمنى بقرة لى ، وكنت امرأ خبيثَ النفسِ فقتلته ، فقتله مروان وصلَبه على ذباب .

وتقدم من رواية ابن شبة فى اتخاذ المقصورة فى المسجد ما يقتضى أن الرجل الذى ظلمه ساعى مروان اسمه دب ، وأنه إنما هَمَّ بقتل مروان ، فأخذهُ مروان ، فذكر له السبب المتقدم وأنه حبسه ثم أمر به فقتل .

وقال ابن شبة : قال أبو غسان : وأخبرنى بعضُ مشايخنا أن السلاطين كانوا يصلبون على ذباب ، فقال هشام بن عُرْوَة لزياد بن عبيد الله الحارثى : يا عجبا ، يصلبون على مَضْرِب قبة رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فكفَّ عن ذلك زياد وكفت الوُلاَة بعده عنه .

قلت : وقد جعل المطرى فى الكلام على الخندق مَضْرِبَ قبّة النبى صلى الله عليه وسلم هو محل مسجد الفتح من سَلْع ؛ لظنه أن الخندق لم يكن إلا فى غربى سَلْع ، وكأنه لم يطلع على ما هنا . ولم أر لما ذكره أصلا فى كلام غيره ، وقد غاير أبو عبد الله الأسدى بين مسجد الفتح ومسجد ذباب كما قدمناه ، وسيأتى ما يؤخذ منه أن الخندق كان شامى المدينة بين حَرَّتيها الشرقية والغربية .

وفى اتخاذ المسجد على هذا الجبل رد لما أوّل به الطبرانى الصلاةَ عليه بالدعاء فإنه روى بسند فيه عبد المهيمن بن عباس بن سهل عن سهل بن سعد أن النبى صلى الله عليه وسلم صَلى على ذباب ، قال الطبرانى عقبه : بلغنى أن ذبابا جبل بالحجاز

وقوله « صلى » أى بارك عليه .

قلت : صرح ابن الأثير بأنه جبل بالمدينة ، وفى الاكتفاء فى غزوة تبوك ما لفظه : فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب عسكره على ثنية الوَدَاع وضرب عبد الله بن أبى معه على حِدَة عسكره أسفَلَ منه نحو ذباب .

وقد قال الكمال الدميرى : إن فى كتب الغريب أن النبى صلى الله عليه وسلم صلب رجلا على جبل يقال له ذباب ، وإن البكرى قال : هو جبل بجبَّانة المدينة .

وتقدم فى منازل بنى الديل حول ثنية الوَدَاع ذكر الجبَّانة ، وكذا فى ذكر البلاط .

وقال الواقدى فى كتاب الحرة : إنهم لما اصطَفُّوا لقتال جيش الحَرَّة على الخندق ، وكان يزيد بن هرمز فى موضع ذباب إلى مربد النَّعَم معه الدهم من الموالى ، وهو يحمل رايتهم ، وهو أميرهم ، وقد صف أصحابه كَرَادِيسَ بعضها خلف بعض إلى رأس الثنية أى ثنية الوَدَاع .

وهذا كله صريح فى أن ذبابا هو الجبل المذكور ، ولعل السبب فى اشتهار مسجده بمسجد الراية ما ذكره الواقدى من أن يزيد بن هرمز كان فى موضعه ومعه راية الموالى .

وقد تقدم فى منازل يهود قول ابن زبالة : وكان لأهل الشوط الأطمُ الذى يقال له السرعى ، وهو الأطم الذى دون ذباب ، وسيأتى فى ترجمة الشوط أنه قريب من منازل بنى ساعدة ، وقد رأيت لذباب ذكرا فى أماكن كثيرة جدا ، وكلها متفقة على وَصْفه بما يدل على أنه الجبل الذى عليه مسجد الراية ، بحيث زال الشك عندى فى ذلك .

ويؤخذ مما سيأتى فى ترجمة الخندق أن الصخرة ــ التى خرجت من بطن الخندق وهم يحفرونه ، وضربها النبى صلى الله عليه وسلم بالمِعْوَلِ الحديثَ ــ كانت تحته ، لكنه سمى فى تلك الرواية ذو باب بزيادة واو ، والله أعلم .

مسجد القبيح

ومنها : المسجد اللاصق بجبل أحد على يمينك وأنت ذاهب إلى الشعب الذى فيه المهراس ، وهو صغير قد تهدم بناؤه .

قال الزين المراغى : ويقال : إنه يسمى مسجد القبيح .

قلت : وهو مشهور بذلك اليوم ، ويزعمون أن قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تَفَسَّحُوا فى المجالس ـ الآية) نزلت فيه ، ولم أقف على أصل لذلك .

وقال المطرى : يقال : إن النبى صلى الله عليه وسلم صلى فيه الظهر والعصر يوم أُحُدٍ ، بعد انقضاء القتال ، وكأنه لم يقف فيه على شىء .

وقد روى ابن شبة بسند جيد عن رافع بن خديج أن النبى صلى الله عليه وسلم صَلَّى فى المسجد الصغير الذى بأُحُدٍ فى شعب الجرّار على يمينك لازق بالجبل .

مسجد فى ركن جبل عينين

ومنها : مسجد فى ركن جبل عينين الشرقى على قطعة منه ، وهذا الجبل كان عليه الرُّمَاة يوم أُحُدٍ ، وهو فى قبلة مشهد سيدنا حمزةِ رضى الله تعالى عنه ، وقد تهدم غالبُ هذا المسجد .

قال المطرى : يقال : إنه هو الموضع الذى طعن فيه حمزة رضى الله تعالى عنه .

قلت : وكذا هو مشهور اليوم ، وقد ذكر المجد هذا المسجد والذى بعده وقال : ينبغى اغتنامُ الصلاة فيهما ؛ لأنهما لم يبنيا إلا عَلَماً للزائرين ، ومشهداً للقاصدين ، وقول مَنْ قال إن الأول طعن مكانه حمزة والثانى صُرِع فيه فوقع لم يثبت فيه أثر ، وإنما هو قول مستفيض .

ثم قال : ويذكر بعضُ الناس أن المسجد الأول ـ يعنى هذا ـ كُسِرَ فى مكانه ثَنِيَّة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان ما كان من ابتلاء الله تعالى صفيه وخليله عليه الصلاة والسلام ، كل ذلك مقالات يذكرها أهل المدينة لم يَرِدْ بها نَقْل .

قلت : وكلامه وكلام المطرى صريح فى أنهما لم يقفا على ما جاء فيه .

وسيأتى فى قبر حمزة رضى الله تعالى عنه ما رواه ابن شبة من أنه لما قتل أقام فى مَوْضِعِه تحت جبل الرُّماة وهو الجبل المذكور ، ثم أمر به النبى صلى الله عليه وسلم فحُمِل عن بطن الوادى ، وهذا هو محل المسجد الثانى .

وأما هذا المسجد فقد روى ابن شبة فيه عن جابر أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى الظهر يوم أُحُدٍ على عينين الظرب الذى بأحُدٍ عند القنطرة ، وكأنه يعنى بالقنطرة قنطرة العين التى كانت قديماً هناك . وأشار إليها المطرى بقوله عقب ذكر هذا المسجد : وقد تجدَّدَتْ هناك عين ماء ، جَدَّدها الأمير بدر الدين ودى بن جماز صاحب المد ، مفيضها بالقرب من هذا المسجد ، انتهى .

والعين اليوم دائرة ، وقد تقدم فى غزوة أحد أن النبى صلى الله عليه وسلم فى ذهابه إلى أُحُدٍ بات بالشيخان[1] وأَدْلَجَ فى السحَر فانتهى إلى موضع القنطرة ، فحانت الصلاة فصلّى بأصحابه الصبحَ صفوفا عليهم السلاح ؛ فيحتمل أن المراد بذلك هذا المسجد ، ويحتمل — وهو الأظهر — أن يراد به المسجد الآتى ذكره عقبه ؛ لأن فى رواية ابن شبة ذكر صلاة الظهر وأن الموضع من نفس الجبل عند القنطرة ، وفى هذه الرواية صلاة الصبح وأن ذلك فى موضع القنطرة ، والله أعلم .

مسجد العسكر

ومنها : مسجد فى شمالى المسجد المذكور قبله قرب عينين أيضا ، على شفير الوادى ، قد تهدم أكثره ، وكان مبنيا بالحجارة المنقوشة المطابقة على هيئة البناء العمرى ، وفيه بقايا آثار الأساطين ، ولم أقف فيه على شىء سوى ما قدمته من الاحتمال الثانى فى الرواية المتقدمة .

وذكر المطرى أنه يقال : إنه مَصْرَع حمزة رضى الله تعالى عنه ، وإنه مَشَى بطَعْنته من الموضع الأول إلى هناك فصُرِع رضى الله تعالى عنه .

---

(١) قال شارح القاموس: «وشيخان مبنياً على الكسر على ماضبطه ابن الأثير : موضع بالمدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، وهو معسكره صلى الله عليه وسلم يوم أحد ، وبه عرض الناس » اهـ

وقد أشرنا فيما سبق إلى أصل ما جاء فى أن الموضع الثانى مكانُ مَقْتَله ، وإنما أثبتُّه فى المساجد ـ مع ما قدمته من أنى لم أقف فيه على شىء صريح ـ لأن ابن شبة قال ما لفظه : قال أبو غسان : وقال لى غير واحد من أهل العلم من أهل البلد : إن كل مسجد من مساجد المدينة ونَوَاحيها مبنىّ بالحجارة المنقوشة المطابَقَة فقد صلى فيه النبى صلى الله عليه وسلم ، وذلك أن عمر بن عبد العزيز حين بنى مسجد النبى صلى الله عليه وسلم سأل والناسُ يومئذ متوافرون عن المساجد التى صَلّى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بناها بالحجارة المنقوشة المطابقة ، انتهى .

وقد ذكر هذا المسجد أبو عبد الله الأسدى من المتقدمين ، وسماه مسجد العسكر ، فقال فى تعديد المساجد : ومسجد العسكر ، ومسجد يمين هذا فى أصل الجبل ، انتهى ؛ فيتأيد ذلك الاحتمال الثانى المذكور فى الرواية المتقدمة لتسميته بمسجد العسكر ، على أنه قد ورد من حديث أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وَقَفَ على حمزة وقد قُتل ومُثِّل به فلم ير منظراً كان أوجع لقلبه منه ، فقال : رحمك الله أى عَمِّ ، فلقد كنتَ وَصُولاً للرحم ، فَعُولاً للخيرات ، فوالله لئن أظفَرَنى الله بالقوم لأمثِّلَنَّ بسبعين منهم ، فما برح حتى نزل : « وإن عاقبتم فعاقِبُوا بمثل ما عوقبتم به ، ولئن صَبَرْتم لهو خير للصابرين » فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بَلى نصبر . وروى أيضا أن النبى صلى الله عليه وسلم وقَفَ على حمزة وصَلّى عليه حينئذٍ .

قلت : فهذا ما جاء فى أن الموضع المذكور مقتل حمزة كافٍ فى إثباته فى المساجد ، وسيأتى فى بيان المشاهد الخارجة عن البقيع عند ذكر مشهد حمزة رضى الله تعالى عنه بيانُ أن الحجَرَ المثبت على قبره اليوم أخطأ واضعه ، وأنه إنما نقل من هذا المسجد عند تهدُّمه ، وفيه مكتوب بعد البسملة (إنما يَعْمُرُ مساجد الله ـ الآية) هذا مصرع حمزة بن عبد المطلب ومُصَلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

عمره حسين بن أبى الهيجاء سنة ثمانين وخمسمائة ، وكأنه جدده فلما تهدم وسقط ذلك المسن نقل إلى المشهد المذكور كما سنوضحه .

وأما المسجد المقابل لمشهد سيدنا حمزة فى شرقيه وعند بابه فمحدَث ، لم يذكره المطرى ولا غيره ، وليس له أصل فى المساجد المنسوبة للنبى صلى الله عليه وسلم .

مسجد أبى ذر الغفارى

ومنها : مسجد صغير جداً طوله ثمانية أذرع فى ثمانية أذرع على يمين طريق السالك إلى أحُدٍ من طريق الأسواق ، فإذا جاوز البقيع المعروف ببقيع الأسواق قليلا كان على يمينه طريق إذا مشى فيها يسيراً وجَدَ هذا المسجد عند النخيل المعروفة بالبحير ، وهو ثانى المسجدين اللذين ذكرهما المطرى بقوله : وليس بالمدينة مسجد يعرف غير ما ذكر إلا مسجداً على ثنية الوَدَاع ومسجداً آخر صغيراً جداً على طريق السابلة ، وهى الطريق اليمنى الشرقية إلى مشهد حمزة رضى الله تعالى عنه ، يقال : إنه مسجد أبى ذَرٍّ الغفارى رضى الله عنه ، ولم يرد فيهما نقل يعتمد عليه .

قلت : روى البيهقى فى شُعَب الإيمان عن مولى لعبد الرحمن بن عوف قال: قال عبد الرحمن : كنت نائمًا فى رحبة المسجد ، فرأيت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم خارجا من الباب الذى يلى المقبرة ، قال : فلبثت شيئًا ثم خرجْتُ على أثره فوجَدْتُهُ قد دخل حائطا من الأسواق ، فتوضأ ثم صلى ركعتين فسجد سجدةً أطال فيها ، فلما تشهد تبدأت له ، فقلت : بأبى وأمى حين سجدت أشفقت أن يكون الله قد توفَّاكَ من طولها ، فقال : إن جبريل عليه السلام بَشَّرَنى أنه مَنْ صلى علىّ صلى الله عليه ، ومن سلم علىّ سلم الله عليه . قال البيهقى : وقد رويناه من وجه آخر عن محمد بن جبير عن عبد الرحمن ، ومن وجه آخر عن عبد الواحد ابن محمد بن عبدالرحمن بن عوف عن عبد الرحمن لم يذكر فيه الركعتين ، بل ذكر السجود فقط ، فزاد عبدالواحد فى تحديثه : فسجدتُ لله شكراً . ورواه ابن زبالة بالطريق الأولى بلفظها ، إلا أنه قال: فقلت بأبى وأمى لقد سجدْتَ سجدةً أشفقت

إلى آخره . ورواه ابن أبي الدنيا وأبو يعلى والبزار ، إلا أن فى روايتهم : فجئتُهوقد خرج ، فاتبعته ، فدخل حائطاً من حيطان الأسواق ، فصلى فأطال السجود ، فقلت : قَبَضَ الله روحَ رسوله صلى الله عليه وسلم لا أراه أبداً ، فحزنت و بكيت، فرفعرأسه ، فدعانى فقال : ما الذى بك ؟ أو ما الذى وراءك ؟ فقلت : يارسول الله أطلْتَ السجودَ فقلت قبض الله رســوله لا أراه أبدا ، فحزنت و بكيت ، قال : سجدْتُ هذه السجدة شكراً لربى فيما أبلانى فى أمتى أنه قال : مَنْ صلى عليك منهم صلاة كتب له عشر حسنات ، وهذا اللفظ للبزار .

قلت : والأسواق قريبة من موضع هذا المسجد جداً ، و يحتمل أنه محل السجدة المذكورة ، بل هو الظاهر ؛ فلذلك أثبتناه . وحديث عبد الرحمن هذا أخرجه الإمام أحمد بلفظ : خَرَجَ رسولُ اللهصلى اللهعليهوسلم فتوجَّه نحو صدَقته فدخل فاستقبل القبلة ، فخر ساجداً فأطال السجود حتى ظننت أن الله قَبَض نفسه فيها ، فدنَوْتُ منه ، فرفع رأسه وقال : مَنْ هذا ؟ قلت : عبد الرحمن ، قال : ما شأنك ؟ قلت : يارسول الله سجدْتَ سجدة ظننت أن يكون الله قد قبض نفسك فيها ، فقال : إن جبريل أتانى فبشرنى فقال : إن الله عز وجــل يقول : مَنْ صلى عليك صليت عليه ، ومن سلم عليك سلمت عليه ، قال البيهقى فى الخلافيات عن الحاكم قال : هذا صحيح ، ولا أعلم فى سجدة الشكر أصح من هذا الحديث ، انتهى .

وقوله « نحو صدقته » ينبغى حَمْله على الرواية المتقدمة ، ولا يمتنع أن يكون بعض حوائط الأسواق كان من صدقة النبى صلى الله عليه وسلم ، مع أن بالقرب منه موضعا يعرف قديما وحديثا بالصدقة ، أو أن القصة متعددة ، والله أعلم .

مسجد أبى بن كعب (بنى جديلة) (البقيع)

ومنها : مسجد على يمين الخارج من درب البقيع على ما ذكره البرهان ابن فرحون فإنه قال عقب ذكر المسجد المتقدم قبل هذا : إنه لم يرد فيه شىء يعتمد ، ثم قال : وكذلك المسجد الذى فى أول البقيع على يمين الخارج من دَرْب الجمعة، انتهى.

قلت : يعني الموضع الذي في غربي مشهد عقيل وأمهات المؤمنين ، وبه اليوم أسطوان قائمة ، وبلغني أنه كان به عقدان سَقَطا ، وبقاياه شاهدة بأنه كان مبنيا بالحجارة المنقوشة والقَصَّة كالبناء العُمَري ، وقد اتخذ بعض الأشراف الوحاحدة رحبته التي في شامي الأسطوان مقبرة .

وقد ذكر المرجاني أيضاً مسجداً بالبقيع ، وذكر من عند نفسه أنه موضع مُصَلّى النبي صلى الله عليه وسلم العيد بالبقيع ، ولعله يعني هذا المسجد ، وقد قدمنا في ذكر المصلى ما يرده .

والذي ظهر لي أن هذا المسجد هو مسجد أبي بن كعب رضي الله عنه ، ويقال له : مسجد بني جديلة ؛ لأنا قدمنا في منازل بني النجار أن بني جديلة ابتنوا أطماً يقال له مشعط كان في غربي مسجدهم الذي يقال له مسجد أبي ، وفي موضع الأطُم بيتٌ يقال له بيت أبي نبيه ، وسيأتي في ذكر قبور أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وابنته الزهراء رضي الله تعالى عنهن بالبقيع ما يقتضي أن في أوله مما يلي هذه الجهة زقاقا يعرف بزقاق نبيه ، وخوخة تعرف بخوخة آل نبيه . وفي كلام ابن شبة ما يقتضي مجاورة البقيع لبني جديلة واتصالهم به ؛ فترجَّح عندي أنه مسجد أبيّ رضي الله تعالى عنه ، وسيأتي عن المطري ذكر مسجد أبي فيما علمت جهته ولم تعلم عينه من المساجد .

وروى عمر بن شبة عن يحيى بن سعيد قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يختلف إلى مسجد أبي فيصلي فيه غير مرة ولا مرتين ، وقال: لولا أن يميل الناسُ إليه لأكْثَرْتُ الصلاة فيه .

وعن أبي بكر بن يحيى بن النضر الأنصاري عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يُصَلِّ في مسجد مما حَوَته المدينةُ إلا مسجد أبيّ بن كعب ، ثم ذكر مساجد ستأتي .

وروى ابن زبالة عن يوسف الأعرج وربيعة بن عثمان أن النبي صلى الله عليه وسلم صَلّى في مسجد بني جديلة ، وهو مسجد أبيّ بن كعب .

وفى شامى مشهد عقيل أسفل الكومة مسجد صغير طريقه من بين الترب التى هناك أسفل محرابه موجود ، ولم يتعرض لذكره فى المساجد وليس هو على هيآت البناء العُمَرِى ، والله أعلم .

مساجد المصلى — ومنها : مساجد المُصَلّى الثلاثة التى ذكرناها فى الفصل الأول فراجعه .

مسجد ذى الحليفة — ومنها : مسجد ذى الحليفة ميقاتِ أهلِ المدينة ، والمسجد الذى فى قبلته ، وسيأتيان فى المساجد التى صلى فيها النبى صلى الله عليه وسلم بين الحرمين مع بيان محلهما من وادى العقيق الكبير .

مسجد مقمل — ومنها مسجد مقمل ، ذكره المجد هنا ، والصواب ذكره فى المساجد الخارجة عن المدينة ؛ لأنه كما سيأتى على يومين منها ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

الفصل الرابع

فى المساجد التى عُلمتْ جهتها ، ولم تعلم عينها بالمدينة الشريفة

مسجد أبى بن كعب — منها : مسجد أبىّ بن كعب ببنى جديلة ، ويقال : مسجد بنى جديلة من بنى النجار ، على ما تقدم فى المسجد الذى بالبقيع عن المطرى من أن هذا المسجد لا تعرف عينه ، قال : ومنازل بنى جديلة عند بئر ماء شامى سور المدينة .

مسجد بنى حرام — ومنها : مسجد بنى حرام من بنى سلمة من الخزرج ، قد تقدم فى مسجد القبلتين توهيمُ مَنْ جعله إياه ، وما ورد من صلاة النبى صلى الله عليه وسلم بكل منهما . وروى ابن زبالة عن جابر بن عبد الله أن النبى صلى الله عليه وسلم صلّى فى مسجد بنى حَرَام الذى بالقاع ، وأنه رأى فى قبلته نُخَامة ، وكان لا يفارقه عُرْجُون ابن طابٍ يتخصَّر به، فحَكَّه ثم دعا بخَلوق فجعله على رأس العرجون، ثم جعله على موضع النخامة ، فكان أول مسجد خُلِّق . ومنازل بنى حرام بالقاع فى غربى مساجد الفتح ووادى بطحان عند جبل بنى عبيد والعين التى أجراها معاوية رضى الله تعالى عنه .

مسجد الخربة — ومنها : مسجد الخربة لبنى عبيد من بنى سلمة ، وتقدم أن منازلهم كانت

عند مسجدهم هذا إلى الجبل الذى يقال له جبل الدويخل جبل بنى عبيد ، وذلك قرب منازل بنى حرام فى المغرب ، والقاصدُ إلى مسجد القبلتين من جهة مساجد الفتح يمر بمنازلها ، وقد تقدم فى مسجد القبلتين ما روى من صلاته صلى الله عليه وسلم بهذا المسجد . وروى ابن زبالة عن يحيى بن عبد الله بن أبى قتادة عن مشيخته أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم كان يأتى السلافة أم البَرَاء بن مَعْرور فى المسجد الذى يقال له مسجد الخربة دبر القرصة[1] ، وصلى فيه مرارا .

قلت : وسيأتى أن هناك نخل جابر بن عبد الله المذكورة قصته فى قضاء دينه هناك ، ولم يتعرض المطرى ومَنْ تبعه لذكر هذا المسجد . وقد روى يحيى بن الحسن فى كتابه خبر ابن زبالة المذكور ، ورأيته فى النسخة التى رواها طاهر بن يحيى عن أبيه يحيى لفظ : دبر القرصة[1] ، ثم قال عقبة ما لفظه : قال لنا طاهر بن يحيى : هذا فى بنى حارثة ، وكانت القرصة[1] ضيعة ، وهى عند بيت سعد بن معاذ ، انتهى وهو مخالف لمـا تقدم عن ابن زبالة فى المنازل ، والله أعلم .

مسجد جهينة

ومنها : مسجد جهينة وبَلِى ، وروى ابن شبة عن معاذ بن عبد الله بن أبى مريم الجهنى وغيره أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى فى مسجد جُهَينة ، وعن يحيى بن النضر الأنصارى أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يُصَل فى مسجد مما حَوَتْهُ المدينة إلا مسجد أبىّ ، ثم قال : ومسجد جهينة ، إلى آخر ما ذكره ، وعن جابر بن أسامة الجهنى قال : لقيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أصحابه بالسوق فقلت : أين تريدون ورسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالوا : نخطُّ لقومك مسجداً ، فرجعت فإذا قومى قيام وإذا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قد خَطَّ لهم مسجدا وغَرَزَ فى القبلة خشبةً أقامها فيها ، وعنه أيضا قال : خَطَّ النبى صلى الله عليه وسلم مسجدَ جهينة لبلىّ . وروى ابن زبالة عن هشام بن عروة عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خَطَّ المسجدَ الذى لجهينة ولمن هاجر من بَلِىّ ، ولم يصل فيه . وعن خارجة بن الحارث بن رافع بن مكيث الجهنى عن أبيه عن جده

---

(١) فى نسخة « القراصة » بزيادة ألف بعد الراء فى كل المواضع ، وانظر ص ٨٦٤ الآتية .

قال : جاء النبي صلى الله عليه وسلم يَعُودُ رجلا من أصحابه من جهينة من بنى الربعة يقال له أبومريم ، فعاده بين منزل بنى قيس العطار الذى فيه الأراكة و بين منزلهم الآخر الذى يلى دار الأنصار ، فصلى فى ذلك المنزل ، قال : فقال نفر من جهينة لأبى مريم : لو لَحِقْتَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فسألته أن يَخُطَّ لنا مسجدا ، فقال : احملونى ، فحملوه فلحق النبي صلى الله عليه وسلم فقال : مالك يا أبا مريم ؟ فقال : يا رسول الله لو خَطَطْتَ لقومى مسجدا ، قال : فجاء النبي صلى الله عليه وسلم مسجدَ جهينة ، وفيه خيام لبلىّ ، فأخذ ضلعا أو محجَنًا فخطَّ لهم ، قال : فالمنزل لبلىّ ، والخطة لجهينة .

قال الجمال المطرى : وهذه الناحية اليوم معروفة غربى حصن صاحب المدينة ، والسور القديم بينها و بين جبل سلع ، وعنده آثار باب من أبواب المدينة خراب ، ويعرف إلى تاريخه — وهو سنة أربعين وسبعمائة — بدرب جهينة ، والناحية من داخل السور بينه و بين حصن صاحب المدينة ، انتهى .

قلت : قوله « من داخل السور » إن أراد به السور الموجود اليوم فليس بصحيح ؛ لأن ما كان داخل هذا السور فيما بينه و بين حصن صاحب المدينة فهو من السوق كما تقدم بيانه ، ومنازل هؤلاء كانت فى غربى السوق قبلى ثنية عثعث المنسوبة إلى سليع — وهو الجبل الذى عليه حصن أمير المدينة و يمتد فى جهة المغرب إلى بنى سلمة — وإن أراد أن الناحية المذكورة من داخل السور القديم فصحيح ، غير أن الداخل فيه بعضها لا كلها .

مسجد بنى غفار

ومنها : المسجد الذى عند بيوت المطرف ، وهو المتقدم ذكره فى منازل بنى غفار .

روى ابن زبالة عن أنس بن عياض عن غير واحد من أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صَلّى فى المسجد الذى عند بيوت المطرف ، عند خيام بنى

غفار ، وأن تلك المنازل كانت منازل آل أبى رهم كُلْثُوم بن الحصين الغفارى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال المطرى : وليست الناحية معروفة اليوم .

قلت : عرف مما تقدم فى منازل بنى غفار وفى دار السوق أنها فى غربى سوق المدينة بالقرب من منزل جهينة الذى يلى ثنية عثعث من جهة القبلة .

مسجد بنى زريق

ومنها : مسجد بنى زُرَيْق — بتقديم الزاى كزبير — من الخزرج .

روى ابن زبالة عن عمر بن حنظلة أن مسجد بنى زرَيْق أول مسجد قرئ فيه القرآن ، وأن رافع بن مالك الزُّرَقى لما لقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعَقَبة أعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أنزل عليه فى العشر سنين التى خلت ، قال : فقدم به رافع المدينة ، ثم جمع قومَه فقرأه عليهم فى موضعه ، وهو يومئذ كوم ، قال : وعجب النبى صلى الله عليه وسلم من اعتدال قبلته .

وعن مروان بن عثمان بن المعلى قال : أول مسجد قرئ فيه القرآن مسجد بنى زُرَيْق .

وعن يحيى بن عبد الله بن رفاعة قال : توضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ، وعَجِبَ من اعتدال قبلته ، ولم يصل فيه .

وروى ابن شبة عن معاذ بن رفاعة الزُّرَقى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخَلَ فى مسجد بنى زريق ، وتوضأ فيه ، وعجب من قبلته ، ولم يصل فيه ، وكان أول مسجد قرئ فيه القرآن .

قلت : تقدم فى المنازل أن محل قرية بنى زريق فى قبلة المصلى وما والاها فى المشرق داخل السور وخارجه ، وتقدم فى ذكر الدور المحيطة بالبلاط الممتدِّ من باب المدينة المعروف بدرب سويقة إلى باب السلام ما يبين أن هذا المسجد كان فى قبلة الدور التى عن يمين السالك من درب سويقة المذكور قريبا منه ، وهو

المذكور فى حديث السباق بين الخيل التى لم تضمر ، قال عياض : و بينه و بين ثنية الوداع ميل أو نحوه .

قلت : و بين ثَنِيَّة الوَدَاع و بين الموضع الذى ذكرناه نحو الميل ، وهو قريب من جهة محاذاة ثنية الوداع فى جهة القبلة .

وقد حدث فى جهة قبلة المُصَلَّى مما يلى المغرب مسجدان ، أحدثهما شمسُ الدين محمد بن أحمد السلاوى بعد الخمسين وثمانمائة : الأول منهما على شَفِير وادى بطحان على عُدْوته الشرقية ، والثانى بعده فى جهة القبلة على رابية مرتفعة من الوادى أيضا فى غربيه فى مقابلة المطرية ، وكان موضعه فى تلك الرابية فكان يطبخ فيه الآجرُّ ، و إنما نبهت على ذلك لئلا يتقادم العهد بهما فيظن أن أحدهما مسجد بنى زريق ؛ لكون ذلك بالناحية المذكورة ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

مسجدان لبنى ساعدة

ومنها : مسجدان لبنى ساعدة من الخزرج ، وسقيفتهم .

روى ابن شبة عن المطلب بن عبد الله أن النبى صلى الله عليه وسلم صَلَّى فى مسجد بنى ساعدة ، وجلس فى سقيفتهم القصوى . وعن العباس بن سَهْل أن النبى صلى الله عليه وسلم صَلَّى فى مسجد بنى ساعدة فى جوف المدينة . وعن سعد بن إسحاق بن كعب أن النبى صلى الله عليه وسلم صَلَّى فى مسجد بنى ساعدة الخارج من بيوت المدينة . وعن سهل بن سعد أن النبى صلى الله عليه وسلم جَلَسَ فى سَقِيفة بنى ساعدة القُصْوى . وعن عبد المنعم بن عباس عن أبيه عن جده أن النبى صلى الله عليه وسلم جَلَسَ فى السَّقِيفة التى فى بنى ساعدة ، وسقاه سهل بن سعد فى قَدَح .

وروى ابن زبالة حديثَ سهل بن سعد المتقدم ، ثم روى عن عبد المهيمن بن عباس بن سهل بن سعد عن أبيه عن جده قال : جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سقيفته التى عند المسجد ، ثم استسقانى فخُضْتُ له وَطْبة ، فشرب ثم قال : زدنى ، فخُضْتُ له أخرى فشرب ، ثم قال : كانت الأولى أطْيَبَ من الآخرة ، فقلت : هما يا رسول الله من شئ واحد .

قوله « فخضت له » كذا هو فى نسخة ابن زبالة . ورواه المطرى كذلك ، وكذا كان فى خط الزين المراغى ، ثم رأيته مصلحا « فمخضت له » وكأن الذى ألحق الميم أخذ ذلك من كون الوَطْب سِقَاء اللبن ؛ فالمناسب له المخض ، ولا مانع من إطلاق الخَوْضِ على المخض .

وقد تلخص من ذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم صَلّى فى مسجدَىْ بنى ساعدة ، وجلس فى سقيفتهم ، والجلوس فى سقيفتهم مذكور فى الصحيح ، وهى السقيفة التى وقعت بَيْعَةُ أبى بكر رضى الله تعالى عنه فيها ، والظاهر أنها كانت عند دار سعد بن عبادة ، ويدل على ذلك ما فى الصحيح من حديث الجوينية — وهى العائذة — من حديث سهل بن سعد حيث ذكر دخول النبى صلى الله عليه وسلم عليها ، وخروجه من عندها ، ثم قال : فأقبل النبى صلى الله عليه وسلم يومئذ حتى جلس فى سقيفة بنى ساعدة هو وأصحابه ، ثم قال : اسْقِنَا ياسهلُ ، فخرجْتُ لهم بهذا القَدَح فسقيتهم فيه ، الحديثَ . فطلبه صلى الله عليه وسلم من سهل بن سعد أن يسقيه وقد جلس فى سقيفتهم دالّ على قُرْب منزله منها ، ويدل لذلك أيضا اجتماعُ الأنصار بها عند سَعْد رضى الله تعالى عنه يوم السقيفة ، وكان سعد مريضا ، وقد أسلفنا فى منازل بنى ساعدة أنهم افترقوا فى أربعة منازل ؛ فمنزلهم الأول فى شرقى سوق المدينة وفيه بئر بُضاعة هو المراد بحديث الصلاة فى مسجدهم الذى فى جوف المدينة .

وأما مسجدُهم الخارج عن بيوت المدينة فيظهر أنه فى منزلهم الرابع ، وأنه فى شامى ذباب الجبل الذى عليه مسجد الراية ؛ لما سيأتى فى ترجمة الشوط من أن فى رواية لابن سعد أن الجوينية أنزلت بالشوط من وراء ذباب فى أطم . وفى رواية أخرى « فنزلت فى أجم بنى ساعدة » .

سقيفة بنى ساعدة

وأما سقيفة بنى ساعدة فيظهر أنها فى منزلهم الثالث ، وهو منزل بنى أبى خزيمة بن ثعلبة بن طريف ؛ لأنهم رَهْطُ سعد ، ولأن جِرَاره التى كان يسقى

فيها المـاء بعد وفاة أمه كانت لهـا ، وهو قريب من منزلهم الرابع ، كما يؤخذ مما قدمناه فى المنازل ، وذلك فى شامى سوق المدينة قرب ذباب .

وقد ترجَّحَ عندى الآن خَطَأ ما قدمته هناك من احتمال أن تكون جرار سعد عند الموضع المعروف اليوم بسقيفة بنى ساعدة قرب مقعد الأشراف الوحاحدة من سويقة . وقد قدمنا قول المطرى إن قرية بنى ساعدة عند بئر بُضَاعة ، والبئر وسط بيوتهم ، قال : وشمالى البئر اليوم إلى جهة المغرب بقية أطم من آطام المدينة نقل أنه فى دار أبى دجانة الصغرى التى عند بئر بضاعة ، وأبو دجانة من بنى ساعدة ، ذكر ذلك فى بيان مسجد بنى ساعدة وسقيفتهم مقتصرا على مسجد واحد ، وقال : إنه مسجد بنى ساعدة رهط سعد بن عبادة ، وليس ما ذكره منزل رهط سعد ؛ لمـا قدمناه .

وأغرب رزين العبدرى فزعَم أن سقيفة بنى ساعدة معروفة بقباء ، وهو وهم

وروى ابن زبالة عن هند ابنة زياد زوجة سهل بن سعد الساعدى قالت : لمـا دخلْتُ على سهل رأيت المسجد فى وسط البيت فقلت : ألا إلى العريش أو إلى الجدار ، فقال : إن النبى صلى الله عليه وسلم جلس ههنا ، وهو البيت الذى صار لابن حمران .

مسجد بنى خدارة

ومنها : مسجد بنى خدارة إخوة بنى خدرة من الخزرج .

روى ابن شبة عن شيخ من الأنصار أن النبى صـلى الله عليه وسلم صلى فى مسجد بنى خدارة ، وحلق رأسه فيه . وعن هشام بن عُرْوَة أنه صلى الله عليه وسلم صَلَّى به . وعن عمرو بن شرحبيل أن النبى صلى الله عليه وسـلم وضَعَ يدَه على الحجر الذى فى أجم سعد بن عبادة عند جِرَار سعد ، وصَلَّى فى مسجد بنى خدارة

قلت : قد تقدم ذكْرُ جِرار سعد فى منزل بنى ساعدة الثالث ، وبيان أنها كانت حَدَّ سوقِ المدينة من جهة الشام قرب ثنية الوداع ، وأن منازل بنى خدارة كانت بجرار سعد .

وقال المطرى : هذه الدار قبلى دار بنى ساعدة وبئر بُضَاعة مما يلى سوق المدينة .

وإذا تأملت ما قدمناه فى منازل بنى ساعدة علمتَ أنَ هذه هى دارهم الثالثة التى بها رَهْط سعد ، وعندها السقيفة ، وليس بها لبنى ساعدة مسجد ، وينبغى أن لا يغفل عما قدمناه من حدوث مسجد فى منزلة الحاج الشامى قبليّ المنهل الذى عند مشهد النفس الزكية ، أنشأه قاضى الحرمين العلامة محيي الدين الحنبلى هناك؛ فلا يتوهّم أنه أحدُ هذه المساجد ، والله أعلم .

مسجد راتج

ومنها : مسجد راتج ؛ لم يتعرض المطرى ومن تبعه لذكره .

وقد روى ابن شبة عن خالد بن رياح أن النبى صلى الله عليه وسلم صَلّى فى مسجد راتج ، وشرب من جاسوم [1] ، وهى بئر هناك .

وروى ابن زبالة صلاتَه صلى الله عليه وسلم فى مسجد راتج عن خالد بن رباح عن رجل من بنى حارثة . وسيأتى أن جاسوم [1] بئر أبى الهيثم بن التيهان ، وأن النبى صلى الله عليه وسلم صَلى فى حائطه . وراتج تقدم فى المنازل أنه أطم سميت به الناحية ، وأن بنى الشطية كانوا إحدى قبائل راتج الثلاث ، وأن ممن كان به بنى زَعُورَاء إخوة بنى عبد الأشهل ومنهم أبو الهيثم بن التّيهان ؛ ولهذا نقل الأقشهرى عن المحب الطبرى أنه ذكر المساجد التى كانوا يصلون فيها بأذان بلال فقال : ومسجد بنى راتج من بنى عبد الأشهل .

قلت : وصواب العبارة « مسجد راتج » وقد سبق ذكر راتج أيضاً فى منازل مزينة من المهاجرين حيث قال فيها : ونزلت بنو ذكْوَان من بنى سليم مع أهل راتج من اليهود ما بين دار قدامة إلى دار حسن بن زيد بالجبانة . وسيأتى ذكر الجبانة فى ترجمة ذباب . وسيأتى لراتج ذكر فى ترجمة الخندق ، ومنه يؤخذ أنه كان فى شرقى ذباب الذى عليه مسجد الراية جانحاً إلى جهة الشام ، وبعده فى المشرق منزل بنى عبد الأشهل .

(١) فى نسخة « جاسم » .

وقال المطرى : إن فى غربى وادى بطحان من جهة مساجد الفتح جبلين صغيرين : أحدهما يقال له راتج ، ويقال للذى إلى جنبه جبل أبى عبيد .

قلت : وإن صَحّ ما ذكره فليس هو المراد هنا ؛ لأن تلك الجهة ليست فى منازل بنى عبد الأشهل وإخوتهم المذكورين . والذى صرح به ابن زبالة وغيره أنه اسْمُ أطُم كما قدمناه ، فهو المعتمد والله أعلم .

مسجد واقم

ومنها : مسجد بنى عبد الأشهل من الأوس ، ويقال له مسجد واقم .

روى أبو داود والنسائى عن كعب بن عجرة أن النبى صلى الله عليه وسلم أتى مسجد بنى عبد الأشهل فصَلّى فيه المغربَ ، فلما قضوا صلاتهم رآهم يسجدون[1] بعدها ، فقال : هذه صلاة البيوت ، وإسناده جيد ، إلا أن فيه إسحاق بن كعب ابن عجرة مجهول الحال .

وروى ابن شبة عن محمود بن لبيد قال : صلى النبى صلى الله عليه وسلم صلاة المغرب فى مسجد بنى عبد الأشهل ، فلما فرغ من صلاته قال : صَلّوا هاتين الركعتين فى بيوتكم ، ومحمود بن لبيد من صغار الصحابة ، وجُلُّ روايته عن الصحابة ، وفى إسناده عَنْعنة ابن إسحاق ، ورواه أحمد برجال ثقات ، ولفظه : أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسجدنا فصَلّى بنا المغرب ، فلما سلّم منها قال : اركعوا هاتين الركعتين فى بيوتكم ، للسبحة بعد المغرب ، ورواه ابن ماجه عن محمود بن لبيد عن رافع بن خديج قال : أتانا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى بنى عبد الأشهل ، فصلّى بنا المغرب فى المسجد ، الحديثَ ، وفى إسناده متروك

وروى ابن شبة وابن ماجه عن عبد الله بن عبد الرحمن قال: جاءنا النبى صلى الله عليه وسلم فصَلّى بنا فى بنى عبد الأشهل، فرأيته واضعاً يديه على ثوبه إذا سجد : وعبد الله بن عبد الرحمن ليست له صحبة ، قال الذهبى :وصوابه عن أبيه عن جده.

وقد روى ابن ماجه عقبه عن عبد الله بن عبد الرحمن بن ثابت بن الصامت

(١) فى نسخة « يسبحون بعدها » والمراد على كل حال باللفظين يصلون .

عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صَلّى فى بنى عبد الأشهل ، وعليه كساء مُلْتَفٌ به يَضَعُ يديه عليه يَقِيهِ برد الحصى .

ورواه ابن شبة بنحوه ، وفى إسناد كل منهما ضعيف .

وروى ابن شبة عن إبراهيم بن إسماعيل بن أبى حبيبة ــ وهو ضعيف ــ عن أبيه مُعْضَلا قال : صَلّى النبى صلى الله عليه وسلم وهو فى مسجد واقم فى بنى عبد الأشهل وعليه بَرْنَكَان[1] لم يفض بيديه من البَرْنَكَان إلى الأرض .

وعن أم عامر أنها رأت النبى صلى الله عليه وسلم وهو فى مسجد بنى عبد الأشهل أتى بعرق فتعرّقه ، ثم صلى ولم يمسّ ماء .

ورواه ابن زبالة إلا أنه قال : إنها قالت : أتيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بعرق فتعرقه وهو فى مسجد بنى عبد الأشهل ، ثم قام فصلى ولم يتوضأ .

وروى يحيى عن بكر بن عبد الوهاب عن محمد بن عمر قال : قالوا : كان بالمدينة تسعةُ مساجدَ يسمعون فيها مؤذن النبى صلى الله عليه وسلم ؛ فيصلون فى مساجدهم ، ولا يأتون مسجد النبى صلى الله عليه وسلم ، إلا يوم الجمعة فإنهم كانوايجمعون فيه ، وربما خَرَجَ رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى الظهر إلى مسجد بنىعبدالأشهل فيصلى العصر والمغرب فى مسجد بنىعبدالأشهل ، ولم تكن دار كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر لها غِشْيَانا من دار بنى عبد الأشهل قبل وفاة سعد بن معاذ و بعد وفاته .

قلت : والأخبار فى الصلاة فى هذا المسجد كثيرة ، وهو غير معروف اليوم ، وتقدم أن المطرى قال : إن دار بنى عبد الأشهل قبلى دار بنى ظَفَر مع طرف الحرة الشرقية المعروفة بحَرَّة واقم ، وكأنه أخَذَه من قول يحيى فى مسجد بنى ظفر : إنه دون مسجد بنى الأشهل ، ولا دَلالة فى ذلك على ما قاله ، والصواب

---

(١) هو كزعفران : ضرب من الأكسية ا هـ من هامش الأصل

ما قدمناه فى منازلهم من أنها كانت فى شامى بنى ظفر بالحرّة المذكورة وما والاها بين بنى ظفر و بنى حارثة ، وسيأتى فى ترجمة الخندق ما يصرح بذلك . ويؤيده ما سيأتى فى مسجد القرصة من أنها ضيعة لسعد بن معاذ ، والقرصة معروفة اليوم بالجهة التى ذكرناها . و بنو عبد الأشهل هم رهط سَعْد بن مُعَاذ وأسيد بن حضير ، وقد رأيت قرب القرصة آثار منازل كثيرة الظاهرُ أنها منازلهم ، ويؤيده أن فيما نقله الواقدى عن كتاب مسرف بن عقبة إلى يزيد بعد مَقْتَلة الحرّة «إنى فرقتُ أصحابى على أفواه خنادقهم ؛ فوليت الحصين بن نمر ناحية ذباب وما والاها ، ووجهت حبيش بن دلجة إلى ناحية بقيع الغرْقد ، وكنت ومَنْ معى من قواد أمير المؤمنين فى وجه بنى حارثة ، فأدخلنا عليهم الخيل حين ارتفع النهار من ناحية بنى عبد الأشهل ، فما صليت الظهر إلا فى مسجدهم ، و إنا أوقعنا بهم السيوف فقتلنا مَنْ أشرَفَ لنا منهم ، وتبعنا مُدْبِرَهم ، وأجْهَزْنا على جريحهم ، وانتهبناها ثلاثاً » انتهى .

وقد تقدم فى الفصل الخامس عشر من الباب الثانى أن بعض بنى حارثة فتح لأهل الشام طريقاً من قبلهم ، وأنهم أتوا من قبل بنى حارثة . ونقل الواقدىُّ أن أول ما انتهبت والحربُ بعد لم تنقطع دار بنى عبد الأشهل ، أى لأنها التى كانت تليهم بعد الدخول من بنى حارثة ، والله أعلم .

مسجد القرصة

ومنها : مسجد القرصة — روى رزين عن يحيى بن قتادة عن مشيخة قومه أن النبى صلى الله عليه وسلم كانَ يأتى دُورَ الأنصار فيصلى فى مساجدهم ، فصلى فى مسجد القرصة ، والقرصة : ضَيْعة لسعد بن معاذ ، قال الزين المراغى : فلعلها القرصة المعروفة اليوم بطرف الحرة الشرقية من جهة الشمال ؛ لأنها قريبة من منازل بنى عبد الأشهل رهط سعد ، غير أن المسجد لا يعرف فيها اليوم .

قلت : رأيت بها قرب البئر على رابية أثرَ مسجدٍ ، والله أعلم .

مسجد بنى حارثة

ومنها : مسجد بنى حارثة من الأوس ، روى ابن شبة عن الحارث بن سعد ابن عبيد الحارثى أن النبى صلى الله عليه وسلم صَلّى فى مسجدِ بنى حارثة .

وروى ابن زبالة عن إبراهيم بن جعفر عن أبيه أن النبى صلى الله عليه وسلم صَلّى فى مسجد بنى حارثة ، وقضى فيه فى شأن عبد الرحمن بن سهل ، يعنى المقتول بخيبر ، أخى عبد الله بن سهل أبنى عم حُوَيصة ومُحَيصة .

وتقدم فى المنازل أن بنى حارثة تحوّلوا قبل الإسلام من دار بنى عبد الأشهل إلى دارهم فى سَنَد الحرّة التى بها الشيخان شامىّ بنى عبد الأشهل ، خلاف ما ذكره المطرى من أن منازلهم بيثرب .

مسجد الشيخين (البدائع)

ومنها : مسجد الشيخين ، ويقال له « مسجد البدائع » .

روى ابن شبة عن المطلب بن عبد الله أن النبى صلى الله عليه وسلم صَلّى فى المسجد الذى عند الشيخين ، وبات فيه ، وصلى فيه الصبح يوم أحُدٍ ، ثم غدا منه إلى أحد .

وعن ابن عباس عن سعد أن النبى صلى الله عليه وسلم صَلى فى المسجد الذى عند البدائع عند الشيخين ، وبات فيه حتى أصبح ، والشيخان : أطمان .

وعن أم سلمة رضى الله تعالى عنها قالت:أتيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فى مسجد البدائع بشِوَاء ، فأكله ، ثم بات حتى غدا إلى أحد .

وروى ابن زَبَالة عن جعفر بن محمد عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صَلى فى المسجد الذى عند الشيخين ، وأنه غَدَل من ثمّ يوم أحُدٍ إلى أحد .

ورواه يحيى من طريق ابن زبالة ، قال ابنه طاهر بن يحيى عقبه : ويعرف اليوم بمسجد العدوة .

وروى يحيى أيضاً عن محمد بن طَلْحة قال : المسجدُ الذى صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة حين راح أى إلى أحد من هٰهنا هو المسجد الذى على يمينك إذا أردت قناة ، أى وادى الشطاة ، صلى فيه النبىّ صلى الله عليه وسلم

العَصْرَ والعشاء والصبح ، ثم غدا إلى أُحُـــدٍ يوم السبت .

وسيأتى فى الشيخين قولُ المطرى : إنه موضعٌ بين المدينة وجبل أحد على الطريق الشرقية مع الحَرّة إلى جبل أحد . وتقدم قول ابن زبالة : وكان لبعض مَنْ هناك من اليهود الأُطمان اللذان يقال لهما الشيخان بقُفُضَاهما المسجدُ الذى صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سار إلى أحد .

مسجد بنى دينار

ومنها : مسجد بنى دينار بن النجار من الخزرج — روى ابن شبة عن يحيى بن النضر الأنصارى أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى فى مسجد بنى دينار ، وعن عبد الله بن عقبة بن عبد الملك أن النبى صلى الله عليه وسلم كان كثيراً ما يُصَلِّى فى مسجد بنى دينار عند الغسالين .

وروى ابن زبالة عن أيوب بن صالح الديناري أن أبا بكر الصديق رضى الله تعالى عنه تزوّجَ امرأة منهم ، فاشتكى ، فكان النبى صلى الله عليه وسلم يَعُوده ، فكلَّموه أن يُصَلِى لهم فى مكانٍ يصلون فيه ، فصلى فى المسجد الذى ببنى دينار عند الغسالين .

وتقدم فى المنازل عن المطرى أن دارهم بين دار بنى جديلة التى عند بير حاء وبين دار بنى معاوية أهل مسجد الإجابة ، وأن ابن زبالة صرح بخلافه ، حيث قال : نزلوا دارهم التى خلف بطحان الذى فى شقه الغربى مما يلى الحرة .

قلت : ويؤيده ما سيأتى فى الخندق ، أنهم خَنْدَقُوا من مسجد القبلتين إلى دار ابن أبى الجنوب بالحرة ، وذلك لأن منازلهم فى تلك الجهة ، ولأن ابن زبالة قال : إن بنى سواد من بنى سلمة نزلوا عند مسجد القبلتين إلى أرض ابن عبيد الدينارى ، وسيأتى أن نَقْبَ بنى دينار هو طريق العقيق بالحرة الغربية ، وبه السقيا كما قال الواقدى ، فإنما كانوا بالحرة الغربية ، وقد سمى الأسدى مسجدهم بمسجد الغسالين ؛ لما تقدم من أنه كان عند الغسالين .

وفى غربى وادى بطحان بالحرة موضع يعرف اليوم بالمغسلة[1] ، قال المجد : كان يغسل فيها ، قال : وهى اليوم حديقة كثيرة النخيل من أقرب الحدائق إلى المدينة ، انتهى . فلعل ذلك فى موضع منازلهم .

وقد رأيت هناك حجراً عليه كتابة كوفية فيها ما لفظه : مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم . وعنده آثار يظهر أنها من آثار المسجد ، وقد بنى صاحب المغسلة هناك مسجداً فى تلك الآثار ، وجعل الحجَرَ فيه .

مسجد بنى عدى، ومسجد دار النابغة

ومنها : مسجد بنى عدى بن النجار ، ومسجد دار النابغة فى بنى عدى أيضاً — روى ابن شبة عن يحيى بن عمارة المازنى أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى فى دار النابغة ، واغتسل فى مسجد بنى عدى .

وعن يحيى بن النضر أن النبى صلى الله عليه وسلم صَلى فى مسجد دار النابغة ومسجد بنى عدى .

وعن هشام بن عُرْوَة أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى فى مسجد بنى عدى وفى بيت صرمة فى بنى عدى .

ورواه ابن زبالة عنه بلفظ : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى فى مسجد دار النابغة وفى مسجد بنى عدى .

وتقدم عن المطرى أن منازل بنى عدى غربى المسجد النبوى ، ولم أر لغيره ما يوافقه ولا ما يخالفه ، إلا أن النضر والد أنسٍ خادمِ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان منهم .

وسيأتى فى بئره ما يبين أن داره كانت شامى المسجد النبوى عند بنى جديلة .

ودار النابغة : هى المرادة بما رواه ابن شبة عن أبى زيد النجارى قال : قبرَ عبد الله بن عبد المطلب — يعنى والد رسول الله صلى الله عليه وسلم — فى دار النابغة قال عبد العزيز : ووصَفَه لى محمد بن عبد الله بن كريم فقال : تحت عتبة البيت الثانى على يَسَار من دخل دار النابغة .

---

(١) المغسلة : موضع باق إلى اليوم معروف بهذا الاسم (حسب الله) .

وقال ابن عبد البر : توفى عبدُ الله والدُ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، وقبرُه بها فى دار من دور عدى بن النجار ، قال ابن الجوزى : هى دار النابغة .

مسجد بنى مازن

ومنها : مسجد بنى مازن بن النجار — روى ابن زبالة عن يعقوب بن محمد أن النبى صلى الله عليه وسلم خَطَّ مسجدَ بنى مازن ولم يُصَلِّ فيه .

وفى رواية عنه : وَضَعَ مسجد بنى مازن بيده ، وصَلّى فى بيت أم بردة فى بنى مازن .

قلت : أم بردة هذه هى مرضعة إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتوفى عندها ، وحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وفاته فى بيتها ، وظاهر ما سيأتى فى بقيع الزبير من قول ابن شبة فى بعض دوره على يَسَارك إذا أردت بنى مازن ، وكذا ما قدمناه عنه فى منازل مزينة ومن حل معها أن منازل بنى مازن قرب منازل بنى زريق مما يلى القبلة والمشرق ؛ لأنه قال بعد ذكر منازل بنى زريق مالفظه : إلى أن يلقى بنى مازن بن عدى بن النجار ، لكن قوله ابن عدى خطأ فى النسخة لأن مازنا هو ابن النجار نفسه ، وعدى أخوه .

وتقدم عن المطرى أن منازل بنى مازن قبلى بئر البصة فى الناحية المسماة اليوم بأبى مازن[1] ، قال : وكان إبراهيم ابن النبى صلى الله عليه وسلم مسترضَعًا فيها عند امرأة أبى سيف العين .

مسجد بنى عمرو

ومنها: مسجد بنى عمرو بن مبذول بن مالك بن النجار — روى ابن زبالة وابن شبة عن هشام بن عروة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صَلَّى فى مسجد بنى عمرو بن مبذول.

وروى ابن شبة عن يحيى بن النضر نحوه ، ولم يذكر المطرى ومن تبعه هذا المسجد ، ولم يعد بنى مبذول فى بطون بنى النجار .

وتقدم فى المنازل أن منزلهم كان عند بقيع الزبير ؛ فتؤخذ جهته من المسجد بعده .

---

(١) أبو مازن لايعرف اليوم وهناك بئر تسمى زيانة لعله هو (حسب الله)

مسجد بقيع الزبير

ومنها : مسجد بقيع الزبير[1] ــ روى ابن زبالة عن عطاء بن يسار أن النبي صلى الله عليه وسلم صَلى الضحى فى بقيع الزبير ركعتين ، فقال له أصحابه : إن هذه الصلاة ما كنت تصليها ، قال : إنها صلاة رَغَب ورَهَب فلا تَدَعُوها .

وسيأتى فى بقيع الزبير أنه فى شرقى بنى زريق ، مُجاور لدور بنى غنم إلى جانب البقال .

مسجد صدقة الزبير

ومنها : مسجد صدقة الزبير ببنى محمم ــ روى ابن زبالة عن هشام بن عروة أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى فى المسجد الذى وضعه الزبير فى بنى محمم .

ورواه ابن شبة عنه بلفظ : فى صدقة الزبير فى بنى محمم .

قلت : وذلك بالجزع المعروف بالزبيريات ، غربى مَشْرَبة أم إبراهيم ، وقبلتها بقرب خنافة والأعواف ، وهما من أموال بنى محمم .

وقال الشافعى رحمه الله : وصدقة النبي صلى الله عليه وسلم قائمة عندنا ، وصدقة الزبير قريب منها .

ونقل ابن شبة عن أبى غسان أن النبي صلى الله عليه وسلم أقْطَعَ الزبيرَ ماله الذى يقال له بنو محمم من أموال بنى النضير ، فابتاع إليه الزبير أشياء من أموال بنى محمم ، فتصدق بها على ولده .

وفى سنن أبى داود عن أسماء بنت أبى بكر أن النبي صلى الله عليه وسلم أقْطَعَ الزبير نخلا .

وعن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم أقْطَعَ الزبير حُضْرَ فرسِهِ ، فأجرى فرسه حتى قام ، ثم رمى سوطه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أعْطوه حيث بلغ السوط .

وفى الصحيح قصة الرجل الذى نازع الزبير فى السقى بشراج الحرة ، وسنبين أنها حرة بنى قريظة .

وروى الطبرانى أن ذلك الرجل من بنى أمية بن زيد ، ومنازلهم وأموالهم عند هذه الحرة .

---

(١) لعله داخل الرستمية (حسب الله) .

وفى حديث أسماء فى قصة حملها النوى من أرض الزبير أنها كانت على ميلين من المدينة ، وكله مؤيد لسكونها الموضع المعروف اليوم بالزبيريات .

ويؤيده أيضاً أن كثيراً منها بأيدى جماعة من ذرية الزبير بن العوام يعرفون اليوم بالكماة .

مسجد بنى خدرة

ومنها : مسجد بنى خُدْرة إخوة بنى خدارة من الخزرج — روى ابن زبالة عن هشام بن عروة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صَلّى فى مسجد بنى خُدْرة .

وعن يعقوب بن محمد بن أبى صعصعة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صَلى فى بعض منازل بنى خُدْرة ؛ فهو المسجد الصغير الذى فى بنى خُدْرة مقابل بيت الحية .

وروى ابن شبة عن ربيع بن عثمان أن النبي صلى الله عليه وسلم صَلى فى بيتٍ إلى جنب مسجد بنى خُدْرة .

وروى هو وابن زبالة عن ربيع بن عبد الرحمن بن أبى سعيد الخدرى عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يُصَل فى مسجد بنى خُدْرة .

وتقدم فى المنازل أن بنى خدرة ابتنوا بدارهم أطماً يقال له الأجرد ، ويقال لبئره البصة ، كان لجد أبى سعيد الخدرى ، قال المطرى : وبعضُه باقٍ إلى اليوم

قلت : وهو الذى ابتَنَى عليه الزكوى بن صالح المنزلَ الذى عند بئر البصة التى اتخذ لها الدرجة الآتى ذكرها

وقوله فى رواية ابن زبالة « مقابل بيت الحية » كأنه يشير إلى البيت الذى اتفقت به قصة الحية المذكورة فى صحيح مسلم عن أبى السائب أنه دخل على أبى سعيد الخُدْرى فى بيته ، قال : فوجدته يُصَلى ، فجلست أنتظره حتى يقضى صلاته ، فسمعت تحريكا فى عراجينَ فى ناحيةِ البيت ، فالتفتُّ فإذا هى حية ، فوثبت لأقتلها، فأشار إلىّ أن أجلس، فجلست، فلما انصرف أشار إلى بيت فى الدار

فقال : أترى إلى هذا البيت ؟ فقلت : نعم ، قال : كان فتًى منا حديث عهد بعُرْس ، قال : فخرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الخندق ؛ فكان ذلك الفتى يستأذن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بأنصاف النهار فيرجع إلى أهله ، فاستأذنه يوما ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : خُذْ عليك سلاحَكَ فإنى أخشى عليك قريظة ، فأخذ الرجلُ سلاحَه ثم رجع ، فإذا امرأته بين البابين قائمة فأهوَى إليها الرمح ليطعنها به ، وأصابته غيرة ، فقالت له : اكْفُفْ عليك رمحك وادخل البيت حتى تنظرَ ما الذى أخرجنى ، فدخل فإذا بحية عظيمة مُنْطَوِية على الفرش ، فأهوى إليها بالرمح فانتظمها ، ثم خرج فركزه فى الدار ، فاضطربت عليه فما يدرى أيهما كان أسْرَعَ موتا الحية أم الفتى ، قال : فجئنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرناذلك له ، وقلنا : ادع الله يُحْيِهِ لنا ، فقال : استغفروا لصاحبكم ، ثم قال : إن بالمدينة جِنًّا قد أسلموا ، فإذا رأيتم منهم شيئاً فآذنوه ثلاثة أيام ، فإن بدا لكم بعد ذلك فاقتلوه فإنما هو شيطان .

مسجد بنى الحارث ومسجد السنح

ومنها : مسجد بنى الحارث بن الخزرج ، ومسجد السنح — روى ابن شبة عن هشام بن عروة أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى فى مسجدِ بنى خدارة وبالحبلى وبالحارث بن الخزرج ومسجد السنح ، ورواه ابن زبالة بلفظ : مسجد بنى الحارث بن الخزرج ومسجد السنح .

قلت : تقدم أن منازل بنى الحارث شرقى بطحان وتربة صعيب ، ويعرف اليوم بالحارث بإسقاط بنى ، وبالقرب منه السنح ، كان على ميل من المسجد النبوى ، وهو منازل جُشَم وزيد ابنى الحارث بن الخزرج ، وبه منزل أبى بكر رضى الله تعالى عنه بزوجته بنت خارجة .

مسجد بنى الحبلى

ومنها : مسجد بنى الحبلى رهط عبد الله بن أبَيّ بن سَلولَ من الخزرج — روى ابن زبالة وابن شبة عن هشام بن عروة أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى فى مسجد بنى الْحُبلَى . ورواه ابن شبة أيضاً عن سعد بن إسحاق بن كعب .

وتقدم عن المطرى أن دارهم بين قباء وبين دار بنى الحارث التى فى شرقى بطحان ، مع ماقاله ابن حزم فى منازلهم فراجعه .

مسجد بنى بياضة

ومنها : مسجد بنى بَيَاضة من الخزرج — روى ابن شبة ويحيى عن سعيد ابن إسحاق أن النبى صلى الله عليه وسلم صلّى فى مسجد بنى بياضة . وروى ابن ز بالة عنه نحوه ، وعن عبد الرحمن بن كعب بن مالك قال : كنت أُخَرِّجُ أقود أبى بعد أن عمى إلى المسجد يوم الجمعة ، قال : فيسمع الأذان بالطريق ، فإذا سمعه قال : يرحمُ الله أسعد بن زرارة ، كان أول مَنْ جَمَّع بنا بهذه القرية ، ونحن يومئذ أر بعون فى هزمة من حرة بنى بياضة .

وتقدمفى الفصل الثامن من الباب الثالث نحوه من رواية أبى داود .

وروىابن ز بالة أيضاً عن ر بيعة بن عثمان أن النبيصلى الله عليه وسلمصلى فى الحرة فى الرحابة .

وتقدم فى منازل بنى بياضة أن الرحابة مزرعة فى شاميها أطمُهم المسمى بعقرب ، وكانت لآل عاصم بن عطية بن عامر بن بياضة .

وذكر ابن ز بالة أُطماً آخر كان بين المزرعتين الرحابة والحيرة .

وتقدم أيضا أن دار بنى بياضة شامى دار بنى سالم أهل مسجد الجمعة إلى وادى بطحان قبلى دار بنى مازن بن النجار ، ممتدة فى تلك الحرة وبعضها فى السبخة .

وروى ابن ز بالة عن إبراهيم بن عبد الله بنسعد عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وقعت هذه الليلة رحمة ؟ فيما بين بنى سالم و بنى بياضة ، فقالت بنو سالم و بنو بياضة : أننتقل إليها ؟ قال: لا ، ولكن أقبروا فيها

مسجد بنى خطمة

ومنها : مسجد بنى خطمة من الأوس ، ومسجد العجوز .

روى ابن ز بالة عن الحارث بن الفضل وهشام بن عروة أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى فى مسجد بنى خطمة .

ورواه ابن شبة عن هشام وعبد الله بن الحارث، وروى أيضا عن مسلمة بن عبيد الله الخطمى أن النبى صلى الله عليه وسلم صلّى فى مسجد العجوز فى بنى خطمة عند القبر، ومسجد العجوز الذى عند قبر البراء بن معرور ، وكان ممن شهد العقبة ، فتوفى قبل الهجرة ، وأوصى للنبى صلى الله عليه وسلم بثلث ماله ، وأمر بقبره أن يستقبل به الكعبة .

وروى ابن زبالة عن أفلح بن سعيد وغيره من أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلّى فى مسجد العجوز ببنى خطمة ، وهى امرأة من بنى سليم ثم من بنى ظفر بن الحارث .

وسيأتى فى الآبار عن عبد الله بن الحارث أن النبى صلى الله عليه وسلم توضأ من ذرع بئر بنى خطمة التى بفناء مسجدهم ، وصلى فى مسجدهم .

وتقدم عن المطرى أن الأظهر عنده أن منازلهم فى شرقى مسجد الشمس بالعوالى ، وأن الأظهر عندنا أنهم كانوا بقرب الماجشونية ؛ لقول ابن شبة فى سيل بطحان: إنه يَصُبُّ فى جفاف ، ويمر فيه حتى يُفْضِى إلى فضاء بنى خطمة والأغرس، وقوله فى مذينب : إنه يلتقى هو وسيل بنى قريظة بالمشارف فضاء بنى خطمة ، وسيأتى أن ذلك عند تنور النورة الذى فى شامى الماجشونية، وقد رأيت آثار القرية والآطام هناك

مسجد بنى أمية الأوسى

ومنها : مسجد بنى أمية بن زيد من الأوس — روى ابن شبة عن عمر بن قَتَادة أن النبى صلى الله عليه وسلم صَلّىَّ فى مسجد لهم فى بنى أمية من الأنصار ، وكان فى موضع الكبا بين الخربتان عند مال نهيك ، وعن محمد بن عبدالرحمن بن وائل أن النبى صلى الله عليه وسلم صَلَّى فى تلك الخربة ، وكان قريبا من مُصَلَّى النبى صلى الله عليه وسلم بسلم هناك أجم ، فانهدم ، فسقط على المكان الذى فيه ، فترك وطُرح عليه الترابُ حتى صار كباء .

وروى ابن زبالة عن سعيد بن عمران أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صَلَّى فى بنى أمية فى موضع الكباء عند مال نهيك بن أبى نهيك .

قال المطرى: ودارهم شرقى دار بنى الحارث بن الخزرج، وفيهم كان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه نازلا بامرأته الأنصارية حين كان يتناوب النزولَ إلى المدينة هو وجاره من الأنصار .

قلت : الذى يتحرر مما سبق فى المنازل أنهم كانوا قرب النواعم وبئر العهن، وهى من أموالهم كما سنبينه فى الآبار ، ويمر سيل مذينب من بيوتهم ثم يسقى الأموال . وبالحرة الشرقية قريبا من الموضع المذكور آثار قرية يمر بها سيل مذينب الظاهر أنها قريتهم . ويشهد لذلك أن ابن إسحاق ذكر فى مقتل كعب ابن الأشرف ــ وكان فى بنى النضير ــ أن محمد بن مسلمة ومن معه انتهوا إلى حصنه فى ليلة مُقْمرة فهتَف به أبو نائلة ، ثم ذكر قتله ، وأن محمد بن مسلمة قال: فخرجنا حتى سلكنا على بنى أمية بن زيد ، ثم على بنى قريظة ، ثم على بُعاث حتى أسْنَدْنَا فى حرة العريض .

مسجد بنى وائل الأوسى

ومنها : مسجد بنى وائل من الأوس ــ روى ابن زبالة عن الحارث بن الفضل أن النبى صلى الله عليه وسلم صَلّى فى مسجد بنى وائل .

وروى ابن شبة عن سلمة بن عبد الله الخطمى أن النبى صلى الله عليه وسلم صلَّى فى بيت القعدة عند مسجد بنى وائل ، وعنه أن النبى صلى الله عليه وسلم صَلى فى مسجد بنى وائل بين العمودين المقدمين خلف الإمام بخمسة أذرع أو نحوها ، قال : وضربنا ثَمَّ وَتدًا .

قال المطرى : والظاهر أن منازلهم كانت فى شرقى مسجد الشمس .

قلت : الظاهر أنها بقباء ، وأن هذا المسجد هو المراد بقول ابن النجار : إن بالمدينة عدة مساجد خراب فيها المحاريب وبقايا الأساطين وتنقض وتؤخذ حجارتها فيعمر بها الدور: أحدها مسجد بقباء قريب من مسجد الضِّرار فيه أسطوان قائمة، انتهى؛ فكأنه فيما بين زمان المطرى وزمانه نقضت بقيته بحيث لم يدرك له المطرى أثرا .

مسجد بنى واقف

ومنها : مسجد بنى واقف من الأوس ــ روى ابن زبالة عن الحارث بن الفضل أن النبى صلى الله عليه وسلم صَلّى فى مسجد بنى واقف . قال المطرى وتبعه

فن بعده حتى المجد : مسجدُ بنى واقف موضع بالعوالى ، كانت فيه منازل بنى واقف من الأوس رهط هلال بن أمية الواقفى أحد الثلاثة الذين تاب الله عليهم فى تخلفهم عن غزوة تَبُوك ، ولا يعرف مكان دارهم اليوم ، إلاّ أنها بالعَوَالى

قلت : لادار أعرف من دارهم ؛ لما تقدم فى المنازل من أنهم نزلوا عندمسجد الفضيخ ، وابتنوا أطما كان موضعه فى قبلة مسجد الفضيخ ، وهذا من فوائد الاعتناء بذكر المنازل ، والمطرى لم يعتن بها ، لـكن العجب من المجد فإنه ذكر ما قدمناه فى المنازل ، ثم قلد المطرى عند ذكر المساجد .

مسجد بنى أنيف

ومنها: مسجد بنى أُنيفٍ، تصغير أَنفٍ حى من بَلِى، ويقال:إنهم بقية من العماليق كما تقدم فى منازل اليهود ، وبينا فى منازل بنى عمرو بن عوف من الأوس أنهم كانوا حُلفاء لهم . وروى ابن زبالة عن عاصم بن سويد عن أبيه قال : سمعت مشيخة بنى أنيف يقولون : صَلّى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فيما كان يعود طلحة بن البراء قريبا من أُطمِهم ، قال عاصم:قال أبى : فأدركتهم يَرُشُّونَ ذلك المـكان ويتعاهدونه ثم بنوه بعد ؛ فهو مسجد بنى أنيف بقباء .

قلت : طلحة بن البراء منهم . وقال المتكلمون فى أسماء الصحابة :إنه من بلىّ وكان حليفا للأوس ، وذلك هو السبب كما قدمناه فيما وقع للمطرى ومَنْ تبعه من أن بنى أنيف بطن من الأوس ، قال : ودارهم بين بنى عمرو بن عوف بقباء وبين العصبة .

قلت : المعتمد ما قدمناه ، ودارهم بقباء عند المال المعروف اليوم بالقائم فى جهة قبلة مسجد قباء من جهة المغرب ، وعند بئر عذق كما سبق .

مسجد دار سعد ابن خيثمة

ومنها : مسجد دار سعد بن خيثمة بقباء ــ ذكر ابن زبالة ــ فيما نقله المطرى أن النبى صلى الله عليه وسلم صَلّى فى المسجد الذى فى دار سعد بن خيثمة رضى الله تعالى عنه بقباء ، وجلس فيه ، قال المطرى : وبيت سعد بن خيثمة أحد الدور التى قبلى مسجد قباء ، يدخلها الناس إذا زاروا مسجد قباء ويصلون فيها .

وهناك أيضا دار كلثوم بن الهدم ، وفى تلك العَرصة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نازلا قبل خروجه إلى المدينة ، وكذلك أهله صلى الله عليه وسلم وأهل أبى بكر رضى الله تعالى عنه حين قدم بهم على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه بعد خروج رسولِ الله صلى الله عليه وسلم من مكة ، وهن : سَوْدة ، وعائشة ، وأمُّها ، وأختها أسماء ، وهى حامل بعبد الله بن الزبير ، فولدته بقباء قبل نزولهم المدينة ، فكان أول مولود ولد من المهاجرين بالمدينة ، انتهى .

قلت : وفى قوله « إن عليا قدم ومعه من ذكر » نظر؛ فقد قدمنا أن علياً رضى الله تعالى عنه لحق النبى صلى الله عليه وسلم بقباء ، وأنه صلى الله عليه وسلم بعث زيد بن حارثة وأبا رافع إلى مكة بعد ذلك فقدما عليه بأهله ، وخرج معهم عبد الله ابن أبى بكر بعيال أبى بكر . وحديث أسماء فى ولادتها عبد الله بن الزبير متفق عليه . وفيه أنه كان أول مولود وُلد فى الإسلام ، ففرحوا به ؛ لأنه كان قد قيل لهم : إن اليهود سَحَرَتكم فلا يُولَد لكم . وفيه دلالة على تأخر ولادته عن مَقْدَم النبى صلى الله عليه وسلم بمدة . وقال الذهبى تبعًا للواقدى : إنه ولد فى سنة ثنتين ، وقال الحافظ ابن حجر : المعتمد أنه ولد فى السنة الأولى ؛ للحديث المتفق عليه ، وسبق فى سنى الهجرة عن أبى حاتم ما يوافقه .

وتقدم فى ذكر مسجد قباء أن دار سعد بن خيثمة هى التى تلى المسجد فى قبلته .

مسجد التوبة

ومنها : مسجد التوبة بالعصبة منازل بنى جَحْجَبَا من بنى عمرو بن عوف من الأوس — روى ابن زبالة عن أفلح بن سعد وغيره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صَلّى فى مسجد التوبة بالعصبة ببئر هجيم ، قال المطرى : وليست بمعروفة اليوم ، يعنى البئر . والعصبة : فى غربى مسجد قباء فيها مزارع وآبار كثيرة .

قلت : يستفاد مما ذكرناه فى المنازل من أنهم ابتنوا أطما يقال له الهجيم

عند المسجد الذى صلى فيه النبى صلى الله عليه وسلم أن بئر هجيم مضافة للأطم المذكور؛ فيطلب المسجد عند ذلك، وما علمت السبب فى تسميته بمسجد التوبة.

مسجد النور

ومنها: مسجد النور — قال ابن زبالة: حدثنا محمد بن فضالة عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صَلّى فى موضع مسجد النور. قال المطرى: ولا يعلم اليوم مكانه.

قلت: وما علمت سبب تسميته بذلك، ورأيت الأسدى فى منسكه ذكر فى المساجد التى تزار فى ناحية مسجد قباء مسجدَ النور، ثم ذكر فى المساجد التى تزار بناحية المدينة وماحولها مسجد النور أيضا، ولعل هذا المسجد هو الموضع الذى انتهى إليه أسيد بن حضير وعباد بن بشر، وهما من بنى عبد الأشهل، وكانا عند النبى صلى الله عليه وسلم فى ليلة ظلماء، فتحدثا عنده حتى إذا خرجا أضاءت لهما عَصَا أحدهما، فمشيا على ضوئها، فلما تفرق بهما الطريق أضاءت لكل واحد منهما عصاه فمشى فى ضوئها، كما أخرجه البخارى؛ فيكون المسجد المذكور بدار بنى عبد الأشهل.

وروى أحمد برجال الصحيح حديث قتادة بن النعمان الظفرى فى إعطاء النبى صلى الله عليه وسلم له العُرْجُونَ فى ليلة مظلمة فأضاء له من بين يديه عشرا ومن خلفه عشرا — الحديث.

وروى أبو نعيم عن أنس رضى الله تعالى عنه أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وعمر رضى الله تعالى عنه سَمِرَا عند أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه يتحدثان عنده، حتى ذهب ثلث الليل، ثم خرجا وخرج أبو بكر رضى الله تعالى عنه معهما فى ليلة مظلمة ومع أحدهما عَصاً، فجعلت تضىء لهما وعليها نور حتى بلغوا المنزل.

مسجد عتبان بن مالك

ومنها: مسجد عتبان بن مالك بأصل أُطمِه المسمى بالمزدلف بدار بنى سالم ابن الخزرج — روى ابن زبالة عن إبراهيم بن عبد الله بن سعد أن عتبان بن مالك قال:

يارسول الله إن السيل يحول بينى و بين الصلاة فى مسجد قومى ، قال : فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيته ، فهو المسجد الذى بأصل المزداف . ورواه يحيى وقال : فهو المسجد الذى بأصل المزدلف أطم مالك بن العجلان .

قلت : تقدّم فى مسجد الجمعة أن المزدلف هو الأُطم الخراب الذى فى شامى مسجد الجمعة ، عند عدوة الوادى الشرقية ، وأن صلاته صلى الله عليه وسلم بدار عتبان فى الصحيح ، وأن الظاهر أن مسجد قومه الذى يحول السيلُ بينه و بينهم هو مسجدهم الأكبر الذى كان بمنازلهم بالحرة فى عدوة الوادى الغربية .

وروى ابن شبة عن عتبان بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صَلّى فى بيته سبحة الضحى ، فقاموا وراءه فصلوا .

وعن سعد بن إسحاق أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يصل فى مسجد بنى سالم الأكبر . وروى ابن زبالة نحوه عن كعب بن عجرة .

مسجد ميثب (صدقة النبى)

ومنها : مسجد ميثب صدقة النبى صلى الله عليه وسلم — روى ابن زبالة وابن شبة ويحيى عن محمد بن عقبة بن أبى مالك أن النبى صلى الله عليه وسلم صَلّى فى مسجد صدقته ميثب ، وسيأتى فى الصدقات أن الميثب مجاور ابرقة وغيره من الصدقات الآتية .

مسجد المنارتين

ومنها : مسجد المنارتين — روى ابن زبالة ويحيى من طريقه عن حرام بن سعد بن محيصة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى فى المسجد الذى بأصل المنارتين فى طريق العقيق الكبير ، قال المطرى : وهذا المسجد لايعرف ، وهو يلى طريق العقيق كما ذكر .

قلت : روى ابن زبالة عن عبد الله بن البولا أن أربعة رَهْط من المهاجرين الأولين كلهم يخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « خَرَج إلى الجبل الأحمر الذى بين المنارتين ، فإذا بشاة ميتة قد أنتَنَتْ ، فأمسكوا على أنفهم ،

فقال رسول صلى الله عليه وسلم : ما ترون كرامة هذه الشاة على صاحبها ؟ فقالوا : يارسول الله ما تكرم هذه على أحد ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : للدُّنيا أهْوَنُ على الله من هذه على صاحبها » .

وعن إبراهيم بن محمد عن أبيه أن اسم الجبل الأنعم ، وهو الجبل الذى بنى عليه المزنى وجابر بن على الزمعى ثم أورد قول الشاعر :

* لمن الديارُ غَشِيتَهَا بالأنْعُمِ *

البيت الآتى فى الأنعم .

قلت : وهو الجبل الأحمر الذى على يَسَارك إذا مررت من أوائل الرقيقين قاصدا العقيق ؛ لانطباق الوصف عليه ، ولأنى خرجت إليه وصَعَدته فرأيت عليه أساس البناء الذى أشار إليه ، وظهر بذلك أن المنارتين بقربه عند الرقيقين ؛ فهناك موضع هذا المسجد .

مسجد فيفاء الخبار

ومنها : مسجد فيفاء الخبار ــ قال ابن إسحاق فى غزوة العشيرة : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم سَلَكَ على نقب بنى دينار من بنى النجار ، ثم على فيفاء الخبار ، فنزل تحت شجرة ببطحاء ابن أزهر يقال لها «ذات الساق» فصلّى عندها فثمّ مسجد ، وصنع له طعام عندها ، فأكل منه وأكل الناسُ معه ، فموضع آثاره فى البُرْمَة معلوم هناك ، واستسقى له من ماء يقال له المشَيْرِب ، انتهى .
والمشيرب : تصغير مشرب ما بين جبال فى شامى ذات الجيش .

قال المطرى : وفيفاء الخبار غربى الجاوات ، وهى أى الجاواتِ الأُجْبُلُ التى فى غربى وادى العقيق ، وتوهم المجـد أن الضمير فى قوله « وهى » لفيفاء الخبار فقال فيه : الصحيح أنه الأجبل التى فى غربى وادى العقيق ، انتهى .

وسيأتى فى رابع فصول الباب السابع عن الهجرى أن جَمّاء أم خالد فى مَهَبِّ الشمال من جماء تضارع ، وأن فيفاء الخبار من جماء أم خالد .

ونقل ابن سعد عن ابن عقبة أن فيفاء الخبار من وراء الجماء ،والخبار ــ بفتح

المعجمة والموحدة كسحاب ـ مالآنَ من الأرض واسترخى ، والأرض ذات الجحرة والحفائر . والفيفاء ـ بفاءين بينهما مثناة تحتية ـ هى الصخرة الملساء .

قال المطرى : وبهذا الموضع كانت ترعى إبل الصدقة ولقاح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذكر قصة العُرَنيين التى قدمناها فى محلها . وينبغى لمن تيسر له الوصول إلى هذه الجهة أن يتبرك بالجاوات ؛ لما سيأتى فيها ، وكذلك جبل عظم لما سيأتى فيه أيضاً .

مسجد بين الجشجاثة وبئر شداد

ومنها : مسجد بين الجشجاثة وبئر شداد ، بطرف وادى العقيق مما يلى البقيع؛ لأن ابن زبالة روى فى سياق ذلك، عن عمر بن القاسم وعبد الملك بن عمر قال : صَلَّى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى مسجد بين الجشجاثة وبين بئر شداد فى تَلْعة هنالك ، قال : وكان عبد الله بن سعد بن ثابت قد اقتطع قريبا منه وبناه .

وقال الهجرى : الجَشْجَاثة صدقة عباد بن حمزة بن عبد الله بن الزبير ، وبها قصور وميدان ، واقتضى كلامه أنها بين ثنية الشريد والحليفة .

وهذا آخر ما وقفنا عليه فى مساجد المدينة التى لا تعلم بعينها فى زماننا ، وعدتها نحو الأربعين .

الدور التى صلى بها الرسول

تتمة ـ تقدم ذكر بعض الدور التى صلى فيها النبى صلى الله عليه وسلم ، أو جلس ولم يتخذ محل لها ، ولنذكر ما وقفنا عليه من بقيتها تتميما للفائدة :

روى يحيى عن محمد بن طلحة بن طويل قال : سمعتُ غيرَ واحد ممن أدركت يقول : كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا جاء مربده ، وهو مربد الحكم بن أبى العاص ، فكان إذا خرج منه وقَفَ عند بابه ، ودعا .

دار الشفاء

قال محمد بن طلحة : وأخبرنى محمد بن جعفر عن محمد بن سليمان بن أبى حثمة أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى فى دار الشفاء فى البيت الذى على يمين من دخل الدار .

دار الضمرى

قال محمد : وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى دار عمرو بن أمية الضمرى عن يمين من دخل الدار .

دار بسرة

قال محمد : وصَلّى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى دار بُسْرة بنت صفوان .

قلت : أما دار عمرو بن أمية الضمرى فتقدم ما يبين جهتها فى ذكر دار السوق وغيرها .

وأما دار الشفاء فقال ابن شبة فى دور بنى عدى بن كعب : واتخذت الشفاء بنت عبد الله دارها التى فى الحكاكين الشارعة فى الخط ، فخرجت طائفة من أيدى ولدها فصارت للفضل ، و بقيت بأيديهم منها طائفة ، انتهى .

وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يأتى الشفاء هذه ويَقِيلُ عندها ، وسبق فى مصلى الأعياد أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى العيد عند دار الشفاء ؛ فالظاهر أنها كانت قربَ سوق المدينة والمصلى . ودار بسرة لم أعرفها ، وكذا المربد المذكور .

وتقدم فى ذكر البلاط ما جاء فى دار بنت الحارث .

وأخرج أبو داود والنسائى واللفظ له عن عبد الرحمن بن طارق عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا جاز مكانا من دار يعلى استقبل القبلة ودعا ، ولم أعرف جهة دار يعلى .

دار أم سليم

وفى صحيح البخارى عن ثمامة عن أنس أن أمّ سليم كانت تَبْسُطُ لنبى الله صلى الله عليه وسلم نِطَعاً فَيَقِيلُ عندها على ذلك النِّطَعِ ، قال : فإذا قام صلى الله عليه وسلم أخَذَت من عَرَقه وشَعَره فجمعته فى قارورة ثم جمعته فى سك ، وقال : فلما حضرت أنَسَ بن مالك الوفاةُ أوصى أن يجعل فى حَنُوطه من ذلك السك ، قال : فجعل فى حَنُوطه .

وفيه أيضاً حديث أنس فى تكثير الطعام ، ولفظه : قال أبو طلحة لأم سليم : لقد سمعتُ صوتَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ضعيفا أعرف فيه الجوعَ ،

فهل عندك من شيء ؟ قالت : نعم ، فأخرجت أقراصاً من شَعير ، ثم أخرجت خِماراً لها فلفَّتِ الخبز ببعضه ، ثم دسته تحت يدى ، ولاثتنى ببعضه ، ثم أرسلتنى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فذهبت به فوجدته فى المسجد ومعه الناس ، فقمت عليهم ، فقال لى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أرسَلَكَ أبو طلحة ؟ فقلت: نعم ، فقال لمن معه : قوموا ، فانطلقوا وانطلقت بين أيديهم حتى جئنا إلى أبى طلحة ، فأخبرته ، قال أبو طلحة : يا أم سليم قد جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس ، وليس عندنا ما نطعمهم ، فقالت : الله ورسوله أعلم ، فانطلق أبو طلحة حتى لقى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأقبل وأبو طلحة معه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هلمى يا أم سليم ما عندك ، فأتت بذلك الخبز ، فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ففُتَّ وعصرت أم سليم عُكّةً فأدَمَتْه ، ثم قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شاء الله أن يقول ، ثم قال : ائذن لعشرة ، الحديثَ ، وفى آخره : فأكلَ القوم كلهم وشَبِعُوا ، والقوم سبعون أو ثمانون رجلا .

قلت : وأم سليم والدة أنس وزوجة أبى طلحة ، فذلك إما فى دار أنس و إما فى دار أبى طلحة ، وكلاهما بجهة بنى جديلة .

دار أم حرام

وفى الصحيح من حديث أنس : كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إذا ذهب إلى قباء يدخل على أم حرام بنت ملحان فتطعمه ، وكانت تحت عُبَادة بن الصامت ، فدخل يوماً فأطعمته ، فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم استيقظ يضحك ، الحديثَ .

قلت : أم حرام هى خالة أنس أخت أم سليم المتقدم ذكرها ، وزوجها عُبَادة ابن الصامت ، كان ببنى سالم ؛ لأنه من بنى نوفل إخوة بنى سالم ، و يدل لذلك قوله « إذا ذهب إلى قباء » فإن بنى سالم بطريق قباء ، فيندفع ما توهمه بعضهم من أن دار أم سليم وأم حرام واحدة لكونهما أختين ، والله أعلم .

الفصل الخامس

في فضل مقابرها ، و إتيان النبي صلى الله عليه وسلم البقيع ، وسلامه على أهله واستغفاره لهم .

خروج النبي ليلا إلى البقيع

روينا في صحيح مسلم والنسائي عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : لما كان ليلتي التي رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فيها عندي انْقَلَبَ فوضع رداءه وخلع نعليه فوضعهما عند رجليه و بسط طرف إزاره على فراشه فاضطجع ، فلم يَلْبَثْ إلا ريثما ظن أني قد رَقَدْتُ ، فأخذ إزاره رُوَيْدًا ، وانتعل رويدا ، وفتح الباب ، فخرج ، ثم أجافَهُ رويدا ، وجعلتُ درعي في رأسي ، واختمرت ، وتقنعت إزاري ، ثم انطلقت على أثره حتى جاء البقيع فأقام ، فأطال القيام ، ثم رفع يديه ثلاث مرات ، ثم انحرف فانحرفت ، فأسرع فأسرعت ، فهرول فهرولت ، فأحضر فأحضرته ، فسبقته ، فدخلت ، فليس إلا أن اضطجعت فدخل فقال : مالك يا عائش حشيا رابية ، قلت : يارسول الله بأبي أنت وأمي، فأخبرته ، قال : فأنتِ السَّوَاد الذي رأيت أمامي ؟ قلت : نعم ، فَلَهزني في صدري لهزة أوجعتني ، ثم قال : أظَنَنْتِ أن يحيف الله عليك ورسوله ؟ قالت : مهما يَكْتُمِ الناسُ يعلمه الله ، قال : نعم ، قال : فإن جبريل عليه السلام أتاني حين رأيت فناداني فأخفاه منك فأخفيته منك ، ولم يكن يدخل عليكِ وقد وضعتِ ثيابَكِ ، وظننتُ أن قد رقدتِ فكرهتُ أن أوقظك ، وخشيت أن تستوحشيني ، فقال : إن ربك يأمرك أن تأتي أهل البقيع فتستغفر لهم ، قال : قلت كيف أقول لهم يا رسول الله ؟ قال : قولي السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ، ويرحم الله المستقدمين والمستأخرين .

وفي رواية له أيضاً قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كلما كانت ليلتي منه يخرج من آخر الليل إلى البقيع فيقول : السلام عليكم دار قوم مؤمنين ،

وأتاكم ما توعدون ، غدا مؤجلون ، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ، اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد .

وخرجه في الموطأ بلفظ : قالت عائشة : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاتَ ليلةٍ ، فلبس ثيابه ، ثم خرج ، فأمرت جاريتي بريرة تتبعه ، فتبعته حتى جاء البقيع ، فوقف في أدناه ما شاء الله أن يقف ، ثم انصرف فسبقته ، فأخبرتني ، فلم أذكر شيئاً حتى أصبح ، ثم ذكرت له ، فقال : إني بعثت إلى أهـل البقيع لأصلي عليهم .

وفي رواية للنسائي : السلام عليكم دار قوم مؤمنين ، وإنا وإياكم متواعدون غدا ومواكلون .

وفي رواية لابن شبة قالت : خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من عندي ، فظننت أنه خرج إلى بعض نسائه ، فتبعته ، حتى جاء البقيع ، فسلم ودعا ثم انصرف ، فسألته : أين كنت ؟ فقال : إني أمرت أن آتي أهل البقيع فأدعو لهم .

وفي رواية له أنه قال في دعائه : اللهم لا تحرمنا أجرهم ، ولا تَفْتِنَّا بعدهم .

وفي رواية للبيهقي قالت : دخل عليَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فوضع عنه ثوبيه ، ثم لم يستتم أن قام فلبسهما ، فأخذتني غيرة شديدة ظننتُ أنه يأتي بعضَ صويحباتي ، فخرجت أتبعه ، فأدركته بالبقيع بقيع الغرقد يستغفر للمؤمنين والمؤمنات والشهداء ، الحديثَ ،وفيه بيان أن ذلك كان في ليلة النصف من شعبان

وفي جامع الترمذي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن رسـول الله صلى الله عليه وسلم مرَّ بقبور أهل المدينة ، فأقبل عليهم بوجهه فقال : السلام عليكم يا أهل القبور ، ويغفر الله لنا ولكم ، وأنتم لنا سَلَف ونحن بالأثر .

وروى ابن شبة عن أبي موهبة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أَهَبَّنِي رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من جوف الليل ، فقال : إني أمرت أن أستغفر لأهل البقيع فانطَلِقْ معي ، فانطلقت معه ، فلما وقف بين أظهرهم قال :

السلام عليكم يا أهل المقابر ، ليهن لكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه ، أقبلتِ الفتنُ كقِطَع الليل المظلم يتبع آخرها أولها ، الآخرة شر من الأولى ، ثم استغفر لهم طويلا .

وفى رواية : ثم استغفر لهم ، ثم قال : يا أبا موهبة إنى قد أوتيتُ مفاتيحَ خزائن الدنيا والخلد فيها ، فخيرت بين ذلك و بين لقاء ربى ثم الجنة ، قلت : بأبى وأمى خذ مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ثم الجنة ، قال : لا والله يا أبا موهبة ، لقد اخترت لقاء ربى ثم الجنة ، ثم رجع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فبدىء به وَجَعُه الذى قبض فيه .

وعن عطاء بن يَسَار قال : أتى النبى صلى الله عليه وسلم البقيعَ فقال : السلام عليكم قوم موجلون ، أتانا وأتاكم ما توعدون ، اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد .

وعن الحسن قال : أتى النبى صلى الله عليه وسلم على بقيع الغرقد فقال : السلام عليكم يا أهل القبور ، ثلاثا ، لو تعلمون ما الذى نجاكم الله منه مما هو كائن بعدكم ، قال : ثم التفت فقال : هؤلاء خير منكم ، قالوا : يا رسول الله إنما هم إخواننا آمنَّا كما آمَنُوا ، وأنفَقْنَا كما أنفقوا ، وجاهدنا كما جاهدوا ، وأتوا على أجلهم ونحن ننتظر ، فقال : إن هؤلاء قد مَضَوْا لم يأكلوا من أجورهم شيئاً ، وقد أكلتم من أجوركم ، ولا أدرى كيف تصنعون بعدى .

وروى ابن زبالة عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى المقبرة فقال : السلام عليكم دار قوم مؤمنين ، و إنا إن شاء الله بكم لاحقون ، وَدِدْتُ أنى قد رأيت إخواننا ، قالوا : يا رسول الله ألسنا إخْوَانَكَ ؟ قال : أنتم أصحابى ، و إخواننا الذين لم يأتوا بعد ، وأنا فَرَطهم على الحوض ، قالوا : يا رسول الله كيف تعرف مَنْ يأتى بعدك من أمتك ؟ قال : أرأيت لو كان لرجل خيل غرٌّ محجلة فى خيل دُهْم بُهْم ألا يعرف خيله ؟ قالوا : بلى ، قال : فإنهم يأتون يوم القيامة غُرًّا مُحَجَّلين من الوضوء ، وأنا فَرَطهم على الحوض ، و لَيُذَادَن

رجالٌ عن حوضى كما يُذَادُ البعيرُ الضال ، فأناديهم : ألا هلم ، ألا هلم ، ألا هَلُمَّ ، فيقال : إنهم قد بَدَّلوا ، فأقول : فسُحْقا ، فسُحْقا ، فسُحْقا .

من فضل البقيع

وروى الطبرانى فى الكبير ومحمد بن سنجر فى مسنده وابن شبة فى أخبار المدينة من طريق نافع مولى حَمْنَةَ عن أم قيس بنت محصن، وهى أخت عُكَّاشة ، أنها خرجت مع النبى صلى الله عليه وسلم إلى البقيع ، فقال : يحشر من هذه المقبرة سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ، وكأن وجوههم القمر ليلة البدر ، فقام رجل فقال : يا رسول الله وأنا ، فقال : وأنت ، فقام آخر فقال : يا رسولَ الله وأنا ، قال : سبقك بها عُكَّاشة ، قال : قلت لها : لم لم يقل للآخر ؟ فقالت : أراه كان منافقا .

وذكر الهيثمى تخريج الطبرانى له وقال : فى إسناده مَنْ لم أعرفه .

وذكره الحافظ ابن حجر فى شرح البخارى ، وسكت عليه .

ودخولُ سبعين ألفا الجنة بغير حساب من هذه الأمة من غير تقييد بالبقيع موجود فى الصحيح ، بل جاء أزيد منه .

فروى أحمد والبيهقى عن أبى هريرة مرفوعا : سألتُ ربى عز وجل ، فوعدنى أن يدخل الجنة من أمتى ، وذكر نحو رواية الصحيح ، وزاد : فاستزدت ربى ، فزادنى مع كل ألف سبعين ألفا ، قال الحافظ ابن حجر : وسَنَده جيد ، قال : وفى الباب عن أبى أيوب عند الطبرانى ، وعن حذيفة عند أحمد ، وعن أنس عند البزار ، وعن ثوبان عند أبى عاصم ، قال : فهذه طرق يقوى بعضها بعضا فى الزيادة المذكورة .

قال : وجاء فى أحاديث أخرى أكثر من ذلك أيضا ، فأخرج الترمذى وحَسَّنه والطبرانى وابن حبان فى صحيحه عن أبى أمامة رفعه : وعَدَنِى ربى أن يدخل الجنة من أمتى سبعين ألفا مع كل ألفٍ سبعين ألفا ، لا حساب عليهم ولا عذاب ، وثلاث حَثَيَات من حثيات ربى .

وفى صحيح ابن حبان والطبرانى بسند جيد نحوه .

ثم ذكر الحافظ ابن حجر ما يقتضى زيادة على ذلك أيضاً ، وأن مع كل واحـد سبعين ألفا ؛ فيتأيد بذلك رواية اختصاص البقيع بسبعين ألفا لا حساب عليهم ؛ فالـكرم عَميم ، والجاه عظيم .

وروى ابن شبة عن ابن المنـكدر رفعه مرسلا : يُحْشَرُ من البقيع سبعين ألفا على صورة القمر ليلة البدر ، كانوا لا يكتوون ، ولا يتطيرون ، وعلى ربهم يتوكلون

قال : وكان أبى يخبرنا أن مُصْعَبَ بن الزبير دخل المدينة من طريق البقيع ومعه ابن رأس الجالوت ، فسمعه مصعب وهو خلفه حين رأى المقبرة يقول : هى هى ، فدعاه مصعب فقال : ماذا تقول ؟ فقال : نجد هذه المقبرة فى التوراة بين حَرَّتَيْن محفوفة بالنخل اسمها كفتة ، يبعث الله منها سبعين ألفاً على صورة القمر . وسيأتى من رواية ابن زبالة عن المقبرى نحوه .

وروى ابن زبالة عن جابر مرفوعا : يبعث من هذه المقبرة ـ واسمها كفتة ـ مائةُ ألفٍ كلهم على صورة القمر ليلة البـدر ، لا يَسْتَرْقُونَ ، ولا يكتوون ، ولا يتداوون ، وعلى ربهم يتوكلون .

وعن المطلب بن حنطب رفعه مرسلا : يحشر من مقبرة المدينة ـ يعنى البقيع ـ سبعون ألفا لا حساب عليهم ، تضىء وجوههم غمدان اليمن .

وجاء ما يقتضى أن هذا العدد يبعث من مقبرة بنى سلمة ، وهى عند منزل بنى حَرَام منهم ، فروى ابن شبة عن أبى سعيد المقبرى أن كعب الأحبار قال : نجد مكتوبا فى الـكتاب أن مقبرة بغربى المدينة على حافة سيل يحشر منها سبعون ألفا ليس عليهم حساب .

وقال أبو سعيد المقبرى لابنه سعيد : إن أنا هلـكْتُ فادْفنِّى فى مقبرة بنى سلمة التى سمعت من كعب ، وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مقبرة بغربى المدينة يعترضها السيل يسارا يبعث

منها كذا وكذا لا حساب عليهم ، قال عبد العزيز بن مبشر : لا أحفظ العدد .

وعن عقبة بن عبد الرحمن بن جابر بن عبد الله ، وعن ابن أبى عتيق وغيرهما من مَشْيخة بنى حرام أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : مَقْبرة ما بين سيلين غربية يضىء نورُها يوم القيامة ما بين السماء إلى الأرض .

وروى ابن زبالة عن سهل عن أبيه عن جده قال : دفن قتلى من قتلى أحد فى مقبرة بنى سلمة .

وعن يحيى بن عبد الله بن أبى قتادة قال : أصيب أبو عمرة بن سكن يوم أحد ، فأمر به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فنقل ، فكان أولَ مَنْ دفن فى مقبرة بنى حرام .

وفى الكبير للطبرانى — وفيه يعقوب بن محمد الزهرى فيه كلام كثير ، وقد وثق — عن سعد بن خيثمة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : رأيت كأن رحمةً وقعت بين بنى سالم وبنى بيَاضة ، قالوا : يا رسول الله أفننتقل إلى موضعها ، قال : لا ، ولكن اقبروا فيها ، فَقَبرُوا فيها موتاهم .

قلت : وهذه المقبرة لا تعرف اليوم ، وكذ مقبرة بنى سلمة ، لكن تعرف جهتهما مما تقدم فى المنازل .

وتقدم فى الحث على الموت بالمدينة حديث « ما على الأرض بقعة أحبُّ إلى مِنْ أن يكون قبرى بها منها » يعنى المدينة ، يرجِّعها ثلاثَ مرات ، وحديث « مَن استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها فإنى أشفع لمن يموت بها » .

وفى رواية « فإنى أشهد لمن يموت بها » . وفى أخرى « فإنه من مات بها كنت له شهيدا ، أو شفيعا ، يوم القيامة » .

ورواه رزين بنحوه ، وزاد « وإنى أول من تنشقُّ عنه الأرض ، ثم أبو بكر ، ثم عمر ، ثم آتى البقيع فيحشرون ، ثم أنتظر أهل مكة فأحشر بين الحرمين » .

وفى رواية لابن النجار « فأخرج أنا وأبو بكر وعمر إلى البقيع فيبعثون ، ثم يبعث أهل مكة .

وروى ابن شبة وابن زبالة عن ابن كعب القرظى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « من دفن فى مقبرتنا هذه شفعنا له ، أو شهدنا له » وسيأتى فى الفصل الأول من الباب الثامن قوله صلى الله عليه وسلم « ومن مات فى أحد الحرمين بعث من الآمنين يوم القيامة » .

وروى ابن زبالة عن أبى عبد الملك يرفعه قال : «مقبرتان يضيآن لأهل السماء كما تضىء الشمس والقمر لأهل الدنيا ، مقبرتنا بالبقيع بقيع المدينة ، ومقبرة بعسقلان » .

وعن كعب الأحبار قال : نجدها فى التوراة كفتة محفوفة بالنخيل وموكل بها الملائكة ، كلما امتلأت أخذوا بأطرافها فكفؤها فى الجنة .

قال ابن النجار : يعنى البقيع .

وعن المقبرى قال : قدم مُصْعب بن الزبير حاجا أو معتمراً ومعه ابن رأس الجالوت فدخل المدينة من نحو البقيع ، فلما مر بالمقبرة قال ابن رأس الجالوت : إنها لهى ، قال مصعب : وما هى ؟ قال : إنا نجد فى كتاب الله صفَةَ مقبرة فى شرقيها نخل وفى غربيها بيوت يبعث منها سبعون ألفاً كلهم على صورة القمر ليلة البدر ، فطُفْتُ مقابرَ الأرض فلم أر تلك الصفة حتى رأيت هذه المقبرة .

وعن عبد الحميد بن جعفر عن أبيه قال : أقبل ابنُ رأس الجالوت فلما أشرف على البقيع قال : هذه التى نجدها فى كتاب الله كفتة ، لا أطؤها ، قال : فانصرف عنها إجلالا لها .

وفى كتاب الحرة للواقدى عن عثمان بن صفوان قال : لما حجّ مصعب ابن الزبير ومعه ابن رأس الجالوت فانتهى إلى حَرّة بنى عبد الأشهل وقف ثم قال : بهذه الحرة مقبرة ؟ فقالوا : نعم ، فقال : هل من وراء المقبرة حرة أخرى سوى هذه الحرة ؟ قالوا : نعم ، قال : إنا نجد فى كتاب الله أنها تسمى كفتة .

قال الواقدى : يعنى تسرع البلى — وكفيتة ، يبعث الله منها يوم القيامة سبعين ألفاً كلهم وجوههم على صورة البدر ليلة أربع عشرة من الشهر .

وروى ابن زبالة عن خالد بن عوسجة : كنت أدعو ليلةً إلى زاوية دار عقيل بن أبى طالب التى تلى باب الدار ، فمر بى جعفر بن محمد يريد العريض معه أهلُه ، فقال لى : أعَنْ أثر وقفت ههنا ؟ قلت : لا ، قال : هذا موقف نبى الله صلى الله عليه وسلم بالليل إذا جاء يستغفر لأهل البقيع .

قلت : وسيأتى أن من دار عقيل الموضع المعروف بمشهده ، وأن به قبرَ ابن أخيه عبدِ الله بن جعفر على ما ذكره ابن النجار .

وقال عقب إيراد هذا الخبر : ودار عقيل الموضعُ الذى دُفن فيه ، قال الزين المراغى : فينبغى الدعاء فيه . قال : وقد أخبرنى غيرُ واحدٍ أن الدعاء عند ذلك القبر مستجاب ، ولعل هذا سببه . أو لأن عبد الله بن جعفر كان كثير الجود فأبقى الله قضاء الحوائج عند قبره .

ومن غريب ما اتفق ما أخبرنى به مَنْ أثق بدِينه أنه دعا فى هذا المكان ، وتذاكر مع رفيق له ذلك ، فرأى ورقة على الأرض مكتوبة ، فأخذها تفاؤلا لذلك ، فإذا فيها (وقال ربكم ادْعُونى أستجب لكم) من جهتيها ، انتهى .

قلت : ولم أقِفْ فى كلام المتقدمين على أصل فى دفن عبد الله بن جعفر هناك ، بل اختلف فى أنه دفن بالمدينة أو بالأبْوَاء ، والمعتمدُ فى سبب الاستجابة هناك ما ذكر أولا ، ولهذا يستحَبُّ الدعاء فى جميع الأماكن التى دعا بها النبيُّ صلى الله عليه وسلم ، وكلها مواطن إجابة .

الفصل السادس

فى تعيين قبور بعض من دفن بالبقيع من الصحابة وأهل البيت ، والمَشَاهد المعروفة بالمدينة .

قبر إبراهيم ابن رسول الله

بيان قبر إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكونه عند قبر عثمان ابن مظعون ، وما جاء فيهما ، ومَنْ دفن عندهما .

روى ابن شبة بإسناد جيد عن البراء رضى الله تعالى عنه قال : مات إبراهيم — يعنى ابنَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم — وهو ابن ستة عشر شهرا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ادفنوه فى البقيع ، فإن له مرضعة فى الجنة تتم رضاعه .

وعن مكحول قال : توفى إبراهيم عليه السلام ، فلما وُضع فى اللحد ورُصِف عليه اللبِنُ بصر رسول الله صلى الله عليه وسلم بفرجة من اللبن ، فأخذ بيده مدرة فناولها رجلا فقال : ضعها فى تلك الفرجة ، ثم قال : أما إنها لا تضر ولا تنفع ، ولكنها تقر بعين الحي .

وعن محمد بن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم رَشَّ على قبر ابنِهِ إبراهيم ، وأنه أول من رش عليه ، قال : ولا أعلم إلا أنه قال : وحَثَا عليه بيده من التراب ، وقال حينَ فرغ من دفنه عند رأسه : السلامُ عليكم .

وروى الشافعى عن جعفر بن محمد عن أبيه مرسلا أن النبىَّ صلّى الله عليه وسلم رَشَّ قبرَ ابنه إبراهيم ووضَعَ عليه الحَصَى .

وروى أبو داود فى المراسيل والبيهقى ورجالُه ثقات مع إرساله نحوه عن محمد ابن عمر بن على ، وزاد أنه أولُ قبرٍ رش عليه ، وقال بعد فراغه : سلام عليكم ، ولا أعلمه إلا قال : حَثَا عليه بيده .

وروى ابن زبالة عن قُدَامة بن موسى أن أول مَنْ دَفَنَ رسولُ الله صلى

الله عليه وسلم بالبقيع عثمانُ بن مظعون ، فلما توفى ابنه إبراهيم قالوا : يارسول الله أين نحفر له ؟ قال : عند فَرَطِنا عثمان بن مظعون .

وروى أبو غسان عن أبى سلمة بن عبد الرحمن عن أبيه قال : لما توفى إبراهيم ابنُ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أن يدفن عند عثمان بن مظعون ، فرغب الناسُ فى البقيع ، وقطعوا الشجر ، فاختارت كل قبيلة ناحية ، فمن هنالك عرفت كل قبيلة مقابرها .

وروى ابن شبة عن قدامة بن موسى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ادْفِنُوا عثمان بن مظعون بالبقيع يكون لنا سلفا ، فنعم السلف سلفنا عثمان ابن مظعون » .

وعنه أيضاً : كان البقيع غَرْقَدًا ، فلما هلك عثمان بن مظعون دفن بالبقيع ، وقطع الغرقد عنه ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للموضع الذى دفن فيه عثمان : هذه الرَّوْحَاء ، وذلك كل ما حازت الطريق من دار محمد بن زيد إلى زاوية دار عقيل اليمانية ، ثم قال النبى صلى الله عليه وسلم : هذه الروحاء ، للناحية الأخرى ، فذلك كل ما حازت الطريق من دار محمد بن زيد إلى أقصى البقيع يومئذ .

قلت : قد تلخص لنا أن دار عقيل كان بالمشهد المعروف به ، ودار محمد ابن زيد فى شرقيها وشرق مشهد سيدنا إبراهيم ؛ فالروحاء الأولى ما بين المشهدين وتمتد إلى شرق مشهد سيدنا إبراهيم ، والثانية فى شرق الأولى إلى أقصى البقيع ، والأولى هى المرادة بما سيأتى فى قبر أسعد بن زُرَارة من قول أبى غسان ، والروحاء : المقبرة التى وَسَطَ البقيع يحيط بها طرق مطرقة وسط البقيع ، وكأنها اشتهرت بذلك دون الثانية لاقتصاره على الأولى .

وروى ابن زبالة عن عبيد الله بن أبى رافع قال : بلغنى أن إبراهيم ابنَ رسول الله صلى الله عليه وسلم لما مات قالوا : يا رسول الله ، أين ندفن إبراهيم ؟

قال :عند فَرَطِنا عثمان بن مظعون ، ودفن عثمان بن مظعون عند كتاب بنى عمرو ابن عثمان .

وروى ابن شبة عن محمد بن عبد الله بن سعيد بن جبير قال : دُفن إبراهيمُ ابنُ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالزوراء موضع السقاية التى على يسار مَنْ سلك البقيعَ مُصْعِدا إلى جنب دار محمد بن زيد بن عليّ .

وعن سعيد بن جبير قال : رأيت قبر إبراهيمَ ابنِ النبى صلى الله عليه وسلم فى الزوراء ؛ فيستفاد منه تسمية ذلك الموضع بالزوراء أيضا .

وروى ابن زبالة عن سعيد بن محمد بن جبير أنه رأى قبر إبراهيم عند الزوراء .

قال عبد العزيز بن محمد : وهى الدار التى صارت لمحمد بن زيد بن على .

وعن جعفر بن محمد أن قبر إبراهيم وُجاه دار سعيد بن عثمان التى يقال لها الزوراء بالبقيع ، فهدمت مرتفعاً عن الطريق .

وعن قدامة قال: دَفَن رسول الله صلى الله عليه وسلم إبراهيمَ ابنَه إلى جنب عثمان بن مظعون ، وقبره حذاء زاوية دار عقيل بن أبى طالب من ناحية دار محمد بن زيد

قبر عثمان بن مظعون

وروى ابن شبة عن سعد بن جبير بن مُطْعم قال : رأيت قبر عثمان بن مظعون عند دار محمد بن على بن الحنفية .

وعن محمد بن قُدامة عن أبيه عن جده قال : لما دفَنَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم عثمان بن مظعون أمرَ بحَجَر فوضع عند رأسه ، قال قدامة : فلما صفق البقيع وجدنا ذلك الحجر ، فعرفنا أنه قبر عثمان بن مظعون . قال عبد العزيز بن عمران : وسمعتُ بعض الناس يقول : كان عند رأس عثمان بن مظعون ورجليه حجران.

وعن شيخ من بنى مخزوم يدعى عمر قال : كان عثمان بن مظعون أول مَن مات من المهاجرين ، فقالوا : يا رسول الله أين ندفنه ؟ قال : بالبقيع ، قال : فلحَدَ له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفَضَلَ حجرٌ من حجارة لحده ، فحمله

رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعه عند رجليه ، فلما ولى مروان بن الحكم المدينةَ مرَّ على ذلك الحجر فأمر به فرمى به ، وقال : والله لا يكون على قبر عثمان بن مظعون حجر يعرف به ، فأتته بنو أمية فقالوا : بئس ماصنعت ، عمدت إلى حجر وضعه النبي صلى الله عليه وسلم فرميت به ، بئس ما عملت ، فَمُرْ به فليرد ، فقال : أما والله إذ رميتُ به فلا يرد .

وسيأتى فى قبر عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه من رواية ابن زبالة أن مروان جعل ذلك الحجر على قبر عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه .

وروى أبو داود بإسناد حسن عن المطلب بن عبد الله بن حنطب ، ولم يسم الصحابى الذى حدثه ، قال : لما مات عثمان بن مظعون أخرج بجنازته فدفن ، فأمر النبى صلى الله عليه وسلم رجلا أن يأتى بحَجَر فلم يستطع حمله ، فقام إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وحسَر عن ذراعيه — قال المطلب : قال الذى يخبرنى : كأنى أنظر إلى بياض ذراعى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حسر عنهما — ثم حمله فوضعه عند رأسه ، وقال : أتعلّم به قبر أخى ، وأدفن إليه مَنْ مات من أهلى .

ورواه ابن شبة وابن ماجه وابن عدى عن أنس والحاكم عن أبى رافع .

وروى ابن زبالة عن عائشة بنت قدامة قالت : كان القائمُ يقوم عند قبر عثمان ابن مظعون فيَرَى بيتَ النبى صلى الله عليه وسلم ، ليس دونه حجاب .

قبر رقية بنت الرسول

قبر رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم

روى الطبرانى برجال ثقات ، وفى بعضهم خلاف ، عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى حديث قال فيه : فلما ماتت رقيةُ بنتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : الحقِى بسلفنا عثمان بن مظعون .

ورواه ابن شبة ، ولفظه : لما ماتت رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الحقِى بسلفنا الخير عثمان بن مظعون ، قال : وبكى النساء ، فجعل عمر يضربهن بسوْطه ، فأخذ النبى صلى الله عليه وسلم بيده وقال :

دَعْهن يا عمر ، و إيا كن ونَعيقَ الشيطان فإنه مهما يكن من العين والقلب فمن الله ومن الرحمة ، ومهما يكن من اللسان ومن اليد فمن الشيطان ، قال : فبكَتْ فاطمة رضى الله تعالى عنها على شَفِير القبر ، فجعل النبى صلى الله عليه وسلم يَمْسَحُ الدموع عن عينها بطرف ثو به .

قال ابن شبة عقبه : وروى خلافه ، أى من حيث حضوره صلى الله عليه وسلم لذلك ، ثم روى عن عروة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خَلَّف عثمان بن عفان وأسامة بن زيد على رقية وهى وَجِعَة أيام بدر .

وعن الزهرى أن يزيد بن حارثة جاء بشيراً بوقعة بدر ، وعثمان قائم على قبر رقية يدفنها .

قلت : هذا هو المشهور ، والثابت فى الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم حضر دفن ابنته أم كلثوم زوجة عثمان رضى الله تعالى عنه ، فلعل الخبر الأول فيها ، أو فى زينب أختها ، فإنها توفيت سنة ثمان بالمدينة ، والظاهر أنهن جميعاً عند عثمان ابن مظعون ؛ لما تقدم من قوله صلى الله عليه وسلم « وأدفن إليه مَنْ مات من أهلى » ويحتمل أن بعضهن هى التى وجد قبرها عند حفر الدعامة التى أمام المصلى الشريف ، كما سيأتى فى قبر فاطمة الزهراء ، وحصل الوهم فى نسبته لفاطمة ، والله أعلم .

قبر فاطمة بنت أسد

قبر فاطمة بنت أسد رضى الله تعالى عنها
أم على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه

روى ابن زبالة عن محمد بن عمر بن على بن أبى طالب قال : دفَنَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فاطمة بنت أسد بن هاشم ، وكانت مهاجرةً مبايعة ، بالرَّوْحاء مقابل حمام أبى قطيفة ، قال : وثمَّ قبرُ إبراهيم ابن النبى صلى الله عليه وسلم وقبر عثمان بن مظعون .

وسيأتى ما نقله ابن شبة فى قبر العباس من قول عبد العزيز بن عمران : إنه دفن عند قبر فاطمة بنت أسـد بن هاشم فى أول مَقَابِر بنى هاشم التى فى دار عقيل .

قلت : وهذا كله صريح فى مخالفة ما عليه الناس اليومَ من أن قبرها فى المشهد الآتى ذكره ، وأول مَنْ ذكر أنها بذلك المشهد ابنُ النجار ، وتبعه مَن بعده ، ولم أقف له على مستند فى ذلك ، والأثبتُ عندى ما هنا ؛ إذ يبعد أنْ يدفنها النبى صلى الله عليه وسلم بذلك الموضع القاصى ويترك ما قرب من عثمان ابن مظعون وقد قال « وأدفن إليه من مات من أهلى » ، وأيضاً فلا يظهر أن الموضع المعروف بمشهدها من البقيع ؛ لأن مشهد عثمان كما سيأتى ليس من البقيع، وهذا المشهد بطرف زقاق فى شاميه إلى المشرق .

فإن قيل : النخيل التى تقابل هذا المشهد قال ابن النجار : إنها تعرف بالحمام، وقد قال فى الرواية الأولى « مقابل حمام أبى قطيفة » .

قلت : الظاهر أن ذلك منشأ الوهم فى ذلك ، وبقيـــةُ الرواية المذكورة .

وما نقله ابن شبة يدفع ذلك ويبين أن المراد موضع كان يعرف بحمام أبى قطيفة بجهة مشهد سيدنا إبراهيم ، وكأن ابن النجار لم يقف إلا على صدر الرواية الأولى؛ فإنه قال : قبر فاطمة بنت أسد وعليها قبة فى آخر البقيع ، ثم ذكر صدر الرواية الأولى إلى قوله : مقابل حمام أبى قطيفة ، ثم قال : واليوم يقابلها نخل يعرف بالحمام ، انتهى .

على أن النخيل التى بقرب هذا المشهد هى التى تقابله من جهة المشرق والشام، وإنما يعرف قديماً وحديثاً بالحضارى ، وإنما يعرف بالحمام النخلُ الذى فى شامى مشهد سيدنا إبراهيم عند السكومة ، وهو بعيد من المشهد المعروف بفاطمة ، وإن كان فى جهة مقابلته من المغرب ، ومن تأمل ذلك علم أن التعريف به لما

هو فى جهة مشهد سيدنا إبراهيم أقربُ ، فهو شاهد لنا ، وأيضاً فاسم الحمام مذكور لمواضع بالمدينة ، ولهذا أضافه إلى أبى قطيفة .

وقد روى ابن زبالة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بموضع حمام عبيدالله ابن حسين الذى اشترى محمد بن زيد ، فقدمه إلى البقيع قليلا ، فقال : نعم موضع الحمام .

القبور التى نزلها الرسول

ونقل ابن شبة عن عبد العزيز بن عمران ماحاصله أن النبى صلى الله عليه وسلم لم ينزل فى قبر أحد قط إلا خمسة قبور ، ثلاث نسوة ورجلين ، منها قبر خديجة بمكة ، وأربع بالمدينة : قبر ابن خديجة كان فى حجر النبى صلى الله عليه وسلم وتربيته ، وهو على قارعة الطريق بين زقاق عبد الدار و بين البقيع الذى يتدافن فيه بنو هاشم ، وقبر عبدالله المزنى الذى يقال له ذو البِجَادين ، وقبر أم رومان أم عائشة بنت أبى بكر ، وقبر فاطمة بنت أسد أم علىّ ، فأما ذو البجادين فإن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم لما أقبل مُهَاجراً وسَلَكَ ثنية الغابر وَعُرَتْ عليه الطريق وغلظت ، فأبصره ذو البِجادين فقال لأبيه : دَعْنِى أدُلّهم على الطريق ، فأبى ، فنزع ثيابه وتركه عُرْيَاناً ، فاتخذ عبدُ الله بجادا من شعر فطرحه على عَوْرَته ، ثم عدا نحوَهم ، فأخذ بزِمام راحلة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم ذكر قدومه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينةَ وموته ودفنه .

ثم قال : وأما قبر فاطمة بنت أسد أم علىّ بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهما فإن عبد العزيز حدث ، وذكر سَنَده إلى محمد بن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهما ، قال : لما استقر بفاطمة وعلم بذلك رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قال : إذا توفيت فأعلمونى ، فلما توفيت خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمر بقبرها فحفر فى موضع المسجد الذى يقال له اليوم قبر فاطمة ، ثم لَحَدَ لها لحداً ، ولم يضرح لها ضريحاً ، فلما فرغ منه نزل فاضطجع فى اللحد ، وقرأ فيه القرآن ، ثم نزع قميصه فأمر أن تكفَّنَ فيه ، ثم صلى عليها عند قبرها ، فكبر تسعاً

وقال : ما أعفى أحد من ضغطة القبر إلا فاطمة بنت أسد ، قيل : يا رسول الله ولا القاسم ؟ قال : ولا إبراهيم ، وكان إبراهيم أصغرهما .

قلت : وقوله فى موضع المسجد إلى آخره يقتضى أنه كان على قبرها مسجد يعرف به فى ذلك الزمان .

وروى ابن شبة عن جابر بن عبد الله قال : بينا نحن جلوس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أتاه آت فقال : يا رسول الله ، إن أم على وجعفر وعقيل قد ماتت ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قوموا إلى أمى ، فقمنا وكأن على رؤوس من معه الطير ، فلما انتهينا إلى الباب نَزَعَ قميصَه فقال : إذا غسلتموها فأشعروها إياه تحت أكفانها ، فلما خرجوا بها جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة يحمل ، ومرة يتقدم ، ومرة يتأخر ، حتى انتهينا إلى القبر فتمعَّكَ فى اللحد ثم خرج فقال : أدْخِلُوها باسم الله وعلى اسم الله ، فلما أن دفنوها قام قائماً فقال : جزَاكِ الله من أم وربيبة خيراً ، فنعم الأم ونعم الربيبة كنت لى ، قال : فقلنا له أو قيل له : يا رسول الله لقد صنعت شيئين ما رأيناك صنعت مثلهما قط ، قال : ما هو ؟ قلنا : نزعك قميصك وتمعكك فى اللحد ، قال : أما قميصى فأريد أن لا تمسها النار أبداً إن شاء الله تعالى ، وأما تمعكى فى اللحد فأردتُ أن يوسِّعَ الله عليها فى قبرها .

وروى بن عبدالبر عن ابن عباس قال : لما ماتت فاطمة أمُّ على بن أبى طالب ألبَسَها رسول الله صلى الله عليه وسلم قميصه ، واضطجع معها فى قبرها ، فقالوا : ما رأيناك صنعتْ ما صنعت بهذه ! فقال : إنه لم يكن أحد بعد أبى طالب أبرَّ لى منها، إنما ألبستها قميصى لتكسى من حُلَل الجنة ، واضطجعت معها ليهون عليها .

وفى الكبير والأوسط بسند فيه روح بن صلاح وثّقه ابن حِبّان والحاكم وفيه ضعف، وبقية رجاله رجال الصحيح ، عن أنس بن مالك قال : لما ماتت فاطمة بنت أسد دخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجلس عند رأسها ،

فقال : رحمَكِ الله يا أمى بعد أمى ، وذكر ثناءه عليها وتكفينها ببُرْده ، قال : ثم دعا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد وأبا أيوب الأنصارى وعمر بن الخطاب وغلاما أسْوَدَ يحفرون ، فحفروا قبرها ، فلما بلغوا اللحد حَفَره رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده ، وأخرج ترابه بيده ، فلما فرغ دخل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فاضطجع فيه ، ثم قال : الله الذى يحيي ويميت وهو حى لا يموت ، أغفر لأمى فاطمة بنت أسد ، ووسِّعْ عليها مَدْخَلها بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلى ، فإنك أرحَمُ الراحمين ، وكبر عليها أربعا ، فأدخلها اللحد هو والعباس وأبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنهم .

قبر عبد الرحمن بن عوف

قبرعبدالرحمن ابن عوف

روى ابن زبالة عن حميد بن عبد الرحمن قال : أرسلت عائشة إلى عبد الرحمن ابن عوف حين نزل به الموت أنْ هلم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى أخَوَيْكَ ، فقال : ما كنت مُضَيِّقاً عليك بيتك ، إنى كنتُ عاهدت ابن مظعون أينا مات دفن إلى جانب صاحبه ، قالت : فمروا به علىّ ، فمروا به عليها فصلَّتْ عليه .

وروى ابن شبة عن حفص بن عثمان بن عبد الرحمن نحوَهُ ،

وعن عبد الواحد بن محمد عن عبد الرحمن بن عوف أنه أوصى إنْ هَلَكَ بالمدينة أن يدفن إلى عثمان بن مظعون ، فلما هلك حفِر له عند زاوية دار عقيل الشرقية ، فدفن هنالك ، عليه ثوبُ حِبَرَة من العَصْب ، أتمارى أن يكون فيه لحمةذهب أولا.

قبر سَعْد بن أبى وَقَّاص

قبر سعد بن أبى وقاص

روى ابن شبة عن ابن دهقان قال : دعانى سعد بن أبى وقاص فخرجت معه إلى البقيع ، وخرج بأوتاد ، حتى إذا جاء من موضع زاوية عَقيل الشرقية الشامية أمرنى فحفرت ، حتى إذا بلغت باطن الأرض ضرب فيها الأوتاد ثم قال : إن هلكت فادْلُلْهم على هذا الموضع يدفنونى به ، فلما هلك قلت ذلك لولده ، فخرجنا حتى دللتهم على ذلك الموضع ، فوجَدُوا الأوتاد ، فحفروا له هنالك ودفنوه .

قبر عبد الله
ابن مسعود

قبر عبد الله بن مسعود

روى ابن سعد فى طبقاته عن أبى عبيدة بن عبد الله أن ابن مسعود قال : ادْفِنُونِى عند قبر عثمان بن مظعون .

وعن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة قال : مات عبد الله بن مسعود بالمدينة ، ودفن بالبقيع ، سنة أثنتين وثلاثين .

قبر خنيس
ابن حذافة

قبر خنيس بن حذافة السهمى

كان زوج حفصة بنت عمر قَبْلَ رســولِ الله صلى الله عليه وسلم ، وهو من المهاجرين الأولين أصحاب الهجرتين ، نَالَتْهُ جراحة يوم أحد ، فمات بسببها بالمدينة .

قال أبو عبد الله محمد بن يوسف الزرندى المدنى فى سيرته : توفى فى السنة الثالثة من الهجرة ، ودفن عند عثمان بن مظعون ، قال : وكان عثمان بن مظعون توفى قبله فى شعبان من السنة المذكورة ، ونقل ابن الجوزى أن عثمان توفى فى السنة الثانية ، اهـ . وما قدمناه من موت خنيس بعد أحد من جراحة نالته يوم أحد هو ما جزم به ابن عبد البر ، وتبعه عليه الذهبى ، و يشكل عليه ما سبق فى الفصل الثانى عشر من الباب الثالث من أن أحداً كانت فى شوال سنة ثلاث باتفاق الجمهور ، وقيل : أربع ، وأنه صلى الله عليه وسلم تزوج بحفصة بنت عمر فى شعبان من السنة الثالثة على الأصح ، وقيل : فى الثانية ؛ فلا يصح ما جزم به ابن عبد البر ، إلا أن يكون خنيس قد طَلَّقها كما أشار إليه الذهبى ، لكن قد وهم الحفّاظ ابن عبد البر فى قوله « إن خنيساً استشهد بأحد بسبب تلك الجراحة » و إنما توفى قبلها بالمدينة ، قال ابن سيد الناس : المعروف أنه مات بالمدينة على رأس خمسة وعشرين شهرا ، وذلك بعد رجوعه من بدر ، اهـ.

قبر أسعد
ابن زرارة

قبر أسعد بن زُرَارة أحَدِ بنى غنم بن مالك بن النجار

شهد العَقَبتين كما تقدم ، وتوفى فى الأولى من الهجرة والمسجد يبنى .

قال ابن شبة : قال أبو غسان : وأخبرنى بعض أصحابنا قال : لم أزل أسْمَعُ أن قبر عثمان بن مظعون وأسعد بن زرارة بالروحاء من البقيع ، والروحاء : المقبرة التى بوسط البقيع يحيط بها طرق مطرقة وسط البقيع .

قلت : فينبغى أن يسلّم على هؤلاء كلهم عند زيارة مشهد سيدنا إبراهيم بالبقيع

قبر فاطمة بنت الرسول

بيان قبر فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، و بنيها ، ومَنْ عرفت جهة قبره بالبقيع من بنى هاشم ، وأمهات المؤمنين ، وغيرهم .

روى ابن شبة عن محمد بن علي بن عمر أنه كان يقول : إن قبر فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم زاوية دار عقيل اليمانية الشارعة فى البقيع .

وعن منبوذ بن حويطب والفضل بن أبى رافع أن قبرها وُجَاه زقاق نبيه ، وأنه إلى زاوية دار عقيل أقرب .

وعن عمر بن عليّ بن حسين بن عليّ أن قبرها حذو الزقاق الذى يلى زاوية دار عقيل ، قال غسان بن معاوية بن أبى مزرّد : إنه ذَرَعَ من حيث أشار له عمر بن على فوجده خمسة عشر ذراعا إلى القناة .

وعن عمر بن عبد الله مولى عفرة أن قبرها حذو زاوية دار عقيل مما يلى دار نبيه .

وعن عبد الله بن أبى رافع أن قبرها مخرج الزقاق الذى بين دار عقيل ودار أبى نبيه .

وذكر إسماعيل راويه أنه ذَرَعَ الموضع الذى ذكر له أبوه فوجد بين القبر و بين القناة التى فى دار عقيل ثلاثة وعشرين ذراعا ، و بين القناة الأخرى سبعة وثلاثين ذراعا .

قال أبو غسان : وأخبرنى مخبر ثقة قال : يقال : إن المسجد الذى يصلى إلى جنبه شرقيا على جنائز الصبيان كان خيمة لامرأة سوداء يقال لها رقية ، جعلها هنالك حسين بن على تبهمر قبر فاطمة ، وكان لا يعرف قبر فاطمة غيرها .

قال : وأخبرنى عبد العزيز بن عمران عن حماد بن عيسى عن جعفر بن محمد

عن أبيه قال : دفن على فاطمةَ ليلاً فى منزلها الذى دخَلَ فى المسجد ، فقبرها عند باب المسجد المواجه دار أسماء بنت حسين بن عبد الله ، أى وهو الباب الذى كان فى شامى باب النساء فى المشرق كما تقدم .

قال ابن شبة عقبه : وأظن هذا الحديث غلطا ؛ لأن الثبت جاء فى غيره .

ثم روى بسند جيد عن فائد مولى عبادل ، وهو صدوق ، أن عبيد الله بن على أخبره عمن مضى من أهل بيته أن الحسن بن علىّ قال : ادْفِنُونِى فى المقبرة إلى جنب أمى ، فدفن فى المقبرة إلى جنب فاطمة مُوَاجه الخوخة التى فى دار نبيه بن وهب ، طريقُ الناسِ بين قبرها وبين خوخة نبيه ، أظن الطريق سبعة أذرع .

قال فائد : وقال لى منقد الحفار: إن فى المقبرة قبرين مطابقين بالحجارة ، قبر حَسَن بن على وقبر عائشة زوجة النبى صلى الله عليه وسلم ، فنحن لا نحركها ، فلما كان زمن حسن بن زيد وهو أمير على المدينة استعدى بنو محمد بن عمر بن على ابن أبى طالب على آل عقيل فى قناتهم التى فى دورهم الخارجية فى المقبرة ، وقالوا : إن فاطمة رضى الله تعالى عنها عند هذه القناة ، فاختصموا إلى حسن ، فدعانى حسن فسألنى فأخبرته عن عبيد الله بن أبى رافع ومَنْ بقى من أهلى وعن حسن ابن على وقوله « ادفنونى إلى جنب أمى » ثم أخبرته عن منقد الحفار وعن قبر الحسن أنه رآه مطابقا ، فقال حسن بن زيد : أنا على ماتقول ، وأقر قناة آل عقيل .

ثم ذكر ابن شبة أن أبا غسان حدثه عن عبد الله بن إبراهيم بن عبيد الله أن جعفر بن محمد كان يقول : قبر فاطمة فى بيتها الذى أدخله عمرُ بن عبد العزيز فى المسجد ، قال : ووجدت كتابا كتب عن أبى غسان فيه أن عبد العزيز بن عمران كان يقول : إنها دفنت فى بيتها ، وصنع بها ماصنع برسول الله صلى الله عليه وسلم ، إنها دفنت فى موضع فراشها ، ويحتج بأنها دفنت ليلا ، ولم يعلم بها كثير من الناس .

ثم أشار ابن شبة إلى رد ذلك بماحدثه أبو عاصم النبيل قال : حدثنا كهمس ابن الحسن قال : حدثنى يزيد قال : كمدت فاطمة رضى الله تعالى عنها بعد وفاة أبيها صلى الله عليه وسلم سبعين بين يوم وليلة ، فقالت : إنى لأستحيي من جلالة جسمى إذا أخرجت على الرجال غدا ، وكانوا يحملون الرجال كما يحملون النساء فقالت أسماء بنت عميس أو أم سلمة : إنى رأيت شيئاً يصنع بالحبشة ، فصنعت النعش ، فاتخذ بعد ذلك سنة .

وسيأتى من رواية ابن عبد البر مايؤيده .

وروى ابن شبة عن سلمى زوج أبى رافع قالت : اشْتَـكَتْ فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأصبحت يوما كأَمْثَلِ ما كانت تكون ، وخرج على فقالت: يا أمتاه اسبكى لى غسلا ، ثم قامت فاغتسلت كأَحْسَن ما كانت تغتسل ثم قالت : هاتِ ثيابى الْجُدُدَ ، فأعطتها إياها ، فلبستها ثم جاءت إلى البيت الذى كانت فيه فقالت : قَدِّمِي الفراش إلى وسط البيت ، فقدَّمته فاضطجعت واستقبلت القبلة ووضعت يدها تحت خدها ثم قالت : ياأمتاه إنى مقبوضة الآن ، وإنى قد اغتسلت فلا يَـكْشِفْنِي أحد ، قال : فقبضت مكانها ، وجاء علىّ فأخبرته فقال: لاجرم والله لايكشفها أحد ، فحملها بغسلها ذلك فدفنها .

ثم روى ابن شبة عقبه عن أسماء بنت عميس قالت : غسلت أنا وعلى ابن أبى طالب بنتَ رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وروى البيهقى بإسناد حسن عن أسماء بنت عميس أن فاطمة أوْصَتْ أن تغسلها هى وعلى ، فغسلاها .

ثم تعقبه بأن هذا فيه نظر ؛ لأن أسماء فى هذا الوقت كانت عند أبى بكر الصديق ، وقد ثبت أن أبا بكر لم يعلم بوفاة فاطمة ؛ لما فى الصحيح أن عليا دفنها ليلا ، ولم يُعْلم أبا بكر ، فكيف يمكن أن تغسلها زوجته وهو لايعلم ؟

وأجاب فى الخلافيات باحتمال أن أبا بكر علم بذلك ، وَأَحَبَّ أن لايرد غرض

علي في كتمانه منه ، قال الحافظ ابن حجر : ويمكن أن يجمع بأن أبا بكر علم بذلك وظن أن عليا سيدعوه لحضور دفنها ليلا ، وظن علي أنه يحضر من غير استدعاء منه .

وقد احتج بحديث بنت عميس هذا أحمدُ وابن المنذر ، وفي جزمهما بذلك دليل على صحته عندهما فيبطل ماروى أنها غسلت نفسها وأوصت أن لا يعاد غسلها وقد رواه أحمد ، وأورده ابن الجوزي في الموضوعات ، وأفحش القول في ابن إسحاق راويه .

وتولى ردّ ذلك عليه ابنُ عبد الهادي في التنقيح .

قلت: وعلى كل تقدير فحديث بنت عميس أرجح ؛ للأدلة الدالة على وجوب غسل الميت مطلقا ، وليس في حديث الصحيح أن أبا بكر ماعلم بوفاة فاطمة ، بل أن عليا دفنها ولم يُعلمه

وقد روى ابن عبد البر خبر أسماء بأتمّ من ذلك ، وفيه علم أبي بكر بموتها ، وذلك من طريق عون بن محمد بن علي بن أبي طالب عن أمه أم جعفر بنت محمد ابن جعفر .

وعن عمارة بن المهاجر عن أم جعفر أن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت لأسماء بنت عُميس : يا أسماء ، إني قد استقبحت ما يُصنَع بالنساء إنه يُطْرَح على المرأة الثوب فيَصِفُها ، قالت أسماء : ياابنة رسول الله ألا أريك شيئاً رأيته بأرض الحبشة ؟ فدعَتْ بجرائد رَطْبَة فحنتها ثم طرحت عليها ثوبا ، فقالت فاطمة : ما أحسن هذا وأجمله ؟ تُعْرَفُ به المرأة من الرجل ، فإذا أنامُتُّ فاغسليني أنت وعلي ، ولاتدخلي عليّ أحدا ، فلما توفيت جاءت عائشة تدخل فقالت أسماء : لاتدخلي ، فشكت إلى أبي بكر قالت : إن هذه الخثعمية تحُولُ بيننا وبين بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد جعلت لها مثل هَوْدَج العروس فجاء أبو بكر فوقف على الباب فقال : ياأسماء ، ماحملك على أن مَنَعْتِ أزواجَ

النبي صلى اللهعليه وسلم أن يدخلن على بنت رسول الله صلىالله عليه وسلم وجعلت لها مثل هَوْدَج العروس ؟ فقالت : أمرتنى أن لا يدخل عليها أحد ، وأريتها هذا الذى صنعت وهى حية فأمرتنى أن أصنع ذلك لها، قال أبو بكر : فاصنعى ماأمرتك، ثم انصرف ، وغسلها علىّ وأسماء رضى الله تعالى عنهما .

وقد خرّج الدولابى معنى ذلك مختصراً ، وفيه أنها لما أرتْها النعش تبسمت، وما رؤيت متبسمة ـ يعنى بعد النبى صلى الله عليه وسلم ـ إلا يومئذ .

وخرج أيضاً أن الوصية كانت إلى علىّ بأن يغسلها هو وأسماء ، ويجوز أن تكون أوصت إلى كل منهما .

قال ابن عبد البر : فاطمة أول مَنْ غطى نعشها من النساء فى الإسلام على الصفة المذكورة فى الخبر المتقدم ، ثم بعدها زينب بنت جحش صنع بها ذلك . وتوفيت فاطمة يوم الثلاثاء لثلاث خلت من شهر رمضان سنة إحدى عشرة ، وكانت أشارت على زوجها أن يدفنها ليلا .

قلت : لعلها أرادت بذلك المبالغة فى التستر ، وهو السبب فى عدم إعلام أبى بكر رضى الله تعالى عنه . ويتأيد بذلك رواية دَفنها بالبقيع ، وهو مقتضَى صنيع ابن زبالة فى إيراد الروايات الدالة على ذلك .

قبر بعض أبناء الإمام على بن أبى طالب

وقال المسعودى فى مروج الذهب : إن أبا عبد الله جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على رضى الله تعالى عنهم توفى سنة ثمان وأربعين ومائة ، ودفن بالبقيع مع أبيه وجده ، قال : وعلى قبورهم فى هذا الموضع من البقيع رُخَامة عليها مكتوب : بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله مبيد الأمم ، ومُحيي الرمم ، هذا قبر فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم سيدة نساء العالمين ، وقبر الحسن بن على ، وعلى بن الحسين بن على ، وقبر محمد بن على، وجعفر بن محمد ، عليهم السلام، انتهى. وذكر ما يقتضى أنه حين ذكر هذا كان فى سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة .

المتوكل يأمر بهدم قبر الحسين بن علي

وإنما أوجب عدم العلم بعين قبر فاطمة رضى الله تعالى عنها وغيرها من السلف ما كانوا عليه من عدم البناء على القبور وتجصيصها ، مع ما عرض لأهل البيت رضى الله تعالى عنهم من مُعاداة الولاة قديماً وحديثاً ، حتى ذكر المسعودى أن المتوكل أمر فى سنة ست وثلاثين ومائتين المعروفَ بالزبرج بالمسير إلى قبر الحسين ابن على رضى الله تعالى عنهما ومَحْو أرضه وهَدْمه وإزالة أثره ، وأن يعاقب مَنْ وجد به ، فبذل الرغائب لمن يقدم على ذلك ، فكل خشى عقوبة الله فأحجم ، فتناول الزبرج مِسْحَاة وهَدَم أعالى قبر الحسين ، فحينئذ أقدم الفَعَلة على العمل فيه ، وانتهوا إلى الحفيرة وموضع اللحد فلم يجدوا فيه أثر رِمَّة ولا غيرها ، ولم يزل الأمر على ذلك حتى استخلف المنتصر ، انتهى .

ويتلخص مما تقدم أن المعتمد أن قبرها بالبقيع عند قبر الحسن ، وقيل : فى بيتها ، ويتفرع عليه قولان : أحدهما ما تقدم عن عبد العزيز من أن محله من المسجد ما يقابل الباب الذى يواجه دار أسماء بنت حسين ، يعنى شامى باب النساء وهو بعيد جداً ، وثانيهما حكاه العز بن جماعة وقال : إنه أظهر الأقوال ، وهو أنه فى بيتها ، وهو مكان المحراب الخشب الذى داخل مقصورة الحجرة الشريفة من خلفها ، وقد رأيت خُدَّام الحجرة يجتنبون دَوْس ما بين المحراب المذكور وبين الموضع المزور من الحجرة الشريفة الشبيه بالمثلث ، ويزعمون أنه قبر فاطمة رضى الله تعالى عنها .

وقد سبق فى الفصل التاسع والعشرين من الباب الرابع أنهم لما أسَّسُوا دعائم القبة الكبرى المحاذية لأعلى الحجرة الشريفة أسسوا أسطوانة هناك زادوها عند الصفحة الشرقية من الموضع الشبيه بالمثلث خلف الحجرة ، فوجدوا قبراً بدا لحده وبعضُ عظامه ، وحصل للناس فى ذلك اليوم أمر عظيم ومشقة زائدة فيما أخبرنى به شيخ الخدام السيفى قائم وغيره .

وحكى ابن جماعة في قبر فاطمة رضى الله تعالى عنها قولين آخرين : أحدهما : أنه الصندوق الذى أمام مصلى الإمام بالروضة الشريفة ، قال : وهو بعيد جداً .

قلت : لم أقف له على أصل ، ولعله اشتبه على قائله بالمحراب المتقدم ذكره فى بيتها ؛ لأن عنده مصلى شبه حوض كالمصلى بالروضة ، وأمامه صندوق هو المحراب المذكور ، لكن سبق فى الفصل الثالث من الباب الرابع أنهم لما أسسوا فى محل الصندوق المحترق الدعامة التى بها محراب المصلى النبوى ، وهو مصلى الإمام ، وجدوا هنالك قبراً بدا لحده مسدوداً باللبِن أخرجوا منه بعض العظام ، وأن الأقدمين حرفوا أساس الأسطوانة التى عنده عنه ، فالله أعلم .

وثانيهما : أنه بالمسجد المنسوب إليها بالبقيع ، يعنى الذى بالقرب من قبة العباس رضى الله تعالى عنه من جهة القبلة جانحاً إلى المشرق .

وقد ذكر الغزالى هذا المسجد فى زيارة البقيع فقال : ويستحب له أن يخرج كلَّ يوم إلى البقيع بعد السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذكر القبور التى تزار ، وقال عند ذكر قبر الحسن : ويصلى فى مسجد فاطمة ، وذكره أيضاً غيره

وقال : إنه المعروف ببيت الحزن ؛ لأن فاطمة رضى الله تعالى عنها أقامت به أيام حزنها على أبيها صلى الله عليه وسلم ، ولم يذكر دفنها به ، والقول بذلك من فروع القول بدفنها بالبقيع ، لكنه بعيد من الروايات السابقة لبعده جداً من دار عقيل وعن قبر الحسن .

وقال المحب الطبرى فى « ذخائر العقبى ، فى فضائل ذوى القربى » : أخبرنى أخ لى فى الله أن الشيخ أبا العباس المرسى رحمه الله تعالى كان إذا زار البقيع وقف أمام قبلة قبة العباس وسلم على فاطمة عليها السلام ، ويذكر أنه كُشِف له عن قبرها هناك .

قال الطبرى : فلم أزل أعتقد ذلك لاعتقادى صدقَ الشيخ ، حتى وقفت على ما ذكره ابن عبد البر من أن الحسن لما توفى دفن إلى جنب أمه فاطمة رضى الله تعالى عنها ، فازددت يقيناً .

قلت : وهو أرجح الأقوال ، والله أعلم .

قبر ابنها الحسن بن على ، ومن معه

وما روى من نقل بَدَن على ورأس الحسين إلى البقيع رضى الله تعالى عنهم

قبر الحسن ابن على

وروى ابن شبة عن فائد مولى عبادل أن عبيد الله بن على أخبره عمن مضى من أهل بيته أن حسن بن على رضى الله تعالى عنهما أصابه بطن ، فلما حز به وعرف من نفسه الموت أرسلَ إلى عائشة رضى الله تعالى عنهما أن تأذن له أن يُدْفَنَ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت له : نعم ، ما كان بقى إلا موضع قبر واحد ، فلما سمعت بذلك بنو أمية استلأموا هم وبنو هاشم للقتال ، وقالت بنو أمية : والله لا يُدْفَنُ فيه أبداً ، فبلغ ذلك حسن بن على رضى الله تعالى عنهما ، فأرسل إلى أهله أما إذا كان هذا فلا حاجة لى به ، ادفنونى فى المقبرة إلى جنب أمى فاطمة ، فدفن فى المقبرة إلى جنب فاطمة رضى الله تعالى عنها .

وعن نوفل بن الفرات نحوه ، وفيه أن الحسن قال للحسين : لعل القوم أن يمنعوك إذا أردت ذلك كما منعنا صاحبهم عثمان بن عفان،ومروانُ بن الحكم يومئذ أمير على المدينة ، وقد كانوا أرادوا دفن عثمان فى البيت فمنعوهم ، فإن فعلوا فلا تُلاَحِهِم فى ذلك وادفنِّى فى بقيع الغرقد ، ثم ذكر منع مروان ، وأن الحسين لما بلغه ذلك استلأم فى الحديد واستلأم مروانُ فى الحديد أيضاً ، فأتى رجل حسيناً فقال : يا أباعبد الله ، أتعصى أخاك فى نفسه قبل أن تدفنه ؟ قال: فوضع سلاحه ، ودفنه فى بقيع الغرقد .

وفى رواية لابن عبد البر أنهم لما استلأموا فى السلاح بلغ ذلك أبا هريرة رضى الله تعالى عنه ، فقال : والله ما هو إلا ظلم ، يمنع الحسن أن يدفن مع أبيه ؟ والله إنه لابنُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، ثم انطلق إلى الحسين وكلمه وناشده الله وقال له : أليس قد قال أخوك إن خفت أن يكون قتال فردونى إلى مقبرة المسلمين ؟ فلم يزل به حتى فعل .

تسمية من دفن مع الحسن

وذكر ابن النجار أن مع الحسن رضى الله تعالى عنه فى قبره ابن أخيه زين العابدين على بن الحسين ، وأبا جعفر الباقر محمد بن زين العابدين ، وجعفرا الصادق ابن الباقر ، رضوان الله عليهم أجمعين . وذكر الغزالى نحوه .

دفن على بالبقيع

وروى الزبير بن بكار من طريق شريك بن عبد الله عن أبى روق قال : حمل الحسن بدن على بن أبى طالب فدفنه بالبقيع .

قلت : وقد اتفق فى سنة بضع وستين وثمانمائة حفر قبر بمشهد الحسن والعباس أمام قبلته ، فوجدوا فسقية فيها تابوت من خشب مُغَشًّى بشىء أحمر يشبه اللباد الأحمر مسمر بمسامير لها بريق و بياض لم تصدأ، وتعجب الناس لكونها لم تصدأ ولعدم بلاء ذلك الغشاء .

وأخبرنى جمع كثير ممن شاهد ذلك ، وأن على مدخل تلك الفسقية أحجاراً من المسن ، فلعله بدن على رضى الله تعالى عنه .

دفن رأس الحسين بن على

وذكر محمد بن سعيد أن يزيد بن معاوية بعث برأس الحسين رضى الله تعالى عنه إلى عمرو بن سعيد بن العاص ، وكان عامله على المدينة ، فكفنه ودفنه بالبقيع عند قبر أمه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم . لكن ذكر ابن أبى الدنيا أنهم وجدوا فى خزانة ليزيد رأسَ الحسين فكفنوه ودفنوه بدمشق عند باب الفراديس . وقيل غير ذلك ، ولا بأس بالسلام على هؤلاء كلهم عند زيارة هذا المشهد .

قبر العباس بن عبدالمطلب

* قبر العباس بن عبد المطلب رضى الله تعالى عنه *

قال ابن شبة فيما نقله عن أبى غسان : قال عبد العزيز : دفن العباس بن عبد المطلب عند قبر فاطمة بنت أسد بن هاشم فى أول مقابر بنى هاشم التى فى دار عقيل ، فيقال : إن ذلك المسجد بنى قبالة قبره ، قال : وقد سمعت من يقول : دفن فى موضع من البقيع متوسطا .

قبر صفية بنت عبدالمطلب

* قبر صفية بنت عبد المطلب رضى الله تعالى عنها *

قال عبد العزيز فيما نقله ابن شبة : توفيت صفية فدفنت فى آخر الزقاق الذى يخرج إلى البقيع عند باب الدار التى يقال لها دار المغيرة بن شعبة التى أقطعه عثمان ابن عفان لازقا بجدار الدار ، قال عبد العزيز : فبلغنى أن الزبير بن العوام اجتاز بالمغيرة وهو يبنى داره ، فقال : يامغيرة ارْفَعْ مطمرك[٢] عن قبر أمى ، فأدخل المغيرة جداره ، فالجدار اليوم منحرف فيما بين ذلك الموضع و بين باب الدار .

قال عبد العزيز : وقد سمعت مَنْ يذكر أن المغيرة بن شعبة أبى أن يفعل ذلك لمكانه من عثمان ، فأخذ الزبير السيفَ ثم قام على البناء ، فبلغ الخبرُ عثمانَ ، فأرسل إلى المغيرة يأمره بالمصير إلى ما أمره به الزبير ، ففعل .

وروى ابن زبالة عن محمد بن موسى بن أبى عبد الله قال : كان قبر صفية بنت عبد المطلب عند زاوية دار المغيرة بن شعبة الوضوء عليه[١] ، فلما بنى المغيرة داره أراد أن يقيم المطمر عليه[٢] ، قال : فقال الزبير : لا ، والله لاتبنى على قبر أمى ، فكفّ عنه .

قلت : والمعروف أن ذلك هو المشهد الآتى ذكره خارج باب البقيع ، والله أعلم .

قبر أبى سفيان ابن عبدالمطلب

* قبر أبى سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، وما قيل فى قبر عقيل وابن أخيه عبد الله بن جعفر ، رضى الله تعالى عنهم *

---

(١) كذا ، ولا معنى له ولم يتجه لى تصحيحه

(٢) المطمر — كمنبر — والمطمار أيضا : خيط البناء التى يقدر به

قال ابن شبة : قال عبد العزيز : بلغنى أن عقيل بن أبى طالب رأى أبا سفيان ابن الحارث يجول بين المقابر ، فقال : يا ابن عمٍّ مالى أراك هنا ؟ قال : أطلب موضع قبر ، فأدخله داره وأمر بقبر فحفر فى قاعتها ، فقعد عليه أبو سفيان ساعةً ثم انصرف ، فلم يلبث إلا يومين حتى توفى فدفن فيه .

وقال الموفق بن قدامة : قيل عن أبى سفيان : إنه حفر قبره بنفسه قبل موته بثلاثة أيام ، قال : وكان سبب موته أنه حجّ فلما حلق الحلاق رأسه قطع ثُؤلُولاً كان فى رأسه ، فلم يزل مريضا حتى مات بعد مَقْدَمه من الحج سنة عشرين ، ودفن فى دار عقيل ، وصلى عليه عمر رضى الله تعالى عنهم .

قلت : والظاهر أنه بالمشهد المنسوب اليوم لعقيل ؛ لأن ابن زبالة وابن شبة لم يذكرا قبر عقيل بالبقيع ، وكذا الغزالى لما ذكر فى الإحياء مَنْ يزار بالبقيع لم يذكره ، بل المنقول الذى ذكره ابن قدامة وغيره أن عقيلا توفى بالشام فى خلافة معاوية ، فكان سبب اشتهار ذلك المشهد به كون الدار التى هو بها له ؛ ويحتمل على بُعْدٍ أنه نقل من الشام ودفن بذلك المحل أيضا ، وأولُ من رأيته ذكر أنه بذلك المشهد ابن النجار ، فقال : وقبر عقيل بن أبى طالب أخى على رضى الله تعالى عنهما فى قبة أول البقيع ، ومعه فى القبر ابن أخيه عبد الله بن جعفر الطيار ابن أبى طالب ، وهو الجواد المشهور رضى الله تعالى عنه .

قبر عبد الله بن جعفر الطيار

وقد ذكر أبو اليقظان أن عبد الله بن جعفر الجواد كان أجود العرب ، وأنه توفى بالمدينة وقد كبر ، وقال غيره : توفى ودفن بالأبواء سنة تسعين ، ويقال : إنه كان ابن عشر سنين حين قُبض رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قبور أمهات المؤمنين

* قبور أزواج النبى صلى الله عليه وسلم ، ورضى الله تعالى عنهن *

روى ابن زبالة عن محمد بن عبيد الله بن على قال : قبور أزواج النبى صلى الله عليه وسلم من خَوْخة نبيه إلى الزقاق الذى يخرج إلى البقال مستطيرة ؛ وترجم ابن شبة لقبر أم حبيبة زوج النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم روى عن زيد بن

السائب قال : أخبرني جدى قال : لما حفر عقيل بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه فى داره بئرا وقع على حجر منقوش مكتوب فيه « قبر أم حبيبة بنت صخر بن حرب » فدفَنَ عقيلٌ البئر ، و بنى عليه بيتاً ، قال ابن السائب : فدخلت ذلك البيت فرأيت فيه ذلك القبر .

قلت : فهذا وما قبله أصلٌ فى زيارتهن بالمشهد المعروف بهن فى قبلة مشهد عقيل رضى الله عنه ، والظاهر أن خوخة نبيه فى غربى المشهد المذكور ، وكذا الزقاق الذى يخرج إلى البقال ؛ لما سيأتى فى ترجمته ، فيكون بعضهن بقرب الحسن والعباس رضى الله تعالى عنهما ، ولهذا روى ابن شبة عن محمد بن يحيى قال : سمعت مَنْ يذكر أن قبر أم سلمة رضى الله تعالى عنها بالبقيع حيث دفن محمد بن زيد بن علىّ قريبا من موضع فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنه كان حَفَر فوجد على ثمانية أذرع حجرا مكسورا مكتوبا فى بعضه « أم سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم » فبذلك عرف أنه قبرها .

وقد أمر محمد بن زيد بن على أهلَه أن يدفنوه فى ذلك القبر بعينه ، وأن يحفروا له عمقا ثمانية أذرع ، فحفر كذلك ودفن فيه .

وروى ابن زبالة عن إبراهيم بن على بن حسن الرافعى قال : حفر لسالم البانكى مولى محمد بن علىّ فأخرجوا حجرا طويلا فإذا فيه مكتوب « هذا قبر أم سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم » وهو مقابل خوخة آل نبيه بن وهب ، قال : فأهِيلَ عليه الترابُ وحفر لسالم فى موضع آخر .

وعن حسن بن على بن عبيد الله بن محمد بن عمر بن علىّ أنه هدم منزله فى دار على بن أبى طالب ، قال : فأخرجنا حجرا مكتوباً فيه « هذا قبر رَمْلَة بنت صخر » قال : فسألنا عنه فائدا مولى عبادل فقال : هذا قبر أم حبيبة ابنة أبى سفيان ، و يخالفه ما تقدم من أن قبرها فى دار عقيل ، ولعله تصحف بعلى .

وفى صحيح البخارى أن عائشة رضى الله تعالى عنها أوْصَتْ عبدَ الله بن

الزبير لا تدفنى معهم ، تعنى النبى صلى الله عليه وسلم وصاحبيه ، وادفنى مع صَوَاحبى بالبقيع .

وروى ابن زبالة عن فائد مولى عبادل قال : قال لى منقد الحفّار : فى المقبرة قبران مطابقان بالحجارة : قبر حسن بن على ، وقبر عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم ؛ فنحن لا نحركهما .

قلت : وأمهات المؤمنين كلهن بالمدينة ، إلا خديجة فبمكة ، وإلا ميمونة فبِسَرِف .

قبر الشهيد عثمان بن عفان

* قبر أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه *

وروى ابن شبة عن الزهرى قال : جاءت أمُّ حَبيبة بنتُ أبى سفيان رضى الله تعالى عنهما فوقفت على باب المسجد ، فقالت : لَتُخَلُّنَّ بينى وبين دَفْن هذا الرجل أو لأَكْشِفَنَّ ستر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخلوها ، فلما أَمْسَوْا جاء جُبَير بن مطعم وحكيم بن حزام وعبد الله بن الزبير وأبو الجهم بن حذيفة وعبد الله ابن حسل ، فحملوه فانتهوا به إلى البقيع ، فمنعهم من دَفْنه ابنُ بحرة ، ويقال : ابن نحرة الساعدى ، فانطلق به إلى حش كوكب ، وهو بستان بالمدينة ، فصلّى عليه جُبَير ودفنوه وانصرفوا .

وعن عروة بن الزبير قال : منعهم من دَفْن عثمان بالبقيع أسْلَم بن أوس بن بحرة الساعدى ، فانطلقوا به إلى حش كوكب ، فصلى عليه حكيم بن حزام ، وأدْخل بنو أمية حش كوكب فى البقيع .

وعن عثمان بن محمد الأخنسى عن أم حكيمة قالت : كنت مع الأربعة الذين دَفَنُوا عثمان بن عفان : جُبَير بن مطعم ، وحكيم بن حزام ، وأبو جهم بن حذيفة ، ونيار بن مكرم الأسلمى ، وحملوه على بابٍ أسمع قرع رأسه على الباب كأنه دباة ، ويقول : دب دب ، حتى جاؤا به حش كوكب فدفن به ، ثم هد عليه الجدار وصلى عليه هناك .

قال : وحش كوكب : موضع فى أصل الحائط الذى فى شرقى البقيع الذى يقال له خضراء أبان ، وهو أبان بن عثمان .

قلت : ولذلك تسمى تلك الناحية إلى اليوم بالحضارى .

وفى طبقات ابن سعد عن مالك بن أبى عامر قال . كان الناس يتوَقَّوْنَ أن أن يدفنوا موتاهم فى حُشٍّ كوكب ، فكان عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه يقول : يوشك أن يهلك رجل صالح فيدفن هناك فيأتسى الناسُ به ، قال : فكان عثمان أول من دفن به .

وروى ابن شبة عن عبد الله بن فروج قال : كنا مع طلحة فقال لى ولابن أخيه عبد الرحمن بن عثمان بن عبيد الله : انطلقا فانظرا ما فعَلَ الرجل ، قال : فدخلنا فإذا هو مُسَجَّى بثوب أبيض ، فرجعنا إلى طلحة فأخبرناه ، فقال : قوموا إلى صاحبكم فواروه ، فانطلقنا فجمعنا عليه ثيابه كما يصنع بالشهيد ، ثم أخرجناه نيصلى عليه ، فقالت المصرية : والله لا يُصَلَّى عليه ، فقال أبو الجهم بن حذيفة : والله إن عليكم أن لا تصلوا عليه ، قد صلى الله عليه ، فَنَخَزُوه ساعةً بنعال سيوفهم حتى ظننت أن قد قتلوه ، ثم أرادوا دفنه مع نبى الله صلى الله عليه وسلم ، وكان قد استوهب من عائشة رضى الله تعالى عنها موضعَ قبر فوهبت له ، فأبوا ، فدفن فى مقبرة كان قد اشتراها فزادها فى المقبرة ، فكان أول من دفن فيها .

وقيل : إن عمرو بن عثمان صلى عليه يومئذ .

وروى ابن زبالة عن ابن شهاب وغيره أن عُثمان منع من البقيع ، فدفن فى حش كوكب ، وكان عثمان بن مظعون أولَ مَنْ دفن بالبقيع ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم أسفل مهراس علامةً على قبره ليدفن الناس حوله ، وقال : لأجعلنَّكَ للمتقين إماما ، فلما استعمل معاوية مروان بن الحكم على المدينة فى ملكه أدخل الحش فى البقيع ، وحمل المهراس فجعله على قبر عثمان ، وقال : عثمان وعثمان ، فدفن الناس حول عثمان رضى الله تعالى عنه .

قبر سعد بن معاذ

* قبر سعد بن معاذ الأشهلى رضى الله تعالى عنه *

نقل ابن شبة عن عبد العزيز أنه أصيب يوم الخندق ، فدعا فحبس الله عنه الدم ، حتى حَكَم فى بنى قريظة ، ثم انفجر كله ؛ فمات فى منزله فى بنى عبد الأشهل ، فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ودفنه فى طرف الزقاق الذى بلزق دار المقداد بن الأسود ، وهو المقداد بن عمرو ، وإنمــا تَبَنَّاه الأسود ابن عبد يغوث الزهرى ، وهى الدار التى يقال لها دار ابن أفلح فى أقصى البقيع عليها جُنْبُذة ، [1] انتهى . وهذا الوصف صادق بالمشهد المنسوب لفاطمة بنت أسد ؛ لكونه بطرف زقاق فى أقصى البقيع ؛ وفى شرقيه ناحية بنى ظَفَر وبنى عبد الأشهل ، فلعله قبره ، ولكن وقع الاشتباه فى نسبته لفاطمة رضى الله تعالى عنها لما قدمناه فى قبرها ، والله أعلم

قبر أبى سعيد الخدرى

* قبر أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه *

وروى ابن شبة عن عبد الرحمن بن أبى سعيد الخدرى قال : قال لى أبى : يا بنى ، إنى قد كبرت ، وذهب أصحابى وحان منى ، فَخُذْ بيدى ، فأخذت بيده حتى جئت إلى البقيع ، فجئت أقصى البقيع مكانا لا يدفن فيه ، فقال : يا بنى ، إذا هلكت فاحفر لى ههنا ، لا تبك علىّ باكية ، ولا يضربن علىّ فسطاط ، ولا يمشى معى بنار ، ولا تؤذنن أحدا ، واسلك بى زقاق عمقة ، وليكن مشيك بى خَبَبا ، وفى رواية ثم اتكأ على فأتى البقيع حيث لا يدفن أحد ، فقال : إذا مت فادفنى ههنا ، واسلك بى زقاق عمقة ، وزاد : ولا تبك علىّ نائحة ، وامشُوا بى الخَبَبَ ، ولا تؤذنوا بى أحدا ، قال : فيأتينى الناسُ متى يخرج ، فأكره أن أخبرهم لما قال لى ، فأخرجته فى صدر النهار ، فأتيت البقيع وقد ملىء ناساً .

---

(١) جنبذة ـ هى بضم الجيم وسكون النون وضم الباء ـ شىء يشبه القبة

بيان المشاهد المعروفة اليوم بالبقيع وغيره من المدينة الشريفة

اعلم أن أكثر الصحابة رضى الله عنهم — كما قال المطرى — ممن توفى فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم و بعد وفاته مدفنون بالبقيع ، وكذلك سادات أهل بيت النبى صلى الله عليه وسلم وسادات التابعين

وفى مدارك عياض عن مالك أنه مات بالمدينة من الصحابة نحو عشرة آلاف ، وباقيهم تفرقوا فى البلدان .

وقال المجد : لاشك أن مقبرة البقيع محشوة بالجماء الغفير من سادات الأمة ، غير أن اجتناب السلف الصالح من المبالغة فى تعظيم القبور وتجصيصها أفضى إلى انطماس آثار أكثرهم ، فلذلك لا يعرف قبر معينين منهم إلا أفرادا معدودة.

قلت : وقد ابتنى عليها مشاهد : منها مشهد على يمينك إذا خرجت من باب البقيع قبلى المشهد المنسوب لعقيل بن أبى طالب وأمهات المؤمنين ، تحوى العباس ابن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والحسن بن على ، ومن تقدم ذكره معه ، وعليهم قبة شامخة فى الهواء ، قال ابن النجار : وهى كبيرة عالية قديمة البناء وعليها بابان يفتح أحدهما فى كل يوم ، ولم يذكر الذى بناها ، وقال المطرى : بناها الخليفة الناصر أحمد بن المستضىء .

قلت : وفيه نظر ؛ لأن الناصر هذا كان معاصرا لابن النجار ؛ لأنه توفى سنة اثنتين وعشرين وستمائة ، ووفاة ابن النجار سنة ثلاث وأربعين وستمائة ، وقد قال ابن النجار : إن هذه القبة قديمة البناء ، ووصفها بما هى عليه اليوم . ورأيت فى أعلى محراب هـــذا المشهد : أمر بعمله المنصور المستنصر بالله ، ولم يذكر اسمه ولا تاريخ العمارة ، فلعله المنصور الذى هو ثانى خلفاء بنى العباس ، لكنه لايلقب بالمستنصر بالله ، ولم أر مَنْ جمع بين هذين اللقبين ، وعلى ساج قبر العباس أن الآمر بعمله المسترشد بالله سنة تسع عشرة وخمسمائة ، ولعل عمارة القبة قبله ، وقبر العباس وقبر الحسن مرتفعان من الأرض متسعان مُغَشَّيَانِ بألواح ملصقة

أبدَعَ إلصاق مضفحة بصفائح الصُّفْر مكوكبة بمسامير على أبدع صنعة وأجمل منظر .

وينبغي أن يسلم زائرها على من قدمنا ذكر دفنه عندها في قبر فاطمة والحسن رضي الله تعالى عنهما ، وهناك قبور كثيرة لأمراء المدينة وأقاربهم من الأشراف يدفنون بهذا المشهد .

وفي غربيه قبر ابن أبي الهيجاء وزير العبيديين ، عليه بناء ، وقبر آخر يعرف بابن أبي النصر عليه بناء أيضا .

وفي شرقي المشهد بعيداً منه حَظِيرتَان في إحداهما الأمير جوبان صاحب المدرسة الجوبانية ، وفي الأخرى بعض الأعيان ممن نقل إلى المدينة ، وإنما نبهت على ذلك خوفا من الالتباس على طول الزمان .

ومنها: مشهد في قبلة المشهد المنسوب لعقيل متصل به ، قال المطري : يقال : إن فيه قبور أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم

وقال ابن النجار — في القبور المعروفة في زمانه — مالفظه : وقبور أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وهن أربعة قبور ظاهرة ، ولا يعلم تحقيق مَنْ فيها منهن .

قلت : باطن هذا المشهد كله أرض مستوية ليس فيها علامة قبور ، وكان حظيراً مبنِيًّا بالحجارة كما ذكره المطري ، فابتنى عليه قبةً الأميرُ بردبك المعمار سنة ثلاث وخمسين وثمانمائة .

ومنها: مشهد عقيل بن أبي طالب على ما ذكره ابن النجار ، وتبعه مَنْ بعده ، قال : ومعه في القبر ابن أخيه عبد الله الجواد بن جعفر الطيار ، كما قدمناه عنه في قبر أبي سفيان بن الحارث ، مع بيان أن ذلك المشهد من دار عقيل ، وأن الذي نقل دفنه هناك إنما هو أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، وأن عقيلا مات بالشام خلاف قول المطري إن المنقول دفنه في داره ، وجوزنا أن يكون نقل من

الشام إليها ، فينبغى السلام على الثلاثة المذكورين هناك ، وتقدم استجابة الدعاء عند زاوية الدار المذكورة .

ومنها : روضة بقرب مشهد عقيل ، يقال : إن فيها ثلاثة من أولاد النبى صلى الله عليه وسلم ، كذا قاله المجد ، وجعله مما يعرف فى زمنه بالبقيع ، ولم أره فى كلام غيره ، ولولا ذكره لمشهد سيدنا إبراهيم قبل ذلك لحلنا كلامه عليه ، وليس بقرب مشهد عقيل إلا القبة المتهدمة التى فى غربى مشهد أمهات المؤمنين ، ولا يعرف مَنْ بها ، فلعلها مراده ، أو القبة الآتى ذكرها فى مشهد الإمام مالك رضى الله تعالى عنه فى ركنه الشرقى الشمالى ، فإن كلا منهما يصح وصفها بالقرب من مشهد عقيل ، ثم تبين أن مراده الأولى التى فى غربى مشهد أمهات المؤمنين ، فإن ابن جُبَير ذكر فى رحلته روضة عقيل ، ثم روضة أمهات المؤمنين ، ثم قال : وبإزائها روضة صغيرة فيها ثلاثة من أولاد النبي صلى الله عليه وسلم ، ويليها روضة العباس بن عبد المطلب ، إلى آخره ، فهذا مأخذ المجد .

ومنها : مشهد سيدنا إبراهيم بن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقبره على نَعْت قبر الحسن والعباس ، وهو ملصق إلى جدار المشهد القبلى ، وفى هذا الجدار شباك ، قال المجد : وموضع تربته يعرف ببيت الحزن ، يقال : إنه البيت الذى أوَتْ إليه فاطمة رضى الله تعالى عنها ، والتزمت الحزن فيه بعد وفاة أبيها سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ، انتهى .

والمشهور ببيت الحزن إنما هو الموضع المعروف بمسجد فاطمة فى قبلة مشهد الحسن والعباس ، وإليه أشار ابنُ جُبَير بقوله : ويلى القبة العباسية بيت لفاطمة بنت الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويعرف ببيت الحزن ، يقال : إنه الذى أوَتْ إليه والتزمت الحزن فيه عند وفاة أبيها صلى الله عليه وسلم ، انتهى .

وفيه قبرها على أحد الأقوال كما قدمناه ، وأظنه فى موضع بيت على بن أبى طالب الذى كان اتخذه بالبقيع ، وفيه اليوم هيئة قبور .

وفى شامى قبر سيدنا إبراهيم بمشهده صورة قبرين حادثين لم يذكرهما ابن النجار ، ولا من تبعه ، إنما ذكروا ما قدمناه من كونه إلى جانب عثمان بن مظعون وأن عبد الرحمن بن عوف أوصى أن يدفن هناك ، وأنه ينبغى زيارتهما معه .

قلت : وكذا كل من قدمنا ذكر دفنه هناك .

ومنها : مشهد صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أم الزبير بن العوام ، على يسارك عند ما تخرج من باب البقيع ، وهو بناء من حجارة لا قُبّة عليه ، قال المطرى : وأرادوا عَقْد قبة صغيرة عليه فلم يتفق ذلك .

ومنها : مشهد أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه ، وعليه قبة عالية ابتناها أسامة بن سنان الصالحى أحدُ أمراء السلطان السعيد صلاح الدين يوسف بن أيوب فى سنة إحدى وستمائة ، قاله المطرى ، قال الزين المراغى : ونقل أبو شامة أن البانى لها عز الدين سلمة .

قلت : ولم يذكر ابن النجار هـذه القبة ، مع ذكره لقبة الحسن والعباس وسيدنا إبراهيم وغيرهما مما كان فى زمنه ، وقد أدرك التاريخ الذى ذكره المطرى وبعده بكثير .

وبمشهد سيدنا عثمان قبر خلف قبره يقال : إنه قبر متولى عمارة القبة .

وقد حدث فى زماننا أمام المشهد فى المغرب بناء مربع عليه قبو فيه امرأة كانت أم ولد لبعض بنى الجيعان توفيت بالمدينة الشريفة ، وإلى جانبه حظيرة فيها امرأة لبعض الأتراك ، وبين هـذا البناء وبين المشهد أيضاً حظيرة أخرى بها أخت صاحبنا قاضى الحرمين العلامة محيى الدين الحنبلى متع الله به .

ومنها : مشهد فاطمة[1] بنت أسد أم أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهما بأقصى البقيع ، على ما فيه مما تقدم فى ذكر قبرها ، وينبغى أن يسلم هناك على سعد بن معاذ لما سبق .

---

(١) وبالبقيع فى آخر شامى مشهد عثمان رضى الله عنه قبة يزعم الناس أنها لحليمة السعدية مرضعة النبى (ص) ولم نر لذلك أصلا (حسب الله)

مشهد مالك ابن أنس الأصبحي

ومنها : مشهد الإمام أبي عبد الله مالك بن أنس الأَصْبَحي إمام دار الهجرة إذا خرجت من باب البقيع كان مواجهاً لك عليه قبة صغيرة و إلى جانبه في المشرق والشام قبة لطيفة أيضاً ، لم يتعرض لذكرها المطرى ومَنْ بعده ، فيحتمل أن تكون حادثة ، ويقال : إن بها نافعا مولى ابن عمر .

وفي كلام ابن جبير عند ذكر المشاهد المعروفة في زمنه ما يؤخذ منه أن بين مشهد سيدنا إبراهيم عليه السلام و بين مشهد مالك تربة عن يمين مشهد سيدنا إبراهيم ، وأنها تربة ابن لعمر رضي الله عنه اسمه عبد الرحمن الأوسط ، قال : وهو المعروف بأبي شحمة ، وهو الذي جَلَده أبوه الحدّ فمرض ومات ، وما ذكره ينطبق على القبة المذكورة .

مشهد إسماعيل ابن جعفر الصادق

ومنها : مشهد إسماعيل بن جعفر الصادق ، وهو كبير يقابل مشهد العباس في المغرب ، وهو ركن سور المدينة اليوم من القبلة والمشرق ، بنى قبل السور ، فاتصل السور به ، فصار بابه من داخل المدينة ، قال المطرى : بَنَاه بعض العبيديين من ملوك مصر .

قلت : على باب المشهد الأوسط الذي أمامه الرحبة التي بها البئر التي يتبرك بها حجر فيه أن حسين بن أبي الهيجاء عَمَره سنة ست وأربعين وخمسمائة ، ولعل المطرى نسب ذلك لبعض العبيديين ؛ لأن ابن أبي الهيجاء كان من ورائهم .

قال المطرى : ويقال إن عرصة هـذا المشهد وما حوله من جهة الشمال إلى الباب كانت دار زين العابدين ، وبجانب المشهد الغربي مسجد صغير مهجور يقال : إنه مسجد زين العابدين .

قلت : على يمين الداخل إلى المشهد بين الباب الأوسط والأخير حجر منقوش فيه وقف الحديقة التي بجانب المشهد في المغرب على المشهد : وقَفَها ابنُ أبي الهيجاء ، ونسبة المسجد الذي بطرف الحديقة بجانب المشهد لزين العابدين ، وأن عرصة المشهد داره ، وأن بئره تلك يُتَدَاوى بها .

ويقال : إن ابنه جعفرا الباقر سقط بها وهو صغير ، وزين العابدين يصلى ، فلم يقطع صلاته .

وفى كلام ابن شبة ما يصلح أن يكون مستنداً فى نسبة تلك العرصة لزين العابدين ؛ لذكره داراً تقرب من وصفها ، ونَسَبَهَا لولده ، فقال : واتخذت صفية بنت حُيَي دارَ زيد بن على بن حسين بن على ، وقد صارت دارين ، وهما جميعاً دار واحدة ، بنى زيد بن على شقها الشرقى الذى يلى البقيع ، وبنى آل أبى سويد الثقفى شقها الغربى الذى يلى دار السائب مولى زيد بن ثابت ، فيحتمل أنه نسبها لولده لكونه بناها وكانت لأبيه ، وقال أيضاً : واتخذ جعفر بن أبى طالب داراً بين دار أبى رافع مولى النبى صلى الله عليه وسلم بالبقيع وبين دار أسماء بنت عُمَيس التى فى شامى دار أبى رافع تحت سقيفة محمد بن زيد بن على بن حسين . وبَيَّنَ ابن شبة أن دار أبى رافع نَاقَلَ بها سعدُ بن أبى وقاص أبا رافع فدفع لأبى رافع داره بالبقال .

وقد تقدم ذكر الشارع الذى يخرج إلى البقال فى قبور أمهات المؤمنين، وأنه فى غربى المشهد المعروف بهن ؛ لما سيأتى فى ترجمة البقال ، وقد جدد مسجد زين العابدين سنة أربع وثمانين وثمانمائة .

وأما المشاهد المعروفة بالمدينة فى غير البقيع فثلاثة :

مشهد حمزة

أحدها : مشهد سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ، عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى الله تعالى عنه . وسيأتى ذكره مع شهداء أحد فى الفصل بعده ، وعليه قبة عالية حسنة مُتْقنة ، وبابه مصفح كله بالحديد . بَنَتْه أم الخليفة الناصر لدين الله أبى العباس أحمد بن المستضى، كما قاله ابن النجار ، وذلك فى سنة تسعين وخمسمائة، قال : وجعلت على القبر ملبناً من ساج ، وحوله حصباء ، وباب المشهد من حديد، يفتح كل يوم خميس، وقريب منه مسجد يذكر أنه موضع مقتله، انتهى.

وتبعه عليه مَنْ بعده . ووصفه القبر بأن عليه ملبن خشب ، يعنى أنه كهيئة قبر سيدنا إبراهيم ، فإنه عبر فيه بذلك أيضاً ، وقبر سيدنا إبراهيم على ذلك الوصف اليوم ، وكذلك الحسن والعباس .

وأما قبر حمزة فإنه اليوم مبنى مُجَصَّص بالقَصَّة لا خشب عليه ، وفى أعلاه من ناحية رأسه حجر فيه بعد البسملة : « إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر » هذا مَصْرَع حمزة بن عبد المطلب عليه السلام ، ومصلى النبى صلى الله عليه وسلم ، عَمَره العبدُ الفقير إلى رحمة ربه حسين بن أبى الهيجاء ، غفر الله له ولوالديه سنة ثمانين وخمسمائة ، انتهى .

وهذا قبل عمارة أم الناصر بعشر سنين ، وابن النجار إنما قدم المدينة بعد ذلك ؛ لأنه ألَّفَ كتابه سنة مجاورته بها ، ومولده سنة ثمان وسبعين وخمسمائة ، فمقتضى ذلك أن ابن النجار أدرك القبر وهو بهذه الهيئة من الكتابة ، وقد صرح بخلافها ، وأيضاً فالتعبير فى تلك الكتابة بمَصْرَع حمزة وتصديره بالآية دليل الخطأ فى إثبات ذلك المسن هناك ، فالصواب أن ذلك المسن كان بالمسجد المعروف اليوم بالمصرع ، وكأنه لما تهدَّم نقل إلى المشهد لقربه منه ، ثم لما تكسر الخشب الذى ذكر ابن النجار أنه كان على القبر بَنَوُا القبر على هذه الهيئة ، وظنوا أن ذلك المسن لوضعه بالمشهد يتعلق به ، فأثبتوه بالقبر . ويؤيد ذلك أن نسبة عمارة القبة لأم الخليفة فى التاريخ المذكور موجودة اليوم بالكتابة الكوفية نَقْشًا فى جدار المشهد بالجص ، واقتلع الشجاعى شاهين شيخُ الحرم المسنَّ المذكور وأعاده إلى محله بالمصرع ، ومقتضى ما سبق عن ابن النجار ومَنْ تبعه أن أم الخليفة الناصر لدين الله هى أول من اتخذ المشهد المذكور على سيدنا حمزة رضى الله تعالى عنه ، وسيأتى فى الفصل بعده عند ذكر قبر حمزة رضى الله تعالى عنه عن عبد العزيز بن عمران أنه كان على قبر حمزة قديماً مسجد ، وذلك فى المائة الثانية ، فكأن أم الخليفة وسَّعته وجعلته على

هذه الهيئة الموجودة اليوم ، وقد زاد فيه سلطان زماننا الأشرف قايتباى أعز الله نصره زيادةً من جهة المغرب أدْخَلَ فيها البئر التى كانت خارجة فى غربيه، واتخذ هناك أخْلِيَة لمن يريد الطهارة ، وجعل بعضها بالسطح ، فعمّ النفع بذلك ، واحتفر بئراً خارجةً بجهة المغرب أيضاً يرتفق بها المارة ، وذلك فى شهر جُمَادى الأولى سنة تسعين وثمانمائة على يد الشجاعى شاهين الجمالى شيخ الحرم الشريف النبوى ، وشاد عمائره ، عظم الله شأنه .

واعلم أن القبر الذى بالمشهد عند رجلى سيدنا حمزة رضى الله تعالى عنه قبر رجل تركى اسمه سنقر ، كان متولى عمارة المشهد ، والقبر الذى بصحن المسجد قبر بعض أمراء المدينة من الأشراف ، فلا يظن أنهما من قبور الشهداء رضوان الله عليهم، وسيأتى فى قبر حمزة رضى الله تعالى عنه أنه ينبغى أن يسلم معه على مُصْعب ابن عُمَير وعبد الله بن جَحْش ؛ لما سيأتى فيه .

مشهد مالك بن سنان الخدرى

ثانيها : مشهد مالك بن سنان ، والد أبى سعيد الخدرى ، فى غربى المدينة ملاصقاً للسور ، وسيأتى ما جاء فيه فى الفصل بعده ، وعليه قبة قديمة البناء بها محراب، وعن يمينه باب خزانة صغيرة فيها بناء أصغر من صفة القبور يظن الناس أنه محل القبر ، والظاهر أن القبر بالقبة المذكورة ، لما سيأتى فى ذكر من قيل إنه نقل من شهداء أحد من قول ابن أبى فدَيك إنه بالمسجد الذى عند أصحاب العَبَاء فى طرف الحناطين ، لكن فى رواية ابن زبالة أنه دون عند مسجد أصحاب العباء : أى الذين يبيعون العبى ، وذلك المحل من سوق المدينة القديم .

مهشد النفس الزكية

ثالثها : المشهد المعروف بالنفس الزكية ، وهو السيد الشريف الملقب بالمهدى محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب ، رضوان الله تعالى عليهم ، قتل فى أيام أبى جعفر المنصور ، وهذا المشهد شرقى جبل سَلْع ، وعليه بناء كبير بالحجارة السود ، قصدوا أن يبنوا عليه قبة فلم يتفق ، وهو داخل مسجد كبير مهجور، وفى قبلة المسجد مَنْهَل من عين الأزرق مدرج من شرقيه وغربيه .

والعين تجرى فى وسطه ، وتقدم فى سوق المدينة أن ابن زبالة عبر عن ذلك ببركة السوق . ولعل ذلك المسجد هو المنسوب إلى الأعرج كما تقدم فى مصلى العيد .

وما ذكرناه من كون النفس الزكية بهذا المشهد ذكره المطرى ومن تبعه ، وهو المستفيض بين أهل المدينة ، لكنه مخالف لما ذكره سبط ابن الجوزى فى رياض الأفهام ، فإنه ذكر خروجه على المنصور بعد حَبْسه لأبيه وأقاربه ، فبايعه كثير من الناس ، قال : فجهز إليه المنصور عيسى بن موسى عم المنصور فى أربعة آلاف ، فجاء ووقف على سلع وقال : يا محمد ، لك الأمان ، فصاح به : والله ما تفوز ، والموت فى عزٍّ خيرٌ من الحياة فى ذل ، فاغتسل هو ومَنْ بقى من أصحابه وتَحَنَّطوا وهم ثلاثمائة و بضعة عشر وحملوا على عيسى وأصحابه ، فهزموا ثلاثا ، ثم تكاثروا عليهم فقتلوهم ، وأتوا عيسى بن موسى برأس محمد . ووارت أختُه زينبُ وابنتُه فاطمة جسدَه بالبقيع ، وكان قتله عند أحجار الزيت ، وكان معه ذو الفَقَار سيفُ علىّ رضى الله تعالى عنه ، فأخذه عيسى بن موسى ، ثم انتقل إلى الرشيد .

قال الأصمعى : أنا رأيته ، وفيه ثمانى عشرة فقارة ، اه

وقال محمد — أعنى النفسَ الزكية — فى يوم قتالهم لعبد الله بن عامر السلمى : تغشانا سحابة ، فإن أمطرتنا ظفرنا ، وإن تجاوزتنا إليهم فانظر إلى دمى عند أحجار الزيت . قال عبد الله : فوالله لقد أظلتنا سحابة فلم تمطرنا ، وتجاوزتنا إلى عيسى بن موسى وأصحابه ، فظفروا ، وقتلوا محمدا ، ورأيت دمه عند أحجار الزيت ، وبسبب محمدٍ هذا ضرب عيسى بن موسى الإمام مالك بن أنس رضى الله تعالى عنه ، نقل ذلك المقريزى .

الفصل السابع
فى فضل أُحُدٍ والشُّهَداء به

الأحاديث الواردة فى فضل أحد

روينا فى الصحيحين وغيرهما عن أنس رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لأحد لما بدا له : هذا جَبَلٌ يحبنا ونحبه .

وفى رواية للبخارى بيان أن ذلك كان عند القدوم من خيبر ، ولفظ رواية ابن شبة عنه أنه أقبل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر ، فلما بدا لهم أحد قال ، الحديثَ .

وفى رواية له عن سويد الأنصارى قال . قَفَلْنَا مع النبى صلى الله عليه وسلم من غزوة خيبر ، فلما بدا له أحد قال : الله أكبر ، جَبَلٌ يحبنا ونحبه .

ورواه أحمد والطبرانى برجال الصحيح إلا عقبة بن سويد ، وقد ذكره ابن أبى حاتم ولم يذكر فيه جَرْحا .

وفى فضائل المدينة للجندى عن أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم « طَلَع أحدا فقال : هذا جبل يحبنا ونحبه » وفى رواية له « طلع علينا أحدا » وفى رواية أخرى للبخارى أن ذلك كان فى رجوعه صلى الله عليه وسلم من الحج .

وفى رواية عن أبى حُمَيد الساعدى قال : أقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة تَبُوك ، فلما أشرفنا على المدينة قال : « هذه طَابَةُ ، وهذا أحد ، جبل يحبنا ونحبه » ورواه ابن شبة أيضا .

وفى رواية له قال : أقبلنا مع النبى صلى الله عليه وسلم من منزله ، حتى إذا كنا بغرابات نظر إلى أحد فكبر ثم قال « جبل يحبنا ونحبه ، جبل سائر ليس من جبال أرضنا » .

وروى أيضا بإسناد جيد عن أبى قلابة قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا جاء من سَفَر فبدا له أحد قال : هذا جَبَلٌ يحبنا ونحبه ، ثم قال : آيبون تائبون ساجدون لربنا حامدون .

وروى أيضا عن أبى هريرة قال : لما قدمنا مع النبى صلى الله عليه وسلم من غزوة خيبر بدا لنا أحد ، فقال : هذا جبل يحبنا ونحبه ، إن أحدا هذا لعلى باب من أبواب الجنة .

وروى الطبرانى فى الكبير والأوسط عن أبى عبس بن جبر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأحدٍ : هـذا جبل يحبنا ونحبه ، على باب من أبواب الجنة ، وهذا عَيْر جبلٌ يبغضنا ونبغضه ، على باب من أبواب النار .

وفى الأوسط — وفيه كثير بن زيد : تُكُلِّم فيه ، ووثَّقه أحمد وغيره — من حديث أنس بن مالك مرفوعا « أُحُدٌ جبل يحبنا ونحبه ، فإذا جئتموه فكلوا من شجره ولو من عَضَاهه » ورواه ابن شبة بلفظ « أحد على باب من أبواب الجنة ، فإذا مررتم به فكلوا من شجره ، ولو من عَضَاهه » .

وروى أيضا عن زينب بنت نبيط ، وكانت تحت أنس بن مالك ، أنها كانت ترسل وَلائدها فتقول : اذهبوا إلى أُحُدٍ فأتونى من نباته ، فإن لم تجدن إلا عضاها فأتننى به ، فإن أنس بن مالك قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « هذا جبلٌ يحبنا ونحبه » قالت زينب : فكلوا من نباته ولو من عَضَاهه ، قال : فكانت تعطينا منه قليلا قليلا فنمضغه .

وعن رافع بن خديج قال : نهى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أن يُحْتَشَّ أحد إلا يوما بيوم .

وعن داود بن الحصين مرفوعا « أُحُدٌ على ركن من أركان الجنة ، وعَيْر على ركن من أركان النار » .

وعن إسحاق بن يحيى بن طلحة مرسلا رفعه « أحد وورقان وقدس ورَضْوَى من جبال الجنة » .

وروى أبو يعلى والطبرانى فى الكبير عن سهل بن سعد مرفوعا « أحد ركن من أركان الجنة » .

وفى الكبير أيضاً عن عمرو بن عوف قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أربعة أجبال من أجبال الجنة ، وأربعة أنهار من أنهار الجنة ، وأربعة ملاحم من ملاحم الجنة ، قيل : فما الأجبال ؟ قال : أحد يحبنا ونحبه جبل من جبال الجنة ، وورقان جبل من جبال الجنة ، والطور جبل من جبال الجنة ، ولُبْنَان جبل من جبال الجنة ، والأنهار الأربعة النيلُ والفُرَات وسَيْحان وجَيْحان ، والملاحم بَدْر وأُحُد والخَنْدَق وحُنَين » .

ورواه ابن شبة مختصرا ، وروى عن أبى هريرة نحوه ، وقال فيه : وسكت عن الملاحم ، وعن أبى هريرة أيضاً قال : خير الجبال أحد والأشعر وورقان .

ونقل الحافظ ابن حجر اختلافَ الروايات فى الأَجْبُل التى بنى منها البيت الحرام ، وفى بعضها أنه أسس من ستة أجبل : أبى قبيس ، والطور ، وقدس ، وورقان ، ورَضْوَى ، وأُحُد .

وروى ابن شبة عن أنس بن مالك مرفوعا « لما تجلّى الله عز وجل للجبل طارت لعظمته ستة أجبل ، فوقعت ثلاثة بالمدينة وثلاثة بمكة ، وقع بالمدينة أحد وورقان ورضوى ، ووقع بمكة حِراء وثَبِير وثَوْر » .

موقع أحد من المدينة المنورة

قال أبو غسان راويه : فأما أحــد فبناحية المدينة على ثلاثة أميال منها فى شاميها ، وأما ورقان فبالروحاء من المدينة على أربعة بُرُد ، وأما رَضْوَى فبينبع على مسيرة أربع ليال ، وأما حِراء فبمكة وُجاه بئر ميمون ، وثَوْر أسفل مكة هو الذى اختفى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غاره .

قلت : ولم يبين ثَبِيرا ، وما ذكره من المسافة إلى أُحد يقرب مما حررته ، فإنى ذَرَعْتُ ما بين عتبة باب المسجد النبوى المعروف بباب جبريل و بين المسجد الملاصق لجبل أُحد المعروف بمسجد الفتح فكان ذلك ثلاثة أميال وزيادة خمسة وثلاثين ذراعا ، وأما ما بين باب المدينة المعروف بباب البقيع و بين أول جبل أُحد فيلان وأربعة أسباع ميل يزيد يسيراً ، و بين باب البقيع ومشهد سيدنا حمزة

ميلان وثلاثة أسباع ميل وخمس سبع ميل ، وأذْرُع يسيرة ، وقد علم بذلك التسامح الذى فى قول النووى فى تهذيبه : أحد بجنب المدينة على نحو ميلين ، وكذا قول المطرى ومَنْ تبعه : بين مشهد حمزة والمدينة ثلاثة أميال ونصف أو ما يقاربه ، وإلى جبل أحد نحو أربعة أميال ، وقيل : دون الفرسخ ، انتهى .

وجه تسمية أحد وحبه

وقال السهيلى : سمى هـذا الجبل أحدا لتوحده وانقطاعه عن جبال أخرى هناك ، ولما وقع من أهله من نصر التوحيد .

وللعلماء فى معنى قوله صلى الله عليه وسلم « يحبنا ونحبه » أقوال :

أحدها : أنه على حذف مضاف ، أى أهل أحد ، وهم الأنصار ؛ لأنهم جيرانه .

ثانيها : أنه للمسرة بلسان الحال ؛ لأنه كان يبشره إذا رآه عند القدوم بالقرب من أهله ، وذلك فعل المحب .

ثالثها : أن الحب من الجانبين على الحقيقة ، وأنه وضع فيه الحبُّ كما وضع فى الجبال المسبحة مع داود ، وكما وضعت الخشية فى الحجارة التى قال الله فيها (وإن منها لما يهبط من خشية الله) سيما وقد جاء أنه طار من الجبل الذى تجلى الله عز وجل له كما سبق ، وهذا الثالث هو الذى صححه النووى ، وقال الحافظ ابن حجر : إن الظاهر أن ذلك لكونه من جبال الجنة ، كما ثبت فى حديث أبى عبس بن جبر مرفوعا « جبل أحد يحبنا ونحبه ، وهو من جبال الجنة » أخرجه أحمد ، ولا مانع فى جانب الجبل من إمكان المحبة ، كما جاز التسبيح منها ، وقد خاطبه صلى الله عليه وسلم مخاطبة مَنْ يعقل فقال لما اضطرب « اسكُنْ أُحُد » الحديث .

وقال الحافظ المنذرى : قال البغوى : الأولى إجراء الحديث على ظاهره ، ولا ينكر وصف الجمادات بحب الأنبياء وأهل الطاعة كما حنّت الأسطوانة لمفارقته صلى الله عليه وسلم حتى سمع القومُ حنينها ، وكما أخبر أن حَجَرا كان يسلم عليه صلى الله عليه وسلم قبل الوحى ؛ فلا ينكر أن يكون جبل أحد وجميع أجزاء

المدينة تحبه وتحنّ إلى لقائه ، قال المنذرى : وهو جيد .

قلت : ويرجحه قوله فى الحديث المتقدم « فإذا جئتموه فكلوا من شجره » فإن عيرا يجاوره أهل قباء ، ويظهر للقادم من جهة مكة قبل أحد ، بل ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

وقال السهيلى : كان النبى صلى الله عليه وسلم يحب الفأل الحسن ، والاسم الحسن ، ولا اسم أحسن من اسم مشتق من الأَحَدِية ، ومع ذلك فحركاته الرفع ، وذلك مشعر بارتفاع دين الأحد ، فتعلق الحب به من النبى صلى الله عليه وسلم لفظا ومعنى ، فخص بذلك .

وليضف إليه أن المحبة لما تعلقت من الجانبين ، وكان المرء مع من أحب ، كان هذا الجبل معه صلى الله عليه وسلم فى الجنة إذا بُسَّت الجبال بسا .

وأيضاً لما انقسم أهل المدينة إلى محب مُوَحِّد وهم المؤمنون وإلى منافق مبغض وهم الجاهلون الجاحدون كأبى عامر الراهب وغيره من المنافقين ، وكانوا ثلث الناس يوم أحد رجعوا مع ابن أبى ولم يحضروا أحدا ؛ انقسمت بِقَاعُ المدينة كذلك ، فجعل الله تعالى هذا الجبل حبيبا محبوبا كمن حضر به ، وجعله معه فى الجنة ، وخصه بهذا الاسم ، وجعل عَيْرا مبغوضا إن صح الحديث فيه ، وجعل بجهته المنافقين من أهل مسجد الضرار فرجعوا من جهة أحد إلى جهته فكان معهم فى النار ، وخصه باسم العَيْر الذى هو الحمار المذموم أخلاقا وجهلا ، والله أعلم .

وروى ابن شبة كما سبق فى سكنى اليهود بالمدينة عن جابر بن عبد الله مرفوعا : خرج موسى وهرون عليهما السلام حاجَّيْنِ أو معتمرين ، حتى إذا قدما المدينة خافا اليهودَ فنزلا أحدا وهرونُ مريضٌ ، فحفر له موسى قبرا بأُحُدٍ ، وقال : يا أخى ادخل فيه فإنك ميت ، فدخل فيه ، فلما دخل قبضه الله ، فحثا موسى عليه التراب .

زعموا أن هرون مدفون بأحد

قلت : بأحد شعب يعرف بشعب هرون ، يزعمون أن قبر هرون عليه السلام فى أعلاهُ ، وهو بعيد حسا ومعنى ، وليس ثم ما يصلح للحفر و إخراج التراب . وفى أعلى أحد بناء اتخذه بعض الفقراء قريبا والناسُ يصعدون إليه ، ولم يَرِدْ تعيينُ المحل الذى صعده النبى صلى الله عليه وسلم من أحد ، نعم وَرَدَ صلاته بالمسجد الملاصق به المعروف بمسجد الفتح كما سبق فى المساجد .

مزاعم فى مواضع من جبل أحد

وقال ابن النجار : وفى جبل أحد غار يذكرون أن النبى صلى الله عليه وسلم اختفى فيه ، ومسجد يذكرون أنه صلى فيه ، وموضع فى الجبل أيضاً منقور فى صخرة منه على قدر رأس الإنسان يذكرون أنه صلى الله عليه وسلم قَعَدَ — يعنى على الصخرة التى تحته — وأدخل رأسه هناك ، كل هذا لم يرد به نقل فلا يعتمد عليه .

قلت : أما المسجد فقد ثبت النقل به من رواية ابن شبة كما سبق ، لكن لم يقف عليه ابن النجار .

وأما الغار فقال المطرى : إنه فى شمالىّ هذا المسجد ، والموضع المنقور والصخرة التى تحته بقرب المسجد ، وروى ابن شبة عن المطلب بن عبد الله أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يدخل الغار بأحُد .

وسيأتى فى ترجمة المهراس قول ابن عباس : ولم يبلغوا حيث يقول الناس الغار ، إنما كان تحت المهراس ، ومقتضاه أن الغار بعد المهراس ، وسيأتى فى ترجمة شعب أحد أن النبى صلى الله عليه وسلم انتهى يوم أحد إلى فم الشعب وأسند فيه .

قال ابن هشام : و بلغنى عن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يبلغ الدرجة المبنيّة فى الشعب ، انتهى . وكأن مَنْ بناها ظن أن الصخرة التى نهض النبى صلى الله عليه وسلم ليعلوها ، وجلس له طلحة بن عبيد الله كانت هناك ، ولهذا أورده ابن هشام عند ذكرها .

شهادة الرسول لشهداء أحد

وروى يحيى أنه لما انكشف الناس يوم أحد وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على مُصْعَب بن عمير فقال (من المؤمنين رجال) إلى قوله (وما بدلوا تبديلا) اللهم إن عبدك ونبيك يشهد أن هؤلاء شهداء ، فأتوهم وسلموا عليهم ، فلن يسلم عليهم أحد ماقامت السّمٰوات والأرض إلا ردُّوا عليه ، ثم وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم موقفاً آخر فقال : هؤلاء أصحابى الذين أشهد لهم يوم القيامة ، فقال أبو بكر : فما نحن بأصحابك ؟ فقال : بلى ، ولكن لا أدرى كيف تكونون بعدى ، إنهم خرجوا من الدنيا خِمَاصا .

ورواه الثعلبى المفسر إلا أنه قال : لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحد مرّ على مُصْعَب بن عمير ، فوقف عليه ، ودعا له ، ثم قرأ ، وذكر الآية وما بعدها بنحوه ، إلى قوله ثم وقف .

وروى أبو داود والحاكم فى صحيحه حديث «لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم فى جَوْف طير خُضر ترد أنهار الجنة تأكل من ثمارها ، وتأوى إلى قناديل من ذهب مُعَلقة فى ظل العرش ، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومَقِيلهم قالوا : مَنْ يبلغ إخواننا عنا أنا أحياء فى الجنة نرزَق لئلا يزهدوا فى الجهاد ولا يكلوا عن الحرب ؟ فقال الله تعالى : أنا أبلغهم عنكم ، فأنزل الله عز وجل (ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا) الآية » .

وفى صحيح البخارى حديث « صلّى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على قتلى أحد بعد ثمان سنين كالمودِّع للأحياء والأموات ، ثم طلع المنبر فقال : إنى بين أيديكم فَرَط ، وأنا عليكم شهيد ، و إن موعدكم الحوض » .

وروى ابن شبة وأبو داود عن طلحة بن عبيد الله قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نريد قبور الشهداء ، حتى إذا أشرَفْنَا على حَرَّة واقم ، فلما تدلينا منها فإذا قبور بمحنية ، فقلنا : يا رسول الله ، أقبور إخواننا هذه ؟ قال : قبور أصحابنا ، فلما جئنا قبورَ الشهداء قال : هذه قبور إخواننا .

زيارة النبى وخلفائه قبور الشهداء على رأس كل حول

وروى ابن شبة عن عباد بن أبى صالح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأتى قبورَ الشهداء بأحد على رأس كل حول فيقول : سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ، قال : وجاءها أبو بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، رضى الله تعالى عنهم ، فلما قدم معاوية بن أبى سفيان حاجا جاءهم ، قال : وكان النبى صلى الله عليه وسلم إذا واجَهَ الشعب قال : سلام عليكم بما صبرتم فنعم أجر العاملين .

وعن أبى جعفر أن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت تزور قبر حمزة رضى الله تعالى عنه ترمُّه وتصلحه ، وقد تعلمته بحجر .

وروى رزين عنه أن فاطمة رضى الله تعالى عنها كانت تزور قبور الشهداء بين اليومين والثلاثة .

ورواه يحيى بنحوه عن أبى جعفر عن أبيه على بن الحسين ، وزاد : فتصلى هناك وتدعو وتبكى حتى ماتت .

وروى الحاكم عن على رضى الله تعالى عنه أن فاطمة كانت تزور قبر عمها حمزة كل جمعة فتصلى وتبكى عنده .

وروى ابن شبة عن ابن عمر أنه قال : من مر على هؤلاء الشهداء فسلّم عليهم لم يزالوا يردون عليه إلى يوم القيامة .

وروى يحيى عن العطاف بن خالد قال : حدثتنى خالة لى — وكانت من العوابد — قالت : ركبت يوماً معى غلام حتى جئت إلى قبر حمزة ، فصليت ما شاء الله ، ولا والله ما فى الوادى دَاعٍ ولا مجيب يتحرك ، وغلامى قائم آخذ برأس دابتى ، فلما فرغت من صلاتى قمت فقلت : السلام عليكم ، وأشرت بيدى فسمعت رد السلام علىّ من تحت الأرض ، أعرفه كما أعرف أن الله خلقنى ، واقشعرت كل شعرة منى ، فدعوت الغلام فقلت : هاتِ دابتى ، فركبت .

وروى البيهقى فى الدلائل من طريق العطاف بن خالد عن عبد الأعلى بن عبد الله بن أبى فروة عن أبيه أن النبى صلى الله عليه وسلم « زار قبور الشهداء

بأحُد ، فقال : اللهم إن عبدك ونبيك يشهد أن هؤلاء شهداء ، وأنهم مَنْ زارهم أو سلَّم عليهم إلى يوم القيامة ردوا عليه » .

وقال العطاف : وحدثتني خالتي أنها زارت الشهداء فسلمت عليهم ، فسمعت رد السلام ، وقالوا : والله إنا نعرفكم كما يعرف بعضنا بعضا ، قالت : فاقْشَعْرَرْتُ.

وذكر البيهقي أيضا رواية يحيي ، وأن الواقدي قال : كانت فاطمة الخزاعية تقول : لقد رأيتُنِي وغابت الشمسُ بقبور الشهداء ومعي أخت لي ، فقلت لها : تَعَالَيْ نسلم على قبر حمزة ، فوقفنا على قبره ، فقلنا : السلام عليكم ياعَمَّ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فسمعنا كلاما رد علينا : وعليكم السلام ورحمة الله ، قالت : وما قُرْبَنَا أحدٌ من الناس .

ثم روى البيهقي عن هاشم بن محمد العمري من ولد عمر بن عليّ قال : أخذني أبي بالمدينة إلى زيارة قبور الشهداء في يوم جمعة بين الفجر والشمس ، فكنت أمشي خلفه ، فلما انتهى إلى المقابر رفع صوته فقال : سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبي الدار ، قال : وأجيب وعليك السلام يا أبا عبدالله ، فالتفت أبي إليّ فقال : أنت المجيب ؟ فقلت : لا ، فجعلني على يمينه ، ثم أعاد السلام ، ثم جعل كلما سلّم يُرَد عليه ، حتى فعل ذلك ثلاث مرات ، فخَرَّ ساجدا شكرا لله تعالى .

تسمية شهداء أحد

وقد تقدم في غزوة أحد أن الذين أكرمهم الله بالشهادة يومئذ سبعون رجلا ، وقيل : أكثر ، وقيل : أقلّ ، وقد سَرَدَ ابنُ النجار أسماءهم فتتبعته ليسلّم عليهم مَنْ شاء بأسمائهم ، فقال : حمزة بن عبد المطلب ، وعبد الله بن جَحْش ، ومصْعَب ابن عُمَير ، وشمَّاس بن عثمان ، هؤلاء الأربعة من المهاجرين .

ومن الأنصار : عمرو بن معاذ بن النعمان ، والحارث بن أنس بن رافع ، وعمارة بن زياد بن السَّكَن ، وسلمة بن ثابت بن وقش ، وعمرو بن ثابت بن وقش ، وثابت بن وقش ، ورفاعة بن وقش ، وحُسَيل بن جابر ، وهو اليَمَان أبو حذيفة ، وصَيْفي بن قيظي بن عمرو ، والحُبَاب بن قيظي ، وعباد بن سهل ، والحارث بن

أوس بن مُعَاذ ، و إياس بن أوس بن عَتيك ، وعبيد بن التيهان ، و يقال عتيك ، وحبيب بن زيد بن تيم ، و يزيد بن حاطب بن أمية بن رافع ، وأبو سفيان بن الحارث بن قيس بن زيد ، وأنيس بن قَتَادة ، وحنظلة الغَسيل ابن أبي عامر ، وأبو حية بن عمرو بن ثابت أخو سعد بن خيثمة لأمه ، وعبيد الله بن جبير بن النعمان ، وخَيثمة أبو سَعْدبن خيثمة ، وعبد الله بن مسلمة ، وسبيع بن حاطب بن الحارث، وعمرو بن قيس بن زيد ، وابنه قيس بن عمرو ، وثابت بن عمرو بن زيد ، وعامر ابن مخلد ، وأبو هبيرة بن الحارث بن عَلْقمة ، وعمرو بن مطرف بن علقمة ، وأوس ابن ثابت بن المنذر أخو حَسَّان بن ثابت ، وأنس بن النضر ، وقيس بن مخلد ، وكيسان مولى بني النجار ، وسليم بن الحارث ، ونعمان بن عبد عمرو ، وخارجة ابن زيد ، وسعد بن الربيع ، وأوس بن الأرقم بن زيد ، ومالك بن سِنَان والدُ أبي سعيد الخُدْري ، وسَعْد بن سُوَيد بن قيس ، وعلبة بن ربيع بن رافع ، وثعلبة ابن سعد بن مالك ، ونقيب بن فروة بن البدن ، وعبد الله بن عمرو بن وهب ، وضَمْرة الجهني حليف لبني طَريف ، ونَوْفَل بن عبد الله ، وعباس بن عبادة بن نضلة ونعمان بن مالك بن ثعلبة ، والمحذر بن زياد ، وعُبَادة بن الحَسْحَاس ، ورفاعة بن عمرو ، وعبد الله بن عمرو بن حَرَام ، وعمرو بن الجَمُوح ، وابنهُ خلاد ، وأبو أَيْمَنَ مولاه ، وعبيدة بن عمرو بن حديدة ، ومولاه عنترة ، وسَهْل بن قيس بن أبي كعب ، وذَكْوَان بن عبد قيس ، وعبيد بن المعلى بن لوذان ، ومالك بن نميلة ، والحارث بن عدى بن خرشة ، ومالك بن إياس ، و إياس بن عدىّ ، وعمرو ابن إياس .

فهولاء الشهداء السعداء الذين صَدَقُوا القتالَ بين يدى النبي صلى الله عليه وسلم وقاتَلُوا وقُتِلوا ، رضوان الله عليهم أجمعين .

ولنذكر ماعلمناه من خبر قبورهم وتعيينها ، فنقول :

سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ومصرعه

قبر حمزة عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن ذكر أنه معه

أخرج البخارى أن وَحْشِيًّا قال فى خبر : فلما خرج الناس عام عينين ، وعينين جبل بحيال أُحُدٍ بينه و بينه وادٍ ، خرجْتُ مع الناس إلى القتال ، فلما أن اصطفوا للقتال خرج سباع فقال : هل مِنْ مبارز ؟ قال : فخرج إليه حمزةُ بن عبد المطلب فقال : يا سباع يا ابن أم أنمار مُقَطعة البظور ، أتحادُّ الله ورسوله صلى الله عليه وسلم؟ ثم شَدَّ عليه فكان كأمْسِ الذاهب ، قال : وكمنت لحمزة تحت صَخْرة ، فلما دنا منى رميته بحَرْبتى فأضعها بين ثَدْييه حتى خرجَتْ من بين وركيه ، فكان ذلك [آخِرَ] العهد به ، ثم ذكر مجيئه للنبى صلى الله عليه وسلم -يعنى لما أسلم- وقوله له : أنت قتلت حمزة ؟ قال : قلت : قد كان من الأمر ما بَلَغك ، قال : فهل تستطيع أن تُغَيِّب وجهك عنى ؟

وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم وقَفَ على حمزة رضى الله تعالى عنه ، وقد مُثِّل به ، جُدِعَ أنفه وأذناه وبُقِر بطنه عن كبده ، فقال صلى الله عليه وسلم : « لَوْلا أن تحْزَن صفية ويكون سنة من بعدى لتركته حتى يكون فى بطون السباع وحَوَاصل الطير ، لَنْ أُصابَ بمثلك أبداً ، ما وقفت موقفاً قط أغيظ إلىَّ من هذا ، ثم قال : جاءنى جبريلُ وأخبرنى أن حمزة مكتوبٌ فى أهل السموات السَّبْع « حمزة بن عبد المطلب أسَدُ الله وأسَدُ رسوله » وأمر به النبىُّ صلى الله عليه وسلم فسُجِّىَ ببُرْدَة ثم صَلى عليه فكَبَّر عليه سبعين ودفنه .

واختلاف الروايات فى الصلاة على شُهَدَاء أُحُدٍ مشهور ، والذى فى الصحيح عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « كانَ يَجْمَعُ بين الرجلين من قَتْلى أحد فى الثوب الواحد ، ثم يقول : أيهم أكثر أخذاً للقرآن ؟ فإذا أشير له إلى أحَدٍ قدَّمه فى اللحد ، وأمر بدفنهم بدمائهم ، ولم يُصَلِّ عليهم ولم يغسلوا .

ونقل ابن شبة عن عبد العزيز عن ابن سمعان عن الأعرج قال : لما قُتِلَ حمزة رضى الله تعالى عنه أقام فى مَوْضِعه تحت جبل الرُّمَاة ، وهو الجبل الصغير

الذى ببطن الوادى الأحمر ، ثم أمر به النبى صلى الله عليه وسلم فحمل عن بطن الوادى إلى الرَّبْوَة التى هو بها اليوم ، وكفنه فى بردة ، وكفن مصعب بن عمير فى أخرى ، ودفنهما فى قبر واحد

قال عبد العزيز : وسمعتُ مَنْ يذكر أن عبد الله بن جَحْش بن رئاب قتلَ معهما ، ودفن معهما فى قبر واحـد ، وهو ابن أخت حمزة أُمُّهُ أميمة بنت عبد المطلب .

قال عبد العزيز : والغالب عندنا أن مُصْعَب بن عُمَير وعبد الله بن جَحْش دفنا تحت المسجد الذى بنى على قبر حمزة ، وأنه ليس مع حمزة أَحَدٌ فى القبر .

قلت : ينبغى أن يُسَلم عليهما مع حمزة بمشهده ؛ لأنهما إن لم يكونا معه فبقربه ، ولعل المشهَدَ اليوم أوسَعُ من ذلك المسجد ، وسبق فى المساجد ذِكْرُ المسجد الذى بمَصْرَع حمزة رضى الله تعالى عنه ، والمسجد الذى فى جهة قبلته بطرف جبل الرُّماة ، وما جاء فيهما .

عمرو بن الجموح وعبد الله بن عمرو بن حرام

قبر عمرو بن الجَمُوح وعبد الله بن عمرو بن حَرَام والد جابر بن عبد الله ، ومَنْ ذكر معهما .

روى مالك بن أنس عن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى صَعْصَعة أنه بلغه أن عمرو بن الجَموح وعبد الله بن عمرو بن حَرَام الأنصاريين ثم السَّلَمِيين كانا فى قبر واحد ، وكانا ممن استشهد يوم أحد ، وكان قبرهما مما يلى السيل ، فحفر عنهما ليغيرا عن مكانهما ، فوجدا لم يتغيرا كأنما ماتا بالأمس ، وكان أحدهما قد جرح فوضَعَ يدَه على جرحه ، فدفن وهو كذلك ، فأميطت يده عن جرحه ثم أرسلت فرجعت كما كانت ، وكان بين يوم أحد ويوم حفر عنهما ست وأربعون سنة .

وقال مالك : إن عمرو بن الجَمُوح وعبد الله بن عمرو كفنا فى كفن واحد وقبر واحد ، رواه ابن شبة ، ثم روى بسند جيد عن جابر بن عبد الله رضى الله

تعالى عنه قال : دُفن مع أبى رجلٌ يوم أحد فى القبر فلَمْ تَطِبْ نفسى حتى أخرجته فدفنته على حِدَة .

قلت : يحتمل أن سبب الإخراج ما تقدَّم من أمر السيل ، ووافق ذلك ما فى نفس جابر ؛ فتكون القصة واحدة ، لكن روى البخارى فى صحيحه خَبَرَ جابر مطولا ، وفيه ما لفظه « قال : ودفنت معه آخر فى قبره ، فلم تَطِبْ نفسى أن أتركه مع أحد ، فاستخرجته بعد ستة أشهر ، فإذا هو كيوم وضعته غير هنية عند أذنه » .

فقوله « بعد ستة أشهر » يقتضى أن ذلك ليس هو قصة أمر السيل ؛ لأن المدة فى تلك ست وأربعون سنة .

وروى ابن شبة عن جابر أيضا قال : صرخ بنا إلى قتلانا يومَ أحد حين أجرى معاوية العينَ ، فأتيناهم فأخرجناهم رِطَابًا تتثنَّى أجسادُهم ، قال سعيد بن عامر أحَدُ رواته : وبين الوقتين أربعون سنة .

وقال ابن إسحاق : حدثنى أبى عن رجال من بنى سَلَمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال — حين أصيب عمرو بن الجموح وعبد الله بن عمرو يوم أحد — أجمعوا بينهما ؛ فإنهما كانا متصافيين فى الدنيا ، قال أبى: فحدثنى أشياخ من الأنصار قالوا : لما ضرب معاوية عينَه التى مرت على قبور الشهداء استصرختنا عليهم ، وقد انفجرت العين عليهما فى قبورهما ، فجئنا فأخرجناهما وعليهما بردتان قد غُطِّى بهما وجُوهُهما ، وعلى أقدامهما شىء من نَبَات الأرض ، فأخرجناهما يتثنيان تثنيا كأنهما دُفنا بالأمس ، نقله البيهقى فى دلائل النبوة .

وعن جابر من حديث طويل قال : فبينا أنا فى النظَّارين إذ جاءت عَمَّتِى بأبى وخالتى عادلتهما على ناضح ، فدخلت بهما المدينة لتدفنهما فى مقابرنا إذ لحق رجل ينادى أن النبى صلى الله عليه وسلم أمركم أن ترجعوا بالقتلى ، فيدفنوا فى مَصَارعهم حيث قتلوا ، فرجعناهما ، فدفنَّاهما حيث قتلا ، فبينا أنا فى خلافة

معاوية بن أبى سفيان إذ جاءنى رجل فقال : ياجابر ، لقد أثار أباك عمالُ معاوية، فخرج طائفة منه ، فأتيته فوجدته على النحو الذى دفنته لم يتغير إلا ما لم يدع القتل أو القتال ، فواريته ، الحديثَ ، رواه أحمد برجال الصحيح خلا نبيح العنوى وهو ثقة .

قلت : فهذه قصة ثالثة ؛ فيؤخـذ من مجموع ذلك أن جابرا حَفَر عن أبيه ثلاث مرات :

الأولى: لعدم طيب نفسه بدَفْنه مع غيره ، ولعله استأذن النبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك فأذن له ؛ لما يترتب عليه من ظهور ما يَشْهَد لحياة الشهداء وسلامة أبدانهم ، وكان دفنهم مجتمعين للضرورة فى ذلك اليوم ، أو فَهِمَ جابر جوازَ ذلك عند زوال تلك الضرورة واتساع الوقت ففعله ، وكأنه لما أخرجه دفَنَه بإزاء قبر صاحبه وصهره محافظةً على القرب من مصرعه ، فقـد جاء الأمر بدَفْنهم فى مصارعهم .

والثانية : لما أجرى معاوية رضى الله تعالى عنـه العينَ ، وكان فى ذلك أيضاً ظهور المعجزة بحياة الشهداء ، فقد أسند ابن الجوزى فى مشكله عن جابر قال : صرخ بنا إلى قَتْلانا يوم أُحُد حين أجرى معاوية رضى الله تعالى عنه العينَ ، فأخرجناهم بعد أربعين سنة تَتَثَنَّى أطرافُهم لينة أجسادهم ، وفى بعض طرقه : كأنهم نُوَّمٌ ، حتى أصابت المِسْحَاة قدمَ حمزة بن عبد المطلب فانبعث دَمٌ .

والثالثة : لحفر السيل عنه وعن صاحبه .

وقد روى الواقدى أن قبرهما كان مما يلى السيل ، لحفر عنهما وعليهما نمرتان، وعبدُ الله قد أصابه جرح فى يده فيده على جرحه فأميطت يدُه عن جرحه فانبعث الدم ، فردت إلى مكانها فسكن الدم ، قال جابر : فرأيت أبى فى حُفْرته فكأنه نائم ، و بين ذلك ست وأربعون سنة .

قال : ويقال : إن معاوية لما أراد أن يُجْرِيَ الـكظامة نادى مُنَادِيه بالمدينة:

مَنْ كان له قتيل بأحُدٍ فليشهد ، فخرج الناسُ إلى قتلاهم ، فوجدوهم رِطاباً يتثنون ، فأصابت المِسْحاة رجلَ رجلٍ منهم فانبعث دم،فقال أبو سعيد الخدرى: لا ينكر بعد هذا منكر ، ووجد عبد الله بن عمرو وعمرو بن الجموح فى قبر واحد فنقلا ، وذلك أن القَنَاةَ كانت تمر على قبرهما ، ولقد كانوا يجهزون التراب فحفروا ثمره من تراب فاح عليهم ريحُ المسك .

قلت : وفيه مخالفة لما تقدم عن الصحيح ؛ لاقتضائه بقاءهما فى قبر واحد حتى كان إجراء العين ، وفى ذلك كله ظهور المعجزة ، وهو السر فى تكرر ذلك .

وروى ابن شبة عن أبى قتادة قال : أتى عمرو بن الجَمُوح إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله أرأيت إن قاتَلْتُ حتى أُقتَلَ فى سبيل الله ترانى أمشى برجلى هذه فى الجنة ؟ قال : نعم ، وكانت عرْجَاء ، فقتل يوم أحد هو وابن أخيه ، فمر النبى صلى الله عليه وسلم فقال : كأنى أراك تمشى برجلك هذه صحيحةً فى الجنة ، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بهما و بمولاهما فجعلوا فى قبر واحد .

قال أبو غسان : قال الواقدى : مع عمرو فى القبر خارجة بن زيد ، وسعد ابن الربيع ، والنعمان بن مالك ، وعبد الله بن الحَسْحَاس ، قال أبو غسان : وقبرهم مما يلى المغربَ من قبر حمزة رضى الله تعالى عنه نحو خمسمائة ذراع .

قال : وأما ما يعرف اليوم من قبور الشهداء فقبر حمزة بن عبد المطلب ، وهو فى عُدْوة الوادى الشامية مما يلى الجبل ،وقبر عبد الله بن حَرَام أبى جابر ومعه عمرو ابن الجَمُوح أى فى الموضع المتقدم بوصفه ، وقبر سهل بن قيس بن أبى كعب بن القَيْن بن كعب بن سواد من بنى سلمة وهو دبر قبر حمزة شاميا بينه و بين الجبل.

قال : فأما القبور التى فى الحِظَار بالحجارة بين قبر حمزة و بين الجبل فإنه بلغنا أنها قبور أعراب أقحموا زمن خالد إذ كان على المدينة فماتوا هناك فدفنهم، سُؤّال كانوا يسألون عند قبور الشهداء .

قال : وقال الواقدى : هم ماتوا زمن الرّمادة .

قلت : زمن الرمادة عام جَدْب مشهور ، كان فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه .

وأما زمن خالد فيعنى به خالدَ بنَ عبد الملك بن الحارث ، كان والياً لهِشام ابن عبد الملك فقحط المطر فى ولايته سَبْعَ سنين ، وفيها جلا الناس من بادية الحجاز إلى الشام ، ولا يعرف اليوم من قبور الشهداء غير قبر حمزة رضى الله تعالى عنه كما قاله ابن النجار .

قال : وأما بقية الشهداء فهناك حجارة مرصوصة يقال : إنها قبورهم .

قلت : ينبغى أن يسلم على بقيّتهم عنـد قبر حمزة وفى غربيه وشاميه على النحو المتقدم

وقال المطرى ومتابعوه : وشمالى مشهد حمزة رضى الله تعالى عنه آرام من حجارة يقال : إنها من قبور الشهداء ، ولم يثبت ذلك بنقل صحيح .

وقد ورد فى بعض كتب المغازى أن هـذه القبور قبور أناس ماتوا عام الرّمادة ، ولا شك أن قبور الشهداء رضى الله تعالى عنهم حول قبر حمزة ؛ إذ لا ضرورة أن يبعدوا عنه ، انتهى .

قلت : قد تقدم النقل ببعد بعضهم عنه على نحو خمسمائة ذراع فى المغرب ، والمقتضى للبعد الأمر بدفنهم فى مَصَارعهم ، والقبور التى قيل إنها ليست قبورهم هى التى عليها حائز قصير من الأحجار قرب الجبل .

من دفن بالمدينة من قتلى أحد

ذكر قبور من قيل إنه نقل من شهداء أُحُد ودفن بقبره

قال ابن إسحاق : وكان ناس من المسلمين قد احتملوا قتلاهم إلى المدينة فدفنوهم بها ، فنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، وقال : ادفنوهم حيث صُرعوا .

وتقدم فى فصل مقبرة بنى سلمة ما روى من دَفْن بعض قتلى أحد بها ، منهم أبو عمرو بن سكن .

وتقدم فى فصل قبل هذا أن خُنَيْسَ بن حُذَافة تأخرت وفاتُه فمات بالمدينة ، ودفن عند عثمان بن مظعون .

وروى ابن شبة عن عبد الرحمن بن عمران عن أبيه قال : نقلنا عبد الله بن سلمة والمحذر بن زياد فدفناهما بقباء .

وقال عبد العزيز : إن رافع بن مالك الزرقى قتل بأحد فدفن فى بنى زريق ، قال : وقيل: إن موضع قبره فى دار آل نوفل بن مُسَاحق التى فى بنى زريق التى فى كُتَّاب عروة .

وعن أبى سعيد الخدرى قال : أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من نقل من شهداء أحد إلى المدينة أن يدفنوا حيث أدركوا ، فأدرك أبى مالك بن سنان عند أصحاب العَباء فدفن ، ثم قال ابن أبى فديك : فقبره فى المسجد الذى عند أصحاب العَبَاء فى طرف الحناطين .

ورواه ابن زبالة بنحوه ، إلا أنه قال : فوافَوْهُ بالسوق ، فدفن مالك عند مسجد أصحاب العَبَاء ، وهناك أحجار الزيت .

قلت : وقد قدمنا بيان مشهده فى المشاهد ، ولكن روى الترمذى وقال حسن صحيح عن جابر رضى الله تعالى عنه قال : كنا حَمَلْنا القَتْلَى يومَ أحد لندفنهم فجاءنا منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمَرَنَا بدَفْن القتلى فى مَصَارعهم ، فرددناهم ، ولْيُحْمَلْ على مَنْ لم يَبْلُغوا به المدينة ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

الباب السادس

فى آبارها المباركات ، والعين ، والغِراس ، والصَّدَقَات التى هى للنبى صلى الله عليه وسلم منسوبات ، وما يُعْزَى إليه صلى الله عليه وسلم من المساجد ، والمواضع التى صلى فيها فى الأسفار والغزوات ، وفيه خمسة فصول :

الفصل الأول
فى آبارها المباركات

ورتبتها على حروف المعجم ، معتمدا للأول فالأول من الاسم الذى تضاف إليه البئر ، وختمته بتتمة فى العين المنسوبة للنبى صلى الله عليه وسلم ، والعين الموجودة اليوم ، وغيرها :

بئر أريس

بئر أريس – بفتح الهمزة وكسر الراء وسكون المثناة التحتية و إهمال آخره – نسبة إلى رجلٍ من يَهُود يقال له أريس ، ومعناه بلغة أهل الشام الفَلّاح .

روينا فى صحيح مسلم عن أبى موسى الأشعرى رضى الله تعالى عنه أنه توضّأ فى بيته ، ثم خرج فقال : لألزَمَنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولأكونَنّ معه يَوْمِى هذا ، فجاء إلى المسجد ، فسأل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : خرج، وجَّه ههنا ، قال : فخرجت على أثره أسأل عنه ، حتى دخل بئر أريس ، قال : فجلست عند الباب وبابُها من جريد حتى قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجته وتوضأ ،فقمت إليه فإذا هو قدجَلَس على بئر أريس وتوسَّطَ قفها[1] وكشف عن ساقيه ودَلاَّها فى البئر ، قال : فسلمت عليه ، ثم انصرفت فجلست عند الباب ، فقلت : لأكونَنّ بوابَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم اليوم ، فجاء أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه فدفع الباب فقلت : مَنْ هذا ؟ فقال : أبو بكر ، فقلت : على رِسْلِكَ ، قال : ثم ذهبت فقلت : يارسول الله هذا أبو بكر يستأذن ، فقال : ائذن له و بشره بالجنة ، قال : فأقبلت حتى قلت لأبى بكر رضى الله تعالى عنه : ادْخُلْ ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم يبشرك بالجنة ، قال : فدخل أبو بكر وجلس عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم معه فى القف ودَلّى رجليه فى البئر كما صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكشف عن ساقيه ، ثم رجعت فجلست وقد تركت أخى يتوضأ و يلحقنى ، فقلت: إن يُرِدِ الله بفلان خيرا يأتِ به ، فإذا إنسان يحرك الباب ، فقلت : من هذا ؟ فقال : عمر بن الخطاب ، فقلت: على رِسْلِكَ، ثم جئت

---

(١) القف – بالضم – حجارة عظام ، وأراد ما أحاط بالبئر من بناء أو نحوه.

النبي صلى الله عليه وسلم فسلمت عليه وقلت : هذا عمر يستأذن ، فقال : ائذن له وبشره بالجنة ، فجئت عمر فقلت : ادخل ويبشرك رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة ، قال : فدخل فجلس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى القف عن يساره ودلّى رجليه فى البئر ، ثم رجعت فجلست فقلت : إن يُرِدِ الله بفلان خيرا يعنى أخاه يأتِ به ، فجاء إنسان فحرّك الباب ، فقلت : مَنْ هذا ؟ فقال : عثمان بن عفان ، فقلت : على رِسْلك ، قال : وجئت النبيَّ صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال : ائذن له وبشره بالجنة مع بَلْوَى تُصيبه ، فجئت فقلت : ادْخُلْ ويبشرك رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة مع بلوى تصيبك ، قال : فدخل فوجد القف قد ملئ ، فجلس وُجَاههم من الشق الآخر ، قال شريك : فقال سعيد بن المسيب : فأوَّلتُها قبورَهم .

قلت : وسيأتى فى ترجمة الأسواق واقعة مثل هذه كان البواب فيها بلالا .

وروى أحمد والطبرانى من وجوه عن عبد الله بن عمرو بن العاص قصة نحوها أيضا كان هو البواب فيها ، وقال : بُحشٌّ من حشان المدينة ، وبعض أسانيدها رجاله رجال الصحيح ، ولا مانع من تعدد ذلك .

وقد غاير رزين بين بئر أريس وبين البئر التى وقع الجلوس بقفها ، فقال فى ذكر الآبار المعروفة بالمدينة : بئر أريس التى سقط فيها الخاتم ، وبئر القف التى أدْلى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر أرجُلَهم فيها ، وذكر بقية الآبار .

وروينا فى صحيح البخارى من حديث أنس قال : كان خاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى يده وفى يد أبى بكر بعده وفى يد عمر بعد أبى بكر ، قال : فلما كان عثمان جلس على بئر أريس ، فأخرج الخاتم ، فجعل يعبث به ، فسقط ، فقال : فاختلفنا ثلاثة أيام مع عثمان ، فنزح البئر فلم نجده ، وفى مسند الحميدى عن ابن عمر أنه سقط من مُعَيْقيب ، وثبت ذلك من روايته فى صحيح مسلم .

ورواه ابن زبالة عنه على الشك ، فقال : فهو الخاتم الذى سقط من عثمان أو من معيقيب فى بئر أريس .

وروى عنه النسائى وابن شبة واللفظ له حديثَ اتخاذ النبى صلى الله عليه وسلم خاتمَه من الْوَرِقِ ، ونقشه فيه « محمد رسول الله » وصيرورته فى يد عثمان سِنِينَ من عمله ، ثم قال فيه : فلما كثرت عليه الكتب دفعه إلى رجل من الأنصار فكان يختم به، فخرج إلى قليب لعثمان فوقع فيها ، فالتُمِسَ فلم يُوجد ، فأمر بخاتم من وَرِق فعمل عليه ، ونقش « محمد رسول الله » .

ومعيقيب دَوْسِيٌ من أصحاب الهجرتين، لكن قد يوصف المهاجرى بالأنصارى بالمعنى الأعم ، والجمع بأن نسبة السقوط إلى عثمان رضى الله تعالى عنه مُحَاذية لنيابة معيقيب عنه بعيد جداً ؛ لقوله فى رواية البخارى السابقة « فأخرج الخاتم فَجَعَل يعبث به فسقط » .

وكان سقوطه بعد ست سنين من خلافته ، وكان فيه سر مما كان فى خاتم سليمان عليه الصلاة والسلام ؛ لذهاب ملكه عند فقده ، ولما فقد عثمان الخاتم انتقض عليه الأمر ، وخرج عليه مَنْ خرج ، وكان ذلك مبتدأ الفتنة المتصلة إلى آخر الزمان .

وروى ابن زبالة عن ابن كعب القُرَظى قال : سَقَطَ — يعنى الخاتم — من عثمان فى بئر الخريف التى فى بئر أريس ، فعلّق عليها اثنى عشر ناضحاً فلم يقدر عليه حتى الساعة ، فاقتضى أنه لم يكن فى بئر أريس نفسها ، ولهذا نقل ابن شبة عن أبى غسان سقوط الخاتم فى بئر أريس وأنه قال : وقد سمعتُ مَنْ يقول : إنما سقط فى بئر فى صدقته يقال لها بئر خريف أى من آبار المال المسمى ببئر أريس ؛ لأن ابن شبة قال أيضا : قال أبو غسان : ابتاع عثمانُ بئر أريس وفيها مال يقال له الدومة ، ابتاعه من حى من الأنصار وفيه سَهْمُهُ الذى أعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم من أموال بنى النضير، وفيها كيدمة مال لعبد الرحمن بن عوف، ثم روى أن عبد الرحمن بن عوف باع كيدمة من عثمان بأربعين ألف دينار، وأمر عثمان عبدَ الله بن سعد

ابن أبى سرح فدفعها إليه ، وأنه تصدق بها على أمهات المؤمنين وغيرهن .

وفى رواية أن عبد الرحمن أوصى بكيدمة لأمهات المؤمنين ، فبِعْنَهَا من عبد الله بن سَعْد بن أبى سَرْح .

ثم قال : قال أبو غسان : وأما أريس الذى نسب إليه المالُ فإن عبد العزيز ابن عمران حدثنى عن عنبس العقبى قال : أريس رجلٌ من يهود بنى محمم ، وكان له ذلك المال ، وفيه بئر عاضر التى يقول فيها اليهودى :

أمَرْتُ بلالاً أن يعلق دَلْوَهُ عَلَى الأعليين اليوم مِنْ بئر عاضِرِ

فجمعها عثمان رضى الله تعالى عنه فى حِظَارٍ واحد ، وهى سبعة أموال ، فتصدق بها ، قال : فحدث عبد الرحمن بن أبى الزناد عن إبراهيم بن عبد الله بن فروخ عن أبيه عن جده قال : دخل علينا عثمان بئر أريس ، وقد لفقنا له عذقا منها ، فقال : ماهذا ؟ فقلنا : لفقناه لك يا أمير المؤمنين ، قال : إنما تصدَّقْتُ بها على ذوى القربى والفقراء واليتامى والمساكين وابن السبيل ، حتى العافية عافية الطير والسباع ، قال : وقد كان لصدقة عثمان رضى الله تعالى عنه فيما بلغنى ذكر فى حَجَر منقوش على باب بئر أريس فطَرَحَه بعض ولاة المدينة فى بئر من تلك الآبار ، انتهى ما نقله ابن شبة عن أبى غسان ملخصاً .

وسيأتى فى ترجمة كيدمة أنها سَهْمُ عبد الرحمن بن عوف من بنى النضير ، وأن بقرب المشرية والجرع المعروف بالحسينات موضع يعرف بكيادم بلفظ الجمع ، والدومة معروفة اليوم بالعالية قرب بنى قريظة ، وبقربها موضع يعرف بالدويمة أيضاً .

وهذا يشكل على ما هو معروف اليوم ، وبه صرح ابن النجار كالغزالى ، وتبعه مَنْ بعده ، من أن بئر أريس هى المقابلة لمسجد قباء فى غربيه ، ويزيد الإشكالَ قوةً أن بنى النضير وبنى محمم لم يكونوا بقباء ، بل بجهة الدومة المذكورة

وما والاها ، كما يعلم مما تقدم فى المنازل .

وكنت قد أجَبْتُ عن ذلك باحتمال أن يكون بعضُ أموالهم كان بقباء وأن يكون منها ما يسمى بالدومة وبكيدمة فى تلك الجهة ثم نسى تسميته بذلك .

ثم رأيت فى كلام ابن زبالة ما يردُّ ذلك ، ويزيد الإشكالَ قوةً فإنه قال فى صدقات النبى صلى الله عليه وسلم ما لفظه : وأما الدلال والصافية فإنهما يَشْرَبان من سَرْح عثمان بن عفان الذى يَشُقُّ من مهزور فى أمواله ، يأتى على أريس وأسفل منه حتى يتبطَّنَ السورين ، فصَرَفه — أى عثمان رضى الله تعالى عنه — مخافة على المسجد فى بئر أريس ، ثم فى عقد أريم فى بَلْحَارث بن الخزرج ، ثم صرفه إلى بطحان ، انتهى .

والموضع المعروف بقباء لايمكن وصولُ شىء من مهزور إليه ، كما يعلم مماسيأتى فى وصف وادى مهزور ، فالله أعلم .

من فضل بئر أريس

قال المجد : ومما يُذكر فى فضل بئر أريس ما رويناه عن زيد بن خارجة أنه عاش بعدَ الموت وذكر أموراً : منها ما يدل على فضل هذه البئر ، وسياق الخبر عن النعمان بن بشير قال : لما توفى زيدُ بن خارجة انتظر به خروجُ عثمان ، فكشف الثوب عن وجهه وقال : السلامُ عليكم ، قال : وأنا أصلى ، فقلت : سبحان الله ، فقال : أنصتوا أنصتوا ، محمد رسول الله ، كان ذلك فى الكتاب الأول ، صدق صدق صدق ، أبو بكر الصديق ، ضعيف فى جسده قوى فى أمر الله كان ذلك فى الكتاب الأول ، صدق صدق صدق ، عمر بن الخطاب ، قوى فى أمر الله كان ذلك فى الكتاب الأول ، صدق صدق صدق ، عثمان بن عفان ، اثنتان وبقى أربع ، وأبيحت إلا حمى بئر أريس وماء بئر أريس .

وقد رويت هذه القصة من وجوه عن النعمان بن بشير ، ذكره الذهبى فى التذهيب .

قلت : رواها ابن شبة بنحوه ، إلا أنه قال فى آخرها : بئر أريس اختلف الناسُ، ارجعوا إلى خليفتكم فإنه مظلوم.

وقال فى رواية أخرى : ثم قال : أتخذت بئر أريس، ثم خَفَتَ الصوت .

وروى البيهقى فى دلائل النبوة هذه القصة من وجوه ، وقال فى بعضها : إسناده صحيح ، وفسر قوله « اثنتان » بأن ذلك كان بعد مضى سنتين من خلافة عثمان ، والأربع البواقى من خلافته ، والأمر فى بئر أريس سقوط خاتم النبى صلى الله عليه وسلم فيها بعد ست سنين من خلافة عثمان ، فعند ذلك تغيرت عماله ، وظهرت أسباب الفتن ، انتهى .

قال المجد : وفى الإحياء للغزالى أن النبى صلى الله عليه وسلم « تفَلَ فى بئر أريس » ولم أجد ذلك عند غيره ، وأعاد المجدُ ذكْرَ بئر أريس فى ترجمة قباء وقال : إنها التى تفَلَ فيها النبيُّ صلى الله عليه وسلم فعَذُبَتْ بعد أن كان ماؤها أجاجاً، ولم ينسبه للغزالى ، وهو فى ذلك متابع لابن جُبَير فى رحلته .

وقال الحافظ العراقى فى تخريج أحاديث الإحياء : إنه لم يقف على أصل الحديث [فى] تَفْله صلى الله عليه وسلم فى بئر أريس .

قلت : ومن الغريب قولُ ابن جماعة فى مناسكه الكبرى فى باب الفضائل « فضل بئر أريس : قد صَحّ أن سيدَنا رسول الله صلى الله عليه وسلم تفَلَ فيها ، وأنه سقط فيها خاتمه » انتهى .

وخرج البيهقى من حديث إبراهيم بن طهمان عن يحيى بن سعيد أنه حدثه أن أنس بن مالك رضى الله عنه أتاهم بقباء يسأله عن بئر هناك، فدللته عليه، فقال : لقد كانت هذه وإنَّ الرجُلَ ليَنْضَحُ على حماره فتنزح فيستخرجها له ، فجاء رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فأمَرَ بذَنوب فسقى ، فإما أن يكون توضأ منه أو تفَلَ فيه ، ثم أمر به فأعيد فى البئر ، فما نزحت بعدُ ، فرأيته صلى الله عليه وسلم بال ثم جاء فتوضأ ومَسَحَ على خُفَّيه ثم صلى ، لكن سيأتى فى بئر غَرْس

ما يبين أنها المُرادة بذلك ، ولم يعد ابن شبة ولا ابن زبالة بئر أريس فى الآبار التى كان يُسْتَقَى منها للنبى صلى الله عليه وسلم ، و إنما ذكرَهَا ابنُ شبة فى صدقة عثمان ، وذكر سقوطَ الخاتم فيها مع ما تقدم .

وهذه البئر المعروفة اليوم بقباء من أعذب آبار المدينة .

ذرع بئر أريس

وذكر ابن النجار أنه ذَرَعَ طولها فكان أربعة عشر ذراعاً وشبرا ، منها ذراعان ونصف ماء ، وعرضها خمسة أذرع ، قال : وطول قفها الذى جلس عليه النبى صلى الله عليه وسلم وصاحباه ثلاثة أذرع تشف كفا ، قال : وهى تحت أُطُمٍ عالٍ ، خَرَابٌ من جهة القبلة ، وقد بنى فى أعلاه مسكن.

قال المطرى ، عقب ذكره أن ذلك المسكن يسكنه مَنْ يقوم بالحديقة ويخدم مسجد قباء .

قلت: وهو اليوم بيد المتكلم على الحديقة صاحبنا الشيخ برهان الدين القطان، ووقع بينه و بين صاحبنا الفخر العينى مشاجرة بسببه وسبب البئر ؛ لأن الفخر بيده قطعة تحت الحصن المذكور وقطعة أخرى فى مقابلة المسجد أنشأها بعض أقار به هناك ، ثم اصطلحا على السَّقْى بالبئر المذكورة واستمرار الحصن بيد البرهان ، ثم رفعوا قف البئر عما أدركناه عليه نحو ثلاثة أذرع ، وذلك لما بنى متولى العمارة السبيلَ والبركة المقابلين لمسجد قباء المتقدم ذكرهما فيه ، وذلك ليتأتى وصولُ الماء إلى البركة ، وصار طولُ هذه البئر اليوم على ما ذَرَعْتُه تسعَ عشرة ذراعا ونصف ذراع ، منها أربعة أذرع ماء ، وذلك بعد تبحيرها .

ولهذه البئر درجة ذكرها المطرى ، فقال : وقد جدَّد الشيخُ صفى الدين أبو بكر بن أحمد السلامى لهذه البئر درجا ينزل إليها منه مَنْ يريد الوضوء والشرب من الزوار سنة أربع عشرة وسبعمائة ، انتهى . وهو مخالف لقول البدر ابن فرحون فى ترجمة نجم الدين يوسف الرومى وزير الأمير طفيل : إنه هو الذى أنشأ الدرجة الموجودة اليوم لبئر أريس بقباء عمرها فى سنة أربع عشرة وسبعمائة، قال: وكان الجماعة

الخرازون قد ابتدؤا فى عمارتها فسألهم أن يتركوا ذلك له ليفوز بحسنتها ، وكان الحامل لهم على ذلك أنهم كانوا إذا جاؤا إلى مسجد قباء لا يجدون ما يتوضؤن به ، إلا من الحديقة الجعفرية ، فكانوا يتحرّجون من دخولها لما سمعوا أنها مغصوبة من ملاكها ، انتهى .

وجمع المجد بأنّ الظاهر أن نجم الدين المذكور أنشأ الدرجة وتشعثت ، فأصلحها صفى الدين وجددها .

قلت: ويرده اتّخاذ التاريخ كما سبق . والذى يظهر أن جماعة الخرازين — كما ترجمهم به البدر — كانوا يسعون فى عمارة المساجد وغيرها ، وكانوا فقراء ؛ فيعينهم الخدم ، وأهل الخير ، وكان صفى الدين له دنيا عظيمة فتخلى عنها ، وله معروف فكأنه هو المدد للخرازين بما صرفوا على عمارة الدرج ، وكان المطرى يصْحَب الجميع ، فالظاهر أنه اطّلَع على ذلك ، ثم أتم نجم الدين عمارة تلك الدرجة. والله أعلم .

بئر الأعواف

بئر الأعواف ، أحد صدقات النبى صلى الله عليه وسلم الآتية

روى ابن شبة عن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان قال : توضأ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على شفة بئر الأعواف صدقتِهِ ، وسال الماء فيها ، ونبتت نابتة على أثر وضوء صلى الله عليه وسلم ، ولم تزل فيها حتى الساعة .

وروى ابنُ زَبَالة عن عثمان بن كعب قال : طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم سارقاً ، فهرب منه ، فنكبه الحجر الذى وُضع بين الأعواف صدقة النبى صلى الله عليه وسلم و بين الشطبية مال ابن عتبة ، فوقع السارق ، فأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبَرّكَ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحجر ومَسّه ودعا له ، فهو الحجر الذى فيما بين الأعواف والشطبية يطلع طرفه يمسه الناس .

قلت : والأعواف اليوم اسم لجرع كبير فى قبلة المربوع ، وفى شاميه خنافة ، وفيه آبار متعددة؛ فلا تعرف البئر المذكورة منها ، وكذلك الحجر ؛ لأن

الشطبية غير معروفة اليوم ، ولعلها الموضع المعروف بالعتبى ؛ لقوله فى الرواية المتقدمة : مال ابن عتبة ، والعتبى بجنب الأعواف من المشرق ، فإن كان هو الشطبية فبئر الأعواف هى البئر التى فيما يلى خُنَافة من جرع الأعواف ، وهى اليوم معطلة لا ماء بها ، ويستأنس لذلك بما نقله ابن زبالة من أن الأعواف كانت لخنافة اليهودى جد ريحانة رضى الله تعالى عنها .

ولم يذكر المطرى ومَنْ تبعه هذه البئر ولا الغلالة بعدها ؛ لسكوت ابن النجار عنها .

بئر أنا

بئر انا — بضم الهمزة وتخفيف النون كهنا ، وقيل : بالفتح وكسر النون المشددة بعدها مثناة تحتية ، وقيل : بالفتح والتشديد كحَتَّى ، وضبطه فى النهاية بفتح الهمزة وتشديد الباء الموحدة كحتى ، ذكره فى القاموس أيضاً ، وذكره ياقوت فى المشترك له ، وقال : كذا هو مضبوط بخط أبى الحسين بن الفرات ، ثم قال : وذكر آخرون أنها بئر أنا بضم الهمزة والنون الخفيفة .

روى ابن زبالة عن عبد الحميد بن جعفر قال : ضَرَبَ رسول الله صلى الله عليه وسلم قبته حين حاصَرَ بنى قريظة على بئر أنا ، وصلى فى المسجد الذى هناك ، وشرب من البئر ، وربَطَ دابته بالسِّدْرَة التى فى أرض مريم ابنة عثمان .

وقال ابن إسحاق : لما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى قريظة نزل على بئر من آبارها ، وتلاحَقَ به الناس ، وهى بئر أنا .

قلت : وهى غير معروفة اليوم ، وناحية بنى قريظة عند مسجدهم

بئر أنس

بئر أنس بن مالك بن النضر ، وتضاف أيضا لأبيه .

وروى ابن زبالة عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استسقى ، فنزع له دلو من بئر دار أنس ، فسَكَبَ على اللبن فأتى به فشرب ، وعمر بين يديه وأبو بكر عن يساره ، وأعرابى عن يمينه ، الحديثَ ، وهو فى الصحيح عن أنس

بلفظ : أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى دارنا هذه ، فاستسقى ، فحلبنا شاة لنا ثم شُبْتُه من بئرنا هذه فأعطيته ، الحديثَ .

وروى ابن شبة عن أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم شرب من بئر أنس التى فى دار أنس .

وخرج أبو نعيم عن أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم بَزَقَ فى بئر داره ، فلم يكن بالمدينة بئر أعْذَبُ منها ، قال : وكانوا إذا حُوصِرُوا استعذب لهم منها ، وكانت تسمى فى الجاهلية البرود .

قلت : وهى غير معروفة اليوم ، لكن تقدم عن ابن شبة فى البلاط أنه كان له سرب يخرج عند دار أنس بن مالك فى بنى جديلة ، وتقدم فى بيان المحلّ الذى ضُرِبَ منه اللِبنُ للمسجد النبوى أن البئر المعروف اليوم بالرباطية وقف رباط اليمنة فى شامى الحديقة المعروفة بالرومية بقرب دار فحل يتبرك بها الفقراء ، كما ذكره الزين المراغى ، وقال : إنها تعرف ببئر أيوب ، وكذلك البئر ذات الدرج التى فى شرقيها فى الحديقة المعروفة بأولاد الصنى تعرف ببئر أيوب أيضاً .

قلت : والمعروف اليوم ببئر أيوب إنما هى الثانية ، والظاهر أنها بئر أبى أيوب الأنصارى ، وأما الأولى فالظاهر أنها بئر أنس ؛ لأنها فى جهة السرب الذى ذكره ابن شبة قرب منازل بنى جديلة ، ولتبرك الناس بها قديما ، ولأنها عذبة الماء بحيث يشرب منها كثير من أهل تلك الجهة أيام النقلة فى الصيف ، وسيأتى فى بئر السقيا أنه كان يستعذب للنبى صلى الله عليه وسلم الماء من بئر مالك بن النضر والد أنس .

وروى ابن شبة عن أنس فى ذكر بئره قال : كان فى دارى بئر تدعى فى الجاهلية البرود ، كان الناس إذا حوصروا شربوا منها .

وأعلم أن أنس بن مالك بن النضر بن عدى بن النجار قد روى أهلُ السير أن النبى صلى الله عليه وسلم لما بلغ من العمر ستّ سنينَ خرجت به أمه إلى طيبة

تَزُورُهُ أخوالَه من بنى عدى بن النجار ، قال صلى الله عليه وسلم : فأحسنت العوم فى بئرهم .

بئر إهاب

بئر إهاب ، وفى نسخة لابن زبالة « بئر الهاب » والأول هو الصواب الذى اعتمده المجد .

روى ابن زبالة عن محمد بن عبد الرحمن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بئر إهاب بالحرة وهى يومئذ لسعد بن عثمان ، فوجد ابنَه عُبَادة بن سعد مربوطا بين القرنين يفتل ، فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يلبث سعد أن جاء فقال لابنه : هل جاءك أحد ؟ قال : نعم ووصف له صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : ذاك رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فالحقه ، وحَلَّه ، فخرج عُبَادة حتى لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فمَسَحَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على رأس عُبَادة وبرك فيه ، قال : فمات وهو ابن ثمانين وما شَابَ ، قال : وبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بئرها .

قال : وقال سعد بن عثمان لولده : لو أعلم أنكم لا تبيعونها اقتبرت فيها ، فاشترى نصفها إسماعيل بن الوليد بن هشام بن إسماعيل ، وابتنى عليها قصره الذى بالحرة مقابل حوض ابن هشام ، وابتاع نصفها الآخر إسماعيل بن أيوب ابن سلمة ، وتصدقا بما ابتاعا من ذلك .

قلت : وهى المذكورة فى حديث أحمد المتقدم فى بَدْء شأن المدينة وما يؤول إليه أمرها ، لقوله فيه « خرج حتى أتى بئر الإهاب ، فقال: يوشك أن يأتى البنيان هذا المكان » .

وفى حديث عبادة الزرقى أنه يصيد القطا فيرقى بئر إهاب ، وكانت لهم ، الحديثَ المتقدم فى صيد الحرم ، وهى بالحرة الغربية بئر ، غير أنها لا تعرف اليوم بهذا الاسم ، إلا أن حوض ابن هشام الذى فى مقابلتها كان عند فاطمة بنت الحسين التى رجَّحَ المطرىُّ أنها المسماة اليوم بزمزم كما سيأتى أيضاً فى خبر بئر فاطمة

للمذكورة ، فلما بنى إبراهيم بن هشام دَارَهُ بالحرة بعد وفاة فاطمة وأراد نقل السوق إليها صنَعَ فى حفرته التى بالحوض مثل ما صنعت فاطمة ، فلقى جبلا ، فسأل إبراهيم بن هشام بن عبد الله بن حسن بن حسن أن يبيعه دار فاطمة ، فباعه إياها ، أى من أجل البئر التى احتفرتها فاطمة فى دارها .

وقال المطرى : إن ابن زبالة ذكر عدة آبار أتاها النبى صلى الله عليه وسلم وشرب منها وتوضأ ، لا نعرف اليوم شيئاً منها .

قال : ومن جملة ما ذكر بئر بالحرة الغربية فى آخر منزلة النقاء ، وذكر ماسيأتى فى بئر السقيا .

ثم قال ما لفظه : ومنها بئر أخرى إذا وقفت على هذه ـ يعنى بئر السقيا ـ وأنت على جَادَّةِ الطريق وهى ـ يعنى السقيا ـ على يسارك كانت هذه على يمينك ، ولكنها بعيدة عن الطريق قليلا فى سند من الحرة قد حُوِّطَ حولها ببناء مُجَصَّص ، وكان على شفيرها حوض من حجارة تكسر ، ولم يزل أهل المدينة قديما وحديثاً يتبركون بها ، ويشربون من مائها ، وينقل إلى الآفاق منها ، كما ينقل من ماء زمزم ، ويسمونها زمزم أيضاً لبركتها .

ثم قال : ولم أعلم أحدا ذكر فيها أثرا يُعتمد عليه ، والله أعلم أيتهما هى السقيا ؟ الأولى لقربها من الطريق ، أم هذه لتواتر التبرك بها ؟ أو لعلها البئر التى احتفرتها فاطمة بنة الحسين حين أخرجت من بيت جدتها فاطمة الكبرى ، وذكر القصة الآتية فى حَفْرِها لبئرها ، ثم قال : إن الظاهر أن هذه هى بئر فاطمة ، والأولى هى السقيا .

قلت : قوله « إن الأولى هى السقيا » هو الصواب كما سيأتى ، وأما قوله « إن الثانية هى بئر فاطمة » فعجيب ؛ لأن مقتضى قوله ومنها أنها من جملة الآبار التى ذكر ابن زبالة أن النبى صلى الله عليه وسلم أتاها وشرب منها ، وبئر فاطمة بنت الحسين هى التى احتفرتها بعد النبى صلى الله عليه وسلم ، وإنما ذكرَها ابن

زبالة فى خبر بناء المسجد ، وذكر فى آبار النبى صلى الله عليه وسلم ما قدمناه فى بئر إهاب مع بئر السقيا وغيرها من الآبار ، ثم أفردها ثانيا فى سياق ما جاء فى الحرة الغربية ، وأيضا فقد ذكر المطري أن البئر المذكورة لم تَزَلْ يتبرك بها قديما وحديثا ، وينقل منها الماء إلى الآفاق ، فكيف ترجَّحَ أنها المنسوبة لابنة الحسين مع وجود بئر فى تلك الجهة ينسب إلى النبى صلى الله عليه وسلم إتيانُهَا والبَصْق فيها ؟ فالذى ترجَّحَ عندى أن هذه البئر المعروفة بزمزم هى بئر إهاب ، وقد رأيت عندها مع طرف الجدار الذى بجانبها الدائر على الحديقة آثارَ قصرٍ قديم كان مَبْنِيًّا عليها الظاهرُ أنه قصرُ إسماعيلَ بن الوليد الذى ابتناه عليها ، وفى شاميها بئر أخرى فى الحديقة المذكورة يحتمل أنها هى المنسوبة لابنة الحسين ، ولعل حوض ابن هشام كان هناك ، والله أعلم .

بئر البصة بئر البُصَّة ــ بضم الموحدة وفتح الصاد المشددة آخره هاء ، كأنها من بَصَّ الماء بَصًّا رشَحَ ، كذا قاله المجد ــ قال : وإن روى بالتخفيف فمن وَبَصَ يَبِصُ وَبْصاً وبِصَةً كوَعَدَ يَعِدُ وَعْدًا وعِدَةً إذا بَلَغ ، أومن وَبَصَ لى من المال أى أعطانى .

قلت: المعروف بين أهل المدينة التخفيف.

وروى ابن زبالة وابن عدى من طريقه عن أبى سعيد الخدرى قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتى الشهداء وأبناءهم ، ويتعاهد عيالاتهم ، قال : فجاء يوما أبا سعيد الخدرى فقال : هــل عندك من سِدْرٍ أغسل به رأسى فإن اليوم الجمعة ؟ قال : نعم ، فأخرج له سِدْراً ، وخرج معه إلى البصة ، فغسل رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه ، فصب غُسالة رأسِهِ ومراقة شَعْره فى البصة .

قال ابن النجار : وهذه البئر قريبة من البقيع على طريق الماضى إلى قباء ، وهى بين نخل ، وقد هَدَمها السيل وطَمَّهَا ، وفيها ماء أخضر ، وقفت على قفها ، وذرعت طولها ، فكان أحد عشر ذراعا ، منها ذراعان ماء ، وعرضها سبعة أذرع ، وهى مبنية بالحجارة ، ولون مائها إذا انفصل منها أبيض ، وطعمه حلو ، إلا أن

الأجون غلب عليه . وذكر لى الثقة أن أهل المدينة كانوا يَسْتَقُون منها قبل أن يَطُمَّها السيلُ ، اه .

وقد أصلحت بعده ، ولذا قال المطرى : إنها فى حديقة كبيرة محوط عليها حائط ، وعندها فى الحديقة أيضا بئر أصغر منها ، والناس يختلفون فيهما أنهما بئر البصة ، إلا أن ابن النجار قَطَعَ بأنها الكبرى القبلية ، وذكر ما تقدم عنه فى طولها وعرضها ، ثم قال : والصغرى عرضها ستة أذرع ، وهى التى تلى أُطُمَ مالك بن سنان والد أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنهما . قال : وسمعت مَنْ أدركت من أكابر الخدام وغيرهم من أهل المدينة يقولون : إنها الكبرى القبلية ، وإن الفقيه الصالح القدوة أبا العباس أحمد بن موسى بن عجيل وغيره من صُلَحَاء اليمن إذا جاءوا للتبرك بالبصة لا يقصدون إلا الكبرى القبلية .

قلت : الظاهر أن ذلك كله ناشئ عما ذكره ابن النجار فى وصفها ، لكن يُرَجِّحُ أنها الصغرى كونُها إلى جانب الأطم المذكور ، وقد قال فيه ابن زبالة كما تقدم فى المنازل : إنه المسمى بالأجرد ، وإنه الذى يقال لبئره البصة ، كان لمالك ابن سنان ، والكبرى بعيدة عن الأُطُم المذكور .

وقد ابتنى قاضى المدينة زكى الدين بن أبى الفتح بن صالح تغمده الله برحمته على محلّ هذا الأطم منزلا حسنا ، وجعل للبئر الصغرى درجا ينزل إليها منه ، وعمر البئر الكبرى أيضا لما استأجر الحديقة لولده بعد أن أجرها هو وشريكه فى النظر فى الولاية السلطانية لغيره ، وهى من جملة أوقاف الفقراء ، وقفها شيخُ الخدام عزيز الدولة ريحان البدرى الشهابى على الفقراء الواردين والصادرين للزيارة على ما ذكره المطرى ، قال : وذلك بعد وفاته بعامين أو ثلاثة ، ووفاته سنة سبع وتسعين وستمائة ، اه .

وفى غربى البئر الصغرى بجانب الحديقة من خارجها سبيلٌ للدوابِّ يُمْلأ منها ، وعليه موقوف قطعة نخل تعرف بالركبدارية شمالىَّ سُور المدينة .

بئر بضاعة

بئر بضاعة ـ بضم الموحدة على المشهور ، وحكى كسرها ، و بفتح الضاد المعجمة ، وأهملها بعضهم ، وبالعين المهملة ، بعدها هاء ـ غربىّ بيرحاء إلى جهة الشمال ، بينهما غَلْوَة سهم سبق .

روينا فى سنن أبى داود عن أبى سعيد الُخدرى ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ وهو يقال له : إنه يُسْتَقَى لك من بئر بُضَاعة ، وهى بئر تُلْقَى فيها لحومُ الـكلاب والمحائض وعُذَر الناس ـ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الماء طَهُورٌ لا يُنَجِّسه شىء » .

ورواه أحمد ، وصححه النسائى ، والترمذى وحَسَّنه ، والدار قطنى وقال فيه « من بئر بضاعة بئر بنى ساعدة » وابنُ شَبَّة إلا أنه قال « وعُذَر النساء » بدل قوله « وعذر الناس » وابنُ ماجه وزاد « لا ينجسه شىء إلاّ ما غلب عليه ريحه وطعمه ولونه » .

وفى رواية للنسائى عن أبى سعيد قال : مررت بالنبى صلى الله عليه وسلم وهو يتوضأ من بئر بضاعة ، فقلت : أتتوضأ منها وهى يُطْرح فيها ما يُكْرَه من النتن ؟ فقال « الماء لا ينجسه شىء » .

وروى ابن شبة عن سَهْل بن سعد أن النبى صلى الله عليه وسلم « بَصَقَ فى بضاعة » . وعنه أيضا : سقيتُ النبىّ صلى الله عليه وســلم بيدى من بُضَاعة ، ورواه الطبرانى فى الكبير ورجاله ثقات إلا أنه قال « من بئر بضاعة » وكذا رواه أحمد .

وروى ابن زبالة وأبو يعلى عن محمد بن أبى يحيى عن أمه قالت : دخَلْنَا على سَهْل بن سَعْد فى نِسْوة فقال : لو أنى سقيتكن من بئر بُضَاعة لـكرهت ذلك ، وقد والله سقيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بيدى منها

وفى الكبير للطبرانى عن سهل بن سعد أن النبى صلى الله عليه وسلم « بَرَّكَ على بُضَاعة » .

ورواه ابن ز بالة عن أبي أسيد ، لكن بلفظ «دَعَا لبئر بضاعة» . وفى الكبير للطبرانى عن مالك بن حمزة بن أبى أسيد الساعدى عن أبيه عن جده أبى أسيد ، وله بئر بالمدينة يقال لها بئر بُضَاعة ، قد بَصَقَ فيها النبى صلى الله عليه وسلم فهى يتبشر بها و يتيمن بها .

قال : فلما قطع أبو أسيد تمرَ حائطه جعله فى غُرْفَة ، فكانت الغول تخالفه إلى مَشْرَبته فتسرق تمره وتُفسِدُه عليه ، فشكا ذلك إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال « تِلْكَ الغُولُ يا أبا أسيد ، فاستمع عليها ، فإذا سمعت اقتحامها فقل : بسم الله ، أجيبى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت الغول : يا أبا أسيد ، أعفِنِي أن تكلفنى أن أذهَبَ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأعطيك مَوْثقًا من الله أن لا أخَالِفَكَ إلى بيتك ، وأن لا أسرق تمرك ، وأدلّكَ على آية تقرؤها على بيتك فلا يُخَالَفُ إلى أهلك ، وتقرؤها على إنائك فلا يُكْشَفُ غطاؤه ، فأعطَتْه الموثق الذى رضى به منها ، فقالت : الآية التى أدلّكَ عليها هى آية الكرسى ، ثم حكت أستها تضرط ، فأتى النبى صلى الله عليه وسلم فقصّ عليه القصة حيث دَلّته ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : صَدَقَتْ وهِيَ كَذُوبٌ » قال الحافظ الهيتمى : رجاله وثقوا كلهم ، وفى بعضهم ضعف .

وقال المجد : وفى الخبر أن النبى صلى الله عليه وسلم « أتى بئر بُضَاعة ، فتوضأ من الدّلْو وردّها إلى البئر ، و بَصَق فيها ، وشرب من مائها ، وكان إذا مرض المريضُ فى أيامه يقول : اغسلونى من ماء بُضَاعة ، فيغسل فكأنما يَنْشَطُ من عِقال » .

وقالت أسماء بنت أبي بكر : كنا نغسل المَرْضَى من بئر بُضَاعة ثلاثة أيام فيعافون ، اهـ .

قال أبو داود فى سننه : سمعتُ قُتَيبة بن سعيد يقول : سألتُ قَيِّمَ بئر بُضَاعة عن عُمْقها أكثر ما يكون فيها الماء ، قال : إلى العانة ، قلت : و إذا نَقَص ، قال : دون العورة ، قال أبو داود عقبه : وقَدّرْتُ بئر بُضَاعة بردائى ، مَدَدْتُه عليها ثم ذَرَعْته

فإذا عرضها ستة أذرع ، وسألت الذى فتح باب البستان فأدخلنى إليه : هل غُيِّرَ بناؤها عما كانت عليه ؟ فقال : لا ، ورأيت فيها ماء متغير اللون .

وقال ابن النجار : هذه البئر اليوم فى بستان ، وماؤها عذب طيب ، ولونها صافٍ أبيض ، وريحها كذلك ، و يستقى منها كثيرا ، قال : وذرعتها فكان طولها أحَدَ عَشَر ذراعا وشبرا ، منها ذراعان راجحة ماء ، والباقى بناء ، وعَرْضها ستة أذرع كما ذكر أبو داود .

قلت : وذَرَعْتُها فكان ذَرْعُها كذلك لم يتغير ، إلا أن قُفَّها مرتفع عن الأرض الأصلية ذراعا ونصفا راجحا ، وهى — كما قال المطرى — فى جانب حديقة عند طرف الحديقة الشامى ، والحديقة فى قبلة البئر ، و يستقى منها أهل حديقة أخرى شمالى البئر ، وهى بينهما ، وماؤها عَذْب طيب مع تَعَطُّلها فى زماننا وخراب قُفِّها ، وهى المرادة بما فى صحيح البخارى عن سَهْل بن سعد «إنْ كنا لنفرح بيوم الجمعة ، كانت لنا عجوز تأخذ من أصول الصلق » وفى رواية له « ترسل إلى بضاعة » قال ابن سلمة أى شيخ البخارى : محل بالمدينة ، الحديثَ .

قال الإسماعيلى : فى هذا بيان أن بئر بضاعة بئر بستان ؛ فيدل على أن قول أبى سعيد« كانت تلقى فيها الحيض وغيرها» أنها كانت تطرح فى البستان فيجريها المطر ونحوه إلى البئر .

قلت : ومن شاهَدَ بضاعة علم أنه كذلك لأنها فى وَهْدَة ، وحولها ارتفاع ، سيما فى شاميها ؛ إذا قدر اليوم هنالك أقذار لسال بها المطر إليها ، وتلقى الرياح فيها ماتلقى ، وادعى الطحاوى أنها كانت سَيْحاً ، وروى ذلك عن الواقدى ، و إنْ صَحَّ فلعل المراد به أن الأرض التى حولها كانت المياه تَسِيحُ فيها فتجرُّ الأقذار إليها ؛ لإطباق مؤرخى المدينة العالمين بأخبارها على تسميتها ببئر ، لا كما قال بعض الحنفية : إنها كانت عينا جارية إلى بساتين ، إذ المشاهدة تردُّه كما قاله المجد ، قال : ولو كان كذلك لما صلح أن يقول فيها المريض « اغسلونى من

ماء بضاعة » لأن الجرية الأولى سارت ببُصاق النبى صلى الله عليه وسلم ، وأيضا فلو كانت قناة جارية وسدت لماخفى آثار مجاريها المنسدة ، والمشاهدة مع الإطباق على أنها البئر المذكورة كافية فى الرد .

وقال المجد : بُضَاعة داربنى ساعدة ، وبها هذه البئر ، ونقله الحافظ ابن حجر عن بعضهم ، ومقتضى كلام شيخ البخارى المتقدم أنها اسم للبستان الذى فيه البئر، والظاهر إطلاقها على الثلاثة ، والله أعلم .

بئر جاسوم

بئر جاسوم ، ويقال جاسم ـ بالجيم والسين المهملة ـ لم يذكرها والتى بعدها ابن النجار ومن بعده ، وتقدم فى مسجد راتج من رواية ابن شبة أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى فى مسجد راتج ، وشرب من جاسوم ، وهى بئر هنالك .

وروى هو وابن زبالة أيضا عن خالد بن رباح أن النبى صلى الله عليه وسلم « شَرِبَ من جاسوم بئر أبى الهيثم بن التيهان » .

وعن زيد بن سعد قال : جاء النبى صلى الله عليه وسلم معه أبو بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما إلى أبى الهيثم بن التيهان رضى الله تعالى عنه فى جاسوم ، فشرب من جاسوم ، وهى بئر أبى الهيثم ، وصلى فى غائطه[1] .

وروى الواقدى عن الهيثم بن نصر الأسلمى قال : خدمت النبى صلى الله عليه وسلم ولزمت بابه ، فكنت آتيه بالماء من بئر جاسم ، وهى بئر أبى الهيثم بن التيهان ، وكان ماؤها طيبا ، ولقد دخل يوما صائما ومعه أبو بكر على أبى الهيثم ، فقال : هل من ماء بارد؟ فأتاه بشجب[2] فيه ماء كأنه الثلج، فصبَّ منه على لبن عَنْز له وسقاه ثم قال له : إن لنا عَريشا باردا ، فَقِلْ فيه يارسول الله عندنا ، فدخله وأبو بكر ، وأتى أبو الهيثم بألوان من الرُّطَب ، الحديثَ ، وأشار الحافظ ابن حجر إلى أنه يؤخذ منه أن هذه القصة هى التى فى الصحيح عن جابر أن النبى صلى الله عليه دَخَلَ على رجل من الأنصار ومعه صاحب له ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : إن كان عندك ماء بائت هذه الليلة فى شجب[2] وإلا كَرَعْنا،قال : والرجل يحول

(١) الغائط : اسم للمكان المنخفض (٢) الشجب ـ بفتح فسكون ـ سقاء يقطع نصفه فيتخذ أسفله دلوا .

الماء فى حائطه ، فقال الرجل : يارسول الله عندنا ماء بائت ، فانطَلِقْ إلى العَرِيش ، قال : فانطلق بهما فسكب فى قدح ثم حلب عليه من داجِنٍ له ، فشرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم شرب الرجل الذى جاءمعه .

قلت : وهذه البئر غير معروفة اليوم ، وتقدم بيان جهتها فى مسجد راتج

بئر جمل

بئر جمل ، بلفظ الجمل من الإبل — روى ابن زبالة عن ابن عبد الله بن رَوَاحة وأسامة بن زيد قالا : ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بئر جَمَل ، وذهبنا معه ، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودخل معه بلال ، فقلنا : لا نتوضأ حتى نسأل بلالا كيف توضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالا : فسألناه ، فقال : تَوَضَّأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ومَسَح على الخفين والخمار ، وفى صحيح البخارى حديث « أَقْبَلَ النبى صلى الله عليه وسلم من نحو بئر جمل ، فلقيه رجل ، فسلم عليه — الحديث » .

وفى رواية للدار قطنى « أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغائط ، فلقيه رجل عند بئر جمل » .

وفى أخرى له أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « ذهَبَ نحو بئر جمل ليقضى حاجته ، فلقيه رجل مُقْبل فسلّم عليه » .

وفى رواية النسائى « أقبل من نحو بئر الجمل » وهو من العقيق ، قاله المجد ، قال : وهى بئر معروفة بناحية الجرف بآخر العقيق ، وعليها مال من أموال أهل المدينة ، قال : ويحتمل أنها سميت بجمل مات فيها ، أو برجل اسمه جمل حَفَرها .

قلت : وهى غير معروفة اليوم ، ولم أر مَنْ سبق المجد لكونها بالجرف غير ياقوت .

وقوله « وهو من العقيق » لم أره فى السنن الصغرى للنسائى ، ويبعده سَوْق الروايات السابقة لقوله « ذهب نحو بئر جمل ليقضى حاجته » وفى أخرى أن الرجل توارى فى السكة ، والمعروف بقضاء الحاجة إنما هو ناحية بقيع الحجبة ، وهو ناحية

بئر أبى أيوب ، وهناك الموضع المعروف بالمناصع ، وتقدم بيان زُقاق المناصع شرقى المسجد فيما يلى الشام ، وسبق فى الفصل الحادى عشر من الباب الثالث أن ناقته صلى الله عليه وسلم برَكَتْ بين أظهر بنى النجار ، أى شرقى المسجد النبوى ، ثم نهضت حتى أتت زقاق الحبشى ببئر جمل فبركت، الحديثَ ، وهو مؤيد لماقدمناه على أن عند مؤخر المسجد زقاقا يعرف اليوم بخرق الجمل ، و بقرب درب سويقة بئر صغيرة فى زقاق ضيق زعم أهل تلك الناحية أنها هى ، وأظنه غلطا .

وقال المطرى عقب ذكر الآبار التى اقتصر عليها ابن النجار : إنها ست ، والسابعة لا تعرف اليوم ، إلا ما يسمع من قول العامة إنها بئر جمل ، ولم تعلم أين هى ، ولا مَنْ ذكرها غير ما ورد فى حديث البخارى ، وذكر ما قدمناه .

ثم قال : ولم يذكر بئر جمل فى السبع المشهورة ، وكأنه لم يقف على ذكر ابن زبالة لها فى الآبار وروايته لما تقدم .

بئر حاء

بير حاء — روينا فى صحيح البخارى عن أنس قال : كان أبو طَلْحة أكثر أنصارى بالمدينة مالا من نخل ، وكان أحب أمواله إليه بير حاء ، وكانت مستقبلة المسجد ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها و يشرب من ماء فيها طيب ، قال أنس : فلما نزلت هــذه الآية (لَنْ تَنَالُوا البرَّ حتى تنفقوا مما تحبون) قام أبو طلحة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، إن الله عز وجل يقول (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) و إن أَحَبَّ أموالى إلىّ بير حاء ، و إنها صدقة لله أرجو برّها وذُخْرها عند الله ، فضَعْها يارسول الله حيث أراك الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «بخ ، ذلك مال رابح ، وقد سمعتُ ما قلتَ ، و إنى أرى أن تجعلها فى الأقربين » قال أبو طلحة : أفعَلُ يا رسول الله ، فقسّمَها أبو طلحة فى أقاربه و بنى عمه ، وفى رواية له « فجعلها لأبىّ وحسان» وكانا أقربَ إليه منِّى ، وفى رواية له أيضاً عقب قوله «و إن أحب أموالى إلىّ بير حاء» قال: وكانت حديقة ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها ، و يستظل فيها ،

ويشرب من مائها ، قال : فهى إلى الله وإلى رسوله أرجو بره وذُخْرَه ، فضَعْها يا رسول الله حيث أراك الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «بَخٍ يا أبا طلحة ذلك مال رابحٌ ، قد قبلناه منك ، ورددناه عليك ، فاجعله فى الأقربين» فتصدَّقَ به أبو طلحة على ذوى قربى رحمه ، قال : وكان منهم أبىّ وحسان ، قال : فباع حسان حصته منه من معاوية ، فقيل له : تبيع صدقة أبى طلحة ؟ فقال : ألا أبيع صاعا من تمر بصاع من دراهم ؟ وكانت تلك الحديقة فى موضع قصر بنى جديلة الذى بناه معاوية .

قال الحافظ ابن حجر : وزاد ابن عبد البر فى روايته : وكانت دار أبى جعفر والدار التى تليها إلى قصر بنى جديلة حائطا لأبى طلحة يقال له بير حاء ، قال : ومراده بدار أبى جعفر الدارُ التى صارت إليه وعرفت به ، وهو أبو جعفر المنصور الخليفة العباسى . وقَصْرُ بنى جديلة هى حصَّة حسان ، بنى فيها معاوية بن أبى سفيان هذا القصر ، وأغرب الكرمانى فزعم أن معاوية الذى بنى القصر المذكور هو معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار أحدُ أجداد أبى طلحة .

قلت : منشأ وهمه إضافة القصر إلى بنى جديلة ، وجديلة لقب معاوية المذكور وهو مردود ، بل إضافته إليهم لكونه بمنازلهم .

قال ابن شبة : وأما قصر بنى جديلة فإن معاوية بن أبى سفيان بَنَاه ليكون حصنا ، وله بابان : بابٌ شارع على خط بنى جديلة ، وباب فى الزاوية الشرقية اليمانية عند دار محمد بن طلحة التَّيْمى ، وهو اليوم لعبد الله بن مالك الخزاعى قطيعة ، وكان الذى ولى بناءه لمعاوية الطفيل بن أبى كعب الأنصارى ، وفى وسطه بير حاء

ثم روى عقبه عن العطاف بن خالد قال : كان حسان يجلس فى أُجُمَة فارع ، ويجلس معه أصحاب له ، ويضع لهم بساطا يجلسون عليه ، فقال يوما وهو يرى كثرة مَنْ يأتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم من العرب يسلمون :

أرَى الجَلاَبِيبَ قَدْ عَزُّوا وَقَدْ كَثُرُوا وابن الفريعة أمسى بَيْضَةَ البَلَدِ

فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : مَنْ لى من أصحاب البساط ؟ فقال صفوان بن المعطل : أنا لك يا رسول الله منهم ، فخرج إليهم واخترط سيفه ، فلما رأوه مقبلا عرَفوا فى وجهه الشر ، ففرّوا وتبدّدوا ، وأدرك حسان داخلا بيته ، فضربه ، ففلق ثُنَّته ، فبلغنى أن النبى صلى الله عليه وسلم عوّضه وأعطاه حائطا ، فباعه من معاوية بن أبي سفيان بعد ذلك بمال كثير ، فبناه معاوية بن أبى سفيان قصرا .

وروى أيضاً فى خبر الإفك عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التّيْمى قصة ضرب صفوان لحسان ، وأن النبى صلى الله عليه وسلم قال : أحْسِنْ يا حسان فى الذى أصابك ، قال : هى لك يا رسول الله ، فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عوضا منها بير حاء ، وهى قصر بنى جديلة اليوم بالمدينة ، كانت مالا لأبى طلحة ابن سهل تصدّق بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأعطاها حسان فى ضربته شيرين أمةً قبطية

وروى ابن زبالة عن أبي بكر بن حزم أن أبا طلحة تصدّق بمال له كان موضعه قصر بنى جديلة ، فدفعه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فردّه على أقاربه أبىّ بن كعب وحسان بن ثابت وثبيط بن جابر وشداد بن أوس أو أبيه أوس بن ثابت يعنى أخا حسّان بن ثابت ، فتقاوموه ، فصار لحسان بن ثابت ، فباعه من معاوية بن أبى سفيان بمائة ألف درهم ، قال : وكان معاوية قد بنى قصر خل ليكون حصنا لما كان يتحدّث أنه نصيب بنى أمية ، وذكر ما سيأتى فى قصر خل ، ثم قال : فلما اشترى بير حاء بَنَى قصر بنى جديلة فى موضعها للذى كان يخاف من ذلك .

وقال الحافظ ابن حجر : وبَيْعُ حسان لحصته من معاوية دليلٌ على أن أبا طلحة مَلّكهم الحديقة المذكورة ، ولم يقفها عليهم ، ويحتمل أنه وقفها وشرط أن من احتاج إلى بيع حصته جاز له كما قال بجوازه على وغيره .

قلت : وقد اشترط على فى صدقته كما حكاه ابن شبة عن نسخة كتاب الصدقة

قال ابن النجار : و بير حاء اليوم فى وسط حديقة صغيرة جداً ، فيها نخيلات ويزرع حولها ، وعندها بيت مبنى على علو من الأرض ، وهى قريبة من سور المدينة ، وهى لبعض أهلها ، وماؤها عذب حلو .

وقال المطرى : وهى شمالى سور المدينة بينهما الطريق ، وتعرف الآن بالنورية اشتراها بعض النساء النوريين ووقفها على الفقراء والمساكين فنسبت إليها ، قال ابن النجار : وذَرَعْتها فكان طولها عشرين ذراعا ، منها أحد عشر ذراعا ماء ، والباقى بنيان ، وعرضها ثلاثة أذرع وشبر .

قلت : وهى اليوم على هذا النعت ، وفى قبلتها مسجد ليس من بناء الأقدمين لم يذكره ابن النجار ولا المطرى ، وكأنه لما حدث بعدهما . وذكره المجد فقال : وفى بير حاء بير قريبة الرشاء ضيقة القنا طيبة الماء ، وأمامها إلى القبلة مسجد صغير فى وسط الحديقة .

قلت : وقوله فى حديث الصحيح « وكانت مستقبلة المسجد » معناه أن المسجد فى جهة قبلتها ، فلا ينافى بعدها عنه على هذه المسافة الموجودة اليوم ، والظاهر أن بعض أرضها كان داخل سور المدينة ؛ لما تقدم من قسمتها وابتناء القصر فى بعضها ، ولم أر للفقراء أثرا هناك .

وقد تقدم أن حش أبى طلحة الذى فى شامى المسجد منسوب إلى أبى طلحة صاحبها ، فربما كانت أمواله ممتدة إلى هناك . وأما دار محمد بن طلحة التيمى التى ذكر ابن شبة أنه أحَدُ بانى القصر المبنى عليها عنده فيظهر أنها غير دار إبراهيم ابن محمد بن طلحة التى هى من دار جده طلحة المتقدم ذكرها فى الدور المطيفة بالمسجد ، لنسبتها لإبراهيم بن محمد ، ونسبة هذه لأبيه ؛ فلا يقدح ذلك فى كون بير حاء هى المعروفة اليوم ، والله أعلم .

تنبيه — فى ضبط بير حاء ، وقد أفرد له بعضهم مصنفا ذكر المجد ملخصه ،

وقد اختلف الناس فى ضبطه ، قال صاحب النهاية : بير حاء بفتح الباء وكسرها ، **ضبط بير حاء** و بفتح الراء وضمها ، و بالمد فيهما ، و بفتحهما والقصر ، قال الزمخشرى : بير حاء اسم أرض كانت لأبى طلحة ، وكأنها فيعلى من البَرَاح ، وهى الأرض المنكشفة الظاهرة ، وقال مرة : رأيت محدِّثى مكة يقولون بير حاء على الإضافة ، وحاء : من اسم القبائل ، وقيل : اسم رجل ، وعلى هذا يكون منونا ، قال ياقوت : بير حا بوزن خيزَ لى ، وقيل لى بير حاء مضاف إليه ممدود ، قال : ورواية المغاربة قاطبة الإضافة ، و إعراب الراء بالرفع والجر والنصب ، وحاء على لفظ الحاء من حروف المعجم .

وقال أبو عبيد البكرى : حاء—على وزن حرف الهجاء — بالمدينة ، مستقبلة المسجد ، إليها ينسب بير حاء ، فالاسم مركب .

قال الحافظ ابن حجر : اختلف فى حاء هل هو رجل أو امرأة أو مكان أضيف إليه البير ، أو هى كلمة زَجْر للإبل ، وكانت الإبل ترعى هناك وتزجر بهذه اللفظة فأضيفت البير إلى اللفظة ، قال الباجى : أنكر أبو بكر الأصم الإعراب فى الراء ، وقال : إنما هو بفتح الراء على كل حال ، قال : وعليه أدركت أهل العلم بالمشرق .

وقال أبو عبد الله الصورى : إنما هو بفتح الباء والراء فى كل حال ، بمعنى أنه كلمة واحدة ، قال عياض : وعلى رواية الأندلسيين ضبطنا هذا الحرف عن أبى جعفر فى كتاب مسلم بكسر الباء وفتح الراء ، و بكسر الراء و بفتح الباء والقصر ، ضبطناه فى الموطأ عن أبى عنان وغيره ، و بضم الراء وفتحها معا قيدناه عن الأصيلى ، وقد رَوَاه من طريق حماد بن سلمة بريحا ، هكذا ضبطناه عن شيوخنا فيما قيدوه عن البدرى وغيره ، ولم أسمع فيه خلافا ، إلا أنى وجدت الحميدى ذكر فى اختصاره عن حماد بن سلمة بير حا ، كما قال الصورى ، ورواية الرازى فى مسلم فى حديث مالك بريحا ، وهو وهم ، و إنما هذا فى حديث حماد ، و إنما

لمالك بير حا كما قيد الجميع على اختلافهم . وذكر أبو داود فى مصنفه هذا الحديث بخلاف ماتقدم فقال : جَعَلْتُ أرضى باريحاء وهذا كله يدل على أنها ليست ببئر ، انتهى كلام عياض .

قال الحافظ ابن حجر : قول أبى داود باريحا بإشباع الموحدة ، ووهم من ضبطه بكسر الموحدة وفتح الهمزة فإن أريحاء من الأرض المقدسة ، ويحتمل إن كان محفوظا أن تكون سميت باسمها .

وأما قوله صلى الله عليه وسلم « ذلك مال رابح ، أو قال رايح » فالأول بالموحدة أى ذو ربح ، والثانى بالمثناة التحتيَّة ، أى يَرُوح نفعه لقربه ، أى يصل إليك فى الرواح ، ولا يَعْزُب ، قال شاعر :

ســـأطلب مالاً بالمدينــة ؛ إننى إلى عَازِبِ الأموال قلت فَوَضِلُه

بئر حلوة

بئر حلوة — بالحاء المهملة — لم يذكرها والتى بعدها ابنُ النجار ومَنْ بعده ، وذكرها ابن زبالة ، فروى عن عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر عن أبيه قال : نَحَرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم جزوراً ، فبعث إلى بعض نسائه منها بالكتف ، فتكلمت فى ذلك بكلام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنْتُنَّ أهْوَنُ على الله من ذلك » وهَجَرَهن ، وكان يقيل تحت أراكة على حُلْوة بئرٍ كانت فى الزقاق الذى فيه دار آمنة بنت سعد ، وبه سمى الزقاق زقاق حلوة ، ويبيت فى مشربة له ، فلما مَضَتْ تسع وعشرون ليلة دخَلَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على عائشة ، فقالت : يارسول الله ، إنك آلَيْتَ شهراً ، قال : إن الشهر تسع وعشرون .

قلت : وهذه البئر غير معروفة اليوم بعينها ، وتقدم بيانُ جملتها فى الدور التى فى ميسرة البلاط عند ذكر دار حُوَيطب بن عبد العزى .

بئر ذرع

بئر ذرع — بالذال المعجمة — وهى بئر بنى خَطْمة ، وروى ابن زبالة حديث « أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى خَطْمة فصلى فى بيت العَجُوز ،

ثم خرج منه فصلى فى مسجد بنى خطمة ، ثم مضى إلى بئر م ذرع فجلس فى قفّها ، فتوضأ و بصق فيها » .

وروى ابن شبة عن الحارث بن الفضل أن النبى صلى الله عليه وسلم « توضّأ من ذرع بئر بنى خَطَمَة التى بفناء مسجدهم » ، وفى رواية : « وصلى فى مسجدهم » .

وفى رواية عن رجل من الأنصار أن النبى صلى الله عليه وسلم « بَصَقَ فى ذرع بئرِ بنى خطمة» .

قلت : وهذه البئر غير معروفة اليوم ، و يؤخذ بيان جهتها مما تقدم فى مسجد بنى خطمة .

بئر رومة

بئر رومة ــ بضم الراء ، وسكون الواو ، وفتح الميم ، بعدها هاء ، وقيل رؤمة بعد الراء همزة ساكنة ــ روى ابن زبالة حديث : « نعم القليبُ قليبُ المزنى فاشْتَرِها يا عثمان ، فتصدق بها » وحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « نعم الحفيرة حفيرة المزنى » يعنى رومة ، فلما سمع ذلك عثمانُ بن عفان ابتاع نصفها بمائة بَكْرة ، وتصدّق بها ، فجعل الناس يَسْتقُون منها ، فلما رأى صاحبها أن قد امتنع منه ما كان يصيب عليها باع من عثمان النصفَ الثانى بشىء يسير فتصدق بها كلها .

وروى ابن شبة عن عدى بن ثابت قال : أصاب رجلٌ من مُزَينة بئراً يقال لها رومة ، فذكرت لعثمان بن عفان وهو خليفة ، فابتاعها بثلاثين ألف درهم من مال المسلمين ، وتصدّقَ بها عليهم .

قلت: فى سنده متروك ، ولذا قال الزبير بن بكار بعد روايته فى عتيقة : وليس هذا بشىء ، وثبت عندنا أن عثمان اشتراها بماله وتصدق بها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، انتهى .

وقال ابن أبى الزناد : أخبرنى أبى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « نعم الصدقةُ صدقة عثمان » يريد رُومَةَ .

وقال محمد بن يحيى : أخبرنى غير واحد من أهل البلد أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « نعم القليب قليب المزنى » .

وروى ابن شبة أيضاً عن أبى قلابة قال : لما كانوا بباب عثمان وأرادوا قتله أشْرَفَ عليهم ، فذكر أشياء ، ثم ناشدهم الله فأعظم النِّشْدَةَ : هل تعلمون أن رُومَةَ كان لفلان اليهودى لا يَسْقِى منها أحداً قطْرَةً إلا بثمن ، فاشتريتُها بمالى بأربعين ألفاً ، فجعلت شربى فيها وشرب رجل من المسلمين سواء ، ما استأثرتها عليهم ؟ قالوا : قد علمنا ذلك .

وعن الزهرى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : مَنْ يشترى رومة بشرب رِوَاء فى الجنة ؟ فاشتراها عثمان رضى الله تعالى عنه من ماله فتصدق بها .

وعن عبد الرحمن بن حبيب السلمى قال : قال عثمان رضى الله تعالى عنه : أَنْشُدُكم الله ، أتعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : مَنِ اشترى بئر رومة فله مثلها من الجنة ، وكان الناس لا يشربون منها إلا بثمن ، فاشتريتها بمالى فجعلتها للفقير والغنى وابن السبيل ؟ فقال الناس : نعم .

وعن أسامة الليثى قال : لما حُصِرَ عثمان رضى الله تعالى عنه أرسل إلى عمّار ابن ياسر يطلب أن يدخل عليه رَوَايَا ماء ، فطلب له ذلك عمار من طَلْحة ، فأبى عليه ، فقال عمار : سبحان الله ! اشترى عثمان هذه البئر ـ يعنى رومة ـ بكذا وكذا ألفاً ، فتصدق به على الناس ، وهؤلاء يمنعونه أن يشرب منها ! .

وروى النسائى والترمذى وحَسَّنه عن عثمان أنه قال : أنشدكم بالله والإسلام هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وليس بها ماء يستعذب غير بئر رومة ، فقال : مَنْ يشرى بئر رومة يجعل دَلْوه مع دلاء المسلمين ـ الحديثَ .

وفى صحيح البخارى عن عبد الرحمن السلمى أن عثمان حيث حُوصِر أشرف عليهم وقال : أنشدكم بالله ، ولا أنشد إلا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مَنْ حفر بئر رومة فله الجنة ؟ لحفرتها ــ الحديثَ ، وفيه : وصَدَّقوه بما قال .

وللنسائى من طريق الأحنف بن قيس أن الذين صدقوه بذلك على بن أبى طالب وطلحة والزبير وسعد بن أبى وقاص . ورواه ابن شبة من حديث الأحنف إلا أنه قال : أنشدكم الله الذى لا إلهَ إلا هو ، هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : مَنْ يبتاع بئر رومة غفر الله له ، فابتعتها بكذا وكذا ، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : إنى ابتعت بئر رومة ، فقال : اجعلها سقاية للمسلمين ، وأجرها لك ؟ قالوا : نعم .

وقال ابن بطال فى الكلام على رواية البخارى قوله : « فحفرها عثمان » وهم فى بعض الروايات ، والمعروف أن عثمان اشتراها ، لا أنه حفرها ، قال الحافظ ابن حجر عقبه : المشهور فى الروايات كما قال ، لكن لا يتعين الوهم ؛ فقد روى البغوى فى الصحابة من طريق بشر بن بشير الأسلمى عن أبيه قال : لما قدم المهاجرون المدينة استنكروا الماء ، وكانت لرجل من بنى غفار عين يقال لها رومة ، وكان يبيع منها القربة بمد ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : بِعْنيها بعين فى الجنة ، فقال : يا رسول الله ليس لى وعيالى غيرها ، ولا أستطيع ذلك ، فبلغ ذلك عثمان ، فاشتراها بخمسة وثلاثين ألف درهم ، ثم أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : أتجعل لى مثلَ الذى جعلت له عيناً فى الجنة إن اشتريتها ؟ قال : نعم ، قال : قد اشتريتها وجعلتها للمسلمين ، قال الحافظ ابن حجر : وإذا كانت أولا عَيْناً فلا مانع أن يحفر فيها عثمان بئراً ، ولعل العين كانت تجرى إلى بئر فوسّعها أو طولها فنسب حَفْرُها إليه ، انتهى .

قلت : الإشكال ليس فى ذكر وقوع حفر عثمان لها فقط ، بل فى كون

الترغيب فيها بلفظ « مَنْ حفر » إلى آخره ؛ فطريق الجمع أن يكون صلى الله عليه وسلم قال أولا : « من اشترى بئر رومة » فاشتراها عثمان ، ثم احتاجت إلى الحفر فقال : « مَنْ حفر بئر رومة » فحفرها، وتسميتها فى هذه الرواية عيناً غريب جداً ، ولعله لاشتمال البئر على ما ينبع فيها مقابلة لها بعين فى الجنة .

وقال المجد : قال أبو عبد الله بن منده : رومة الغفارى صاحب بئر رومة ، وروى حديثه ، وساق السند إلى بشر بن بشير الأسلمى عن أبيه قال : لما قدم المهاجرون ، وساق الحديث المتقدم ، ثم قال المجد : كذا قال رومة الغفارى ، ثم قال : عين يقال لها رومة .

وقال أبو بكر الحازمى أيضاً : هذه البئر تنسب إلى رومة الغفارى ، ولم يسمها عيناً ، والجمع بين هذا و بين قوله فى الحديث المتقدم « نعم الحفير حفيرة المزنى » يعنى رومة أن الذى احتفرها كان من مزينة ثم ملكها رومة الغفارى ، وذكر ابن عبد البر أنها كانت ركية ليهودى يبيع ماءها من المسلمين ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من يشترى رومة فيجعلها للمسلمين يضرب بدَلْوه فى دِلائهم وله بها شِرْبٌ فى الجنة ؟ فأتى عثمانُ اليهوديَّ فساومه بها ، فأبى أن يبيعها كلها ، فاشترى عثمان نصفها باثنى عشر ألف درهم ، فجعله للمسلمين ، فقال له عثمان : إن شئت جعلت لنصيبي قر نين ، و إن شئت فلى يوم ولك يوم ، فقال : بل لك يوم ولى يوم ، فكان إذا كان يومُ عثمان استقى المسلمون ما يكفيهم يومين ، فلما رأى اليهودى ذلك قال : أفسَدْتَ على ركيتى ، فاشترِ النصف الآخر، فاشتراه بثمانية آلاف درهم .

قلت : وهى بئر قديمة جاهلية ؛ لما رواه ابن زبالة عن غير واحد من أهل العلم أن تُبّعاً اليمانى لما قَدِم المدينة كان منزله بقَنَاة ، واحتفر البئر التى يقال لها بئر الملك ، و به سميت ، فاستَوْبأ بئره تلك ، فدخلت عليه امرأة من بنى زريق يقال لها فكهة ، فشكا إليها و باء بئره ، فانطلقت فأخذت حمارين أعرابيين ،

فاستقت له من بئر رومة ، ثم جاءته به ، فشرب فأعجبه وقال : زيدينى من هذا الماء ، فكانت تصير إليه به مقامه ، فلما خرج قال لها : يا فكهة إنه ليس معنا من الصفراء والبيضاء شىء ، ولكن لك ما تركنا من أزوادنا ومتاعنا ، فلما خرج نقلت ما بقى من أزوادهم ومتاعهم، فيقال : إنها كانت لم تزل هى وولدها أكثر بنى زريق مالاً حتى جاء الإسلام .

وهذه البئر فى أسفل وادى العقيق ، قريبة من مجتمع الأسيال ، فى بَرَاح واسع من الأرض ، وعندها بناء عالٍ بالحجارة والجص قد تهدم .

قال ابن النجار : قيل : إنه كان دارا ليهودى ، وحولها مزارع وآبار كثيرة ، وهى قبلى الجرف وشمالى مسجدالقبلتين بعيدة منه ، قال ابن النجار : وقد انقضت خرزتها وأعلامها ، إلا أنها بئر مليحة جدا ، مبنية بالحجارة الموجَّهة ، قال : وذَرَعْتُها فكان طولها ثمانية عشر ذراعا ، منها ذراعان ماء و باقيها مطموم بالرمل الذى تَسْفِيه الرياح فيها ، وعرضها ثمانية أذرع ،وماؤها طافٍ ، وطعمه حلو ، إلا أن الأجون غلب عليه .

وقال المطرى : وقد خربت ، ونقضت حجارتها ، وانطمّتْ ، ولم يبق منها اليوم إلا أثرها .

قال الزين المراغى : وقد جددت بعد ذلك ، ورفع بناؤها عن الأرض نحو نصف قامة ، ونزحت فكثر ماؤها ، أحياها كذلك القاضى شهاب الدين أحمد بن محمد بن محمد بن المحب الطبرى قاضى مكة المشرفة فى حدود الخمسين وسبعمائة ، قال : فتناوله إن شاء الله تعالى عمومُ حديث « مَنْ حفر بئر رومة فله الجنة » انتهى .

ومن الغريب قول عياض فى مشارقه : بئر رومة بضم الراء بئران مشهوران بالمدينة ، انتهى ، ولم أقف له على أصل .

بئر السقيا — بضم السين المهملة ، وسكون القاف ، من سَقَاه الغيثَ وأسقاه — بئر السقيا

تقدم ذكرها فى مسجد السقيا فى حديث ابن زبالة أن النبى صلى الله عليه وسلم عَرَض جيشَ بدرٍ بالسقيا ، وصلى فى مسجدها ، ودعا هناك ، الحديثَ ، وفيه واسم البئر السقيا ، واسم أرضها الفلجان .

وروى ابن شبة عن جابر بن عبد الله قال : قال أبى : يابنى إنا اعترضنا ههنا بالسقيا ، حين قاتلنا اليهود بحسيكة ، فظفرنا بهم ، ونحن نرجو أن نظفر ، ثم عرضَنا النبىُّ صلى الله عليه وسلم بها متوجها إلى بدر ، فإن سلمت ورَجَعْت ابتعها وإن قتلت فلا تفوتنك ، قال: فخرجت أبتاعها ، فوجدتها لذكوان بن عبد قيس، ووجدت سعد بن أبى وقّاص قد ابتاعها وسبق إليها ، وكان اسم الأرض الفلجان ، واسم البئر السقيا .

قال ابن شبة : قال محمدبن يحيى : وسألت عبد العزيزبن عمران عن حسيكة، وذكر ما سيأتى فيها ، ثم قال : قال أبو غسان : وأخبرنى عبدالعزيز بن عمران عن راشد بن حفص عن أبيه قال : كان اسم أرض السقيا الفلج ، واسم بئرها السقيا ، وكانت لذكوان بن عبد قيس الزرقى ، فابتاعها منه سعد بن أبى وقاص ببعيرين .

وروى أيضا عن عائشة رضى الله تعالى عنهاأن النبى صلى الله عليه وسلم «كان يُسْتَقَى له الماء العَذْبُ من بئر السقيا» وفى رواية « من بيوت السقيا » ورواه أبو داود بهذا اللفظ ، وسنده جيد ، وصححه الحاكم .

وروى الواقدى من حديث سلمة امرأة أبى رافع قالت :كان أبو أيوبُ — حين نزل عنده النبى صلى الله عليه وسلم — يستعذب له الماء من بئر مالك بن النضر والد أنس ، ثم كان أنس وهند وحارثة أبناء أسماء يحملون الماء إلى بيوت نسائه من بيوت السقيا ، وكان رَبَاح الأسود عنده صلى الله عليه وسلم يستقى له من بئر غرس مرةً ومن بيوت السقيا مرةً

وتقدم فى رابع فصول الباب الثانى مارواه الترمذى وقال حسن صحيح عن

على بن أبى طالب قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا كنا بحرة السقيا التى كانت لسعد بن أبى وقاص ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ائتونى بوَضُوء ، فتوضأ فقام ثم قام فاستقبل القبلة ، الحديثَ .

وتقدم أيضا حديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « صَلّى بأرض سعد بأرض الحرة عند بيوت السقيا ـ الحديث» .

قلت : و بئر السقيا هذه هى التى ذكر المطرى أنها فى آخر منزلة النقاء على يسار السالك إلى بئر علىّ بالحرم ، قال : وهى بئر مليحة ، كبيرة ، متنورة فى الجبل ، وقد تعطلت وخربت ، وعلى جانبها الشمالى ـ يعنى من جهة المغرب ـ بناء مستطيل مجصص .

قلت : والظاهر أنه كان حوضا أو بركة لورود الحجاج ، كانوا ينزلون بها أيام عمارة المدينة ، ولهذا سمى المطرى محلها منزلة النقاء ، وما سيأتى عنه فى النقاء مُصَرِّح بذلك ، وكان بعضُ فقراء العجم قد جَدَّدها وعَمَرَها فى سنة ثمان وسبعين وسبعمائة فصارت تعرف ببئر الأعجام ، كما رأيته بخط الزين المراغى .

قلت : وقد تهدمت وتَشَعَّثت بعد ذلك ، فجددها الجناب الخواجكى البدرى بدر الدين بن عليبة سنة ست وثمانين وثمانمائة ، تقبّل الله منـه وأثابه الجنة بمنه وكرمه .

وتقدم فى بئر إهاب أن المطرى تردَّد فى أن هذه السقيا لقربها من الطريق أم هى البئر المعروفة اليوم بزمزم ؛ لتواتر التبرك بها ، ثم قال : إن الظاهر أن السقيا هى الأولى .

قلت : وهو الصواب ؛ لزوال التردد بما مَنَّ الله به من الظَّفَر بمسجد السقيا عندها ، كما تقدم فيه ، والظاهر أنها المرادة بقول الغزالى فى آداب الزائر : وليغتسل من بئر الحرة ، انتهى ، وذلك لكونها على جادَّة الطريق ، وكانت مجاورة لأول بيوت المدينة أيام عمارتها .

وقال أبو داود عقب روايته لحديث استعذاب الماء من بيوت السقيا : قال قتيبة : السقيا عين بينها وبين المدينة يومان .

قلت : وما ذكره صحيح كما سيأتى فى ترجمتها ، إلا أنها ليست المرادة هنا ، وكأنه لم يطلع على أن بالمدينة بئرا تسمى بذلك ، وقد اغترّ به المجد فقال : السقيا قرية جامعة من عمل الفرع ، ثم أورد حديثَ أبي داود ، وقول صاحب النهاية : السقيا منزل بين مكة والمدينة ، قيل : على يومين ، ومنه حديث « كان يُسْتَعْذَبُ له الماء من بيوت السقيا » ثم قال : وقول أبي بكر بن موسى « السقيا بئر بالمدينة منها كان يستقى لرسول الله صلى الله عليه وسلم » محمول على هذا ؛ لأن الفرع من عمل المدينة ، ثم قال : وأما البئر التى على باب المدينة بينها و بين ثَنِيَّة الوَدَاع أى المدرج بها كما سيأتى عنه فيظنها أهل المدينة أنها هى السقيا المذكورة فى الحديث، قال : والظاهر أنه وهم ، قال : ومما يؤكد ذلك قوله فى الحديث «من بيوت السقيا» ولم يكن عند هذا البئر بيوت فى وقت ، ولم ينقل ذلك ، وأيضا إنما استعذب له صلى الله عليه وسلم الماء من السقيا لما اسْتَوْخَمُوا مياه آبار المدينة ، قال : وهذه البئر التى ذكرناها — أى التى بين المدينة والمدرج — كانت لسعد بن أبى وقاص فيما حكاه المطرى ، قال يعنى المطرى : ونقل أن النبي صلى الله عليه وسلم عَرَضَ جيش بدر بالسقيا التى كانت لسعد ، وصلى فى مسجدها ، ودعا هنالك لأهل المدينة ، وشرب صلى الله عليه وسلم من بئرها ، و يقال لأرضها « الفلجان » بضم الفاء والجيم ، وهى اليوم مُعَطَّلة ، وكانت مطمومة فأصلحها بعضُ فقراء العجم ، اهـ .

قلت : حمله لكلام أبى بكر بن موسى على ما ذكره ونَقْلُه ما جاء فى السقيا المذكورة عن المطرى يقتضى أنه لم يقف على ما قدمناه عن ابن زبالة وابن شبة ، وأنه لا يرى أن بالمدينة نفسها بئرا تسمى بالسقيا ، وهو وهم مردود ، مع أن المعتمد عندى أن السقيا التى جاء حديث الاستعذاب منها إنما هى سقيا المدينة ، وذلك لوجوه :

الأول: إيراد ابن شبة الحديث فى ترجمة آبار المدينة التى كان يستقى له صلى الله عليه وسلم منها .

الثانى : قرنه لذلك بحديث عرض جيش بدر بها ، و إيراد ابن زبالة فى سياق آبار المدينة ، والسقيا التى من عمل الفرع ليست فى طريق النبى صلى الله عليه وسلم إلى بدر ؛ لأن تلك الطريق معروفة ، والسقيا المذكورة معروفة أيضا ، وليست فى جهتها كما سيأتى فى بيان محلها ، وأيضا ففى حديث جابر المتقدم أنهم اعترضوا بالسقيا عند قتال اليهود بحسيكة مع بيان أن حسيكة بالمدينة نمنها إلى الجرف .

الثالث : ما تقدم أيضا من أنها كانت لبعض بنى زريق من الأنصار ، وتحريض والد جابر له على شرائها ، وأن سعدا سبقه لذلك .

الرابع : ما تقدم فى رواية الواقدى من أنه كان يُسْتَقَى له صلى الله عليه وسلم منها مرة ومن بئر غرس مرة ، و يبعد كلَّ البعدِ قربُ السقيا التى هى على يومين بل أيام من المدينة كما سيأتى ببئر غرس التى هى بالمدينة .

الخامس : ما فى رواية الواقدى أيضا من أن المتعاطى لذلك أبناء أسماء أنس وهند وحارثة ، ومثل هؤلاء إنما يستقون من المدينة وما حولها ؛ لأن سقيا الفرع تحتاج إلى جمال ورجال .

السادس : ما قدمناه فى مسجد السقيا من إيراد الأسدى له فى المساجد التى تزار بالمدينة ، ثم ذكر فى المساجد التى بين الحرمين مسجد السقيا التى هى من عمل الفرع .

السابع : ما قدمناه من الظفر بمسجد بئر السقيا بالمدينة .

الثامن : أن المجد نقل عن الواقدى فى ترجمة ُبقع أنه بضم الموحدة من السقيا التى بنقب بنى دينار ، وسنبين فى نقب بنى دينار أنه الطريق التى فى الحرة الغربية إلى العقيق .

وأما قول المجد « إنه لم يكن عند هذه البئر بيوت فى وقت ، ولم ينقل ذلك » فمن العجائب ؛ إذ مَنْ تأمل ما حول البئر المذكورة وما قرب منها علم أنه كان هناك قرى كثيرة متصلة ، فضلا عن بيوت ، كما يشهد به آثار الأساسات ونقْضُ العمارات ، وليت شعرى أين هو من مسجد السقيا الذى أهمله تبعا لغيره ومنّ الله بوجوده بسبب التأمل فى تلك الأساسات وآثار العمارات ؟ ولما كشف التراب عن محله وجدنا من بنائه ومحرابه نحوَ نصفِ ذراع ، وهو مجاور لهذه البئر كما سبق ، وما ذكره من أن الاستعذاب من السقيا إنما كان لما استَوْخَمُوا آبار المدينة فمردود ، بل هو طلب الماء العذب ، وأيضا أنهم لم يستوخموا كل آبارها . وفى الصحيح فى قصة مجيئه صلى الله عليه وسلم إلى أبى الهيثم بن التيهان قول زوجته « خرج يستعذب لنا الماء » ورواية الواقدى المتقدمة مُصَرِّحة بوقوع الاستعذاب من بئر مالك بن النضر والد أنس ، وكانت بدار أنس كما تقدم بيانه ، كما سيأتى فى بئر غرس الاستعذاب منها أيضا . ثم لو سلمنا أن المراد من حديث أبى داود فى الاستعذاب العين التى ذكرها قتيبة فهو محمول على أنه كان يستعذب له صلى الله عليه وسلم منها ، إذا نزل قربها فى سفر حجه ونحوه ، أما استعذابه منها إلى المدينة فلا أراه وقع أصلا ، والله أعلم .

بئر العقبة

بئر العقبة ــ بالعين المهملة ، ثم القاف ــ قال المجد : ذكرها رزين العبدرى فى آبار المدينة ، وقال : هى التى أدْلىٰ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر أرجُلَهم فيها ، ولم يعين لهـا موضعاً ، والمعروفُ أن هذه القصة إنما كانت فى بئر أريس ، اهـ .

والذى رأيته فى كتاب رزين فى تعداد الآبار المعروفة بالمدينة ما لفظه : و بئر العين سقط فيها الخاتم ، و بئر القف التى أدلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر أرجلهم فيها ، انتهى . وقد قدمنا فى بئر أريس ما يقتضى تعدد الواقعة .

بئر أبي عنبة

بئر أبي عِنَبَة ـ بلفظ واحدة العنب ـ قال ابن سيد الناس فى خبرٍ نَقَله عن ابن سعد فى غزوة بدر ، ما لفظه : وضرب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عسكره على بئر أبى عنبة ، وهى على ميل من المدينة ،فعرض أصحابَهُ، وردَّ من استصغره، اهـ .

وهذا مستند ما نقله المطرى فى الـكلام على بئر السقيا حيث قال بعد ذكر عرض جيش بدر بالسقيا : ونقل الحافظُ ابن عبد الغنى المقدسى أنه عرض جَيْشَه على بئر أبى عِنَبَةَ بالحرة فوق هذه البئر أى السقيا ، إلى المغرب ، ونقل أنها على ميل من المدينة .

قلت : ولعل العرض وقع أولا عند مرورهم بالسقيا ، ثم لما ضرب عسكره على هذه البئر أعاد العرض لرد من استصغر ، ولعل هـذه البئر هى المعروفة اليوم ببئر ودى ؛ لانطباق الوصف المتقدم عليها ، ولأنها أعْذَبُ بئر هناك .

وقد روى ابن زبالة عن إبراهيم بن محمد قال : خرجنا نشيع ابنَ جُرَيج حين خرج إلى مكة ، فلما كنا عند بئر أبى عِنَبَةَ قال : ما اسم هذا المكان ؟ فأخبرناه ، فقال : إن عندى فيه لحديثاً ، ثم ذكر حديث عاصم بن عمر حين اختصم فيه عمر وجَدَّته إلى أبى بكر ، فقال عمر : يا خليفةَ رسولِ الله ، ابنى ويستقى لى من بئر [أبى] عِنَبَةَ ، فدل على أن الماء كان يُسْتَعْذَبُ منها ، قال المجد : وقد جاء ذكر هذه البئر فى غير ما حديث .

بئر العهن

بئر العهن ـ بكسر العين المهملة ، وسكون الهـاء ، ونون ـ ذكر المطرى الآبار التى ذكرها ابن النجار ـ وهى : أريس ، والبُصَّة ، وبُضَاعة ، ورُومَة ، والغرس ، وبيرحاء ـ ثم قال : والآبار المذكورة ست ، والسابعة لا تعرف اليوم ، ثم ذكر ما تقدم عنه فى بئر جمل .

ثم قال : إلا أنى رأيتُ حاشيةً بخط الشيخ أمين الدين بن عساكر على نسخة من « الدرة الثمينة ، فى أخبار المدينة » للشيخ محب الدين بن النجار ما مثاله : العدد ينقص عن المشهور بئرا واحدة ؛ لأن المثبت ست ، والمأثور المشهور سبع ،

والسابعة اسمها « بئر العهن » بالعالية ، يزرع عليها اليوم ، وعندها سِدْرَة ، ولها اسم آخر مشهورة به .

قال المطرى عقبه : و بئر العهن هذه معروفة بالعَوَالى ، وهى بئر مليحة جدا ، منقورة فى الجبل ، وعندها سِدْرَة كما ذكر ، ولا تكاد تعرف أبدا ، وقال الزين المراغى عقب نقله : والسدرة مقطوعة اليوم .

قلت : ولم يذكروا شيئا يتمسك به فى فضلها ونسبتها إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، لكن لم يزل الناس يتبركون بها . والذى ظهر لى بعد التأمل أنها بئر اليسرة الآتى ذكرها ، وأن النبى صلى الله عليه وسلم نزل عليها وتوضأ وبَصَق فيها ؛ لأن اليسرة بئر بنى أمية من الأنصار بمنازلهم كما سيأتى ، و بئر العهن عند منازلهم ، وقد أشار ابن عساكر إلى تسميتها باسم آخر ، فأظنه الاسم المذكور ، والله أعلم .

بئر غرس

بئر غُرْس — بضم الغين المعجمة كما رأيته فى خط الزين المراغى ، وهو الدائر على ألسنة أهل المدينة ، و يقال « الأغرس » كما يؤخذ مما سيأتى فى وادى بطحان أول الفصل الخامس ، وقال المجد : بئر الغَرْس بفتح الغين وسكون الراء وسين مهملة ، والغَرْس : الفَسِيل ، أو الشجر الذى يُغْرَس لينبت، مصدر غَرَسَ الشجر ، قال : وضبطه بعض الناس بالتحريك مثال سَحَر ، وسمعت كثيرا من أهل المدينة يضمون الغين ، قال : والصواب الذى لا مَحِيدَ عنه ما قدمته ، أى من الفتح — وهى بئر بقباء فى شرقى مسجدها ، على نصف ميل إلى جهة الشمال ، وهى بين النخيل ، و يعرف مكانها اليوم وما حولها بالغَرْس ، قال : وحولها مقابر بنى حنظلة .

قلت : وأظنه تصحيفا ، والمذكور فى جهتها بنو خطمة ، وقد تقدم فى بئر السقيا أن رباحا الأسود عبدَ النبى صلى الله عليه وسلم كان يستقى له من بئر غَرْس مرة ومن بيوت السقيا مرة .

وروى ابن حبان فى الثقات عن أنس رضى الله تعالى عنه أنه قال : ائتونى بماء من بئر غَرْس ؛ فإنى رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يشرب منها و يتوضأ .

وفى سنن ابن ماجه بسندٍ جيدٍ عن على رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا أنا مُتُّ فاغسلونى بسَبْع قرب من بئرى بئر غَرْس » وكانت بقباء ، وكان يشرب منها .

ورواه يحيى عن علىّ بلفظ : أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « يا على ، إذا أنا مُتُّ فاغسلنى من بئرى بئر غرس بسبع قرب لم تحلل أوْكِيَتُهُنَّ » .

وروى ابن سعد فى طبقاته برجال الصحيح عن أبى جعفر الباقر محمد بن على ابن الحسين رضى الله تعالى عنهم قال : غسل النبى صلى الله عليه وسلم ثلاث غسلات بماء وسِدْرٍ ، وغسل فى قميص ، وغسل من بئر يقال لها الغرس لسعد بن خيثمة بقباء ، وكان يشرب منها .

وروى ابن شبة بسند صحيح عنه أيضاً أن النبى صلى الله عليه وسلم غسل من بئر سعد بن خيثمة بئرٍ كان يُسْتَعْذَب له منها ، وفى رواية : من بئر سعد بن خيثمة بئر يقال لها الغرس بقباء كان يشرب منها .

وروى أيضاً عن سعيد بن رقيش أن النبى صلى الله عليه وسلم تَوَضَّأ من بئر الأغرس ، وأهراق بقية وَضُوئه فيها .

وروى ابن زبالة عن سعيد بن عبد الرحمن بن رقيش قال : جاءنا أنس بن مالك بقباء فقال : أين بئركم هذه ؟ يعنى بئر غرس ، فدَلَلْنَاه عليها ، قال : رأيت النبى صلى الله عليه وسلم جاءها ، و إنها لتسنى على حمار ، بسَحَر ، فدعا النبى صلى الله عليه وسلم بدَلْو من مائها ، فتوضَّأ منه ثم سَكَبَه فيها ، فما نزفت بعد .

وعن إبراهيم بن إسماعيل بن مجمع مرسلا قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنى رأيتُ الليلَةَ أنى أصبحت على بئر من الجنة ، فأصبح على بئر غرس ، فتوضأ منها ، وبَزَقَ فيها ، وأهدى له عَسَل فصبه فيها ، وغسل منها حين توفى .

ورواه ابن النجار من طريق ابن زبالة ، دون قوله « وأهدى له من عسل إلى آخره » .

وقال المجد : وفى حديث ابن عمر : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وهو قاعد على شَفِير غَرْس : رأيتُ الليلَةَ كأنى جالس على عين من عيون الجنة ، يعنى بئر غرس .

قال : وعن عاصم بن سويد عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بعَسَل فشرب منه ، وأخذ منه شيئاً فقال : هذا لبئرى بئر غرس ، ثم صَبَّه فيها ، ثم إنه بَصَق فيها ، وغسل منها حين توفى .

قلت : وسبق فى أوائل الفصل العاشر من الباب الرابع مايقتضى أن هذه البئر عند مسجد قباء ، وأن النبى صلى الله عليه وسلم أولَ مَقْدَمه قباء أناخَ على غدق عندها ، وقدمنا أن الظاهر أنه تصحيف ؛ لمخالفته لما هو المعروف فى محل هذه البئر .

وقال ابن النجار : هذه البئر بينها و بين مسجد قباء نحو نصف ميل ، وهى فى وسط الصحراء ، وقد خربها السيل وطَمَّها ، وفيها ماء أخضر ، إلا أنه عَذْب طيب ، وريحه الغالب عليه الأجون .

قال : وذَرَعْتُها فكان طولها سبعة أذرع شافة منها ذراعان ماء وعرضها عشرة أذرع .

قال المطرى : وهى اليوم ملك لبعض أهل المدينة ، وكانت قد خربت فجددت بعد السبعمائة ، وهى كثيرة الماء ، وعرضها عشرة أذرع ، وطولها يزيد على ذلك ، وماؤها يغلب عليه الخضرة ، وهو طيب عذب .

قلت : وقد خربت بعد ذلك ، فابتاعها وما حولها صاحبُنَا الشيخ العلامة المقـيد خواجا حسين بن الجواد المحسن الخواجكى الشيخ شهاب الدين أحمد القاوانى ، أثابه ألله تعالى ، وعمرها وحوط عليها حديقة ، وجعل لها درجة ينزل إليها منها من داخل الحديقة وخارجها ، وأنشأ بجانبها مسجداً لطيفا ، ووقفها ، تَقَبَّلَ الله منه ، وذلك فى سنة اثنتين وثمانين وثمانمائة .

بئر القراصة

بئر القراصة — لم يذكرها وما بعدها ابنُ النجار ومن بعده ، ولم أر مَنْ ضبطها ، ولعلها بالقاف و بالراء كما فى بعض النسخ ، وفى بعضها بالعين بدل القاف

وروى ابن زبالة عن جابر بن عبد الله قال : لمـا استُشْهِد أبى عبدُ الله بن عمرو بن حَرَام عَرَضْتُ على غُرَمائه القراصة ، وكانت له ، أصلها وثمرها بما عليه من الدين ، فأبوا أن يقبلوا ذلك منه ، إلا أن يُقَوِّمُوها قيمة و يرجعوا عليه بما بقى من الدين ، قال : فشكا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : دَعْهم ، حتى إذا كان جدادها فجُدَّها فى أصولها ، ثم ائتنى فأعلمنى ، فلما حان جدادها جَدَّها فى أصولها ثم جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعلمه ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نَفَرٍ من أصحابه ، فبَصَق فى بئرها ، ودعا الله أن يؤدى عن عبد الله بن عمرو ، وقال : اذهب يا جابر إلى غُرَمَاء أبيك فشارِطهم على سعر وائت بهم فأوْفِهِمْ ، فخرج جابر فشارطهم على سعر ، وقال : انطلقوا حتى أوفيكم حقوقكم ، وكان أكبرهم اليهود ، قال : فقال بعضهم لبعض : أما تعجبون من صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن صاحبه ، عَرَض أصله وثمرَه فأبينا ، و يزعم أنه يوفينا من ثَمَرِهِ ، قال : فجاء بهم حتى أوفاهم حقوقهم ، وفَضَلَ منها مثل ما كانوا يجدون كل سنة .

قلت : وهذه البئر غير معروفة اليوم ، إلا أن جهتها جهة مسجد الخربة ، وهى فى غربى مساجد الفتح ؛ لما تقدم فيه من أنه دبر القراصة ، و يؤيده أن أصل

حديث جابر فى أرضه مذكورٌ فى الصحيح بطرق وفى بعضها : وكانت لجابر الأرض التى بطريق رومة ، وهذه الجهة بطريق رومة .

وروى أحمد عن جابر قال : قلت : يا رسول الله ، إن أبى تَرَكَ دَيْناً ليهودى فقال : يأتيك يوم السبت إن شاء الله تعالى ، وذلك فى زمن التمر مع استجداد النخل ، فلما كان صبيحة يوم السبت جاءنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما دخل علىَّ فى مالى أتى الربيع فتوضأ منه ثم قام إلى المسجد فصلى ركعتين ، ثم دنوت به إلى خيمة لى فبسطت له بِجَادًا من شَعْر ، الحديثَ ، والله أعلم.

بئر القريصة

بئر القرصة – لم أرَ مَنْ ضبطها ، وأظنها بالقاف والصاد المهملة مصغرة .

روى ابن زبالة عن سعد بن حرام والحارث بن عبيد الله قالا : توضأ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من بئر فى القريصة بئر حارثة ، أو شرب ، و بَصَق فيها ، وسقط فيها خاتمه فنزع .

ثم روى عقبه سقوط الخاتم فى بئر أريس .

قلت : وهذه البئر لا تعرف اليوم ، إلا أن فى شرقى المدينة بقرب القراصة المتقدمة فى مسجد القراصة بئرا تعرف بالقُرَيْصَة مصغر القرصة ، فإن صح الضبط المتقدم فهى المرادة .

بئر اليسرة

بئر اليُسْرة – من اليسر ضد العسر .

روى ابن زبالة عن سعيد بن عمرو قال : جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى أمية بن زيد ، فوقَفَ على بئر لهم فقال : ما اسمها ؟ قالوا : عسرة ، قال : لا ، ولكن اسمها اليسرة ، قال : فبصق فيها وبَرَّكَ فيها .

وروى ابن شبة عن محمد بن حارثة الأنصارى عن أبيه أن النبى صلى الله عليه وسلم سَمَّى بئر بنى أمية من الأنصار اليسرة ، و بَرَّكَ عليها وتوضأ و بصق فيها

وروى ابن سعد فى طبقاته عن عمر بن سلمة أن أبا سلمة بن عبد الأسد لما مات غسل من اليسرة ، بئر بنى أمية بن زيد بالعالية ، وكان ينزل هناك حين

تحوّل من قباء ، غسل بين قرنى البئر ، وكان اسمها فى الجاهلية العسرة ، فسماها رسول الله صلى الله عليه وسلم اليسرة .

قلت : وهذه البئر غير معروفة اليوم بهذا الاسم ، والذى يظهر أنهـا بئر العهن ؛ لما قدمناه فيها .

وقد استقصينا هذا الغرض فبلغ كما ترى نحو عشرين بئرا ، وما اقتضاه كلام بعضهم من انحصار المأثور من ذلك فى سبع مردود ، لـكن الذى اشتهر من ذلك سبع ، ولهذا قال فى الإحياء : ولذلك تقصد الآبار التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ منها و يغتسل و يشرب ، وهى سبعة آبار ، طلباً للشفاء ، وتبركا به صلى الله عليه وسلم ، انتهى .

قال الحافظ العراقى فى تخريج أحاديث الإحياء : وهى أى السبعة المشار إليها : بئر أريس ، و بير حاء ، و بئر رومة ، وبئر غرس ، و بئر بُضَاعة ، و بئر البصة ، و بئر السقيا ، أو بئر العهن ، أو بئر جمل ؛ فجعل السابعة مترددة بين الآبار الثلاث ، ثم ذكر نحو ما قدمناه فى فضائل هذه الآبار إلا العهن فلم يذكر فيها شيئاً ؛ لأن الوارد فيها إنما هو باسمها الآخر ولم يشتهر . ثم قال : والمشهور أن الآبار بالمدينة سبعة .

وقد روى الدارمى من حديث عائشة رضى الله تعالى عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم قال فى مرضه: صُبُّوا علىّ سبع قرب من آبار شتى ، وهو عند البخارى دون قوله « من آبار شتى » انتهى .

قلت : ومع ذلك فلا دلالة فيه على أن تلك الآبار السبعة هى المرادة بذلك ، والمشهور عند أهل المدينة أن السابعة هى العهن ، ولهذا قال أبو اليمن ابن الزين المراغى فيما أنشدنيه عنه أخوه شيخنا العلامة أبو الفرج ناصر الدين المراغى :

إذا رُمْتَ آبارَ النبىِّ بطيبـــة * فعـــدَّتُهَا سَبْعٌ مقالا بلا وَهْنِ
أريسٌ ، وَغَرْسٌ ،رُومَة ، وبُضَاعة * كذا بُصَّةٌ ، قل بير حاء مع العِهْنِ

تتمة

في العين المنسوبة للنبي صلى الله عليه وسلم ، وما يتصل بها من العين الموجودة في زماننا ، وغيرها من العيون .

عين كهف بني حرام

روى ابن شبة عن عبد الملك بن جابر بن عتيك أن النبي صلى الله عليه وسلم توضأ من العين التي عند كهف بني حَرَام ، قال : وسمعت بعضَ مشيختنا يقول : قد دخل النبي صلى الله عليه وسلم ذلك الكهف .

وترجم ابن النجار لذكر عين النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم روى من طريق محمد بن الحسن وهو عن ابن زبالة عن موسى بن إبراهيم بن بشير عن طلحة بن حراش قال : كانوا أيامَ الخندق يخرجون برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويخافون البيَات ، فيُدْخِلونه كهفَ بني حرام ، فيبيت فيه ، حتى إذا أصبح هبط ، قال : وبقَر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم العيينة التي عند الكهف ، فلم تزل تجرى حتى اليوم .

قلت : وهو في كتاب ابن زبالة ، إلا أنه قال فيه : عن طلحة بن حراش عن جابر بن عبد الله ، قال ابن النجار عقبه : وهذه العين في ظاهر المدينة ، وعليها بناء ، وهي في مقابلة المصلى .

قال المطرى عقبه : أما الكهف الذي ذكره فمعروف في غربي جبل سلع ، على يمين السالك إلى مسجد الفتح من الطريق القبلية ، وعلى يسار المتوجه إلى المدينة مستقبل القبلة ، يقابله نخل تعرف بالغنيمية ، أي المعروفة اليوم بالنقيبية في بطن وادي بطحان غربي جبل سلع ، قال : وفي الوادي عين تأتي من عَوَالي المدينة تسقي ما حول المساجد من المزارع وتعرف بعين الخيف خيف شامي ، وتعرف تلك الناحية بالسيح .

قلت : وقد تقدم في مساجد الفتح إيضاح هذا الكهف ، وأن عنده آثار نقْر في الجبل ، وليست عين الخيف التي ذكرها المطرى بجارية في زماننا ، بل هي منقطعة ، ومجراها معلوم .

وبيَّنَ ابنُ النجار بما يأتي عنه في الخندق أنها تأتي من قباء ، وأصلها فيما

يقال معلوم غربى قباء ، وقد شرع فى إجرائها متولّى العمارة الجناب الشمسى ابن الزمن ، فتتبّع قنَاتها إلى أن آل إلى الموضع الذى يقال إنه أصلها ، ثم بالغوا فى تنظيفه فلم يَجْرِ .

قال المطرى : فأما العين التى ذكر ابن النجار أنها مقابلة المصلى فهى عين الأزرق ، وهو مروان بن الحكم ، أجراها بأمر معاوية رضى الله تعالى عنه ، وهو واليه على المدينة ، وأصلها من قباء المعروف من بئر كبيرة غربى مسجد قباء فى حديقة نخل ، و تجرى إلى المصلى ، وعليها فى المصلى قبة كبيرة مقسومة نصفين ، يخرج الماء منها فى وجهين مدرجين قبلى وشمالى ، وتخرج العين من جهة المشرق ، ثم تأخذ إلى جهة الشمال .

قال : وأما عين النبى صلى الله عليه وسلم التى ذكر ابن النجار فليست تعرف اليوم ، وإن كانت كما قال عند الكهف المذكور فقد دثرت ، وعفا أثرها .

قلت : مُرَاد ابن النجار أن أصلها عند الكهف ، وأنها تجرى إلى الموضع الذى عليه البناء فى مقابلة المصلى ، وقد وافَقَ ابن النجار على ذلك ابن جبير فى رحلته ، فقال : وقبل وصولِكَ سورَ المدينة من جهة المغرب بمقدار غَلْوة تلقى الخندق ، و بينه و بين المدينة عن يمين الطريق العين المنسوبة إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، وعليها حلق عظيم ، ومستدير ، ومنبع العين وسط ذلك الحلق كأنه الحوض المستطيل ، وتحته سقايات مستطيلات باستطالة الحلق ، وقد ضرب بين كل سقاية و بين الحوض بجدارين ، وهو يمدُّ السقايتين ، ويهبط إليها على أدراج نحو الخمس والعشرين درجة ، وهما لتطهير الناس واستقائهم وغسل أثوابهم ، والحوض المذكور لايتناول منه لغير الاستسقاء خاصة صونا له ، انتهى.

قال المجد : و يشبه أنه اشتبه عليه عين الأزرق بعين النبى صلى الله عليه وسلم

قلت : إتفاقه هو وابن النجار على ذلك يبعد الاشتباه ، بل يحتمل أن عين النبى صلى الله عليه وسلم كانت تجرى إلى هذا الموضع ، و كذا عين الأزرق ،

ثم انقطعت الأولى و بقيت الثانية التى هى عين الأزرق .

قال المطرى : وقد أخذ الأمير سيف الدين الحسين ابن أبى الهيجاء فى حدود الستين وخمسمائة منها شعبةً من عند مخرجها من القبة ، فساقَهَا إلى باب المدينة من باب المصلى ، ثم أوصلها إلى الرحَبة التى عند مسجد النبى صلى الله عليه وسلم من جهة باب السلام ، أى المقابلة لباب المدرسة الزمنية ، و بها سوق المدينة اليوم .

قال : و بنى لها هنالك مَنْهلا بدرج من تحت الدور ، يستقى منه أهل المدينة ، وجعل لها مصرفا من تحت الأرض يشق وسط المدينة على الموضع المعروف بالبلاط ، أى سوق العطارين اليوم ، وما والاه من منازل الأشراف أمراء المدينة ، يخرج إلى ظاهر المدينة من جهة الشمال شرقى الحصن الذى يسكنه أمير المدينة .

قال : وقد كان جعل منها شعبة صغيرة تدخل إلى صحن المسجد ، وجعل لها منهلا بدرج عليه عقد يخرج الماء إليه من فوّارة يتوضأ منها مَنْ يحتاج إلى الوضوء ، وحصل فى ذلك انتهاكُ حرمةِ المسجد من كشف العورات والاستنجاء فى المسجد ، فسدّت لذلك .

قلت : وقد سبق فى الفصل الحادى والثلاثين من الباب الخامس عن ابن النجار فى ذكر السقايات التى بالمسجد أن الذى عمل هذا المَنْهَلَ بعضُ أمراء الشام واسمه شامة .

ثم ذكر المطرى وَصْفَ مسير العين من القبة التى بالمصلّى إلى جهة الشام فقال : و إذا خرجَت العين من القبة التى فى المصلّى سارت إلى جهة الشمال ، حتى تصل إلى سور المدينة فتدخل تحته إلى منهل آخر بوجهين مدرجين: أى وهو الذى عند رحبة حصن الأمير ، ثم تخرج إلى خارج المدينة فتصل إلى مَنْهل آخر بوجهين مدرجين عند قبر النفس الزكية ، ثم تخرج من هنالك وتجتمع هى وما يتحصّل من مصلها فى قناة واحدة إلى البركة التى ينزلها الحجاج ، يعنى حجاج الشام ، وهى

التى تقدم عنه فى الباب الأول فى أثرب أن الحجاج يسمونها عيون حمزة ، أى لظنهم أنها عين الشهداء ، وأنها تأتى من جهة مشهد سيدنا حمزة ، وليس كذلك، إنما تأتى كما قال من قباء من البئر التى فى الحديقة المعروفة بالجعفرية ، و إذا جاوزت مشهد النفس الزكية وثَنِيَّة الوَدَاع مَرَّتْ من شامى سَلْع على المسجد المعروف بمسجد الراية ، ولها هناك منهل آخر ، ثم تسير فى جهة المغرب فتمر فى غربى الجبلين اللذين فى غربى مساجد الفتح ، وهكذا حتى تصل إلى مغيضها ، وهو الموضع المسمى بالبركة ، وقد زرع عليها هناك نخيل كثيرة هى اليوم بيد أمراء المدينة ، وفقر قناتها ظاهرة فى الأماكن التى أشرنا إليها، ولا مرور لها بالشهداء أصلا فعين الشهداء غير هذه العين ، وهى المراد بما سبق فى سابع فصول الباب الخامس فى ذكر قبور الشهداء بأحُدٍ من قول جابر : صرخ بنا إلى قَتْلَانا يوم أحد حين أجرى معاوية العَيْنَ ، وغيره من الأخبار المذكورة هناك ، وحينئذ فكل من العينين المذكورتين تنسب إلى معاوية :عين الشهداء ، وهى دائرة اليوم ، ويحتمل أنها التى كان مَغِيضُها عند المسجد المعروف بمصرع حمزة رضى الله تعالى عنه المتقدم ذكرها فى المساجد، وأن الأمير وديا كان قد جَدَّدها ثم دثرت، لكن أصْلُها من جهة العالية ، و بعض قطرها ظاهر يشهد بذلك

وقال البدر ابن فرحون فى ترجمة نور الدين الشهيد : إنه أجرى العين التى تحت جبل أحد ، قال : وأظنها عين الشهداء ، فإن العين التى أجْرَاها معاوية رضى الله تعـــالى عنه مستبطنة الوادى وقد دثرت ، ورسومها موجودة إلى اليوم ، انتهى .

والعينُ الموجودةُ اليوم المعروفة بعين الأزرق ، وتسميها العامة العين الزرقاء ، سُميت بذلك لأن مروان الذى أجراها بأمر معاوية كان أزرق العينين فلذلك لقب بالأزرق .

ومن الغرائب العجيبة ما ذكره المنورقى فى جزء ألّفه فى فضائل الطائف عن الفقيه أبى محمد عبد الله بن حمو البخارى عن شيخ الخدام بالحرم النبوى بدر الشهابى أنه بَلَغه أن مِيضأة وقعت فى عين الأزرق بالطائف ، فخرجت فى عين الأزرق بالمدينة .

ويذكر أنه كان بالمدينة وما حَوْلها عيونٌ كثيرة تجددت بعد النبى صلى الله عليه وسلم ، وكان لمعاوية رضى الله تعالى عنه اهتمام بهذا الباب ، ولهذا كثرت فى أيامه الغِلاَلُ بأراضى المدينة ، فقد نقل الواقدى فى كتاب الحَرَّة أنه كان بالمدينة على زمن معاوية صَوَافى كثيرة ، وأن معاوية كان يجدُّ بالمدينة وأعراضها مائة ألف وَسْق وخمسين ألف وَسْق ، ويحصد مائةَ ألفِ وَسْقٍ حنطةٍ .

الفصل الثانى

فى صدقاته صلى الله عليه وسلم ، وما غَرَسَه بيده الشريفة

أصل صدقات الرسول

روى ابن شبة فيما جاء فى أمواله صلى الله عليه وسلم وصَدَقاته عن ابن شهاب قال : كانت صدقات رسول الله صلى الله عليه وسلم أموالا لمُخَيْرِيق اليهودى ، أى بالخاء المعجمة والقاف مصغرا .

قال عبد العزيز — يعنى ابن عمران — بلغنى أنه كان من بقايا بنى قَيْنُقَاع ، ثم رَجَّح حديث ابن شهاب قال : وأوصى مُخَيْرِيق بأمواله للنبى صلى الله عليه وسلم ، وشهد أحدا فقتل به ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مُخَيْرِيق سابق يهود ، وسَلْمان سابق فارس ، وبلال سابق الحبشة .

أسماء صدقات الرسول ومواضعها

قال : وأسماء أموال مخيريق التى صارت للنبى صلى الله عليه وسلم : الدلال ، وبرقة ، والأعواف ، والصافية ، والميثب ، وحُسْنَى ، ومشربة أم إبراهيم .

فأما الصافية وبرقة والدلال والميثب فمجاورات لأعلى الصورين من خلف قصر مروان بن الحكم ، ويسقيها مهزور .

وأما مشربة أم إبراهيم فيسقيها مهزور ، فإذا بلغت بيت مِدْرَاس اليهود فحيث مال أبى عبيدة بن عبد الله بن زَمْعَة الأسدى فمشربة أم إبراهيم إلى جنبه ، وذكر ما قدمناه عنه فى المساجد فى سبب تسميتها بمشربة أم إبراهيم .

ثم قال : وأما حُسْنَى فيسقيها مهزور ، وهى من ناحية القف .

وأما الأعواف فيسقيها مهزور ، وهى من أموال بنى محمم .

ثم قال : قال أبو غسان : وقد اختلف فى الصدقات فقال بعض الناس : هى أموال بنى قُرَيْظة والنضير .

وروى عن جعفر بن محمد عن أبيه قال : كانت الدلال لامرأة من بنى النضير ، وكان لها سلمان الفارسى ، فكاتبته على أن يحييها لها ، ثم هو حر ، فأعلم بذلك النبىَّ صلى الله عليه وسلم ، فخرج إليها فجلس على فقير ، ثم جعل يحمل إليه الْوَدِىّ فيضعُه بيده ، فما عَدَتْ منها ودية أن طلعت . قال : ثم أفاءها الله على رسوله صلى الله عليه وسلم ، قال : والذى يظهر عندنا أنها من أموال بنى النضير ، ومما يدل على ذلك أن مهزورا يسقيها ، ولم يزل يسمع أنه لا يسقى إلا أموال بنى النضير .

قلت : فيه نظر ؛ إذ المعروف ببنى النضير إنما هو مذينب ، ومهزور لبنى قريظة .

ثم قال : وقد سمعنا بعض أهل العلم يقول : إن برقة والميثب للزبير بن باطا ، وهما اللتان غرس سلمان ، وهما مما أفاء الله من أموال بنى قريظة . والأعواف : كانت لخنافة اليهودى من بنى قريظة ، والله أعلم ما هو الحق من ذلك .

وقف الرسول أمواله

ثم قال : قال الواقدى : وقف النبى صلى الله عليه وسلم الأعواف وبرقة وميثب والدلال وحسنى والصافية ومشربة أم إبراهيم سنةَ سبع من الهجرة ، قال : وقال الواقدى عن الضحاك بن عثمان عن الزهرى قال : هذه الحوائط السبعة من أموال بنى النّضير : قال : وقال بسنده لعبد الله بن كعب بن مالك قال : قال مخيريق يوم أحد : إن أصبت فأموالى لمحمد يضعها حيث أراد الله ، فهى عامةُ

صدقاتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : وقال عن أيوب بن أبي أيوب عن عثمان بن وثاب قال : ما هي إلا من أموال بني النّضير ، لقد رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من أُحُدٍ ففرّقَ أموال مخيريق ، اه ما أورده ابن شبة .

وقال المجد : قال الواقدي : كان مُخَيْرِيق أحَدُ بني النضير حَبْراً عالماً ، فآمن بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وجعل ماله وهو سبع حوائط لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذكر الحوائط المتقدمة ، ونقل الذهبي عن الواقدي سوى ذكر الحوائط ، لكن في أوقاف الخصاف : قال الواقدي : مُخَيريق لم يسلم ، ولكنه قاتَلَ وهو يهودي ، فلما مات دفن في ناحية من مقبرة المسلمين ، ولم يصل عليه .

وروى ابن زبالة عن محمد بن كعب أن صدقات رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت أموالا لمخيريق اليهودي ، فلما كان يوم أُحُدٍ قال لليهود : ألا تنصرون محمدا صلى الله عليه وسلم ؟ فوالله إنكم لتعلمون أن نصرته حق ، فالوا : اليوم السبت ، قال : فلا سَبْتَ لكم ، وأخذ سيفه فمضى مع النبي صلى الله عليه وسلم فقاتل حتى أثبتته الجراح ، فلما حَضَرَته الوفاة قال : أموالي إلى محمد يَضَعُها حيث يشاء .

قال محمد بن طلحة راويه : قال عبد الحميد : وكان ذا مال كثير ، فهي عامةَ صدقاتُ النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مخيريق خير اليهود ، قال : وهي الدلال ، وذكر الحوائط المتقدمة ، إلا أنه قال : والعواف بدل الأعواف .

وروى أيضاً عن بكر بن أبي ليلى عن مشيخة الأنصار قالوا : كانت أموال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أموال بني النضير حشاشين ومَزَارع وإبلا ، فغَرَسَها الأمراء بعد ، وعملوها ، وهي سبعة أموال ، وذكر الحوائط المتقدمة .

وعن عثمان بن كعب قال : اختلف الناسُ في صدقات النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال بعضهم : كانت من أموال بني قريظة والنضير ، قال عثمان بن كعب :

وليس فيها من أموال بنى النضير شىء ، إنما صارت أموالُ بنى النضير للمهاجرين نَفلاً ، قال : وكانت برقة والميثب للزبير بن بطا .

وقال بعضهم : كانت الدلال من أموال بنى ثعلبة من يهود ، وكانت مشربة أم إبراهيم من أموال بنى قُرَيْظَة ، وكانت الأعواف لخنافة جد ريحانة ، قال : ويقال : كانت الأعواف من أموال بنى النضير .

وروى أيضاً عن جعفر بن محمد عن أبيه أن سلمان الفارسى كان لناس من بنى النضير ، فكاتَبُوه على أن يغرس لهم كذا وكذا وَدِيّةً حتى تبلغ عشر سَعَفات ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : ضَعْ عند كل فَقير وَدِيةً ، ثم غدا إلى النبى صلى الله عليه وسلم فوضَعه بيده ، ودعا له ، فما عطبت منها وَدِيةٌ ، ثم أفاءها الله على نبيه صلى الله عليه وسلم فهى الميثب صدقة النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة .

قلت : يتحصّل من مجموع ما تقدم أن نَخْلَ سَلْمان الذى غَرَسَه صلى الله عليه وسلم هو الدلال ، وقيل : برقة والميثب ، وقيل : الميثب .

وروى أحمد والطبرانى برجال الصحيح إلا ابن اسحاق وقد صرح بالسماع عن سَلْمان الفارسى حديثَه الطويلَ ، وفيه ما يقتضى أنه بالفقير ، وأنه أثمرَ من عامه ، وأنه ذكر فيه عن سلمان أن يهوديا من بنى قُرَيظة ابتاعه من ابن عم له بوادى القرى ، قال : فاحتملنى إلى المدينة ، ثم ذكر خبر إسلامه ، وقال : ثم قال لى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : كاتِبْ ، فكاتبتُ صاحبى على ثلثمائة نخلة أحييها له بالفَقِير وأربعين أوقية ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أعِينُوا أخاكم ، فأعانونى بالنخل ، يعين الرجل بقدر ما عنده ، حتى اجتمعت لى ثلثمائة وَدِية ، فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذهب يا سلمان فَفَقِّرْ لها ، فإذا فرغت فائتنِى أكُنْ أنا أضَعُهاَ بيدى ، قال : فَفَقَّرْتُ وأعاننى أصحابى ، حتى إذا فرغْتُ جئته فأخبرتُه ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم معى إليها، فجعلنا نقرب إليه الوَدِىَّ ويضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده حتى فرغنا ، فوالذى

نفسُ سَلْمان بيدى ما ماتت منها وَدِيةٌ واحدة ، قال : فأدّيْتُ النخلَ و بقى علىّ المالُ ، وذكر خبره فيه .

وذكر ابن عبد البر فى خبر سلمان أن النبى صلى الله عليه وسلم اشتراه من قوم من اليهود بكذا وكذا درهما ، وعلى أن يغرس لهم كذا وكذا من النخل ، يعمل فيها سلمان حتى يُدْرِك ، فغرس رسولُ الله صلى الله عليه وسلم النخلَ كله إلا نخلة غَرَسها عمر فأطعم النخلُ كله إلا تلك النخلة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مَنْ غَرَسها ؟ قالوا : عمر ، فقلعها رسول الله صلى الله عليه وسلم وغرسها فأطعمت من عامها ، وفى رواية أن تلك الودية التى لم تثمر غرسها سلمان .

قلت : والفقير اسمُ الحديقة بالعالية قُرْبَ بنى قريظة ، وقد خفى ذلك على بعضهم فقال كما نقله ابن سيد الناس : قوله « بالفقير » الوجْهُ إنما هو بالعقير ، انتهى . والصواب أنه اسم لموضع ، وليس هو من صدقات النبى صلى الله عليه وسلم ، فقد ذكر ابن شبة فى كتاب صدقة على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه الذى كان بيد الحسن بن زيد ما لفظه : والفقير لى كما قد علمتم صدقة فى سبيل الله ، لكنه سماه قبل ذلك فى أخبار صدقاته بالفقيرين ، مُثَنًّى ، فقال : وكان لى صدقات بالمدينة الفقيرين بالعالية و بئر الملك بقناة ، فالظاهر أنه يسمى بكل من اسمين ، وأهل المدينة اليوم ينطقون به مفردا بضم الفاء تصغير الفقير ضد الغنى .

وقد ذكره ابن زبالة مفردا فيما رواه عن محمد بن كعب القُرَظىّ قال : كانت بئر غاضر والبرزتان قبضها رسول الله صلى الله عليه وسلم لأضيافه ، وكانت لكعب بن أسد ، وكان الفقير لعمر بن سعد ، وصار لعلى بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه .

قال : وسمعت من يقول : كانت بئر غاضر والبرزتان من طعم أزواج النبى صلى الله عليه وسلم من أموال بنى النضير .

قلت : وبئر غاضر اليوم غير معروفة ، وأما البرزتان فحديقتان بالعالية متجاورتان يقال لإحداهما البرزه وللأخرى البريزة مصغرة ، ووقع فى النسخة التى وقفت عليها من كتاب ابن شبة : قال أبو غسان سمعت من يقول : كانت بئر غاضر والنويرتين من طعمة أزواج النبى صلى الله عليه وسلم ، وهما من أموال بنى قريظة بعالية المدينة ، وقد قيل فى ذلك إن بئر غاضر مما دخلت فى صدقة عثمان فى بئر أريس ، انتهى . وأظن قوله « النويرتين » تصحيفا ، وصوابه البرزتان كما فى كتاب ابن زبالة لما قدمناه .

تحديد مواضع الصدقات والمعروف منها

وأما بيان مواضع صدقات النبى صلى الله عليه وسلم المذكورة فقد تقدم أن الصافية وبرقة والدلال والميثب متجاورات بأعلى الصورين ؛ فالصافية معروفة هناك اليوم ، قال الزين المراغى : هى فى شرقى المدينة الشريفة بجزع زهرة ، ورأيته ضبط بخطه زُهَيْرة بضم الزاى مصغرة زهرة لاشتهاره فى زمنه بذلك ، وإنما هو زهرة مكبر لمـا سيأتى فى ترجمتها ، وبرقة معروفة أيضا فى قبلة المدينة مما يلى المشرق ، ولناحيتها شهرة بها كما قال المراغى .

والدلال : جزع معروف أيضاً قبلى الصافة بقرب المليكى ، وقف فقهاء المدرسة الشهابية كما قاله الزين المراغى أيضا .

والميثب : غير معروف اليوم ، ويؤخذ من وصف هذه الأربعة بكونها متجاورات قربها من الأماكن المذكورة ، ولعله بقرب برقة لما سبق من أنهما اللذان غرسهما سلمان، وكانا لشخص واحد .

والأعواف : جزع معروف بالعالية بقرب المربوع ، كما تقدم بيانه فى بئر الأعواف من الفصل قبله .

ومشربة أم إبراهيم : معروفة بالعالية كما تقدم بيانه فى المساجد .

وحُسْنَى — ضبطها الزين المراغى كما فى خطه بالقلم بضم الحاء وسكون السين المهملتين ثم نون مفتوحة — قال : وروايته كذلك فى ابن زبالة بالسين بعد الحاء ،

قال : ولا يعرف اليوم ، ولعله تصحيف من الحناء بالنون بعد الحاء ، وهو معروف اليوم .

قلت : حملُ ذلك على التصحيف المذكور متعذر ؛ لأنى رأيته بحاء ثم سين ثم نون فى عدة مواضع من كتاب ابن شبة ومن كتاب ابن زبالة وغيرهما ، وإن أراد أن أهل زمانه صَحَّفوه بالحناء فلا يصح أيضاً ؛ لأن الموضع المعروف اليوم بالحناء فى شرقى الماجشونية ، لا يشرب بمهزور ، وقد تقدم أن حُسْنَى يسقيها مهزور ، وأنها بالقف ، وسيأتى فى بيان القف ما يقتضى أنه ليس بجهة الحناء . والذى يظهر أن حُسْنَى هو الموضع المعروف اليوم بالحسينيات بقرب الدلال ، فإنه بجهة القف ، ويشرب بمهزور ، وسيأتى فى القف ما يؤيده .

وهذه الأماكن السبعة هى صدقاته صلى الله عليه وسلم ، ولم أقف على أصل ما قاله رزين العبدرى من أن الموضع المعروف بالبويرة بقباء صدقة النبى صلى الله عليه وسلم من النخل ، قال : ولم تزل معروفة للمساكين ، محبوسة عليهم ، وعلى مَنْ مرّ بها إلى عهد قريب من تاريخ الخمسمائة كالعشرين سنة ونحوها ، فتغلَّبَ عليها بعضُ ولاة المدينة لنفسه ، قال: وبها حصن النضير وحصون قريظة، انتهى.

وهو مردود من وجهين :

أحدهما : أن الأئمة المتقدم ذكرهم مع اعتنائهم بهذا الباب لم يذكروا هذا الموضع فى صدقاته صلى الله عليه وسلم .

والثانى : أن ما ذكره من أن بهذا الموضع حصون قريظة والنضير مردود بما قدمناه فى منازلهما ، والموضع الذى ذكره فى جهة قبلة المسجد إلى جهة المغرب من منازلهما ، وسنبين فى ترجمة البويرة أن هذا الموضع ليس هو البويرة المنسوبة لبنى النضير ، وكأن منشأ ما وقع له تسمية هذا الموضع بالبويرة ، وأن صدقة النبى صلى الله عليه وسلم من أموال النضير أو قريظة ، على ما سبق من الخلاف ، وظن أنه المراد .

طلب فاطمة من أبي بكر صدقات أبيها

وهذه الصدقات مما طلبتْهُ فاطمة رضى الله تعالى عنها من أبى بكر رضى الله تعالى عنه ، وكذلك سهمه صلى الله عليه وسلم بخيبر وفَدَك .

وفى الصحيح عن عُرْوَة بن الزبير أن عائشة أمَّ المؤمنين رضى الله تعالى عنها أخبرته أن فاطمةَ ابنةَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم سألت أبا بكر الصديق بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقسم لها ميراثها مما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم مما أفاء الله عليه، فقال لها أبو بكر رضى الله تعالى عنه : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «لا نورَثُ ، ما تركنا صَدَقَةٌ » فغضبت فاطمة ، فهجرَتْ أبا بكر، فلم تزل مهاجرته حتى توفيت ، وعاشت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة أشهر ، قال : وكانت فاطمة تسأل أبا بكر نصيبَهَا مما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر وفدك وصدقته بالمدينة ، فأبى أبو بكر عليها ذلك . وقال : لَسْتُ تاركا شيئاً كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل به إلا إذا عملت به ، فإنى أخشى إن تركت شيئاً من أمره أن أزيغ ، فأما صدقته بالمدينة فدفَعَها عمرُ إلى على وعباس ، وأما خيبر وفَدَكُ فأمسكهما عمر ، وقال : هما صدقة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانتا لحقوقه التى تَعْرُوه .

ورواه ابن شبة ، ولفظه : أن فاطمة رضى الله تعالى عنها أرسلَتْ إلى أبى بكر تسأله ميراثها من رسول الله صلى الله عليه وسلم مما أفاء الله على رسوله ، وفاطمةُ حينئذ تطلبُ صدقة النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة وفدك وما بقى من خمس خيبر، فقال أبو بكر : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا نورَثُ ، ما تركنا صَدَقة ، إنما يأكل آلُ محمدٍ من هذا المال » و إنى والله لا أغير شيئاً من صدقات رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حالها التى كانت عليها فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولأعملنَّ فيها بما عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة منها شيئا ، فوجدَتْ فاطمة على أبى بكر فى ذلك ، فهجرته فلم تكلمه حتى توفيت ، وعاشت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة أشهر ؛ فلما توفيت دفنها على ليلا ، ولم يؤذن بها أبا بكر ، رضى الله تعالى عنهم .

وفى رواية له أن فاطمة والعباس أتيَا أبا بكر ، وذكره مختصرا كما فى رواية الصحيح أيضاً ، وقال فيه : فهجرته فاطمة فلم تكلمه فى ذلك المال حتى ماتت ، وكذا نقل الترمذى عن بعض مشايخه أن معنى قول فاطمة لأبى بكر وعمر «لا أكلمكما» أى فى هذا الميراث ، ولا يرده قوله « فهجرته » إذ ليس المراد الهجر الحرام ، بل تركها للقائه ، والمدة قصيرة ، وقد اشتغلت فيها بحُزْنها ثم بمرضها ، ويؤيد ذلك ما رواه البيهقى بإسناد صحيح إلى الشعبى مرسَلاً أن أبا بكر عَادَ فاطمة فقال لها على : هذا أبو بكر يستأذن عليك ، قالت : أتحبُّ أن آذن له ؟ قال : نعم ، فأذِنَتْ له ، فدخل عليها فرضّاهاَ حتى رضيت عليه .

أما سبب غضبها مع احتجاج أبى بكر بما سبق فلاعتقادها تأويله ، قال الحافظ ابن حجر : كأنها اعتقَدَتْ تخصيصَ العموم فى قوله «لا نورَثُ» ورأت أن المنافع [لكل] ما خلفه من أرض وعَقَار لا يمنع أن يورث ، وتمسك أبو بكر بالعموم ، فلما صمم على ذلك انقطعت عنه .

قلت : بقى لذلك تتمة ، وهى أنها فهمت من قوله «ما تركنا صدقة» الوقف ورأت أن حق النظر على الوقف وقَبْض نمائه والتصرف فيه يُورَثُ ، ولهذا طالبت بنصيبها من صدقته بالمدينة ، فكانت ترى أن الحق فى الاستيلاء عليها لها وللعباس رضى الله تعالى عنهما ، وكان العباسُ وعلى رضى الله تعالى عنهما يعتقدَانِ ما ذهبت إليه ، وأبو بكر يرى الأمر فى ذلك إنما هو للإمام ، والدليل على ذلك أن عليا والعباس جاءا إلى عمر يطلبان منه ما طلبت فاطمة من أبى بكر ، مع اعترافهما له بأنَّ النبى صلى الله عليه وسلم قال « لا نورَثُ ، ما تركنا صدقة » لما فى الصحيح من قصة دخولهما على عمر يختصمان فيما أفاء الله على رسوله صلى الله عليه وسلم من مال بنى النضير ، وقد دفع إليهما ذلك ليعملا فيه بما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل به وأبو بكر بعده ، وذلك بحضور عثمان وعبد الرحمن بن عوف وسعد والزبير ، قال فى الصحيح : فقال الرَّهْطُ عثمان وأصحابه : ياأمير المؤمنين

اقضِ بينهما وأرِحْ أحدَهما من الآخر ، فقال عمر : على تيدكم ، أنْشُدُكم الله الذى بإذنه تقوم السماء والأرض ، هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا نورث، ماتركنا صدقة » يعنى نفسه ؟ فقال الرهط : قد قال ذلك ، فأقبل عمر على العباس وعَلَى علىّ فقال : أنشدكما بالله هل تعلمان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال ذلك ؟ قالا : قد قال ذلك ، قال عمر : فإنى أحدثكم عن هذا الأمر ، إن الله عز وجلّ قد خصّ رسولَه صلى الله عليه وسلم فى هذا الفىء بشىء لم يعطه أحداً غيره ، ثم قرأ (وما أفاء الله على رسوله) إلى قوله (قدير) فكانت هذه خاصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، والله ما احتازها دونكم ولا استأثرها عليكم ، قد أعطاكموها و بثها فيكم حتى بقى منها هذا المال ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُنْفِقُ على أهله نفقةَ سنتِهم من هذا المال ، ثم يأخذ ما بقى فيجعلُه مجعل مال الله ، فعمل به رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك حياته ، أنشدكم بالله هل تعلمون ذلك ؟ قالوا : نعم ، ثم قال لعلى وعباس : أنشدكما بالله هل تعلمان ذلك ؟ قالا : نعم ، قال عمر : ثم توفى الله نبيه صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر : أنا ولىُّ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فقبضها أبو بكر ، فعمل فيها بما عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والله يعلم إنه فيها لصادق بارّ راشد تابع للحق ، ثم توفى الله أبا بكر فكنت أنا ولىّ أبى بكر فقبضتها سنتين من إمارتى، والله يعلم إنى فيها لَصادق بار راشد تابع للحق،ثم جئتمانى تكلمانّى وكَلِمَتُكما واحدة وأمْرُكما واحد،جئتنى ياعباس تسألنى نصيبك من ابن أخيك وجاءنى هذا — يريد عليا — يسألنى نصيبَ امرأته من أبيها ، فقلت لكما : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا نورث ، ماتركنا صدقة » فلما بدا لى أن أدفعه إليكما قلت : إن شئتما دفعتها إليكما على أن عليكما عَهْدَ الله وميثاقه لتعملانّ فيها بما عمل فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم و بما عمل فيها أبو بكر و بما عملتُ فيها منذ وليتها ، فقلتما: ادفعها إلينا ، فبذلك دفعتها إليكما ، فأنشدكم بالله هل دفعتها إليهما بذلك ؟ قال

الرهط : نعم ، الحديثَ من رواية مالك بن أوس ، وهو صريح فى مطالبتهما مع اعترافهما بحديث « لانُورَثُ » فليس محله إلا ماتقدم من أنهما فهِمَا أن ذلك من قبيل الوقف ، وأن ورثة الواقف أولى بالنظر على الموقوف ، سيما وما قبضاه من أموال بنى النضير هو صَدَقة النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، ولهذا زاد شعيب فى آخر الحديث المذكور : قال ابن شهاب : فحدثت بهذا الحديث عروة ، فقال: صَدَقَ مالك بن أوس ، أناسمعت عائشة رضى الله تعالى عنها تقول ، فذكر حديثها ، قال : وكانت هذه الصدقة بيدعلى منعها العباس فغلبه عليها ، ثم كانت بيد الحسن ، ثم بيد الحسين ، ثم بيد على بن حسين والحسن بن الحسن ، ثم بيد زيد بن الحسن ، وهى صدقة رسول الله صلى الله عليه وسلم حقا .

وروى عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى مثله ، وزاد : قال معمر : ثم كانت بيد عبد الله بن حسن حتى ولى هؤلاء ، يعنى بنى العباس ، فقبضوها ، وزاد إسماعيل القاضى أن إعراض العباس عنها كان فى خلافة عثمان .

وفى سنن أبى داود عن رجل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ، فذكر قصة بنى النضير ، وقال فى آخرها : فكانت نخل بنى النضير لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة ، أعطاها الله إياه ، فقال (ما أفاء الله على رسوله منهم ـ الآية) قال : فأعطى أكثرها للمهاجرين ، وبقى منها صدقة رسول الله صلى الله عليه وسلم التى فى أيدى بنى فاطمة .

وقال ابن شبة : قال أبو غسان : صدقاتُ النبى صلى الله عليه وسلم اليوم بيد الخليفة : يولى عليها ، ويعزل عنها ، ويقسم ثمرها وغلتها فى أهل الحاجة من أهل المدينة على قدر مايرى مَنْ هى فى يده .

قال الحافظ بن حجر ، بعد نقل نحو ذلك عنه : وكان ذلك على رأس المائتين ، ثم تغيرت الأمور ، والله المستعان .

قلت: قال الشافعى فيما نقله البيهقى: وصدقةُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ بأبى هو وأمى ـ قائمة عندنا ، وصدقة الزبير قريب منها ، وصدقة عمر بن

الخطاب قائمة ، وصدقة عثمان ، وصدقة علىّ ، وصدقة فاطمة بنت رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، وصدقة مَنْ لا أحصى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة وأعراضها .

وذكر المجد فى ترجمة فَدَك ما يقتضى أن الذى دَفَعه عمر إلى على والعباس رضى الله تعالى عنهم ووقعت الخصومة فيه هو فدك ، فإنه قال فيها : وهى التى قالت فاطمة رضى الله تعالى عنها : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نَحَلَنِيها ، فقال أبو بكر رضى الله تعالى عنه : أريد بذلك شهودا ، فشهد لها علىّ ، فطلب شاهدا آخر ، فشهدت لها أم يمن ، فقال : قد علمت يابنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لا يجوز إلا شهادة رجل وامرأتين ، وانصرفت ، ثم أدّى اجتهاد عمر[1] لما ولى وفتحت الفتوح ، وكان على يقول : إن النبى صلى الله عليه وسلم جَعَلها فى حياته لفاطمة ، وكان العباس يأبى ذلك ، فكانا يختصمان إلى عمر ، فيأبى أن يحكم بينهما ، ويقول : أنتما أعرف بشأنكما ، فلما ولى عمر بن عبد العزيز الخلافة كتب إلى عامله بالمدينة يأمره برد فَدَك إلى ولد فاطمة ، فكانت فى أيديهم أيامه ، فلما ولى يزيد بن عبد الملك قَبَضَها ، فلم تزل فى بنى أمية حتى ولى أبو العباس السفاح الخلافة ، فدفعها إلى الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب ، فكان هو القيم عليها يفرقها فى ولد على ، فلما ولى المنصور وخرج عليه بنو حسن قَبَضَها عنهم ، فلما ولى ابنه المهدى أعادها عليهم ، ثم قبضها موسى بن الهادى ومَنْ بعده إلى أيام المأمون ، فجاءه رسولُ بنى علىّ فطالب بها ، فأمر أن يُسَجَّل لهم بها ، فكتب السجل وقرئ على المأمون ، فقام دِعْبِلٌ وأنشد :

أَصْبَحَ وَجْهُ الزمان قد ضَحِكَا ... بِرَدِّ مأمونِ هَاشِمٍ فَدَكَا

---

(١) الكلام لايتم إلا بذكر ما أدى إليه اجتهاد عمر رضى الله تعالى عنه ، والمراد مفهوم ، وهو أنه دفعها إليهم .

قلت : ورواية الصحيح السابقة عن عائشة ترد ما ذكره من دفع عمر فدك لعلى وعباس واختصامهما فيها ؛ لقول عائشة رضى الله تعالى عنها : وأما خيبر وفدَك فأمسكهما عمر ، وكذلك ما ذكره من أن عمر بن عبد العزيز رد فَدَك إلى ولد فاطمة موافقٌ لما نقله هو عن ياقوت من أن عمر بن عبد العزيز لما ولى خطب الناس ، وقص قصة فدك وخلوصها لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإنفاقه منها ووَضْع الفضل فى أبناء السبيل ، وأن أبا بكر وعمر وعثمان وعليا رضوان الله عليهم فعلوا كفعله ، فلما ولى معاوية أقْطَعَهَا مروان بن الحكم ، وأن مروان وَهَبَهَا لعبد العزيز وعبد الملك ابْنَيْه ، قال : ثم صارت لى وللوليد وسليمان ، وأنه لما ولى الوليد سألتُه فوهَبَها لى وسألت سليمان حصَّتَه فوهبها لى ، فاستجمعتها ، وأنه ما كان لى مال أحَبُّ إلىّ منها ، وإنى أشْهِدُكم أنى رَدَدْتُها على ما كانت فى أيام النبى صلى الله عليه وسلم والأربعة بعده ، فكان يأخذ مالها هو ومَنْ بعده فيخرجه فى أبناء السبيل .

قلت : وقيل : إن الذى أقطع فدك لمروان عثمانُ رضى الله تعالى عنه ، قال الحافظ ابن حجر : إنما أقطع عثمانُ فدك لمروان ؛ لأنه تأول أن الذى يختص بالنبى صلى الله عليه وسلم يكون للخليفة بعده ، فاستغنى عثمان عنها بأمواله ، فوصل بها بعضَ قرابته .

وأما ما ذكره المجد من أن فاطمة رضى الله تعالى عنها ادَّعَتْ نَحْلَ فدك فروى ابن شبة ما يشهد له عن النمير بن حسان قال : قلت لزيد بن على وأنا أريد أن أهَجِّنَ أمْرَ أبى بكر : إن أبا بكر انتزع من فاطمة رضى الله تعالى عنها فدك فقال: إن أبا بكر رضى الله تعالى عنه كان رجلا رحيما ، وكان يكره أن يغير شيئاً تركَهُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأتته فاطمة رضى الله تعالى عنها فقالت : إن رسول الله أعطانى فدك ، فقال لها : هل لك على هذا بينة ؟ فجاءت بعلى رضى الله تعالى عنه ، فشهد لها ، ثم جاءت بأم أيمن ، فقالت : أليس تشهد أنى من أهل

الجنة ؟ قال : بلى ، قالت : فأشهد أن النبي صلى الله عليه وسلم أعطاها فدك ؛ فقال أبو بكر : فبرجل وامرأة تستحقينها أو تستحقين لها القضية ؟ قال زيد بن علي : وايم الله لو رَجَع لي الأمر لقضيتُ فيها بقضاء أبي بكر رضي الله تعالى عنه .

وروى ابن شبة أيضاً عن كثير النوى قال : قلت لأبي جعفر : جَعَلني الله فداءك ! أرأيت أبا بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما هل ظلما كم من حقكم شيئاً أو ذهبا به ؟ قال : لا والذي أنزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا ماظلمانا من حقنا مثقال حبة من خردل ، قلت : جعلت فداءك ! فأتولاهما ؟ قال : نعم ، ويحك ! تولهما في الدنيا والآخرة ، وما أصابك ففي عنقي ، ثم قال : فَعَلَ الله بالمغيرة وبكيان فإنهما كذبا علينا أهل البيت .

قلت : وبذلك الكذب تعلقت الرَّوافض ، ولم يفهموا الأحاديث المتقدمة على وجهها ، والله أعلم .

الفصل الثالث

فيما يُنْسَبُ إليه صلى الله عليه وسلم من المساجد التي بين مكة والمدينة ، بالطريق التي كان يسلكها صلى الله عليه وسلم ، وهي طريق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

وهي تفارق طريق الناس اليوم من قرب مسجد الغزالة كما سيأتي ، فلا تمر بالخيف ولا بالصفراء ، بل تمر بالحي وثنية هَرْشَى ثم الْجُحْفة كما سيتضح لك ، ويكون طريق الناس اليوم على يمين السالك في هذا الطريق ، فتمر على رابغ أسفل من الجحفة ، ثم تلتقي مع هذه الطريق فوق الجحفة قرب طريق قديد .

وفي الأخبار أن من أدب الزائر إلى المساجد التي بين الحرمين أن يصلي فيها ، وهي عشرون موضعاً .

قلت : وهذا بالنسبة إلى هذه الطريق ، مع أن أبا عبد الله الأسدي قد ذكر

فيها أزيد من ذلك ، وقد أضفنا إليه ما وجدناه فى كلام غيره ، وأوردناها على ترتيبها من المدينة إلى مكة ، زادها الله شرفاً .

مسجد الشجرة (ذى الحليفة)

فمنها مسجد الشَّجَرة ، ويعرف بمسجد ذى الحليفة أيضاً ، والحليفة : الميقات المدنى ، ويعرف اليوم ببئر على .

روينا فى صحيح مسلم عن ابن عمر قال : باتَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بذى الحليفة مبدأه ، وصلى فى مسجدها .

وروى يحيى عنه أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم كان إذا خرج إلى مكة صلى فى مسجد الشجرة .

وروى ابن زبالة عنه أن رسولِ الله صلى الله عليه وسلم كان ينزل بذى الحُلَيْفة حين يعتمر ، وفى حجته حين حج ، تحت سَمُرَة فى موضع المسجد الذي بذى الحليفة .

وعن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه قال : صَلى رسولُ اللهصلى الله عليه وسلم فىمسجد الشجرة إلى الأسطوانة الوُسْطَى ، استقبلها ، وكانت موضع الشجرة التى كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلى إليها .

وعن أنس بن مالك قال : صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة الظهر أربعاً ، والعصرَ بذى الُحليفة ركعتين .

وعن ابن عمر أيضاً أن النبىصلىالله عليهوسلم أناخَ بالبَطْحَاء التى بذى الحليمه وصلى بها .

قلت : المعنىُّ بذلك موضع المسجد المذكور ، فإنه كان موضعَ نزوله صلى الله عليهوسلم ، و بنى فىموضع الشجرة التى كانت هناك ، وبها سمى «مسجدالشجرة» وهى السَّمُرَة التى ذكر فى حديث ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم كانينزل تحتها بذى الحليفة كما فى الصحيح .

وفى صحيح مسلم عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا استَوَتْ به راحلتُه قائمةً عند مسجد ذى الحليفة أهَلَّ فقال : لَبَّيْكَ اللهم لبيك، الحديث .

وفى رواية له : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يركعُ بذى الحليفة ركعتين، ثم إذا استَوَتْ به الناقة قائمة عند مسجد ذى الحليفة أهلَّ بهؤلاء الكلمات .

و يتحصل من صحيح الروايات أنه صلى الله عليه وسلم خرج لحجته نهاراً ، وبات بذى الحليفة ، وأحرم فى اليوم الثانى من عند المسجد ، فيظهر أن صلواته صلى الله عليه وسلم فى تلك المدة كانت كلها به ، ولم أقف على اغتساله صلى الله عليه وسلم لإحرامه بذى الحليفة .

وفى باب « ما يلبس المحرم » من البخارى عن ابن عباس قال : انطَلقَ النبى صلى الله عليه وسلم من المدينة بعدما ترَجَّلَ وادّهن ولبس إزاره ورداءه هو وأصحابه الحديث ، وليس فيه تصريح بالاغتسال ، لكن فى طبقات ابن سعد أنه صلى الله عليه وسلم خرج فى حجة الوداع من المدينة مُغْتسلا متدهناً مترجِّلًا مُتَجَرِّداً فى ثوبين سحاريين إزار ورداء ، وذلك يوم السبت لخمس ليال بقين من ذى القعدة.

وفى كتاب التنبيهات للقاضى عياض : ظاهر المذهب أن المستحب الاغتسال بالمدينة ، ثم يسير من فَوْره ، و بذلك فَسَّره سَحْنون وابن الماجشون ، وهو الذى فعله النبى صلى الله عليه وسلم ، كما استحب أن يلبس حينئذ ثياب إحرامه ، وكذلك فعل عليه الصلاة والسلام ، انتهى .

قلت : ولم يتعرض أصحابُنَا لذلك ، لكن قالوا : إن من اغتسل فى التنعيم فى الإحرام أجزأه عن الغسل لدخول مكة للقرب ، فيؤخذ منه اعتبار القرب ، وهو مُنَافٍ لظاهر ما نقل عنه صلى الله عليه وسلم ، إذ لم يحرم من ذى الحليفة إلا فى اليوم الثانى ، فيحتمل أنه أعاد الغسل حينئذ بذى الحليفة . أما لو كان الإحرام عقب الوضوء إلى ذى الحليفة ونحوه فلا يبعد القول به عندنا ، كما ذكروا

فى الغسل للجمعة من الفجر ، وعدم اشتراطهم لاتصاله بالرّوَاح .

قال المطرى ، وتبعه مَنْ بعده ، بعد بيان إحرامه صلى الله عليه وسلم عندما انبعثت به راحلته من عند المسجد : فينبغى للحاج إذا وصل إلى ذى الحُليفة أن لا يتعدى فى زاوية المسجد المذكور وما حوله من القبلة والمغرب والشام ، بحيث لا يبعد عما حول المسجد ، وإن كثيرا من الحجاج يتجاوزون ما حول المسجد إلى جهة المغرب ، ويصعدون إلى البيداء ، فيتجاوزون الميقات بيقين .

قلت : لم يبين نهاية ذى الحليفة . وقوله « حول المسجد » لا ضابط له ، ولا يلزم من نزوله صلى الله عليه وسلم بالمسجد وما حوله انحصار ذى الحليفة فى ذلك ، وسنشير إلى زيادة فى ذلك فى ترجمة ذى الحليفة ، مع بيان المسافة التى بينها وبين المدينة .

قال المطرى : وهذا المسجد هو المسجد الكبير الذى هناك ، وكان فيه عقود فى قبلته ، ومنارة فى ركنه الغربى الشمالى ، فتهدمت على طول الزمان .

قال المجد : ولم يبق منه إلا بعض الجدران وحجارة متراكمة .

قلت : جدد المقر الزينى زين الدين الاستدار بالمملكة المصرية تغمده الله برحمته هذا الجدار الدائر عليه اليوم ، لما كان بالمدينة معزولا عام أحد وستين وثمانمائة ، وبناه على أساسه القديم ، وموضعُ المنارة فى الركن الغربى باق على حاله ، وجعل له ثلاث درجات من المشرق والمغرب والشام ، فى كل جهة منها درجة مرتفعة ، حفظاً له عن الدواب ، ولم يوجد لمحرابه الأول أثر لانهدامه ، فجعل المحراب فى وسط جدار القبلة ، ولعله كان كذلك ، واتخذ أيضاً الدرج التى للآبار التى هناك ينزل عليها مَنْ يريد الاستقاء .

وطولُ هذا المسجد من القبلة إلى الشام اثنان وخمسون ذراعا ، ومن المشرق إلى المغرب مثل ذلك .

مسجد آخر بذى الحليفة

قال المطرى : وفى قبلته مسجد آخر أصغر منه ، ولا يبعد أن يكون النبى صلى الله عليه وسلم صلى فيه أيضاً ، بينهما مقدار رمية سهم أو أكثر قليلا ، انتهى .

قلت : و يؤخذ مما سيأتى عن الأسدى أنه مسجد المُعَرَّس ، والله أعلم .

مسجد المعرس

ومنها : مسجد المعرس ـ قال أبوعبدالله الأسدى فى كتابه وهومن المتقدمين يؤخذمن كلامه أنه كان فى المائة الثالثة : بذى الحليفة عدة آبار ومسجدان لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فالمسجد الكبير الذى يحْرِم الناس منه ، والآخر مسجد المُعَرَّس ، وهو دون مُصْعَد البيداء ناحية عن هذا المسجد ، وفيه عَرَّس رسولُ الله صلى الله عليه مُنْصَرَفَهُ من مكة .

قلت : ليس هناك غير المسجد المتقدم ذكره فى قبلة مسجد ذى الحليفة على نحو رَمْيةِ سهم سبقى منه ، وهو قديم البناء بالقَصَّة والحجارة المطابقة ؛ فهو المراد .

وفى صحيح البخارى فى باب المساجد التى على طريق المدينة والمواضع التى صلى فيها النبى صلى الله عليه وسلم عن نافع أن عبدَ الله أخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « كان ينزل بذى الحُلَيفة ـ حين يعتمر ، وفى حجته حين حج ـ تحت سَمُرة فى موضعِ المسجدِ الذى بذى الحليفة ، وكان إذا رجع من غزو كان فى تلك الطريق أو حَجٍّ أو عمرة هَبَط بطن وادٍ ، فإذا ظهر من بطن واد أناخ بالبطحاء التى على شَفير الوادى الشرقية فَعَرَّس ثَمَّ حتى يصبح » ليس عند المسجد الذى بحجارة ولا على الأكمة التى عليها المسجد ، وكان ثَمَّ خليج يصلى عبدُ الله عنده فى بطنه كثب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يصلى فَدَحا فيه السيلُ بالبطحاء ، حتى دفن ذلك المكان الذى كانَ عبد الله يصلى فيه .

قال الحافظ ابن حجر : قوله « بطن واد » أى وادى العقيق .

قلت : ورواه ابن زبالة بلفظ « هبط بطن الوادى ، فإذا ظهر من بطن الوادى أناخ بالبطحاء التى على شفير الوادى الشرقية » .

ورواه المطرى من غير عَزْوٍ ، وقال فيه « هبط بطن الوادى وادى العقيق » وأظنه من الرواية بالمعنى ، وهو يقتضى أن يكون المعرَّسُ فى شرقى وادى العقيق فلا يكون بذى الحليفة، فيتعين أن يكون المراد بطن وادٍ فى وادى العقيق؛ إذ المعرس ذو الحليفة .

ففى الحج من صحيح البخارى عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « كان يخرج من طريق الشجرة ، ويدخل من طريق المعرس » وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم « كان إذا خرج إلى مكة يصلى فى مسجد الشجرة ، وإذا رجع صَلَّى بذى الحليفة ببطن الوادى، وبات حتى يصبح » .

وفيه أيضا من طريق عقبة عن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه أُرِىَ وهو فى مُعَرَّسه بذى الحليفة ببطن الوادى قيل له : إنك ببطحاء مباركة ، وقد أناخ بنا سالم يتوخَّى المُنَاخَ الذى كان عبد الله ينيخ يتحرَّى مُعَرَّس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو أسفل من المسجد الذى ببطن الوادى ، بينه وبين الطريق وسطا من ذلك .

قلت : والمسجد المتقدم ذكره ببطن الوادى ، فلعله المراد ، ويكون المعرس بقربه من المشرق .

وروى يحيى عن ابن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم قيل له وهو بالمعرس نائم يعنى معرس الشجرة : إنك ببطحاء مباركة .

قلت : فيتأيد به ما تقدم لإضافته المعرس إلى الشجرة ، ولا يشكل ذلك ببعد هذا المسجد عن الطريق التى تسلك اليومَ إلى المدينة ؛ لما تقدم من رواية ابن عمر فى اختلاف طريق الشجرة وطريق المُعَرَّس .

وروى البزار بسند جيد عن أبى هريرة نحوه ، فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم « كان يخرج من طريق الشجرة ، ويدخل من طريق المعرس » .

وفى صحيح أبى عوانة حديثُ « كان النبى صلى الله عليه وسلم يخرج من طريق الشجرة إلى مكة ، وإذا رَجَع رَجَع من طريق المعرس » .

وروى بعضهم عن نافع أنه انقطع عن ابن عمر حتى سبقه إلى المعرّس ، ثم جاء إليه فقال : ما حَبَسَكَ عنى؟ فأخبره، فقال : إنى ظننت أنك أخذت الطريق الأخرى ، ولو فعلت لأوْجَعْتُكَ ضرباً ، وهذا لحرصه على الاتباع فى النزول هناك ، وقد أميتت هذه السنة .

وروى ابن زبالة عن عبد الأعلى بن عبد الله بن أبى فَرْوَة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « كان إذا خرج إلى مكة يَسْلُك على دار جبر بن على ، ثم على منازل بنى عطاء ، ثم فى بطحان ، ثم فى زقاق البيت ، حتى يخرج عندموضع دار ابن أبى الجنوب بالحرة » .

قلت : وهذه الأماكن غير معروفة بأعيانها ، والله أعلم .

مسجد شرف الروحاء

ومنها : مسجد شرف الرَّوْحَاء — قال البخارى عقب ما تقدم من رواية نافع وأن عبد الله حَدَّثه أن النبى صلى الله عليه وسلم « صَلّى حيثُ المسجد الصغير الذى دون المسجد الذى بشَرَفِ الرَّوْحَاء » . وقد كان عبد الله يعلم المكان الذى فيه صلى النبى صلى الله عليه وسلم ، يقول : ثم عن يمينك حين تقوم فى المسجد تصلى ، وذلك على حافة الطريق اليمنى وأنت ذاهب إلى مكة ، بينه وبين المسجد الأكبر رمية بحجر أو نحو ذلك .

ورواه يحيى بلفظ : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « صلّى إلى جانب المسجد الصغير الذى دون المسجد الذى بشَرَف الرَّوْحَاء » وقد كان عبد الله يعلم المكان الذى صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعواسج ، يكون عن يمينك حين تقوم فى المسجد ، وباقيه كلفظ البخارى .

وروى ابن زبالة عن ابن عمر قال : صلّى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم

بشرف الروحاء على يمين الطريق وأنت ذاهب إلى مكة ، وإلى يسارها وأنت مقبل من مكة .

قلت : وهذا المسجد هو المعني بقول الأسدي : وعلى مِيلَيْن من السيالة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال له مسجد الشرف ، قال : و بين السيالة والرّوحاء أحَدَ عشر ميلا ، و بينها و بين ملل سبعة أميال ، وهي لولد الحسين ابن على بن أبي طالب ولقوم من قريش ، وعلى ميل منها عين تعرف بسويقية لولد عبد الله بن حسن ، كثيرة المـاء عَذْبَة ، وهي ناحية عن الطريق ، قال : والجبل الأحمر الذي يَسْرَةَ الطريق حين يخرج من السيالة يقال له ورقان ، يسكنه قوم من جهينة يقال : إنه متصل إلى مكة لا ينقطع ، وذكر آبارا كثيرة بالسيالة .

وقوله « وعلى ميلين من السيالة » أراد من أولها ، ولهذا قال المطرى : شرف الروحاء هو آخر السيالة وأنت متوجه إلى مكة ، وأول السيالة إذا قطعت شرف ملل ، وكانت الصخيرات صخيرات الثمام عن يمينك ، وقد هبطت من ملل ثم رجعت عن يسارك واستقبلت القبلة ، فهذه السيالة وكانت قد تجدد فيها بعد النبي صلى الله عليه وسلم عيون وسكان ، وكان لها والٍ من جهة والى المدينة ولأهلها أخبار وأشعار ، وبها آثار البناء وأسواق ، وآخرها الشرف المذكور ، والمسجد عنده ، وعنده قبور قديمة كانت مدفن أهل السيالة ، ثم تهبط في وادى الروحاء مستقبل القبلة ، و يعرف اليوم بوادي بنى سالم ، بطن من حرب عرب الحجاز ؛ ثم ذكر ما سيأتى .

قلت : وتلك القبور التى عند المسجد مشهورة بقبور الشهداء ، ولعله لكون بعضهم [دفن] فيها ممن قتل ظلما من الأشراف الذين كانوا بالسيالة و بسويقة ، كما يؤخذ مما سنشير إليه فى ترجمة سويقة .

مسجد عرق الظبية

ومنها : مسجد عِرْقِ الظَّبْيَة ـ قال المطرى عقب قوله « ثم يهبط فى وادى

الروحاء مستقبل القبلة» مالفظه : فتمشى مستقبل القبلة وشعب على يسارك ، إلى أن تدور الطريقُ بك إلى المغرب وأنت مع أصل الجبل الذى على يمينك ، فأولُ ما يلقاك مسجد على يمينك كان فيه قبر كبير فى قبلته فتهدم على طول الزمان ، صَلّى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويعرف ذلك المسكان بعرق الظبية ، ويبقى جبل ورقان على يسارك ، قال : وفى المسجد الآن حجر قد نقش عليه بالخط الكوفى عند عمارته الميل الفلانى من البريد الفُلاَنى ، انتهى.

وقال الأسدى : وعلى تسعة أميال ـ يعنى من السيالة ـ وأنت ذاهب إلى الرَّوْحَاء مسجدٌ للنبى صلى الله عليه وسلم يقال له مسجد الظبية ، فيه كانت مشاورةُ رسول الله صلى الله عليه وسلم لقتال أهل بدر ، وهو دون الروحاء بميلين ، انتهى .

وقال المجد فى ترجمة الشرف : إن فى حديث عائشة رضى الله تعالى عنها « أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الأحد بملل على ليلة من المدينة ، ثم راح فتعشى بشرف السياله ، وصلى الصبح بعرق الظبية » .

وروى ابن زبالة عن عمرو بن عوف المزنى قال : أول غزوة غزاها النبى صلى الله عليه وسلم وأنا معه غزوة الأبْوَاء ، حتى إذا كان بالرَّوْحَاء عند عرق الظبية قال : هل تدرون ما اسمُ هـذا الجبل ؟ يعنى ورقان ، قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : هذا حمت جبل من جبال الجنة ، اللهم بارك لنا فيه ، وبارك لأهله فيه ، تدرون ما اسم هذا الوادى ؟ يعنى وادى الروحاء ، هذا سجاسج ، لقد صلى فى هذا المسجد قبلى سبعون نبيا ، ولقد مَرَّ بها ـ يعنى الروحاء ـ موسى بن عمران فى سبعين ألفا من بنى إسرائيل عليه عباءتان قطوانيتان على ناقة له ورقاء ، ولا تقوم الساعة حتى يمر بها عيسى بن مريم حاجا أو معتمرا ، أو يجمع الله له ذلك .

ورواه الطبرانى ، وفيه كثير بن عبدالله حَسّنَ الترمذى حديثه ، وبقيةُ رجاله

ثقات ، إلا أنه قال فيه عقب قوله « و بارك لأهله فيه » وقال للروحاء هو سجاسج وهذا واد من أودية الجنة ، لقد صلى فى هذا الوادى قبلى سبعون نبيا ، ولقد مر به موسى عليه السلام عليه عباءتان قطوانيتان على ناقة ورقاء فى سبعين ألفا من بنى إسرائيل حاجين البيتَ العتيقَ ، ولا تقوم الساعة حتى يمر بها عيسى بن مريم عبدُ الله ورسوله . ورواه يحيى بنحوه ، إلا أنه قال : لقد صلى قبلى فى هذا الموضع سبعون نبيا ، ورواه الترمذى بلفظ : أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى فى وادى الروحاء ، وقال : لقد صلى فى هذا المسجد سبعون نبيا .

قلت : وآثار هذا المسجد موجودة هناك .

مسجد آخر بالروحاء

ومنها : مسجد بالروحاء، ذكره الأسدى ، وغاير ما بينه و بين ما قبله وما بعده.

وقال الواقدى فى غزوة بدر : ثم سار رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى الروحاء ليلة الأربعاء النصف من شهر رمضان ، فصلى عند بئر الروحاء .

وسيأتى فى ترجمة الروحاء أنه كان بها آبار متعددة ، فلم يبق منها اليوم سوى بئر واحدة ، والله أعلم .

مسجد المنصرف (الغزالة)

ومنها : مسجد المنصرف ، و يعرف اليوم بمسجد الغزالة ، وهو آخر وادى الروحاء مع طرف الجبل ، على يسارك وأنت ذاهب إلى مكة .

قال المطرى : ولم يبق منه اليوم إلا عقد الباب .

قلت : وقد تهدم أيضا ، ولم يبق إلا رسومه .

وقال الأسدى : وعلى ثلاثة أميال من الروحاء ، يعنى وأنت قاصد مكة ، مسجدٌ لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى سَنَد الجبل ، يقال له مسجد المنصرف ، جبل على يسارك تنصرف منه فى الطريق ، انتهى .

وقال البخارى : عقب ما قدمناه فى مسجد الشرف من رواية نافع : وأن ابن عمر كان يصلى إلى العرق الذى عند منصرف الروحاء ، وذلك العرق انتهاء طرفه على حافة الطريق دون المسجد الذى بينه و بين المنصرف وأنت ذاهب

إلى مكة ، وقد ابتنى ثَمَّ مسجد فلم يكن عبد الله يصلى فى ذلك المسجد ، كان يتركه عن يساره ووراءه و يصلى أمامه إلى العرق نفسه .

قلت : توهَّم بعضهم أن المراد عرق الظبية ، وليس كذلك ؛ لتغاير المحلين ، ورأيت بخط بعضهم هنا : العرق جبل صغير .

وروى ابن زبالة عن ابن عمر قال : صلى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بشرف الروحاء ، و بالمنصرف عند العرق من الروحاء .

وفى رواية ليحيى عن ابن عمر أنه كان يصلى إلى العرق الذى عند منصرف الروحاء ، وذلك العرق أثناء طريقه على حافة الطريق ، دون السبيل الذى دون ثنية المنصرف وأنت ذاهب إلى مكة ، قال نافع : كان عبد الله يروح من الروحاء فلا يصلى الظهر حتى يأتى ذلك المكان فيصلى فيه الظهر .

وقال المطرى عقب ما تقدم عنه فى هـذا المسجد : إن عن يمين الطريق إذا كنت بهذا المسجد وأنت مستقبل البادية موضعاً كان عبدُ الله بن عمر ينزل فيه ، و يقول : هذا منزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان ثَمَّ شجرة كان ابن عمر إذا نزل هـذا المنزل وتوضأ صَبَّ فَضْلَ وَضُوئِهِ فى أصل الشجرة ، و يقول : هكذا رأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يفعل ، ووَدَّ أنه كان يدور بالشجرة أيضا ثم يصُبُّ الماء فى أصلها ، اتباعا للسنة ، و إذا كان الإنسان عند هذا المسجد المعروف بمسجد الغزالة كانت طريقُ النبى صلى الله عليه وسلم إلى مكة على يساره مستقبلَ القبلة ، وهى الطريق المعهودة قديما ، ثم السقيا ، ثم ثنية هَرْشَى ، وهى طريق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، قال : وليس بهذا الطريق اليومَ مسجدٌ يعرف غير هذه الثلاثة مساجد ، يعنى سوى مسجد ذى الحليفة .

قلت : سببُه هِجْرَانُ الحَجَّاج لهـذا الطريق ، وأَخْذُهم من طرف الروحاء على البادية إلى مضيق الصفراء ثم إلى بدر ، وذكر لى بعض النـاس ممن سلك

تلك الطريق أن كثيرا من مساجدها موجود ، وسيأتى أنى ظفرت برؤية مسجد طرف قديد الآتى ذكره ، والله أعلم .

مسجد الرويثة

ومنها : مسجد الرويثة ـ قال البخارى عقب ما تقدم عنه من حديث نافع : وأن عبد الله حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينزل تحت سَرْحَة ضَخْمَة دون الرويثة عن يمين الطريق ووُجاه الطريق فى مكان بطح سهل حتى يُفضى من أكَمَة دوين بريد الرويثة بميلين ، وقد انكسر أعلاها ، وانثنى فى جوفها ، وهى قائمة على ساق ، وفى ساقها كثب كثيرة .

وقوله « بريد الرويثة » أى الموضع الذى ينتهى إليه البريد بالرويثة ، ويُنزل فيه ، وقيل : البريد سكة الطريق ، ورواه ابن زبالة بنحوه ، وفى رواية له « صلى دون الرويثة عند موضع السرحة » .

وقال الأسدى : وفى أول الرويثة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : وبين الرَّوْحاَء والرويثة ثلاثة عشر ميلا ، وقال فى موضع آخر : ستة عشر ميلا ونصف ، ووصف ما بالرويثة من الآبار والحِياض ، قال : ويقال للجبل المشرف عليها المقابل لبيوتها « الحمراء » وللذى فى دبرها عن يسارها قبل المشرق « الحسناء » .

مسجد ثنية ركوبة

ومنها : مسجد ثنية ركوبة كما سيأتى من رواية ابن زبالة فى مسجد مدلجة تعهن أنه صلى الله عليه وسلم « صَلَّى فى ثنية ركوبة ، وَبَنَى بها مسجدا » . وسيأتى أن ركوبة ثنية قبل العرج للمتوجه من المدينة على يمين ثنية العابر وثنية العابر هى عقبة العرج ؛ والعرج بعدها بثلاثة أميال كما سيأتى ، ولم يذكر الأسدى هذا المسجد .

مسجد الأثاية

ومنها : مسجد الأثاية ـ بالمثلثة والمثناة التحتية ـ كالنواية على الراجح . روى ابن زبالة عن جابر بن عبدالله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « صَلَّى عند بئر الأثاية ركعتين فى إزار ملتحفا به » .

قال المطرى : الأثاية ليست معروفة .

قلت : عرفها الأسدى فقال ، فى وصف طريق الذاهب لمكة : إن من الرويثة إلى الحى أربعة أميال ، ثم قال : وعقبة العرج على أحد عشر ميلا من الرويثة ، ويقال لها : المدارج ، بينها وبين العرج ثلاثة أميال ، وبها أبيات ، وبئر عند العقبة ، وقبل العرج بميلين قبل أن ينزل الوادى مسجدُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم يعرف بمسجد الأثاية ، وعند المسجد بئر تعرف بالأثاية ، انتهى .

وقال المجد : الأثاية موضع فى طريق الجُحفَة ، بينه وبين المدينة خمسة وعشرون فرسخا ، وفيه بئر ، وعليها المسجد المذكور ، وعندها أبيات وشجرُ أَرَاكٍ ، وهو منتهى حد الحجاز ، انتهى .

وهو موافق لما ذكره الأسدى ؛ فإن منتهى حد الحجاز مدارج العرج ، وهى بقربها

وروى أحمد برجال الصحيح عن عمير بن سلمة الضمرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « مَرَّ بالعَرْج فإذا هو بحمار عَقِير ، فلم يلبث أن جاء رجل بهر ، فقال : يا رسول الله ، هذا رميتى فشأنكم فيها ، فأمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر رضى الله تعالى عنه يقسمه بين الرفاق ، ثم سار حتى أتى عقبة الأثاية فإذا بظبى فيه سَهْم وهو حاقف فى ظل صخرة ، فأمر النبى صلى الله عليه وسلم رجلا من أصحابه فقال : قِفْ هٰهنا حتى يمر الرفاق لا يرميه أحدبشىء » . ومقتضى ما سبق من صنيع الأسدى أن يكون هذا فى رجوعه صلى الله عليه وسلم من مكة ، خلاف ما اقتضاه صنيع الهيتمى حيث ترجم عليه بجواز أكل لحم الصيد للمحرم إذا لم يصده أو يُصَدْ له .

مسجد العرج

ومنها : مسجد العَرْج — روى ابن زبالة عن صخر بن مالك بن إياس عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « صَلَّى فى مسجد العرج ،

وقَالَ فيه » يعني من القَيْلُولة ، وأسقط المطرى هذا المسجد ، وجعله المجد الذى بعده ، وهو مردود ، ولم يتعرض له الأسدى .

مسجد المنبجس

ومنها : مسجد بطرف تَلْعَة من وراء العَرْج، ووقع فى نسخة المجد وخط الزين المراغى « بطريق تلعة » وهو تصحيف لأن الذى فى صحيح البخارى وكتاب ابن زبالة طرف بالفاء .

قال البخارى ، عَقِبَ ما تقدم عنه فى مسجد الرويثة من رواية نافع : وأن عبد الله حدثه أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى فى طَرَفِ تلعة من وراء العرج ، وأنت ذاهب إلى هضبة ، وعند ذلك المسجد قبران أو ثلاثة ، وعلى القبور رضم من حجارة عن يمين الطريق ، عند سَلَمَات الطريق ، بين أولئك السلمات كان عبدُ الله يروح من العَرْج بعد أن تميل الشمسُ بالهاجرة فيصلى الظهر فى ذلك المسجد .

ورواه ابن زبالة إلا أنه قال فيه : من وراء العرج وأنت ذاهب على رأس خمسة أميال من العرج فى مسجد إلى هضبة .

وقال الأسدى : وعلى ثلاثة أميال من العرج قبل المشرق مسجدٌ لرسول الله صلى الله عليه وسلم يقال له مسجد المنبجس قبل الوادى ، والمنبجس : وادى العَرْج ، وعلى ثمانية أميال من العرج حوضان على عين تعرف بالمنبجس ، انتهى . ولعله المسجد المذكور .

مسجد لحى جمل

ومنها : مسجد لحى جمل — قال الأسدى : وعلى ميلٍ من الطلوب مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بموضع يقال له « لحى جمل » قال : والطلوب بئر غليظة الماء بعد العَرْج بأحد عشر ميلا ، والسقيا بعد الطلوب بستة أميال ، قال : وقبل السقيا بنحو ميل وادى العاند ، ويقال له وادى القاحة ، وينسب إلى بنى غفار ، اهـ .

فتلخص أن هذا المسجد قبل السقيا والقاحة وبعد العرج بالمسافة المذكورة .

و يؤيده أن ابن ز بالة روى فى سياق هذه المساجد حديثَ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « احْتَجَمَ بمكان يدعى لحى جمل بطريق مكة وهو محرم » .

وفى رواية له « احتجم بالقاحة وهو صائم محرم » ففيه بيان قرب ذلك من القاحة ، ولكن رأيت يحيى ختم كتابه بحديث ابن عمر فى هذه المساجد و بآخر النسخة ما صورته : نقل من خط أحمد بن محمد بن يونس الإسكاف فى آخر الجزء : قلت : إنه لم يذكر فى هذا الحديث المسجد الذى بين السقياوالأبواء الذى يقال له مسجد لحى جمل ، انتهى .

وهو يقتضى أنه بعد السقيا بينها و بين الأبواء ، و يوافقه قول عياض : قال ابن وضاح : لحى جمل فى عقبة الجحفة . وقال غيره : على سبعة أميال من السقيا .

ورواه بعض رواة البخارى « لحيَيْ جمل » أى بالتثنية ، وفسره فيه بأنه ما يقال له لحيي جمل أى فى حديث « احتجم النبى صلى الله عليه وسلم بلحيي جمل » .

وقال المجد : هى عقبة على سبعة أميال من السقيا .

وفى كتاب مسلم أنه ماء .

مسجد السقيا

ومنها : مسجد السقيا ــ روى ابن ز بالة فى سياق المساجد التى بطريق مكة من حديث عوف بن مسكين بن الوليد البلوى عن أبيه عن جده أن النبى صلى الله عليه وسلم « صَلَّى فى مسجد بالسقيا » .

وقال الأسدى ، بعد ما تقدم عنه فى المسافة بين الطلوب والسقيا : وبالسقيا مسجد لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الجبل ، وعنده عين عذبة ، ثم ذكر أن بالسقيا أز يد من عشر آبار ، وأن عند بعضها بركة . ثم قال : وفيها عين غزيرة الماء ، ومَصَبُّها فى بركة فى المنزل ، وهى تجرى إلى صدقات الحسن بن زيد ، عليها نخل وشجر كثير ، وكانت قد انقَطَعَتْ ثم عادت فى سنة ثلاث وأر بعين ومائتين

ثم انقطعت فى سنة ثلاث وخمسين ومائتين ، قال : وعلى ميل من المنزل موضع فيه نخل وزرع وصدقات للحسن بن زيد فيها من الآبار التى يزرع عليها ثلاثون بئرا ، وفيها ما أحدث فى أيام المتوكل خمسون بئرا ، وماؤهن عذب ، وطول رشائهن قامة و بسطة ، وأقل وأكثر .

ثم وصَفَ ما بعد السقيا فقال : وعلى ثلاثة أميال من السقيا عين يقال لها تعهن انتهى .

وفى حديث أبى قتادة فى الصحيح بركة بتعهن ، وهو مقابل السقيا ، وسيأتى فى ترجمة تعهن ما قيل من أنها قبل السقيا ، مع بيان أن المعروف اليوم أنها بعدها .

مسجد مدلجة تعهن

ومنها : مسجد مدلجة تعهن ــ روى ابن زبالة عن صخر بن مالك بن إياس عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « صلى بمدلجة تعهن ، و بنى بها مسجدا ، وصلى فى ثنية ركوبة ، و بنى بها مسجدا » .

قلت : لم يذكره إلا الأسدى ، وقد سبق عنه أن تعهن بعد السقيا بثلاثة أميال .

مسجد الرمادة

ومنها : مسجد الرمادة ــ قال الأسدى : ودون الأبواء بميليين مسجد للنبى صلى الله عليه وسلم يقال له « مسجد الرَّمَادة » وذكر ما حاصله أن الأبواء بعد السقيا لجهة مكة بأحد وعشرين ميلا ، وأن فى الوسط بينهما عين القشيرى، وهى عين كثيرة الماء ، ويقال للجبل المشرف عليها الأيسر «قدس» وأوله فى العرج ، وآخره وراء هذه العين ، والجبل الذى يقابلها يمنة يقال له « باقل » و يقال للوادى الذى بين هذين الجبلين « وادى الأبواء » انتهى .

مسجد الأبواء

ومنها : مسجد الأبواء ــ قال الأسدى بعد ما تقدم فى وصف ما بين الأبواء والجحفة : إن الجُحْفة بعد الأبواء بثلاثة عشر ميلا ، قال : وفى وسط الأبواء مسجد لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذكر بها آباراً و بركاً ، منها بركة بقرب

القصر ، قال : و إذا جُزْتَ وادِيَ الأبواء بميلين كان على يسارك شعاب تسمى « نلعان اليمن » وذكر أن وَدَّان ناحية عن الطريق بنحو ثمانية أميال ، ينزل به مَنْ لاينزل إلا الأبواء ، فمن أراده رَحَل من السقيا إليه ، و به عيون غزيرة عليها سبعة مشارع و بركة قديمة ، ثم يرحل منه فيخرج عند ثنية هَرْشَى بينهما و بين وَدَّان خمسة أميال ، وقد عمـــل لهذهِ الطريق أعلام وأميال أمر بها المتوكل .

قلت : وكلا الطريقين عن يسار طريق الناس اليوم بأسفل وَدَّان وهى مَعْطَشة لا ماء بها إلا مايُحْمَل من بدر إلى رابغ .

مسجد البيضة

ومنها : مسجد يسمى بالبيضة ــ قال الأسدي : وعلى خمسة أميال وشيء من الأبواء مسجد لرسول الله صلى الله عليه وسلم يقال له البيضة .

مسجد عقبة هرشى

ومنها : مسجد عقبة هَرْشَى ــ قال الأسدى : وعلى ثمانية أميال من الأبواء عقبة هَرْشَى ، وعلم منتصف الطريق ما بين مكة والمدينة دون العقبة بميل ، وفى أصل العقبة مسجد للنبي صلى الله عليه وسلم حد الميل الذى مكتوب عليه سبعة أميال من البريد ، انتهى .

قال البخارى ، عقب ماتقدم عنه فى المسجد الذى بطرف تلعة من رواية نافع: وأن عبد الله حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل عند سَرَحاتٍ عن يسار الطريق فى مسيل دون هَرْشَى ، ذلك المسيل لا صق بكراع هَرْشَى ، بينه و بين الطريق قريب من غَلْوَة ، وكان عبدُ الله بن عمر يصلى إلى سرحة هى أقرب السرحات إلى الطريق ، وهى أطولهن .

مسجد الجحفة

ومنها : مسجدان بالْجُحْفَة ــ قال الأسدى ، فى وصف ما بين الجحفة وقديد، بعد ذكرما بالجحفة من الآبار والبرك والعيون : وفى أول الجحفة مسجدٌ لرسول الله صلى الله عليه وسلم يقال له غورث ، وفى آخرها عند العلمين مسجد لرسول الله صلى الله عليه وسلم يقال له مسجد الأئمة .

مسجد غدير خم

ومنها : مسجد بعد الجحفة ، وأظنه مسجد غدير خُم ـ قال الأسدى ، بعد ما تقدم عنه : وعلى ثلاثة أميال من الجحفة يسرةً عن الطريق حِذَاء العين مسجد لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، و بينهما الغيضة ، وهى غدير خم ، وهى على أربعة أميال من الجحفة ، انتهى .

وقال عياض : غدير خم غدير تصب فيه عين ، و بين الغدير والعين مسجد للنبى صلى الله عليه وسلم ، انتهى .

وأخبرنى مخبر أنه رأى هذا المسجدَ على نحو هذه المسافة من الجحفة ، وقد هدم السيل بعضه .

وفى مسند أحمد عن البَرَاء بن عازب رضى الله تعالى عنه قال : كنا عندالنبى صلى الله عليه وسلم فنزلنا بغدير خم ، فنودى فينا الصَّلاَةَ جامعةً ، وكسح(١) لرسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرة فصلَّى الظهر ، وأخذ بيد على وقال : ألستم تعلمون أنى أوْلى بالمؤمنين من أنفسهم ؟ قالوا : بلى ، قال : فأخذ بيد على وقال : اللهم مَنْ كُنْتُ مولاه فعلىٌّ مَوْلاهُ ، اللهم وَالِ مَنْ والاه وعَادِ مَنْ عاداه ، قال: فلقيه عمرُ بعد ذلك فقال : هنيئا ياابن أبى طالب ، أصْبَحْتَ وأمْسَيْتَ مَوْلىٰ كل مؤمن ومؤمنة ، وعن زيد بن أرقم مثله .

مسجد طرف قديد

ومنها : مسجد ذكر الأسدى أنه قبل قديد بثلاثة أميال ، وذكر أن خيمَتَىْ أمّ معبد الخُزَاعية وموضع مَنَاةَ الطاغية فى الجاهلية على نحو هذه المسافة .

قلت : وقد عَثَرْتُ فى مسيرى إلى مكة على مسجد قديم قرب طرف قديد، وهو مرتفع عن يمين الطريق ، مبنى بالأحجار والقَصَّة ، يظهر أنه هذا المسجد .

مسجد عند حرة خليص

ومنها : مسجد عند حرة عقبة خليص ـ قال الأسدى : من قديد إلى عين

(١) كسح ـ وزان منع ـ أى كنس ، انتهى من هامش الأصل .

ابن بزيع وهى خليص على ثمانية أميال وشىء ، وذكر آبارا كثيرة بقديد ، قال : وعقبة خليص بينها و بين خليص ثلاثة أميال ، وهى عقبة تقطع حَرَّةً تعترض الطريق يقال لها ظاهرة البركة ، والشجر ينبت فى تلك الحرة ، وعند الحرة مسجد لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

مسجد خليص

ومنها : مسجد خليص — قال الأسدى : خليص عين غزيرة كثيرة الماء ، وعليها نخل كثير ، و بركة ، ومشارع ، ومسجد لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

مسجد بطن مر الظهران

ومنها : مسجد بطن مرّ الظَّهران — قال البخارى ، عقب ماتقدم عنه فى مسجد عقبة هرشى من رواية نافع : وأن عبد الله بن عمر حدثه أن النبى صلى الله عليه وسلم « كان يَنْزِلُ فى المَسِيلِ الذى فى أدنى مَرِّ الظَّهْرَان قبل المدينة ، حين يهبط من الصفراوات ، ينزل فى بطن ذلك المسيل عن يسار الطريق وأنت ذاهب إلى مكة ، ليس بين منزل رسول الله صلى الله عليه وسلم و بين الطريق إلا رَمْيَة بحجر » .

قال المطرى ، فى وصف هذا المسجد : إنه بوَادِى مرّ الظهران حين يهبط من الصفراوات عن يسار الطريق وأنت ذاهب إلى مكة ، قال : ومر الظهران هو بطنُ مَرٍّ المعروف ، وليس المسجد بمعروف اليوم ، انتهى .

وقال الزين المراغى : و يقال : إنه المسجد المعروف بمسجد الفتح ، انتهى.

وقال التقى الفاسى : المسجدُ الذى يقال له مسجد الفتح بالقرب من الجموم من وادى مر الظهران ، يقال : إنه من المساجد التى صَلَّى فيها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، ثم ذكر ماقاله المراغى .

ثم قال : وممن عَمَرَ هذا المسجدَ على مابلغنى أى جَدَّدَ عمارته أبوعلى صاحب مكة ، وممن عمره بعد ذلك الشريفُ حياش ، قال : و بيضه فى عصرنا ورفع أبوابه صونا له الشريفُ حسن بن عجلان ، انتهى .

وهذا المسجد ينظره الذاهب من الجموم إلى مكة عن يساره عند المسيل .

وقال الأسدى : بين مكة وبطن مر سبعة عشر ميلا ، و ببطن مر مسجد لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، و بركة للسيل طولها ثلاثون ذراعا ، ور بما ملئت هذه البركة من عين يقال لها العقيق ، قال : و بحضرة هذه البركة بئران .

مسجد سرف

ومنها : مسجد سرف — بفتح السين المهملة ، وكسر الراء — وهـذا المسجد به قَبْرُ ميمونة رضى الله تعالى عنها ، شاهدته وزُرْته ؛ إذ المروىُّ أنها دفنت بسرف ، بالموضع الذى بنى عليها النبى صلى الله عليه وسلم فيه

وفى حديث أنس أنه صلى الله عليه وسلم « كان لا ينزل منزلا إلا وَدَّعه بركعتين » وقال الأسدى ما لفظه : ومسجد سرف على سبعة أميال من مر ، وقبر ميمونة زوج النبى صلى الله عليه وسلم دون سرف ، اه . والمعروفُ ما قدمناه .

قال التقى الفاسى : من القبور التى ينبغى زيارتها قبر أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث الهلالية ، وهو معروف بطريق وادى مر ، قال : ولا أعلم بمكة ولا فيما قرب منها قبر واحد ممن صحب النبى صلى الله عليه وسلم سوى هـذا القبر ؛ لأن الخلف تأثر ذلك عن السلف .

مسجد التنعيم

ومنها : مسجد بالتنعيم — قال الأسدى : والتنعيم وراء قبر ميمونة بثلاثة أميال ، وهو موضع الشجرة ، وفيه مسجد لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفيه آبار ، ومن هذا الموضع يُحْرِم مَنْ أراد أن يعتمر . ثم قال : ميقات أهل مكة بالإحرام مسجد عائشة ، وهو بعد الشجرة بميلين ، وهو دون مكة بأربعة أميال ، و بينه و بين أنصاب الحرم غَلْوة ، اه .

الخلاف فى مسجد عائشة

قلت : و بالتنعيم عِدَّةُ مساجد : اثنان منها اختلف فى المنسوب منهما لعائشة رضى الله تعالى عنها ، ولم يذكر التقى ولا غيره بالتنعيم مسجداً للنبى صلى الله عليه وسلم .

قال التقى فى ذكر مسجد عائشة : وهـذا المسجد اختلف فيه ، فقيل :

هو المسجد الذى يقال له مسجد الهليلجة ، لشجرة هليلجة كانت فيه وسقطت من قريب ، وهو المتعارف عند أهل مكة على ما ذكره سليمان بن خليل ، وفيه حجارة مكتوب فيها ما يؤيد ذلك ، وقيل : هو المسجد الذى بقرب به بئر ، وهو بين هذا المسجد و بين المسجد الذى يقال له « مسجد على » بطريق وادى مر الظهران ، وفى هذا أيضا حجارة مكتوب فيها ما يشهد لذلك ، ورجّح المحبُّ الطبرى أنه المسجد الذى بقرب به البئر ، وهو الذى يقتضيه كلام إسحاق الخزاعى وغيره ، قال : إن بين مسجد الهليلجة وأول الأعلام سبعمائة ذراع وأربعة عشر ذراعا بذراع الحديد ، وذرع ما بينه و بين المسجد الآخر ثمانمائة ذراع واثنان وسبعون ذراعا بالذراع المذكور ، اه .

والأقرب لكلام الأسدى أن مسجد عائشة رضى الله تعالى عنها هو مسجد الهليلجة ؛ لكونه أقرب إلى أعلام الحرم من الثانى ، ولعل المنسوب للنبى صلى الله عليه وسلم هو مسجد علىّ أو المسجد الثانى .

عمرات الرسول

ورأيت عن بعضهم : روى ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم اعتمر أربع عمر : عمرة الحديبية ، وعمرة القضاء ، وعمرة التنعيم ، وعمرة الجِعِرّانة .

قلت : وذكر التنعيم غير معروف ، والمعروف فى الرابعة أنها التى مع حَجّته ، فلعل المراد من نسبتها إلى التنعيم أن النبى صلى الله عليه وسلم دخل مكة فيها من جهته .

مسجد ذى طوى

ومنها : مسجد ذى طوى — قال البخارى ، عقبَ ما تقدم عنه فى مسجد بطن مرّ من رواية نافع : وأن عبد الله حدثه أن النبى صلى الله عليه وسلم « كان ينزلُ بذى طوى ، و يبيت حتى يصبح يصلى الصبح حين يقدم مكة » ومُصَلَّى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك على أَكَمَةٍ غليظةٍ ليس فى المسجد الذى بنى ثم ، ولكن أسفل من ذلك ، على أكمة غليظة ، وأن عبد الله حدثه أن النبى صلى الله عليه وسلم « استقبل فُرْضَتَي الجَبَلِ الذى بينه و بين الجبل الطويل

نحو الكعبة لجعل المسجد الذى بنى ثم يَسَار المسجد بطرف الأكَمَة ، ومصلى النبى صلى الله عليه وسلم أسفل منه على الأكمة السوداء ، تَدَعُ من الأكمة عشرة أذرع أو نحوها ، ثم تستقبل الفرضتين من الجبل الذى بينك و بين الكعبة ، انتهى .

قال المطرى ، وتبعه مَنْ بعده : وادى ذى طوى هو المعروف بمكة بين الثنيتين .

قلت : و يعرف عند أهل مكة اليوم كما قال التقى بما بين الحَجُونين ، وهو موافق لقول الأزرق : بطن ذى طوى ما بين مهبط ثنية المقبرة التى بالمعلى إلى الثنية القصوى التى يقال لها الخضراء تهبط على قبور المهاجرين ، انتهى .

وقال الأسدى ، فى وصف ما بين مسجد عائشة رضى الله تعالى عنها ومكة : فج بعد مسجد عائشة رضى الله تعالى عنها بنحو ميلين ، وعقبة المذنبين بعد فج بميل يسرة عن الطريق ، وطريق ذى طوى إلى المسجد نحوا من نصف ميل ، وقال فى موضع آخر : يستحب الصلاة بمسجد ذى طوى ، وهو بين مسجد ثنية المذنبين المشرفة على مقابر مكة و بين الثنية التى تهبط على الحصحاص ، وذلك المسجد ثنية ز بيدة ، انتهى .

الفصل الرابع

فى بقية المساجد التى بين مكة والمدينة بطريق الحاج فى زماننا ، و بطريق المشبان ، وماقرب من ذلك ، وماحل صلى الله عليه وسلم به من المواضع ، و إن لم يُبْنَ مسجدا .

دبة المستعجلة

فمنها : موضع بدَبَّة المستعجلة — بفتح الدال المهملة و تشديد الموحدة — وهو الكثيب من الرمل .

روى ابن زبالة عن محمد بن فضالة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل بالدَّبَّة دبة المستعجلة من المضيق ، واستقى له من بئر الشعبة الصابَّةِ أسفلَ من الدبة ، فهو لا يفارقها أبدا

قال المطرى : والمستعجلة هى المضيق الذى يصعد إليه الحاج إذا قطع النازية وهو متوجه إلى الصفراء ، يعنى من أعلى فركان خيف بنى سالم .

شعب سير

قال : وذكر ابن إسحاق أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم نزل بشعب سَيَرٍ ـ وهو الشعب الذى بين المستعجلة والصفراء ـ وقسم به غنائم أهل بدر ، ولا يزال فيه الماء غالبا ، انتهى .

قلت :الذى قاله ابن إسحاق كما فى تهذيب ابن هشام : ثم أقبلَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من بدر حتى إذا خرج من مضيق الصفراء نزل على كثيبٍ بين المضيق و بين النازية يقال له سَيَر إلى سرحة ، وقسم هناك النَّفَلَ .

قلت : وهو صريح فى أن سَيَر بعد مَضِيق الصفراء للجائى من بدر ، و بعده النازية ، فإن كانت المستعجلة هى مضيق الصفراء فهو يقتضى أن سير بينها و بين النازية ، فهو مخالف لما ذكره المطرى من أنه بين المستعجلة والصفراء ، فليحمل مضيق الصفراء على غير المضيق الذى هو المستعجلة ، ويكون مضيق الصفراء هنا من ناحية أسفل الخيف ؛ لأن الذى ذكره المطرى فى شعب سير هو المعروف اليوم ، ولأنى رأيت فى أوراق لم أعرف مؤلفها أن شعب سير هو النزلة التى كانت للحاج إذا رجع عن المستعجلة ونزل فى فركان الخيف .

قال : وهناك بركة قديمة ، وهو الشعب بين جبلين يعرف بجبال المضيق علو الصفراء ، بينه و بين المستعجلة نحو نصف فرسخ ، انتهى . والبركة والموضع معروفان كما وصف ، ولعل سَيَر هذا هو المعبر عنه فى رواية ابن زبالة بالدبة ؛ لأنها مجتمع الرمل ، وقد سماه ابن إسحاق كثيبا ، ويؤخذ منه أن الخيف كله أعلاه ، وأسفله هو مضيق الصفراء .

ذكر عدة مساجد

ومنها : مسجد بذات أجدال ، ومسجد بالجيزتين من المضيق ، ومسجد بذفران ، وموضع بذنب ذفران المقبل .

وروى ابن زبالة عن ابن فضالة قال : صلى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم

بمسجد بذات أجدال من مضيق الصفراء ، ومسجد بالجيزتين من المضيق ، ومسجد بذفران المدبر من البناء ، وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذنب ذفران المقبل الذى يَصُبُّ فى الصفراء ، قال : فحفرت بئر هنالك يقال : إنها فى موضع جبهة النبى صلى الله عليه وسلم ، فلها فضل فى العذوبة على ما حواليها .

قلت : مضيق الصفراء تقدمت الإشارة إليه قريبا ، وذفران : وادٍ معروفٌ قبل الصفراء بيسير ، يصب سَيْله فيها ، ويسلكه الحاج المصرى فى رُجُوعه من المدينة إلى ينبع ، فيأخذ ذاتَ اليمينِ ويترك الصفراء يسارا .

قال ابن إسحاق ، فى وَصْف مَسِيره صلى الله عليه وسلم إلى بدر : فلما كان بالمنصرف ـ أى عند مسجد الغزالة ـ ترك طريق مكة بيسارٍ ، وسلك ذات اليمين على النازية يريد بدرا ، فسلك فى ناحية منها حتى جَزَع ـ أى قطع ـ واديا يقال له رحقان بين النازية وبين مضيق الصفراء ثم على المضيق ، ثم انصب حتى إذا كان قريبا من الصفراء ، ثم ذكر أنه بعث من يتجسس له الأخبار .

قال : ثم ارتحل ، فلما استقبل الصفراء ـ وهى قرية بين جبلين ـ سأل عن جبليها : ما أسماؤهما ؟ فقالوا : يقال لأحدهما المسلح ، وقالوا للآخر : هذا مخرى ، وسأل عن أهلهما فقيل : بنو النار وبنو حراق ، بطنان من بنى غفار ، فكرههما صلى الله عليه وسلم والمرور بينهما ، وتفاءل بأسمائهما وأسماء أهلهما ، فترك الصفراء يسارا ، وسلك ذات اليمين على وادٍ يقال له ذفران .

مسجد ذفران

قلت : وبذفران اليوم مسجد يتبرك به على يسار من سلكه إلى ينبع ؛ فأظنه مسجد ذفران ، ورأيت قبل الوصول إلى طرف ذفران الذى يلى الصفراء على يمين السالك فى طريق مكة يريد الصفراء ، رأيت عليها مسجدا مبنيا بالجص مرتفعا عن الطريق يسيرا ، يتبرك الناس بالصلاة فيه ، وليس بقربه مساكن ؛ فالظاهر أنه أحد المساجد المذكورة ، ورأيت أمام محرابه قبرا قديما محكم البناء ، ولعله قبر عبيدة بن الحارث بن المطلب [1] ، فقد ذكر ابن إسحاق وغيره أنه

(١) فى الأصول « بن عبد المطلب » والصحيح ما ذكرناه (عن حسب الله) .

مات بالصفراء من جِراحته التى أصابته فى المبارزة ببدر ، ولم يذكروا محل دفنه ، إلا أن ابن عبد البر قال عقبه : ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل مع أصحابه بالنازيين قال له أصحـــابه : إنا نجد ريح مسك ، فقال : وما يمنعكم وههنا قبر أبى معاوية ؟ يعنى عبيدة بن الحارث ، انتهى . والنازيين غـير معروف اليوم .

وقال المطرى ، عقب ذكر وفاة عبيدة بالصفراء : فدفنه رسول الله صلى الله عليه وسلم بها ، وكان أَسَنَّ بنى عبد مناف يومئذ ، وأظن مستنده فى ذكر الدفن بها موته بها مع قول هند بنت أثاثة فى رثائه على ما نقله ابن إسحاق :

لَقَدْ ضمِّنَ الصَّفْرَاء مجداً وسُودَداً ‏ ‏ ‏ وحِلْماً أصيلاً وَافِرَ اللُّبِّ وَالْعَقْلِ
عُبَيْدَةَ ، فابْكِيهِ لأضْيَافِ غُرْبَةٍ ‏ ‏ ‏ وأرْمَلَةٍ تَهْوِى لأشْعَثَ كالْجِذْلِ [1]

وقال الزين المراغى : إنه مات بالصفراء من جراحته ، فإن قبره بذفران ، هكذا رأيته بخطه ، ولم أقف على مستنده فى ذلك ، والنبىُّ صلى الله عليه وسلم لم يسلك ذفران فى رجوعه من بدر ؛ لأنه رجع على الصفراء ، لـكنه مرّ بطرف ذفران الذى يصب فيها .

مسجد الصفراء

ومنها : مسجد بالصفراء ــ روى ابن زبالة عن طلحة بن أبى حدير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى فى مسجد الصفراء .

قلت : ذكر لى بعضُ الناس أن هذا المسجدَ معروف بالصفراء يتبرك به .

مسجد ثنية مبرك

ومنها : مسجد بثنية مبرك ــ روى ابن زبالة عن الأصبغ بن مسلم وعيسى ابن مَعْن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صَلّى مَطْلعه من ثَنِيَّة مبرك ، فى مسجد هناك بينه وبين دعان ستة أميال أو خمسة .

قلت : ثنية مبرك : معروفة تسلك إلى ينبع فى المغرب من جهة أسفل خيف بنى سالم من ذات اليمين ، وطريق الصفراء ذات اليسار .

---

(١) الجذل ــ بفتح الجيم وسكون الدال ــ كل عضو وكل عظم موفر لا يكسر ، فهو كناية عن الشدة وقوة العصب اهـ .

مسجد بدر

ومنها : مسجد بدر – كان العريشُ الذى بنى لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر عنده ، وهذا المسجد معروف اليوم بقرب بطن الوادى بين النخيل ، والعينُ قريبة منه ، و بقربه فى جهة القبلة مسجد آخر يسميه أهل بدر مسجد النصر ، ولم أقف فيه على شىء .

مسجد العشيرة

ومنها : مسجد العشيرة – معروف ببطن ينبع ، وهو مسجد القرية التى ينزلها الحاج المصرى بينبع ، فى وِرْده وصَدَره .

روى ابن زبالة عن علىّ بن أبى طالب أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى فى مسجد ينبع بعين بولا .

قلت : والعينُ اليومَ جاريةٌ عنده ، لكن لا تعرف بهذا الاسم .

قال المجد : وهذا المسجد اليوم من المساجد المقصودة المشهورة ، والمعابد المشهودة المذكورة ، تحمل إليه النذور ، ويُتَقَرب إلى الله بالزيارة له والحضور ، ولا يخفى على النفس المؤمنة روح ظاهرة على ذلك المكان ، وأنس يشهد له بأنه حضرة سيد الإنس والجان .

مساجد الفرع

ومنها : مساجد ثلاثة بالفُرْع – بضم الفاء – يمر بها من سلك طريقها إلى مكة .

روى ابن زبالة عن أبى بكر بن الحجاج وغيره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل الأَكَمَة من الفُرْع ، فقال فى مسجدها الأعلى ، ونام فيه ، ثم راح فصلى الظهر فى المسجد الأسفل من الأَكَمَة ، ثم استقبل الفُرْع فبرّك فيها ، وكان عبدالله ابن عمر ينزل المسجد الأعلى فيقيل فيه ، فيأتيه بعضُ نساء أسلم بالفراش ، فيقول: لا ، حتى أضَعَ جنبى حيث وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم جنبه ، وأن سالم ابن عبد الله كان يفعل ذلك ، وروى أيضاً عن عبد الله بن مكرم الأسلمى عن مشيخته أن النبى صلى الله عليه وسلم نزل فى موضع المسجد بالبرود من مضيق الفُرْع ، وصلى فيه .

مسجد الضيقة

ومنها : مسجدبالضيقة وكهف أعشار ـ روى ابنز بالة عن أبى بكر بن الحجاج وسليمان بن عاصم عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلّى فى مسجد فى الضيقة مَخْرَجَه من ذات حماط . وذكر الزبير ذات الحماط فى الأودية التى تَصُبُّ فى وادى العقيق فى القبلة مما يلى المغرب قرب البقيع ، ثم روى هذا الحديث . وذكر أيضاً فى هذه الأودية كهف أعشار ، كما سيأتى عنه ، ثم روى عن أبى بكر ابن الحجاج وسليمان بن عاصم عن أبيه أن النبى صلى الله عليه وسلم فى غزوة بنى المُصْطَلِق نزل فى كهف أعشار وصلى فيه .

مسجد مقمل

ومنها : مسجد مقمل ، بوسط النقيع حمى النبى صلى الله عليه وسلم ، على يومين من المدينة فى جهة درب المشبان .

روى ابن زبالة عن محمد بن هيصم المزنى عن أبيه عن جده أن النبى صلى الله عليه وسلم أشرف على مقمل ظرب وسط النقيع ، وصلى عليه ، فمسجده هنالك .

قال أبو هيصم المدنى : وكان أبو البحترى وهب بن وهب فى سلطانه على المدينة بعث إلىّ بثمانين درهما فعمرته بها .

قال أبو على الهجرى : إن مقملا على ظرب صغير ، على غَلْوة من برام، عليه المسجد المذكور ، ووهم المجد فعدّه فى مساجد المدينة .

الفصـــــل الخامس

فى بقية المساجد والمواضع المتعلقة به صلى الله عليه وسلم

مسجد العصر

فمنها : مسجد العصر [(١)]، وعصر سيأتى أنه على مَرْحلة من المدينة .

قال ابن إسحاق : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرج من المدينة إلى خيبر سَلَكَ على عصر ، فبنى له فيها مسجد ، ثم على الصهباء .

---

(١) فى الخلاصة «مسجد بعصرة » .

قال المطرى : مسجد عصر من مشهورى المساجد التى صَلى فيها النبى صلى الله عيله وسلم عند خروجه إلى خيبر .

مسجد الصهباء

ومنها : مسجد بالصهباء ، وهى على روحة من خيبر .

روى مالك عن سويد بن النعمان رضى الله تعالى عنه أنه خرج مع النبى صلى الله عليه وسلم عامَ خَيبر ، حتى إذا كانوا بالصهباء — وهى من أدنى خيبر — نَزَلَ فصلى العصر ، ثم دعا بالأزواد ، فلم يُؤتَ إلا بالسويق ، فأكل وأكلنا ، ثم قام إلى المغرب فمضمض ومضمضنا ، ثم صلى ولم يتوضأ ، قال المطري : والمسجد بها معروف .

قلت : وقد قدمنا قصة رد الشمس هنا عند ذكر مسجد الفضيخ من مساجد المدينة .

مسجدان قرب خيبر

ومنها : مسجدان بقرب خيبر أيضاً — قال الإقشهرى ، ومن خطه نقلت : و بنى له صلى الله عليه وسلم مسجد بالحجارة حين انتهى إلى موضع بقرب خيبر يقال له المنزلة ، عرَّس [بها] ساعة من الليل فصلى فيها نافلة، فعادت راحلته تجرُّ زمامها ، فأدركت لترد فقال : دعوها فإنها مأمورة ، فلما انتهت إلى موضع الصخرة بركت عندها ، فتحوَّلَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى الصخرة ، وتحوَّلَ الناسُ إليها ، وابتنى هنالك مسجداً ، فهو مسجدهم اليوم .

مسجد بين الشق ونطاة

ومنها : مسجد بين الشق والنطاة من خيبر روى ابن زبالة عن حسن بن ثابت بن ظهير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « أتى خيبر ، ودليله رجل من أشجع ، فسلك به صُدُورَ الأودية ، فأدركته الصلاة بالقرقرة ، فلم يصل حتى خرج منها ، فنزل بين أهل الشق وأهل النطاة ، وصلى على عَوْسَجة هناك ، وجعل حولها الحجارة .

مسجد شمران

ومنها : مسجد بشمران — روى ابن زبالة عن إبراهيم بن جعفر عن أبيه

قال : صلى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على رأس جبل بخيبر يقال له شمران ، فثم مسجده من ناحية سهم بنى النذار[1] ، قال المطرى : ويُعْرف هذا الجبل اليوم نشمران .

مساجد تبوك

ومنها : مساجدغزوةتبوك ــ قال ابن رشد ، فى بيانه : بنى النبىُّ صلى الله عليه وسلم بين تبوك والمدينة نحو ستةعشر مسجدا ، أولها بتبوك وآخرها بذى خشب ، وذكر ابن زبالة نحو هذه العدة ، وقال ابن إسحاق : كانت المساجد معلومةً مسماة ، وسَرَدها أربعة عشر مسجدا ، وخالف فى تعيين بعض مواضعها لما ذكره ابن زبالة ، وذكرها الحافظ عبد الغنى وزاد عن الحاكم مسجدا .

وقد اجتمع لنا من مجموع ذلك عشرون مسجدا

فالأول بتَبُوك ، قال ابن زبالة : ويقال له مسجد التوبة ، قال المطرى : وهو من المساجد التى بناها عمر بن عبد العزيز ، قال المجد : دَخَلْته غير مرة ، وهو عقود مبنية بالحجارة .

الثانى : بثنية مدران ــ بفتح الميم وكسر الدال المهملة ــ تلقاء تبوك.

الثالث : بذات الزراب ــ بكسر الزاى ــ على مرحلتين من تَبُوك .

الرابع: بالأخضر ، على أربع مراحل من تبوك.

الخامس : بذات الخطمى ، كذا فى تهذيب ابن هشام ، ومشى عليه المجد ، وفى كتاب المطرى « بذات الخطم » ــ بفتح الخاء المعجمة ثم طاء مهملة ــ على خمس مراحل من تبوك .

السادس: ببَألَى ــ بالموحدة المفتوحة ، ثم همزة ولام مفتوحتين ــ على خمس مراحل أيضاً منها ، قاله المطرى ، وكذا هو فى تهذيب ابن هشام ، وفى نسخة ابن ربالة بنقيع بولا .

السابع : بطرف البتراء ، تأنيث أبتر ، قال ابن إسحاق : من ذنب كواكب وقال أبو عبيدة البكرى : إنما هو كوكب جبل هناك ببلاد بنى الحارث بن كعب

---

(١) فى الخلاصة « البراز » وفى نسخة « النزار » .

الثامن : بشق تارله ـ بالمثناة الفوقية والراء ـ زاد ابن زبالة : من جويرة .

التاسع : بذى الحليفة ، قاله ابن زبالة وغيره أيضاً ، وهو غريب لم يذكره أصحاب البلدان .

العاشر : بذى الخليفة ، لم أر من جمعه مع الذى قبله إلا المجد ، وقال : إنه بكسر الخاء المعجمة ، وقيل بفتحها ، وقيل بجيم مكسورة ، وقيل بحاء مهملة مفتوحة، واقتصر فى أسماء البقاع على كسر الجيم ، والذى فى تهذيب ابن هشام ذكر هذا المسجد بدل الذى قبله ، وعَكَس ابنُ زبالة .

الحادى عشر : بالشوشق ، قاله الحافظ عبد الغنى عن الحاكم ، قال المجد : وكأنه تصحيف .

الثانى عشر : بصدر حوضى ـ بالحاء المهملة ، والضادالمعجمة ، مقصوركما وجد بخط ابن الفرات ، واقتصر عليه المطرى ، وقال المجد ـ مع ذكره لذلك فى أسماء البقاع : إنه بفتح الحاء والمد موضع بين وادى القرى وتبوك ـ قال : وهناك مسجده صلى الله عليه وسلم ، انتهى . وهو مخالف لما ذكره هناك من المغايرة بين مسجد ذى الحليفة و بين مسجد صدر حوضى فى ذنب حوضى ومسجد آخر فى ذى الحليفة من صدر حوضى ، والمغايرة هى التى فى تهذيب ابن هشام ، ولعل صدر حوضى هو المعبر عنه بسمنة فى رواية ابن زبالة ، فإنه كما سيأتى ماء قرب وادى القرى ، وفى نسخة المجد فى حكاية روايته : ومسجد بذنب حويضى بدل قوله بسمنة .

الثالث عشر: بالحجر ، وذكر ابن زبالة بدله العلاء ،وكلاهما بوادى القرى .

الرابع عشر: بالصعيد صعيد قزح .

الخامس عشر: بوادى القرى ، وقال الحافظ عبد الغنى ، فى مسجد الصعيد : وهو اليوم مسجد وادى القرى .

قلت : فهذا والذى قبله بوادى القرى ، وفى رواية ابن زبالة : ومسجدان

بوادى القرى أحدهما فى سوقها والآخر فى قرية بنى عذرة ، فلعل هذا هو الذى بقرية بنى عذرة ، والذى قبله هو الذى بالسوق ، لـكن المجد غاير بين الثلاثة أخذا بظاهر العبارة ، ولأن فى رواية أخرى لابن ز بالة « صَلّى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد الذى بصعيد قزح من الوادى ، وتعلمنا مصلاه بأحجار وعظم ، فهو المسجد الذى يجتمع فيه أهل الوادى » .

السادس عشر : بقرية بنى عذرة ، لم يذكره ابن إسحاق ، وذكره ابن زبالة كما تقدم .

السابع عشر : بالرقعة ، على لفظ رقعة الثوب ، قال أبو عبيد البكرى : أخشى أن يكون بالرقمة ـ بالميم ـ من الشقة شقة بنى عذرة ، وقال ابن ز بالة بدلَه: بالسقيا ، قال المجد فى أسماء البقاع : والسقيا من بلاد عذرة قريبة من وادى القرى

الثامن عشر : بذى المروة ، قال المطرى : وهو على ثمانية بُرُدٍ من المدينة ، كان بها عيون ومزارع و بساتين أثرُهَا باقٍ إلى اليوم .

قلت : وسيأتى فى ترجمتها ما جاء فى نزوله صلى الله عليه وسلم بها .

التاسع عشر : بالفيفاء فيفاء الفحلتين ، قاله المطرى ، كان بها عيون و بساتين لجماعة من أولاد الصحابة وغيرهم .

قلت : وسيأتى فى ترجمة الفحلتين أنهما قنتان تحتهما صخر على يوم من المدينة .

العشرون : بذى خشب على مرحلة من المدينة ، ولفظ رواية ابن ز بالة أن النبى صلى الله عليه وسلم صَلّى تحت الدومة التى فى حائط عبيد الله بن مروان بذى خشب ، فهنالك يجتمعون .

وفى سنن أبى داود أن النبى صلى الله عليه وسلم نَزَل فى موضع المسجد تحت دومة ، فأقام ثلاثا ، ثم خرج إلى تبوك ، و إن جهينة لحقوه بالرحبة ، فقال لهم : من أهلُ ذى المروة ؟ قالوا : بنو رفاعة من جهينة ، فقال : قد قطعتها لبنى رفاعة ، فاقتسموها ، فمنهم من باع ومنهم من أمسك فعمل .

وسنتكلم على هذه الأماكن بأوفى من هذا فى محلها إن شاء الله تعالى .

مسجد الكديد

ومنها : موضع مُصَلَّاه بنخل ، ومسجد على مِيلٍ من الكديد — روى ابن زبالة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل بنخل تحت أثَلَةٍ لرجل من أشجع من بنى نعيم فى مزرعة له فى وسطها نخل ، وصلى تحتها ، فأضَرَّ الناس بتلك المزرعة، فقطع صاحبُ المزرعة تلك الأثلة ، قال : ثم أصعد رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى بطن نخل حتى جاوز الكديد بميل ، فنزل تحت سرْحَة وصَلَّى تحتها ، فموضع مسجده اليوم معروف ، وأنه صلى الله عليه وسلم صلى بالجبل من بلاد أشجع .

قلت : نخل موضع بنجد كما سيأتى فى محله ، والكديد : موضع بقربه ، لا الكديد الذى بين خليص وعسفان ، وذكر الأسدى هذا المسجد فى وصف الطريق بين فيد والمدينة ، فقال بعد ذكر ذى أمر : إن الكديد وادٍ ، والطريق يقطعه ، فلما يفارقه ماء عذب مستنقع ، وفيه مسجد لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبه خيام أعراب من بنى كنانة ، والنخيل قريب منها ، وذكر أن بين النخيل وبئر السائب اثنين وأربعين ميلا ؛ فعبر عن نخل بالنخيل مصغرا ، وذلك هو المعروف اليوم قرب الكديد .

مسجد الشجرة بالحديبية

ومنها : مسجد بالحديبية يقال له مسجد الشجرة — وهو غير معروف ، بل قال المطرى : لم أر فى أرض مكة من يعرف اليوم الحديبية إلا الناحية لا غير ، انتهى . وهو الموضع الذى نزل به النبى صلى الله عليه وسلم فى عُمْرَة الحديبية يريد مكة فعاقه المشركون .

قال ابن شبة ، فيما نقل عن ابن شهاب : الحديبية وادٍ قريبٌ من بلدح ، وقال صاحب المطالع : هى قرية ليست بالكبيرة ، سميت ببئر هناك عند مسجد الشجرة ، وقال التقى الفاسى : يقال إن الحديبية الموضع الذى فيه البئر المعروف ببئر شميس بطريق جدة .

مسجد ذات عرق

ومنها : مسجد دون ذات عرق بميلين ونصف ـ قال الأسدى فى وصف طريق ذات عرق من جهة نجد والعراق : إن بركة أوطاس يسرة عن الطريق بائنة عن المحجة ، و بعدها مسجد يقال إن النبى صلى الله عليه وسلم صلى فيه ، ودون ذات عرق بميلين ونصف مسجدُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو ميقات الإحرام ، وهو أول تهامة ، فإذا صِرْت عند الميل الثامن رأيتَ هناك بيوتاً فى الجبل خراباً يمنة عن الطريق ، يقال : إنها ذات عرق الجاهلية ، وأهل ذات عرق يقولون : الجبلُ كله ذات عرق ، و بعض أهل العلم كان يحب أن يحرم من ذات عرق الجاهلية .

مسجد الجعرانة

ومنها : مسجد بالجِعِرّانة ـ عن محرس الكعبى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج من الجِعِرّانة ليلا مُعْتمراً ، وجاء مكة ليلا ، فقضى عمرته، ثم خرج من ليلته وأصبح فى الجِعِرّانة كبائت ، فلما زالت الشمس من الغد خرج فى بطن شرف حتى جامع الطريق ، فمن أجل ذلك خفيت عمرته على الناس ، رواه أحمد والترمذى وحسّنه .

وذكر الواقدى أن إحرامه صلى الله عليه وسلم من الجِعِرّانة كان ليلة الأربعاء لاثنتى عشرة ليلة بقيت من ذى القعدة ، وأنه أحرم من المسجد الأقصى الذى تحت الوادى بالعُدْوَة القُصْوى ، وكان مُصَلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كان بالجعرانة به ، فأما الأدنى فبناه رجل من قريش ، واتخذ الحائط عنده ، ولم يَجُز رسول الله صلى الله عليه وسلم الوادىَ إلا محرما .

وعن مجاهد أن النبى صلى الله عليه وسلم أحرم من الجعرانة من وراء الوادى حيث الحجارة المنصوبة ، و إنى لا أعرف مَنِ اتخذ هذا المسجد على الأكَمَة ، بناه رجل من قريش ، واشترى مالا عنده ونخلا . وبَيّن فى رواية أخرى أن المسجد الأقصى الذى من وراء الوادى بالعُدْوة القصوى مُصَلى رسول الله صلى

الله عليه وسلم ما كان بالجعرانة ، وأن المسجد الأدنى بناه رجل من قريش ، رواه الأزرقي .

مسجد لية

ومنها : مسجد لية ، و بين وادى لية ووادى الطائف نحو ثمانية أميال .

قال ابن إسحاق : سلك رسول الله صلى الله عليه وسلم حين فرغ من حُنَين متوجها إلى الطائف على نخلة اليمانية ، ثم على قرن وهو مُهَلُّ أهل نجد ، ثم على المليح ، ثم على بحرة الرُّغا من لية ، فابتنى بها مسجداً وصلى فيه .

قال المطرى : وهو معروف اليوم وسط وادى لية ، رأيته وعنده أثر فى حجر يقال به أثر خف ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال ابن إسحاق عن حديث عمرو بن شعيب له: إنه صلى الله عليه وسلم أقاد يومئذ ببحرة الرُّغَا ، وحين نزلها ندم ، وهو أول دم أقيد به فى الإسلام ، رجل من بنى ليث قَتَلَ رجلا من هُذَيل، فقتله به.

مسجد الطائف

ومنها : مسجد بالطائف ــ قال ابن إسحاق بعدما تقدم عنه : ثم سلك صلى الله عليه وسلم فى طريق يقال له الضيقة ، وسأل عن اسمها فقيل: الضيقة ،فقال بل هى اليسرى ، ثم خرج منها على نَخِب ــ وهي عقبة فى الجبل ــ حتى نزل تحت سِدْرَة يقال لها الصادرة ، قريباً من مال رجل من ثقيف ، ثم مضى حتى نزل قريباً من الطائف ، فقتل ناس من أصحابه بالنبل لاقتراب عسكره من حائط الطائف ، فوضع عسكره عند مسجده الذى بالطائف اليوم ، فحاصرهم بِضْعاً وعشرين ليلة ، ومعه امرأتان من نسائه إحداهما أمُّ سَلَمَة ، فضرب لهما قُبَّتَين ، ثم صلى بين القبتين ، فلما أسلمت ثَقِيفٌ بنى على مُصَلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية بن وهب مسجداً ، وكانت فى ذلك المسجد سارية فيما يزعمون لا تَطْلع الشمسُ عليها يوماً من الدهر إلا سُمِع لها نَقِيضٌ ، انتهى .

وذكر الواقدى بناء عمرو بن أمية للمسجد على مُصَلّى رسول الله صلى الله عليه

وسلم ، قال : وكان فيه سارية لا تطلع الشمس عليها يوما من الدهر إلا يسمع لها نقيض أكثر من عشر مرار ، فكانوا يرون أن ذلك تسبيح .

قال المطرى : وهو جامع كبير ، فيه منبر عالٍ عمل فى أيام الناصر أحمد بن المستضىء ، وفى ركنه الأيمن القبلى قبر عبد الله بن عباس بن عبد المطلب فى قبة عالية ، ومسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صَحْن هذا الجامع بين قبتين صغيرتين يقال : إنهما بُنيتا فى موضع قبتى زوجتيه عائشة وأم سلمة رضى الله تعالى عنهما .

قلت : قال التقى الفاسى : إن المسجد الذى يُنْسَبُ للنبى صلى الله عليه وسلم هناك فى مؤخر المسجد الذى فيه قبر عبد الله بن عباس ؛ لأن فى جداره القبلى من خارجه حجراً فيه : أمَرَتْ أمُّ جعفر بنت أبى الفضل أمُّ وُلاَة عهد المسلمين بعمارة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطائف . وفيه أن ذلك سنة اثنتين وسبعين ومائة ، قال : والمسجد الذى فيه قبر ابن عباس أظن أن المستعين العباسى عمره مع ضريح ابن عباس ، انتهى . فإن كان المسجد الذى ذكر الفاسى أنه فى مؤخر الجامع المذكور فى صحنه فلا مخالفة فيه لما ذكره المطرى ، وإلاَّ فيخالفه .

قال المطرى : ورأيت بالطائف شجراتٍ من شجر السِّدْر يذكر أنهن من عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ينقل ذلك خلفُ أهل الطائف عن سلفهم ، فمنهن واحدة دور جذرها خمسة وأربعون شبراً ، وأخرى أزيد على الأربعين ، فأخرى سبعة وثلاثون ، وأخرى يذكر أن النبى صلى الله عليه وسلم مر بها وهو على راحلته فانفرق جذرها نصفين ، وأن ناقته دخلَتْ من بينهما وهو ناعس ، قال : رأيتُها قائمة كذلك سنة ست وتسعين ، وأكلت من ثمرها ، وحملت منه للبركة ، ثم فى سنة تسع وعشرين وسبعمائة رأيتها وقعت ويبست وجذرُها مُلْقَى لا يغيره أحد لحرمته بينهم ، انتهى .

وكأنه بقى منها بقية ؛ فإن التقى الفاسى ذكرها ، وقال : إنها انفرجتْ للنبى صلى الله عليه وسلم نصفين لما اعترضته وهو سائر وَسْنان ليلا فى غزوة الطائف وثقيف على ساقين، على ما ذكر ابن فورك فيما حكى عنه عياض فى الشفاء، و بعضُ هذه السِّدْرة باقٍ إلى الآن ، والناسُ يتبركون به ، انتهى .

وقال المرجانى : ورأيت بوَجٍّ من قُرى الطائف سدرةً محاذية للجبر قريبة أيضاً يذكر أن النبى صلى الله عليه وسلم جلس تحتها حين أتاه عديس بالطبق العنب وأسلم ، وقالوا : سَحَره محمد ، والقصة مشهورة ، قال : ورأيت فى جبل هناك عند آخر الحبرة تحته العين يذكر أنه صلى الله عليه وسلم جلس فيه ، انتهى .

وعن الزبير قال : أقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من بلية — قال الحميدى : مكان بالطائف — حتى إذا كنا فى السدرة وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم عند طرف القرن الأسود عندها ، فاستقبل نخباً — قال الحميدى : مكان بالطائف — ببصره ، ثم وقف حتى اتفق الناس ، ثم قال : إن صيدَ وَجٍّ وعضاهَهُ حِرْمٌ محرم لله عز وجل ، وذلك قبل نزوله الطائف وحصاره ثقيفاً ، كذا فى نسخة العيسوى عن الحميدى ومسند أحمد وسنن أبى داود أيضاً ، وضعفه النووى .

وختم ابنُ زبالة الـكلامَ على المساجد بحديث عائشة رضى الله تعالى عنها مرفوعاً « مَنْ بنى لله مسجداً بنى الله له بيتاً فى الجنة ، ولو مثل مَفْحَصِ القَطَاة » قالت : فقلت : يا رسول الله والمساجدُ التى بين مكة والمدينة ؟ قال : نعم ، ورواه البزار . وفيه كثير بن عبد الرحمن ، ضعفه العقيلى ، وذكره ابن حبان فى الثقات ، ولفظه « مَنْ بنى لله مسجداً بنى الله له بيتاً فى الجنة ، قلت : وهذه المساجد التى فى طريق مكة ؟ قال : وتلك » ، والحديث فى الصحيح عن عثمان بدون هذه الرواية ، ولفظه « مَنْ بنى مسجداً يبتغى به وَجْهَ الله بنى الله له بيتاً فى الجنة » .

قلت : فينبغى الاعتناء بما دمر من المساجد التى بالمدينة وغيرها وعمارتها ، والله الموفق .

الباب السابع

فى أوديتها ، وأحمائها ، وبِقَاعها ، وجبالها ، وأعمالها ، ومضافاتها ، ومشهور ما فى ذلك من المياه والأودية ، وضَبْط أسماء الأماكن المتعلقة بذلك ، وفيه ثمانية فصول

الفصـــل الأول

فى فضل وادى العقيق ، وعَرْصَته ، وحُدُوده

ماورد من الأحاديث فى فضل وادى العقيق

روينا فى الصحيح عن ابن عمر قال : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بوادى العقيق : « أتانى الليلةَ آتٍ فقال : صَلِّ فى هذا الوادى المبارك ، وقل عمرة فى حجة » .

وتقدم فى مسجد المَعرس فى رواية له « أُرِىَ وهو فى مُعَرَّسه بذى الُحلَيفة ببطن الوادى قيل له : إنك ببطحاء مباركة » .

وروى ابن شبة عن عمر رضى الله تعالى عنه مرفوعا « العقيقُ وادٍ مبارك» .

وعن هشام بن عروة قال: اضطجع النبىُّ صلى الله عليه وسلم بالعقيق ، فقيل له: إنك فى وادٍ مبارك .

وروى ابن زبالة عن عامر بن سعد بن أبى وقَّاص أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم « نامَ بالعقيق ، فقام رجل من أصحابه يُوقِظه ، فحال بينه و بينه رجل من أصحابه آخر ، وقال : لا تُوقِظْه فإن الصلاة لم تفته ، فتدارآ حتى أصاب بعضُ أحدِهما رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فأيقظه، فقال : مالكما ؟ فأخبراه . فقال : لقد أيقظتمانى

و إنى لأرانى بالوادى المبارك » وعن زكريا بن إبراهيم بن مطيع قال : باتَ رجلانِ بالعقيق ، ثم أتيَا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أين بتما ؟ فقالا : بالعقيق ، فقال : لقد بِتُّمَا بواد مبارك .

وتقدم أن عمر رضى الله تعالى عنه قال : احْصِبُوا هذا المسجد ـ يعنى مسجد المدينة ـ من هذا الوادى المبارك ، ورواه صاحب الفردوس مرفوعا .

وقال أبو غسان : أخبرنى غيرُ واحدٍ من ثقات أهل المدينة أن عمر رضى الله تعالى عنه كان إذا انتهى إليه أن وادىَ العقيق قد سَالَ قال : اذهبوا بنا إلى هذا الوادى المبارك ، و إلى الماء الذى لو جاءنا جاء من حيث جاء لتمسَّحْنَا به .

وروى ابن زبالة عن عامر بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم «رَكِبَ إلى العقيق ، ثم رجع فقال : يا عائشة جِئْنَا من هذا العقيق ، فما ألْيَنَ موطئه ، وأعْذَبَ ماءه ، قالت : فقلت : يا رسول الله أفلا ننتقل إليه ؟ قال : وكيف وقد ابتنى الناسُ ؟» .

وعن خالد العدوانى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال فى عرصة العقيق « نعم المنزل العرصة لولا كثرة الهوام » .

وعن محمد بن إبراهيم التيمى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « خَرَجَ فى بعض مَغَازِيه ، فأخذ على الشارعة حتى إذا كان بالعَرْصَة قال : هى المنزل لولا كثرة الهوام » .

وروى السيد أبو العباس العراقى فى ذيله على ابن النجار عن أنس رضى الله تعالى عنه قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى وادى العقيق ، فقال : يا أنس خذ هذه المِطْهَرَةَ املأها من هـذا الوادى فإنه يحبنا ونحبه ، فأخذتها فملأتها ، الحديثَ .

وروى ابن شبة عن سلمة بن الأكْوَع قال : كنت أصِيدُ الوَحْشَ وأهدى لحومها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فَفَقَدَنِى فقال: يا سلمة أين كنت تصيد

الوحش ؟ فقلت : يارسول الله تباعَدَ الصيدُ فأنا أصيد بصدور قناة نحو ثيب ، فقال : لو كنت تصيد بالعقيق لَشَيَّعْتُكَ إذا خرجت وتلقيتُكَ إذا جئت ، إنى أحب العقيق ، ورواه الطبرانى بنحوه ، قال الهيتمى : و إسناده حسن

وروى ابن ز بالة عن جابر قال : كان سلمة يَصِيدُ الظباء فيهدى لحومها لرسول الله صلى الله عليه وسلم جَفِيفاً وطَرِيًّا ، فافتقده رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا سلمة مالك لا تأتى بما كنت تأتى به ؟ فقال : يارسول الله تباعَدَ علينا الصيدُ فإنما نصيد بثيب وصدور قناة ، فقال:أما إنك لو كنتَ تصيدُ بالعقيق لشيعتُكَ إذا ذهبتَ وتلقيتُكَ إذا جئت ، فإنى أحب العقيق .

قلت : ومحمله إن صح على ما قَبْلَ تحريم المدينة ، أو أن المراد من الصيد بالعقيق طرفه الخارج عن الحرم ، جمعا بين الأدلة .

حد العقيق

ونقل ابن ز بالة والزبير بن بكار عن هشام بن عروة أنه كان يقول : العقيق ما بين قصر المَرَاجل فهلم صُعُداً إلى النقيع ، وما أسفل من ذلك ــ أى من قصر المراجل ــ فمن زغابة .

وعن المنذر بن عبد الله الحرانى أنه سمع من أهل العلم أن الجرف ما بين محجة الشام إلى القصاصين ، أى أصحاب القصة ، وأن وطيف الحمار ما بين سقاية سليمان إلى الزغابة ، وأن العرصة ما بين محجة بين إلى محجة الشام ، وأن العقيق من محجة بين فاذهب به صعدا إلى النقيع .

قلت : محجة بين تباين آخر الجروف ، أى طريقها ، وأظنها طريق درب العصرة ، ومن سلكها مغربا كانت الجماوات عن يساره .

قال : وحدثنى آخرون أن العقيق من العرصة أبداً إلى النقيع .

قال الزبير : ولم أزل أسمع أهلَ العلم والسنن يقولون : إن العقيق الكبير مما يلى الحرة ما بين أرض عروة بن الزبير إلى قصر المراجل ، ومما يلى الجماء مابين قصور عبد العزيز بن عبد الله العثمانى إلى قصر المراجل ، ثم اذهب بالعقيق صعدا

إلى منتهى النقيع ، ويقولون لما أسفل من المراجل إلى منتهى العرصة العقيق الصغير ، فأعلى أودية العقيق النقيع .

وقالت الخنساء بنت عمرو بن الحارث بن الشَّريد السُّلَمية تبكى أخاها صخر ابن عمرو وقد مات بالنقيع من جراحة فدفن فيه على رأس برام :

أفيقِى من دُمُوعِكِ واستفيقى ... وصَبْراً إن أطَقْتِ،ولنْ تُطِيقى

وقولِى : إنَّ خير بنى سليم ... وغـــيرهم ببطحاء العقيق

وروى بنقعاء العقيق .

ونقل أبو على الهجرى أن النقيع يبتدئ أوله من برام ، والعقيق يبتدئ أوله من حضير إلى آخر منتهاه من العقيق الصغير ، ثم يصب فى زغابة .

ونقل أيضا أن حضيرا آخرُ النقيع وأول العقيق، وآخر العقيق زغابة، قال: وزغابة مجتمع السيول غربى قبر حمزة رضى الله تعالى عنه ، وهو أعلى وادى إضم .

قلت : فهى منتهى العقيق والعرصة ، ومبتدؤه حضير ، وهى مزارع معروفة بقرب النقيع على أزيد من يوم عن المدينة .

وقال عياض : النقيع صدر العقيق ، والعقيقُ وادٍ عليه أموال أهل المدينة ، قيل : على ميلين منها ، وقيل : على ثلاثة ، وقيل : ستة أو سبعة ، وهما عقيقانِ ، أدناهما عقيق المدينة ، وهو أصغر وأكبر ، فالأصغر فيه بئر رومة ، والأكبر فيه بئر عُرْوَة . والعقيق الآخر على مقربة منه ، وهو من بلاد مُزَينة ، وهو الذى أقطعه النبى صلى الله عليه وسلم بلالَ بن الحارث ، وأقطعه عمر الناسَ ، فعلى هذا تحمل المسافات لا على الخلاف . والعقيق الذى جاء فيه « إنك بوادٍ مبارك » هو الذى ببطن وادى ذى الحليفة ، وهو الأقرب منهما — أى من العقيقين — المنقسم أحدهما إلى الكبير والصغير فلا ينافى كون ما يلى الحرة من العقيق أقرب . على أنه سيأتى مايقتضى أن النبى صلى الله عليه وسلم أقْطَعَ بلالَ بن الحارث كلَّ العقيق بعيدَه وقريبه ، وأن الذى أقطعه عمر الناس هو الأدنى من المدينة ،

وهو المنقسم إلى كبير وصغير ، وكلام الزبير وغيره صريح في ذلك ، والصواب أن مَهْبِطَ الثَّنِية المعروفة بالمدرج أول شاطىء وادي العقيق ،على ميلين من المدينة أيام عمارتها ، كما اقتضاه اختباري لمساحة ما بين المسجد النبوي ومسجد ذي الحليفة ، و به صرح الأسدي من المتقدمين ، فقال : إن العقيق علي ميلين من المدينة ، الميل الأول خلف أبيات المدينة ، والثاني حين ينحدر من العقبة في آخره يعني المدرج ، وكأنّ مَنْ عَـبَّر بالثلاثة اعتبر المسافة من المسجد النبوي إلى أول بطن الوادي بعد القصر المعروف بحصن أبي هشام ، ومن عبر بالستة اعتبرها إلى طرفه الأبعد وهو الذي به ذو الحليفة ، فأدخل بطن الوادي في المسافة ، أو هو مفرع علي القول بأن الميل ألفا ذراع ،والراجح الموافق لاختبارنا أنه ثلاثة آلاف وخمسمائة ذراع

وقال المطري : وادي العقيق أصل مسيله من النقيع قبلي المدينة الشريفة علي طريق المشبان ، و بينه و بين قباء يوم ونصف ، و يصل إلى بئر عليّ العليا المعروفة بالخليقة ـ بالقاف والخاء المعجمة ـ ثم يأتي علي غربي جبل عَيْر ، ويصل إلى بئر علي بذي الحليفة المحرم ، ثم يأتي مشرقا إلى قريب الحمراء التي يطلع منها إلى المدينة ، ثم يعرج يسارا ، ومن بئر المحرم يسمى العقيق ، فينتهي إلى غربي بئر رومة ، انتهى .

وقوله : « ومن بئر المحرم يسمى العقيق » أي في زمنه كزماننا ، وهو العقيق الأدنى في كلام عياض .

وقال عقب قوله « والعقيق الذي جاء فيه إنك بواد مبارك هو الذي ببطن وادي ذي الحليفة وهو الأقرب منهما» ما لفظه : وهو الذي جاء فيه أنه مُهَلُّ أهل العراق من ذات عرق ، اهـ . وهو خطأ ، إلا أن يحمل علي ما ذكره بعضهم من أن عقيق ذات عرق يتصل واديه بعقيق المدينة ، والمعروف قديما امتداده إلى النقيع كما سبق ، قال الزبير : سألت سليمان بن عياش السعدي : لم سُمِّيَ العقيقُ عقيقا ؟ قال : لأن سيله عق في الحرة ، وكان سليمان من أفْقَه مَنْ رأيتُ في كلام العرب .

وقوله « عق » أى شقّ وقطع فى الحرة ، ولما شَخَصَ تُبّعٌ عن منزله بقناة ومر بالعرصة وكانت تسمى السليل قال : هذه عرصة الأرض ، فسميت العرصة ، ومر بالعقيق فقال : هذا عقيق الأرض ، فسمى العقيق ، وقيل : سمى بذلك لحرة موضعه .

الفصل الثامن

فى أقطاعه ، وابتناء القُصُور به ، وطريف أخبارها

رسول الله يقطع بلالا العقيق

روى ابن زبالة أن النبى صلى الله عليه وسلم أقْطَعَ بلال بن الحارث العقيقَ كلَّه ، فلما ولى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يُقْطِعْكَهُ لتحجره ، وأقطعه عمرُ الناسَ .

وقال ابن شبة : حدثنا محمد بن يحيى قال : حدثنا مَنْ نثق به من آل حزم وغيرهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقْطَعَ بلالَ بن الحارث المزنى العقيقَ ، وكتب له فيه كتابا نسخته : بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أعطى محمد رسولُ الله بلالَ بن الحارث ، أعطاه من العقيق ما أصلح فيه معتملا . وكتب معاوية ، قال : فلم يعمل بلال فى العقيق شيئاً، فقال له عمر فى ولايته : إن قويتَ على ما أعطاك رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من معتمل العقيق فاعتمله ، فما اعتملت فهو لك كما أعطاكه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن لم تعتمله أقطعتُه بين الناس ولم تحجره عليهم ، فقال بلال : تأخذ منى ما أعطانى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اشترط عليك فيه شَرْطا ، فأقطعه عمر رضى الله تعالى عنه بين الناس ، ولم يعمل فيه بلال شيئاً ؛ فلذلك أخذه عمر رضى الله تعالى عنه ، ورواه الزبير بن بكار ، وأسند نسخة القطيعة المذكورة عن هشام بن عروة .

وروى عن محمد بن سلمة المخزومى قال : أقْطَعَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لبلال بن الحارث المزنى معادنَ القبلية والعقيق ، فبلغنا أنه باع رومة من عثمان بن

عفان ، وانتزع منه عمر بقية العقيق وأقطعه للناس ، وقال : إنما أعطاك رسولُ الله صلى الله عليه وسلم تعمر ولم يعطك تحجر .

وعن هشام بن عروة وغيره أن النبي صلى الله عليه وسلم أَقْطَعَ ابلال بن الحارث العقيقَ ، فلم يزل على ذلك حتى ولى عمر فَدَعَا بلالاً فقال : قد علمتَ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يمنع شيئاً سُئِله ، و إنك سألتَه أن يعطيك العقيقَ فأعطاكه ، فالناسُ يومئذٍ قليل لا حاجة لهم ، وقد كثر أهل الإسـلام واحتاجوا إليه ، فانظر ما ظَنَنْتَ أنك تَقْوَى عليه فأمسكه وارْدُدْ إلينا ما بقى نُقْطِعه ، فأبى بلال ، فترك عمر بيد بلال بعضَه وأقطع ما بقى للناس .

وذكر فى روايةٍ مع العقيق « معادن القبلية وحيث يصلح الزرع من قدس » وهى فى سنن أبى داود بدون ذكر العقيق .

وروى ابن شبة عن عبد الله بن أبى بكر أن عمر لما ولى قال : يابلال ، إنك استقطعت رسول الله صلى الله عليه وسلم أرضا طويلة عريضة ، فأقطعها لك ، وإن رسول الله صلى الله عليه وسـلم لم يكن يمنع شيئاً سُئِله ، و إنك لا تُطِيقُ ما فى يدك ، فقال : أجَلْ ، فقال : فانظر ما قَوِيتَ عليه منها فأمسكه ، ومالم تطق فادفعه إلينا نقسمه ، فأبى ، فقال عمر : والله لنفْعَلَنَّ ، فأخذ منه ماعجز عن عمارته فقسمه بين المسلمين .

خبر قصر عُرْوَةَ ، و بئره

عن عروة بن الزبير قال : لمـا أخذ عمرُ بن الخطاب من بلال بن الحارث ما أخذ من العقيق وقَفَ فى موضع بئر عُرْوَة بن الزبير التى عليها سِقَايته ، وقال : أين المستقطعون ؟ فنعم موضـع الحفيرة ، فاستقطعه ذلك خَوَّاتُ بن جُبَـير الأنصارى ، ففعل ، قال مصعب بن عثمان : فقرأت كتاب قطيعته أرض عروة بن الزبير بالعقيق فى كتب عروة ما بين حرة الوبرة إلى ضفيرة المغيرة بن الأخنس .

وعن هشام بن عروة عن أبيه قال : لما أقطع عمرُ العقيقَ فدنا من موضع قصر عروة وقال : أين المستقطعون منذ اليوم ؟ فوالله مامررت بقطيعة شِبْهِ هذه القطيعة ، فسألها خوّات ، فأقطعها له ، وكان يقال لموضعها « خيف حرة الوبرة » فلما كانت سنة أحد وأربعين أقطع مروان بن الحكم عبد الله بن عياش بن علقمة ما بين الميل الرابع من المدينة إلى ضفيرة أرض المغيرة بن الأخنس بالعقيق إلى الجبل الأحمر الذى يطلعك على قباء ، قال هشام : فاشترى عروة موضع قصره وأرضه وبئاره من عبد الله بن عياش ، وابتنى واحتفر وحجر وضفر ، وقيل له : إنك لست بموضع مُدِر ، فقال : يأتى الله به من النقيع ، فجاء سيل فدخل فى مَزَارعه فكساها من خليج كان خَلَجه ، وكان بناه جنابذ ـ أى جمع جنبذ بضم الجيم ، وهو ما ارتفع واستدار كالقبة ـ قال: وكان لعبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان الناحية الأخرى المراجل وقَصْرُ أمية والمنيف والآبار التى هناك والمزارع ، فاستفتى عبدُ الله عبدَ الله بن عبد الله بن عَمْرو على عروة وقال : إنه حَمَلَ على حق السلطان، فهدم عمر بن عبد العزيز جنابذه وضفائره ، وسد بئاره ، فقدم رجل من آل خالد ابن أسيد بن أبى العِيص بن أمية يريد الوليد ، وسأل عن عروة ، فأخبر قصته ، فقدم على الوليد فسأله عن عروة وحاله ، فأخبره ، فكتب إلى عمر بن عبد العزيز ما عروة ممن يُتَّهَمُ فَدَعْه وما انتقص من حق السلطان ، فبعث إليه عمر وقال : كتبتَ فىّ إلى أمير المؤمنين ؟ فقال : مافعلت ، فقال : اذهب فاصنع ما بدا لك فقال عروة : جزعُوا من جَنَابِذَ نبنيها ، والله لأبنينه بناء لا يبلغونه إلا بِشِقِّ الأنفس ، فبنى قصره هذا البناء ، وهيل بئاره ، فقال له ابنه عبد الله : يا أبتاه لو تبَدَّلْت بئارا فاحتفرتها لكان أهون فى العزم ، فقال : لا والله إلا هى بأعيانها وأنشأ عروة يقول :

بَنَيْنَاهُ فأحْسَنّا بنـــاه * بحمـــد الله فى خير العَقِيقِ
نراهم ينظُرُون إليـــه شزْراً * يَلوحُ لهم على وَضَحِ الطَّرِيقِ

فساء الكاشحين وكان غيظاً * لأعدائي وسُرَّ به صديقي
يراه كلُّ مُرتفقٍ وسارٍ * ومُعتمرٍ إلى بيتِ العقيقِ

وعن مصعب بن عثمان قال : لما كتب الوليدُ إلى عمر بن عبدالعزيز في ذلك ولى عروة عمر بن عبد الله بن عروة بناء قصره ، فلما كثرت النفقة فيه لقيه عمه يحيى بن عروة فقال : يا ابن أخي ، كم أنفقت في القصر ؟ قال : كذا وكذا ، قال : هذه نفقة كثيرة لو علم أبي بها لا قتصر في بنائه ، فأخبره بذلك ، فأخبر عمر جده ،فقال : لقيك يحيى ؟ قال : نعم ، قال : إنما أراد أن يعوق عليّ بنائي ، أنفق ولا تحسب ، فأنفق ولم يحسب حتى فرغ ،وحفر بئارا إحداهن بئر السقاية ، و بئر يدعى العسيلة ، و بئر القصر .

وقال مصعب : وسبب هَدْم عمر بن عبد العزيز وتهوره البئر أن عروة أراد أن يرفع في رأس عينه محلا فمنعه عبد الله بن عمرو بن عثمان إلا أن يسأله ذلك ، وكان له حقيق به ، فقال عروة : مثلي يُكلَّف ذلك ؟ وتركها ، فلما بنى عبد الله قصره المراجل وعمل مزارعه عمل له خليجا ، فلما بلغ به مزارع عروة حال بينه و بين ذلك ، فاستفتى عبدُ الله بن عبد الله عمر بن عبد العزيز على عروة،وقال: بنى وحفر في غير حقه ، وكانت جَنَابذه سبعا ، وكانت الركبان ينزلون على بئر مروان ، فلما حفر عروة بئره وأعذب اختاروا السهل والعذوبة فتركوا النزول على بئر مروان وكان في نفس عمر بن عبد العزيز شيء من ذلك ، مع ما كان في نفسه على جميع بني الزبير .

وعن ابن أبي ربيعة أنه مرَّ بعروة وهو يبني قصره بالعقيق فقال : أردت الحرب يا أبا عبد الله ؟ قال : لا ، ولكن ذكر لي أنه سيصيبها عذاب ، يعني المدينة ، فقلت : إن أصابها كنت منتحيا عنها .

وعن عروة مرفوعا : يكون في آخر أمتي خَسْف وقَذْف ومَسْخ ، وذلك عند ظهور عمل قوم لوط ، قال عروة : فبلغني أنه قد ظهر شيء منه ، فتنحَّيتُ

عنها ، وخشيت أن يقع وأنا بها ، و بلغنى أنه لا يصيب إلا أهل القصبة قصبة المدينة ، وفى نسخة المجد « القُصَيبة » مصغراً ، فأوردوه فى ترجمة القصيبة، وهو وهم.

وعن هشام قال : لما اتخذ عروة قصره قال له الناس : قد جَفَوْتَ مسجدَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، قال : إنى رأيتُ مساجدهم لاهية ، وأسواقهم لاغية ، والفاحشةَ فى فجاجهم عالية ، فكان فيما هناك عما هم فيه عافية .

وتصدق عروة بقصره وأرضه و بئره على المسلمين ، وأوصى بذلك إلى الوليد ابن عبد الملك ، فولاه ابنيه يحيى وعبد الله ، ثم توفى يحيى وأقام عبدُ الله فى القصر نحوا من أر بعين سنة ، ثم توفى عبد الله ، ثم وليها هشام بن عروة بالسن ، ثم عبد الله بن عروة ، وقيل له : مالك تركت المدينة ؟ قال : لأنى بين رجلين حاسد لنعمة أو شامت بمصيبة ، وهو القائل :

لو كان يدرى الشيخُ عذرى بالسحر　　نَحْوَ السقاية الَّتِي كَانَ احْتَفَرْ

لِفِتْيَةٍ مثـــل الدَّنَانِيرِ غُرَرْ　　وقَاهُمُ الله النِّفَاقَ وَالضَّجَرْ

بَيْنَ أبى بــكرٍ وَزَيْدٍ وَعُمَرْ　　ثم الحَوَارِيُّ لَهُمْ جَـدٌّ أغَرْ

فَهُمْ عَلَيْهَا بِالْعَشِيِّ وَالْبُــكَرْ　　يَسْقُونَ مَنْ جَاءَ وَلاَ يؤذوا بَشَرْ

* لزَادَ فى الشُّــكْرِ وَكَانَ قَدْ شَــكَرْ *

ولما ولى إبراهيم بن هشام المدينة لهشام بن عبد الملك أراد أن يدخل فى حقوق بنى عروة بالفُرْع ، فحال عبد الله ويحيى بينه و بين ذلك فهدم قصرَ عروة وشعَّثه ، وطرح فى بئر عروة جملا مطليا بقطران ، فكتب عبدُ الله إلى هشام ابن عبد الملك بذلك ، فكتب إلى ابن أبى عطاء عامله على ديوان المدينة أن يردَّ ذلك على ما كان حتى يَضَعَ الوتد فى موضعه ، فكان غرم ذلك ألف دينار وثلاثين ألف درهم .

وكان عبد الله يتحيَّنُ ركوب ابن هشام ، فإذا أشرف على الحرَّة قال للناس : كبروا ولكم جزور ، فيفعلون ، فينحرها ، فيغيظ بذلك ابن هشام و يبلغ منه .

وقال فى ذلك يحيى بن عروة أبياتا منها :

ألا أبلغ مُغَلْغَلَةً بَرِيدا وأبلغ إن عَرَضْتَ أبا سعيد

وأبلغ معشراً كانت إليهم وَصَايا ما أريد بنى الوليد

فإن لا تعتنى قُرْبَاىَ منكم فَوُدِّى غيرذى الطمع السكدود

ولما قدم الوليد بن يزيد فى خلافة هشام بن عبد الملك ليدفع بالناس فى الموسم وأقام عبد الله بن عروة بالعقيق ، حتى قيل : هذا ولى العهد[قدركم فى بركة مكة؟]فلقيه عبد الله وهو على ظهر الحرة،فلما نظر الوليدُ إلى قصور بنى أمية عَنْبَسة ابن سعيد ومروان بن سعيد بن العاص وعبد الله بن عامر جعل يقول لعبد الله ابن عروة : لمن هذا ؟ فيخبره ، فلما نظر إلى قصر عُرْوة قال : لمن هذا ؟قال : هذا قصر عروة ، قال : عامر بن صالح فى قَصْر عُرْوَة و بئره :

حَبّذَا القَصْرَ ذو الظّلال وذو البئرِ ببَطْن العقيق ذَاتِ السُّقَاة

ماء مُزْنٍ لم يبغ عُرْوَة فيها غير تَقْوَى الإلهِ فى المفظعات

بمكانٍ من العقيق أنيسٍ باردِ الظل طَيِّبِ الغَدَوَاتِ

وقال أيضا :

يا حَبَّذَا القَصْرُ لذى الإملاق ذو البئر بالوادى عليها الساقى

وقال أيضا :

ولقصر عروة ذو الظلال و بئره بشقا العقيق البارد الأفيَاء

أشهى إلىّ من العيون وأهلها والدور من نخلين والفرعاء

وقال جابر الزمعى فى بئر عُرْوَة :

يعرضها الآتى من الناس أهله ويجعله زادا له حين يذهب

وقال الزبير بن بكار : رأيت الخرّاج من المدينة إلى مكة وغيرها ممن يمر بالعقيق يخففون من الماء حتى يتزودوه من بئر عروة ، و إذا قدموا منها بماء يَقْدَمُون به على أهلهم يشربونه فى منازلهم عند مقدمهم .

وقال : ورأيت أبى يأمر به فيغلى ، ثم يجعل فى القوارير ثم يهديه إلى أمير المؤمنين هارون بالرقة .

وعن نوفل بن عمارة قال : لما بَنَتْ أمى قصرها أرسل إليها هشام بن عروة يقول : إنك نزلت بين الطيبين بئر عروة و بئر المغيرة بن الأخنس ، فأسألك برحمى إلا جعلت شرابك من بئر عروة ووضوءك من بئر المغيرة ، فكانت أمى لا تشرب إلا من بئر عروة ، ولا تتوضأ إلا من بئر المغيرة، حتى لقيت الله تعالى .

وعن مرزوق بن والاة[؟] أنه قال لهشام بن عروة : رأيت أن عينا من الجنة تصب فى بئر عروة .

وقال السَّرِىُّ بن عبد الرحمن الأنصارى :

كَفِّنُونِى إن مُتُّ فى دِرْعِ أرْوَى   واسْتَقُوا لى من بئر عُرْوَةَ مائى

سخنة فى الشتاء باردة الصيـ   ـف سِرَاج فى الليـلة الظلماء

وقال على بن الجهم :

هـذا العقيق فَعَدِّ أيـ * ـدى العِيسِ عن غلوائهـا

و إذا أصفت بـئر عُرْ * وَةَ فاسْقِـنِى من مائهـا

إنا وعيشـك ما ذممـ * ـنا العيش فى أفنائهـا

قال المجد : إنه لم يَجِدْ من يعرف هذه البئر من أهل المدينة .

قلت : سيأتى فى قصر عاصم أن جماء تضارع مُشْرِفَةٌ على قصر عروة ، وتسيل إلى بئره .

وقال الأسدى : إن الميل الثالث من المدينة وراء بئر عروة بقليل ؛ فيظهر أنها البئر المطمومة اليوم على يمينك وأنت متوجه إلى ذى الحليفة إذا جاوزت الحصن المعروف بأبى هاشم بنحو ثلث ميل وقريب من الجماء .

قصر عاصم قصر عاصم بن عمرو بن عمر بن عثمان بن عفان ، وهو فى قبل الجماء جماء

تضارع المشرفة على قصر عروة وعلى الوادى يُوَاجه بئر عروة بن الزبير ، والجماء تسيل على قصر عاصم وعلى بئر عروة .

وكان عبد الله الجعفرى وعمر بن عبد الله بن عروة تعاونا فى هجاء قصر عاصم ، فقالا :

ألا يا قَصْرَ عاصم لو تُبِينُ ... فتستعدى أمير المؤمنينِ
فتذكر ما لقيت من البلايا ... فقد لاقيت حزنا بعد حين
بنيت على طريق الناس طرا ... يَسُبُّكَ كل ذى حسب ودين
ولم توضع على غمض فتخفى ... ولم توضع على سهل ولين
يرى فيك الدخان لغير شىء ... فقد سميت خَدَّاع العيون

فى أبيات آخرها :

قبيح الوجه منعقد الأواسى ... خبيث الخلق مطرود بطين

فاشترى عاصم قصة فطرَّه بها وغرم فيه ألفى درهم ، وقال يرد عليهما :

بَنَوْا و بَنَيْتُ واتَّخَذُوا قُصُوراً ... فما ساَوَوْا بذلك ما بَنَيْت
بنيت على القرار وجانبوه ... إلى رأس الشواهق واستويت
على أفعالهم وعلى بناهم ... علوت وكان مجدا قد حويت
وتلك صلاصل قد فلستهم ... وذاك وديهم فيها يموت
فليس لعامل فيها طعام ... وليس لضيفهم فيها مبيت

وقيل : البيتان الأخيران لزيد بن عاصم ، قال الزبير : وهو أشبه .

وصلاصل : أرض كانت لعروة بحرة بطحان ، ثم صارت لابنه يحيى ، فوقفها فى بنيه ، وكان يقال لها المقتربة ، فكانت فتاتان لبعض نساء بنيه تختصمان بها عند اجتناء الرطب ، و تضرب إحداهما الأخرى ، فغلب عليها اسم صلاصل لكثرة صلاصلهما بالخصومة ، وفيها يقول عروة :

مآثر أخوالى عدىّ ومازنٍ * تخيرتها ، والله يعطى الرغائبا

فمن قال فيها قيل صدق فلم يقل   ومن قال فيها غيره كان كاذبا

ومر ابن أبى البداح ـ وكان أعلم الناس بالنخيل ـ على عُرْوة وهو يغرسها ألوانا، فقال له : إن كنتَ ولا بد غارسا فعليك بعذق ابن عامر ، فإنه ليس عذق أحسن للتنزه ولا أصبر على المالح منه .

قصر المغيرة

قصر أبى هاشم المغيرة بن أبى العاص و بئره ـ روى عنه الزبير : أنه قال : لما أردت أن أبنى قصراً بالعقيق قلت : أبنيه بيتين ، ثم مضيت للنزهة العشرة الأيام وما أشبهها ، قال : فدخلت على مولاة لى فقالت : يا أبا هاشم ، أردتَ بناء قصر بالعقيق ؟ فقلت لها : نعم ، فقالت : ابْنِهِ على أنه لم يبن بالعقيق مُغِيرى غيرك ، فبنيته هذا البناء ، وغرمت فيه غرما كبيرا ، قال : وهو القصر الذى يعرف بقصر بنت المرازقى .

وعن عبد الله بن ذَكْوَانَ قال : كانت بنو أمية تجرى فى الديوان ورقا على من يقوم على حوض مروان بن الحكم بالعقيق ، فى مصلحته وفيما يصلح بئر المغيرة من علقها ودلائها .

قال : ومر هشام بن عبد الملك وهو يريد المدينة بجر هشام بن إسماعيل بالرابع فقيل له : يا أمير المؤمنين ، جر جدك هشام ، فأمر بمصلحتها وما يقيمها من بيت المال ، فكانت توضع هنالك جرار أربع يسقى منهن الناس ، وسيأتى ذكر الرابع فى شعر فى القصر الآتى .

قصر عنبسة ابن عثمان ابن عفان

قصر عنبسة بن عمرو بن عثمان بن عفان ، وهو إلى جنب الجَمّاء بعد أن تجاوز المصعد تريد البطحاء ، وهو الذى قيل فيه :

يا قصر عَنْبَسَةَ الذى بالرابع   لا زلْتَ تُؤْهَلُ بالحَيَا المتتابع

فلقد بنيت على الوطاء ، و بنيت   تلك القصور على رُبًا ورفائع

يارب نعمة ليلة قد بتها   بفنائك الحسن المنيف الواسع

وقال شاعرهم :

خذل ابن عنبسة بن عمرو وعده   وكذبت حين أقول مالم يفعل

وبنى قصيرا بالعقيق ملعنا لا بالكريم ولا جميل المدخل
ودعا المهندس فاختفى فى جوفه بئرا فأنبطها كطعم الحنظل

قصر عنبسة ابن سعيد ابن العاص

قصر عنبسة بن سعيد بن العاص بالعقيق الصغير — ركب هشام بن عبد الملك ومعه عَنْبَسة بن سعيد ، فمر بموضع قصر عنبسة ، فقال : نعم موضع القصر يا أبا خالد ، قد أقطعته لك ، قال : يا أمير المؤمنين مَنْ يقوى على هـذا ؟ قال : فإنى أعينك فيه بعشرين ألفَ دينار ، فدفعها عنبسة إلى ابنه عبد الله وقال : إنك أنزلت بين الأشياخ ، فانظر كيف تبنى ؟ وكان أول من قارب بين القصور ، ونزل إلى جنب عبد الله بن عامر ، فلما فرغ من القصر بنى ضفاتُره بالآجر المطبق ، فقال له عنبسة : أما علمتَ أن متنزهى أهـل المدينة يدقون عليه العظام ، ابنِه بالحجارة المطابقة ، ففعل ، و بعث إليه هشام بأربعين بُخْتيا ، فكان ينضح عليها فى مزارعه وصهريجه .

قلت : ولعل الموضع المعروف اليوم بالعنابس مزارع عنبسة هذا .

وعن بعض ولد عنبسة قال : بينا عبد الله بن عنبسة نائم فى قاعة القصر ، وعنده خصى يذبُّ عنه ، وكان له غلام صُغْدى يسقيهم الماء ، فدخل فرآه نائما ، فنزع القربة وشد عليه بخنجر كان معه ، وثار الخصى يحول بينهما ، فقتل الخصى ، وانتَبَه عبد الله واتقاه بوسادة ، وتداعى عليه أهل القصر وأخذوه ، وأمر به عبد الله فقتل وصلب بفناء القصر .

وكان قصر عنبسة فيما أُخِذَ من أموال بنى أمية ، ثم رد على ابن عنبسة .

وكان جعفر بن سليمان إذ كان والياً بالمدينة نزله ، وابتنى إليه أرباضا ، وأسكنها حَشَمه ، ثم تحول منه إلى العرصة فابتنى بها وسكنها حتى عزل فخرج منها ، ولذلك يقول ابن المزكى :

أوحشت الجماء من جَعْفَرٍ وطالما كانت به تُعْمَرُ
كم صارخ يدعو وذى كُرْبَةٍ يا جَعْفَرَ الخيراتِ يا جعفر

أنت الذى أحييت بذل الندى　　وكان قد مات فلا يذكر
ثم ابعاس وصىّ المدى　　ومن به فى المحل يُسْتَمْطر

وقال شاعر :

إنى مررت على العقيق وأهله　　يشكون من مطر الربيع نزُورَا
ما ضركم أن كان جعفر جاركم　　أن لا يكون عقيقكم ممطورا

وقال محمد بن الضحاك : خرج أبى وابن عبد الله بن عَنْبَسة فى جماعة من لِدَتِهِمْ إلى قصر عنبسة بالعقيق الصغير ، وخرج بى أبى معهم وأنا حَدَثُ السن ، ونحروا جَزُورا ، فجعلوا يمزحون به فيما بينهم ، يقول هذا بيتا وهذا بيتا ، فكان مما حفظت من ذلك قولُ أحدهم :

حبذا ثم حبذا　　فى قصر ابن عنبسه
ولمات تجمعوا　　وجَزور مُكَرْدَسَه
والتواليدُ عندنا　　كالرباط المورَّسَهْ

قصر أبى بكر الزبيرى المعروف بالمستقر

قصر أبى بكر بن عبد الله بن مصعب الزبيرى الذى يعرف بالمستقر ــ اشتراهُ وهو بيت أو بيتان ، فهدم ذلك ، و بناه قصرا ، ففيه يقول القائل :

يا قصر لو كان خالداً أحد　　بالجود والمجد كان مولاكا
ولو تفدي المنون ذا كرم　　كان أبو بكر الندى ذاكا

وفيه يقول أيضاً حين بيع فى تركة أبى بكر :

أوْحَشَ المستقرُّ بعد أبى بكر فأضحى ينوح فى كل حين
بعد عز وبهجة وبهاء　　تاه [يوما] به على الثقلين
فاعذروه يا هؤلا ؛ إن ذا الشجو ليجرى دموعه من معين

قصر عبد الله ابن أبى بكر العثمانى

قصر عبد الله بن أبى بكر بن عمرو بن عثمان بن عفان ــ قال محمد بن معاوية : كنت أنا ومحمد بن عبد الله البكرى ــ وكان قاضيا على المدينة ــ متنزهين بالعقيق فى قصر ابن بكير ، فكتب محمد بن عبد الله فى الجدار :

أين أهل العقيق أين قريش أين عبد العزيز وابن بكير

* وَلَوَ أنَّ الزمان خلد حيا *

ثم كتب تحته : من أتم هذا النصف فله سبق ، قال: فتنزه عمر بن عبد الله بن نافع فى قصر ابن بكير ، فقرأ الكتابة ، فأتم النصف ، فكتب :

* كان فيه يخلد ابن الزبير *

قال محمد بن معاوية : فعاد محمد بن عبدالله للنزهة ، فوجد البيت قد أتم ، فسأل من أتمه ، فقلت له : عمر بن عبد الله ، فقال : لو كنت أكمله وفيت له بسبقه ، أحسن وصدق.

وكان عمر بن عبد الله له هاجرا .

وستأتى قصور أخرى فى الجَمَّاوات ، قال أبو على الهجرى : إن سيل الوادى يُفضِى إلى الشجرة التى بها مُحرَمُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، ثم يلى ذلك مزارع أبى هريرة رضى الله تعالى عنه ، ثم تتابع القصور يَمْنَة ويَسْرَة بها منازل الأشراف فيها يبتدئون ، منها منازل عن يمين الجائى من مكة بسفح عير .

جملة من القصور والآبار

ومنها قصر لإسحاق بن أيوب المخزومى ، وقصر لإبراهيم بن هشام ، وقصر لآل طلحة بن عمر بن عبيد الله ، ومنازل أسفل منها عن يمين الطريق أيضاً لآل سفيان بن عاصم بن عبد العزيز بن مروان ، ووجاه ذلك فى قبالة جماء تضارع منازل لعبد العزيز بن عبد الله بن عمرو بن عثمان ، ثم يليها منازل لعبد الله بن بكير ابن عمرو بن عثمان ، وهو قصر ظاهر بن يحيى ومنازل ولده .

ووجاهها فى صير حرة الوبرة مزارع عروة بن الزبير وبئره ، وأسفل منها البئر التى تعرف ببئر المغيرة بن أبى العاص ، وأسفل منها بئر زياد بن عبد الله المَدّانى وحوضها ، وضفائر قصر مراجل والزبينى قصر سكينة بنت حسين ، وقصور فوق الزبينى لإسحاق بن أيوب متتابعة ، وفوقها قصور كثيرة لغير واحد ، ثم قصور ابنة المرازق الزهرية ، ثم منازل جعفر بن إبراهيم الجعفرى ، ثم يُفضى إلى

بئر رومة ، وقصور كثيرة يَمْنة و يَسْرة منها قصور عبد الله بن سعيد بن العاص ، و ببطن الوادى بئار لعبد الله بن على بن عبد الله بن العباس والقصور يمنة و يسرة .

ثم ذكر ما بالعرصة من القصور ، وقال : ثم يُفْضِى ذلك إلى الجرف ، وفيه سقاية سليمان بن عبد الملك ، وهى على ميمنة من خرج إلى السلام يعسكر بها الخارج من المدينة إليها ، ثم الزغابة وبها مزارع وقصور أيضاً ، انتهى .

الفصل الثالث

فى العرصة وقصورها ، وشىء مما قيل فيها وفى العقيق من الشعر

قصر خارجة

قصر خارجة ـ روى ابن زبالة أن بنى أمية كانوا يمنعون البناء فى العرصة حيالها ، وأن سلطان المدينة لم يقطع فيها قطيعة إلا بإذن الخليفة حتى خرج خارجة ابن حمزة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن العوام إلى الوليد بن عبد الملك ، فسأله أن يقطعه موضع قصر فيها ، فكتب إلى عامله بالمدينة أن أقْطِعْهُ موضع قصر فيها وألحقه بالسواد ، أى الحرة ، فلم يزل بأيديهم حتى صار ليحيى بن عبد الله بن حسين ابن على بن حسين .

قصر عبد الله بن عامر

قصر عبد الله بن عامر برومة ـ قال الواقدى : إنه بَنَاه هناك من أول ما بنى بذلك العقيق إلا قصرا بعَرْصَة البقل ، ولما قتل أهل الحرة وعسكر مشرف بالجرف أمر بالعسكر ، فحول إلى عرصة البقل ، وأمر بالأسرى فحبسوا هناك .

وقال ابن أبى عوف : إنه بعد أن نهب المدينة خرج إلى قصر ابن عامر ، وقتل من قتل .

قصر مروان

قصر مروان بن الحكم ـ روى الزبير أن مروان ابتنى بعرصة البقل ، واحتفر وضرب لها عينا فازدرع .

قصر سعيد ابن العاص

قصر سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية ، أحد مشاهير الأجواد

ـ ابتنى سعيد بالعرصة قصرا فى سرتها ، واحتفر بها ، وغرس النخل والبساتين ، وكان نخلها أبكر شىء بالمدينة ، وكانت تسمى عرصة الماء .

وعن يحيى بن كعب مولى سعيد قال : كان نخل سعيد بالعرصة لا يطير حمامها ، وكانت فيها بثار ثلاث ، العليا منهن اليمانية تدعى الشمردلية ، والتى تليها أسفل منها تدعى الواسطية ، قال : وأنسيتُ السفلى ، و بنى بالعرصة عند نخله قصره الذى يقول فيه أبو قطيفة عمر بن الوليد بن عقبة :

والقَصْرُ ذو النخل فَالْجَمَّاء بينهما　　أشهى إلى النفس من أبواب جَيْرُونِ

وقال الهجرى : ثم يُفضِى ـ يعنى سيل العقيق ـ إلى العرصة عرصة البقل ، وعرصة الماء ، وعرصة جعفر بن سليمان بقبل الجماء العاقر مرتفعة فى حصن الجبل . و بالعرصة الكبرى قصرى سعيد بن العاص الذى امتدحه الشاعر بقوله ، وذكر البيت المتقدم .

والذى ذكره الزبير وغيره أن قصر سعيد بعرصة الماء ـ وهى العرصة الصغرى ـ لأنهم قالوا : وفى عرصة الماء يقول داود بن سَلْم :

أبْرَزْتَهَا كالقمر الزاهر　　فى عصفر كالشرر الطائر

بالعَرْصة الصغرى إلى موعد　　بين خليج الواد والظاهر

قالوا : إنما قال لها العرصة الصغرى لأن العقيق الكبير ينيفها من أحد جانبيها ، و ينيفها عرصة البقل من الجانب الآخر ، وتختلط عرصة البقل بالجرف فيتسع ، والخليج الذى ذكر خليج سعيد بن العاص ، انتهى ؛ فالعرصة الكبرى هى عرصة البقل ، والصغرى هى عرصة الماء ، فهى عرصة سعيد بن العاص ، وأظنها التى فيها البناء المعروف اليوم بعقد الأرقطية ، ولعله قصر سعيد بن العاص وموضع آباره و بستانه فيما يليه ، و يلى ذلك عرصة البقل لجهة بئر رومة .

وقال فضالة بن عثمان : لما حضر سعيدا الموت قال لابنه عمرو وهو الأشْدَق : أوصيك بثلاث: علىَّ دين عظيم ، فأكثر فيه مالى حتى تؤديه ،وانظر إخوانى فإن

فَقَدُوا وجهي فلا يفقدوا معروفى ، ولا تزوج بناتى إلا فى الأكفاء ، ثم مات ، فركب عمرو إلى معاوية ، فقال الحاجب له : عمرو بالباب ، فقال معاوية : هَلَكَ والله سعيد ، فأدخله ، فنعى له سعيدا وأخبره بوصيته ، فقال : نحن قاضون عنه الدين قال : إنما أوصى إلىّ أن يكون من صُلْبِ ماله ، فقال : بِعْنى بعض ضياعه ، و إنى أكره إحَنَ صَدْرِ مروان وذويه من قريش بقضاء دين أبيك ، فباعه العرصة بألف ألف ، فقالت قريش : أيخدع معاوية نفسه أو يكيدنا ؟ وقال مروان : يا أمير المؤمنين مادون الله يد تحجزك عن هواك ، ولنحن أهون عليك فيما تريد ، فعلام تخدع نحالك وتكيدها ؟ هلا جعلت ما أعطيت عمرا صِلَةً ؟ فقال : إنك عاديت سعيدا حيا وميتا ، وما بلغ من إثمانى لضيعته مكيدة قريش ، ولقد علمت قريش أنى أحفظ الميت فى الحى وأصل الحى للميت ، ولهو خير لكم أن أكون كذلك ، فأخذ عمرو المالَ ، فأتى به المدينة فقضى دين أبيه ، ثم أمر بأخوال أبيه فدخلوا عليه ، فوصَلَهم ، ثم أدخل إخوانه ، فوقع الشر بينه و بين مروان ومروان خاله ، فقال :

يُكاَيِدُنَا معاويةُ بن حَرْبٍ ولسنا جاهلين بما يكيد

فى أبيات بلغت معاوية ، فأنشد :

ألا لله دَرُّ غُواة فِهرٍ أريدُ سوى الذى فهرٌ تريد

أرانى كلما أخلقت ضغنا أتانى منهمُ ضغن جديد

فى أبيات ، قال الزبير : ولم يصح عندى الشعرانِ .

وروى عن سعيد أنه قال لابنه : إن منزلى هذا بالعرصة ليس من العقد ، إنما هو منزل نزهة ، فبِعْهُ من معاوية ، وأقْضِ دينى ومواعيدى ، ولا تقبل من معاوية قضاء دينى .

وعن نوفل بن عمارة أن سعيدا قال لابنه : إنى مُوصِيك بأربع ، لا تنقلنى

من موضعى – يعنى قصره – حتى أموت فيه ؛ فإنه أحب المواضع إلىّ ، وقليل لى من قومى فى برى بهم أن يحملونى على رقابهم إلى موضع قبرى ، وذكر الوصايا الثلاث المتقدمة ؛ فلما توفى حَمَلَه رجال قريش حتى دفنوه بالبقيع ، وقصره على ثلاثة أميال من المدينة ، ثم رحل ابنه إلى معاوية ، فدخل وهو أشْعَث ، فقال له معاوية : مابالك ؟ قال : هَلَكَ أبو عثمان ، فترحَّم عليـه ، ثم قال : حاجَتك فذكر وصاياه ، فسأله عن دينه ، فقال : ثلاثة آلاف ألف ، قال : هو علىّ ، قال : إنه أمرنى أن لا يكون إلا من صُلْب ماله ، قال : فبِعْنِي ، قال : بعتك العَرْصَة ، قال : قد أخذت القصر بألف ألف ، والنخيل بألف ألف ، والمزارع بألف ألف ، ثم قال : يا أهل الشام ، اكْتُبُوا عليه لئلا يَنْدَم ، وفى رواية أنه قال : أمرنى أن أبيع فى دينه ما استباع من أمواله ، قال معاوية : فعرضنى ماشئت قال : أنفسها وأحبهـــا إلينا منزلُه بالعَرْصة ، فقال : هيهات لايبيعونه ، انظر غيره ، قال : تحب تعجيل قضاء دينه ؟ قال : قد أخذته بثلثمائة ألف ، قال : اجعلها بالوافية يعنى الدرهم زنة المثقال ، قال : قدفعلت ، قال : و تحملها إلى المدينة قال : ونفعل ، فقدم عمرو فجعل يفرقها فى الديوان ، ويحاسبهم بما بين الدراهم الوافية وهى البغلية والدراهم الجواز ، حتى أتاه فتى من قريش بذكر حق له من أديم فيه عشرون ألف درهم بخط مولى لسعيد وشهادة سعيد على نفسه ، فعرف الخط وأنكر أن يكون لذلك الفتى الصعلوك ذلك ، فقال : ماسببُ مالك ؟ قال : رأيته وهو معزول وهو يمشي وَحْده ، فمشيت معه لباب داره ، فوقَفَ وقال : هل لك حاجة ؟ قلت : رأيتك تمشي وحدك فأحببت أن أصل جناحك ، فقال : وصَلَتْكَ رحم ، بعنى قطعة أديم ، فأتيته بهذه القطعة ، فكتب غلامه هذا الكتاب وفيه شهادته ، ثم قال: يا ابن أخى ، ليس عندنا اليوم شىء ، فخذ هذا الكتاب ، فقال عمرو : لاجَرَمَ لا يأخذها إلا وافية ، ودفعها إليه بَغْلية .

ولما أصفت العرصتان عن بنى أمية استقطع خنجر – وهو كثير بن العباس

ابن محمد ــ عرصة سعيد بن العاص ، فأقطعه إياها أبو العباس المنصور ، فقال زياد ابن عبد الله الحارثى ــ وكان واليا على المدينة ــ بخ بخ ياخنجر ، صارت لك عرصة سعيد ، فقال : وما ينكر من ذلك ؟ فأعجب منه دار معاوية بن سفيان بالبلاط لزياد بن أم زياد ، واقتطع السلطان فى سلطان بنى هاشم فى العرصة،وابتنوا عرصة الماء ، وفى ذلك يقول ذؤيب الأسلمى :

قد أقر الله عينى   بغزال يا ابن عون
طاف من وادى دجيل   بفتًى طَلْق اليدين
بين أعلى عرصة الما   ء إلى قصر زبين
فقضانى فى منامى   كل موعود ودين

وفيها يقول أبو الأبيض سهل [بن أبى كثير] :

قلت من أنت فقالت   بكرة من بكرات
ترتعى نبت الخزامى   تحت تلك الشجرات
حبذا العرصة ليلا   فى ليال مقمرات
طاب ذاك العيش عَيْشاً   وحديث الفتيات
ذاك عيشى أشتهيه   وحديثى مع لمات

وفيها يقول بعض المدنيين :

وبالعرصة البيضاء إن زرت أهلها   مَهاً مهملات ما عليهن سائس
يادرن إذا ماالشمس لم يخش حرها   خلال بساتين خَلاَهن يابس
إذا الحر آذاهن لذن ببحرة   كما لاذ بالظل الظباء الكوانس

وقال عامر بن صالح فى العرصتين :

أهوى البلاط فجانبيه كليهما   فالعرصتين إلى نخيـــل قباء

وقال حكيم بن عكرمة الديلى فيهما وفى العقيق وجوانب المدينة :

لعمرك لَلْبَلَاطُ وجانبـــاه وحرة واقِمٍ ذات المنـــار
فجماء العقيـــق فعرصتاه فمفضى السيل من تلك الحرار
إلى أحد مدى حرض فبنى قبـاب الحى من كنفى صرار
أحبّ إلى من ريح و بصرى بلا شك على ولا تمـــارى
ومن قريات حمص وبعلبك لَوَ انِّى كنت أجعل بالخيـار

وفيهما وفى العقيق يقول الوليد بن زيد :

لم أنس بالعرصتين مجلسنا بالسفح بين العقيق والسند

وقال عبد الله بن مصعب فى ذلك وفى الصلصل :

أشرف على ظهر القُدَيمة هل ترى برقا سرى فى عارض متهلل
نضح العقيق فبطن طيبة موهنا ثم استمر يؤم فضل الصلصل
فـكأنمـا ولعت مخائل برقه بمعالم الأحبـــاب ليست تأتلى
فالعرصتين فسفح عـير فالربا من بطن خاخ ذى المحل الأشهل

وقال سعيد المساحقى فى ذلك [وهو] ببغداد ، وذكر أنه ابتلى بعد أخيه بمحادثة غلامه زاهر :

أرى زاهرا لما رأى من تَوَحُّشِى وأن ليس لى من أهل ودى زائر
فظل يعاطينى الحديث و إننـــا لمختلفان حين تبـــلى السرائر
يحدثنى مما يجمِّعُ عقــــله أحاديثَ منهـا مستقيم وجائر
وما كنت أخشى أن أرانىَ راضياً يُعَلِّلُنِى بعـــد الأحبة زاهر
و بعد المصلى والبلاط وأهله و بعد العقيق حيث يحلو التزاور
إذا اعشوشبت قُرْيَانُهُ وتزينت عراص بهـا نبت أنيق وزاهر

وقال أيضاً :

ألا قل لعبد الله إما لقيته　　وقل لابن صفوان على النأى والبعد
ألم تعلما أن المصلى مكانه　　وأن العقيق ذا الظلال وذا الورد
وأن رياض العرصتين تزينت　　بنوارها المصفر والأشكل الوردى
وأن بها لو تعلمان أصائلا　　وليلا رقيقا مثل حاشية البرد
وأن غدير اللابتين مكانه　　وأن طريق المسجدين على العهد
فهل منكما مستأذن فمسلم　　على وطن أو جاذب لذوى الود
فما العيش إلا مايسر به الفتى　　إذا لم يجد يوما سبيل ذوى الرشد

فأجابه عبد الأعلى بن عبد الله بن محمد بن صفوان :

أتانى كتاب من سعيد فشاقنى　　وزاد غرامَ القلب جهدا على جهد
وأذرى دموع العين حتى كأنما　　بها رمد عنه المراود لاتُجْدِى
بأن رياض العرصتين تزينت　　وأن المصلى والبلاط على العهد
وان غدير اللابتين ونبته　　له أرج كالمسك فى عنبر الهند
فكدت لما أضمرت من لاعج الهوى　　ووجد بما قد قال أقضى من الوجد

وقال إبراهيم بن موسى الزبيرى:

ليت شعرى هل العقيق فسلع　　فقصور الجماء فالعرصتان
فإلى مسجد الرسول فما حا　　ز المصلى فجانبا بطحان
فبنو مازن على العهد أم ليس كعهدى فى سالف الأزمان

وأنشد عبد السلام بن يوسف وهو فى غاية العذوبة :

على ساكنى بطن العقيق سلامُ　　وإن أسْهَرُونى بالفراق وَنَامُوا
حظرتم علىّ النوم وهو محلل　　وحللتم التعذيب وهو حرام
إذا بنتمُ عن حاجر وحجرتم　　على السمع أن يدنو إليه كلام

فلا مَيَّلَتْ ريح الصبا فرع بانة ولا سجعت فوق الغصون حمام

ولا قهقهت فيه الرعود، ولا بكى على حافتيه بالعشىّ غمـــام

فمـــالى ومالِلربع قد بان أهله وقد قوضت من ساكنيه خيام

ألاليت شعرى هل إلى الرمل عودة وهـــل لى بتلك البانتين لمام

وهل نهلة من بئر عروة عذبة أداوى بهـــا قلبا براه أُوام

ألا يا حمامات الأراك إليكمُ فما لى فى تغريدكن مَرَام

فوجدى وشوقى مسعد ومؤانس ونوحى ودمعى مطرب ومدام

وقال أعرابى :

أيا سَرْحَتَىْ وادى العقيق سُقيتما حَياً غضة الأنفاس طيبة الورد

ترويكما مج الـــثرى ، وتغلغلت عروقكما تحت الندى فى ثرى جعد

ولا يهنين ظلاكما أن تباعدت بى الدار من يرجو ظلالكما بعدى

وعن محمد الزهرى قال : ركب عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز وعبد الله ابن حسن بن حسن ومحمد بن جعفر بن محمد على بغلاتٍ لهم ، حتى إذا كانوا بالعقيق أصابهم المطر ، وهنالك سَرْحَة عظيمة ، فدخلوا تحتها ، فقال عبد العزيز ابن عمر :

خبرينا ياسَرْحَ ـ خصصت بالغيـــث ـ بصدق فالصدق فيــه شفاء

هل يموت المحب من لاعج الحـــب ويشفى من الحبيب اللقاء

ثم إن السماء أقلعت ، فساروا ساعـة ، ثم رجعوا للسَّرْحة فإذا فى أصلها كتاب فيه :

إن جهلا سؤالك السرح عما ليس يوما به عليك خفـــاء

فاستمع تخبر اليقين وهـــل يشـــفى من الشك نفسك الأنباء

ليس للعاشق المحب من الحـــب سوى رؤية الحبيب شـــفاء

وعن رجل من الأنصار أنه كان نازلا تحت سَرْحَة ببطن العقيق إذ وقف عليه ابن عمر ، فسلم، ثم قال : مَنْ دَلَّكَ عليها ؟ قال : الذى دَلَّك عليها ، قال ابن عمر : فهل تدرى لم يستحب ظلال السرح ؟ قال الرجل : إنه ظَلِيل ، وليس له شوك ، قال ابن عمر : ولغيره ، أرأيت إذا كنت بين الأخشبين من مِنًى فإن بينك و بين مطلع الشمس واديا يقال له وادى سرر ، سُرَّ به سبعون نبيا ، وقد سر نبى منهم تحت سرحة فدعا للسرح ، فهى لا تقيل كما يقيل الشجر [؟] .

وعن محمد بن معن الغفارى قال : أراد محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان أن يخرج إلى مكة ، فذكر ذلك لعبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ، قال له عبد العزيز : هل لك أن تَقِيلَ عندى أنت وأصحابك ثم تروحون من عندنا وهو بالبطحان فى قصر عمر بن عبد العزيز ؟ فقال محمد : نعم ، فهيأ لهم نزلا ، فقال محمد : ما بقى شىء يبر به أحد أحدا إلا وقد أنزلتناه إلا طعام البادية ، قال : وما هو ؟ قال : التمر والزبد ، قال : أما الغنم فإنها لعاصم بنت سفيان بن عاصم بن عبد العزيز ، يعنى امرأته ، ولست مقدما على شىء منها إلا بإذنها ، ولكنى سأستطعمها لكم ، وكتب إليها :

إن عندى فَدَتْكِ نفسى ضُيُوفاً	واجبٌ حَقُّهُم كُهُولاً ومُرْدَا
عمدوا جارك الذى كان قدما	لا يرى من كرامة الضيف بدا
فلديه أضيافه قـــد قَرَاهم	وهـــو يشتهون تمرا وزبدا
فلهذا جرى الحديث ، ولكن	قد جعلنا بعض المزاحة جـــدا

فقال له محمد : مازال هذا العيش بينكما ، قال : نعم والله مامسست غيرها ، ولا احتلمت بغيرها قط ، ولا خالفتها فى شىء هويته قط ، فبعثتْ إليهم بتمر وزبد .

وعن عبد العزيز بن أبى حازم قال : كان عروة بن الزبير قائما بفناء قصره نصف النهار ، إذ أقبل شيخ من أهل المدينة معه حمام ، فوقف عند الميل ، فمسح

حمامه ، وسوّى ريشه ثم أرسله ، ثم أقبل على بئر عروة فشرب من مائها ، فقال له عروة : جئت فى مثل هذه الساعة كأنك صبى ، فأرسلت حماما ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « شيطان يتبعه شيطان » فقال الشيخ :

ياخليلى لا تكلم   ليس فيه من ملام

وعن عبد العزيز بن عبد الله قال : بينا أنا بالعقيق إذ أقبل رجل له موضع يحمل حماما ، فقلت له : مثلك يحمل هذا الحمام ؟ ولا أراك إلا قد راهنت به ، قال : أجل ، وما فى ذلك ؟ قلت : إنه حرام ، قال : فهذه الخيل يُرَاهَنُ بها ، قلت : تلك سنة ، قال : وهذه رعلة ، ثم انصرف ، انتهى .

والرعلة : نوع من تمر المدينة ، وكذا السنة ، فحمل السنة على ذلك .

الفصـــــل الرابع

فى جَمَّاواته ، وأرض الشجرة ، وثنية الشريد وغيرها من جهاته

نقل ابن زبالة وغيره أن الجماوات ثلاث :

جماء تضارع

الأولى : جماء تضارع التى تسيل على قصر عاصم و بئر عروة ، وقال المجرى : أول الجماوات جماء تضارع التى تسيل على قصر عاصم وهو منزل أبى القاسم طاهر ابن يحيى وولده ، وفيها يقول أُحَيْحَةُ بن الُجلاَح :

إنى والمَشْعَرِ الحرام وما   حَجَّتْ قريشٌ له وما نحروا
لا آخذ الخطة الدنيَّة ما   دام يُرَى من تضارع حَجَرُ

وتحته المكيمن مكيمن الجماء[1] .

وعن محمد بن إبراهيم مرفوعاً : إذا سالَتْ تضارع فهو عام ربيع .

وروى ابن شبة حديث « لا تسيل تضارع إلا عام ربيع » قال : وتضارع الجبل الذى بسفحه قصر ابن بكير العثمانى ، وقصور عبد العزيز بن عبد الله العثمانى على ثلاثة أميال من المدينة ، على يمين الذاهب إلى مكة .

---

(١) فى الأصول « مكين » محرفا ؛ وصوابه عن ياقوت .

قلت : هذا الجبل هو الذى يقابلك وأنت بالمدرج تريد مكة ، فإذا استبطنت العقيق صار عن يمينك ، والجبل المعروف بمكيمن الجماء متصل به ، آخذ منه على يمين الذاهب أيضاً .

جماء أم خالد

الثانية: جماء أم خالد التى تسيل على قصر محمد بن عيسى الجعفرى وما والاه، وفى أصلها بيوت الأشعث ، وقصر يزيد بن عبد الملك بن المغيرة النوفلى ، وفيفاء الخَبَار من جماء أم خالد ، قاله الزبير .

ونقل ابن شبة عن عبد العزيز بن عمران نحوه ، إلا أنه قال : فى أصلها بيوت الأشعث وفيفاء الخبار ، و بينها و بين جماء العاقر طريق من ناحية بئر رومة وفيفاء الخبار من جماء أم خالد فى مَهَبِّ الشمال من الأولى مما يلى مسيل وادى العقيق منحدرا ، وفيفاء الخبار منهما .

وقال المجد : فى أصل جماء أم خالد جبل يقال له سفر كما سيأتى فى ترجمته .

روى الزبير عن موسى بن محمد عن أبيه قال : وجد قبر آدمى على رأس جماء أم خالد مكتوب فيه : أنا أسود بن سوادة رسول رسول الله عيسى بن مريم إلى أهل هذه القرية .

وعن ابن شهاب قال : وجد قبر على جماء أم خالد أربعون ذراعا فى أربعين ذراعا ، مكتوب فى حجر فيه : أنا عبد الله من أهل نِينَوَى رسولُ رسولِ الله عيسى بن مريم عليه السلام إلى أهل هذه القرية ، فأدركنى الموت ، فأوصيت أن أدفن فى جماء أم خالد .

قال عبد العزيز بن عمران : نينوى موضعان : أحدهما من أرض السواد بالطف حيث قتل الحسين رضى الله تعالى عنه . والآخر قرية بالموصل ، وهى التى فيها يونس النبى صلى الله عليه وسلم ، ولسنا ندرى أى الموضعين عنَى . وتقدم فى أوائل الباب الثالث روايتان جاءتا فى ذلك قال فى إحداهما : فإذا فيه « أنا عبدالله الأسود رسول رسول الله عيسى بن مريم عليه السلام إلى أهل قرى عرينة »

وقال فى الأخرى « و إذا فيه أنا عبد الله رسول نبى الله سليمان بن داود إلى أهل يثرب ، وأنا يومئذ على الشمال » .

جماء العاقر (العاقل)

الثالثة جماء العاقر — بالراء كما فى كتاب ابن شبة وغيره ، وفى بعض نسخ ابن زبالة والهجرى ومعارف العقيق للزبير باللام — قال ابن شبة ، عقب ما تقدم عنه : وجماء العاقر الجبلُ الذى خلفه المشاش ، و إليه قصور جعفر بن سليمان بن على بالعرصة ، وقال الهجرى : الثالثة جماء العاقل ، فيها طريق إلى جماء أم خالد ، تسيل على قصور جعفر بن سليمان ، خلفها المشاش وهو وادٍ يصبُّ فى العرصة ، وقال الزبير : جماء العاقل طريقٌ بينها و بين جماء أم خالد خلفها المشاش .

وفى المشاش يقول عُرْوة بن أذَيْنَةَ :

إذ جرى شعب المشاش بهم   وعضيف تلـــة الرخمة [؟]
ومنَ البطحاء قــد نزلوا   دارَ زيدٍ فوقهــا العجمة [؟]

وأورد ابن زبالة هنا حديث « لا تقوم الساعة حتى يقتل رجلان موضع فسطاطيها فى قبل الجماء » وحديث « نعم الجماء المنزل لولا كثرة الأساود » . وقد قدمنا فى الفصل الأول نحوه فى العرصة ، وقدمنا ماجاء فى ذى الحليفة و بطحائها والمعرس ومسجد الشجرة ، وروى البيهقى فى المعرفة عن الشافعى قال : كان سعيد ابن زيد وأبو هريرة يكونان بالسحر على أقل من ستة أميال فيشهدان الجمعة و يَدَعانها .

وروى الزبير عن نافع أنه لما استصرخ على سعيد بن زيد بن عمرو بن نُفَيْل يوم الجمعة بعدما ارتفع الضحى أتاه ابن عمر بالعقيق ، وترك الجمعة.

وعن العَلاَء بن عبد الرحمن عن أبيه أن أرْوَى بنتَ أويس أسعدت مروان ابن الحكم على سعيد بن زيد فى أرضه بالشجرة ، فقالت: إنه أدخل ضفيرتى فى أرضه ، فقال : كيف أظلمها وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من اقتَطَعَ شبراً من الأرض طُوِّقه من سبع أرَضِينَ يوم القيامة » ؟ وترك لها سعيد

ما أدَّعتْ ، وقال : اللهم إن كانت أروى ظلمتنى فأعْمِ بَصَرَها ، واجعل قبرها فى بئرها ، فعميت أرْوَى ، وجاء سيل فأبدى عن ضفيرتها خارجا عن حق سعيد ، فأقْسَمَ سعيدٌ على مروان ليركَبَنَّ معه و ينظر إلى ضفيرتها ، فركب والناس حتى نظروا إليها، ثم إن أروى خرجَتْ لبعض حاجتها فوقعت فى البئر فماتت.

وفى رواية أنها سألت سعيدًا أن يَدْعُوَ لها ، وقالت : إنى ظلمتك ، فقال : لا أردُّ على الله شيئاً أعطانيه .

قال إبراهيم بن حمزة : وكان أهل المدينة يدعو بعضهم على بعض فيقول : أعماك الله كما أعمى أروى ، يريدونها ، ثم صار الجهال يقولون : أعماك الله كما أعمى الأروى ، يعنون أروى الجبَالِ ، يظنونها شديدة العمى .

وفى رواية أن سعيدا قال : اللهم إن كانت أرْوَى كاذبة فلا تخرجها من الدنيا حتى تعمى ، وتجعل منيتها فى بئرها ، فعميت ، فكانت لها جارية تخرج بها تَقُودها ، فتقول لها : أخبرينى ما يعمل العمال ، فتخبرها ، فتقول لهم : أنتم تفعلون كذا وكذا ، وتصيح عليهم ، فغفلت الجارية عنها يوما ، فخرجت إلى العمال فوقَعَتْ فى بئرها فماتت ، فلذلك يقولون : عمى أرْوَى .

وعن يحيي بن موسى قال : كان أبو هريرة نَزَلَ الشجرة قبل أن تكون مزدَرَعاً ، فمرّ به مروان وقد استعمله معاوية على المدينة فقال : مالى أراك ههنا ؟ قال : نزلت هذه البرية مع أبى أصلى فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بذى الحليفة ، فأقطعه مروان أرضه وضفرها له ، فتصدق بها أبو هريرة على ولده ، ولم يزل العقيق نخلا حتى عملت العيون .

ثنية الشريد

ونقل ابن زبالة أن ثنية الشريد كانت لرجل من بنى سُلَيم كان بقية أهل بيته ،فقيل له : الشريد ، وكانت أعنابا ونخلا لم يُرَ مثلها ، فقدم معاوية المدينة ، فطلبها منه ، فأبى ، ثم ركب يوما فوجَدَ عماله فى الشمس،فقال : مالكم ؟ فقالوا:

نسجم البثار ، فركب إلى معاوية فقال : يا أمير المؤمنين إنه لم يزل فى نفسى منعى إياك ماطلبت منى ، فهو لك بما أردت ، فكتب إلى ابن أبى أحمد أن يدفع إليه الثمن ، قال : وسمعتُهم يكثرونه جدا ، فقال له ابن أبى أحمد : إن أمير المؤمنين لم يَسُمْكَ بها وهى على هذه الحال ، فقال : إنى رجوت حين صار امرى إليك التيسير على ، فدفع إليه الثمن .

ومزارع ثنية الشريد من أرض الحرمين إلى أرض المنصور بن إبراهيم ، وقال الهجرى : إن سيل العقيق يُفْضِى إلى ثنية الشريد ، وبها منازل و بثار كثيرة ، وهى ذات عضاهٍ وآكام ، تُنْبِتُ ضروبا من الكلأ ، صالحة للمال، تحف الثنية شرقى عير الوادى وغربى جبل يقال له الفراء ، ثم يُفْضى إلى الشجرة التى بها المحرم والمعرس

وقال ابن النجار عن أهل السير : إن النبى صلى الله عليه وسلم ولى العقيق لرجل اسمه هيصم المزنى ، وأن وُلاة المدينة لم يزالوا يولُّون عليه ، حتى كان داود ابن عيسى فتركه فى سنة ثمان وتسعين ومائة .

قلت : هذا إنما ذكره ابن زبالة والزبير فى حمى النقيع كما سيأتى .

وروى ابن زبالة عن يحيى بن سعيد أن رجلا كان لا يعرف والدُه كان يوما بالعقيق ، فنهاه عمر بن عبد العزيز .

وفى رواية: كان يصلى لهم الجمعة بالشجرة ، فنهاه عمر بن عبد العزيز أن يؤمهم لأنه لا يعرف له أبٌ ، وهو يقتضى أن الجمعة كانت تقام بالعقيق ، فآثار أبنية مكان العقيق موجودة إلى اليوم ، وهى دالة على ما كان به من القُصُور الفائقة ، والمناظر الرائقة ، والآبار العذبة احسان ، والحدائق الملتفةِ الأغصان ، دَثَرَتْ على طول الزمان ، وتكرر الحدثان ، وبقى هناك بعض الآبار ، وبقايا الآثار ، فترتاح النفوس برؤيتها ، وتنتعش الأرواح بانتشاق نَسْمتها ، فهى كما قال حبيبُ ابن أوْس :

ما ربع مَيَّــةَ معمورا يُطيف به غَيْلاَن أبْهى رُبًا من رَبْعها الخرِب
ولا الخــدود وإن أدمينَ من نَظَرِ أشْهى إلى ناظرِ من خــدها التَرب

وقال أعرابى :

ألا أيها الركب المُخِبُّونَ هل لسكم بأهـــل عقيق والمنازل من عِلْم
فقالوا : نعم تلك الطلولُ كعهدها تلوحُ ، وما يغنى سُـؤَالُكَ عن عِلْم

خاتمـــة

فى سرد مايدفع فى العقيق من الأودية ، وما به من الغُدْرَان

قال فى جزيرة العرب لأبى عبيدة رواية أبى عبد الله المازنى عنه ، مالفظه : والعقيق يشق من قبل الطائف ، ثم يمر بالمدينة ، ثم يلقى في إضم البحر ، انتهى

وسيأتى فى وادى قَنَاة أنه من وَجّ الطائف أيضا ، ولـكن قال الزبير وغيره : أعلى أودية العقيق النقيع ، ثم ذو العش ، ثم ذو الضرورة ، ثم ذو القرى ، ثم ذو الميت ، ثم ذو المـكبر ، ثم ذات القطب ، ثم حد المولى ، ثم حد الأبانى ، ثم ذو تنقية ، ثم القويع ، ثم ذو الصواير ، ثم الفلجة ، ثم الوشيجة ، ثم مخايل الوغائر ، ثم مخايل الرمضة ، وكلاهما يصب فى حصين ، ثم ذوالمشيرة ، ثم الرتاحة ، ثم ذو سمر ، ثم مرخى الحرة اليمانى والشامى محتذيان جميعاً ، ثم يجتمع ذو سمر ومرخان فيقال لمجتمعهن: المجتمعة ، ثم ذات السليم ، ثم ذو الغصين ، ثم شوظى ، ثم خاخ ، ثم المناصفة ، ثم شعاب الحرى والفراء وعيرين .

وقال الزبير : وأوديته مما يلى القبلة فى المغرب أعلاها ذات الرابوقة ثم نفعا

وعن مشيخة مزينة أن صدور العقيق ما يبلغ فى النقيع من قدس وما قبل من الحرة وما دبر من النقيع وثنية عمق، فهو يصب فى الفرع، وما قبل من الحرة مما يدفع فى العقيق يقال له بطاويح ، قال : ثم فرش موزد ، ثم راية الأعمى ، ثم راية الغراب ، ثم الخائع ، ثم ذو عاصم ، ثم بلغة السرح ، ثم بلغة برام ، ثم بلغة رماد ، ثم بلغة المعيرا ، ثم بلغة الرمس ، ثم نبعة العشرة ، ثم نبعة الطوى ، ثم الحنينة ،

ثم النبعة ، ثم ضاف ، ثم بلغة التمر ، ثم نبع الأضاة ، ثم الأئمة أئمة عبد الله بن الزبير ، ثم ذات الحماط ، وفى حديث تقدم أنه صلى الله عليه وسلم « صلى فى مسجد بالضيقة مَخْرَجَه من ذات الحماط » ثم هاوان ، ثم فريقان ، ثم الساهية ، ثم أعشار ، وتقدم فى حديث نزوله صلى الله عليه وسلم بكهف أعشار وصلاته فيه ، ثم ريم ، ثم لاى ، ثم ذو سلم النظيم ، ثم ذو بدوم ، ثم حفية ، ثم قسبان ، ثم الصهوة ، ثم بقرة ، ثم ذو سنية ، وسنية : قوم من مزينة ، ثم الرمامية ، ثم الموقية ، ثم ضبع ، ثم مهر ، ثم الملحاء ، ثم المليحة ، ثم النخيل ، ثم الرديهة ، ثم أنفة ، ثم المنتقبة ، ثم مراح الصحرة ، ثم سائلة أبى يسار التى تسيل على قصر المخرمى ، ثم شعاب الفراء ، ثم ذات الجيش ، وتقدم حديث الأعلام فى حَرَم المدينة على شرف ذات الجيش ، ثم وادى أبى كبير بن سعيد بن وهب بن عبد ابن قصى ، وذات الجيش يدفع فيه ، و به قصر الرماد لآل أبى كبير ، وكانت لهم بئر بطرف الفراء يُورِدُون عليها سبعين أو ثمانين بعيرا لهم ، قال الزبير : وأنا رأيت بئر أحد طرف الفراء مكبوسة ، وما قبل من الصلصلين يدفع إلى بئر أبى عاصية ، ثم يدفع فى ذات الجيش ، ثم يدفع فى وادى أبى كبير ، وما دبر منهما يدفع فى البطحاء ، فطرف عظيم الغربى يدفع فى ذات الجيش ، وطرفه الشامى يدفع فى البطحاء بين الجبلين فى وادى العقيق ، ثم الجاوات ثلاث ، وتفصيل مسائلها كما قدمناه فيها .

ثم ذكر مجتمع سيول المدينة بزغابة ، وذلك أعلى وادى إضم ، قال : وأعلى غُدُر مسيلات العقيق التى فى درج الوادى مما يلى الحرة موكلان من أعلى ذى المش ، ثم غدير سليم ، ثم ذو التحاميم ، ثم الأعوج ، ثم غدير الجبال ، ثم يماعم ، ثم غدير الذباب ، ثم غدير الحبر ، ثم غدير فليج الأعلى ، ثم غدير فليج الأسفل ، وهذه الثلاثة تعرف بمنحنيات فليج الزبيرى ، ثم غدير السيالة ، ثم الطويل ، ويُعد من منحنيات فليج أيضا ، ثم غدير البيوت بيوت عبد الله العمرى ،

ثم غدير رتيجة ، ثم بكين، ثم غدير سلافة، ثم غدير الرعاء، ثم غدير الأحمى مقصوراً والأحمى : طرب المدس فى أصله ، ثم غدير حصير ، ثم الندبة من أسفل حصير ، ثم العرابة فى أعلى مرج ، ثم مرج ، ثم غدير السدر ، ثم غدير الخم، ثم المستوجبة ، ثم حُليف ، ثم حليف ، ثم الحقن ، ثم ذو الطفيتين ، ثم ذواللحبين، ثم ذو الابئة ، ثم غدير مريم ، ثم غدير المجاز ، ثم غدير المرس ، ثم رابوع ، وقلما يفارقه ماء و إذا قل ماؤه احتسى ، وهو أسفل شيء من غُدْرَان درج العقيق إلا غدير أسفل منه يقال له غدير السيالة ؛ هذا كلام الزبير .

ونقل ابن شبة أن سيل العقيق يأتى من موضع يقال له بطاويح ، وهوحرس من الحرة ، وغربى شطاى حتى مضيا جميعاً فى النقيع وهو قاع كبير الدر ، وهو من المدينة على أربعة بُرُد فى يمانيها ، ثم يصب فى غدير يَلْبَن و برام، و يدفع فيه وادى البقاع ، و يصب فيه لقما فيلتقين جميعاً بأسفل من موضع يقال له نقع ، ثم يذهب السيل مشرقا فيصب على رواوتين يعترضهما يسارا ، و يدفع عليه واد يقال له هلوان ، ثم يستجممن فيلقاهن بوادى دبر بأسفل الحليفة العليا ، ثم يصب على الأتمة وعلى الجام ، ثم يُفْضِى إلى وادى الحميراء فيستبطن واديها ويدفع عليه الحرتان شرقياً وغربيا حتى ينتهى إلى ثنية الشريد إلى أن يُفضِى إلى الوادى فيأخذ فى ذى الحليفة حتى يصب بين أرض أبى هريرة رضى الله تعالى عنه و بين أرض عاصم بن عدى بن العجلان ، ثم يستبطن الوادى فيصب عليه شعاب الجماء وتمير حتى يُفْضِى إلى أرض عُرْوَة بن الزبير و بئره ، ثم يستبطن بطن الوادى فيأخذ منه شطيب إلى خليج عثمان بن عفان الذى حفر إلى أسفل العرصة التى يقال لها خليج بنات نائلة وهن بنات عثمان منها ، وكان عثمان ساقه إلى أرض اعتملها بالعرصة ، ثم يفترش سيل العقيق إذا خرج من حوافر عبد الله بن عَنْبَسة ابن سعيد يمنة ويسرة ، ويقطعه نهر الوادى ، ثم يستجمع حتى يصب فى زغابة ، انتهى .

ونقل الهجرى أن سيل العقيق إذا أفضى من النقيع أفضى إلى قراره أسفل قاع لا شجَرَ فيه ، وأسفل منه حصير ، ثم يُفْضِى إلى مرج ، ثم إلى المستوجبة ، ثم إلى غدير يقال له ديوا الضرس ، ثم إلى غدير المجاز ، ثم إلى غدير يقال له رواوة ، ثم إلى غدير الطفيتين ، ثم الابنة ، ثم أسفل من ذلك رابوع ، ثم يلقاه وادى بريم فإذا التقيا دفعا فى الحليفة حليفة عبد الله بن أبى أحمد بن جحش ، ثم سطح سيول النقيع والصحرة ومراج وأنفة عند جبل يقال له واسطة المسطح ، ثم يُفْضِى إلى الجبخانة صدقة عباد الزبيرى ، وله دوافع من الحرة مشهورة منها شوظى وروضة الجام ، ثم يُفْضِى إلى حمراء الأسد ، ثم إلى ثنية الشريد ، ثم إلى الشجرة التى بها المحرم ، اه .

الفصل الخامس

فى بقية أودية المدينة ، وصدورها ، ومجتمعها ، ومغايضها

وادى بطحان

فمنها وادى بطحان ــ روى ابن شبة والبزار عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن بطحان على ترعة من ترع الجنة » قال ابن شبة : وأما سيل بطحان ــ وهو الوادى المتوسط بيوت المدينة ، أى فى زمنه ــ فإنه يأخذ من ذى الحدر ، والحدر قرارة فى الحرة يمانية من حلبات الحرة العليا حرة معصم ، وهو سيل يفترش فى الحرة حتى يصب على شرقى ابن الزبير وعلى جفاف ومرفية والحساة حتى يُفْضى إلى فضاء بنى خطمة والأعرس ، ثم يستنُّ حتى يرد الجسر ، ثم يستبطن وادى بطحان حتى يصب فى زغابة .

وسيأتى فى مذينب من رواية ابن زبالة أن بطحان يأتى من الحلابين حلابى مصعب على سبعة أميال من المدينة أو نحو ذلك ، وفى رواية له أن بطحان يأتى من صدر جفاف .

فيتلخص أنه يأتى من الحلابين فيصل اولا إلى وادى جفاف ، ثم إلى

بطحان ، ولهذا استغنى ابن زبالة وغيره ببطحان عن إفراد جفاف بالذكر ، وجعل المطرى ومَنْ تبعه الترجمة لجفاف ، قالوا : ووادى جفاف على موضع فى العوالى شرقى مسجد قباء ، اه .

ويفهم من أطراف كلام ابن شبة أن ابتداء وادى بطحان من جسر بطحان ، وذلك بقرب الماجشونية وآخره فى غربى مساجد الفتح ، ويشاركه رانونا فى المجرى من الموضع الذى فى غربى المصلى وما والاه من القبلة ، لأنها تصبُّ فيه كما سيأتى ، والذى يقتضيه كلام غيره أن الماجشونية وتربة صعيب من بطحان .

وادى رانونا

ومنها : رانونا ، ويقال رانون ـ قال ابن شبة : وأما سَيْلُ رانون فإنه يأتى من مقمة فى جبل فى يمانى عير ومن حرس شرقى الحرة ، ثم يصب على قرين صريحه ثم سد عبد الله بن عمرو بن عثمان ، ثم يفترق فى الصفاصف فيصب فى أرض إسماعيل ومحمد ابنى الوليد بالقصبة ، ثم يستبطن القصبة حتى يعترض قباء يمينا ، ثم يدخل غوسا ثم بطن ذى خصب ، ثم يجتمع ما جاء من الحرة وما جاء من ذى خصب ، ثم يقترن بذى صلب ، ثم يستبطن السرارة حتى يمر على قمر البركة ثم يفترق فرقتين ؛ فتمر فرقة على بئر جشم تصب على سكة الخليج حتى تفرغ فى وادى بطحان ، وتصب الأخرى فى وادى بطحان ، اه .

وفى رواية لابن زبالة عن عبد الله بن السائب قال : رانونا تأتى من بين سد عبد الله بن عمرو بن عثمان و بين الحرة وتلتقى هى ووادٍ آخر عند الجبل الذى يقال له مقمن أو مكمن .

وقال ابن زبالة : وأما ذو صلب فيأتى من السد ، وأما ذو ريش فيأتى من جوف الحرة ، ثم قال فى رواية أخرى : إن صدر سيل ذى صلب من رانونا ، وصدر رانونا يأتى من التجنيب ، ثم يسكب ذو صلب ورانونا فى سد عبد الله ابن عمرو بن عثمان ، ثم فى ساخطة وأموال العصبة ، ثم فى غوسا ، ثم فى بطحان ،

ثم يلتقى هو وبطحان عند دار الشواترة ، وهى فى عداد بنى زريق ، ويزعمون أنهم من عاملة ، اهـ .

والسد موجود فى تلك الجهة ، ولـكنه لا يُضَاف اليوم لعبد الله المذكور ، قال المراغى : والسد لا يعرف اليوم بهذا الاسم ، ولعله المعروف بسد عنتر ؛ لانطباق الوصف عليه ، وساخطة لا تعرف ، ولعلها مزرعة السد ، وغوسا غير معروفة ، ولعله أراد حوسا ـ بالحاء المهملة ـ وهى معروفة بقباء ، ويشرب من رانونا ، ووقع فى الاسم تغيير ، اهـ . وقال نصر : عوسا قريب قباء .

قلت : وقرين صريحه ينطبق وصفه على القرين المعروف اليوم بقرين الصرطة ، وقال المطرى : إن رانونا ينتهى إلى مسجد الجمعة ببنى سالم ، ثم يصب فى بطحان . قال المراغى : الذى رواه ابن زبالة أنه صلى الله عليه وسلم صلى ببنى سالم فى ذى صلب ، لا رانونا ، وأن كلام ابن زبالة السابق يدل على المغايرة بينهما .

قلت : هما و إن افترقا فى بعض الأماكن فينتهيان إلى مجتمع واحد ، ولذا قال ابن شبة : ثم يقترن بذى صلب ، كما سبق ، فيسمى برانونا لمرورها عليه ، ولذا قال ابن إسحاق فى أمر الجمعة : فأدركته فى بنى سالم بن عوف فصلاها فى المسجد الذى فى بطن الوادى وادى رانونا ، فعبر به عن ذى صلب ، بل فيما تقدم عن ابن زبالة أنه يأتى من جَوْف الحرة ، فلعله المعنى بقول ابن شبة : ثم يجتمع ما جاء من الحرة ـ ويعنى بالحرة حرة بنى بياضة لما تقدم فى منازلهم من أن حبيب بن عبد حارثة بن مالك بن عضب بن جشم ابتنى الأطم الذى فى أدنى بيوت بنى بياضة الذى دونه الجسر الذى عند ذى ريش .

وأما السرارة المذكورة فى كلام ابن شبة فتقدم ذكرها أيضا فى منازل بنى بياضة ، فليست هى الحديقة المعروفة اليوم بالسرارة .

وأما بئر جشم فغير معروفة اليوم ، ولعلها مضافة إلى جُشَم بن الخزرج الأكبر ،

كما حدثنى مالك بن عضب ، وهم بينى بياضة ، وسيأتى ما يرجّحه ، ويحتمل أن تـكون مضافة إلى جشم بن الحارث ، ومنازلهم بالسنح ، وهو بعيد .

وادى قناة

ومنها : وادى قناة ــ سمى بذلك لأن تبعا لما غزَا المدينة نزل به ، فلما شخص عن منزله قال : هذه قَنَاة الأرض ، فسميت قناة ، وتسمى الشظاة ، وفى القاموس أن هذا الوادى عند المدينة ، أى ما حاذاها منه تسمى قناة ، ومن أعلى منها عند السد أى الذى أحدثته نار الحرة تسمى بالشظاة .

وقال ابن شبة : وادى قناة يأتى من وَجّ أى وج الطائف .

وعن شريح بن هانئ الشيبانى أنه قَدِمَ على عمر بن الخطاب ومعه امرأته أم الغمر فأسلمت ، ففرق بينهما عمر ، فقال : يا أمير المؤمنين ارْدُدْ على زوجتى ، فقال : إنها لا تحل لك إلا أن تسلم ، فنزل شريح بقَنَاة وقال :

ألا يا صاحِبَىَّ ببَطْنِ وَجٍّ ... رَوَادِف لاَ أرَى لَـكُمُ مُقَامَا
ألا ترَيانِ أم الغَمْرِ أمْسَتْ ... قَرِيباً لاَ أُطِيقُ لها كَـلاَمَا

فجعل بطن قناة بطن وج لأن السيل يأتى منه .

وقال المدائنى : قناة وادٍ يأتى من الطائف ، ويصب فى الأرخصية وقرقرة الـكدر ، ثم يأتى بئر معاوية ، ثم يمر على طرق القدوم فى أصل قبور الشهداء بأُحُد

وقال ابن زبالة : إن سيول قَنَاة إذا استجمعت تأتى من الطائف ، قالوا : ومحول أودية العرب قناة و إضم ، أى اللاتى فى مجتمع السيول ووادى نخلة ، و إنما سميت محولا لبعد صدورها وكثرة دوافعها ، ويأتى وادى قناة من المشرق حتى يصل السد الذى أحدثته نار الحجاز المتقدم ذكرها آخر البــاب الثانى ، وتقدم هناك أن هذا الوادى كان قد انقطع بسبب ذلك ، وانحبس السيل حتى صار بحرا مدّ البصرِ عرضا وطولا ، كأنه نيل مصر عند زيادته ، قال المطرى : شاهدته كذلك سنة سبع وعشرين وسبعمائة ، وتقدم أنه انخرق من تحته سنة تسعين وستمائة ، فجرى الوادى سنة ، فملأ ما بين الجانبين ، وسنة أخرى دون ذلك ،

ثم انخرق بعد السبعمائة فجرى سنة أو أزيد ، ثم انخرق سنة أربع وثلاثين وسبعمائة بعد تواتر الأمطار فكثر الماء وجاء سيلٌ لا يُوصَف كثرة ، ومجراه على مشهد سيدنا حمزة ، وحَفَر واديا آخر قبلى الوادى والمشهد . وقبلى جبل عينين فى وسط السيل ، ومكثا نحو أربعة أشهر لا يقدر أحــد على الوصول إليهما إلا بمشقة ، ولو زاد مقدار ذراع فى الارتفاع وصل إلى المدينة ، ثم استقر فى الواديين القبلى والشمالى قريبا من سنة ، وكشف عن عينٍ قديمة قبلى الوادى جَدَّدها الأمير ودى ، وهذا الوادى هو المراد بقوله فى حديث الاستنشاق من رواية الصحيح « وسال وادى قناة شهرا » وينتهى سيل قناة إلى مجتمع السيول ترعا أيضا .

وادى مذينب

ومنها : وادى مذينب ، ويقال : مذينيب ـ قال ابن زبالة عن غير واحد من الأنصار : مذينب شعبة من سيل بطحان ، يأتى مذينب إلى الروضة روضة بنى أمية ، ثم ينشعب من الروضة نحوا من خمسة عشر جزءا فى أموال بنى أمية ، ثم يخرج من أموالهم حتى يدخل بطحان وصدير ، مذينب وبطحان يأتيان من الحلابين حلابى صعب على سبعة أميال من المدينة أو نحو ذلك ، ومصبهما فى زغابة حيث تلتقى السيول ، اه .

وقوله « من سيل بطحان » يعنى من أصــله من الحلابين كما بينه أخيرا ، وسبق بيان منازل بنى أمية وأن من أموالهم بئر العهن .

وسيأتى عن ابن شبة ما ظاهره المخالفة لهــذا ، حيث قال فى مهزور : حتى حلاة بنى قريظة ، ثم يسلك منه شعيب فيأخذ على بنى أمية بن زيد بين البيوت فى وادٍ يقال له مذينب ، ثم يلتقى هو وسيل بنى قريظة بالمشارف فضاء بنى خطمة ، ثم يجتمع الواديان مهزور ومذينب ، فمقتضاه أن مذينب من أصل مهزور ، ولهذا قال المجد : قال أحمد بن جابر : ومن مهزور إلى مذينب شعبة تصبُّ فيه .

قلت : لــكن أعلى صدر سيل بطحان ومذينب ومهزور من حرة واحدة ، فيصح تشعب مذينب من كل منهما .

ولهـذا نقل المجد عن أبى عبيدة أن اليهود لمـا نزلوا المدينة نزلوا بالسافلة ، فاستو بؤها ، فبعثوا رائداً إلى العالية ، فرأى بطحان ومهزورا يهبطان من حرة ينصبُّ منهما مياه عذبة ، فرجع فقال : وجدت بلداً طيبا وأودية تنصب إلى حرة عذبة ، فتحولوا ؛ فنزل بنو النضير على بطحان ، وقريظة على مهزور ، اهـ . مع أن الذى تقدم فى المنازل أن بنى النضير نزلوا بمذينب ، ومنازلهم النواعم ، فمن أطلق نزولهم على بطحان راعى اتحاد الأصل وأن مذينب يصب فى بطحان أيضا ، كان فى زماننا يشق فى الحرة الشرقية قبلى بنى قريظة ، و يمر فى وسط قرية قديمة كانت شرقى المهن والنواعم ، و يتشعب فى تلك الأموال ، و يخرج ما فَضَل منه من الموضع المعروف بنقيع الرديدى ومن الناصرية ، فيصب فى الوادى الذى يأتى من ضفاف شرقى مسجد الفضيخ ، حتى يأتى الفضاء الذى عند بؤور النورة خلف الماجشونية فتلقاه هناك شعبة من مهزور ، ثم يصبان جميعا فى بطحان .

وقال المطرى : مذينب شرقى جفاف ، يلتقى هو وجفاف فوق مسجد الشمس ، ثم يصبان فى بطحان ، و يلتقيان مع رانونا ببطحان ، فيمران بالمدينة غربى المصلى ، اهـ . ومراده جفاف أصل مسيل بطحان .

وادى مهزور

ومنها : مهزور — نقل ابن زبالة أنه يأتى من بنى قريظة ، ثم قال فى هذه الرواية ما لفظه : وأما معجب فيأتى سيله ، وكان يمر فى مسجد النبى صلى الله عليه وسلم ، وقالت الأنصار : إنما الذى يمر فى المسجد مهزور ، ولم يبين أصل سيل معجب ، وكذا ابن شبة ، فقال : وأما بطن مهزور فهو الذى يتخوف منه الغرق على أهل المدينة فيما حدثنا به بعض أهل العلم ، ثم ذكر رواية ابن زبالة السابقة .

وقال ابن زبالة عقب ما تقدم عنه فى مذينب ، مالفظه : وسيل مهزور وصدره من حرة سوران ، وهو يصب فى أموال بنى قريظة ، ثم يأتى بالمدينة فيسقيها ، وهو السيل الذى يمر فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم يسكب فى زغابة ، و يلتقى هو و بطحان بزغابة حيث تلتقى السيول ، اهـ .

واجتماعه فى بطحان بزغابة من مَجْرَى قناة ، ولهذا قال ابن شبة : وسيل مهزور يأخذ من الحرة من شرقيها ومن هكر ، وحرة صفة ، حتى يأتى أعلى حلاة بنى قريظة ، ثم يسلك منه شعيب فيأخذ على بنى أمية بن زيد بين البيوت فى وادٍ يقال له مذينب ، ثم يلتقى وسيل بنى قريظة بفَضَاء بنى خطمة ، ثم يجتمع الواديان جميعا مهزور ومذينب فيتفرقان فى الأموال ويدخلان فى صدقات رسول الله صلى الله عليه وسلم كلها إلا مشربة أم إبراهيم ، ثم يُفضِى إلى السورين على قصر مروان بن الحكم ، ثم يأخذ بطن الوادى على قصر بنى يوسف ، ثم يأخذ فى البقيع حتى يخرج على بنى حديلة ، والمسجد ببطن مهزور ، وآخره كومة أبى الحرة ، ثم يمضى فيصبُّ فى وادى قناة ، انتهى .

ومقتضاه أن الشعبة التى تجتمع من مهزور بمذينب بالفضاء المذكور تسقى بعد ذلك . فكأنها صرفت عن جهة الصدقات إلى بطحان ، أو أن كلامه مُؤَوَّل ؛ لأن المعروف اليوم أن الشعبة التى تلقى مذينب من مهزور تصبُّ بعد اجتماعهما فى بطحان كما سبق ، والذى يسقى ماذكر من الصدقات ويمر بالبقيع إنما هو شعبة أخرى من مهزور ، ولا تجتمع بمذينب ، بل تمر على الصافية وما يليهـا من الصدقات ، ثم تغشى بقيع الغرقد والنخيل التى حوله خصوصاً الجزع المعروف بالحضارى ، فاتخذ لذلك شيخ الحرم الزينى مرجان التقوى حفظه الله تعالى طريقاً إلى بطحان ، وحفر له مجرى من ناحية الصدقات ، فصارت الشعبة المذكورة تصب أيضاً فى بطحان ، ولا تمر بالبقيع ، ولم يتعرض ابن شبة للشعبة التى تشق من مهزور إلى العريض وهو معظمه بسبب السد المبنى هناك ، وقد اقتصر عليها المطرى فقال : مهزور شرقى العوالى ، شمالى مذينب ، ويشق فى الحرة الشرقية إلى العريض ، ثم يصب فى وادى الشظاة .

قال الزين المراغى عقب نقلِهِ : وكأن حَرَّةَ شوران أى المذكورة فى كلام ابن زبالة هى الحرة الشرقية .

وقال ابن شبة : وكان مهزور سال فى ولاية عثمان رضى الله تعالى عنه سيلا عظيما على المدينة خيف على المدينة منه الغرق ، فعمل عثمان الردم الذى عند بئر مدرى ليرد به السيل عن المسجد وعن المدينة .

وذكره ابن زبالة فقال : وأما الدلال والصافية فيشربان من سَرْحِ عثمان ابن عفان الذى يقال له مدرى الذى يشق من مهزور فى أمواله ويأتى على أريس وأسفل منه حتى يتبطن الصورين ، فصَرَفَه مخافة على المسجد فى بئر أريس ، ثم فى عقد أريم ثم فى بَلْحَارث بن الخزرج ، ثم صرفه إلى بطحان ، انتهى .

وقال ابن شبة عقب ما تقدم : ثم سال وعبدُ الصمد بن على وال على المدينة فى خلافة المنصور سنة ست وخمسين ومائة ، فخيف منه على المسجد فبعث إليه عبدُ الصمد عبيد الله بن أبى سلمة العمرى ، وهو على قضائه ، ونَدَبَ الناس فخرجوا إليه بعد العصر — وقد طغى وملأ صدقات النبى صلى الله عليه وسلم — فدلوا على مصرفه ، فحفروا فى برقة صدقة النبى صلى الله عليه وسلم ، فأبْدَوْا عن حجارة منقوشة ففتحوها فانصرف المـاء فيها وغاض إلى بطحان . دلهم على ذلك عجوز مُسِنة من أهل العالية ، قالت : إنى كنت أسمع الناس يقولون : إذا خيف على القبر من سيل مهزور فاهدِموا من هذه الناحية ، وأشارت إلى القبلة ، فهدمها الناسُ فأبْدَوْا عن تلك الحجارة ، انتهى .

وذكره ابن زبالة مع مخالفة فى التاريخ فقال : وفى ليلة الأربعاء هلال المحرم سنة ثمان وخمسين ومائة فى إمارة عبد الصمد لمـا أصيب المسجدُ بتلك الغَرْقَةِ استغاث الناسُ على سيل مهزور مخافة على القبر ، فعمل الناس بالمَسَاحى والمَكَاتل والماء فى برقة إلى أنصاف النخل ، فطلعت عجوز من أهل العالية فقالت : أدركتُ الناسَ يقولون : إذا خيف على القبر فاهدموا من هذه الناحية ، يعنى القبلة ، فدار الناسُ إليها فهدموا وأبْدَوْا عن حجارة منقوشة ، فعدل الماء إلى هذا الموضع اليوم وأمِنُوا ، وهىَ الليلة التى هدمت فيها بيوت بطحان و بنى جشم ، انتهى .

ونقله المراغى إلا أنه قال كما رأيته بخطه : وأبدوا حجارة منقوشة ، وضبط

الباء بالتشديد ، والذي في كلام ابن زبالة وابن شبة ماقدمته ، قال المراغي عقبه :
و بنو جشم لاتعرف ، و إنما المعروف دشم ــ بالدال ــ بستان شامي مسجد الفعلة
على نحو رميتي سهم منه ، فلعلها منازلهم ، ووقع في الأسم تغيير .

قلت : والظاهر أن المراد منازل بني جشم بن الحارث بالسنح لقربها من
بطحان ، فطغى الماء إليها لما صَرَفُوه .

تتمة

فيما قضى به النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الأودية

قضاؤه بين رجل من الأنصار والزبير

روينا في الصحيحين وغيرهما عن عبد الله بن الزبير أن رجلا من الأنصار
خاصَمَ الزبير في شراج الحرة التي يَسْقُونَ بها النخل ، فقال الأنصاري : سرح
الماء يمر ، فأبى عليه ، فاختصما عند النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم للزبير : اسْقِ يازبير ثم أرسِلِ الماء إلى جارك ، فغضب الأنصاريُّ ،
فقال : أنْ كانَ ابنَ عمتك ؟ فتلَوَّنَ وجهُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال :
اسْقِ يازبير ثم احْبِسِ الماء حتى يرجع إلى الجدر .

وفي رواية للبخاري : حتى يرجع الماء إلى الجدر ، فكان ذلك إلى
الكعبين ، وفي أخرى له : كان النبي صلى الله عليه وسلم أشار على الزبير برأي فيه
سَعة ، فلما أحْفظَ الأنصاري النبيَّ صلى الله عليه وسلم ــ أي أغضبه ــ استوفى
للزبير حقه في صريح الحكم .

والجدر قيل : أصل الشجرة ، وقيل : جدور المشارب التي يجتمع فيها الماء
في أصول النخل ، وقيل : المسحاء وهو ما وقع حول المزرعة كالجدار ، وقال ابن
شهاب : قدرت الأنصارُ والناسُ ماقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان ذلك
إلى الكعبين .

قضاؤه في سيل مهزور

وفي سنن أبي داود عن ثعلبة بن أبي مالك أنه سمع كُبَرَاءهم يذكرون أن
رجلا من قريش كان له سهم من بني قريظة ، فخاصم إلى النبي صلى الله عليه

وسلم فى مهزور السيل الذى يقسمون ماءه ، فقضى بينهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الماء إلى الكعبين لايحبس الأعلى على الأسفل .

وفى رواية له : قضى فى السيل المهزور أن يمسك حتى يبلغ الكعبين، ثم يرسل الأعلى على الأسفل ، كذا قال فى « السيل المهزور » والمشهور كما قال السبكى « فى سيل المهزور » .

وفى الموطأ أن النبى صلى الله عليه وسلم قال فى سيل مهزور ومذينب : يمسك حتى الكعبين ، ثم يرسل الأعلى على الأسفل .

وروى ابن شبة : قَضَى فى سيل مهزور أن يمسك الأعلى على الأسفل حتى يبلغ الكعبين والجدر ، ثم يرسل الأعلى على الأسفل ، وكان يسقى الحوائط .

وعن جعفر قال : قضَى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى سيل مهزور أن لأهل النخيل إلى العقيق ، ولأهل الزرع إلى الشراكين ، ثم يرسلون الماء إلى مَنْ هو أسفل منهم .

وهو صريح فيما قاله المتولى والماوردى من أن التقدير بالكعبين ليس على عموم الأزمان والبلدان والزرع والشجر ؛ لأن الحاجة تختلف ، ولم يقف السبكى على هذه الرواية فقال : وهو قوى ، والحديث واقعة حال ، ولولا هَيبَة الحديث لكنت أختاره .

خاتمة

فى مجتمع الأودية ومَغَائضها

مجتمع سيول العالية

قال الزبير : ثم يلتقى سيل العقيق ورَانُونَا بوادٍ آخرَ وذى صلب وذى ريش وبطحان ومعجف ومهزور وقناة بزغابة ، وسيولُ العوَالى هذه يلتقى بعضها ببعض قبل أن يلتقى العقيق ثم يجتمع ، فيلتقى العقيق بزغابة .

قلت : والحاصلُ أن سيول العالية ترجع إلى بطحان وقناة ، ثم تجتمع مع العقيق بزغابة عند أرض سعد بن أبى وقاص كما صرح ابن زبالة .

قال الزبير : وذلك أعلى وادى إضم ، وفيه يقول إسحاق الأعرج :

غَشِيتُ دياراً بأعلى إضَمْ محاها البِلَى واختلافُ الدِّيَمْ

قال المجرى : سمى إضم لانضمام السيول به واجتماعها فيه ، وقال ابن شبة : تجتمع هــذه الأودية بزغابة ، وهو بطرف وادى إضم ، سمى بإضم لانضمام السيول به .

قلت : ويسمى اليوم بالضيقة ، ويسمى زغابة بمجتمع السيول ، ولهــذا أورد الزبير هنا حديث أن النبي صلى الله عليه وسلم « رَكِبَ إلى مجتمع السيول فقال : ألا أخبركم بمنزل الدجال من المدينة ـ الحديث » .

قال الزبير : ثم تمضى هذه السيول إذا اجتمعت فتنحدر على عين أبى زياد والصورين فى أدنى الغابة، ثم تلتقى هذه السيول فى وادى نقمى ووادى نعمان أسفل من عين زياد ، ثم تنحدر هــذه السيول فتلقاها سيول الشعاب من كنفيها ، ثم يلقاها وادى ملك بذى خشب وظلم والجنينة ، ثم يلقاها وادى ذى أوان ودوافعه من الشرق ، ويلقاها من الغرب وادٍ يقال له بواط والحزار ، ويلقاها من الشرق وادى الأثمة ، ثم تمضى فى وادى إضم حتى يلقاها وادى برمة الذى يقال له ذو البيضة من الشام ، ويلقاها وادى ترعة من القبلة ، ثم يلتقى هو ووادى العيص من القبلة ، ثم يلقاه دوافع وادٍ يقال له حجر ووادى الجزل الذى به السقيا والرحبة فى نخيل ذى المروة مغربا ، ثم يلقاه وادى عمودان فى أسفل ذى المروة ، ثم يلقاه وادٍ يقال له سفيان حين يُفْضِى إلى البحر عند جبل يقال له أراك ، ثم يدفع فى البحر من ثلاثة أودية يقال لهــا اليعبوب والنتيجة وحقيب ، وذكر ابن شبة نحوه ، وكذا المجرى .

وقال المطرى : إن السيول تجتمع بدومة ســـيل بطحان والعقيق والزغابة والنقمى وسيل غراب من جهة الغابة فيصير سيلا واحدا ويأخذ فى وادى الضيقة إلى إضم جبل معروف، ثم إلى كرى من طريق مصر ويصب فى البحر ، انتهى .

وفيه أمور : الأول : جعله مجتمع السيول برومة ، وإنما مجتمعها بزغابة كما سبق ، وذلك أسفل من رومة غربى مشهد سيدنا حمزة كما قاله المجرى ، وهو أعلى وادى إضم ، ومأخذ المطرى قول ابن إسحاق فى غزوة الخندق : أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع السيول من رومة بين الجرف وزغابة ، وهو مخالف لما سبق

الثانى : جعله لزغابة سيلا ينصب لرومة ، ورومة هى التى تنصب إلى زغابة .

الثالث : جعله النقمى مما يجتمع مع السيول برومة ، مع أنه المعبر عنه فيما سبق بنقمى ، وإنه يجتمع مع السيول بالغابة .

الرابع : جعله لغراب سيلا يجتمع برومة ، ولم أقف له على مستند ، وغراب جبل فى تلك الجهة على طريق الشام .

الخامس : جعله إضَمَ اسم جبل ، ومغايرته بينه و بين وادى الضيقة ، خلاف ما تقدم ، واختلف اللغويون فى أن إضم اسم لموضع أو جبل هناك ، والظاهر أنه اسم للجبل وواديه .

الفصل السادس

فيما سمى من الأحماء ، ومَنْ حماها ، وشرح حال حمى النبى صلى الله عليه وسلم

معنى الحمى

والحمى ، لغةً : الموضع الذى فيه كلأ يُحْمَي ممن يرعاه ، وشرعاً : موضع من المَوَات يمنع من التعرض له ليتوفر فيه الكلأ فترعاه مواشٍ مخصوصة . وهو بالقصر ، وقد يمد ، و يكتب المقصور بالألف والياء ، قال الأصمعى : الحما حِمَيَان : حمى ضَرِيَّة ، وحمى الرَّبَذَة ، وكأنه أراد المشهور من الحمى بنجد ، قال صاحب المعجم : ووجدت أنا حمى فيد ، وحمى النير ، وحمى ذى الشرى ، وحمى النقيع .

حمى النقيع

قلت : وهى عدا النقيع بنجد، وهى متقاربة ، بل سيأتى ما يؤخذ منه دخول النير فى حمى ضرية . والنقيع بالنون المفتوحة والقاف المكسورة والياء التحتية

الساكنة والعين المهملة على الصحيح المشهور ، وهو كل موضع يستنقع فيه الماء ، وبه سمي هذا الوادى . وحكى عياض عن أبى عبيد البكرى أنه بالباء كبقيع الغَرْقَد ، قال : ومتى ذكر دون إضافة فهو هذا .

قلت : الذى نقله السهيلى عن أبى عبيد أنه بالنون ، قال عياض : وأما الحمى الذى حَمَاه النبى صلى الله عليه وسلم ثم الخلفاء الأربعة فهو الذى يضاف إليه غور النقيع ، وفى حديث آخر « أتى بقدح لبن من النقيع » . وحمى النقيع على عشرين فرسخاً من المدينة ، وهو صَدْرُ وادى العقيق ، وهو أخصب موضع هناك ، وهو ميل فى بريد ، فيه شجر ، ويستأجم حتى يغيب فيه الراكب ، فاختلف الرواة وأهل المعرفة فى ضَبْطه : فوقع عند أكثر رواة البخارى بالنون ، وذكر نحو ما تقدم ، وهو موافق فى ذكر المسافة لأبى على الهجرى ، وقد تقدم عنه أنه ينتهى إلى حضير ، وأن العقيق يبتدىء من حضير ، ولعل المراد من رواية ابن شبة فى أن النقيع على أربعة بُرُدٍ من المدينة طرفه الأقرب إليها ، ومراد الهجرى طرفه الأقصى .

وقال نصر : النقيع قربَ المدينة كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، حَمَاه ، وهو من ديار مزينة ، وهو غير نقيع الخضمات ، وكلاهما بالنون ، وأما الباء فيهما فخطأ صُرَاح .

وقال الهجرى : الطريق إلى الفرع وسيارة وسنانة والصابرة والقرنين جند والأكحل وأموال تهامة ؛ تعترض النقيع يساراً للخارج من المدينة ، وبعض الناس يجعلها إلى مكة ، وهى طريق التهمة .

ونقل أيضاً أن أول الأحماء وأفضلها وأشرفها ما أحمى النبي صلى الله عليه وسلم من النقيع ، أحماه لخيل المسلمين وركابهم ، فلما صلى الصبح أمر رجلا صَيِّتاً فأوفى على عسيب وصاح بأعلى صوته ، فكان مَدَى صوته بريدا ، ثم جعل ذلك حمى

طوله بريد وعرضه الميل فى بعض ذلك وأقل ، وذلك فى قاع مدر طيب ينبت أحرار البقل والطرائف ويستأجم ـ أى يستأصل أصله ويغلظ نبته حتى يعود كالأجمة ـ يغيب فيه الراكب إذا أحيا ، وفيه مع ذلك كثير من العِضَاهِ والغَرْقد والسِّدْر والسَّيَال والسَّلَم والطَّلْح والسَّمُر والعَوْسج ، ويحف ذلك القاع الحرة حرة بنى سليم شرقاً ، وفيها رياض وقيعان ، ويحف ذلك القاع من غربيه الصخرة ، وفى غربيه أيضاً أعلام مشهورة مذكورة : منها برام ، والوائدة ، وضـــاف ، والشقراء ، وبيطن قاع النقيع فى صير الجبل غُدُر تضيف ، فأعلاها يراجم ، ثم ألبَن ، وبعضهم يقول : يَلْبَن، وهو أعظمهما وأذكرهما .

وفى سنن أبى داود بسند حسن عن الصَّعْب بن جَثَّامة أن النبى صلى الله عليه وسلم حمى النقيع وقال « لا حِمَى إلا لله » .

وفى رواية له : « لا حمى إلا لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم » من غير ذكر حمى النقيع كما فى الصحيح ، ورواه الزبير بلفظ الرواية الأولى ، وزاد « ولرسوله » وسنده حسن .

وروى أحمد بسند فيه عبد الله العمرى ـ وهو ثقة ، وإن ضَعَّفه جماعة، وقال الذهبى : إنه حسن الحديث ـ عن ابن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم حمى النقيع للخيل ، فقلت له : لخيله ؟ قال : لخيل المسلمين .

وفى رواية لابن شبة عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم حَمَى قاع النقيع لخيل المسلمين .

وفى رواية أخرى أن النبى صلى الله عليه وسلم حمى النقيع للخيل ، وحمى الربذة للصدقة ، وفى الكبير للطبرانى برجال الصحيح عن ابن عمر قال : حَمَى النبى صلى الله عليه وسلم الربذة لإبل الصدقة .

وروى ابن شبة فى ترجمة ما جاء فى النقيع بسند جيد عن رجاء بن جميل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حَمَى وادىَ نخيل للخيل المُضَمَّرة ، وهى تقتضى أن

النقيع تسمى بذلك ، ولم أر من صرح به ، نعم تقدم فى الفصل الثالث قول ذؤيب الأسلمى فى عرصة العقيق :

* طاف من وادى دجيل *

الأبيات وهو بالدال فى عدة نسخ ، والذى فى نسخة ابن شبة بالباء بدل الدال ، ولعله تصحيف ، فيكون ذلك اسماً للنقيع ، ويؤيده قول مصعب الزبيرى يتشوق إلى رومة من العقيق فى أبيات :

أعِرْنِى نظرةً بقرى دجيل   نخائلها ظلاماً أو نهارا
فقال:أرى برومة أو بسَلْعٍ   منازلَهَا مُعَطَّلة قفَارا

وروى الزبير بن بكار عن مراوح المزنى قال : نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنقيع على مقمل وصليب ، وقال فى حمى النقيع : « نِعْمَ مَرْتَعُ الأفراس ، يُحْمى لهن ، ويجاهد بهن فى سبيل الله » وحَمَاه ، واستعملنى عليه .

وعن غير واحد من الثقات عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه « صَلّى على مقمل ، وحماه وما حوله من قاع النقيع لخيول المسلمين » ثم زادت بنو أمية بعد والأمراء أضعافَ ما حَمَى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنقيع .

وعن محمد بن هيصم المزنى عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « أشرف على مقمل طرف وسط النقيع ، فصلى عليه ، فمسجده هنالك » .

قال ابن هيصم عن أبيه : فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم أبى، وقال : إنى مُسْتَعْمِلُكَ فى هذا الوادى ، فما جاء من ههنا وههنا — يشير نحو مطلع الشمس ومغربها — فامْنَعْهُ ، فقال : إنى رجل ليس لى إلا بنات ، وليس معى أحد يعاوننى ، قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله عز وجل سيرزقك ولداً ، ويجعل لك ولياً » قال : فعمل عليه ، وكان له بعد ذلك ولد ، فلم تزل الوُلاَة يولون عليه والياً منذ عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يستعمله والى المدينة ، حتى كان داود بن عيسى فنزله سنة ثمان وتسعين ومائة ، وإنما تركه داود

لأن الناس جَلَوْا عنه للخوف ذلك الزمان ، فلم يبق فيه أحد يستعمله عليه ، قال الزبير : وربما كَتَبَ إلىّ عبدُ الله بن القاسم وهو فى ماله بنعف النقيع يقول لى : إن ناساً عندنا بالنقيع قد عَاثُوا فى حِمَى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكلم الأمير يكتبُ فى التشديد فيه .

وفى رواية أنه صلى الله عليه وسلم « صَلى فى موضع مسجده على موضع مقمل ثم بعده إلى ما بينه و بين يلبن من قاع النقيع » .

وقال : نحمى لأفراس تغدو وتروح فى سبيل الله ، ومد رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه ، وقارَبَ بينهما ، ولم يضمهما ، وحَمَاه ، واستعمل عليه جد أبى الحليس ، فقال : يا رسول الله ، أولادى النساء ، وليس معى غناء ، قال : فقم بهن معك فارْدُدْ ما جاء من الحرة فى الحرة ، واردد ما جاء من الصحرة فى الصحرة ، قال يعقوب المزنى : ثم تزايَدَ الناسُ بعدُ فى الحمى ، فحموا ما بين تراجم إلى يلبن ، واتخذوا المرابد يحبسون فيها ما رعى الحمى من الإبل ، حتى رأيت بعضها يأكل دبر بعض ، قال الزبير : وقال لى : لقد رأيتُ لأبيك أكثرَ من ثلاثة آلاف شاة بالنقيع ، وهو إذ ذاك أمير المدينة ، ما يرعى رعاؤه منها شيئاً فى الحمى ، حتى يكتمل العشب ويبلغ نهايته ، فيرسل عامل الحمى صائحاً يصيح فى الناس يُؤْذنهم باليوم الذى يأذن لهم يرعون الحمى ، فيسرع فيه رعاء أبيك والناس يداً واحدة كفرَسَىْ رِهانٍ .

حكم الحمى

قلت : مقتضاه جواز رَعْى الحمى للناس إذا استووا فيه، وهو مخالف لمذهبنا ؛ إذ لا يَدْخُله سوى العاجز عن النُّجْعَة من الناس .

قال الشافعى : قوله صلى الله عليه وسلم : « لا حمى إلا لله ورسوله » يحتمل معنيين :

أحدهما : ليس لأحد أن يحمى للمسلمين غير ما حمى صلى الله عليه وسلم ؛ فلا يكون لوالٍ أن يحمى .

والثانى : أنه لا يحمى إلا على مثل ما حمى رسول الله صلى الله عليه وسلم فللخليفة أن يحمى على مثل ما حمى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

والثانى هو أظهر القولين ، وهو قول الأزهرى ، وقال : يعنى للخيل التى تُرْكَبُ فى سبيل الله ، وقيل : معناه ليس لأحد أن يحمى لنفسه إلا النبى صلى الله عليه وسلم ، فإن ذلك من خصائصه ، وإنْ لم يقع منه ، ولو وقع لكان من مصالح المسلمين ؛ لأن مصلحته مصلحتهم .

وقال فى الأم : كان الرجل العزيز من العرب إذا استنجع بلدا مُخْصِباً أَوْفَى بكلبٍ على جَبَل إن كان أو نَشَز إن لم يكن جبل ، ثم استَعْواه ووقف له من يسمع منتهى صوته ، فحيث بلغ صوتُه حَمَاه من كل ناحية ، ويرعى مع العامة فيما سواه ، ويمنع هذا من غيره لضعفى سائمته ، وما أراد قربه منها ؛ فيرى أن قوله صلى الله عليه وسلم والله أعلم « لا حمى إلا لله ولرسوله » لا حمى على هذا المعنى الخاص ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم إنما كان يحمى إن شاء لمصالح عامة المسلمين ، لا لما حمى له غيره من خاصة نفسه ، وذلك أنه لم يملك إلا ما لا غنى به وبعياله عنه ، وصير ما ملكه الله من خمس الخمس مردوداً فى مصلحتهم ، وماله ونفسه كان مفرغا فى طاعة الله .

حمى أبى بكر وعمر

قال : وقد حمى بعده عمر رضى الله تعالى عنه أرضاً لم يعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حماها ، وقال غيره : حمى أبو بكر رضى الله تعالى عنه ، وحمى عمر الشرف ، قيل : والربذة ، وقيل : حماها أبو بكر ، وقيل : النبى صلى الله عليه وسلم ، ولعله حمى بعضها ثم زاد كل منهما بعده فيها شيئاً .

وسيأتى عن الهجرى أن عمر أول ما أحمى بضرية ، وأن عثمان زاد فيه .

وما حماه رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجوز تغييره بحال ، بل ينسحب عليه حكم الحمى وإن زالت معالمه على الأصح ، بخلاف حمى سائر الأئمة ، قال

الشافعى : ويكره أن يقطع الشجر بالمدينة ، وكذا بوجّ من الطائف ، وكذا بكل موضع حَمَاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والموضع الذى حماه رسول الله صلى الله عليه وسلم لا شك فيه بالنقيع ، وأما الصيد فلا يكره فيه ، انتهى .

والمراد بالكراهة هنا كراهة التحريم .

وروى ابن عبد البر أن عمر رضى الله تعالى عنه بلغه عن يَعْلى بن أمية — ويقال : أمينة ، وكان عاملا على اليمن — أنه حمى لنفسه ، فأمره أن يمشى على رجليه إلى المدينة ، فمشى أياماً إلى صَعْدة ، فبلغه موت عمر ، فركب .

وروى الشافعى وغيره أن عمر استعمل مولاه هنيا على الحمى ، فقال له : ياهنى ضم جناحك للناس ، واتّقِ دعوة المظلوم فإن دعوة المظلوم مُجَابة ، وأدخل رب الصريمة والغنيمة ، وإياك ونَعَم ابن عفان وابن عوف ، فإنهما إن تهلِكْ ماشيتُهما يرجعا إلى نخل وزرع ، وإن رب الغنيمة يأتينى بعياله فيقول : يا أمير المؤمنين ، يا أمير المؤمنين ، أفتاركهم أنا لا أبالك ؟ فالماء والكلأ أهون علىّ من الدنانير والدراهم ، ألا وايم الله لعلىّ ذلك ، إنهم ليرون أنى قد ظلمتهم ، إنها لَبِلاَدهم قاتلوا عليها فى الجاهلية وأسلموا عليها فى الإسلام ، ولولا المال الذى أحمل عليه فى سبيل الله ما حَمَيْتُ على المسلمين من بلادهم شبرا .

قال الشافعى : وإنما نسب الحمى إلى المال الذى يحمل عليه فى سبيل الله لأنه كان أكثر ما عندهُ مما يحتاج إلى الحمى .

وعن مولى لعثمان بن عفان أنه كان معه فى ماله بالعالية فى يوم صائف ، إذ رأى رجلا يسوق بَكْرَيْنِ ، وعلى الأرض مثل الفراش من الحر ، فقال : ما على هذا لو أقام بالمدينة حتى يبرد ثم يروح ، انظروا مَنْ هذا ، فنظرت فإذا عمر بن الخطاب ، فقلت : هذا أميرُ المؤمنين ، فقام عثمان فأخرج رأسه من الباب ، فإذا لفحُ السَّمُوم ، فأعاد رأسه حتى حاذاه فقال : ما أخرجك هذه الساعة ؟ فقال : بَكْرَان

من إبل الصَّدَقه تخلفا فأردت ألحقهما بالحى ، وخشيت أن يضيعا فيسألنى الله عنهما ، فقال عثمان : هَلُمَّ إلى الماء والظل ونكفيك ، فقال : عُدْ إلى ظلك ، ومَضَى ، فقال عثمان : مَنْ أحَبَّ أن ينظر إلى القوى الأمين فلينظر إلى هذا ، فعاد إلينا فألقى نفسه .

وفى الموطأ عن يحيى بن سعيد أن عمر رضى الله تعالى عنه كان يحمل فى العام الواحد على أربعين ألف بعير ، يحمل الرجل إلى الشام على بعير ، ويحمل الرجلين إلى العراق على بعير .

وعن مالك قال : بلغنا أن الخيل التى أعَدَّها عمر رضى الله تعالى عنه ليحمل عليها فى الجهاد ومَنْ لا مركوب له عدتها أربعون ألفا .

وروى بعضهم أن عمر رضى الله تعالى عنه رأى فى رَوْثِ فرسِهِ شعيرا فى عام الرَّمَادة ، فقال : لأجعلن له من عرر النقيع ما يكفيه .

وفى رواية « المسلمون لايشبعون والشعير فى رَوْثك ، لتعالجن عرر النقيع » قال الخطابى : العرر نبت ينبته الثمام .

وقال عبد الرحمن بن حسان فى قاع النقيع :

أرقْتُ لبرق مستطير كأنه — مصابيح تخبو ساعة ثم تَلْمَحُ
يضىء سَنَاه لى سروراً ووَدْقُهُ — بقاع النقيع أو سَنَا البرق أبْرَحُ

وقال كُثَيِّر بن عبد الرحمن :

فَهَلْ أرَيَنْ كما قد رأيتُ — لعزَّةَ بالنعف يوماً حُمُولاَ
بقاع النقيع بصَحْن الحمى — يُبَاهِين بالرقم غيما مخيلا

وقال عبد العزيز بن وديعة المزنى :

ولنا بقدس فالنقيع إلى اللِّوَى — رَجْعٌ إذا لهث السبىُ الواقع
وادٍ قرارةُ ماؤه ونباتـه — يرعى المخاض به ووادٍ فارعُ
سعد يحرر أهلنـا بفروعه — فيه لنا حِرْزٌ وعَيْش رافـع

وقال أبو سلمى :

لنا منزلان مؤلف الماء مونق كريم ، وواد يحدر الماء قارع

وداران دار يرعد الرعد تحتها ودار بها ذات السلم فرابع

وهذا وماقبله يشير إلى ما سبق فى العقيق من أن صدوره مادفع فى النقيع من قدس وماقبل من الحرة وما دبر ، فهو يصب فى الفرع .

وقال أبو قطيفة :

ليت شعرى وأين منى لَيتٌ أَعَلَى العهدِ يَلْبن فَبَرَامُ[1]

أم كعهدى النقيعُ أم غيَّرته بعدنا المُعصِرَات والأيام

وقال عبد الله بن قيس الرقيات :

أزجرت الفؤاد منك الطروبا أم تصابَيْتَ إذ رأيت المشيبا

أم تذكرت آل سلمة إذ حلُّوا رياضا من النقيع ولوبا

ثم لم يتركوا على ماء عمق للرجال الورّاد منهم قلوبا

الفصل السابع

فى شرح حال بقية الأحماء ، وأخبارها .

حمى الشرف

منها : الشرف ، حماه عمر رضى الله تعالى عنه ، وليس هو شرف الروحاء ، بل موضع بكبد نجد .

قال نصر : الشرف كبد نجد ، وقيل : وادٍ عظيم تكتنفه جبال حمى ضرية والظاهر أنه مُرَاد مَنْ غاير بينه و بين حمى ضرية والربذة .

قال الأصمعى : الشرف كبد نجد ، وكانت منازل بنى آكل المُرَار ، وفيها

---

(١) يلبن — بفتح الياء المثناة تحت وسكون اللام ثم باء موحدة مفتوحة ثم نون — غدير بنقيع الحمى ، وبرام بفتح الباء الموحدة أوله ، وقد تكسر — جبل من أعلام النقيع اهـ .

اليوم حمى ضرية ، وفى أول الشرف الرَّبَذَة ، وهى الحمى الأيمن ، والشريف إلى جَنْبه يفصل بينهما السرير ، فما كان مُشْرِقاً فهو الشريف ، وما كان مغربا فهو الشرف ، انتهى .

ويحتمل أن المراد بقولهم « حمى الشرف والربذة » حمى ضَرِية والربذة لما سيأتى فى حمى ضَرِيَّةَ أنه كان يقال لعامله عامل الشرف ، ولم يفرد الهجرى فى أحماء نجد الشرف ، ولم يبين له محلا ، وإنما ذكر الربذة وضرية مع ماسيأتى فيهما.

وقال الأصمعى : كان يُقَال : من تَصَيَّفَ الشرف ، وتربَّعَ الحزم ، وشَتَّى الصمّان ؛ فقد أصاب المرعى .

حمى الربذة

ومنها : حمى الرَّبَذَة ــ قرية بنجد من عمل المدينة ، على ثلاثة أيام منها ، قاله المجد ، وفى كلام الأسدى مايقتضى أنها على أربعة أيام ، قال المجد : وكان أبوذَر الغفارى خرج إليها مُغَاضِباً لعثمان رضى الله تعالى عنهما ، فأقام بها إلى أن مات ، وتقدم قول الأصمعى إنها فى الشرف وإنها الحمى الأيمن ، وقال نصر : هى من منازل الحاج بين السليلة والعقيق ، أى الذى بذات عرق .

وفى تاريخ عبيد الله الأهوازى أنها خَرِبَتْ فى سنة تسعَ عشرة وثلثمائة ؛ لاتصال الحروب بين أهلها وأهل ضرية ثم استأمَنَ أهل ضرِيَّة إلى القرَامطة ؛ فاستنجدوهم عليهم ، فارتحل أهلُ الرَّبَذَة عنها فخربت ، وكانت أحسن منزل بطريق مكة .

وقال الأسدى : الرَّبَذَة لقوم من ولد الزبير ، وكانت لسعد بن بكر من فزَارة ، ووصف ما بها من البرك والآثار ، وقال : إن بها بئرا تعرف ببئر المسجد بئر أبى ذر الغفارى .

وتقدم أن النبى صلى الله عليه وسلم حَمَى الربذة لإبل الصدقة، وقيل : أبو بكر، وقيل : عمر ، وهو المشهور .

وروى ابن أبى شيبة بإسناد صحيح عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أن عمر حمى الربذة لنعم الصدقة ، ولهذا نقل الهجرى عن جماعة أن أول من أحمى الحمى

بالربذة عمر بن الخطاب لقصاص الصدقة ، وأن سَمَة حماه الذى أحمى بريد فى بريد ، وأن سُرَّة حمى الربذة كانت الحرة ، ثم زاد الوُلاَة بعدُ فى الحمى ، وآخر من أحماه أبو بكر الزبيرى لنَعَمِه ، وكان يرعى فيه أهلُ المدينة ، وكان جعفر بن سليمان فى عمله الأخير على المدينة أحماه لظهره بعدَ ما أبيحت الأحماء فى ولاية المهدى ، ثم لم يَحْمِهِ أحد منذ عزل بكار الزبيرى .

وأول أعلامه رحرحان جبل غربى الربذة على أربعة وعشرين ميلا منها فى أرض بنى ثعلبة بن سعد كثير القُنَان ، وأقرب المياه منه ماء يقال له الـكديد حفائر عادية عِذاب ، ثم أروم جبل عن يَسَار المُصْعد ، ويدعى الجندورة فى أرض بنى سُليم ، وأقرب المياه منه ماء لبنى سليم يدعى ذنوب داخل فى الحمى على اثنى عشر ميلا من الربذة ، ثم اليعملة ، وبها مياه كثيرة ، بينها وبين الربذة ثلاثة عشر ميلا ، ثم عن يسار المصعد هضبات حُمْر يدعين فوافى بأرض بنى سُليم ، على اثنى عشر ميلا من الربذة ، ثم عمود المحدث ، وهو عمود أحمر فى أرض محارب ، بأصله مياه تدعى الأقعسية ، على أربعة عشر ميلا من الربذة ، وهو بلد واسع .

حمى ضرية

ومنها : حمى ضرية ـ قرية سميت باسم بئر يقال لها ضرية ، وقال ابن الـكلبى : سميت ضرية بضرية بنت نزار ، وهى أم حلوان بن عمران بن إلحاف بن قضاعة ، وقال الأصمعى : ويقال ضرية بنت ربيعة بن نزار ، وقال نصر : ضرية صقع واسع بنجد ، ينسب إليه حمى ضرية ، يليه أميرُ المدينة ، وينزل به حاج البصرة ، قال أبو عبيد البكرى : ضرية إلى عامل المدينة ، وقال غيره : هى قرية عامرة قديمة فى طريق مكة من البصرة ، وهى إلى مكة أقرب ، غير أنها من أعمال المدينة يحكم عليها واليها .

وذكر الأسدى فى وصف طريق البصرة مايقتضى أن ضرية على نحو عشرة

أيام من مكة ، وأخبرنى أهل المعرفة بها أنها من المدينة على نحو سبع مراحل ، وأنها إلى المدينة أقرب .

وقال ابن سعد : سرية محمد بن مسلمة إلى القرطاء بطن من أبى بكر كانوا ينزلون البكرات بناحية ضرية ، و بين ضرية والمدينة سبع ليال ، انتهى .

وتقدم قول الأصمعى فى الشرف إن به حمى ضرية ، قال : وضرية : بئر ماؤها عذب طيب ، قال الشاعر :

ألا ياحبذا لَبَنُ الخلايَا   بماء ضَرِيَّةَ العَذْبِ الزلال

ونقل المجد أن أشهر الأحماء وأسْيَرَهَا ذكراً حمى ضرية ، وكان حمى كليب ابن وائل فيما يزعم بعض بادية طيىء ، قال : وذلك مشهور عندنا بالبادية يَرْوِيه كابر عن كابر ، وفى ناحية منه قبر كليب معروف إلى الآن .

قلت : وأخبرنى بذلك رئيس أهل نجد ورأسُها سلطان البحرين والقطيف فريد الوصف والنعت فى جنسه صلاحا و إفضالا وحسن عقيدة أبو الجود أجود ابن جبر أيده الله تعالى وسدده ، وقال : إن قبر كليب هناك معروف عند العرب يقصدونه ، قال : ودلنى عليه بعضُهم لأقصده ، فقلت : هو واحد من الجاهلية .

ونقل الهجرى أن أول مَنْ أحمى الحمى بضَرِيَة عمر بن الخطاب ، أحماه لإبل الصدقة وظهرَان الغُزَاة ، وأن سُرُوحَ الغنم العادية من ضرية ترعى على وجوهها ثم تؤوب بضرية ، وذلك ستة أميال من كل ناحية ، وضرية فى وسط الحمى ؛ فكان على ذلك حياةَ عمر وصَدْراً من ولاية عثمان ، ثم كثر النعم حتى بلغ أر بعين ألف بعير ، فضاق عنه الحمى ، فأمر عثمان أن يُزَاد مايسع إبل الصدقة وظهران الغزاة ، فزاد زيادة لم يحددوها ، إلا أن عثمان رضى الله تعالى عنه اشترى ماء من مياه بنى ضبينة[1] كان أدنى مياه غنى إلى ضَرِية يقال له البكرة عند هضبات يقال لها البكرات على نحو عشرة أميال من ضرية يذكرون أن البكرة دخلت فى حمى عثمان ، ثم لم تزل الولاة تزيد فيه ، واتخذوه مأكلة ، ومن أشدهم فيه انبساطا ومنعاً إبراهيم

(١) فى الخلاصة « بنى ضبيبة » .

ابن هشام المخزومى ، زاد فيه وضَيَّقَ على أهله ، واتخذ فيه من كل لون من ألوان الإبل ألف بعير ، ولم تزل حواط الحمى يقاتلون عليه أشدَّ القتال ، ويكون فيه الدماء ، وقاتل مرة حواط ابن هشام ورُعيان أهل المدينة وهم أكثر من مائتى رجل ناسا من غنى على ماء لغنى يقال له الساه قتالا شديداً ، فظفر الغنويون ، فقتلوا منهم اثنى عشر رجلا ، ثم صالحوهم على العقل ، لكل واحد مائة من الإبل ، فقال بعض الغنويين :

يال غنى إنه عقل النَّعَمْ وليس بالنَّوْم وترجيل اللِّمَمْ

وكان ناس من الضباب قدموا على ولد عثمان ، فاستسقوهم بالبكرة فأسقوهم ، فلم تزل بأيديهم .

وحفر عثمان عَيْناً فى ناحية أرض غنى خارجة عن الحمى بناحية الماء الذى يقال له نقى على نحو خمسة عشر ميلا من أضاخ ، وفقرت لها بها فقر كبيرة ، وابتنى عماله عندها قصراً أثره بين قرب واردات مقبل ، ولم تجْرِ ، فتركها العمال ، فلم يحرك ذلك السيح إلى اليوم .

ودفنت غنى فى فتنة ابن الزبير عنصر العين وتلك الفقر ، فنسيت عيونه وكل ما سلف من أضاخ فى شرقيها تميمى .

وأدنى مياه بنى تميم إلى أضاخ ماء يقال له أضيح لبنى الهجيم ، وقد دفن منذ دهر ، فقال ناس من بنى عبد الله بن عامر لأصهارٍ لهم من بنى الهجيم : نحن نستسقى لكم آل عثمان فنسقى ، فرغبوا فى ذلك ، فأجابهم آل عثمان ، فاستظعن الهجيميون قومهم إليه ، فلقيهم رعاء غنى ، فسألوهم ، فقالوا : إن بنى عثمان وَلَّوْنَا أمره ، وبلغ الخبر مَنْ بينهم من غنى ، فتواعدوا أن ينزلوا أدنى منازلهم من بقى ، فاجتمع منهم جمع كثيف ، وعلم بنو الهجيم أنهم إن ثبتوا يعظم البلاء ، فظعنوا ليلا إلى بلادهم ، وخاف بعضهم أن يُدْرَك فتركوا به الرحال وما ثقل وبَهْماً فى أرباقه يعنى العُرَى التى يشد بها البَهْمَ ، فغضب أصهار الهجيميين ، واستغضبوا آل عثمان ، فلما قدم

الحسن بن زيد المدينة ومعه بعض أصهـار الهجيميين فقالوا لآل عثمان : نجىء لـكم بخيـار تميم ومشايخ أضاخ يشهدون لـكم ، فاستعدى آل عثمان الحسنَ بن زيد على غنى ، وســألوه المحاكمة بأضاخ لقربها من بنى تميم ، وكلم آلُ عثمان عبدَ الله بن عمرو بن عبسة العثمانى ، فاجتمعوا عند أبى مطرف عامل الجيش بأضاخ ، وولى الخصومة من غنى الحصين بن ثعلبة أحد بنى عمرو الذين امتدحهم ابن عرندس بالأبيات الآتية ، فصـار كلما جاء العثمانى بشاهدٍ من تميم جاءه الغَنَوِى بشاهدين يخرجانه من قيس ، فلحق العثمانى بأهله ، فلم يزل بقى مَوَاتًا . وهذه الخصومة فى سنة خمسين أو إحدى وخمسين ومائة .

واحتفر عبدُ الله بن مُطِيع حفيرةً هى فى أيدى الضباب على بريد من ضرية على طريق أضاخ للمدينة فى ناحية شُعَبَى ، وكان الـكِنْدِيُّونَ يسقون ، وماؤهم يسمى الثريا ، ومنهم العباس بن يزيد الذى هجاه جرير بقوله :

أَعَبْداً حَلَّ فى شُعَبَى غَرِيبا ألُؤْماً لا أبالَكَ واغترابا

إذا حَلَّ الحجيجُ على قنيع يبيت الليـل يسترق العتابا

وقنيع : ماء للعباس الـكندى على ظهر محَجَّة أهل البصرة فى دارة من دارات الحمى يقال لها دارة عسعس ، فلما أجلى الـكنديون عن قنيع تنازعت بنو أبى بكر بن كلاب و بنو جعفر ، فقالت أبو بكر : نحن أحق بماء حلفائنا ، وقال الجعفريون : هو عند بيوتنا فنحن أحق به ، فجمع بعضهم لبعض بملتقى قنيع ، وكان سيد بنى جعفر عبود بن خالد ، ورأس أبى بكر معروف بن عبد الـكريم وأخته زوجة عبود أم ولده طفيل ، وكان طفيل من أشد بنى جعفر على أخواله ، فخرجت أمُّه ليلا لقومها ، فقالت : أشد بنى جعفر لـكم عداوةً ابنُ أختكم ، فإنه معلم بجبه حرمر ، فليـكن أول قتيل ، ثم تداعى القومُ للصلح على تحـكيم سلمة ابن عمرو العريقى ، وكتبوا بذلك وأشهدوا وتواعدوا أن يتوافوْا عنده بأربعين من كل بطن ، ثم نزلوا بسلمة عند الأجل ، فأقام أياما ينحر لهم كل يوم جزورا ،

ويعطف بعضهم على بعض، ويزهدهم فى قنيع ، فقالوا : إنالم نجئ لتنحر لنا إبلك ، فقال : حياكم الله يا بنى كلاب ، أتيتمونى فى أمر عار ذكره وأهجن ، ولست بحاكم حتى أعقد لنفسى أن لا تردُّوا أنتم ولا مَنْ وراءكم حكمى ، فأخذ عليهم الطلاق والعتاق والمواثيق ، ثم قال : أراكم يا بنى كلاب كلكم ظالم ، تقطعون أرحامكم فى غير مائسكم ، لاأرى لأحد منكم فيه حقا ، فَرَضُوا جميعاً ، فامتدحه شعراؤهم ، وكان شريفا حسن العلم بالسنن .

قال عقيل بن عرندس الكلابى يمدحه وأهلَ بيته بنى عمرو بقصيدة منها :

يا أيها الرجـــل المعنى شبيبته ... تبكى على ذات خَلْخَال وأسْوَار

خـيرتنـا وبنى عمرو فإنهمُ ... ذوو فضول وأحـــلام وأنظار

هَيْنُون لَيْنُون أيْسَار بنو يَسَر ... سُوَّاسُ مكرمة أبناء أيْسَار

مَنْ تَلْق منهم فقد لاقيتَ سيدَهم ... مثل النجوم تَسرى فى ضوئها السارى

وقال فيه وفى أخيه جامع أحد بنى بكر :

إذا ماغنى فأخرَتْهَا قبيـــلة ... فإن غنيًّا فى ذُرَى المجد أفْخَرُ

وكم فيهمُ من سيد وابن سيد ... ومن فارس يوم الكريهة مِسْعَرُ

همُ رتقُوا الفَتْقَ الذى كان باديًا ... وقامُوا بأفق الحق ، والحقُّ أنورُ

فرحنا جميعا طائعين لحكمه ... وهل يدفع الحكم الجليل المنور

واحتفر بعض بنى حسن بن على بالحمى ، واتخـذ إلى جنب حفرته عينا ساحت ثم خرجت فى غربى طخفة بشاطىء الريان على ثلاثة عشر ميلا من ضرية ، وهى بيد ناس من بنى جعفر ثم من بنى ملاعب الأسنة من جهة بنى أختهم الحسنيين .

وكان لبنى الأردم — وهم من بنى تميم بن لؤى — ماء قديم على طريق أهل ضرية إلى المدينة على ثمانية عشر ميلا من ضرية يسمى الجفر ، ومعهم نفر من بنى عامر بن لؤى ، فاحتفر سعيد بن سليمان الساحقى العارى عينا وأساحها وغرَسَ

عليها نخلا كثيرا على ميل أو نحوه من حفر بنى الأدرم بدارة الأسود جبل عظيم أسود ، وهى عامرة كثيرة النخل .

ولما ولى إبراهيم بن هشام المدينة احتفر بالحمى حفيرة [با]لهضب اليمنى على ستة أميال من ضرية على طريق البكرة إلى ضرية ، سماها النامية ، وأخرى بناحية شعبى بين ضرية وحَفْر بنى الأدرم على سبعة أميال من ضرية بواد يقال له فاضحة لأنه انفضاح أى انفراج واتساع بين جبال .

ولما هلك ابن هشام احتفر جعفر بن مصعب بن الزبير حفيرة إلى جنب حفيرة ابن هشام بفاضحة ، ونزلها بولده حتى مات ، فأقام ابنه محمد بمنزلة أبيه حتى خرج محمد بن إبراهيم بن عبدالله بن حسن فخرج مع محمد ، فلما قتل هرب إلى البصرة ، ثم رجع إلى فاضحة ، وتزوج من بنى جعفر ثم بنى الطفيل فأولد عبد الله فزوّجه ابنة القاسم بن جندب الفزارى ، وكان علما من أعلام العرب ينزل باللواء ، وكان القاسم لا يسير أبدا ، ولم يكن حج قط ، ولا يكاد يقدم ضرية ، وأولاد عبد الله من ابنته فى بقية من أموالهم بفاضحة .

واحتفر عبد الله حفيرة إلى جنب حفيرة جده ، ودفن حفيرة ابن هشام ، وأخفى مكانها .

واحتفر جُرْش مولى ابن هشام حفيرة على ميلين أو ثلاثة من حفر بنى الأدرم وحفرة المساحق سماها الجرشية ، ثم اشتراها ناس من ولد رافع بن خديج من الأنصار ، وأحدثوا بقربها حفيرة بقطيعة السلطان ، فنازعهم محمد بن جعفر ابن مصعب بحق بنى الأدرم ، وكان من أشد الرجال ، فقاتلهم وحده ، فاجتمعوا فأصابه رجلان منهم بفرعين خفيفين فى رأسه ، فأخذهما أسرى حتى أقدمهما ضرية ، واستَعْدَى عليهما الحسن بن زيد بالمدينة ، فضربهما بالسياط ، ثم عفا عنهما ، واختصموا فى الجرشية والحفيرة حتى قضى لبنى الأدرم والمساحقى ، فكلمهم الناسُ فـبقوهم بهما ، وكان الأنصاريون أهل عمود وماشية ، فلما كانت الفتنة

أكلتهم لصوص قيس من كلاب وفزارة ، فلحقوا بطيء وناسبوهم ، فأمنوا مدة ، ثم غارت عليهم لصوص طيء فتفرقوا وتركوا البادية ، وكانت بنو الأدرم و بنو بحير القرشيون قد كثروا بالحفر ، ثم وقع بينهم شر ، وكان جيرانهم من قيس يكرمونهم ، فلما تفاسدوا جعل بعضهم يهيج اللصوص على بعض ، فنهبهم بنو كلاب وفزارة ، وقتلوا بعض رجالهم ، فلحقوا بالمدينة ، وتفرقوا ، وقال عبد الجبار المساحقى لبنى فزارة فيما فعلوا بالقرشيين :

مهلا فَزَارَةَ مَهْلاً لا أبالَكُمُ   مَهْلاً فقد طال إعذارِى وَ إنذارى

فى أبيات

وكانت ضرية من مياه الضباب فى الجاهلية لذى الجوشن الضبابى والد شمر قاتل الحسين بن على رضى الله تعالى عنهما ، وكانت مسلمة الضباب يروون أن ذا الجوشن قال فى الجاهلية :

دَعَوْتُ الله إذ سَغِبَتْ عِيالى   لِيَجْعَلَ لى لَدَى وسط طعاما

فأعطانى ضَرِيَّةَ خَيرَ بِئْرٍ   تمجُّ الماء والحب التؤاما

ووسط : جبل على ستة أميال من ضرية يطأ الحاج المُصْعِد خيشومه ، و بناحيته اليسرى دارة سعتها ثلاثة أميال أو أربعة ، وقنيع فى أعلاها ، وهى بين وسط وعَسْعَس و يقال لها أيضا : دارة عَسْعَس ، وعسعس : جبل أحمر مجتمع فى السماء بهيئة رجل جالس له رأس ومنكبان .

وأما عين ضرية وسَيْحُها فيقال : إنه كان لعثمان بن عنبسة بن أبى سفيان ، وهو الذى حفرها واغترس النخل وضفر بها ضفيرة بالصخر لينحبس الماء ، وهو سد يعترض الوادى فيقطع ماءه وينحبس زمانا ليكون أغزر للعين ، فلما قام أبو العباس كان ذلك فيما قبضوا ، ففى آخر ولاية أبى العباس وكانت تحته أم سلمة المخزومية من بنى جعفر بن كلاب وقد أحالها معروف بن عبد الله عليه فأكرمه فسأله أن يقطعه عين ضرية فأقطعه ، وكان بدويا ذا زرع ، فلما أرْطَبَ نخلها

نزلها بأهله ، وكانت نعمه تَرِدُ عليه ، وسأله ناسٌ من ضَرِيَّةَ أن يعريهم من نخلِهِ ، فأعراهم ، وصار يجنى للضيفان من الرطب ، ويحلب لهم من إبله ، فمكث نحو شهرين ، فأتاه ضيفان بعد ماولى الرطب ، فأرسل فلم يؤت إلا بقليل ، وقال له الرسول : ذَهَبَ الرطب إلا ما ترى ، فقال : يسوءنى أن أعود على ضيفانى من نخلكم ، وكان قيمه على العين زَرَع قثاء وبطيخا ، فأتاه بشىء منه ، فقال : قبح الله ماجئت به ، أحذر أن يراه عيالى ، وكره النخل ، وأراد بيعه ، فاشتراه منه عبدُ الله الهاشمى عاملُ اليمامة بألفى دينار ، ثم ولاه جعفر بن سليمان إذ سأله إياه ، فأحدث بسوق ضرية حوانيت جعلها سماطين داخلين فى سماطَىْ ضرية الأولين فيهما نيف وثمانون حانوتا ، فربما جمعت غلة الحوانيت والنخل والزرع ثمانية آلاف درهم فى السنة ، وكان شأن الحمى عند ولاة المدينة عظيما ، كانوا يستعملون عاملا وحده ، وكانت إصابته فيه عظيمة ، وكان لحواطه سلطان عظيم ، وحواط كل ناحية : سادةُ القوم وأشرافهم ، وكان يقال لعامل الحمى :عامل الشرف .

وأقرب أجْبُلِ الحمى المصعد ـ أى أقرب ما ترى من جباله ـ جبل الستار على طريق البصرة ، أحمر مستطيل فيه ثنايا تسلك ، ومنه طريق البصرة ، بينه وبين أمرة خمسة أميال ، وهو فى دار غنى فى ناحية هضب الأشق ، وبالأشق مياه : منها الريان فى أصل جبل أحمر طويل ، ومن هضب الأشق هضبة فى ناحية عرفج يقال لها الشيماء ، وفى غربى الأشق سواج الطريق تطأ خيشومه .

ومتالع : جبل أحمر عظيم عن يمين أمرة ، على ثلاثة أميال منها البثاءة بينها من أكرم أعلام العرب موضعا .

ولما ولى أبو خليد العبسى خال الوليد عمل ضَرِية نزلها وحَفَر فى جوف الثَّنَاءة فى حق غنى قبره ، فلما ولى بنو العباس هدمت غنى تلك الحفرة وسَوَّوها بالأرض.

ولبنى عبس ماء فى شعب يقال له الأسودة، ولهم بالحمى ماء يقال له ضحيح[؟]

فى إبط رميلة الحمى حمى بنى حصبة ، ولهم الحاء بها نخل كثير ، ولهم مياه أخرى ، ثم الأقمس ، ثم تليه هضبات تدعى قطبيات فى إقبـال البئر ، ثم يليها هضبات يقال لها العرائس فى بلد كريم من الوضح فى إقبال البئر أيضا ، و بين العرائس جبل يقال له عمود الـكور .

شعر

شعر : جبل عظيم فى ناحية الوضح ، وعنده ماء يقال له الشطون ، أكثر الشعراء من ذكره ، قال الخضرى :

سَقَى اللهُ الشطون شطون شعر   وما بَيْنَ الـكواكب والغَدِيرِ

وعن يسار العرائس بالوضح جبال بينهن آبار صغار سود علاهن الرمل مشرفات على مهزول ، وهو وادٍ فى إقبال البئر ، وهن تسمين العثاعث ، ذكرهن ابن شوذب فى شعر مدح به السرى ، فقال من أبيات :

بربا العثاعث حيث واجهت الربا   سـند العروس وقابلت مهزولا

ثم يلى العثاعث ذو عثث وادٍ يصبُّ فى التسرير ، و يصب فيه وادى مرعى وهو بناحية الحمى ، ثم يليه نضاد ، وهو بطرف البئر الشرقى فى حقوق غنى ، ويلى البئر جبال كثيرة سود بعضها إلى بعض ، ومنها تخرج سيول التسرير ، و بنضاد وذى عثث تلتقى سيولها ، والخثحاث والبقر بأقبال نضاد ، وهما المعنيان بالحمى ، ثم يلى الأقمس عن يسار المصعد هضب اليلبين ، وأقرب المياه إليه ماء يقال له اليلبين ، و بين هضب اليلبين والر بذة نيف وعشرون ميلا ، ثم يلى هضب اليلبين عن يسار المصعد الجمارة قنان سود بينها و بين الربذة خمسة عشر ميلا ، فى مهب الشمال عن الربذة ، و بينهما هضب يقال لها سنام ، ثم يلى الجمارة جبال سود تدعى الهار بية ، بينها و بين الر بذة أر بعة عشر ميلا ، ثم هضب المنحر ، ثم رحرحان .

انتهى مالخصته مما نقله الهجرى ، وقد أكثر الشعراء وغيرهم من ذكر هذا الحمى وأعلامه وأخباره .

وحكى ابن جنى فى النوادر الممتعة عن المفضل بن إسحاق قال هو أو قال بعض المشيخة : لقيتُ أعرابيا فقلت : ممن الرجل ؟ فقال : من بنى أسد ، فقلت : فمن أين أقبلت ؟ قال : من هذه البادية ، قلت : فأين مسكنك منها ؟ قال : مساقط الحمى حمى ضَرية بأرض ها لعمر الله ما نريد بها بدلاً ولا عنها حِولا ، قد نصحتها الغدوات ، وحفتها الفَلَوات ، فلا يَمْلَوْلح ترابها ، ولا يمعر جنابها ، ليس فيها أذى ولا قذى ، ولا وعك ، ولا موم ، ولا حُمى ، فنحن فيها بأرْفَهِ عيش وأرغد معيشة قلت : وما طعامكم ؟ قال : بخ بخ ، عيشنا والله عيش يعلل حاديه ، وطعامنا أطيب طعام وأمرؤه وأهناه : الفَثُّ والهبيد والفطس والصليب والعنكث والعلهز والذآنين والطرائيث والحِسَلَة والضباب ، وربما والله أكلنا القد ، واشتوينا الجلد ، فما نرى أن أحداً أحسن منا حالا ، ولا أخصب جنابا ، ولا أرخى بالا ، فالحمد لله على ما بسط علينا من النعمة ، ورزق من حسن الدَّعَة ، أو ما سمعت قائلنا يقول :

إذا ما أصبنا كلَّ يوم مذيقة ... وخَمسَ تميرات صِغَارٍ كوانِزِ
فنحن ملوك الناس شرقا ومغربا ... ونحن أسود الناس عند الهزاهز
وكم مُتَمَنٍّ عيشَنَا لا يناله ... ولو نالَهُ أضْحَى به جِدُّ فائز

قلت : فما أقدمك هذه البلدة ؟ قال : بغية ليه ، قلت : وما بغيتك ؟ قال : بَكَرَات أضللتهن ، قلت : وما بكراتك ؟ قال : أبقات عرصات هبصات أرِنَات أوَابِ ، عِيط عَوَائط ، كُومٌ فَوَاسج ، أعز بتهن قفا الرحبة رحبة الخرجا ، ضجعن منى فحمةَ العشاء الأولى ، فما شعرت بهن إلى أن ترجل الضحى ، فقفوتهن شهرا ما أحِسُّ لهن أثراً ، فهل عندك جالبة عين أو جابية خبر ؟ لَقِيتَ المَرَاشد وكفيت المفاسد .

الموم — بالضم — البرسان . والفث — بالفاء ثم المثلثة — حب يعالج ويطحن ويؤكل فى الجدب .

والهبيد : حب الحنظل ينقع فى الماء و يعالج حتى يحلو . والفطس ــ بالسكون ــ حب الآس . والصليب ــ آخره موحدة ــ الوَدَك . والعنكث ــ بالمثلثة ــ نبت خشن شائك يعالجه الضب بذنبه حتى يتحات و يلين ثم يأكله . والعلهز : دم وو بر يلبك ليؤكل فى الجدب. والذآنين ــ بالمعجمة ــ جمع ذؤنون ، نبت معروف ، والطراثيث ــ بالطاء المهملة ومثلثتين بينهما مثناة تحتية ــ جمع طرثوث نبت أحمر . والحسلة ــ كقردة ــ جمع حِسْل ، وهو ولد الضب ، والعرص والهبص والأرَنُ : النشاط ، أوَابِ : جمع آبية ، وهى التى ضربت فلم تلقح ، عيط عوائط : بمعناه . وكوم فواسج: سمان . وأعز بهن : بيتُ بهن عازبا عن الحى . قفا الرحبة : خلفها الخرجا : موضع به حجارة فيها سواد و بياض . وضجعن : عدلن ومِلْن ؛ وجابية خبر : أى طريق خارقة .

حمى فيد

ومنها : حمى فَيْد ــ بالفاء ثم المثناة التحتية ــ منزل بنجد فى طريق الحاج العراق ، فيه سوق و برك ونخيل وعيون ، قيل : سميت بفيد بن حام ؛ لأنه أول من سكنها .

وقال ابن جبير : إنه خرج من المدينة النبوية يوم السبت صحبة الركب العراقى فوَصَلوا فيدا صبيحة الأحد التاسع من خروجهم ، وقال الأسدى : فيد بطيىء لبنى نَبْهَان ، و به أخلاط من أسد وهمدان وغيرهم ، و به ثلاث عيون : عين النخل احتفرها عثمان بن عفان ، والأخرى تعرف بالحارة فى وسط الحصن والسوق احتفرها المنصور ، والثالثة تعرف بالباردة على الطريق خارج المنزل حفرها المهدى ، و بفيد آبار كثيرة قصيرة الرشا ، انتهى .

وقال الهجرى : وأما حمى فيد وصفته فلم أجد أحداً عنده علم ممن كان أول من أحماه ، ولا كم كانت منعته أول ما أحمى ، إلا أن فيدا كان موضعه الذى هو به اليوم فلاة من الأرض بين بنى أسد وطيىء ، وكانت إلى جبل طيىء أقرب ، فذكر أهل العلم ممن لقيت من أهله أنه التقطت به ركبتان كانتا جاهليتين ، التقطهما

أناس من بنى أبى سلام ومعهم نفر من طيىء وهم يرعون هناك فى ولاية بنى مروان، وأن أول من حفر به حفراً فى الإسلام أبو الديلم مولى لفزارة ، فاحتفر العين التى هى اليوم قائمة وأساحها وغَرَسَ عليها ، وكانت فى يده حتى قام بنو العباس فقبضوها ، فهى اليوم فى أيديهم .

قلت : وكأنه لم يقف على ما ذكره الأسدى من عين عثمان رضى الله تعالى عنه ، ولعله أول مَنْ أحماه .

قال الهجرى : وأما أجبل حمى فيد فأولها على طريق الكوفة بين فيد والأجفر جبل يقال له الجبيل أحمر عظيم ، على ستة عشر ميلا من فيد فى أرض بنى أسد ، ليس بين فيد والكوفة جبل غيره ، ثم يليه الغمر جبل أحمر طويل على عشرين ميلا من فيد ، عن يسار المصعد لمكة ، وإلى جنبه ماء يقال له الرخيمة ، وماء يقال له الثعلبية ، وكل ذلك فى الحمى ، ثم عن يسار المصعد قبة سوداء تدعى أذنة ، على ستة عشر ميلا من فيد ، فى أرض بنى أسد ، وفى ناحيتها فى الحمى مياه يقال لها الوراقة . ثم عن يسار المصعد هضب الوراق لبنى أسد، وفى ناحيته مياه يقال لها أفعى ، ومياه يقال لها الوراقة ، ثم جبلان أسْوَدَانِ يُدْعَيَان القرنين فى أرض بنى أسد ، على ستة عشر ميلا من فيد ، والطريق إلى مكة تتوسطهما ، ثم عن يمين الطريق للمصعد جبل أسود يقال له الأحول فى أرض طيىء ، على ستة عشر ميلا من فيد ، وأقرب مياهه أبضة فى حرة سوداء ، ثم عن يمين المصعد جبل يقال له دخنان بأرض طيىء ، على اثنى عشر ميلا من فيد ، ثم جبل يقال له الغبر ، ثم جبلان يقال لهما جاش وجلذية لطيىء ، على أكثر من ثلاثين ميلا من فيد ، وههنا اتسع الحمى وكرم ، ثم الصدر على سبعة أميال وثلاثين ميلا من فيد ، ثم صحراء ليس بها جبل يقال لها صحراء الخلة ، عن يمين الأجفر ، على ستة وثلاثين ميلا من فيد وأقرب مياهها الجثجاثة .

ثم يليها على المحجة أكمة مشرفة على الأجفر . ثم سويقة هضبة حمراء طويلة

فى السماء ، وهى فى الحمى فى أرض الضباب ، على ثلاثين ميلا أو أكثر من ضرية ، وهى التى عنت جمل بنت الأسود الضبابية ، وذلك أنها جاورت بنى الهدر فى أعلى بلاد الضباب ، وهى متعالية لهم واد رغاث يقال له كراء فى علياء دار بنى هلال على ليلتين من الطائف ، وكانت بنو هلال ينهضون على أهله ، حتى جمعت لهم الضباب جمعا وقتلوا منهم وسَبَوْا ، وجاؤا ببعضهم إلى الحمى فهابوهم .

وللضباب ملك آخر يقال له العَرّى بناحية بيشة قرب تبالة ، فجاورت جمل بنى الهدر فى تلك الناحية ، وأغارت لصوصهم على عكرة لها يوم الأضحى ، واغتنموا تشاغل الناس بالعيد ، فقالت جمل وكانت بليغة :

بنى الهدر ماذا تأمرون بعكرة ... قلائد لم تُخْلَطْ بخبث نصابها
تظل لأبناء السبيل مُناخَةً ... على الماء يُعْطَى دَرُّهَا ورقابها
أقول وقد وَلَّوْا بهيت كأنه ... مَناكِبُ حوضى رملُها وهضابُها
أَلَهْفَ على يوم كيوم سُوَيْقَةٍ ... شفى غل أكباد فساغ شرابها
بنى الهدر لو كنتم كراما وفَيتُمُ ... لجارتِكم حتى يحينَ انقلاَبُهَا
ولكنما أنتم حمير حساءة ... مُجَدَّعَةُ الأذناب غُلْبٌ رقابُهَا

فأشارت بقولها « كيوم سويقة » إلى وقعة كانت للضباب مع عامل ضرية مهروب الهمدانى من قبل زياد بن عبيد الله الحارثى ، وذلك أن عاملا له مع حواط الحمى وجدوا نعما للضباب فى الحمى بناحية سويقة فطردوها أقبح الطرد ، فركبوا فى أثره ، فأصابوه بضرب ، وعَقَرُوا راحلته ، فأتى عامل ضرية ، فخرج بجنده وسخر رجالا معه من أهل ضرية كرها حتى لقى نعما للضباب فيها بعضهم ، فأسر نفرا منهم ، فبلغ الضباب ، فأدركوه بسويقة ، فكر عليهم ، فنادوا : يا أهل ضرية ، أنتم مُكْرَهُون فاعتزلوا ، ونادوه أن خل سبيل أصحابنا وما أصيب منا بالذى أصبنا منك ، فتراموا بالنبل حتى فنيت ، ثم اقتتلوا فانهزم ، وأدركوه فقطعوه بالسيوف ، وقتلوا نفرا من أصحابه ، ورجعوا بالأسرى .

ثم يلي سويقة جبل ذو قنان كثيرة ، ليس بالحمى أكبر منه إلا أن يكون شُعَبَى ، وهو جبل أسود ، فى أرض الضباب ، كثير المعادن من التبر ، كان به معدن يقال له النجادى ، كان لابن أبى نجّاد[1] ، لم يعلم فى الأرض مثله؛ فمن شيخ من موالى خُزَاعة أنه خرج منه مالم يسمع بمثله ، ورخص الذهب بالعراق والحجاز لما أن كثر حتى قل نيله لغلبة الماء عليه . وقر به قرية عظيمة ، وكان له عامل مفرد يخرج من المدينة .

كبد منى

ثم كبد منى : قنة عظيمة مفردة شرقى منى ، وهو جبل يشرف على ما حوله ينظر إليه الحجاج حين يصدرون عن أمرة ، و بين حليت ومنى جبل يقال له قادم ، و إلى جنبه قويدم ، و بهما مياه يقال لها القادمة من أطيب ماء بالحمى وأرقه ، يضرب بها المثل فى العذوبة ، بينها و بين منى دارة الفهيدة التى عقرت لها ناقة المنسرح وعقر لها ما عقر ، وذلك أنه كان تمثالا لا يكاد يبين ، وله صريمة يحلب عقيلتها لأمه ، فكانت حياتها لأن الناس أشتوا ، فبينا هو بدارة الفهيدة فى ولاية ابن هشام إذ دخلت الحمى فتركها فباتت فرآها بعض الحواط من الموالى ، فطرد الصريمة أقبح الطرد ، فعرض له المنسرح ليكفه ، ولا سلاحَ معه ، فطعَنَ الناقَةَ التى يحلبها المنسرح لأمه فى ضَرْعها فاختَلطَ لبنُها بدمها ، فحلف لا يسكن الحمى ولا يمس رأسه دُهْن حتى يعقر إبل مَنْ عقر ناقته ، فتوجه إلى قومه ، فأخبرهم خبره ، وطلب سيفا قاطعا لا يقع فى شئ إلا خرج منه ، فأعطوه إياه ، فأتى إبلا للمولى مهارى، فقال للراعى : أنا رسولُ مولاكم وهو بضرية يأمركم أن تَعْقِلوا خيار إبلكم فإنه نصيحكم لأمر حدث ، وأخرج لهم عُقلاً ، فصدقوه وحلبوا له ناقة ، فوضع الإناء، فقالوا : ألا تَغْتبق ، قال : دعوه حتى يبرد ، قال : و إنما كرهتُ أن أشرب اللبن وأعقر إبله .

فلما غَفَلُوا عنه أهْرَاقَه ، وعقلوا من خيار الإبل نحو ثلاثين ، فلما ناموا استلّ سيفَه وضرب ناقة على حقيبتها فمضى حتى فَلَقَ ضرعها ، وتواثبت الإبل ، فطفق

(١) فى معجم البكرى « لرجل من ولد سعد بن أبى وقاص يقال له نجاد بن موسى »

فى المُعَقْلَة عَقْراً حتى أتى عليها ، وقطع بعضها العُقُلَ فتبعها فما أدرك بعيراً إلا عقره ، وفَطِنَ الرعاء فرأوا ما يعمل السيف ، فولوا هَرَباً ، ثم دفن سيفه بالحمى ، وكان أعز عليه من نفسه ، وأرسل يخبر أهله ، وركب صاحب الإبل فى الناس حتى نظروا إليها ، وقال الرِّعاء : لا نعرفه إلا أنه بمقام ، فعرف أنه المنسرح ، وأمر ابن هشام بطلبه ، وأُخِذ إخوتُه وأهلُ بيته فحبسوا ، فسمع ، فجاء إلى العامل فقال : خَلِّ هؤلاء فأنا بغْيَتُك ، فحبسه وخَلاَّهم ، ورفعه فى وَثَاق إلى ابن هشام ، وخرج معه بعضُ أهل بيته ، قالوا : فلما قدمنا المدينة جعل يأتينا الرجلُ الشريف فيسألنا عن السيف ، ويقول : أرأيتم إن خَلَّصْتُ صاحبكم وضمنت عنه تأتونى بالسيف ، فننكر ولا نقر بشىء من أمر السيف ، فتوعَّدَه ابنُ هشام وسأله أن يقر ، فأبى ، وكلم أصحابه نفر من بنى مخزوم فى أن يؤخذ صاحبهم بالبينة أو يحلف ، فسأل ابن هشام خصمه البينة ، فلم يقمها ، فأمر بيمينه عند المنبر الشريف .

فلما قرب من المنبر وذكر له ما يحلف عليه ، واندفع يحلف ، شرح الله لسانه فقال : أحْلِفُ بالله لأنا عقرت إبل فلان بيدى ، ولقد برىء منها غيرى ، فردوه إلى ابن هشام ، وابتدرته قريش كل يقول : علىّ الإبل ، طمعاً فى السيف ، ثم اختلف علماء غنى ؛ فقال بعضهم : احتمل ذلك رجل من قريش ، وخلى سبيله ، وخرج معه رسول للسيف ، فطلبه فلم يقدر عليه ، وانطلق لسانه من يومئذ فسمى المنسرح.

ثم يلى كبد منى هضب الأشق . هذا آخر ما لخصته من كتاب الهجرى .

قد تم — بحول الله تعالى ، وقوته ، ومَعُونته — الجزء الثالث من كتاب «وفاء الوفا ، بأخبار دار المصطفى » للعلامة السمهودى ، ويليه — إن شاء الله سبحانه — الجزء الرابع ، وهو نهاية الكتاب ، ومطلعه « الفصل الثامن ، فى بقاع المدينة ، وأعراضها ، وأعمالها ، ومضافاتها ، وأنديتها ، وجبالها ، وتلاعها » نسأل الذى لا يعين على الخير سواه أن يمن علينا بإكماله ، ويوفقنا بفضله إلى إتمامه ؛ إنه ولى ذلك كله ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

فهرست الجزء الثالث

من كتاب «وفاء الوفا، بأخبار دار المصطفى»

لنور الدين على بن أحمد، المصرى، السمهودى، نزيل المدينة المنورة

تمت ـ بحمد الله تعالى وتوفيقه ـ فهرس الجزء الثالث من كتاب « وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى » .

والحمد لله أولا وآخراً ، وصلاته وسلامه على سيدنا محمد وآله وصحبه



بأخبار دار المصطفى

تأليف

نور الدين على بن أحمد ، المصرى ، السمهودىّ ، نزيل دار الهجرة

المتوفى فى عام ٩١١ من الهجرة

حَقَّقه ، وفَصَّله ، وعلق حَوَاشيه

محمد محيى الدين عبد الحميد

عفا الله تعالى عنه !



الطبعة الأولى ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م
الطبعة الثانية ١٣٩٣هـ - ١٩٧١م
الطبعة الثالثة ١٤٠١هـ - ١٩٨١م
الطبعة الرابعة ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م

الحمدُ لله الذى اختار رسولَه محمدا صلى الله عليه وسلم من أطيب الا رومات ، والصلاةُ والسلامُ الأتمّانِ الأكملاَن على أشرف الكائنات ، وعلى آله وصحبه الذين فَدَوْهُ بالأنفُس والأموال و بالآباء والأمهات . وعلى مَنِ اتبعه واتبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين .

الفصل الثامن

في بقاع المدينة ، وأعراضها ، وأعمالها ، ومضافاتها ، وأنديتها ، وجبالها ، وتِلاعها ، ومشهور ما في ذلك من الآبار ، والمياه ، والأودية ، وضبط أسماء الأماكن المتعلقة بذلك وبالمساجد والآطام والغزوات ، وشرح حال مايتعلق بجهات المدينة وأعمالها من ذلك ، على ترتيب حروف الهجاء الأول فالأول ، وربما اعتبرتُ في المركب المضافَ إليه لشهرته ، وهذا ممالايستغنى عنه : لعظم نفعه خصوصا للمشتغل بالحديث واللغة ، وقد اعتنى به المجد في كتابه « المغانم » ولخصتُ كلامه ، مع حذفِ مالا تدعو الحاجة إليه ، وزيادةِ ماهو أولى ، وميزت مازدته من الأسماء برقم (ز) على ذلك الاسم ، فنقول :

حرف الألف

آرام آرام – جبل بنواحي الرَّبَذَة ، كأنه جمع إرَم ، وهي حجارة تُنْصَب كالعَلَم ، وفيه يقول شاعر[١] :

ألاَ لَيْتَ شِعْرِي هَلْ تَغَيَّرَ بَعْدَنَا ... أرومٌ فَآرَامٌ فَشَابَةُ فالحضر

وَهَلْ تَرَكَتْ أُبْلِيْ سَوَادَ جِبَالِهَا ... وَهَلْ زَالَ بَعْدِي عَنْ قنينته الحجر

وجبل آخر بين مكة والمدينة ،وذو آرام :حزم به آرام جَمَعَتْها عادٌ على عهدها ، قاله ياقوت ، وقال أبو زيد : من جبال الضِّبَاب ذات آرام قُنَّة سوداء فيها يقول القائل :

تحلت ذات آرام ... ولم تخل عن مصر

آرة آرة – جبل كبير لمُزَيْنة فوق رأس قدس ممايلي الفَرْع ، قال مُزَرد[٢] لكعب ابن زهير بن أبي سلمى يعزوه إلى مُزَينة ويذكر مكانه من بني عبد الله ابن غَطَفَان :

---

(١) انظر معجم ياقوت (١ / ٩٠) .   (٢) في الأصول « يزيد » تطبيع .

وأنتَ امرُؤٌ من أهْلِ قُدْسٍ وَآرَةٍ أحَلَّكَ عَبْدُ اللهِ أكْنافَ مبهل

ومبهل لعبد الله بن غطفان .

وقال عرّام: وآرة يقابل قدسا الأسود من أشمَخ الجبال ، تخر من جوانبه عيون على كل عين قرية ، فمنها الفُرْع قرية كبيرة ، وأم العيال صدقة فاطمة الزهراء ، والمضيق قرية قريبة كبيرة أيضا ، والمحضة والوبرة والخضرة والفعوة ، وفى كلها نخيل ومزارع ، وأوديتها تصبُّ فى الأبواء ثم فى وَدَّان ، و يسمى وادى آرة حقيل و به قرية يقال لها و بعان ، وخلف آرة وادٍ فيه قرى ، انتهى .

آنقة آنقة – تقدم فيما يدفع فى العقيق من الأودية .

أبار ، وأبير أبار ، وأبير – بالضم ، والثانى مصغر – من أودية الأجرد ، يصبان فى ينبع

أبرق خترب أبرق خترب – بحمى ضَرِيَّة به مَعْدن فضة كثير النيل .

أبرق الداث أبرق الداث[1] – بالحمى أيضا ، وسيأتى شاهده فى جبلة ، والداث وادٍ عظيم بين أعلاه و بين ضرية نحو ثمانية أميال .

أبرق العزاف أبرق العَزَّاف – بعين مهملة ثم زاى مشددة آخره فاء ، بين المدينة والرَّبَذَة على عشرين ميلا منها ، به آبار قديمة غليظة الماء ، وسيأتى فى العَزَّاف أنه سمى بذلك لأنه كان يُسْمَع به عَزِيف الجن ، أى صوتهم .

وروى ابن إسحاق أن خريم بن فاتك قال لعمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : ألا أخبرك بِبَدْء إسلامى ؟ بينا أنا فى طلب نَعَم لى ومضى الليل بأبرق العزاف ، فناديت بأعلى صوتى : أعوذ بعزيز هذا الوادى من سُفَهَائه ، و إذا هاتف يهتف بى :

عُذ يافَتَى باللهِ ذِى الجَلالِ وَالمَجْدِ وَالنَّعْماء وَالإفْضَالِ

وَاقْرَأ بآيَاتٍ مِنَ الأنْفالِ وَوَحِّـــدِ اللهَ وَلاَ تُبالِ

فزِعْتُ من ذلك رَوْعاً شديداً ، فلما رجعت إلى نفسى قلت :

(١) فى ياقوت دأّاث بوزن شداد ، وفى البكرى دآثى بوزن كسالى .

يا أيها الهاتِفُ ما تَقُولُ أرَشَدٌ عندك أم تَضْلِيلُ
بَيِّنْ لَنَا هُدِيتَ ما السَّبِيلُ

قال فقال :

هٰذَا رَسُولُ اللهِ ذِى الخَيْرَاتِ يَدْعُو إِلىَ الخَيْرَاتِ وَالنَّجَاةِ
يأمُرُ بالصَّوْم وَبِالصَّــلاَةِ ونزع الناس عَنِ الهَنَاةِ

ثم ذكر شعرا آخر ومجيئه إلى النبي صلى الله عليه وسلم و إسلامه .

والأبارق كثيرة ، وهو لغة : الموضع المرتفع ذو الحجارة والرمل والطين .

أبلى أبلى ـ كحبلى ، قال عرّام بعد ذكر الحجر والرحضية : ثم يمضى نحو مكة مُصْعِدا فيميل إلى وادٍ يقال له عر يفطان حذاء جبال يقال لها أُبْلىٰ ، ثم ذكر مياهها الآتية وأنها لبنى سُليم .

قلت : هى معروفة اليوم بين السُّوَارقية والرحضية ، على نحو أربعة أيام من المدينة .

وعن الزهرى : بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قبل أرض بنى سُلَيم ، وهو يومئذ ببئر معاوية بجرف أُبْلىٰ ، وأُبْلى بين الأرحضية وقران ، كذا ضبطه أبو نعيم .

الأبواء الأبواء ـ بالموحدة كحَلْواء ممدود ، تقدم بيانه فى مسجد الرَّمَادة ومسجد الأبواء .

وسئل كثير عزة : لم سميت الأبواء ؟ قال : لأنهم تبوؤها منزلا ، وقيل : لأن السيول تبوأتها ، وقال المجد : هى قرية من عمل الفُرْع ، بينها و بين الجُحْفة مما يلى المدينة ثلاثة وعشرون ميلا ؛ فتكون على خمسة أيام من المدينة ، وقيل : الأبواء جبل عن يمين آرة ويمين الطريق للمُصْعِد إلى مكة ، وهناك بلد تنسب إلى ذلك الجبل ، وهو بمعنى قول الحافظ ابن حجر : الأبواء جبل من عمل الفُرْع سمى به لَوَبَائه على القلب ، وقيل: لأن السيول تتبوؤه أى تحلّه .

قلت : ويجمع بأنه اسم للجَبَل والوادى وقريته ، وله ذكر فى حديث الصَّعْب بن جَثّامة وغيره ، وبه قبر أم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك أن أباه صلى الله عليه وسلم خرج إلى المدينة يَمْتَار تمراً فمات بها ، فكانت زوجته آمنة تخرج كل عام تزور قبره ، فلما أتى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ستُّ سنينَ خرجت به ومعها عبد المطلب ـ وقيل : أبو طالب ـ وأم أيمن ، فماتت فى مُنْصَرفها بالأبواء ، وفى رواية أن قبرها بمكة .

وقال النووى : إن الأول أصح .

الأتمة — الأَتَمَة ـ أتمة عبد الله بن الزبير ، تقدمت فى أودية العقيق ، قال الهجرى : الأتمة بساط واسع ينبت عصما للمال ، تدفع على حضير ، وبها بئر تعرف بابن الزبير ، كان الأشعث المدنى يلزمها ويتخذ بها المال ، فاقتنى ماشية كثيرة .

أثال — أثال ـ بالضم آخره لام ، وادٍ يصب فى وادى الستارة المعروف بقديد ، يسيل فى وادى خيمتى أم معبد ، قاله ياقوت .

الأثاية — الأثاية ـ مثلث الهمزة ، وبالمثناة التحتية قبل الهاء ، واقتصر المجد هنا كعياض على ضم الهمزة وكسرها ، ورجح فى فضل المساجد الفتح كما تقدم مع بيانه فى مسجد الأثاية .

وتقدم فى الفضائل حديث أن النبى صلى الله عليه وسلم « كان إذا أقبل من مكة فكان بالأثاية طرَحَ رداءه وقال : هذه أرواح طيبة » وفى الموطأ فى حديث خروجه صلى الله عليه وسلم إلى مكة « ثم مضى حتى إذا كان بالأثاية بين الرويثة والعَرْج إذا ظبى حاقف فى ظل ، فيه سهم ، فأمر رجلا أن يقف عنده لا يريبه أحد من الناس حتى يجاوزه » .

الأثبة — الأَثَبَة ـ محركة ـ واحدةُ الأثَب للشجر المعروف ، وتقدم فى غُدْران العقيق ذو الأثبة ، وفيه يقول أبو وَجْزة :

قَصَدْنَ رياضَ ذِى أُثَبٍ مَقِيلاً   وَهُــنَّ رَوَائِح عَيْنَ الْعَقِيق

وقال الهجرى فى حِمَى النقيع : وفى شرقى الحرة مثلثان نقى ماؤهما ، وهما أثب وأثيب، وقال فى ترتيب مجراه وغدرانه مالفظه: ثم الأُثبة ، وبها غدير يسمى الأثبة ، و به سميت ، و به مال لعبدالله بن حمزة[١] الز بيرى، ونخل ليحيى الز بيرى.

الأثيفية

الأثيفية ـ بضم أوله وفتح ثانيه وسكون المثناة التحتية وكسر الفاء بعدها مثناة تحتية مخففة ـ موضع بعقيق المدينة ، قاله الصَّغَانى ، وتقدم فى أوديته ذو أثيفية .

الأثيل

الأُثَيل ـ تصغير الأثل ـ موضع بين بَدْر والصفراء ، به عين لآل جعفر بن أبى طالب ، و يقال : ذوأثيل ، قال ابن السكيت : إنه بتشديد الياء ، قُتِل عنده النبيُّ صلى الله عليه وسلم النَّضْرَ بن الحارث بن كلدة مُنْصَرَفهُ عن بدر ، فقالت بنته قُتَيْلة ترثيه وتمدح النبى صلى الله عليه وسلم :

يا راكبا إنَّ الأُثيْل مَظِنَّةٌ   مِنْ صُبْح خَامِسَةٍ وأنْتَ مُوَفَّقٌ
بَلِّغْ بِهِ مَيْتاً هُنَـــاكَ تحية   مَا إن تَزالُ بِهَا الركَائِبُ تَخْفِقُ
ظلت سُيُوف بَنِى أبيهِ تَنُوشُهُ   لله أرْحَامٌ هُنَـاكَ تُشَقَّقُ
أمحمدٌ ولأنتَ نَجْــلُ نَجِيبَةٍ   فى قَوْمِهَا وَالفَحْلُ فَحْلٌ مُعْرِقُ
مَا كَانَ ضَرَّكَ لَوْ مَنَنْتَ وَرُبَّمَا   منَّ الْفَتَى وَهُوَ المَغِيظ المُحْنَقُ

فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم شعرها رقَّ لها وقال : لوسمعتهُ قبل قتله لوهبته لها .

قال الواقدى : ويقال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مَرْجِعَه من بدر العصر بالأثيل ، فلما صلى ركعةً تبسم ، فلما سئل عن ذلك قال : مَرَّ بى ميكائيل عليه السلام وعلى جناحه النقع ، فتبسم إلىَّ وقال : إنى كنت فى طلب القوم .

والأثيل : موضع آخر فى ذلك الصقع أ كثره لبنى ضَمْرة من كنانه .

ذات أجدال

ذات أجدال ـ موضع بمضيق الصفراء .

(١) فى معجم البكرى « عباد بن حمزة بن عبد الله بن الزبير » .

الأجرد

الأجرد ـ أُطمٌ لبنى خُدْرة عند البصة ، وجبل لجهينة شامى بُوَاط الجلسى يأتى مع الأشعر ، والأجرد جبل آخر ، وموضع قبل مدلجة تعهن .

أجش

أجش ـ بفتحِ الهمزة والجيم وتشديد الشين المعجمة ـ أطم لبنى أنيف بقباء .

الأجفر

الأجفر ـ بفتح الهمزة والفاء ، موضع بين الخزيمية وفيد .

أجم

أجُم بنيِ ساعدة ـ بضم أوله وثانيه ، أطم كان لهم قرب ذباب ، وآجام المدينة وآطامها : حصونها ، وقال ابن السكيت : أجم حِصْن بَنَاه أهلُ المدينة ، وكل بيت مربع مسطح أجم .

أحامر

أحامر ـ بضم أوله ، قال عرّام : وحذاء أُبْلى جبلٌ يقال له ذو الموقعة من شرقيها ، وهو جبل معدن بنى سليم ، وحذاءه عن يمينه قبل القبلة جبل يقال له أحامر ، وقال ياقوت فى كتابه المشترك : أحامر البغيبغة جبل أحمر من جبال حمى ضَرِية .

أحباب

أحباب : جمع حبيب ، بلد فى جنب السوارقية .

أحجار الزيت

أحجار الزيت ـ عند الزوراء ، قال ياقوت : هو موضع كان فيه أحجار عَلَتْ عليها الطريق فاندفنت .

وقال ابن جُبَير : هو حجر موجود يزار ، يقال : إن الزيت رشَحَ للنبى صلى الله عليه وسلم منه ، وهو موضع صلاة الاستسقاء ، وسبق ـ فيمن ذكر أنه نقل من شهداء أحد ـ أن مالك بن سِنان دُفن عند أصحاب العَبَاء .

قال ابن زبالة فى روايته : وهناك كانت أحجار الزيت ومشهد ، مالك بن سنان معروف؛ فأحجار الزيت عنده كما يعلم من أطراف كلام ابن شبة بالزوراء من سوق المدينة .

قال : وحدثنا محمد بن يحيى عن ابن أبى فديك قال : أدركت أحجار الزيت

ثلاثة مواجهة بيت أم كلاب ، قال : وتعرف اليوم ببيت بنى أسد ، فَعَلاَ الـكبسُ الحجارةَ فاندفنت .

وعن هلال بن طلحة العمرى أن حبيب بن سلمة كتب إليه أن كعبا سألنى أن أكتب له إلى رجل من قومى عالم بالأرض ، فلما قدم كعب المدينة جاءنى بكافية ، فقال : أعالم أنت بالأرض ؟ قلت : نعم ، قال : إذا كان بالغَدَاة فاغدُ على ، فجئته حين أصبحت ، فقال : أتعرف موضع أحجار الزيت ؟ قلت : نعم ، وكانت أحجارا بالزَّوْراء يَضَعُ عليها الزياتون رَوَايَاهم ، فأقبلت حتى جئتها ، فقلت : هذه أحجار الزيت ، فقال كعب : لا ، والله ما هذه صفتها فى كتاب الله ، انطلق أمامى فإنك أهْدَى بالطريق منى ، فانطلقنا حتى جئنا بنى عبد الأشهل ، فقال : إنى أجدُ أحجار الزيت فى كتاب الله هنا ، فَسَلِ القومَ عنها ، فسألتهم عنها ، وقال : إنها ستكون بالمدينة مَلْحَمَة عندها .

قلت : فأحجار الزيت موضعان ؛ فالأول هو المراد بحديث أبى داود واللفظ له والترمذى والحاكم وابن حبان فى صحيحه عن عمير مولى آبى اللحم أنه رأى النبى صلى الله عليه وسلم يستسقى عند أحجار الزيت قريبا من الزوراء ، قائما يدعو يستسقى رافعا يديه قبل وجهه ، وفى رواية عن محمد بن إبراهيم أخبرنى مَنْ رأى النبى صلى الله عليه وسلم يدعو عند أحجار الزيت باسطا كفيه ، والموضع الثانى الذى عَنَى كعبُ الأحبار بمنازل بنى عبد الأشهل بالحرة ، و به كانت واقعة الحرة ، ولعله المراد بحديث : يا أبا ذر ، كيف بك إذا رأيت أحجار الزيت قد غرقت فى الدم ؟ قال : قلت : ما خار الله ورسوله ، قال : عليك بمن أنت معه ، وفى رواية لأبى داود : عليك بمن أنت منه ، وفى رواية لابن ماجة : كيف أنت .

وقيل : يصلب الناسُ حتى تغرق أحجار الزيت بالدم ، ويحتمل أن يكون المراد من ذلك الموضع الأول ، وهو مقتضى قول بعضهم عقب إيراد الحديث

المذكور : إن ذلك وقع فى مقتل محمد الملقب بالنفس الزكية عند أحجار الزيت كما سبقت الإشارة إليه فى ذكر مشهده ، وقال المرجانى : إن بالحرة قطعة تسمى أحجار الزيت لسواد أحجارها كأنها طُليت بالزيت ، وهو موضع كان يستسقى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، انتهى .

قلت : اشتبه عليه أحد الموضعين بالآخر ؛ لأن الاستسقاء إنما كان بالموضع الذى بقرب الزوراء كما سبق .

أحجار المراء — بقباء ، قاله المجد ، وسبق ذكره فى منازل بنى عمرو بن عوف ، وفى نهاية ابن الأثير فيه أنه صلى الله عليه وسلم كان يَلْقَى جبريلَ بأحجار المراء قال مجاهد : هى قباء . — أحجار المراء

أحد — بضمتين ، تقدم مع فضائله فى سابع فصول الباب الخامس . — أحد

الأحياء — جمع حى من أحياء العرب ، اسمُ ماء أسفل من ثنية المرة برابغ ، به سرية عبيدة بن الحارث بن المطلب . — الأحياء

الأخارج — من جبال بنى كلاب بجهة ضرية . — الأخارج

أخزم — بالزاى كأحمد — جبل بين ملل والروحاء ، ويعرف اليوم بخزيم ، قال ابن هَرْمة : — أخزم

بأخْزَمَ أوْ بالمُنْحَنَى من سويقة ألا رُبّما قد ذكر الشوقَ أخزمُ

الأخضر — بالفتح والضاد المعجمة ، منزل قرب تبُوكَ نَزَله رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسيره إليها . — الأخضر

أدية — قُنَّة سوداء على ستة عشر ميلا من فيد . — أدية

أذاخر — جمع إذخر ، من أودية المدينة كما تقدم فى الفصل الخامس ، وموضع قرب مكة ينسب إليه نبت أذاخر . — أذاخر

أذبل — كأحمد ، أُطم ابتناه سالم وغنم عند الأراكة بدار بنى سالم . — أذبل

أرابن — بالضم ثم الفتح وكسر الموحدة ثم نون ، منزل على قفا مبرك ، ينحدر من جبل جهينة على مضيق الصفراء ، قال كثير : — أرابن

وذكرت عزّة إذ تُصاقِبُ دارها　　بُرحَيِّبٍ فأرابن فنخــال

أراك　أراك ـ جبل يُفضى عنده سُيول إضم إلى البحر .

أرثد　أرثد ـ بالمثلثة والدال المهملة كأحمد ـ وادى الأبواء ، قال كثير :

وإن شفانى نَظْرة إن نظَرتها　　إلى ثافل يوماً وخلفى شنائك

وأن تبرز الخيمات من بطن أرثد　　لنَا وجبـالُ المرختين الدكادك

وقال آخر (١) :

ألم تسأل الخيمات من بطن أرثد　　إلى النخل من وَدّانَ مافعلت نعم

تشَوَّقنى بالعــرج منها منازل　　وبالخبت من أعلى منازلهم رسم

أرجام　أرجام ـ بالفتح ثم السكون وبالجيم ، جبل قرب المدينة .

الأرحضية　الأرحضية ـ بحاء مهملة وضاد معجمة ومثناة تحتية مشددة ، قرية للأنصار وبنى سليم ، بها آبار ومزارع كثيرة ، وحذاءها قرية يقال لها الحجر ، قاله عرّام ، ومنه أخذ المجد قربها من أُبْلىٰ لما تقدم فيها ، وتعرف اليوم بالرحضية ـ بضم الراء ـ وكذا هو فى نسخة لعرّام ، وكذا أعادها المجد فى الراء كاسيأتى ، وذكر الأسدى أنها فى وسَط الطريق بين المدينة ومعدن بنى سليم على نحو خمسين ميلا من كل منهما ، وأن الرشيد كان يسلك هذه الطريق فى رجوعه من المدينة ، وسماها الأرحضية .

أرض جابر　أرض جابر التى عرض على غُرَمائه، بطريق رومة ، تقدمت فى بئر القرّاصه .

أروى　أروى — جمع أروية لأنثى الوُعُول ، اسم ماء لفزَارة قربَ العقيق عند الحاج ، قال شاعرهم :

وإن بأرْوَى مَعدنا لو حَفَرْته　　لأصبَحْت غُنْياناً كثير الدراهم

أروم　أروم — جبل سبق فى حمى الربذة ، وشاهده فى أراك .

أريكه　أرَيكة — لجهينة ، موضع غربى حمى ضرية ، كان مُصَدِّق المدينة أول ماينزل عليه .

---

(١) البيتان لنصيب .

أسقف — جبل بطرف رابوع ، وشاهده خاخ .

أسقف

الأسواف

الأسواف — بالفتح آخره فاء ، موضع شامى البقيع ، سبق فى مساجد المدينة ، قال ابن عبد البر : به صدقة زيد بن ثابت ، وفى طبقات ابن سعد عن خارجة بن زيد عن أبيه زيد بن ثابت أن عمر بن الخطاب كان يستخلفه على المدينة ، فقلّ سفر يرجع إلا أقطع له حديقة من نخل ، قال أبو الزياد : فكنا نتحدث أن الأساويف مما كان عمر أقطعه له .

قلت : و بعض الأسواف بيد طائفة من العرب بالتوارث يعرفون بالزيود ، فلعلهم ذرية زيد بن ثابت .

وفى الأوسط للطبرانى عن جابر قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم زائرا لسعد بن الربيع الأنصارى ، ومنزله بالأسواف ، فبسطت امرأته لرسول الله صلى الله عليه وسلم تحت سور من نخل ، فجلس وجلسنا معه ، فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : يطلع الآن عليكم رجل من أهل الجنة ، فطلع أبو بكر ، ثم قال : يطلع عليكم رجل من أهل الجنة ، فطلع عمر ، ثم قال : يطلع عليكم رجل من أهل الجنة ، فطلع عثمان .

وعن أبى سعيد الخُدْرى أن النبى صلى الله عليه وسلم جَلَس على بئرٍ بالأسواف ، وأدْلىٰ رجليه فيها ، وذكر مجىء أبى بكر ثم عمر ثم عثمان ، كما فى حديث بئر أريس ، وأنه صلى الله عليه وسلم أمر بلالا أن يأذن لكل منهم ، ويبشره بالجنة .

وروى الواقدى عن جابر أن امرأة سعد بن الربيع بعد أن قتل بأُحُدٍ وقبض أخوه ماله قبل نزول الفرائض كانت بالأسواف ، فصنعت طعاما ، ثم دعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنه صلى الله عليه وسلم قال : قوموا بنا ، فقُمْنَا معه ونحن عشرون رجلا ، انتهينا إلى الأسواف ، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخلنا معه ، فنجدها قد رَشَّتْ ما بين سورين وطَرَحَتْ خصفة[1] ، قال

(١) الخصفة : قطعة من جلد تطرح فى مؤخرة الرحل .

جابر : ما ثَمَّ وِسادة ولا بِساط ، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يطلع عليكم رجل من أهل الجنة ، فتراءينا مَنْ يطلع ، فطلع أبو بكر ، فقمنا فبَشَّرْناه ثم سلم فردُّوا عليه ، ثم جلس ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يطلع عليكم رجل من أهل الجنة ، فتراءينا من خلال السَّعَفِ مَنْ يطلع ، فطلع عمر ، فقمنا فبشرناه ، فسلم ثم جلس ، ثم قال : يطلع عليكم رجل من أهل الجنة ، فنظرنا من خلال السَّعَف فإذا على بن أبى طالب قد طلع ، فبشرناه بالجنة ، ثم جاء فجلس ، ثم أتى بالطعام ، فأتى بقدر ما يأكل رجل واحد أو اثنان ، فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يَدَه فيه فقال : كلوا باسم الله ، فأكلنا منها حتى نهلنا وما أرانا حركنا منها شيئا ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ارْفَعُوا هذا الطعام ، فرفعوه ، ثم أتينا برُطَب فى طبق باكورة قليل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : باسم الله كلوا ، فأكلنا حتى نهلنا وإنى لأرى فى الطبق نحوا مما أتى به ، وجاءت الظهر فصلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يمس ماء ، ثم رجع إلى فتحدث ، ثم جاءت العصر فأتى ببقية الطعام نتشبَّع به ، فقام النبى صلى الله عليه وسلم فصلى بنا العصر ولم يمس ماء ، ثم قامت امرأة سعد ابن الربيع فقالت : يا رسول الله إن سعد بن الربيع قُتل بأحُد ، وذكر قصتها فى أخذ أخيه لماله ، ونزول الفرائض بعد ذلك ، وأن ابنة سعد بن الربيع كانت زوجَ زيد بن ثابت ، وهى أم ابنه خارجة بن زيد ، وكانت يومئذ حاملا .

أشاقر أشاقر — جبال بين مكة والمدينة .

الأشعر الأشعر — جبل جهينة ، ينحدر على ينبع ، قال الهجرى : وجدت صفة الجبلين الأشعر والأجرد جبلى جهينة ومن أخذ من قريش بذلك أرضا ، فنقلته للحديث الذى جاء فيهما عن النبى صلى الله عليه وسلم فى الأمان من الفتن .

وقال الأشعرى : يحده من شقه اليمانى وادى الروحاء ، ويحده من شقه الشامى بواطان ، وتقدم فى فضل أحُد حديث «خير الجبال أحُدٌ والأشعر وورقان »

الأشنف

الأشنف ـ أُطم يواجه مسجد الحربة .

الأشيق

الأشيق ـ بمشاة تحتية يضاف إليه هضب الأشيق ، والعقيليون يقولون : الشقيق ، تقدم فى حمى فَيْد ، وهو بلد سَهْل كأن ترابه الكافور الأبيض، وأفضل مياهه الريان ثم عرفجا .

أضاة بنى غفار

أضاة بنى غفار ـ بالضاد المعجمة والقصر كحَصَاة ، مستنقع الماء ، قال فى المشارق : هو موضع بالمدينة ، وفيه حديث أن جبريل عليه السلام لقى النبىّ صلى الله عليه وسلم عند أضَاة بنى غفار ، انتهى . ولعله فيما تقدم من منازل بنى غفار ، لكن سيأتى فى تناضب ما يقتضى أنه بقرب مكة .

أضاخ

أضاخ ـ كغُرَاب ، آخره معجمة ، وقد تبدل همزته واوا ، سوقٌ على ليلة من عرفجا .

أضافر

أضافر ـ جمع ضفيرة ، وهى الحقف من الرمل ، اسم ثنايا سلَكَهَا النبى صلى الله عليه وسلم بعد ارتحاله من ذفران يريد بدرا ، وذو الأضافر : هضبات على ميلين من هَرْشَى ، ويقال لهن الأضافر أيضاً .

إضم

إضم ـ كعِنَب ، قال المجد : اسم الوادى الذى فيه المدينة ، والصواب فيه ما تقدم فى خاتمة الفصل الخامس فى الأودية ، ويوافقه قولُ الهجرى : أول إضم مجتمع الأسيال ، وإياه عنى الأحوصُ بقوله :

يا واقدَ النـــارِ بالعَلْيَاءِ مِنْ إضَمِ أوْقِدْ فَقَدْ هِجْتَ شَوْقاً غَيْرَ مُنْصَرِمِ

قال : وبإضم أموال زعاب على عيون ، وإنما سمى إضما لانضمام السيول به .

قلت : ويسمى اليوم بالضيقة ، وبهذا الوادى جبل يسمى بإضم كما تقدمت الإشارة إليه ، وفى قاموس المجد : إضم جبل ، والوادى الذى فيه المدينة النبوية عند المدينة يسمى قناة ، ومن أعلى منها عند السد الشَّظَاة ، ثم ما كان أسفل من ذلك يسمى إضما ، انتهى . وعبارة ياقوت فى المستدرك له: إضم وادٍ فى المدينة ، ويسمى عند المدينة القَنَاة ، إلى آخره .

وروى البيهقى خبرا فى مصارعته صلى الله عليه وسلم رُكَانة يتضمَّنُ أن رُكانة كان يَرْعَى غنما له فى وادٍ يقال له إضم ، فخرج النبى صلى الله عليه وسلم من بيت عائشة رضى الله تعالى عنها إلى ذلك الوادى ، وذكر قصة المصارعة به .

و بطن إضم كما فى طبقات ابن سعد فى سرية أبى قتادة إلى بطن إضم : ما بين ذى خشب وذى المروة ، بينها و بين المدينة ثلاثة بُرُدٍ .

الأطول — الأطول ـ أطم بمنازل بنى عبيد عند مسجد الخربة من القبلة .

أعشار — أعشار ـ من أودية العقيق ، وتقدم نزوله صلى الله عليه وسلم بكهف أعشار فيه .

أعظم — أعظم ـ بضم الظاء المعجمة[1] ، جمع عظم ، جبل كبير شمالى ذات الجيش ، قاله المجد ، وفى خط المراغى بفتح الهمزة والظاء معاً ، و يقال فيه عَظَم ـ بفتحتين ـ وهو المعروف بين أهل المدينة ، والموجود فى كلام الزبير ، قال : وفيه يقول عامر الزبيرى :

قل للذى رَامَ هٰذَا الحىَّ من أَسَدٍ رُمْتَ الشَّوامِخَ من عَيْرٍ ومن عَظَمِ

وفى أبيات الهمزة فى كتاب الهجرى عن محمد بن قليع عن أشياخه قالوا : مابرقت السماء قط على عَظَم إلا استهلت . وكانوا يقولون : إن على ظهره قبر نبى أو رجل صالح ، قال : وأنا أقول : إن عَظَم من منزلى إذا بَدَوْتُ فى ضيعتىَّ ـ بالتثنية ـ بحيث يناله دعائى ، فقلما أصابنا مطر إلا كان عَظَم أسعدَ جبالنا به وأوفرها حظاً .

أعماد — أعماد ـ أربعة آطام بين المَذَاد والدُّوَيخل ، جبل بنى عبيد ، بعضها لبنى عبيد ، و بعضها لبنى حرام من بنى سلمة .

الأعواف — الأعواف ـ ويقال العواف ، إحدى صدقات النبى صلى الله عليه وسلم وآباره المتقدمة .

الأعوص — الأعوص ـ بالعين والصاد المهملتين ، موضع شرقى المدينة بطرف الطريق

---

(١) فى معجم ياقوت ومعجم البكرى « أعظام » .

بين بئر السائب و بئر المطلب ، به أبيات وآبار ، سمى بذلك لأن رجلا من بنى أمية أراد أن يستخرج به بئراً ، فاعتاصت عليه ، وكان يسكنه إسماعيل بن عمرو ابن سعيد الأشدق ، و إياه عنى عمر بن عبد العزيز بقوله : لو كان لى أن أعْهَدَ ما عدوت أحدَ الرجلين : صاحب الأعوص [أو أعْمَشَ بنى تميم ، يعنى القاسم بن محمد][1] .

الأغلب — الأغلب ـ بالغين المعجمة ، أُطم لبنى سواد ، تقدم فى منازلهم .

أفاعية — أفاعية ـ كمجاهدة بعين مهملة مكسورة ، منهل لسليم فى الطريق النجدى إلى مكة ، على ستة وعشرين ميلا ونصف من معدن بنى سليم ، وذكر الأسدى ما فيها من البرك ، والآبار ، قال : وهى لقوم من ولد الصديق وولد الزبير رضى الله تعالى عنهما وقوم من قيس .

الأفراق — الأفراق ـ قال فى المشارق : بفتح الهمزة و بالفاء عند كافة شيوخنا كأنه جمع فَرَق ، وضبطه بعضهم بالكسر ، موضع من أموال المدينة وحوائطها ، و بالفتح ذكره البكرى .

الأفلس — الأفلس ـ قال الهجرى : إذا أفضى سيلُ العقيق من قاع البقيع خرج إلى قرادة أفلس قاع لا شجر فيه ، وأرضه بيضاء كالمرآة ، لها حس تحت الحافر .

الأقمس — الأقمس ـ جبل تقدم بحمى ضرية .

الأكحل — الأكحل ـ ذكره صاحب « المسالك والممالك » فى توابع المدينة ومخاليفها ، فكان به مال لعاصم بن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنهما ، وسبق فى الفصل السادس أن الطريق إلى سنانة و إلى القرينين جند والأكحل يعترض حمى النقيع يساراً للخارج من المدينة إلى ذلك .

الأب — ألاَب ـ كسراب ، قال المجد : شعبة واسعة من ديار مزينة .

قلت : هو وادٍ معروف عده الهجرى فى أودية الأشعر ، وقال : يلتقى مع مضيق الصفراء أسفل من عين العلا .

(١) زيادة عن معجم البكرى لا يتم الكلام بدونها .

ألبن — ألبن ـ بالفتح ثم السكون و بموحدة مفتوحة على الأفصح ، كما سيأتى فى يلبن بإبدال الهمزة مثناة تحتية .

ألهان — ألهان ـ بالفتح وسكون اللام ، موضع كان لبنى قريظة .

أم العيال — أم العيال ـ سبق فى آرة ، عن عرام أنها صدقة فاطمة الزهراء رضى الله تعالى عنها ، وأنها عين عليها قرية هناك ، وقال ابن حزم : هى عين لجعفر بن طلحة ابن عبيد الله التيمى ، أنفق عليها مائتى ألف دينار ، وكانت تسقى أزيد من عشرين ألف نخلة .

أمج — أمج ـ بالجيم وفتحتين ، بلد من أعراض المدينة ، قاله المجد ، قال : وقال أبو المنذر بن محمد : أمج وغران واديان يأخذان من حرة بنى سليم ، ويفرغان فى البحر .

قلت : ذكر الأسدى أن أمج بعد خليص بجهة مكة بميلين ، قال : وبعده بميل وادى الأزرق ، ويعرف بغران ، وأمج لخزاعة ، وبه نحو عشرين بئرا يزرع عليها . انتهى . وهو موافق لما سبق فى تاسع فصول الباب الثالث لاقتضائه أنه بين عُسْفان وقديد .

وقال الوليد بن العباس القرشي : خرجت إلى مكة فى طلب عبد آبِقٍ لى ، فسرت سيرا شديدا حتى وَرَدْتُ أمج فى اليوم الثالث غدوة ، فتعبت ، فحَطَطْتُ رَحْلى ، واستلقيت على ظهرى ، واندفعت أغنى :

يامن على الأرض من غادٍ ومُدَّلجٍ ... اقْرَ السَّلاَم على الأبيات من أَمَجِ
اقْرَ السَّلاَم على ظَبْيٍ كَلِفْتُ به ... فيها أَغَنَّ غضيضِ الطَّرْف من دَعَجِ
مَنْ لا يُبَلِّغُهُ عــنى تحيتَــهُ ... ذَاقَ الحِمَامِ وَعَاشَ الدهْرَ فى حَرَجِ

قال : فلم أدرِ إلا وشيخ على عَصًا يهدج إلىّ ، فقال : يا فتى أنشدك الله إلا رددت إلىّ الشعر، فقلت : بلحنه ؟ قال : بلحنه ، ففعلت ، فجعل يتطرب ، فلما

فرغت قال : أتدرى مَنْ قائله ؟ قلت : لا ، قال : أنا والله قائله من ثمانين سنة ، وإذا هو من أهل أمج ،

ومنهم حميد الأمجى الذى يقول :

شربتُ المُدَام فلم أقْلِعِ ... وعُوتِبْتُ فيها فلم أسمع

حميد الذى أمَجٌ دارُهُ ... أخو الخمر ذو الشيبة الأصلع

عَلاه المشيب على حبها ... وكان كريماً فلم ينزع

حكى أن عمر بن عبد العزيز قال له : أنت القائل * حميد الذى أمج داره * البيتين ؟ قال : نعم ، قال عمر : ما أرانى إلا حادك ، أقرَرْتَ بشربها ، وأنك لم تنزع عنها ، قال : ألم تسمع الله يقول (والشعراء يتبعهم الغاوون) إلى (وأنهم يقولون مالا يفعلون) فقال عمر : ما أراك إلا قد أفلَتَّ ، ويحك يا حميد كان أبوك رجلا صالحا وأنت رجل سوء ، قال : أصلحك الله وأين من يشبه أباه كان أبوك رجل سوء وأنت رجل صالح .

وقال : جعفر الزبيرى :

هل بادّكار الحبيب مِنْ حَرَجِ ... أم هل لهمّ الفؤاد من فرج ؟

ولَسْتُ أنسى مَسِيرَنا ظُهراً ... حين حَلَلْنَا بالسفح من أمج

ذو أمر

ذو أمر — بفتحتين ، وادٍ بطريق فَيْد إلى المدينة على نحو ثلاث مراحل من المدينة بقرية النخيل ، قاله الأسدى ، وظاهر كلام غيره أنه الذى بقرية نخل ؛ لما سيأتى فيها ، وقال ابن حزم : إن النبى صلى الله عليه وسلم عَقَدَ لعَوْسَجَة الجهنى على ألف من جهينة وأقطعه ذا أمر ، وإن بعض ولد عبد الله ابن الزبير اعتزل بأمر من بطن إضم فى بعض الفتن .

إمرة

إمَرة — كإمَّعَة ، وبفتح الهمزة والميم ، موضع بشق حمى ضرية قرب جبل

المنار ، وهو من منازل الحاج العراق ، به آبار كثيرة طيبة ، سمى باسم الصغير من ولد الضأن .

إنسان إنسان — جبل فى وسطه ماء يقال له : إنسان ، قال الهجرى فى حمى فَيْد : و بشرقى الرخام ماء يقال له إنسان لكعب بن سَعْد الغَنَوى الشاعر ، وهو عن يمين الجبل والرملة التى تدعى برملة إنسان.

الأنعم الأنْعُم — بضم العين ، موضع بالعالية ، وقال نصر : جبل بالمدينة عليه بعض بيوتها ، قال جرير :

* حيِّ الديار بعاقلٍ فالأنْعُم *

كذا قال المجد ، والصواب أن الذى عناه جرير جبل ببطن عاقل قرب حمى ضَرِية ، وقال المجد : إنه بفتح العين ، وغايَرَ بينه و بين هذا فى الترجمة ، وقال : إنه ببطن عاقل بين اليمامة والمدينة ، و إنه الذى بنى عليه المزنى وجابر بن عبد الله الربعى ، وفيه يقول الشاعر :

لمن الديار غَشِيتُها بالأنعم   دَرَسَتْ وعهد جديدها لم يقدم[1]

وقوله « إنه الذى بنى عليه المزنى — إلى آخره » إنما هو فى الأنعم الذى قال نصر فيه: إنه بالمدينة ، كما تقدم عن ابن زبالة فى مسجد المنارتين بطريق العقيق ، و إنه الجبل الذى على يسار المارّ أولَ الرقيقين للعقيق ، مع أن المجد ذكر فى الأنعم الذى ببطن عاقل الحديثَ المتقدم أيضاً فى خروجه صلى الله عليه وسلم إلى الجبل الأحمر الذى بين المنارتين ، واسمه الأنعم ، ولعل الخلل من النساخ .

إهاب إهاب — ككتاب ، فى حديث مسلم « تبلغ المساكن إهاب أو يهاب » قال عياض : كذا جاءت الرواية على الشك « أو يهاب » بكسر الياء المثناة من تحت عند كافة شيوخنا الأسدى والصدفى ، وعند التميمى كذلك ، وقال : و بالنون معاً ، ولم أجد هذا الحرف فى غير هذا الحديث ، ولا مَنْ ذكره ، وهو موضع قرب المدينة ، انتهى .

(١) البيت لبشر بن أبى خازم ، والمروى فى عجزه * تبدو معالمها كلون الأرقم .

وتبعه المجد ، وقد سبق من رواية أحمد أنه صلى الله عليه وسلم « خَرَجَ حتى أتى بئر الإهاب ، قال : يوشك البنيان أن يأتى هذا المكان » وتقدم فى صيد الحرم عن عباد الزرقى أنه كان يصيد العصافير فى بئر إهاب ، وهذه البئر هى المتقدمة فى الآبار المباركات أول الباب السادس مع ما جاء فيها ، وبينّا أنها فى الحرة الغربية ، وأن الظاهر أنها المعروفة اليوم بزمزم .

ذو أوان ذو أوان ــ بلفظ الأوان للحين ، موضع على ساعة من المدينة ، قال ابن إسحاق : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قَفَلَ من تبُوك ونزل بذى أوان بلد بينه و بين المدينة ساعة من نهار ، أتاه خبرُ مسجد الضرار .

الأوساط الأوساط ــ تقدم فى حديث فى مسجد قباء « شهدَ جنازةً بالأوساط بدار سعد بن عُبادة» ورأيته بخط العلامة أبى الفتح المراغى وكان منقباً مجرّداً عن النقط، فلعله بالسين والطاء المهملتين ، و يؤخذ منه أنه بمنازل بنى ساعدة ، ويخالفه قوله فى الرواية الأخرى « من بَلْحَارث بن الخزرج » إلا أن يراد من كان بدار سعد من بلْحَارث ، على ما سبق فى المنازل .

أيد أيد ــ بلفظ الأيد للقوة والاشتداد من آد يَئِيدُ أيْداً ، موضع على مقربة من المدينة .

حرف الباء

بئر أرمى بئر أرْمَى ــ بفتح الهمزة وسكون الراء وميم ثم ألف مقصورة ، بئر كان عندها غزوة ذات الرقاع ، على ثلاثة أميال من المدينة ، كذا قاله المجد ، ومأخذه ماسيأتى عن الواقدى فى نخل ، وسنبين أن صوابه ثلاثة أيام .

بئر ألية بئر ألية ــ بلفظ ألية الشاة ، فى حرم بنى عوال ، على نيف وأر بعين ميلا من المدينة ، وقيل : ألية وادٍ بفسح الحيا ، والفسح : وادٍ بجانب عُرَنة ، وعرنة : روضة بوادٍ مما كان يحمى للخيول فى الجاهلية والإسلام بأسفلها ، انتهى .

بئر جشم

بئر جُشَم ــ بضم الجيم وفتح الشين المعجمة ، تقدم ذكرها فى وادى رَانُونا من الفصل الخامس ، وأن الظاهر أنها مضافة إلى جُشَم بن الخزرج جَدٍّ بنى مالك ابن عصب ، ومنزلهم ببنى بياضة غربى رَانُونا .

وفى الموطأ عن عمرو بن سليم الزُّرَقى قال : قيل لعمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : إن ههنا غلاماً يفاعاً لم يحتلم من غسان وورثه بالشام ، وهو ذو مال ، وليس له هنا إلا ابنة عم ، فقال : فليوصِ لها ،فأوصى لها بمالٍ يقال له « بئر جشم » فبيع ذلك المال بثلاثين ألف درهم ، وابنة عمه التى أوصَى لها أم عمرو بن سليم الزرقى .

وسبق آخر الكلام فى منازل بنى بَياضة أن عبد الله بن حبيب بن عبدحارثة ابن مالك بن عصب بن جشم والد أبى جبلة الغسانى ملك غَسَّان بالشام ، فيتأيد به ما سبق ، وقال المجد تبعاً لياقوت فى الجرف : إن بئر جُشَم به ، فإن صح فهى غير المذكورة فى مسيل رانونا .

بئر الحرة

بئر الحرة — ذكر الغزالى أن القادم للزيارة يغتسل منها ، ولعلها بئر السُّقْيا ، لما سبق فيها .

بئر خارجة

بئر خارجة ــ بالخاء المعجمة وكسر الراء وفتح الجيم ، فى حديث أبى هريرة عند مسلم « كنا قعُوداً حول رسول الله صلى الله عليه وسلم معنا أبو بكر وعمر فى نفر ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين أظهرنا ، فأبطأ علينا ، وخشينا أن يقتطع دوننا ، وفزعنا ، وقمنا فكنت أول من فزعَ ، فخرجت أبتغى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى أتيت حائطاً للأنصار لبنى النجار فدُرْتُ به هَل أجد له باباً ، فلم أجد ، فإذا ربيع يدخل فى جوف حائط من بئرِ خارجَةَ ، فاحتفرت ، فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ،يروى « خارجَهُ » أى خارج البستان،

و«خارجة» على النعت ، والصواب الأول،وهو الإضافة،صرح به صاحب التحرز ، قال : وخارجة رجل أضيفت إليه البئر ، قاله النووى.

بئر خريف — تقدم فى بئر أريس أن عثمان رضى الله تعالى عنه أدخلها فى صدقته ببئر أريس وسقوط الخاتم بها فى رواية . بئر خريف

بئر الحصى — ستأتى فى الحاء المعجمة . بئر الحصى

بئر خطمة — هى بئر ذرع المتقدمة أول الباب السادس . بئر خطمة

بئر الدُّرَيك — تصغير درك ، ويقال فيها : بئر الزريق ، قاله المجد ، وفى منازل بنى خطمة أنهم ابتنوا أطما كان على بئر الدرك ، فهى المرادة . وقال قيس بن الخطيم : بئر الدريك

كأنا وقد أخلوا لنا عن نسائهم أسُودٌ لها فى غيل بيشة أشبُلُ

ببئر دُرَيك فاسْتَعِدُّوا لمثلها وأصغوا لها آذانكم وتأملوا

بئر ذَرْوَان — بفتح الذال المعجمة وسكون الراء عند رواة البخارى كافة ، وكذا روى عن ابن الحذاء ، وفى كتاب الدعوات من البخارى فى حديث عائشة رضى الله تعالى عنها : وذروان بئر فى بنى زريق ، قال الجرجانى : رواة مسلم كافة بئر ذى أروان ، ووقع عند الأصيلى بئر ذى أوان ، بغير راء ، قال عياض وتبعه المجد : هو وهم ، فإن ذا أوان موضع آخر على ساعة من المدينة ، وهو الذى بنى فيه مسجد الضرار . بئر ذروان

قلت: الصواب أن خبر مسجد الضرار أتى النبى صلى الله عليه وسلم وهو بذى أوان كما سبق لأنه بنى به .

وقال الحافظ ابن حجر : كأن رُوَاة الأصيلى كانت بئر ذى أروان ، فسقطت الراء ، قال : ويجمع بين رواية ذروان وذى أروان بأن الأصل ذى أروان ثم

سهلت الهمزة لكثرة الاستعمال ، فصار ذروان ، ويؤيده أن أبا عبيد البكرى صوّب أن اسم البئر أروان ، وأن الذى قال ذروان أخطأ ، وقد ظهر أنه ليس بخطأ ، ووقع فى رواية كما قال البكرى بئر أروان بإسقاط ذى .

قلت : فمن قال ذروان فقد تصرف فى أصل الكلمة ، ولذلك قال عياض : قال الأصمعى : وبعضهم يخطىء فيقول : بئر ذروان ، والذى صححه ابن قتيبة ذو أروان بالتحريك .

وحديث هذه البئر فى الصحيحين وغيرهما فى سحر لَبيد بن الأعصم ، وفى رواية أنه أعصم السحولى ، وفى أخرى رجل من بنى زريق حليف ليهود وكان منافقاً ، سحر فى السنة الثامنة كما سبق رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فى مشط ومشاطة وجف طلعة ذكر ووضعه تحت راعوفة هذه البئر ، فأثر السحر فيه صلى الله عليه وسلم ، ثم أُرِيَهُ فى نومه ودُلّ عليه فيها ، فأرسل إليها ، وكأن ماءها نقاعة الحناء ، وكأن نخلها رؤس الشياطين ، فاستخرج السحر وحل .

وفى رواية فى الصحيح أيضاً « فذهب النبى صلى الله عليه وسلم فى أناس من أصحابه إلى البئر ، فنظر إليها وقال : هذه البئر التى أريتها ، فرجع إلى عائشة ، قالت : فقلت : يارسول الله أفلا أخرجته ، وفى أخرى : أفلا أحرقته ، قال : لا ، أما أنا فقد عافانى الله ، وكرهت أن أثير على الناس شراً ، فأمرت بها فدفنت » .

وفى رواية لابن سعد : فقلت يارسول الله فأخرجه للناس ، فقال : أما أنا فقد عافانى الله .

فظهر أن الذى امتنع منه إنما هو إخراجه للناس ، لا إخراجه من البئر ، جمعاً بين الروايات .

بئر كذا وكذا ، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستخرجها فحلّها ، فقام كأنما نَشِطَ من عِقال ، فما ذكر ذلك لذلك اليهودى ولا رآه فى وجهه قط .

وفى رواية لابن سعد أن لبيد بن الأعصم سَحَر النبى صلى الله عليه وسلم، ثم إن جبريل وميكائيل عليهما السلام أخْبَرَاه ، فأخذه ، فاعترف ، فاستخرج السحر فحله ، فكشف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعفا عنه .

وفى رواية له : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عفا عنه .

وقال عكرمة : ثم كان يراه بعد عَفْوه فيعرض عنه ، قال الواقدى : وهذا أثبَتُ عندنا ممن روى أنه قتله .

وفى رواية له : لما رجَع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الُحديبية ودخَل المحرم جاءت رؤساء يهود الذين بقوا بالمدينة ممن يُظْهر الإسلام وهو منافق إلى لبيد بن الأعصم ـ وكان حليفا فى بنى زُرَيق ، وكان ساحرا قد علمت يهود أنه أعلَمُهم بالسحر ـ فقالوا: يا أبا الأعصم ، أنت أسْحَرنا ، وقد سحرنا محمدا فلم نصنع شيئاً ، وأنت ترى أثره فينا ، ونحن نجعل لك على ذلك جُعْلا ، فجعلوا له ثلاثة دنانير على أن يسحر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعمد إلى مشط وما يمشط من الرأس من الشعر فعقد فيه عُقَدا وتفَلَ فيه تفلا ، وجعله فى جف طلعة ذكر ، ثم جعله تحت أرعوفة البئر ؛ فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم أمراً أنكره بصره حتى دله الله عليه ، فدعا جبير بن إياس الزرقى فدلَّه على موضع فى بئر ذروان تحت أرعوفة البئر ، ثم أرسل إلى لبيد بن الأعصم ، فقال له : ما حملك على ما صنعت فقد دلنى الله على سحرك ؟ فقال : حُبُّ الدنانير .

قال إسحاق بن عبد الله : فأخبرت عبد الرحمن بن كعب بن مالك بهذا ، فقال : إنما سحره بنات أعْصَمَ أخواتُ لبيد ، وكنّ أسْحَرَ منه وأخْبَثَ ، وكان لبيد هو الذى أدخله تحت أرعوفة البئر .

وقال الحارث بن قيس : يارسول الله ، ألانهور البئر ، فأعرض عنه ، فهوّرها
الحارث وأصحابه ، وكان يستعذب منها .

منها فيدفع فى الأعواض ، ثم فى قناة ، والجبل المشرف على بئر السائب يقال له شباع ، ذكر بعض أهل البادية أن إبراهيم صلى الله عليه وسلم كان قد نزل فى أعلاه ، قاله الأسدى .

بئر سميحة

بئر سميحة — ستأتى فى السين .

بئر شداد

بئر شداد — بناحية الحشحاثة .

بئر عائشة

بئر عائشة — رجل من بنى واقف ، وهو عائشة بن نمير بن واقف ، كان له أُطم عليها ، ومنازلهم فى جهة قبلة مسجد الفضيخ .

بئر عذق

بئر عَذْق — بفتح العين وسكون الذال المعجمة بلفظ العَذْق للنخلة ، معروفة بقباء ، وهى المتقدمة فى منازل بنى أنيف .

بئر عروة

بئر عروة بن الزبير — تقدمت مع قصره بالعقيق ، وكانت شهيرة ثم دثرت ، حتى قال المجد : إنه لم يجد من يعرفها .

بئر ذات العلم

بئر ذات العَلَم — بفتحتين ، تجاه الروحاء ، يقال : إن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه قاتَلَ الجنّ بها ، وهى بئر متناهية بعد هَرْشَى ، يكاد لا يلحق قعرها ، قاله المجد

بئر غامر

بئر غامر — أدخلها عثمان رضى الله تعـالى عنه فى صدقته بئر أريس ، وفى رواية أنها كانت من طعم أمهات المؤمنين كما تقدم فى الصدقات .

بئر غدق

بئر غَدَق — بفتحتين والدال مهملة بعدها قاف ، من قولهم غَدِقَتِ العين فهى غدقة أى غزيرة ، وماء غدق غزير ، وهى بئر بالمدينة عندها أطم البلويين الذى بالقاع كما قال المجد ، ولم أقف له على أصل إلا ما تقدم فى منازل اليهود من أن بنى أنيف من بلى ، وكانوا بقباء ، ولهم أطم عند بئر غدق ، لـكنه لا يسمى بالقاع ، وتلك البئر معروفة اليوم بالعين المهملة والذال المعجمة كما سبق ، والمجد لم يذكرها فإن كانت مراده فقد خالف ما هو المعروف فى أسمائها .

بئر فاطمة

بئر فاطمة بنت الحسين رضى الله تعالى عنهما ـ تقدم فى زيادة الوليد ما رواه ابن زبالة عن منصور مولى الحسين فى خروجها من بيت جدتها فاطمة الزهراء عند إدخالها فى المسجد ، قال : وانتقلت إلى موضع دارها بالحرة فابتنتها ، وهى يومئذ بَرَاح ، وموضعها بين دار ذكوان و بناء إبراهيم بن هشام ، قال : فلما بَنَتْ قالت : مالى بدّ من بئر للوضوء وغير ذلك من الحاجة ، فَصَلَّتْ فى موضع بئر دارها ركعتين ، ثم دعت الله وأخذت المِسْحَاة فاحتفرت بئرها ، وأمرت العمال فعملوا ، فما لقيت حصاة حتى أماهَتْ ، فلما بنى إبراهيم بن هشام داره بالحرة بعد وفاة فاطمة بنة الحسين وأراد نَقْلَ السوق إليها صنع فى حفرته التى بالحوض مثل ما صنعت فاطمة ، فلقى جبلا أو قال عليه وعظم غرمه فيه ، فسأل إبراهيم بن هشام عبدَ الله بن حسن بن حسن أى ابنَ فاطمة ابنة حسين أن يبيعه دار فاطمة ، فباعه إياها بثلاثة آلاف دينار ،فقال : يا أبا محمد تجوَّزْ عنا بدنانيرلنا أصابها حريق ، قال : نعم ، فأخذها وقد انضمّ بعضُها إلى بعض ، فقيل له : إن كسرتها غرمت فيها كثيرا وصارت تبرا ، وإن بعثْتَ بها إلى الشام ضربت دنانير وعادت على حالها ، فبعث بها فضربت له . فكان غرمه بضعة وأربعين دينارا ، ووقع تجوزه بها من ابن هشام موقعا حسنا .

وتقدم فى بئر إهاب ترجيحُ المطرى لأن هذه البئر هى المعروفة اليوم بزمزم بطرف الحديقة المعروفة بزمزم من جهة القبلة ، وأن الراجح عندنا أن تلك بئر إهاب ، فإن بئر فاطمة بقربها ، ولعلها التى فى شاميها بالحديقة المذكورة .

بئر فجار

بئر فَجّار ـ بتشديد الجيم ، وستأتى مع شاهدها فى الشطبية .

بئر مدرى

بئر مِدْرَى ـ بكسر الميم وسكون الدال المهملة بلفظ المدرى الذى يحك به ـ قال المجد : هى من آبار المدينة المعروفة بالغَرَارة والطيب ، قال الزبير : خَطَبَ رجل من بنى قريظة امرأةً من بَلْحَارث بن الخزرج ، فقالت : أله مال على بئر مدرى أوهامات أوذى وشيع أو على بئر فجار ، وهى فى بئر أريس .

قلت : هذا الخبر إنمـــا سَبَقَ فى ذكر الشطبية كما سيأتى فيها بلفظه فقوله «وهى بئر أريس» إن أراد ماسيق الخبر له فهوالشطبية لا بئر مدرى ، وتقدم حينئذ فيما عليه الناس من أن بئر أريس بقباء ، وكذا إن أراد جميع هذه الآبار إذ منها الشطبية وهى بجانب الأعواف كما سبق فى بئر الأعواف و إن أراد به بئر فجّار فهى غير معروفة ، وتقدم فى سيل مهزور أن عثمان رضى الله تعالى عنه عمل الردم الذى عند بئر مدرى ليرد به سيل مهزور عن المسجد .

قال ابن زبالة : إن سرح عثمان الذى يقال له مدرى يشق من مهزور فى أمواله [حتى] يأتى على أريس ، إلى آخر ماسبق عنه .

بئر مرق

بئر مَرَق ــ بفتح الميم والراء وقد تسكن الراء أيضا ، لغتان مشهورتان ، آخره قاف ، بئر بالمدينة لها ذكر فى حديث الهجرة ، قاله فى النهاية .

قلت : هى المذكورة فى سابع فصول الباب الثالث ، وفى رواية البيهقى أن أسعد بن زرارة خرج لمصعب بن عمير يوما إلى دار بنى عبد الأشهل ، فدخل به حائطا من حوائط بنى ظفر ، وهى قرية لبنى ظفر دون قرية بنى عبد الأشهل ، وكانا ابنى عم ، يقال له بئر مرق ، ويؤخذ منه قربها من دار بنى ظفر و بنى عبد الأشهل ، وهناك بناحية مسجد الإجابة نخيل تعرف بالمرقية ، فالظاهر أنها منسوبة لها .

بئر مطلب

بئر مطلب ــ بضم الميم وفتح الطاء المشددة وكسر اللام ، على سبعة أميال من المدينة ، منسوبة إلى المطلب بن عبدالله بن حَنْطب المخزومى ، قاله المجد ، وذكرها الأسدى فى الطريق النجدى ، وقال : إنها على خمسة أميال من المدينة ، والميل السادس على حرة واقم المشرفة على المدينة ، ولعلها بئر بنى المطلب المتقدمة فيما نقلناه عنه فى بئر رُكانة ، و إن خالف ماهنا فى المسافة .

قال المجد : قدم صخر بن الجعد المحاربى المدينة ، فأتى تاجرا يقال له سيار ،

فأبتاع منه بُرًّا وعطرا ، وقال له : تأتينى غدوةً فأقضيك ، وركب من تحت ليلته إلى البادية ، فسأل عنه سيار لما أصبح ، فركب فى أثره فى جماعة حتى أتوا بئر مُطّلب على سبعة أميال من المدينة وقد جهدوا من الحر ، فنزلوا عليها ، وأكلوا تمرا كان معهم ، وأراحوا دوابهم ، ثم انصرفوا راجعين فقال أبياتا منها :

حين استغاثوا بألوى بئر مطلب وقَدْ تحرّقَ منهم كلُّ تَمّارِ

وقال أولهم نصحاً لآخرهم ألا ارجعوا أدركوا الأعراب فى النار

بئر معونة

بئر مَعُونَة — بفتح الميم وضم العين ثم واو ثم نون مفتوحة وهاء ، وقد يتصحف ببئر معاوية التى بين عسفان ومكة بلفظ معاوية بن أبى سفيان ، وليست بها ؛ فإن هذه بالنون وهى بين جبال يقال لها أبلى فى طريق المُصْعِدِ من المدينة إلى مكة ، وهى لبنى سليم ، قاله المجد أخذا من قول عرّام عقب ماسيأتى عنه فى النازية : وفى أبلى مياه منها بئر مَعُونة وذو ساعدة وذو جماجم أو حماجم والوسيا [؟] وهذه لبنى سُليم ، وهى قناة متصلة بعضها ببعض ، وتقدم بيان أبلى ، وأنها بين السوارقية والرحضية ، ويؤيده أن مَعُونة بالنون واد معروف هناك كما أخبرنى به أمير المدينة الشريفة السيد الشريف فسيطل [؟] .

ويوافقه قولُ النووى فى تهذيبه : بئر معونة قبل نجد ، بين أرض بنى عامر وحرة بنى سُليم .

ويوافقه أيضاً ماتقدم عن الزهرى فى أُبلى ، لكن صرح عياض فى المشارق بخلافه ، وجعلها التى بين عُسْفَان ومكة ، وتبعه فى ذلك جماعة من آخرهم الحافظ ابن حجر .

ونقل المجد عن الواقدى أن بئر مَعُونة فى أرض بنى سُليم وأرض بنى كلاب ، وأن عندها كانت قصة الرجيع ، وفيه ترجيح لكلام عياض ؛ لأن الرجيع موضع كانت قربه قصة سرية عاصم بن ثابت وحبيب فى عشرة ، وقد ترجم البخارى

لما بغزوة الرجيع ، ثم روى عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه قال : بَعَث النبي صلى الله عليه وسلم سرية عينا ، وأَمَّرَ عليهم عاصم بن ثابت ، فانطلقوا حتى إذا كانوا بين عُسْفَان ومكة ذكروا لحى من هذيل ، فتبعوهم بقريب من مائة رامٍ ، فاقْتَصُّوا آثارهم ، حتى أتوا منزلا نزلوه ، فوجدوا فيه نَوَى تمرٍ تزودوه من المدينة ، وذكر القصة ، و بين أبو معشر فى مغازيه أن ذلك المنزل هو الرجيع ، فقال : فنزلوا بالرجيع سَحَراً ، فأكلوا تمر عَجْوة ، فسقطت نَوَاة بالأرض ، وكانوا يسيرون بالليل ويَكْمُنُونَ النهار ، فصاحت امرأة من هذيل : أتيتم ، فجاؤا فى طلبهم ، فوجدوهم قد كمنوا فى الجبل .

وفى رواية للبخارى : حتى إذا كانوا بالهدأة ، بدل قوله « بين عسفان ومكة » وعند ابن إسحاق « الهدة » بتشديد الدال بغير همز ، قال : وهى على تسعة أميال من عسفان .

ثم ذكر البخارى فى باب غزوة الرجيع قصة أهل بئر معونة ، ففيه إشارة لما ذكره الواقدى من اتحاد الموضع ، مع إفادة أنه بين عسفان ومكة ، لكن يشهد لما ذكره المجدُ صنيعُ ابن إسحاق فإنه قال فى غزوة الرجيع : حتى إذا كانوا على الرجيع ماء لهذيل بناحية الحجاز على صدور الهدة غَدَرُوا بهم .

وقال فى غزوة معونة : إن أبا بَرَاء عامرَ بن مالك مُلاَعِب الأَسِنَّة قال: يا محمد، لو بعثت رجالا من أصحابك إلى أهل نجدٍ فدعَوْهم إلى أمرك ، ثم ذكر بَعْثَ القراء ، ثم قال : فساروا حتى نزلوا بئر مَعُونة ، وهى بين أرض بنى عامر وحرة بنى سُليم ، كلا البلدين منها قريب ، وهى إلى حرة بنى سُليم أقرب ، فهو صَريح فى المغايرة ، وأبلى تحدٌّ به فى شرقى المدينة ، فما ذكره المجد مُوَافق لكلام ابن إسحاق .

بئر الملك بئر الملك — بكسر اللام — وهو تُبَّعٌ اليمانى ، حَفَرَها بمنزله بقَنَاة ، لما قدم

المدينة ، و به سميت ، فاستَوْبأها ، فاستقى له من بئر رُومَة كما سبق فيها .

ونقل ابن شبة أن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه كان من صَدَقاته بالمدينة بئر الملك بقناة .

بئر الهجيم — بئر الهجيم — بالجيم ، ثم الياء المثناة تحت كما فى كتاب ابن زبالة ويحيى — منسوبة إلى الأطم الذى يقال له الهجيم بالعصبة ، تقدمت فى مسجد التوبة بالعصبة من المساجد التى لا تعرف عينها ، وقال فيها المطرى : بئر هجم ، وفى خط المراغى على الهاء فتحة ، وعد ابن شبة فى آبار المدينة بئرا يقال لها الهجير — بالراء بدل الميم — وقال : إنها بالحرة فوق قصر ابن ماه .

بألى — بَألىٰ — بفتحات ثلاث — تقدم أيضا فى مساجد تبوك .

البتراء — البتراء — تقدمت فيها ، ولعلها غير البتراء التى على نحو مرحلة من المدينة ، سلكها النبى صلى الله عليه وسلم فى غزاة بنى لحيان موريا بأنه يريد الشام ، فسلك على غُراب ، ثم على مخيض ، ثم على البتراء ، ثم أخذ ذات اليسار ، ثم خرج على بين ، ثم على صخيرات الثمام ، ثم استقام به الطريق على المحجة .

البجرات — البجرات — بفتح الباء والجيم — ويقال البُجَيرات بالتصغير ، مياه من مياه السماء فى جبل شوران .

بجدان — بُجْدان — جبل على ليلة من المدينة ، ذكره صاحب النهاية ، وفيه حديث « سِيرُوا هذا بُجْدان سبق المفردون » كذا روى الأزهرى ، والأكثرون رواه جُمْدان بالجيم والميم ، كما سيأتى فيه .

بحران — بحران — بالضم وسكون الحاء المهملة ثم راء فألف فنون ، وقيده ابن الفرات بفتح الباء — قال ابن إسحاق ، فى سرية عبد الله بن جحش : فسلكَ على طريق الحجاز حتى إذا كان بمعدن فوق الفرع يقال له بحران .

وقال بعد غزاة ذى أمر : ثم غزا صلى الله عليه وسلم يريد قريشاً ، حتى بلغ بحران معدنا بالحجاز من ناحية الفرع ، فأقام به شهر ربيع الآخر وجمادى الأولى

ثم رجع ولم يلق كيدا .

وقال ابن سعد : إنه صلى الله عليه وسلم خرج فى ثلاثمائة رجل من أصحابه حتى ورد بحران ، فوجد جمع بنى سُلَيم قد تفرقوا فى مياههم ، وكانت غيبته عشر ليال .

بخرج : أطُم بقباء لبنى عمرو بن عوف .

بخرج

بدا — بالفتح وتخفيف الدال — موضع قرب وادى القرى ، كان به منزل على ابن عبد الله بن العباس وأولاده .

بدا

البدائع : تقدم فى مسجد الشيخين مما لا تعرف اليوم عينُه بالمدينة .

البدائع

بدر — بالفتح ثم السكون — بئر احتفرها رجل من غفار اسمه بدر بن قريش ابن مخلد بن النضر بن كنانة ، وقيل : بدر رجل من بنى ضمرة سكن ذلك الموضع فنسب إليه ، ثم غلب اسمه عليه ، وقال الزبير : قريش بن الحارث بن مخلد ، ويقال : مخلد بن النضر به سميت قريش قريشاً لأنه كان دليلَها وصاحب مِيرتها ، وكانوا يقولون : جاء عير قريش ، وابنه بدر بن قريش ، به سميت بدر التى كانت بها الوقعة المباركة ، لأنه كان احْتَفَرها ، ويقال : بدر اسم البئر التى بها سميت بذلك لاستدارتها ، أو لصفاء مائها ، فكان البدر يرى فيها ، وحكى الواقدى إنكار ذلك كله عن غير واحد من شيوخ بنى غفار ، قالوا : إنما هى مأوانا ومنازلنا وما مَلَكَها أحد قط يقال له بدر ، وإنما هو عَلَمٌ عليها كغيرها من البلاد ، وبدر الموعد ، وبدر القتال ، وبدر الأولى ، وبدر الثانية ، وبدر الثالثة ، كله موضع واحد ، واستشهد من المسلمين بوقعة بدر التى أعز الله بها الإسلام أربعة عشر رجلا ، منهم أبو عبيدة بن الحارث تأخرت وفاته حتى وصل الصفراء ، ويظهر من كلام أهل السِّيَر أن بقيتهم دفنوا ببدر ، وبها مسجد العمامة المتقدم .

بدر

ورأيت بأوراق فى منازل الحاج ، مالفظه : ومن بدر إلى الدخول نحو نصف فرسخ ، وهو الغار الذى دخل النبى صلى الله عليه وسلم فيه ، انتهى . وهذا

الغار على يمين المصعد من بدر ، ورأيت الحجاج يتبركون بالصلاة فيه ، ولم أقف فيه على غير ماتقدم .

وقال المرجانى : شهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بدراً بسيفه الذى يدعى العضب ، وضربت فيها طبلخانة النصر ، فهى تضرب إلى قيام الساعة ، انتهى .

ويقال : إنهـا تسمع بالموضع المذكور ، وهو على أربع مراحل من المدينة ، به عين ونخيل .

براق

بِرَاق — بكسر أوله — يضاف لبدر المتقدم فى قول كُثير :

فَقُلْتُ وَقَدْ جَعَلْنَ بِرَاقَ بَدْرٍ   يميناً وَالْعنَابَةَ عَنْ شِمَالِى[1]

براق حورة

براق حورة — بكسر أوله ، وفتح الحاء المهملة والراء — موضع من أودية الأشعر ، بناحية القبلة ، قال الأحْوَصُ :

فَذُوالسَّرْحِ أقْوَى فَالْبِرَاقُ كَأَنَّهَا   بِحَوْرَةَ لم يَحْلُلْ بِهِنَّ عَرِيبُ

براق خبت

براق خَبْت — بفتح الخاء المعجمة ، وسكون الموحدة ، بعدها مثناة — صحراء يمر بها المُصْعِد من بدر إلى مكة ، وقيل : خبت ماء لكلب ، قال بشر :

فأودِيَةُ اللِّوَى فَبِرَاقُ خَبْتٍ   عَفَتْهَا الْعَاصِفَاتُ مِنَ الرِّيَاحِ

برام

برام — بفتح أوله ، و بكسره — جبل كأنه فُسْطَاط ، يبتدىء منه البقيع ، وهو من أعلامه فى المغرب ، و يقابله عسيب فى المشرق ، وفيه يقول المحرق المزنى :

و إنى لأهْوَى مِنْ هَوَى بعضِ أهله   برامَ وأجْرَاعاً بِهِنَّ بِرَامُ

برثان

برثان — بالفتح — وادٍ بين ملل وأولات الجيش ، سلك عليه النبى صلى الله عليه وسلم إلى بدر ، ولعله تصحيف تربان التى فى التاء المثناة ، قاله المجد ، وهو كما ظن لما سيأتى .

برج

برج — بفتح الباء والراء ، أطم لبنى النضير .

---

(١) فى الأصول « رحلن براق بدر ... والعبابة » تحريف

البرريان — كانتا من طعم أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وأظنهما المعروفتين بالبررة والبريرة بالعالية . البرريان

برق — بلفظ البرق اللامع من السحاب ، قرية بقرب خيبر ، ويوم برق من أيامهم . برق

برقة — بالضم ، وروى بالفتح — من صدقاته صلى الله عليه وسلم كما تقدم ، وأما برقة العَيَرَات — بفتح العين المهملة والمثناة التحتية — فبرقة واسعة حسنة جداً ، بين ضرية والبستان ، على أقل من نصف ميل منها ، وهي التي في شعر امرىء القيس الآتي في حليت . برقة

برك — بالكسر ، وادٍ بحذاء شواحط ، بناحية السوارقية ، كثير السَّلَمَ والعروط ، وفيه مياه ، وسيأتي في مبرك أنه يسمى ببرك أيضاً . برك

البركة — مغيض عين الأزرق ، بها نخيل حسنة بيد الأمراء . البركة

برمة — بكسر أوله ، من أعراض المدينة ، قرب بلاكث ، بين خيبر ووادي القرى ، به عيون ونخل لقريش ، ويقال له « ذو البيضة » كما سبق في مجتمع أودية المدينة ومغايضها . برمة

البرود — بالفتح وضم الراء — موضع بين طرف جبل جهينة يعني الأشعر، وموضع آخر بطرف حرة النار . البرود

بزرة — بالضم ، وسكون الزاي ، وفتح الراء ، ثم هاء — ناحية على ثلاثة أيام من المدينة ، بينها و بين الرويثة ، عن نصر ، قاله المجد ، وفيه نظر ؛ لما سيأتي في الرويثة ، وقال ياقوت عن ابن السكيت : بزرتان — أي بالتثنية — شعبتان قريبتان من الرويثة ، يصبان في درج المضيق ، من بليل ، وقد ذكره الشعراء ، وكان فيه يوم لهم ، قال عبد الله بن جذل الطِّعَان : بزرة

فِدَاء لهم نَفْسِي، وأمِّي لهم فِدًى ... بِبُزْرَةَ إذ نحصيهم بالسَّنَابِكِ

البزواء — بلدة بيضاء مرتفعة من الساحل ، بين الجار وودان وغيقة ، من أشد البزواء

بلاد الله حَرًّا ، سكانها بنو ضمره من بكر ثم من كنانة ، وهم رهط عَزَّة صاحبة كثير ، قال كثير يهجوهم :

ولا بأس بالبزْوَاء أرْضاً لَوَ انُّها　　تُطَهَّرُ من آثارهم فتَطِيبُ

بصة　بصة ـ يضاف إليها بئر البصة المتقدمة أول الباب السادس .

البضيع　البضيع ـ بالضم وفتح الضاد المعجمة مصغرا ـ قاله ياقوت ، ونقل عن ابن السكيت أنه طرف عن يسار الحال أسفل من عين الغفاريين فى قول كثير :

تَلُوحُ بأكْنَافِ البُضَيْع كأنها　　كتابُ زَبُورٍ خُطَّ لَدْنًا عَسِيبُهَا

قلت : والظاهر أنه الآتى فى النون .

البطحاء　البطحاء ـ يدفع فيها طرف عظم الشامى، وما دبر من الصلصين ، وتدفع هى من بين الجبلين فى العقيق كما سبق ، ولعلها بطحاء ابن أزهر .

بطحان　بطحان ـ بالضم ثم السكون ـ كذا يقوله المحدثون ، وحكى أهلُ اللغة فتح أوله وكسر ثانيه ، قال أبو على القالى : لا يجوز غـيره ، قال المجد : وقرأت بخط أبى الطيب أحمد بن أحمد بن أحمد الشافعى وخطه حجة بَطْحَان بفتح أوله وسكون ثانيه .

قلت : ونقل بعضهم عن أبى عبيد القاسم بن سلام أنه قال : هو بضم الباء وسكون الطاء ، سمى بذلك لسَعَته وانبساطه ، من البَطْح وهو البسط ، وتقدم فى الفصل الخامس فى الأودية ، قال الشاعر :

ياسَعْدُ إنى لم أزلْ بعْدَكم　　فى كُرَبٍ للشَّوْق تَغْشَانِى[1]

كَمْ مجلسٍ وَلَّى بلَذَّاتِهِ　　لم يَهْنِنِى إذ غابَ نَدْمَانى

سَقْياً لسَلْعٍ ولساحَاتِهِ　　والعَيْش فى أكْنَافِ بُطْحَانِ

أمْسَيْتُ من شَوْقِى إلى أهْلِهَا　　أدْفَعُ أحْزَاناً بأحْزَانِ

وقال بعضهم : بطحان من مياه الضباب ، فهو موضع آخر

بطن إضم　بطن إضم ـ تقدم فى إضم .

(١) فى معجم ياقوت « أبا سعيد لم أزل بعدكم »

بطن ذى صلب

بطن ذى صلب ـ تقدم فى الفصل الخامس .

بطن نخل

بطن نخل ـ جمع نخلة ، قرية قريبة من المدينة على طريق البصرة ، بينهما الطرف ، وهو بحذاء برق العراف لقاصد المدينة ، قاله المجد ، وقال الأسدى فى وصف طريق فيد : إن من بطن نخل إلى الطرف عشرين ميلا ، ومن الطرف إلى المدينة خمسة وعشرون ميلا ، قال : و بطن نخل لبنى فزارة من قيس ، وبها أكثر من ثلاثمائة بئر كلها طيبة ، وبها يلتقى طريق الربذة ، وهى من الربذة على خمسة وأربعين ميلا ، اهـ . وسيأتى فى الجموم عن ابن سعد أنها بناحية بطن نخل ، عن يسارها ، قال : و بطن نخل من المدينة على أربعة برد ، اهـ .

وذكر الفقهاء فى صَلاَة الخوف ببطن نخـل أنه موضع من نجد فى أرض غَطَفَان ، وتقدم فى زيادة عثمان أن القَصَّة كانت تحمل من بطن نخل ، وبخط المراغى عند ذكره لذلك : بطن نخل موضع على أربعة أميال من المدينة ، فإن صح فهو غير ما تقدم ، ولعـله ذو القَصَّة ، وسيأتى أنه على خمسة أميال من المدينة فى طريق الربذة ، وتسميته بذى القصة وهى الحصن شاهد لذلك .

البطيحان

البطيحان ـ تصغير بطحان ، تقدم فى زيادة عمر بن الخطاب .

بعاث

بعاث ـ أوله بالحركات الثلاث ، وقال عياض : أوله بالضم لا غير ، وآخره ثاء مثلثة ، من ضواحى المدينة ، كانت به وقائع فى الجاهلية بين الأوس والخزرج ، وحكاه صاحب العين ـ وهو الخليل ـ على ما نقله أبو عبيد البكرى بالغين المعجمة ، ولم يسمع من غيره ، وقال أبو أحمد السكرى : هو تصحيف ، وحكى السكرى أن بعضهم رواه عن الخليل وصحفه بالمعجمة ، وذكر الأزهرى أن الذى صحفه الليثُ الراوى عن الخليل ، وقال فى المطالع والمشارق «بعاث بضم أوله وعين مهملة على المشهور ، وقيده الأصيلى بالوجهين ، وهو عند القابسى بالغين المعجمة ، قال الحافظ ابن حجر : ويقال إن أبا عبيدة ذكره بالمعجمة أيضا ، وهو مكان ، ويقال : حصن ، ويقال : مزرعة عند بنى قريظة على ميلين من المدينة ، وقال

الزركشى : هو حصن للأوس ، وقال بعضهم : هو من أموال بنى قريظة ، به مزرعة يقال لها قورى ، وقال رزين : هو موضع عند أعلى القرورا .

قلت : لعله تصحيف قورى ، قال قيس بن الخطيم :

نحن هَزَمْنَا جمعهم بكتيبة تَضَاءَلَ منْهَا حِرْزُ قُورَى وَقَاعُهَا

تركْنَا بُعَاثاً يومَ ذلكَ مِنهُمُ وقُورَى عَلَى رَغْم شباعا سِبَاعُهَا

وقال أيضاً :

ويَوْم بُعَاث أسْلَمَتْنَا سُيُوفنَا إلى نَسَبٍ من جذم غَسَّانَ ثَاقِب

وقال كثير :

كأن حدائج أظعاننا بغيقة لما هبطنا البراثا

نَوَاعم عُمٌّ على ميثب عظام الجذوع أحِلَّتْ بعاثا

وميثب : حائط تقدم فى الصدقات أنه مجاور للدلال والصافية ، وأسفل الدلال نخل يسمى قوران ، الظاهرُ أنه قورى كما سيأتى فيها ،فبعاث بتلك الجهة ، ويشهد له ما نقل ابن إسحاق عن محمد بن مسلمة فى قتل كعب بن الأشرف ، قال : فخرجنا ـ يعنى بعد قتله ـ حتى سلكنا على بنى أمية بن زيد ، ثم على بنى قريظة ، ثم على بعاث ، حتى أسندنا فى حرة العريض ؛ وبه يعلم ضعف قول عياض ومن تبعه : إنه موضع على ليلتين من المدينة .

بعبع

بُعبع ـ بالضم وإهمال العينين ، أُطم بمنازل بنى عمرو بن عوف بقباء .

بغيبغه

بغيبغة ـ بإعجام الغينين تصغير البغبغ وهى البئر القريبة الرشاء ، وروى ابن شبة أن ينبع لما صارت لعلى رضى الله تعالى عنه كان أول شىء عمله فيها البغيبغة ، وأنه لما بشر بها حين صارت له قال : تسرُّ الوارث ، ثم قال : هى صدقة على المساكين وابن السبيل وذوى الحاجة الأقرب ، وفى رواية للواقدى أن جدادها بلغ فى زمن على رضى الله تعالى عنه ألف وَسْق

وقال محمد بن يحيى: عمل على بينبع البغيبغات، وهى عيون منها عين يقال لها خيف

الأراك ، ومنها عين يقال لها خيف ليلى ، ومنها عين يقال لهـا خيف بسطاس ، قال : وكانت البغيبغات مما عمل على وتصدق به ، فلم يزل فى صدقاته حتى أعطاها حسين بن على عبد الله بن جعفر بن أبى طالب يأكل ثمرها و يستعين بها على دَيْنه ومؤنته ، على أن لا يزوج ابنته من يزيد بن معاوية ، فباع عبد الله تلك العيون من معاوية ، ثم قبضت حين ملك بنو هاشم الصوافى ، فـكلم فيها عبد الله بن حسن بن حسن أبا العباس وهو خليفة فردها فى صدقة على ، فأقامت فى صدقته حتى قبضها أبو جعفر فى خلافته، وكلم فيها الحسن بن زيد المهدى حين استخلف ، وأخبره خبرها ، فردها مع صدقات على .

قلت : وهى معروفة اليوم بينبع ، ولـكن فى يد أقوام يدَّعون ملـكها .

وقال المبرد : روى أن عليا لما أوصى إلى الحسن وقف عين أبى نيزر البغيبغة ، وهى قرية بالمدينة ، وقيل : عين كثيرة النخل غزيرة الماء .

وذكر أهل السير أن معاوية كتب إلى مروان : أما بعد ، فإن أمير المؤمنين أحَبَّ أن يرد الألفة ، و يزيل السَّخيمة ، و يصل الرحم ، فاخْطُبْ إلى عبد الله ابن جعفر ابنَتَه أمّ كلثوم على ابن أمير المؤمنين ، وأرغب له فى الصداق ، فوجه مروان إلى عبد الله فقرأ عليه الـكتاب وعرّفه ما فى الألفة ، فقال : إن خالها الحسين بينبع ، وليس ممن يُفْتَات عليه ، فأنْظِرْنِى إلى حين يقدم ، فلما قدم ذكر له ذلك ، فقام ودخل على الجارية وقال : إن ابن عمك القاسمَ بن محمد بن جعفر أحَقُّ بك ، ولعلك ترغبين فى الصداق ، وقد نحلتك البغيبغات ، فلما حضر القومُ للاملاك تـكلم مروان ، فذكر معاوية وما قصده ، فتكلم الحسين وزوَّجها من القاسم ، فقال له مروان : أغَدْراً يا حسين ؟ فقال : أنت بدأت ، خطب الحسنُ بن على عائشةَ بنت عثمان بن عفان ، واجتمعنا لذلك ، فتكلمت أنت وزوجتها من عبد الله بن الزبير ، فقال مروان : ما كان ذاك ، فالتفت الحسين إلى محمـد بن حاطب وقال : أنشدك الله أكان ذلك ؟ فقال : اللهم فنعم

فلم تزل هذه الضَّيْعة فى يد بنى عبد الله من ناحية أم كلثوم يتوارثونها ، حتى استخاف المأمون ، فذ كر له ، فقال : كلا هذا وقف علىّ ، فانتزعها ، وعوضهم عنها ، وردها إلى ما كانت عليه .

البقال — البقال ـ بالفتح وتشديد القاف ، قال الزبير فى ذكر طلحة من بنى البحترى : وداره بالمدينة إلى جنب بقيع الزبير بالبقال ، وتقدم فى قبور أمهات المؤمنين أنها من خوخة بيته إلى الزقاق الذى يخرج على البقال ، وأن دار أبى رافع التى أخذها من سعد بالبقال مجاورة لسقيفه محمد بن زيد بن على بن حسين بالبقيع ، وتقدم فى مشهد إسماعيل بن جعفر أنه دار زين العابدين على بن حسين ، فالبقال هناك .

بقعاء — بقعاء ـ بالمد وفتح أوله بمعنى المجدب من الأرض ، موضع على أربعة وعشرين ميلا من المدينة ، خرج إليه أبو بكر لتجهيز المسلمين لقتال أهل الردة ، ويقال : بقعاء ذى القصة كما قاله ياقوت .

بقع — بقع ـ بالضم ، اسم بئر بالمدينة ، وقال الواقدى : البقع بالضم هى السقيا التى بنقب بنى دينار ، وقال ياقوت فى المشترك له : البقع اسم بئر بالمدينة قبلى نقى السقيا التى بنقب بنى دينار[1] .

بقيع بطحان — بقيع بطحان ـ مضاف إلى وادى بطحان المتقدم ، وفى الصحيح عن أبى موسى : كنت أنا وأصحابى الذى قدموا معى فى السفينة نزولا فى بقيع بطحان .

بقيع الخبجبة — بقيع الخبجبة ـ بفتح الخاء المعجمة ثم باء موحدة وفتح الجيم والباء ثم هاء ، قال المجد : كذا ذكره أبو داود فى سننه، والخبجبة : شجر عرف به هذا الموضع، قال السهيلى : وهو غريب ، وسائر الرواة ذكروه بجيمين ، انتهى . وليس فى السنن ضبط ، بل ذكره قبل الجنائز بباب قصة المقداد حين وجد به الدنانير ، ولم يذكر ضبطا ، فلعل المراد أن الرواية فيها بهذا الضبط ، لكن ضبطه ابن الأثير فى نهايته بخاءين معجمتين بينهما موحدة ، وفى القاموس : الخبجبة ـ أى بالخاء المعجمة ـ شجر عن السهيلى ، ومنه بقيع الخبجبة بالمدينة ؛ لأنه كان منبتها ، أوهو

(١) كذا ، والذى فى المشترك « قيل هى السقيا التى بنقب بنى دينار » .

بجيمين ، انتهى . ورأيته بخط الأقشهرى بجيمين أولاهما مضمومة ، وتقدم بيانه عند ذكر اتخاذ اللَّبِن للمسجد النبوى به .

وروى ابن أبى شبة قصة المقداد عن ضباعة بنت الزبير ، وكانت تحت المقداد ، قالت : كان الناس إنما يذهبون لحاجتهم قرب اليومين والثلاثة ، فيبعرون كما تبعر الإبل ، فلما كان ذات يوم خرج المقداد لحاجته حتى بلغ الخبجبة ، وهى ببقيع الغرقد ، فدخل خربة لحاجته ، فبينما هو جالس إذ أخرج جرذ من جحر دينارا ، فلم يزل يخرج دينارا دينارا حتى بلغ سبعة عشر دينارا ، قال : فخرجت بها ، حتى إذا جئت بها إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته خبرها ، فقال : هل اتبعت يدك الجحر؟ فقلت : لا والذى بعثك بالحق ، فقال : لا صدقة عليك فيها بارك الله لك فيها ، قالت ضباعة : فما فنى آخرها حتى رأيت غرائر الورق فى بيت المقداد .

بقيع الخيل

بقيع الخيل — موضع شرقىّ المدينة المجاور للمصلى ، وهو المراد بقول أبى قطيفة :

ألا ليت شعرى هل تَغَيَّر بعدنا　　بقيعُ المصلَّى أم كعهدى القرائنُ

بقيع الزبير

بقيع الزبير — يجاور منازل بنى غنم ، وشرقى منازل بنى زريق ، وإلى جانبه فى المشرق البقال ، ولعل الرحبة التى بحارة الخدم بطريق بقيع الغرقد منه .

روى ابن شبة عقب قصة كعب بن الأشرف المتقدمة فى سوق المدينة لما أراد النبى صلى الله عليه وسلم أن يتخذ موضع بقيع الزبير سوقا أنه لما قتل كعب استقطع الزبيرُ النبى صلى الله عليه وسلم البقيع فقطعه ، فهو بقيع الزبير ، ففيه من الدور للزبير دار عروة ، ثم فى شرقيها دار للمنذر بن الزبير إلى زقاق عروة ، وفيه دار مصعب بن الزبير التى على يسارك إذا أردت بنى مازن ، وفيه دار آل عكاشة بن مصعب على باب الزقاق الذى يخرج بك إلى دار نفيس بن محمد ،

يعنى مولى بنى المعلى فى بنى زريق ، وفيه دار آل عبد الله بن الزبير ممدودة إلى دار أسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنهما ، وفيه بيت نافع الزبيرى الذى بمفترق الطرق ، وكل هذا صدقة من الزبير على ولده .

وذكر أيضا أن عباس بن ربيعة اتخذ داره فى بنى غنم بين دار أم كلثوم بنت الصديق و بين الخط الذى يخرجك إلى بقيع الزبير ، وسبق لهذه الدار ذكر مع البقال فى منازل بنى أوس من مزينة .

وقال عامر بن صالح بن عبد الله بن عروة الزبيرى :

ليت شعرى وللّيالى صُرُوف — هل أرى مَرّةً بقيعَ الزبير
ذاك مُغْنَى أحبُّه وقَطِين — تشتهى النفسُ أن ينال بخير

بقيع الغرقد

بقيع الغرقد — وهو كبار العوسج ، كان نابتاً بالبقيع ، مقبرة أهل المدينة ، فقطع عند اتخاذها مقبرة ، كما سبق مع ماجاء فى فضلها ، والبقيع : كل موضع فيه أروم الشجر من ضروب شتى .

وقال عمرو بن النعمان البَيَاضى يرثى مَنْ قتل من قومه الذين أغلقوا عليهم حديقة ، واقتتلوا حتى لم يبق منهم أحد كما سبق :

خَلَتِ الديار فسُدْتُ غيرَ مُسَوَّدِ — ومن العَنَاء تَفَرُّدِى بالسودد
أين الذين عهدتهم فى غِبْطَةٍ — بين العقيق إلى بقيع الغرقد
كانت لهم أنْهَابُ كل قبيلة — وسلاحُ كل مُدَرَّب مستنجد
نفسى الفداء لفتيةٍ من عامر — شربوا المنية فى مقام أنكد
قومٌ هُمُ سفكوا دماء سَرَاتهم — بعض ببعض فعلَ من لم يَرْشُدِ

ونسبه الحَمَاسىُّ لرجل من خثعم بزيادة فى أوله .

البكرات

البكرات — تقدمت بحمى ضرية وشاهدها فى حليت .

البلاط

البلاط — تقدم مستوفى .

بلاكث
بلاكث ــ بالفتح وكسر الكاف ثم مثلثة ، بجانب برمة ، وقال يعقوب : بلاكثة قارة عظيمة ببطن إضم بين ذى خشب وذى المروة ، وقال كثير :

نظرتُ وقد حالَتْ بلاكثُ دونهم   وبطنان وادِى برمة وظهورها

وقال :

بينما نحن بالبَلاَكِثِ فالقا   ع سِرَاعاً والعيسُ تهْوى هُوِيًّا
خطرت خَطْرة على القلب من ذكـ   ـراك وَهْناً فما استطعتُ مُضِيا

بلحان
بلحان ــ بالفتح ثم السكون ، أطم كعب بن أسد القرظى بالمال الذى يقال له الشجرة ، ويعرف اليوم بالشجيرة مصغراً .

بلدود
بلدود ــ بضم أوله وقد يفتح ، وضبطه الصغانى بفتحتين ، موضع من نواحى المدينة ، قال ابن هَرْمَة :

هل ما مضَى منكِ يا أسماء مَرْدُودُ   أم هل تَقَضَّتْ مع الوصل المَوَاعِيدُ
أم هل لياليكِ ذات البين عائدةٌ   أيامَ تجمعنا خلص فبلدود

البلدة والبليدة
البلدة والبليدة ــ تصغير الأولِ ، معروفان بأسفل نخل من أودية الأشعر قرب الفقيرة التى تحمل منها الرياضية إلى المدينة ، قال الهجرى : وذكر كثير البليد فقال :

وقَدْ حال من حزم الحماتين دونهم   وأعْرَضَ من وادِى البليد شُجُونُ
وتأتيك عيرُ الحى لما تقاذفت   ظهور لها من ينبع وبطون

وقال المجد : بليد كزبير واد قرب المدينة ، يدفع فى ينبع ، ثم أورد شعر كثير المتقدم ، وفى النهاية : بليد ــ بضم الباء وفتح اللام ــ قرية لآل على بوادٍ قريب من ينبع ، انتهى . وأظنه البليد مصغرا ، وهو المتقدم ذكره ؛ لأن ياقوتاً قال : البليد تصغير بلد موضعان:

الأول : ناحية قرب المدينة فى وادٍ يدفع فى ينبع لآل على رضى الله تعالى عنهم .

والثانى : ناحية لآل سعيد بن عنبسة بن سعيد بن العاص بالحجاز .

بواطان بواطان ـ قال الهجرى : هو فى الأشعر ، و يحده من شقه الشامى بواطان الغورى والجلسى ، وهما جبلان مفترقا الرأسين ، وأصلهما واحد ، و بينهما ثنية تسلكها الحامل ، سلكها النبى صلى الله عليه وسلم فى غزوة ذى العشيرة ، وأهل بواط الجلسى بنو ذبيان و بنو الربعة من جهينة ، وهو يلى ملحتين ، وقال عياض : بواط ـ بضم أوله وتخفيف ثانيه آخره طاء مهملة ، ورويناه من طريق الأصيلى وغيره بفتح الباء والضم هو المعروف ، وهو من جبال جهينة ، وسبق ذكر وادى بُوَاط فى مجتمع أودية المدينة ومغائضها ، و به غزوة بُوَاط خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مائتين إلى ناحية رَضْوَى يريد تجارة قريش حتى بلغ بواطا فى السنة الثانية .

البويرمة البويرمة ـ بئر لبنى الحارث بن الخزرج ، كما فى النسخة التى وقعت لنا من كتاب ابن شبة ، ولعلها البويرة لما سيأتى .

البويرة بويرة ـ تصغير البئر التى يسقى منها ، وفى الصحيح : حَرَّق نخل النضير ، وهى البويرة ، قال المجد : البويرة موضع منازل بنى النضير ، وذكره المرجانى ثم قال : وقيل : اسم موضع مخصوص من مواضعهم .

قلت : و يرجح الأول قولُ جبل بن جوال التغلبى من أبيات :

وأقفرت البُوَيْرَةُ من سلام ... وسَعْيَة وابن أخطب فَهْيَ بُورُ

وقد كانوا ببلدتهم بعولا ... كما ثقلت بميطان الصخور

واعتمد الثانى الحافظ ابن حجر ، قال : و يقال لها البويلة ـ باللام بدل الراء ـ وقال ابن سيد الناس فى قوله[1] :

* حريق بالبويرة مستطير *

و يروى « بالبويلة » قال : وذكر ابن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) هو حسان بن ثابت ، وصدره : * لهان على سراة بنى لؤى *

أعطى الزبير بن العوام وأبا سلمة البويلة من أرض بنى النضير ، وتقدم أن البويلة أطم لبنى النضير بمنازلهم ، قال ابن زبالة : كان لحى منهم لحقوا باليمن ، فلعله كان بقرب البويرة فسميت به أيضا .

وقلد الحافظ ابن حجر رزينا ومن تبعه فى أن البويرة الموضع المعروف بهذا الاسم فى قبلة مسجد قباء من جهة المغرب ، قال رزين : و به منازل النضير وقريظة وحصنهم ، و إنه صدقة النبى صلى الله عليه وسلم ، وقد تقدم مع رده فى الفصل الثانى فى الصدقات ، مع بيان منشأ الوهم فيه ، وذكر ابن زبالة فى مساجد المدينة ومقاماته صلى الله عليه وسلم حديث تربة صعيب المعروف اليوم عند ركن الحديقة الماجشونية فى قبلة ديار بنى الحارث ، ثم قال : وصعيب عند نخلة المرجئة على الطريق فى بناء من البويرة .

وروى أيضا فى فضل دور الأنصار أن النبى صلى الله عليه وسلم وَقَفَ على السيرة التى على الطريق حَذْو البويرة فقال : إن خير نساء ورجال فى هذه الدور، وأشار إلى دار بنى سالم ودار بَلْحُبْلى ودار بَلْحَارث بن الخزرج ، وهذا الوصف لا يطابق الموضع الذى فى قبلة مسجد قباء لبعده جدا .

والذى يتحرر أن البويرة المتعلقة ببنى النضير التى وقع بها التحريق وهى المذكورة فى شعر حسان ليست البويرة التى بقباء ، بل بمنازل بنى النضير المتقدمة فى محلها ، وسبق أن بعض منازلهم كانت بناحية الغرس ، فيطابق أنها بقرب تربة صعيب و بُلْحارث .

البيداء

البيداء ــ قال المطرى فمن تبعه : هى التى إذا رحل الحجاج من ذى الحليفة استقبلوها مُصْعِدين إلى المغرب .

وقال الحافظ ابن حجر : البيداء فوق علمى ذى الحليفة لمن صعد من الوادى، قاله أبوعبيد البكرى وغيره، انتهى. فأول البيداء عند آخر ذى الحليفة، وكان هناك

علمان للتمييز بينهما ، ولذا قال الأسدى فى تعداد أعلام الطريق : إن على مخرج المدينة علمين ، وعلى مدخل ذى الحليفة علمين ، وعلى مخرج ذى الحليفة علمين ، وقال فى موضع آخر : والبيداء فوق علمى ذى الحليفة إذا صعدت من الوادى ، وفى أول البيداء بئر ، انتهى . وكأن البيداء مابين ذى الحليفة وذات الجيش .

وفى حديث عائشة فى نزول آية التيمم « حتى إذا كنا بالبيداء ، أو بذات الجيش » وفى الحديث « إن قوما يغزون البيت ، فإذا نزلوا بالبيداء بعث الله تعالى جبريل عليه السلام فيقول يابيداء أبيديهم » وفى رواية لابن شبة عن أم سَلَمة مرفوعا « يتابع الرجل بين الركن والمقـــام عدة أهل بدر ، فتأتيه عصائب أهل العراق وأبدال أهل الشـام ، فيغزوهم جيش من أهل الشام ، فإذا كانوا بالبيداء خسف بهم ، ثم يغزوهم رجل من قريش أخواله كلب فيلتقون فيهزمهم الله ، فالخائب من خاب من غنيمة كلب » وفى رواية له « جيش من أمتى من قبل الشام يؤُمُّونَ البيتَ لرجل منعه الله منهم ، حتى إذا عَلَوْا البيداء من ذى الحليفة خسف بهم ، ومصادرهم شتى . قلت : بأبى أنت وأمى يارسول الله ، كيف يخسف بهم جميعا ومصادرهم شتى ؟ قال : إن منهم من جبر » وعن ابن عمر « إذا خسف بالجيش بالبيداء فهو علامة خروج المهدى » وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه « يجىء جيش من قبل الشام حتى يدخل المدينة ، فيقتلون المقاتلة و يبقرون بطون النساء ، و يقولون للحبلى فى البطن : اقتلوا صبابة الشر ، فإذا عَلَوُا البيداء من ذى الحليفةخسف بهم ، فلا يدرك أسفلهم أعلاهم ولاأعلاهم أسفلهم » قال أبو الهرم : فلما : جاء جيش ابن دبجة قلنا هو فلم يكونوا هم ، يعنى جيش مسرف

بيسان

بيسان ـ بالفتح وسكون المثناة تحت ثم سين مهملة وألف ونون ، بين خيبر والمدينة ، وفى الحديث أن رسول الله صلى الله علية وسلم « نَزَلَ فى غزوة ذى قرد على ماء يقال له بيسان ، فسأل عن اسمه ، فقالوا : اسمه بيسان ، وهوملح،

فقال رسول الله صل الله عليه وسلم : بل هو نعمان ، وهو طيب » وغير رسول الله صلى الله عليه وسلم الاسم ، وغير الله الماء ، فاشتراه طلحة ونصدق به ، وجاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره به ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أنت ياطلحة إلا فياض ، فسمى طلحة الفياض .

حرف التاء

تاراء — بالمد ، سبق فى مساجد تبوك ، قال نصر : وهو موضع بالشام . تاراء

تَبُوك — كصَبُور ، موضع بين وادى القرى والشام ، على اثنتى عشرة مرحلة من المدينة ، قيل : اسم بركة هناك ، وقال أبو زياد : تَبُوك بين الحجر وأول الشام ، على أربع مراحل من الحجر نحو نصف طريق الشام ، وهو حصن به عين ونخل وحائط تنسب للنبى صلى الله عليه وسلم ، ويقال : إن أصحاب الأيكة الذين بعث إليهم شعيب كانوا به ، ولم يكن شعيب منهم بل من مدين ، ومدين على بحر القلزم على نحو ست مراحل من تبوك . تبوك

وقال أهل السير : توجَّهَ النبى صلى الله عليه وسلم سنة تسع إلى تَبُوك ، وهى آخر غزواته ، لغزومن انتهى إليه أنه قد تجمع من الروم وعاملة ولَخْم وجُذَام ، فوجدهم قد تفرقوا ، فلم يلق كيدا ، ونزلوا على عين ، فأمرهم صلى الله عليه وسلم أن لا يمس أحد من مائها ، فسبق رجلان وهى تَبِض بشىء من ماء ، فجعلا يدخلان فيها سهمين ليكثر ماؤها ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : مازلتما تبوكانها منذ اليوم ، أى يحركانها بما أدخلاه ، وبذلك سميت تبوك ، وركز النبى صلى الله عليه وسلم عَنَزَته فيها ثلاث ركزات ، فجاءت ثلاث أعين ، فهى ترمى بالماء إلى الآن .

وحديث عين تبوك فى صحيح مسلم ، وفيه أنه صلى الله وسلم « غسل وجهه ويده بشىء من مائها ثم أعاده فيها ، فجرت العين بماء كثير » الحديثَ ، وفى

رواية ابن إسحاق « فانخرق من الماء ماله حس كحس الصواعق » ثم قال « يوشك يا معاذ إن طالت بك حياة أن ترى ماههنا قد ملىء جنانا » وأقام صلى الله عليه وسلم بتبوك أياما حتى صالحه أهلها ، وانتدب خالد بن الوليد إلى دومة الجندل .

قال المجد : وذكرنا لتبوك ليس من شرط الكتاب لبعده من المدينة ، لكن لكثرة ذكره فى الأحاديث زاغ القلم بذكره .

قلت : سيأتى فى السين المهملة ذكر المجد لسرغ ، وأنها بوادى تبوك على ثلاث عشرة مرحلة من المدينة ، وأنها آخر عمل المدينة ، وهى بعد تبوك ، وسيأتى فى مدين أنها من أعراض المدينة ، وهى فى محاذاة تبوك .

وقال صاحب المسالك والممالك ، كما فى خط الأقشهرى : وكانت قريظة والنضير ملوكا على المدينة على الأوس والخزرج ، وكان على المدينة وتهامة فى الجاهلية عامل من جهة مرزبان البادية ، يجبى إليه خراجها .

ثم قال : ومن توابع المدينة ومخاليفها وقراها تيماء ، وبها حصنها الأبلق الفرد ، ومنها دومة الجندل ، وهى من المدينة على ثلاث عشرة مرحلة ، وحصنها المارد . انتهى .

تخم

تخم ـ بضم النون وكسرها[1] ، وقيل : بتاءين الثانية تكسر وتضم ، جبل بالمدينة .

تربان

تربان ـ بالضم ثم السكون ، وادٍ بين أولات الجيش وملل ، قاله أبو زياد ، وقال ابن هشام فى المسير إلى بدر : قال ابن إسحاق : فسلكَ على نقب المدينة ، ثم على العقيق ، ثم على ذى الحليفة ، ثم على أولات الجيش ، قال ابن هشام : ذات الجيش ، ثم مر على تربان ، ثم على ملل ، هكذا فى أصل معتمد ، وتقدم فى حدود الحرم أن ذات الجيش نقب ثنية الحفيرة ،

---

(١) وقع فى أصل هذا الكتاب « نجتم » وهو تحريف ، ولا يتفق مع نظام المؤلف وترتيبه ، وهو يتكلم الآن على ما أوله تاء ، ووقع فى معجم ياقوت « تخم » وذكر أنه روى « نخم » بنون بعد الخاء

قال الأسدى: بين الحفيرة أى التى تنسب الثنية لها و بين ملل ستة أميال، انتهى؛ فتر بان فيما بين ذلك ، و بينه [و بين] ثنية مفرح موضع يقال له سمهان ، قال[١] كثير :

رأيت جمالها تعلو الثنايا كأن ذرى هوادجها البروج[٢]
وقد مرت على تربان تحدى لها بالجزع من ملل وسيج[٣]

ترعة

ترعة — واد يلقى إضم من القبلة كما سبق ، قال الزبيرى عقبه : وفى ترعة يقول بشر السلمى :

أرى إبلى أمست تحن لقاحها بترعة ترجو أن أحل بها أبلى

وذكر ابن شبة فى صدقات على رضى الله تعالى عنه واد [يا] يقال له ترعة بناحية فدك بين لابتى حرة .

ترن

ترن — كزفر ، ناحية بين مكة والمدينة .

تريم

تريم — كحذيم ، واد بين المضايق ووادى ينبع .

تسرير

تسرير — واد بحمى ضرية بين ضلعيها ، وقال بعضهم فيه السرير بلفظ السرير الذى يجلس عليه ، وهو خطأ ، أنشد أبو زياد الكلابى :

إذا يقولون : مايشفيك ؟ قلت لهم : دخان رمث من التسرير يشفينى

تضارع

تضارع — بضم أوله وضم الراء ، ولا نظير له ، وروى بكسر الراء أيضا ، ويقال بفتح أوله وضم الراء ، اسم لحمى تضارع المتقدمة فى العقيق ، وتضارع وتضرع أيضاً: جبلان لبنى كنانة بتهامه أو بنجد .

تعار

تعار — بالكسر و إهمال العين ، وروى إعجامها ، قال عرام ، فيما بجهة أبلى مالفظه : ومن قبل القبلة جبل يقال له يرمرم ، وجبل يقال له تعار ، وهما عاليان لا ينبتان شيئاً فيهما النمران كثيرة ، قال لبيد :

عشت دهراً ولا يعيش مع الأيام إلا يرمرم وتعار

---

(١) فى أصول هذا الكتاب « قال كثير بن مقبل » وهو عجيب فى خلط النساخ
(٢) فى أصول هذا الكتاب « تعلو السنانا » تحريف .
(٣) وفيها أيضا « على تربان تجرى » و « وشيج » وكلاهما تحريف

التعانيق التعانيق ـ بالفتح و بعد الألف نون مكسورة و ياء ساكنة وقاف ، موضع بشق العالية ، قال زهير :

صحا القلب عن سلمى وقد كان لا يسلو وأقفر من سلمى التّعانيق فالثقل[1]

تعهن تعهن ـ بكسر أوله وثالثه ، وروى بفتحهما ، وحكى أبو ذر الهروى أنه سمعه من العرب بذلك المكان بفتح ثالثه ، قال : ومنهم من يضم أوله و يفتح العين و يكسر الهاء ، وأغرب أبو موسى المزينى فضبطه بضم أوله وثانيه وتشديد الهاء ، ووقع فى رواية الإسماعيلى «دعهن» بالدال المهملة بدل المثناة، و يقال فيه «تعاهن» بالضم وكسر الهاء ، وتقدم فى المساجد عن الأسدى أن تعهن بعد السقيا التى بطريق مكة بثلاثة أميال لجهة مكة ، وقال : إنها عين ماء خربة ، وكان عندها امرأة يقال لها أم عقى ، يقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرّ بها فاستسقاها ماء، فأَبَتْ ، فدعا عليها فُسِخَتْ صخرة ، وذكر قوم أنها كانت تدعى أم حبيب الراعية ، واختلفوا فى اسمها وخبرها ، انتهى .

وقال السهيلى : و بتعهن صخرة يقال لها أم عقى ، روى أن امرأة كانت تسكن تعهن يقال لها أم عقى ، فحين مر بها النبى صلى الله عليه وسلم ـ يعنى فى سفر الهجرة ـ استسقاها ، فأبت ، وذكر ماتقدم ، قال : ومدلجة تعهن عند السقيا وهى المذكورة فى سفر الهجرة ، حيث قالوا : سلك بذى سَلَم من بطن أعداء مدلجة تعهن ، ثم أجاز القاحة ، وقال عياض : تعهن عين ماء سمى به الموضع ، وهى على ثلاث أميال من السقيا ، وقال المجد : هى بين القاحة والسقيا ، وهو مخالف لماسبق ؛ لأن القاحة قبل السقيا ، بميل فقط إلى جهة المدينة كما سيأتى عنه، وتعهن على ثلاثة أميال من السقيا ، فكيف يكون بين القاحة والسقيا ، لكن فى حديث أبى قتادة فى سؤاله الغفارى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع ،

(١) وقع فى الأصول « فالثحل » وسيذكره المؤلف على هذا الوجه فى حرف الثاء ، وكلاهما صحيح ، إلا أنه بالثاء والجيم لا الحاء

فقال : تركته بتعهن، وهو قائل السقيا ، وذلك بعد أن صاد أبو قتادة الحمار الوحشى بالقاحة ؛ لأنه لم يكن أحرم كما فى الصحيح .

فقوله «وهو قائل السقيا» إن كان من القيلولة فالمراد أنه تركه بتعهن وهو يريد أن يقيل بالسقيا ، فتعهن بين القاحة والسقيا كما قاله المجد ، وكذا إن كان من القول ، أى وهو قائل : اقصدوا السقيا ، مع أنى سألتُ بعض العارفين بهذه الأماكن ، فقال : هى معروفة اليوم : القاحة مما يلى المدينة ، ثم السقيا إلى جهة مكة ، ثم تعهن بعدها ، ثم سألت جماعة عن ذلك وكلهم أخبرنى بذلك ، وهو مخالف لظاهر الحديث ، نعم روى «وهو قابل السقيا » بالباء الموحدة والضمير لتعهن كما نقله الحافظ ابن حجر ، فلا تعرض فيه لكيفية ترتيب الموضعين ، وأما مارواه الإسماعيلى «وهو قائم بالسقيا» فهو أشكل ، إلا أن يكون الضمير للغفارى ، ويكون ذلك من كلام أبى قتادة ، وانتهى كلام الغفارى بقوله تركته بتعهن ، وهو بعيد جدا ، وقال ابن قيس الرقيات :

أقفرت بعد عبد شمسٍ كداء فكدى فالرُّكْنُ فالبطحاء
مُوحشات إلى تعاهن فالسقـ يا قفار من عبد شمس خلاء

تمنى

تمنى — بفتحتين وتشديد النون المكسورة ، أرض يطؤها المنحدر من ثنية هَرْشَى يريد المدينة ، وبها جبال تسمى البيض .

تناضب

تناضب — بضم أوله وكسر الضاد المعجمة ، شعبة من شعب الدُّوداء ، وهو واد يدفع فى العقيق ، وأما التناضب بالفتح وضم الضاد المعجمة وكسرها فموضع آخر فى حديث عمر ، قال : لما أردت الهِجْرَةَ إلى المدينة أنا وعياش بن أبى ربيعة وهشام بن العاص أبعدت أنا وهما، التناضب من أضاة بنى غفار فوق سرف ، وقلنا : أينا لم يصبح عندها فقد حبس فليمض صاحباه ، فأصبحت أنا وعياش عند التناضب وحبس هشام وفتن فأفتن وقدمنا المدينة

تهمل

تهمل — بفتح التاء والميم ، موضع قرب المدينة ، ويروى بالمثلثة .

تيدد — بفتح أوله وسكون المثناة التحتية ثم دالين مهملتين ، تقدم فى أسماء المدينة ، وهو اسم موضع آخر من أودية الأجرد جبل جهينة ، يلى وادى الحاضر به عيون صغار خيرها عين يقال لها أذينة ، وعين يقال لها الطليل ، وعيون تيدد كلها تدفع فى أسنان الجبال فإذا أسهل بغراسها لم ينجب زرعها ، وذلك أن صاحبها — وكان من جهينة — ذمها ، وقال : هى فى الجبل ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم « لا أَسْهَلَتْ تيدد » فما أسهل منها فلا خير فيه ، نقله الهجرى ، وقال رجل من مزينة فى شىء وقع بينهم و بين جهينة فى الجاهلية :

فإن تشبعوا منا سباع رواوة فإن لها أكناف تيدد مرتعا

تيس — بلفظ فحل المعز ، أطم لبنى عنان من بنى ساعدة بمنازلهم .

تيم — بفتحتين ، عبر به ابن النجار ومن تبعه عن ثيت جبل شرقى المدينة ، كما فى حدود الحرم .

تيماء — بالفتح والمد ، بلدة على ثمان مراحل من المدينة ، بينها و بين الشام ، وسبق فى تبوك أنها من توابع المدينة .

حرف الثاء

الثاجة — بالجيم المشددة ، ماء يثج بحرض وبحراض ناحية أخرى .

ثافل — الأصغر وثافل الأكبر بالفاء ، جبلان بعدوة غيقة اليسرى ، عن يسار المصعد من الشام إلى مكة ، و يمين المصعد من المدينة ، بينهما ثنية لا تكون رمية سهم ، وهما لضمرة وهم أصحاب غلال و يسار ، و بينهما و بين رضوى وغرور ليلتان ، قاله عرام .

وقال الأسدى : الجبل الذى يقابل عين القشيرى يمنة يقال له : ثافل ، وهو يعاود الطريق مع العين التى تقابل الأثاية دون العرج بميلين .

ثبار — كـكتاب آخره راء ، موضع على ستة أميال من خيبر ، به قَتَلَ عبدالله ابن أنيس أسير بن رزام اليهودى ، ويروى بفتح أوله ، وليس بشىء . ثبار

ثجل — بالضم ، موضع بشق العالية ، تقدم شاهده فى التعانيق[1] . ثجل

ثرا — بالـكسر والقصر ، موضع بين الرويثة والصفراء ، أسفل وادى الجى . ثرا

ثريا — بلفظ اسم النجم الذى فى السماء ، من مياه الضباب بحمى ضرية ، ومياه المحارب فى جبل شُعَبى ، قاله ياقوت . ثريا

ثعال — كغراب ، شعبة بين الروحاء والرويثة . ثعال

ثغرة — بالضم والغين المعجمة ثم راء وهاء ، ناحية من أعراض المدينة . ثغرة

الثمام — بالضم والتخفيف ، ويقال الثمامة بلفظ واحدة الثمام للنبت المعروف ، يضاف إليه صخيرات الثمام ، ورواه المغاربة بالياء آخر الحروف بدل المثلثة[2] ، وهو الموضع المعروف اليوم بالصخيرات ، قال ابن إسحاق فى المسير إلى بدر : مرّ على تربان ، ثم على ملل ، ثم على عميس الحمائم من مرتين ، ثم على صخيرات اليمام ، ثم على السيالة . ثمام

ثمغ — بالفتح والغين المعجمة ، مال بخيبر لعمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ، قاله المجد ؛ لحديث الدارقطنى أن عمر أصاب أرضاً بخيبر يقال لها ثمغ ، فسأل النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال له : احبس أصلها وتصدق بثمرتها ، وفى البخارى أن عمر تصدق بمال يقال له ثمغ ، وكان نخلا ، الحديث ، لـكن تقدم فى منازل يهود أن بنى مزانة كانوا فى شامى بنى حارثة ، وأن من آطامهم هناك الأطم الذى يقال له الشعبان فى ثمغ صدقة عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ، قاله ابن زبالة ، وفى بعض طرق حديث صدقة عمر من رواية ابن شبة أن عمر رضى الله تعالى عنه أصاب أرضاً من يهود بنى حارثة يقال لها ثمغ . ثمغ

---

(١) انظر ص ١١٦٢ واقرأ الهامشة رقم ١ (٢) قالوا : صخيرات اليمام

وذكر الواقدى اصطفاف أهل المدينة على الخندق فى وقعة الحرة ، ثم ذكر مبارزة وقعت يومئذ فى جهة ذباب إلى كومة أبى الحمراء ، ثم قال : كومة أبى الحمراء قرية من ثمغ .

وقال أبوعبيد البكرى : ثمغ أرض تلقاء المدينة كانت لعمر ، وذكره ابن شبة فى صدقات عمر بالمدينة ، وغاير بينه و بين صدقته بخيبر ، وأورد لفظ كتاب صدقته ، وفيه: ثمغ بالمدينة وسهمه من خيبر ، وروى عن عمرو بن سعيد بن معاذ قال : سألنا عن أول من حبس فى الإسلام ، فقال قائل : صدقة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا قول الأنصار ، وقال المهاجرون : صدقة عمر ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أول ما قدم المدينـة وجد أرضاً واسعة بزهرة لأهل رابح وحسيكة ، وقد كانوا أجلوا عن المدينة قبل مقدم النبى صلى الله عليه وسلم ، وتركوا أرضاً واسعة منها براح ومنها ما فيه واد لا يسقى يقال له الحشاشين ، وأعطى عمر منهـا ثمغاً ، واشترى عمر إلى ذلك من قوم من يهود ، فـكان مالا معجبا ، فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إن لى مالا ، و إنى أحبه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : احْبِسْ أصله وسَبِّلْ ثمره .

فهذا كله صريح فى كونه بالمدينة فى شاميها ، فـكأن ما فى رواية الدارقطنى من تصرف بعض الرواة ، وأن كلا من صدقتيه يسمى ثمغاً .

وعن ابن عمر قال : ثمغ أول ما تصدق به فى الإسلام .

وعن ابن كعب : أول صدقة فى الإسلام وقف رسول الله صلى الله عليـه وسلم ، قال المسور : فقلت : فإن الناس يقولون : صدقة عمر ، فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قَبَضَ ما أوصى له به مخيريق من أمواله على رأس اثنين وعشرين شهرا من الهجرة وتصدق بها ، و إنمـا تصدق عمر بثمغ حين رجع من خيبر سنة سبع ، ورواه ابن شبة أيضا .

ثنية البول ثنية البول ــ بالباء الموحدة ، بين ذى خشب والمدينة .

ثنية الحوض

ثنيـة الحوض ـ روى الطبرانى عن سلمة بن الأكوع قال : أقبلتُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من العقيق ، حتى إذا كنا على الثنية التى يقال لها ثنية الحوض التى بالعقيق أوْمأ بيده قبل المشرق ـ الحديثَ ، وكأنها أضيفت إلى حوض مروان المتقدم فى قصر أبى هاشم بن المغيرة بالعقيق ، وأظنهـا ثنية المدرج .

ثنية الشريد

ثنية الشريد ـ تقدمت فى الفصل الرابع .

ثنية العاير

ثنية العاير ـ بمثناة تحتية قبل الراء ، ويقال بالغين المعجمة ، والإهمال هو الأشهر ، وهى عن يمين ركوبة ، سلـكها النبى صلى الله عليه وسلم فى الهجرة .

ثنية عثعث

ثنية عثعث ـ منسوبة إلى جبل يقال له سليع ، كما سيأتى فى عثعث ، ويؤخذ من كلام ابن شبة أنها الثنية التى بقرب الجبيل الذى عليه حصن أمير المدينة ، بينه وبين سلع ، فذلك الجبيل هو سليع .

ثنية مدران

ثنية مدران ـ بكسر الميم ، تقدمت فى مساجد تبوك .

ثنية المرة

ثنية المِرّةَ ـ بالـكسر وتشديد الراء ، قرب ماء يدعى الأحيـاء من رابغ ، لقى بهـا أبو عبيدة بن الحارث فى سريته جمعَ المشركين ، وقال ياقوت : ثنيـة المرة بتخفيف الراء يشبه تخفيف المرة من النساء ، فى حديث الهجرة أن دليلهما يسلك بهما إلخ ، ثم ثنية المرة ، ثم لقفا ، وهو أيضا فى حديث سرية عبيدة بن الحارث ، انتهى .

ثنية المرار

وأما ثنية المرار ـ فبضم الميم أو كسرها ، كما ذكره مسلم على الشك ، وفتحها بعضهم ، قال عياض : أراها بجهة أحُد .

قلت : الصواب ما قاله النووى من أنها عند الحديبية ، قال ابن إسحاق : هى مهبط الحديبية ، انتهى .

ثنية الوداع

ثنية الوداع ـ بفتح الواو ، تقدم فى أمكنة المدينة وحفظها من الوباء عن جابر أنه كان لا يدخل أحد المدينة إلا من ثنية الوداع ، فإن لم يعشر بها مات قبل أن

يخرج ، فإذا وقف على الثنية قيل : قد ودع ، فسميت ثنية الوداع ، حتى قدم عروة بن الورد فلم يعشر ، ثم دخل فقال : يا معشر يهود مالكم وللتعشير ؟ قالوا : لا يدخلها أحد من غير أهلها فلم يعشر بها إلا مات ، ولا يدخلها أحد من غير ثنية الوداع إلا قتله الهزال ، فلما ترك عروة التعشير تركه الناس ، ودخلوا من كل ناحية .

وروى ابن شبة عنه أيضا قال : إنما سميت ثنية الوداع لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل من خيبر ومعه المسلمون قد نكحوا النساء نكاح المتعة ، فلما كان بالمدينة قال لهم : دعوا ما فى أيديكم من نساء المتعة ، فأرسلوهن ، فسميت ثنية الوداع .

وفى الأوسط عنه قال : خرجنا ومعنا النساء اللاتى استمتعنا بهن ، حتى أتينا ثنية الركاب ، فقلنا : يا رسول الله هؤلاء النسوة اللاتى استمتعنا بهن، فقال : هن حرام إلى يوم القيامة ، فودعناهن عند ذلك ، فسميت بذلك ثنية الوداع ، وما كانت قبل إلا ثنية الركاب .

وأخرجه البخارى بلفظ : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى غزوة تبوك حتى إذا كنا عند العقبة مما يلى الشام جاء نسوة كنا تمتعنا بهن يطفن برحالنا فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكرنا ذلك له ، فغضب وقام خطيبا وأثنى على الله ونهى عن المتعة ، فتوادعنا يومئذ ، فسميت ثنية الوداع .

وروى أبو يعلى وابن حبان عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك ، فنزلنا ثنية الوداع ، فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم مصابيح ، ورأى نساء تبكين تمتع منهن ، فقال : حرم ، أو قال : هذا المتعة والنكاح والطلاق والعدة والميراث [؟].

وقال ابن إسحاق فى غزوة تبوك : فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب عسكره على ثنية الوداع ، وضرب عبد الله بن أبى معه على جدة عسكره

أسفل منه نحو ذباب ، وقال ابن سعد فى سرية مؤتة دون دمشق : وخرج النبى صلى الله عليه وسلم مُشَيِّعا لهم حتى بلغ ثنية الوداع ، فوقف وودعهم ، وعسكروا بالجرف .

وفى البخارى عن السائب بن يزيد قال : أذكر أنى خرجت مع الصبيان نتلقى النبىّ صلى الله عليه وسلم إلى ثنية الوداع مَقْدَمَهُ من غزوة تبوك ، وكل هذه الروايات متظاهرة على أن هذه الثنية هى المعروفة بذلك اليوم فى شامى المدينة بين مسجد الراية الذى على ذباب ومشهد النفس الزكية ، يمر فيها المار بين صدين مرتفعين قرب سلع .

ومن تأمل كلام ابن شبة فى المنازل وغيرها لم يَرْتَبْ فى ذلك ، وسوق المدينة كانت هناك .

وتقدم فى الدار التى أحدثها ابن هشام هناك بسوق المدينة ما يشهد لذلك ، وأن ابن مكدم لما قدم من الشام وأشرف على ثنية الوداع صاح : مات الأحول ، وأن الناس سألوه عن دار السوق ، فقال : اهدموها ، فابتدرها الناس .

ويوضحه أيضا ما رواه ابن إسحاق فى غزوة العالية حيث قال : أول من نذر بهم سلمة ، غدا ومعه قوسه وهو يريد الغابة ، فلما أشرف على ثنية الوداع نظر إلى الجبل ، فعلا فى سلع ثم صرخ : واصباحاه ، انتهى .

وأحَدُ صدى هذه الثنية المعروفة اليوم متصل بسلع .

وفى خبر رواه البيهقى عن أبى قتادة أنه أَسْرَجَ فرسَه ، ثم نهض حتى أتى الزوراء ، فلقيه رجل ، فقال : يا أبا قتادة ، تشوط دابتك وقد أخذت اللقاح ، وقد ذهب النبى صلى الله عليه وسلم فى طلبها وأصحابه ، فقال : أين ؟ فأشار له نحو الثنية ، فإذا بالنبى صلى الله عليه وسلم فى نفر من أصحابه جلوسا عندديار[1] ، وذكر قصته فى غزوة الغابة .

والزوراء : فى قبلة هذه الثنية ، وذباب : فى شاميها .

(١) كذا ، وأظنه « عند ذباب » .

وقال الحافظ ابن حجر فى حديث الهجرة : أخرج ابن سعد فى شرف المصطفى وروينا فى فوائد الخلعى بسند معضل عن عائشة رضى الله تعالى عنهـا قالت : لمـا دخل النبى صلى الله عليه وسلم المدينة جعل الولائد يَقلْنَ :

طلع البـدر علينا من ثنيات الوداع
وجب الشـكر علينا ما دعا لله داعى

قال : ولعل ذلك كان فى قدومه من غزوة تبوك .

قلت : وذلك لأن ثنية الوداع ليست من جهة طريق مكة ، على أنى أقول : إن ذلك لا يمنع من كونه فى الهجرة عند القدوم من قبـاء ؛ لأنه صلى الله عليه وسلم ركب ناقته ، وأرْخى لها زمامها ، وقال : دعوها فإنها مأمورة ، ومر بدور الأنصار كما سبق ، حتى مر ببنى ساعدة ، ودارُهم فى شامىّ المدينة قرب ثنيـة الوداع ، فلم يدخل باطن المدينة إلا من تلك الناحية حتى أتى منزله بها ، وقد عرج النبى صلى الله عليه وسلم فى رجوعه من بدر إلى ثنية الوداع ؛ لمـا فى مغازى ابن عقبة أنه صلى الله عليه وسلم سلك حين خرج إلى بدر حتى نقب بنى دينار ، ورجع حين رجع من ثنية الوداع .

وذكر البيهقى فى الدلائل فى القدوم من غزوة تبوك الخـبر فى قول النساء والصبيان والولائد * طلع البدر علينا * إلى آخره ، ثم قال : وهذا يذكره علماؤنا عند مقدمه المدينة من مكة ، وقد ذكرناه عنده ، إلا أنه إنما قدم المدينة من ثنية الوداع عند مقدمه من تبوك ، انتهى . وقد تقدم ما يوضح ذلك .

وقال عياض : ثنية الوداع موضع بالمدينة على طريق مكة ، سمى بذلك لأن الخارج منها يودعه مشيعه ، وقيل : لوَدَاع النبى صلى الله عليه وسلم بعض المسلمين المقيمين بالمدينة فى بعض خرجاته ، وقيل : وَدَّع فيها بعضَ أمراء سراياه ، وقيل: الوَدَاع وادٍ بمكة كذا قاله المظفر فى كتابه ، وحكى أن إماء أهل مكة قلنه فى رجزهم عند لقاء النبى صلى الله عليه وسلم يوم الفتح ، خلاف ماقاله غيره من أن نساء أهل المدينة قلنه عند دخوله صـــلى الله عليه وسلم المدينة

والأول أصح ؛ لذكر الأنصار ذلك مقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة ، فدل على أنه اسم قديم لها ، اه .

وقال الحافظ ابن حجر فى خبر السائب بن يزيد المتقدم : إن الداوودى أنكره ، وتبعه ابن القيم ، وقال : ثنية الوداع من جهة مكة ، لا من جهة تبوك ، بل هى فى مقابلها كالمشرق من المغرب ، إلا أن يكون هناك ثنية أخرى فى تلك الجهة ، قال ابن حجر عقبه : ولا يمنع كونها من جهة مكة أن يكون الخروج إلى جهة الشام من جهتها .

ثم ذكر رواية الخليعات [؟]فى قول النسوة، وقال : قيل كان ذلك عند قدوم الهجرة ، وقيل : عند القدوم من غزوة تبوك ، اه .

ومراد الداوودى حيث وصف الثنية بما ذُكره أنها موضع لا يسلكها الخارج إلى جهة الشام ، فكيف يجاب بهذا ؟ وسيأتى فى المدرج أنه الثنية المشرفة على العقيق والمدينة ، وأنها ثنية الوداع عند من ذهب إلى أنها من جهة مكة ، فهى كما قال الداوودى وقد تبعه المجد فصرح به فى ترجمة المدرج ، وقال هنا: هى ثنية مشرفة على المدينة ، يطؤها من يريد مكة ، وقيل : من يريد الشام ، واختلف فى تسميتها بذلك فقيل : لأنها موضع وداع المسافرين من المدينة إلى مكة ، وقيل : لأن النبى صلى الله عليه وسلم ودَّع بعض مَنْ خلفه بالمدينة فى آخر خرجاته ، وقيل : فى بعض سراياه المبعوثة عنه ، وقيل : الوداع اسم وادٍ بمكة ، والصحيح أنه اسم قديم جاهلى ، سمى به لتوديع المسافرين ، وهكذا قال أهل السير والتاريخ وأصحاب المسالك إنها من جهة مكة ، وأهلُ المدينة اليوم يظنونها من جهة الشام ، وكأنهم اعتمدوا قول ابن قيم الجوزية فى هَدْيه فإنه قال : من جهة الشام ثنيات الوداع ، ولا يطؤها القادم من مكة البتة ، ووَجْهُ الجمعِ أن كلتا الثنيتين تسمى بثنية[الوداع] ، اه كلام المجد .

والظاهر أن مستند من جعلها من جهة مكه ما سبق من قول النسوة ، وأن ذلك عند القدوم من الهجرة ، مع الغفلة عما قدمناه فى توجيهه ، وهو فى الحقيقة حُجّة لمن ذكرها فى جهة الشام ، ولم أر لثنية الوداع ذكرا فى سفر من الأسفار التى بجهة مكة ، وما نقله المجد عن ابن القيم هو الموجود فى هَدْيه ، فإنه قال فى ذكر القدوم من تبوك ما لفظه : فلما دنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة خرج الناس لتلقيه ، وخرج النساء والصبيان والولائد يقلن :

طلع البـــدر علينا من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ما دعـــا لله داعى

و بعض الرواة وهم فى هذا و يقول : إنما كان ذلك عند مَقْدَمه المدينةَ من مكة ، وهو وهم ظاهر ؛ لأن ثنيات الوداع إنما هى من ناحية الشام لا يراها القادم من مكة إلى المدينة ، ولا يمر بها إلا إذا توجه إلى الشام ، اه .

وهو مخالف لما نقله عنه الحافظ ابن حجر ، و إن سلم الجمع الذى ذكره المجد من أن كلا من الثنيتين يسمى بذلك فالمراد من الأخبار المتقدمة كلها الموضع المتقدم بيانه فى شامى المدينة ، وكذلك من حديث السباق فى أمد الخيل المضمرة أنه من الغابة أو الحفيا إلى ثنية الوداع إلى مسجد بنى زريق ؛ لانطباق المسافة المذكورة فى ذلك على الموضع المتقدم ، كما سبق فى مسجد بنى زريق ، وكما سيأتى فى الحفيا ، مع أن ما بين بنى زريق وثنية المدرج لا يصلح للسباق أصلا ، وهو على نحو ضعفى ما ذكروه فى المسافة .

ثور ثور ــ بلفظ فحل البقر ، تقدم مستوفى فى حدود الحرم .

ثيب ثيب ــ تقدم فى حدود الحرم أيضا .

حرف الجيم

الجار — قرية كثيرة الأهل والقصور ، بساحل المدينة ، ترد السفن إليها ، قاله في المشارق ، وقال ياقوت : الجار مدينة على ســـاحل بحر اليمن ، وهى فُرْضَة المدينة ، بينها و بين المدينة يوم وليلة ، ينسب إليها عبد الملك الجارى مولى مروان ابن الحكم ، وسيأتى عن المجد فى السرير أنه بقرب الجار ، وهى فرضة أهل السفن الواردة من مصر والحبشة إلى المدينة ، قال المجد عقبه : والجار بينه و بين المدينة يوم وليلة ، انتهى . ومقتضاه أن الفرضة السرير ، لا الجار ، وسيأتى عنه فى عدينة أن الجار بلد على البحر قرب المدينة . — الجار

جاعس — بكسر العين ثم ســـين مهملتين ، أُطم بمنازل بنى حرام ، غربى مساجد الفتح . — جاعس

جَبَار — بالفتح وتخفيف الموحـــدة آخره راء ، موضع بجهة الحباب من أرض غطفان . — جبار

الجَبَّانة — كندمانة ، أصله المقبرة ، وهو موضع شامى المدينة ، وسيأتى فى ذباب عن البكرى أنه بالجبانة ، وسبق ذكرها فى منازل القبائل، بمنزل بنى الديل و بنى ذكوان و بنى مالك بن حمار ، وكذا فى أسراب البلاط ، وكذا فى حديث عمر لما زاد فى المسجد من شاميه ، ثم قال : لو زدنا فيه حتى نبلغ به الجبانة كان مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم . — الجبانة

جبل بنى عبيد — بمنازلهم غربى مساجد الفتح . — جبل بنى عبيد

جبل جهينة — تقدم فى منازلهم . — جبل جهينة

الجبوب — بالفتح وموحدتين من تحت بينهما واو ، الأرض الغليظة ، وجبوب المصلى : بالمدينة فى قول أبى قطيفة : — الجبوب

* جبوب المصلّى أم كعهدى القرائنُ *

قاله ياقوت :

الجثا — الجثا ـ بالضم وتخفيف الثاء المثلثة والقصر ، أصله الحجارة المجتمعة ، وهو موضع بين فدك وخيبر .

الجثجاثة — الجثجاثة ـ تقدم بيانها فى آخر مساجد المدينة وأن سيل العقيق يُفْضِى إليها، ثم إلى حمراء الأسد ، والجثجاثة أيضاً : ماء لغنى بحمى فيد ، وقال : بقرب حمى ضرية ، ورأيته فى كتابه بإسقاط الجيم الثانية ، ولعله غلط من الناسخ ، وقال : إنه أيضاً بادية من بَوادى المدينة .

جحاف — جحاف ـ بالفتح وتشديد الحاء المهملة ، مال بالعالية ، بجانب سميحة ، ويقال له قديماً : مال جحفاف ، كان به أطم لبعض مَنْ كان هناك من اليهود .

الجحفة — الجحفة ـ بالضم وسكون الحاء المهملة ، أحَدُ المواقيت ، قرية كانت كبيرة ذات منبر ، على نحو خمس مراحل وثلثى مرحلة من المدينة ، وعلى نحو أربع مراحل ونصف من مكة ، وكانت تسمى أولا « مهيعة » كما سيأتى .

الجداجد — الجداجد ـ بجيمين ودالين مهملتين ، جمع جدجد ، وهى الأرض المستوية ، وفى سفر الهجرة : سلك بطن ذى كشب ، ثم على الجداجد ، ثم على الأجرد ، قال المجد : وكأنها آبار ؛ لقوله فى الحديث « أتينا على بئر جدجد » قال أبو عبيد الصواب بئر جد ، يعنى قديمة ، ويقال « بئر جدجد » أيضاً .

جد الأثافى — جد الأثافى ـ بالضم والتشديد ، البئر القديمة ، والأثافى : جمع أُثْفِية ، وهى الحجارة التى يوضَعُ عليها القِدْر ، وهو موضع بالعقيق .

جد الموالى — جد الموالى ـ بالعقيق أيضا ، قاله المجد ، وتقدم فى أودية العقيق : جـــد الموالى، ثم جد الأثافى ، ثم ذو أثيفية .

ذو الجدر — ذو الجدر ـ بسكون الدال[1] ، لغة فى الجدار ، مسرح على ستة أميال من المدينة بناحية قباء ، كانت به اللقاح التى أغير عليهـا ، وسيل بطحان يأخذ من ذى

(١) قال ياقوت « بسكون الدال » وضبط ضبط قلم بفتح الجيم

الجدار كما سبق عن ابن شبة ، قال : والجدر قرارة فى الحرة يمانية من حليات الحرة العليا حرة معصم وهو جبل .

جذمان — كعثمان والذال معجمة ، موضع به أطم من آطام المدينة ، قطع تُبَّع نخله لما غزاهم ، والجذْم : القطع ، قاله المجد . وتقدم أن تبعاً أمر بحرق نخل أُحَيْحَة بن الجلاَح الجَحْجبي لما تحصن بحصنه ، وهو من الأوس ، وتقدم قول بعض الخزرج مفتخراً عليهم :

جذمان

هَلم إلى الجلاح إذ رقَّ عظمهم ... و إذ أصلحوا مالاً بِجُذْمان ضَائِماَ

وقال قيس بن الخطيم لما ظهروا على الخزرج ببُعَاث :

كان رؤس الخزرجيين إذ بَدَتْ ... كتائبُنَا تَتْرَى مع الصبح حَنْظَلُ

فلا تقربوا جُذْمَانَ إنَّ حِرَارهُ ... وجنته تأذَى بكل فتحملوا[1]

وأذى يأذى بمعنى تأذى يتأذى .

الجراديح — بالفتح والدال المهملة آخره حاء ، ثنيات سود بين سويقية ومثعر ، وشاهدها فى مثعر .

الجراديح

الجرف — بالضم ثم السكون ، قاله المجد ، وهو تابع لياقوت فى ذلك ، والذى قاله أبو بكر الحازى وأبو عبيد البكرى : إنه بضم أوله وثانيه .

الجرف

وقال عياض : هو بضم الجيم والراء ، موضع بالمدينة ، فيه أموال من أموالها ، و به كان مال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ، وهو على ثلاثة أميال من المدينة من جهة الشام .

وفى طبقات ابن سعد : مات المقداد بالجرف ، على ثلاثة أميال من المدينة ، فحُمِل على رقاب الرجال حتى دفن بالبقيع ، وسبق فى حدود العقيق أن الجرف ما بين مَحَجَّة الشام إلى القصاصين ، وتقدم أن العرصة الكبرى التى بها بئر رومة تختلط بالجرف فتتسع ، قالوا : سمى الجرف لأن تبعاً مر به لما شخص من

(١) فى معجم ياقوت « إن حمامه وجنته تأذى بكم — إلخ »

منزله بقَنَاة فقال: هذا جرف الأرض، وكان يسمى قبل ذلك العرض. قال كعب ابن مالك يوم أُحُد :

فلما هَبَطْنَا العرض قال سَرَاتُنَا عَلاَم إذا لَمْ نمنع العرض نزرع

وروى ابن زبالة أن تبعاً بعث رائداً ينظر إلى مزارع المدينة ، فأتاه فقال : قد نظرت ، فأما قناة فحب ولا تبن ، وأما الجرار فلا حب ولا تبن ، وأما الجرف فالحب والتبن ، وسيأتى فى الزاى أن الزبن مزرعة فى الجرف ازْدَرَعها النبى صلى الله عليه وسلم .

وفى طبقات ابن سعد أن أبا بكر أقطع الزبير الجرف ، وروى المجد أن عثمان رضى الله تعالى عنه خَلَجَ خليجاً حتى صَبَّه فى باطن بلد من الجرف ، وجعله لبناته من نائلة بنت الفُرَافصة ، وأنه استعمل فيه ثلاثة آلاف من سبى بعض الأعاجم ، وذكر أن من أموال الجرف بئر جشم و بئر جمل .

جر هشام جرّ هشام — سقاية لهشام بن إسماعيل ، تقدمت فى قصر أبى هاشم بالعقيق .

الجزل الجزل — بالفتح وسكون الزاى ، لغة الحطب اليابس ، يضاف إليه واد يلقى إضم بذى المروة ، ويضاف إليه سقيا الجزل ، وبه قبر طُوَيْس المخنثِ المغنِّى .

جزيرة العرب جزيرة العرب — تقدم فى أسماء المدينة على رأى ، وقال الأعرابى : هى من حَفْر أبى موسى على خمس مراحل من البصرة إلى حضرموت إلى العذيب ومن جدة وسواحل اليمن إلى أطراف الشام ، وقال الأصمعى : هى من العُذَيب إلى عَدَن أَبْيَن فى الطول ، والعرض من الأيلة إلى جدة ، وهى أربعة أقسام : اليمن ، ونجد ، والحجاز ، والغَوْر ، وهو تهامة . وقيل : سميت بذلك لإحاطة البحار بها من أقطارها ، يعنى بحر الحبشة والفرس ودجلة والفرات ، وقيل : هى كل بلد لم يملكه الروم ولا فارس ، ونسب للأصمعى ، والذى رأيته فى جزيرة العرب له ما تقدم .

جسر بطحان — كان عنده سوق بنى قَيْنُقَاع ، وتقدم فى بُطْحَان أن سيله حين يأتى يُفْضِى إلى فضاء بنى خطمة والأعرس ، ثم يسير حتى يَرِدَ الجسر ، ثم يستبطن وادى بطحان ؛ فالجسر عند أعلى بطحان بناحية الموضع المعروف اليوم بزقاق البيض .

جسر بطحان

جفاف — بالكسر وفاءين بينهما ألف ، معروف بالعالية ، به حدائق حسنة .

جفاف

الجفر — ما بلغ أربعة أشهر من أولاد الشاء ، والبئر إذا لم تُطْوَ أو طوى بعضها ، وهو اسم عين بناحية ضَرِيَّة ، وبقرب فرش ملل ماء يعرف اليوم بالجفر ، وأظنه المعنى بقول الهجرى عقب ما سيأتى عنه فى معلاوين : وبعلى الحرومة ماء يقال له جفر الرغباء ، كان لطلق بن أسعد ، ثم صار لعبد الله بن حسن .

الجفر

الجلسى — بالفتح ، أرض نجد ، والجلسى من أرض القبلية : ما ارتفع منها ، والغورى : ما انهبط .

الجلسى

جلية — تصغير الجلى وهو الواضح وزيادة هاء التأنيث ، موضع قرب وادى القرى .

جلية

جماوات — جمع جماء ، بالفتح وتشديد الميم والمد ، وهن ثلاث تقدمن فى الفصل الرابع ، وجعلهن المجد واحدة ، فقال : الجماء جبل بالمدينة على ثلاثة أميال من ناحية العقيق إلى الجرف ، قال الزمخشرى : الجماء جبيل بالمدينة ، سميت بذلك لأن هناك جبلين هى أقصرهما ، فكأنها جماء ، وقال أبو الحسن المهلبى : هما جماوان ، وهما هضبتان على يمين الطريق ، ثم حكى المجد تعددها على نحو ما قدمناه ، وسبق شاهد الجماء فى قصر سعيد بن العاص .

جماوات

جمدان — بالضم ثم السكون وإهمال الدال ، من منازل أسلم ، بين قديد وعسفان ، قاله عياض ، وعن أبى بكر بن موسى أنه جبل بين ينبع والعيص على ليلة من المدينة ، وقيل : وادٍ بين ثنية عرال وأمج .

جمدان

وقال الأسدى : وخلف أمج بميل وادى الأزرق ، وفى الوادى عين ، و بين العين والوادى جبل يقال له جمدان ، على يمين الطرق ، وفى الحديث « مرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم على جمدان ، فقال : سيروا ، هذا جمدان ، سبق المفردون »
وقال الأزهرى : مرّ النبى صلى الله عليه وسلم فى طريق مكة على جبل يقال له بجدان ، هكذا عنده بالباء الموحدة ، وعند غيره جَمَدَان تثنية جَمَد ، وكأنه صلى الله عليه وسلم لما رآه ذكر قول زيد بن عمرو العدوى أو ورقة بن نوفل :

سُبْحَانَ ذِي العرش سبحانا يدوم له وقَبْلَنَا سَبَّحَ الجودىُّ والجَمَـــدُ

فذكر أصحابه بتسبيح الجمد الذى هـذا تلبيته فى القديم ، مع كونه جمادا ، فإنه جبل لبنى نصر بجهة نجد ، و يذكر الجاهلية لذلك ، و إن ذكر الله سبب السبق والتقدم ، و يحتمل أنه لما كان الذكر مطلوبا فى الصعود وهبوط الأودية قارن رؤية جمدان أحد الأمرين فذكرهم بذلك ، أى هـذا جمدان صعدتم ثنيته أو هبطتم واديه فاذكروا الله ، أو هو سبب السبق ، و يحتمل أيضا أنه صلى الله عليه وسلم تذكر برؤيته تلبية موسى عليه السلام عنده ؛ لما فى الصحيح أن النبى صلى الله عليه وسلم مَرَّ بوادى الأزرق فقال : كأنى أنظر إلى موسى هابطا من الثنية له جؤار ، وجمدان بوادى الأزرق ؛ فاتضح ما أشكل على ياقوت حيث قال : لا أدرى ما الجامع بين سبق المفردين ورؤية جمدان ، ومعلوم أن الذاكر سابق ، قال : ولم أر أحدا ذكر فى ذلك شيئاً .

الجموح

الجموح ـ بالفتح ، ما بين قباء ومران على جهة طريق البصرة ، وذكر أبو عبيدة الجموح وعرفة ، يعنى الذى بمكة ، ثم قال : والجموح الذى دون قباء ، انتهى ، وليس المراد قباء المدينة كما ستأتى الإشارة إليه ، قال المجد : والجموح أيضا أرض لبنى سليم ، وبها كانت إحدى غزوات النبى صلى الله عليه وسلم ، و بعث زيد بن حارثة إلى بنى سليم فسار حتى ورد الجموح ناحية بطن نخل عن يسارها .
قلت : والذى يظهر أنها المذكورة أولا .

الجمة

الجمة ـ بالفتح وتشديد الميم ، قال الكمال الدميرى : عين بأحَدِ أودية خيبر ، سماها النبى صلى الله عليه وسلم قسمة الملائكة ، يذهب ثلثا مائها فى فلج ، والثلث الآخر فى فلج[الآخر]والمسلك واحد ، وقد اعتبرت من زمان النبى صلى الله عليه وسلم إلى اليوم يُطْرَح فيها ثلاث خشبات أو تمرات تذهب اثنتان فى الفلج الذى له الثلثان وواحدة فى الآخر ، ولا يقدر أحد أن يأخذ من ذلك الفلج أكثر من الثلث ، ومن قام فى الفلج الذى يأخذ الثلثين ليردَّ المـاء إلى الآخر غلبه المـاء وفاض ولم يرجع إلى الفلج الآخر شىءٌ يزيد على الثلث ، قاله البكرى وغيره ، والفلج : النهر الصغير ، اه .

الجناب

الجِناب ـ بالـكسر ، موضع بعراض خيبر ، وقيل : من منازل بنى مازن ، وقال نصر : الجِناب من ديار بنى فزارة ، بين المدينة وفيد ، وفى طبقات ابن سعد : الجناب أرض عذرة و بلى ، وقال سُحَيم الرياحى :

تحمل من وادى الجِناب فناشنى بأجماد جوّ من وراء الخضارم

جنفاء

جَنَفَاء ـ بالتحريك والمد والقصر ، وقد يضم أوله أيضا فى الحالتين ، قال ابن سعد : كان ينزل بها أبو الشموس البلوى الصحابى . وعن ابن شهاب : كانت بنو فزَارة ممن قدم على أهل خيبر ليعينوهم ، فراسلهم النبى صلى الله عليه وسلم أن لا يعينوهم ، وأن يخرجوا عنهم ، ولهم من خيبر كذا وكذا ، فأبوا ، فلما فتح الله خيبر قالوا : حظنا والذى وعدتنا ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : حظكم ـ أو قال « لكم » ـ ذو الرقيبة بجبل من جبال خيبر ، فقالوا : إذا نقاتلك ، فقال : موعدكم جنفاء ، فخرجوا هار بين ، وفى بعض طرقه : جنفاء ماء من مياه بنى فزارة ، وجنفاء أيضا : موضع بين خيبر وفيد ، قال ياقوت : وهو الذى وقع ذكره فى غزوة خيبر ، وضلع الجنفاء : موضع بين الربذة وضرية ، من ديار محارب ، على جادة اليمامة إلى المدينة .

الجنينة

الجنينة ـ تصغير جنة للبستان ، تقدمت فى أودية العقيق ، ثم ماء يدفع فى إضم ،

وهو عقدة بين ظلم وملحتين ، والجنينة أيضاً : قرب وادى القرى ، ووجه الجنينة : بين ضرية وحزن بنى يربوع .

الجواء الجِوَاء — بالكسر والمد ، ماء بحمى ضَرِية .

الجوانية الجوانية — بالفتح وتشديد الواو وكسر النون وياء مشددة وحكى تخفيفها ، موضع ، وقيل : قرية قرب المدينة ، إليها ينتسب بنو الجوانى العليون ، قاله المجد ، وقال عياض : قال البكرى : كأنها نسبت إلى جوان ، وهى أرض من عمل المدينة من جهة الفرع ، انتهى . والصواب قول النووى : إنها موضع قرب أحد ، فى شامى المدينة ، لذكرها فى منازل يهود بالمدينة ، وسبق أنه كان لهم بها من الآطام صرار والريان ، وصارا لبنى حارثة وسبقا فى منازلهم ، فالجوانية هنالك بطرف الحرة الشرقية مما يلى الشام ، وفى حديث معاوية بن الحكم السلمى عند أبى داود قال : قالت جارية لى كانت ترعى غنيمات قبل أحد والجوانية ، الحديث .

الجبار الجِبار — ككتاب ، موضع من أرض خيبر .

ذات الجيش ذات الجيش — بالفتح وسكون التحتية ، ويقال : أولات الجيش ، تقدمت فى الحرم ، وأنها على ستة أميال من ذى الحليفة — وعن ابن وهب أنها على ستة أميال من العقيق ، وكأنه أراد من طرفه الذى بذى الحليفة ، ويقرب منه قول ابن وضاح : هى على سبعة أميال من العقيق ، وقال ابن القاسم : بينها وبين العقيق عشرة أميال ، وعن الثعلبى اثنا عشر ميلا ، وقيل : بينهما ميلان ، ويقال : إن قبر نزار بن معد وقبر ابنه ربيعة بن نزار بذات الجيش ، وهي أحد منازل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بدر ، وفى غزاة بنى المصطلق ، وهنالك نزلت آية التيمم وهى ممر طريق مكة ، وقد ذكرها الشعراء ، قال عروة بن أذينة :

كَادَ الْهَوَى يوم ذَاتِ الجيش يَقْتُلُنِي ... لمنزل لم يهـج للشوق من صقب

وقال جعفر بن الزبير :

تنيفة! لمن رَبْعٌ بذات الجيـش أمْسَى دَارِساً خَلَقَا

كلفت بهم غداةَ البَيْنِ مَرَّتْ عِيسُهُمْ حِزَقا
تَنَكَّرَ بعْدَ ساكِنِهِ فأمْسَى أهــلُهُ فِرَقَا
عَــلَوْنَا ظَاهِرَ البَيْدَا ءِ والمَحْزُونُ من قلقا

ذو الجيفة

ذو الجيفة ـ بالكسر ، بين المدينة وتبوك ، وكذا اقتصر عليه المجد هنا ، مع ذكره لما سبق عنه فى مساجد تبوك .

الجى

الجى ـ بالكسر وتشديد الياء ، تقدم فى مساجد طريق مكة ، قال الأسدى : و به منازل و بئران عذبتا الماء ، انتهى . وهو فى سَفْح الجبل الذى سال بأهله وهم نيام ، و ينتهى عنده ورقان .

حرف الحاء

حاجر

حاجر ـ موضع غربى النقا إلى منتهى حرة الوبرة ، من وادى العقيق ، فمنه المدح وما والاه ، وهذا هو المذكور فى الأشعار ، لا الذى هو فى منازل الحاج بالبيداء ، وحاجر الثنيا معروف بطريق مكه .

حاطب

حاطب ـ بكسر الطاء ، طريق بين المدينة وخيبر ، سيأتى حديثه فى مرحب

حالة

حالة ـ واحدة الحال ، موضع عند حرة الرجلاء.

حائط بنى الداش

حائط بنى المداش ـ بفتح الميم والدال المهملة وألف وشين معجمة ، موضع بوادى القرى ، أقطعهم إياه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فنسب إليهم .

حبرة

حبرة ـ بالكسر ، أطم بالمدينة ، قاله الصغانى ، وقال ابن زَبَالَة : إن بنى قَيْنُقَاع كان لهم أطمان عند الحشاشين ، عند المال الذى يقال له خيبر [؟] .

قلت : وأظنه بالحاء ثم الموحدة

حبس

حبس ـ بالضم ثم السكون ، جبل لبنى مرة ، قاله الزمخشرى ، وقال غيره : هو بين حرة بنى سليم والسوارقية ، وفى الحديث « تخرج نار من حبس سيل » قال نصر : حبس سيل بالفتح إحدى حرتى بنى سليم ، وهما حرتان ، فيهما فضاء ،

كلتاهما أقل من ميلين ، وقال الأصمعى : الحبس جبل مشرف على الثلما ، لو انقلب لوقع على أهلها ، وهم بنو قرة ، وأنشد :

سقى الحبسَ وَسْمِىّ السحابِ ، ولايَزَلْ   عليه رَوَايا المُزْنِ والدِّيم الْهُطُلُ

والسد الذى أحدثته النار يسمى اليوم بالحبس .

الحبيش الحبيش ـ بالضم مصغراً آخره شين معجمة ، أطم لبنى عبيد بمنازلهم ، غربى مساجد الفتح ، عند جبل بنى عبيد .

الحت الحت ـ بالضم والمثناة من فوق ، من جبال القبلية لبنى عرك من جهينة .

حثاث حِثاث ـ بالكسر وثاءين مثلثتين ، عرض من أعراض المدينة .

الحجاز الحِجاز ـ بالكسر ، مكة والمدينة واليمامة ومَخَاليفها ، قاله الشافعى ، وقال عياض : هو ما بين نجد والسَّرَاة ، قال الأصمعى : سميت بذلك لأنها حُجِزَت بالحِرار الخمس .

قلت : الذى فى جزيرة العرب له بعد التقسيم السابق فيها أن ما ارتفع عن بطن الرمة فهو نجد إلى ثنايا ذات عرق ، وما احترمت به الحرار حرة سوران وحرة ليلى وحرة واقم وحرة النار وعامة منازل بنى سليم إلى المدينة فذلك الشق كله حجاز ، وما بين ذات عرق إلى البحر غور تهامة ، وطرف تهامة من قبل الحجاز مدارج العرج ، فكأن الخامسة حرة بنى سُليم ، أخذ من قوله عامة منازل بنى سليم ، وعليه فالمدينة حجازية بخلاف مكة ، ولهذا قال بعده : والحجاز اثنتا عشرة دارا : المدينة ، وخيبر ، وفدك ، والمروة ، ودار بلى ، ودار أشجع ، ودار مزينة ، ودار جهينة ، ونفر من هوازن ، وجل سُليم ، وجل هلال ، وظهر حرة ليلى . ثم قال : ومما يلى الشام شغب و بَدَا اللذين يقول فيهما جميل:

لعمرى قد حَبَّبْتِ شَغْبا إلى بدَا   إلىّ ، وأوطانى بلادٌ سواهما

وَالحد الثالث مما يلى تهامة بدر والسقيا ورهاط وعكاظ ، والرابع شانه وودان ، ثم ينعرج إلى الحد الأول بطن نجد ، وقال فى موضع آخر وأظنه تتمة

كلام عن غيره ما لفظه : والحجاز من تخوم صنعا من العبلا وتبالة إلى تخوم الشام ، وإنما سمى حجازاً لأنه حَجَزَ بين تهامة ونجد ؛ فمكة تهامية ، والمدينة حجازية . ثم قال : وقال عمارة : ما سال من حرة بنى سليم وحرة ليلى فهو الغور حتى يقطعه البحر ، وما سال من ذات عرق مغرباً فهو الحجاز إلى أن تقطعه تهامة ، وهو حجارة سود تحجز بين نجد وتهامة ، وما سال من ذات عرق مقبلا فهو نجد إلى أن يقطعه العراق .

وقال الأصمعى : إنما سميت الحجاز حجازاً لأنها احتجزت الجبال .

فدل على أن ماتقدم من كلام غيره على ما ذكر الأصمعى يكون الحجاز بمعنى المحجوز ، وعلى ما تقدم عن غيره يكون بمعنى الحاجز ، وحكاهما الدميرى بقوله : سمى الحجاز حجازاً لأنه حجز بين تهامة ونجد ، وقيل : لاحتجازه بالحرار الخمس ، وهى : حرة واقم ، وحرة راجل بالراء والجيم ، وحرة ليلى ، وحرة بنى سُليم ، وحرة النار ، وحرة وبرة ، انتهى .

وقال أبو المنذر : الحجاز ما بين جبلى طيء إلى طريق العراق لمن يريد مكة ، سمى حجازاً لأنه حجز بين تهامة ونجد ، وقيل : لأنه حجز بين نجد والسراة ، وقيل : لأنه حجز بين الغور والشام ، وبين تهامة ونجد ، وقال بعضهم : جبل السَّرَاة أعظم جبال العرب حجزاً ، وهو الحد بين تهامة ونجد ، وذلك أنه أقبل من قعر اليمن حتى بلغ أطراف الشام ، فسمته العرب حجازاً ؛ لأنه حَجَزَ بين الغور وهو هابط وبين نجد وهو ظاهر ، وأما ما انحاز إلى شرقيه فهو الحجاز .

وقسم بعضهم جزيرة العرب خمسة أقسام : تهامة ، والحجاز ، ونجد ، والعروض ، واليمن ، وقال عرّام : الحجاز من معدن البصرة إلى المدينة ، فنصف المدينة حجازى ، ونصفها تهامى ، ومن القرى الحجازية بطن نخل ، ونجد أنخل جبل يقال له الأسود نصفه حجازى ونصفه نجدى ، انتهى .

وقال ابن شبة : المدينة حجازية ، وقال الحرقى : إن تبوك وفلسطين من الحجاز ، وتقدم فى ظهور نار الحجاز أن الشافعى نصَّ على أن المدينة ومكة يمانيتان، مع الحديث الوارد فى بيان الشام من اليمن ، وأن النووى قال : المدينة ليست شامية ولا يمانية ، بل حجازية ، وتقدم فى العروض من أسمائها أنها نجدية ، وكأن بعض الأسماء يطلق على بعض بحسب الاعتبار ، وقد أكثر الشعراء من ذكر الحجاز ، قال أشجع بن عمرو الأسلمى :

بأكْنَافِ الحجاز هوًى دَفِينُ ... يُؤَرِّقنى إذا هَـدَتِ الْعُيُونُ
أحِنُّ إلى الحجاز وساكنيه ... حَنِينَ الإلف فَارَقَهُ القَرِينُ
وأبكى حين ترقُدُ كلُّ عَـيْنٍ ... بكاء بَيْن زفـرتهِ أنين

وقال أعرابى :

كفَى حَزَناً أنى ببغدادَ نازلٌ ... وقلبى بأكناف الحجاز رهين
إذا عَنَّ ذِكْرٌ للحجاز استفزَّنى ... إلى مَنْ بأكناف الحجاز حَنِينُ

حجر

حِجْر — بالكسر وسكون الجيم بعدها راء ، وعوام المدينة يفتحون الحاء ، والصواب الكسر ، قال عرّام عند ذكر نواحى المدينة وذكر الأرحضية ، ثم قال : وحذاءها قرية يقال لها حجر ، وبها آبار وعيون لبنى سُليم خاصة ، وحذاءها جبل يقال له قبة الحجر ، قاله المجد ظناً منه أن عرّاما أراد القرية المعروفة اليوم قرب الفرع بحجر بالفتح كحجر الإنسان ، وعرّام لم يردها ؛ إذ ليست بجهة الأرحضية ، وبقرب الأرحضية اليوم موضع يعرف بالحجرية بالكسر ، فيه آبار ومزارع ، فهو الذى أراد عرّام ، وكذا ياقوت حيث قال : حجر بالكسر ويروى بالفتح أيضاً قرية من ديار بنى سُليم بالقرب من قلهى وذى رولان ، انتهى .

والحجر بالكسر أيضاً : قرية على يوم من وادى القرى ، بين جبال ، بها كانت منازل ثمود ، وبيوتها فى أضعاف جبال تسمى الأثالث ، وهناك بئر ثمود .

حديلة

حُدَيلة ـ كجهينة والدال مهملة ، يضاف إليها منازل بنى حُدَيلة من بنى النجار ، وكان بها دار لعبد الملك بن مروان .

حراض

حُراض ـ بالضم آخره ضاد معجمة ، وادٍ من أودية الأشعر ، فى شامى حورة ، ليس به إلا ماء سَيْح يقال له الثاجية .

حربى

حربى ـ كان اسماً لما بين مسجد القبلتين إلى المذاد ، فغيره النبى صلى الله عليه وسلم وسماه صلحة ، كما سيأتى فى الصاد ، قاله المجد هنا وخالفه فى قاموسه فذكرها فى الخاء المعجمة ، وقال : سماها صالحة ، وسنذكره فى الخاء المعجمة لأنه الأظهر ، ورأيته كذلك فى خط المراغى ، وقال : فسماها طلحة ، وكذا هو فى نسخة ابن زبالة .

حرض

حُرُض ـ بضمتين وضادٍ معجمة ، وادٍ عند أحُدٍ ، وقد تفتح راؤه ، والأول أرجح؛ لأنه لغة الأشنان، وهو كثير النبات بذلك الوادى، ويقال له: «ذو حُرُض» من أجل ذلك ، وقال حكيم بن عكرمة يتشوق إلى المدينة :

إلى أحُدٍ فذى حُرُضٍ فمبنى　　　قباب الحى من كنفى صرار

وبه أوقع أبو جبيلة بيهود فقالت سارة القرظية :

بأهلى رمة لم تُغْنِ شيئاً　　　بذى حُرُضٍ تعفيها الرياح

وقال كثير :

أرْبع فحىِّ معارف الأطلال　　　بالجزع من حرض فهن بوَال

قال ابن السكيت : حُرُض هنا وادٍ من أودية قناة بالمدينة على ميلين ، أى وهو المتقدم، قال : وذو حرض وادٍ على خمسة أميال من معدن البصرة لبنى عبدالله ابن غطفان ، له ذكر فى شعر زهير .

حرة أشجع

حرة أشجع ـ ستأتى فى حرة النار .

حرة حقل

حرة حقـل ـ بوادى آرة .

حرة الحوض — حرة الحوض — بين المدينة والعقيق ، يقال لها : حرة حوض زياد بن أبى سفيان ، قاله ياقوت .

حرة راجل — حرة راجل — فى بلاد بنى عبس ، نقله ياقوت عن أحمـــد بن فارس ، قال النابغة :

تؤم بربعىّ كأن زهاءه إذا هَبَطَ الصَّحْراء حرة راجل

حرة الرجلى — حرة الرَّجْلَى — بديار بنى القين ، بين المدينة والشــام ، سميت بذلك لأنه يترجل فيها و يصعب المشى ، وفى الصحاح : حرة رجلى أرض مستوية ، كثيرة الحجارة ، يصعب المشى فيها ، وفى القاموس : وحرة رَجْلَى كسكرى و يمد ، حرة خشنة يترجَّلُ فيها ، أو كثيرة الحجارة ، وقال ابن شبة فى صدقات على : وله بحرة الرَّجْلاَء من ناحية شعب زيد وادٍ يدعى الأحمر شطره فى الصدقة وشطره بأيدى آل مناع و بنى عدى منحة من على ، وله أيضاً بحرة الرَّجْلَى واد يقال له البيضاء فيــه مزارع وعفا ، وهو فى الصدقة ، ثم قال : وله بناحية فَدَكَ بأعلى حرة الرجلى مال يقال له القصيبة ، وسيأتى فى روضة الأجـداد أن وادى القصيبة قبلى خيبر وشرقى وادى عصر ، وقال الراعىَ من أبيات :

وقلت والحرة الرَّجْلاَء دُونَهمُ و بطن لجان لما اعتادنى ذِكْرى
صلى على عَزَّةَ الرَّحْمنُ وابنتهـا ليلى وصلى على جاراتهـــا الأخر

حرة رماح — حرة رُماح — بضم الراء و بالحاء المهملة ، بالدهناء . قالت امرأة من العرب :

سلام الذى قد ظَنَّ أن ليس رَائياً رُمَاحاً ولا من حرتيه ذرى خضرا

حرة زهرة — حرة زُهرة — بضم الزاى ، من حرة واقم .

حرة بنى سليم — حرة بنى سُليم — تحت قاع النقيع يعنى الحمى شرقياً ، وفيها رياض وقيعان ، و يدفع ذلك فى قاع البقيع كما نقله الهجرى .

حرة شوران — حرة شوران — تأتى فى الشين المعجمة ، وهى صدر مهزور كما سبق .

حرة عباد — حرة عباد — حرة دون المدينة . قال عبيد الله بن ربيع :

أبيت كأنى من حذار قضائه　　بحرة عباد سليم الأســاود

حرة بنى العُضَيْدة — بضم العين وفتح الضاد المعجمة ، غربى وادى بطحان كما سبق فى منازل القبائل .　حرة بنى العضيدة

حرة قباء — قبل المدينة ، لها ذكر فى الحديث .　حرة قباء

حرة ليلى — لبنى مرة بن عوف بن سعد من غطفان ، يطؤها الحاجُّ الشامى فى طريقه إلى المدينة ، وعن بعضهم أنها من وراء وادى القرى من جهة المدينة ، فيها نخل وعيون ، وقال بعضهم : هى فى بلاد لبنى كلاب ، قال الرماح المرى وقد أمره عبد الملك بالمقام :　حرة ليلى

ألا لَيْتَ شعرى هل أبيتنَّ ليلةً　　بحَرَّة لَيْلَى حيثُ زينى أهْلى

بلادٌ بها نِيطَتْ علىّ تمــائمى　　وقُطِّعن عَنِّى حين أدركنى عَقْلِى

حرة معصم — هى الحرة العليا التى بها ذو الجدر ، منها يأخذ سيل بطحان .　حرة معصم

حرة ميطان — وهو جبل شرقى بنى قريظة .　حرة ميطان

حرة النار — بلفظ النار المحرقة ، قرب حرة ليلى ، وقيل : حرة لبنى سليم ، وقيل: بمنازل جُذام و بلى وعذرة ، وفى القاموس : هى قرب خيبر ، وقال عياض: حرة النار فى حديث عمر من بلاد بنى سليم بناحية خيبر ، وقال نصر : حرة النار بين وادى القرى وتيماء من ديار غطفان و بها معدن . وذكر الأصمعى حرة فَدَكَ فى تحديد بعض الأودية ، ثم قال : وحرة النار فدك ، وفدك قرية بها نخيل وصوافى، فاقتضى أنهــا بفدك ، وهى التى سالت منها النار التى أطفأها خالد بن سنان عن قومه ، لمــا سبق فى نار الحجاز أن قومه سَالَتْ عليهم نار من حرة النار فى ناحية خيبر ، تأتى من ناحيتين جميعاً ، وفى رواية : تخرج من جبــل من حرة أشجع ، وفى رواية : أنهم طلبوا منه إسالة الحرة ناراً ليؤمنوا به ، فدعا الله فسالت عليهم ، قال الراوى : فرأيتنا نعشى الإبل على ضوء نارها ضلما الربذة ، و بين ذلك ثلاث.　حرة النار

ليال ، وفى رواية : أن نار الحديان خرجت بحرة النـار حتى كانت الإبل تعشى بضوئها مسيرة إحدى عشرة ليلة .

وفى الحديث أن رجلا أتى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ، فقال عمر : ما اسمك ؟ قال : جمرة ، قال : ابن مَنْ ؟ قال : ابن شهاب ، قال : ممن أنت ؟ قال : من الحرقة ، قال : أين مسكنك ؟ قال : حرة النار ، قال : بأيها ؟ قال : بذات اللظى ، فقال عمر : أَدْرِكِ الحى لا يحترقوا — وفى روايه «فقد احترقوا» — قيل : إنه رجع إلى أهله فوجد النار قد أحاطت بهم .

ولها ذكر فى شعر النابغة ، وسماها أم صبار ، وقال أبو المهند الفزارى :

كانت لنا أَجْبَالُ حِسْمَى فاللوى وحرة النـــار فهذا المستوى

ومن تمـيم قد لقينـــا باللوى يومَ النِّسَارِ وسـقيناهم روى

حرة واقم

حرة واقم — هى حرة المدينة الشرقية ، سميت برجل من العمالقة نزل بها ، قاله المجد ، وسبق قول ابن زبالة عقب ذكر واقم أنه أطم بنى عبد الأشهل ، و به سميت تلك الناحية واقما ، وله يقول شاعرهم :

نحن بنينـا واقمًا بالحَرَّهْ بلازِبِ الطين و بالأصِرَّهْ

وتسمى أيضا حرة بنى قريظة ؛ لأنهم كانوا بطرفها القبلى ، وحرة زهرة ؛ لمجاورتها لها كما سيأتى ، وكان بها مَقْتَلة الحرة كما سبق ، وتقدم حديث « يقتل بحرة زهرة خيار أمتى » وفى رواية « فلما وقفت بحرة زهرة وقف واسترجع » .

وفى كتاب الحرة عن عبد الله بن سلام أنه وقف بحرة زهرة زمن معاوية ، فقال : هٰهنا أجدُ صفةً فى كتاب يهوذا الذى لم يغير ولم يُبَدَّلْ ،مقتلة تقتل فى هذه الحرة،قوم يقومون يوم القيامة واضعى سيوفهم على رقابهم حتى يأتوا الرحمن تبارك وتعالى فيقفوا بين يديه فيقولون : قُتِلْنَا فيك .

وروى ابن زباله أن السماء أمطرت على عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه ،

فقال لأصحابه : هل لكم فى هذا الماء الحديث العهد بالعرش لنتبرك به ، ولنشرب منه ، فلو جاء من مجيئه ركبٌ لتمسَّحْنا به ، فخرجوا حتى أتوا حرة واقم وشِرَاجُها تطرد ، فشربوا منها وتوضؤا ، فقال كعب : أما والله يا أمير المؤمنين لتسيلَنَّ هذه الشِّرَاج بدماء الناس كما تسيل بهذا الماء ، فقال عمر : إيهاً الآن دَعْنا من أحاديثك ، فدنا منه ابن الزبير فقال : يا أبا إسحاق ومتى ذلك ؟ فقال : إياك يا عبيس أن تكون على رجلك أو يدك .

وقال عبد الرحمن بن سعيد الذى أبوه أحَدُ العشرة ، وكان ممن حضر وقعة الحرة .

فإن تَقْتُلُونا يوم حَرَّة وَاقِمٍ   فنحنُ على الإسلام أولُ مَنْ قُتِلْ

الأبيات المتقدمة ، قاله المطرى ، ونسبها المجد لمحمد بن وجرة الساعدى .

حرة بنى بياضة

وأما الحرة الغربية فحرة بنى بياضة وما اتصل بها ، وبها كان رَجْمُ ماعز كما يوضحه رواية ابن سعد فى قصته .

حرة الوبرة

حرة الوَبَرَة — محركة ، وجوز بعضهم سكون الموحدة ، وهى على ثلاثة أميال من المدينة ، ولها ذكر فى حديث أهبان ، كذا قاله المجد هنا ، وسيأتى حديث أهبان فى الوبرة ، وأن المجد ذكر فيها مايقتضى بُعْدَها عن المدينة ، والمعتمد ماهنا ، لما سبق فى قصر عروة بالعقيق أنه كان يقال لموضعه « خيف حرة الوبرة » وقال الهجرى : مزارع عروة وقصره فى حرة الوبرة .

وسبق فى حاجر أنه غربى النقا إلى منتهى حرة الوبرة ، فهى المشرفة على وادى العقيق ، ولهذا صح فى مسلم عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل بدر ، فلما كان بحرة الوبرة أدركه رجل قد كان يذكر عنه جرأة ونجدة ، ففرح أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رأوه ، فلما أدركه قال : يارسول الله جئتُ لأتبعك وأصيبَ معك ، قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : تؤمن بالله ورسوله ؟ قال : لا ، قال : فارْجِعْ فلَنْ

أستعين بمشرك ، قالت : ثم مضى حتى إذا كنا بالشجرة — أى بذى الحليفة — أدركه الرجل ، فقال له كما قال أول مرة ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم كما قال أول مرة ، قال : لا ، قال : فارجع فلن أستعين بمشرك ، قال : ثم رجع فأدركه بالبَيْدَاء ، فقال له كما قال أول مرة: تؤمن بالله ورسوله ؟ قال : نعم ، قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : فانْطَلِقْ

حزرة

حزْرَة — بالفتح وسكون الزاى ، من أودية الأشعر ، يفرغ فى القفارة ، سكانه بنو عبد الله بن الحصين الأسلميون ، و به المليحة ، وبأسفلها العين التى تدعى سويقة .

حزم بنى عوال

حزم بنى عوال — بقرب الطرف ، وأحد مياهه بئر ألية المتقدمة ، وقال ياقوت: السد ماسماه فى حزم بنى عوال جبيل لغطفان فى أعمال المدينة .

حزن

حزن — ضد السهل ، اسم لطريق بين المدينة وخيبر ، امتنع النبى صلى الله عليه وسلم من سلوكه ، وسلك مرحبا ، كما سيأتى ، وحزن بنى يربوع من أكرم مراتع العرب ، فيـــه رِيَاض وقيعان ، وهو المراد بقولهم « مَنْ تَرَبَّعَ الْحَزْنَ وَشَتَّى الصَّمَّان وتَقَيَّظَ الشرف فقد أخصب »

حسنى

حَسْنَى — بالفتح ثم السكون وآخره ألف مقصورة قبلها نون ، جبل قرب ينبع ، قاله ابن حبيب ، وحسنى أيضا : صحراء بين العذيبة والجار

قلت : وحسنى أيضاً : أَحَدُ صدقات النبى صلى الله عليه وسلم المتقدمة ، لـكن ضبطها المراغى بالضم ثم السكون .

حسيكة

حُسَيْكَة — تصغير حَسَكه لواحد حَسَك السَّعْدَان ، موضع بطرف ذباب ، كان به ناس من يهود ، قاله الواقدى ، وقال أبو الفتح الإسكندرى : هو موضع بين ذباب ومساجد الفتح ، وله ذكر فى شعر كعب بن مالك ، وقال ابن شبة : قال محمد بن يحيى : سألت عبد العزيز بن عمران : أين حُسَيْكَة ؟ فقال : ناحية

أرض ابن ماقية إلى قصر ابن أبي عمرو الرابض إلى قصر ابن الشمعل إلى أدانى الجرف كله ، وفيها يقول الشاعر :

صَفحْنَاهُمُ بالسَّفْحِ يوم حُسَيْكَة صفائح بصرى والردينية السُّمْرَا

فما قام منهم قائم لِقرَاعِنَا ولا ناهَبُونَا يوم نزجرهم زجرا

الحشا

الحشا — بلفظ الحشا الذى تنضم عليه الضلوع ، موضع عن يمين آرة ، قال أبو جندب الهذلى :

تتبعتهم ما بَيْنَ حَدَّاء والحشا وأوردتهم ماء الأثيل فعاصما

وقال أبو الفتح الإسكندرى : الحشا وادٍ بالحجاز ، والحشا جبل الأبواء .

حشان

حشان — بالكسر جمع حَشّ بالفتح وهو البستان ، اسم أُطم ليهود على يمين الطريق من شهداء أحد ، والحشاشين بصيغة الجمع أيضاً بمنازل بنى قَيْنُقاع .

حش طلحة

حش طلحة بن أبي طلحة الأنصارى — تقدم فى الدور المطيفة فى المسجد من الشام ، وفى البلاط الذى فى شامى المسجد ، وتلخص منه أنه موضع الدور التى فى شامى المسجد ، وما يلى المشرق منه كان لعبد الرحمن ، لما سبق عن ابن سعد أول الفصل الثالث والثلاثين من الباب الرابع .

حصن خل

حصن خل — بفتح الخاء المعجمة ، هو قصر خل الآتى .

حضوة

حِضْوَة — بالكسر وسكون الضاد المعجمة وفتح الواو ، موضع قرب المدينة وقيل : على ثلاث مراحل منها ، كان اسمه عفوة فسماه النبى صلى الله عليه وسلم حِضْوَة ، وفى الحديث شكا قوم من أهل حضوة إلى عمر وَبَاء أرضهم ، فقال : لو تركتموها ، فقالوا : معاشُنَا ومعاش آبائنا ووطننا ، فقال للحارث بن كلدة : ماعندك فى هذا ؟ فقال : البلاد الوبيئة ذات الأدغال والبعوض ، وهى عش الوباء ، ولكن ليخرج أهلها إلى مايقاربها من الأرض العذبة إلى مُرْتَبَع النجم ، وليأكلوا البصل والكراث ، ويباكروا السمن العربى فيشربوه ، وليمسكوا الطيب ، ولايمشوا حُفَاة ، ولاينام,ا بالنهار ،

فإن فعلوا أرجو أن يسلموا ، فأمر عمر بذلك .

حضير　　حَضِير — كأمير ، قاع فيه آبار ومزارع ، إليه ينتهى النقيع و يبتدىء العقيق .

حفياء　　حفياء — بالفتح ثم السكون ثم مثناة تحتية وألف ممدودة ، موضع قرب المدينة ، منه أجريت الخيل المضمرة إلى ثنية الوَدَاع ، قاله الحازمى ، ورواه غيره بالقصر ، وضبطه بعضهم بالضم والقصر ، وأخطأ ، ورواه بعضهم حيفاء بتقديم الياء على الفاء ، قال البخارى : قال سفيان : من الحفياء إلى الثنية خمسة أميال أو ستة ، وقال ابن عقبة : ستة أو سبعة ، قال المجد : وهى على مقربة من البركة فيما يغلب على الظن .

قلت : هى شامى البركة مغيض العين ؛ لأن الهجرى قال بعد ذكر مجتمع السيول بزغابة : ثم يفضى إلى سافلة المدينة وعين الصورين بالغابة ، وبها الحفياء صدقة الحسن بن زيد بن على ، وعبارة الزبير : فينحدر على عين أبى زياد والصورين فى أدنى الغابة ، فالحفياء التى عبر عنها الهجرى بالحيفاء بأدنى الغابة ، ولهذا جاء فى حديث السباق : من الغابة إلى موضع كذا .

حفير　　حفير — كأمير ، فعيل من الحفر ، موضع بين مكة والمدينة ، وحفر : موضع آخر بجنبه ، قاله المجد ، وقال ياقوت : الحَفْر بفتح الحاء وسكون الفاء من مياه على بطن وادٍ يقال له مهزول ، انتهى . والمعروف بالحفر اليوم منزل الأشراف من آل زبان و به آبار ومزارع ، وليس هو الحفر المذكور فى حدود جزيرة العرب ؛ لأن ذاك محرك ، وهو بقرب البصرة ، والحُفَيْر مصغر : منزل بين ذى الحليفة وملل ، فيسلكه الحاج ، قاله ياقوت .

قلت : وهو المعبر عنه فيما سبق فى الألفاظ الواقعة فى بيان حدود الحرم بالحفيرة .

الحقل　　حقل — بالفتح وسكون القاف ، يضاف إليه آرة حقل .

الحلاءة — بالكسر والمد و يفتح واحدها حلاة ، قال عرّام بعد ذكر ميطان ومعاليه لشوران مالفظه : و بحذائه جبل يقال له سن ، وجبال كبار شواهق يقال لها الحلاءة لا تنبت شيئاً ولا ينتفع بها إلا ما يقطع للأرحاء والبناء ينقل إلى المدينة وما حولها .

الحلاءة

وأنشد الزمخشرى لعدى بن الرقاع :

كانت تحلُّ إذا ما الغَيْثُ أصْبَحَهَا بطنَ الحـلاءة فالأمرار فالسررا

حلائى صعب — واديان أو جبلان على سبعة أميال من المدينة أو نحوها ، قاله المجد ، وتقدم أن سيل بطحان يأتى من حلائى صعب ، والظاهر أنهما من الحلاءة المتقدمة ؛ لاتحاد الجهة والمسافة .

حلائى صعب

الحلائق — كأنه جمع حليقة ، قال ابن إسحاق : ثم ارتحل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بطحاء ابن أزهر فنزل الحلائق يسارا ، ورواها بعضهم الخلائق بالخاء المعجمة ، قاله المجد ، وهو المرجح عندى ؛ لما سيأتى فى الخلائق بالخاء المعجمة .

الحلائق

حِلّيت — بالكسر كسكين ، تقدم فى حمى فيد ، وقال امرؤ القيس :

حليت

ألا يا ديار الحى بالبكرات فعارمة فبُرْقَة العِـيرات

فغـول فحِلِّيت فنفى فمنعج إلى عاقل فالجب ذى الأمَرَاتِ

الُحلَيْف — مصغر الحلف ، منزل بنجد ينزله مصدق بنى كلاب إذا خرج من المدينة .

الحليف

الحليفة — كجهينة تصغير الحَلَفَة بفتحات واحد الحلفاء وهو النبات المعروف ، قال المجد : هى قرية بينها و بين المدينة ستة أميال ، وهى ذو الحليفة ، وميقات أهل المدينة ، وهو من مياه بنى جُشَم بالجيم والشين المعجمة، بينهم و بين بنى خَفَاجة من عقيل ، انتهى .

الحليفة

وهو تابع لعياض فى ذلك ، وزاد كونها قرية ، وقد سبق أول الباب عند ذكر حدود وادى العقيق عن عياض أن بطن وادى ذى الحليفة من العقيق وأن العقيق

من بلاد مُزَينة ، وهذا هو المعروف ، وما ذكره هنا من نسبة ذى الحليفة إلى بنى جُشَم إلى آخره غيرُ معروف ، ولعله اشتبه عليه بالحليفة التى من تهامة ، وماذكره من المسافة موافق لتصحيح النووى كالغزالى أنها على ستة أميال ، ويشهد له قول الشافعى كما فى المعرفة : قد كان سعيد بن زيد وأبو هريرة يكونان بالشجرة على أقل من ستة أميال فيشهدان الجمعة ويَدَعَانِها ، والمراد بالشجرة ذو الحليفة، لما سبق فى مسجد الشجرة بها ، وبها أيضاً مسجد المعرس

وفى سنن أبى داود: سمعت محمد بن إسحاق المدينى قال: المعرس على ستة أميال من المدينة .

وسبق أن المعَرس دون مصعد البيداء ، فهو بأواخر الحليفة ، فلا يخالف ما سبق عن الشافعى ، وعليه يحمل ما رواه أحمد والطبرانى والبزار واللفظ له عن أبى أروى قال : كنت أصلى مع النبى صلى الله عليه وسلم صلاة العصر بالمدينة ثم آتى ذا الحليفة قبل أن تغيب الشمس وهى على قدر فرسخين ، وقال الرافعى كابن الصلاح : ذو الحليفة على ميل من المدينة ، وهو مردود تدفعه المشاهدة ، ولعلهما اعتبرا المسافة مما يلى قصور العقيق ؛ لأنها عمارات ملحقة بالمدينة ، وقال الأسنوى : الصواب المعروف المشاهَدُ أنها على فرسخ ، وهو ثلاثة أميال أو تزيد قليلا ، انتهى

وذكر ابن حزم أنها على أربعة أميال من المدينة ، وقد اختبرتُ ذلك بالمساحة فكان من عَتَبة باب المسجد النبوى المعروف بباب السلام إلى عَتَبَة باب مسجد الشجرة بذى الحليفة تسعة عشر ألف ذراع وسبعمائة ذراع واثنين وثلاثين ذراعا ونصف ذراع بذراع اليد المتقدم تحديده فى حدود الحرم ، وذلك خمسة أميال وثلثا ميل ينقص مائة ذراع ، وكان المسجد ليس أول ذى الحليفة ؛ لأن أبا عبد الله الأسدى من المتقدمين قال : الرحلة من المدينة إلى ذى الحليفة وهى الشجرة ومنها يحرم أهل المدينة وهى على خمسة أميال ونصف مكتوب على الميل الذى وراءها قريب من العلمين : ستة أميال من البريد ، ومن هذا الميل أَهَلَّ رسول الله صلى

الله عليه وسلم ، انتهى ؛ فالميل المذكور عند المسجد لأنه محل إهلاله صلى الله عليه وسلم ، وأول ذى الحليفة قبله بنصف ميل .

وقوله « قريب من العلمين » يحتمل أن يريد على مدخل ذى الحليفة لقوله فى تعداد الأعلام «وعلى مدخل ذى الحليفة علمان» فيفيد ماتقدم من عدم التعرض لانتهاء الحليفة ، لكنه ذكر كما سبق فى البيداء أن على مخرج ذى الحليفة علمين آخرين ، وأن البيداء فوق على الحليفة إذا صعدت من الوادى ، فيحتمل أن يريد بقوله « قريب من العلمين » على مخرج الحليفة ، فيفيد أن المسجد قرب آخر الحليفة ، وهو الظاهر ؛ لأن البَيْدَاء هى الموضع المشرف على ذى الحليفة وذلك على نحو غَلْوة سهم من مسجدها . والأعلام المذكورة غير موجودة اليوم .

وقال العز بن جماعة : وبذى الحليفة البئر التى تسميها العوام بئر على ، وينسبونها إلى على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه ؛ لظنهم أنه قاتل الجن بها ، وهو كذب ، ونسبتها إليه غير معروفة عند أهل العلم ، ولا يرمى بها حجر ولا غيره كما يفعل بعض الجهلة ، انتهى .

وسبق فى مسجد ذى الحليفة ذكر اتخاذ الدرج لآبارها ، وسبق فى خاتمة الفصل الرابع عن ابن شبة أن فوق ذى الحليفة التى هى الحرم فى القبلة قبل حمراء الأسد موضعاً من أعلى العقيق يسمى بالحليفة العليا ، فيكون المحرم الحليفة السفلى، ولم أره فى كلام غيره ولعله الخليقة بالخاء المعجمة والقاف لما سيأتى فيها .

وأما ذو الحليفة المحرم فهى أيضا من وادى العقيق ، ولذا روى أبو حنيفة كما فى جامع مسانيده عن ابن عمر قال : قام رجل فقال : يا رسول الله ، من أين المُهَل ؟ فقال: يُهِلُّ أهل المدينة من العقيق ، ويُهِلُّ أهل الشام من الْجُحْفَة ، ويُهِلُّ أهل نجد من قرن ، فأطلق على ذى الحليفة اسم العقيق .

وذو الحليفة أيضا : موضع بين حاذَة وذات عرق ، ومنه حديث رافع بن خديج قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بذى الحليفة من تهامة فأصبنا نهب غنم ،

وتقدم فى مساجد تبوك مايقتضى أن ذا الحليفة أيضاً موضع آخر بين المدينة وتبوك .

الحاتان الحاتان ـ موضع قرب البليدة ، يضاف إليه حرم الحاتين ، وسبق شاهده فى البلدة والبليدة .

حمام حُمَام ـ بالضم والتخفيف ، وذات الحمام : موضع بين مكة والمدينة ، وعميس الحمام : موضع بين الفرش وملل كما سيأتى فى العين المهملة .

ذات الحماط ذات الحُمّاط ـ تقدم فى أودية العقيق والمساجد ، وشاهده فى المرابد ، بالضم وتشديد الميم ، حائط تقدم فى منازل بنى بياضة .

حمت حمت ـ بالفتح ثم السكون، اسم لجبل ورقان كما فى الحديث الآتى فيه ؛ وقال عَرّام : ويقطع بين قدس الأبيض وقدس الأسود عقبة يقال لها حَمْت ، وسيأتى فى شاهد ريم ذكر حَمْت ، قال الزبير : حَمْت وصورى من صدور أئمة ابن الزبير

حمراء الأسد حمراء الأسد ـ بالمد والإضافة ، والأسد الليث ، موضع على ثمانية أميال من المدينة ، إليه انتهى رسول الله صلى الله وسلم مَرْجِعَهُ من أحد فى طلب المشركين وأقام به ثلاثة أيام ، وكان المسلمون يُوقِدُونَ كل ليلة أكثر من خمسمائة نار لترى من المكان البعيد ، وسبق فى العقيق ما يقتضى أن حَمْرَاء الأسد فوق ثنية الشريد

قال الهجرى : وبها قصور لغير واحد من القرشيين ، قال : وهى ترى من العقيق نحو طريق مكة ، أى عن يسارها ، قال : وفى شق الحمراء الأيسر منشد ، وفى شقها الأيمن شرقيا خاخ .

قلت : وعلى يسار المصعد من ذى الحليفة جبل يعرف بحمراء نملة ، والظاهر أنه منشد ، وليس هو حمراء على ما سنوضحه فى النون ، والحمراء : اسم لمواضع أخرى : منها موضع فيه نخل كثير قبيل الصفراء .

الحميراء الحميراء ـ تصغير حمراء ، موضع ذو نخل بنواحى المدينة ، قال ابن هرمة :

كأن لم تجـاورنا بأكْنَافِ مثعر وأخْزَم أو خيف الحميراء ذى النخل

ولعله الحمراء التى بقرب الصفراء ، ولـكن صغرها .

الحمى الحمى ـ تقدم مبسوطاً فى الفصل السادس والسابع .

الحية

الحية ـ ذكرها صاحب « المسالك والممالك » فى توابع المدينة ومخاليفها .

الحنان

الحنان ـ بالفتح والتخفيف ، لغة الرحمة ، اسمُ كثيب كبير كالجبل ، قاله الزمخشرى ، وقال نصر : الحنان بالفتح والتشديد رمل قرب بدر ، وهو كثيب عظيم كالجبل . وقال ابن إسحاق فى مسير النبى صلى الله عليه وسلم إلى بدر بعد سلوكه لذفران : ثم ارتحل منه فسلك على ثنايا يقال لها الأصافر ، ثم انحط إلى بلد يقال له الدبة ، وترك الحنان بيمين ، وهو كثيب كالجبل عظيم ، انتهى.

قلت : وإليه يضاف « أبرق الحنان » وهو لبنى فزارة ، قال كُثَيِّر :

* لمن الديار بأبرق الحنان *

وقال ياقوت : إنه غير الحنان السابق ذكره .

حنذ

حنذ ـ بالفتح وإعجام الذال ، قرية لأُحَيْحَة بن الجُلاَح من أعراض المدينة فيها نخل ، أنشد ابن السكيت لأحيحة يصف نخلها فإنه يتأبر منها دون أن يؤبر :

تأبَّرِى ياخـيرة الفَسِيل تأبرى من حنذ وشُولِى

إن ضَنَّ أهلُ النخل بالفحول

حورتان

حورتان اليمانية والشامية ، ويعرفان اليوم بحورة وحويرة ، وهما من أودية الأشعر ، وسيأتى لهما ذكر آخر الحروف فى يين .

قال الهجرى : وهما لبنى كلب وبنى ذهل من عوف ثم من جهينة ، قال : وبحورة اليمانية وادٍ يقال له ذو الهدى ؛ لأن شداد بن أمية الذهلى قدم على النبى صلى الله عليه وسلم بعَسَل شَارَهُ منه ، فقال له : من أين شُرْته ؟ قال : من واد يقال له ذو الضلالة ، فقال : لا ، بل ذو الهدى ، انتهى .

وسيأتى فى خضرة عن أبى داود ما يشهد لأصل ذلك .

وحورة اليمانية معروفة ، والوادى غير معروف ، ويحمل منها إلى المدينة العسل والحنطة الرياضية التى تأتى من ناحية الفغرة ، وبها موضع يقال له المخاضة يستخرج منه الشب ، ويقال له ذو الشب .

وحورة الشامية لبنى دينار مولى كلب بن كبير الجهنى ، وكان طبيباً لعبدالملك ابن مروان ، ومن ولده عرارة الخياط صاحب القيان بالمدينة ، وكان عبد الملك قد اتخذ بحورة الشامية بقاعاً ومنزلا يقال له ذو الحماط .

حوضى حوضى ـ تقدم فى مساجد تبوك .

حوض عمرو حوض عمرو ـ بالمدينة ، منسوب إلى عمرو بن الزبير بن العوام .

حوض مروان حوض مروان ـ تقدم مع بئر المغيرة فى قصر أبى هاشم المغيرة بن أبى العاص بالعقيق .

حوض ابن هاشم حوض ابن هاشم ـ بالحرة الغربية ، تقدم فى بئر إهاب و بئر فاطمة .

حيفاء حيفاء ـ لغة فى الحفياء كما تقدم فيها .

حرف الخاء

خاخ خاخ ـ بخاءين ، ويقال : روضة خاخ، قال الهجرى : وفى شق حمراء الأسد الأيمن خاخ ، بلد به منازل لمحمد بن جعفر بن محمد وعلى بن موسى الرضى وغيرهما ، و بئر محمد بن جعفر وعلى بن موسى ومزارعهما تعرف بالحضر ، وخاخ تقدمت فى أودية العقيق ، ولهذا ذكرها ابن الفقيه فى حدوده ، وقال : هى بين شـــوظا والناصفة .

وقال الواقدى : روضة خاخ بقرب ذى الحليفة ، على بريد من المدينة ، وفى حديث على : بعثنى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم والزبيرَ والمقدادَ ، فقال : انْطَلِقوا حتى تأتوا روضة خاخ ، فإن بها ظعينة معها كتابٌ ، الحديثَ ، ورواه بعضهم عن حاطب بن عبد الرحمن ، و بين فيه أن المكان على قريب من اثنى عشر ميلا من المدينة ، ويقرب خاخ من خليقة عبد الله بن أبى أحمد ، جاء فى رواية ابن إسحاق : فأدركوها بالخليقة خليقة ابن أبى أحمد .

وقد أكثر الشعراء من ذكر خاخ ، قال الأحْوَصُ :

طربت وكيف تطرب أم تصابى ورأسُكَ قد توشّـــعَ بالقتيرِ
لغانيةٍ تحـــلُّ هضابَ خاخ فأسقُفَ فالدوافع من حضير

وقال أيضاً :

يا موقد النــار بالعلياء من إضم أوقد فقدهجت شوقاً غير مضطرم
يا موقدَ النــار أوْقِدْهَا فإن لها سَناً يهيج فؤاد العاشق السدم
نار يضيء سـناها إذ تشب لنا سعديّة ذكرها يشفى من السقم
وما طربت لشجو أنت نائله ولا تنورت تلك النار من إضم
ليست لياليك فى خاخ بعائدة كما عهدت ولا أيامُ ذى سَلَمِ

فغنى فيه معبد ، وشاع الشعر ،فأنشد لسكينة بنت الحسين رضى الله تعالى عنهما ، وقيل : عائشة بنت سعد بن أبى وقاص ، فقالت : قد أكثر الشعراء فى خاخ ، لا والله ما أنتهى حتى أنظر إليه ، فبعثت إلى مولاها فند ، فحملته على بغلة وألبسته ثيابَ خز من ثيابها ، وقالت : امض بنا نقف على خاخ ، فمضى بها ، فلما رأته قالت : ما هو إلا ما أرى ؟ قال : ما هذا إلا هذا ، فقالت : والله لا أريم حتى أوتى بمن يهجوه ، فجعلوا يتذكرون شاعراً قريباً إلى أن قال فند : أنا والله أهجوه ، قالت : قل ، فقال : خاخ خاخ خاخ أخ ، ثم تفل عليه كأنه تنخّع ، فقالت : هجوته ورب الكعبة ، لك البغلة وما عليك من الثياب .

خاص — واد بخيبر ، فيه الأموال القصوى الوحيدة وسلالم والكتيبة والوطيح . خاص

خَبْء — بالفتح وسكون الموحدة بعدها همزة ، وادٍ بالمدينة إلى جنب قباء ، وقيل : هو بالضم واد ينحدر من الكاثب ، ثم يأخذ ظهر حرة كشب ، ثم يسير إلى قاع أسفل من قباء ، والخبء أيضاً : موضع بنجد . خبء

الخبار — كسحاب ، تقدم فى مسجد فيفاء الخبار من مساجد المدينة ، ويقال: الخبار

فيف الخبار ، وفى القاموس : الخَبَار مالانَ من الأرض واسْتَرْخَى، وجحرة الجرذان وفى المثل «من تجنَّبَ الخبار ، أمن من العثار » وفيفاء ــ أوفيف ــ الخبار : موضع بنواحى عقيق المدينة ، انتهى .

وقال ابن شهاب : كان قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم نفر من عُرَينة كانوا مجهودين مضرورين، فأنزلهم عنده، فسألوه أن ينحيهم من المدينة، فأخرجهم إلى لِقاح له بكنف الخبار وراء الحمى ، وقال ابن إسحاق : وفى جمادى الأولى غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشاً ، فسلك على نقب بنى دينار من بنى النجار ، ثم على فيفاء الخبار ، قال الحارثى : وجد به مضبوطاً مقيداً بخط ابن الفرات بالحاء المهملة والباء المشددة ، والصوابُ المشهور الأول .

خبان

خبان ــ كعثمان ، جبل بين معدن النقرة وفدك [1] .

خبراء العذق

خبراء العذق ــ بكسر العين المهملة وفتح الذال المعجمة ثم قاف ، قاع بناحية الصمّان ، وفى القاموس : أنه موضع بناحية الصمان كثير السِّدر والماء .

خبراء صائف

خبراء صائف ــ بين مكة والمدينة ، قال شاعر :

ففدفد عبود فخبراء صـــائف ... فذو الجَفْر أقْوَى منهمُ ففدافدُهْ

خبزة

خبزة ــ بلفظ واحدة الخبز المأكول ، حصن من أعمال ينبع .

الخرار

الخرّار ــ بالفتح ثم التشديد من أودية المدينة ، وقيل : ماء بالمدينة ، وقيل : موضع بخيبر ، وقيل : بالحجاز ، وقيل : بالجحفة ، وفى شامى مثعر غدير يقال له الخرار ، وسبق ذكر بواط والخرار فيما يلقى سيل إضم ، وَالخرار فى سفر الهجرة الظاهر أنه بالجحفة ، وقال ابن إسحاق : وفى سنة واحد ، وقيل سنة اثنتين، بعثَ رسول لله صلى الله عليه وسلم سعد بن أبى وقاص فى ثمانية رَهْط من المهاجرين ، فخرج حتى بلغ الخرار من أرض الحجاز ، فرجع ولم يَلْقَ كيداً .

خربى

خربى ــ كحُبْلَى منزلة لبنى سلمة فيما بين مسجد القبلتين إلى المَذَاد ، غيرها

(١) ضبط ياقوت هذا بفتح أوله ، وجعل الذى بالضم قرية باليمن .

صلى الله عليه وسلم وسماها صالحة تفاؤلا بالحرب ، قاله المجد فى القاموس ، خلاف ما سبق عنه فى الحاء المهمله ، ولعل الصواب ما هنا .

الحرماء الخرماء ـ تأنيث الأخرم للمشقوق الشفة ، عين بوادى الصفراء .

خريق خريق ـ كأمير ، وادٍ عند الجار يتصل بينبع .

خريم خُرَيْم ـ كزبير ، ثَنِية بين جبلين بين المدينة والجار ، وقيل : بين المدينة والروحاء ، كان عليها طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم مُنْصَرَفه من بدر ، قال كثير :

فأَجْمَعْنَ بَيْنًا عاجلاً وتركنَنِي   بفَيْفَا خُرَيْم قائمًا أتبلّدُ

الخزيمية الخزيمية ـ بالضم وفتح الزاى ، منزلة للحاج العراقى بين الأجفر والثعلبية .

خشاش خشاش ـ كسحاب ، وهما خشاشان ، وهما جبلان من الفرع قرب العمق ، وله شاهد فى العمق .

خشب خُشُب ـ بضمتين آخره باء موحدة ، وادٍ على ليلة من المدينة ، له ذكر فى الحديث والمغازى ، وهو ذو خشب المتقدم فى الأودية التى تَصُبُّ فى إضم ، وفى مساجد تَبُوك ، وكان به قصر لمروان بن الحكم ومنازل لغير واحد ، وبه نزل بنو أمية لما أخرجوا إلى الشام قبيل وقعة الحرة حتى تلاحقوا به ، ثم أرسل إليهم عبد الله بن حَنْظَله ، فأخرجوا منه أقبح الإخراج ، وقال شاعر :

أبت عَيْنِي بذى خُشُبٍ تَنَامُ   وأبكَتْهَا المنــازلُ والخيَامُ
وأرقنى حمـامٌ بات يَدْعُو   على فَنَنٍ يجاوبه حمـــام

الخشرمة الخشرمة ـ وادٍ قرب ينبع ، يصب فى البحر .

خشين خشين ـ تصغير خشن ، جبل ، قال ابن إسحاق : غزا زيد بن حارثة جذام من أرض خشين ، وفى المثل « إن خُشَيْنًا من خَشِنٍ[1] » وهما جبلان أحدهما أصغر من الآخر .

---

(١) المحفوظ فى المثل « إن العصا من العصية ، وإن خشينا من أخشن » .

الخصى — الخصى ـ فعيل من خَصَاه نزع خصيته ، أطُم كان شرقى مسجد قباء ، على فم بئر الخصىّ لبنى السلم ، والخصى أيضاً : أطم فى منازل بنى حارثة .

خضرة — خضرة ـ بفتح أوله وكسر ثانيه ، من القرى المتقدمة فى آرة ، وأرض لمحارب بنجد ، وقيل : تهامة ، وقال ابن سعد: كان بها سَرِية أبى قتادة إلى خضرة، وهى أرض محارب بنجد ، وقال أبو داود : غير رسول الله صلى الله عليه وسلم أرضاً تسمى عفرة سماها خضرة ، وشعب الضلالة سماها شعب الهدى ، و بنى الزنية سماهم بنى الرشدة ، قال الخطابى : عفرة بفتح العين وكسر الفاء نقب، الأرض التى لا تنبت شيئاً ، فسماها خضرة على معنى التفاؤل حتى تخضر .

الخطمى — الخطمى ـ تقدم فى مساجد تبوك .

خفينن — خفينن ـ بفتح أوله وثانيه ثم مثناة تحتيه ساكنة ونونين الأولى مفتوحة ، وادٍ ـ وقيل : قرية ـ بين ينبع والمدينة ، وقيل : شعبتان واحدة تدفع فى ينبع والأخرى تدفع فى الخشرمة ، قال كثير :

وهاج الهوَى أظْعانُ عَزَّةَ غدوةً　　وقد جعلت أقرانُهُنَّ تبين
تأطَّرْنَ بالميثاء ثم تركنه　　وقد لاح من أثقالهن شجون
فأتبعتهم عينىَّ حتى تلاحمت　　عليها قنان من خفينن جُونُ

خفية — خَفِيَّة ـ بفتح أوله وكسر ثانيه ثم مثناة تحتية مشددة ، موضع بعقيق المدينة، قاله المجد أخذاً من ابن الفقيه المتقدم عن الزبير عدهُ فى أودية مسيله .

الخلائق — الخلائق ـ أرض بنواحى المدينة ، كانت لعبد الله بن أحمد بن جَحْش ، قاله المجد ، وهو جمع الخليقة الآتية ، قال المهجرى : سيلُ العقيقِ بعد خروجه من النقيع يلقاه وادى ريم ، وهما إذا اجتمعا دفعا فى الخليقة خليقة عبدالله بن أبى أحمد ابن جحش ، وبها مزارع وقصور ونخيل لغير واحد من آل الزبير وآل أبى أحمد، انتهى ، وسيأتى عن المجد أنها على اثنى عشر ميلا من المدينة ، وسبق عن المطرى أن سيل النقيع يصل إلى بئر علىّ العليا المعروفة بالخليقة .

قلت : هى معروفة اليوم فى درب المشيان ، وهى خليقة عبد الله المذكورة ، وسيأتى فى نقب مياسير أنه حد الخلائق خلائق الأحمديين ، وأن الخلائق آبار ، فالبئر المذكورة إحداها ، وفى تهذيب ابن هشام عن ابن إسحاق فى غزوة العشيرة أن النبى صلى الله عليه وسلم سلك على نقب بنى دينار ، ثم على فيفاء الخبار ، فنزل تحت شجرة ببطحاء ابن أزهر ، ثم ارتحل فنزل الخلائق بيسار ، وسلك شعبة يقال لها شعبة عبد الله ، وذلك اسمها ، ثم ضرب المـاء حتى دخل بليل فنزل بمجتمعه ومجتمع الضَّبُوعة ، ثم سلك الفرش فرش ملل حتى لقى الطريق بصخيرات اليمام ، ثم اعتدل به الطريق .

وقوله « الخلائق » بالخاء المعجمة فى نسخة معتمدة ، وقال صَخْر بن الجَعْد :

أَتَنْسَيْنَ أياما لَنَا بسُوَيْقَةٍ   وأيامَنَا بالجزع جزع الخلائق

وقال الحزين الديلى :

لا تَزْرَعَنَّ من الخلائق جَدْوَلاً   هيهات إن رتعت و إن لم ترتم

خلائق

والخلائق أيضاً: فَلَاة بذروة الصمان تمسك ماء السماء فى صفاة خلقها الله فيها وأخوتها حريقة ، قاله الأزهرى .

خلائل

خلائل ــ بالضم ، موضع بالمدينة ، قال ابن هَرْمَةَ :

احبس على طلل ورسم منازل   أقوين بين شواحطٍ وخلائل

خلص

خَلْص ــ بالفتح وسكون اللام وصاد مهملة ، تقدم فى آرة أنه وادٍ فيه قرى ، وعن حكيم بن حزام قال : لقد رأيت يوم بدر وقد وقع بوادى خَلْص بجاد من السماء قد سَدَّ الأفق ، فإذا الوادى يسيل نملا ، فوقع فى نفسى أن هذا شىء من السماء أيد به محمد صلى الله عليه وسلم ، فما كانت إلا الهزيمة وهى الملائكة .

خل

خل ــ موضع بين مكة والمدينة قرب مرجح ، وسيأتى شاهده فيـه . وخَلَّ المضاف إليه قصر خل بالمدينة سيأتى أنه الطريق التى عنده فى الحرة .

خليقة

خليقة ـ بالقاف كسكينة ، هي المتقدمة فى الخلائق ، وقال المجد : هى منزل على اثنى عشر ميلا من المدينة ، بينها و بين ديار سُلَيم .

خم ـ بالضم ، اسم رجل شجاع أضيف إليه الغدير الذى بقرب الجحفة ، أو اسم واد هناك ، وقال النووى : اسم لغَيْضة على ثلاثة أميال من الُجحْفة عندها غدير مشهور يضاف إليها ، وقال الحافظ المنذرى : إنه لايُولَد بهذه الغيضة أحد فيعيش إلى أن يحتلم إلا أن يرحل عنها لشدة مابها من الوباء والحمى بدعوة النبى صلى الله عليه وسلم فى نقل حمى المدينة إليها ، وتقدم عن الأسدى أن على ثلاثة أميال من الُجحْفَة يسرة عن الطريق حذاء العين المسجد المتقدم ذكره ، قال : ويليها الغَيْضَة ، وهى غدير خم ، وهى على أربعة أميال من الُجْحْفة ، وكأن العين التى أشار إليها عين خم التى يتقى شرب مائها ، فيقال : إنه ماشرب منه أحد إلا حُمَّ ، وقال عَرّام : ودون الجحفة على ميل غدير خم ، وواديه يصب فى البحر ، لاينبت غير المَرْخ والثُمَام ، والغدير من نحو مطلع الشمس لا يفارقه ماء أبدا من ماء المطر ، و به أناس من خزاعة وكنانة غير كثير .

الخندق

الخندق ـ قال المطرى ، وتبعه مَنْ بعده : حَفر النبى صلى الله عليه وسلم الخندق طولا من أعلى وادى بطحان غربى الوادى مع الحرة إلى غربى مصلى العيد ثم إلى مسجد الفتح ثم إلى الجبلين الصغيرين اللذين فى غربى الوادى ، وجعل المسلمون ظهورهم إلى جبل سَلْع ، وضرب النبى صلى الله عليه وسلم قُبَّته على القرن الذى فى غربى سلع فى موضع مسجد الفتح اليوم ، والخندق بينهم و بين المشركين ، وفرغ من حفره بعد ستة أيام ، وتجمع فيه جميع المسلمين ، وهم يومئذ ثلاثة آلاف ، انتهى . وكأنه أخذه من قول ابن النجار ، والخندق اليوم باقٍ ، وفيه قناة تأتى من عين بقباء ، تأتى إلى النخل الذى بأسفل المدينة بالسيح حوالى مسجد الفتح ، قال : وفى الخندق نخل أيضاً ، وقد انطم أكثره وتهدمت حيطانه ، انتهى .

والموضع الذى ذكره من الخندق ، لا أنه منحصر فيه ؛ فقد روى الطبرانى

عن عمرو بن عوف المزنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خَطَّ الخندق من أجَمَة الشيخين طرف بنى حارثة عام حَزَّبَ الأحزابُ حتى بلغ المداحج فقطع لكل عشرة أربعين ذراعا ، واحتج المهاجرون والأنصار فى سلمان الفارسى ، وكان رجلا قويا ، فقال المهاجرون : سلمان منا ، وقالت الأنصار : منا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : سلمان منا أهل البيت .

وسيأتى أن الشيخين أُطُمَان شامى المدينة بالحرة الشرقية ، وأما المداحج فلا ذكر لها فى بقاع المدينة ، وقد روى البيهقى فى دلائل النبوة حديث عمرو بن عوف بلفظ : خَط رسولُ صلى الله عليه وسلم الخندق عام الأحزاب من أجم السمر طرف بنى حارثة حتى بلغ المذاد ، ثم قطع أربعين ذراعا بين كل عشرة ، وذكر نحو ما سبق فى الاحتجاج فى سلمان ، والمذاد : بطرف منازل بنى سلمة مما يلى مساجد الفتح وجبل بنى عبيد . ولمنازلهم ذكر فى الخندق من جهة الحرة الغربية.

قال ابن سعد : ولما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفر الخندق وَكَّلَ بكل جانب منه قوما ، وكان المهاجرون من ناحية راتج إلى ذباب ، وكانت الأنصار يحفرون من ذباب إلى جبل بنى عبيد ، وكان سائر المدينة مشككا بالبنيان فهى كالحصن ، وخندقت بنو دينار من عند خربى إلى موضع دار ابن أبى الجنوب اليوم ، وخندقت قبلهم بنو عبد الأشهل مما يلى راتجا إلى خلفها أى خلف بنى عبد الأشهل ، وهو طرف بنى حارثة ، قال : حتى جاء الخندق وراء المسجد ، وفرغوا من حفره فى ستة أيام ، انتهى .

وقد أوضح ذلك الواقدى فى كتاب الحرة ، فنقل أنه لما دَنا عسكر يزيد تشاور أهل المدينة فى الخندق ، واختلفوا أياما ، ثم عزموا على الخندق خندقِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، وشكوا المدينة بالبنيان من كل ناحية .

قال حنظلة بن قيس الزرق : عملنا فى الخندق — أى عام الحرة — خمسة عشر يوما ، وكان لقريش مابين راتج إلى مسجد الأحزاب ، وللأنصار مابين مسجد

الأحزاب إلى بنى سلمة ، والموالى مابين راتج إلى بنى عبد الأشهل ، ثم ذكر فتح بعض بنى حارثة طريقا فى الخندق من قبلهم لأهل الشام كما سبق .

فتلخص أن الخندق كان شامى المدينة من طرف الحرة الشرقية إلى طرف الحرة الغربية ؛ لأن منازل بنى سلمة لسند الحرة الغربية كما سبق .

وقوله فى رواية ابن سعد « وخندقت بنو دينار من عند خربى » أى منازل بنى سلمة « إلى موضع دار ابن أبى الجنوب » أى التى فى غربى بطحان قرب المصلى ، فهو خندق آخر غير الأول ، ولهذا قال كعب بن مالك رضى الله تعالى عنه من الباب فيما قيل فى الخندق من الشعر على ما ذكره ابن إسحاق :

بباب الخندقين كأن أسداً   شوابكهن تحمين العرينا
فوارسنا إذا بكروا وراحوا   على الأعداء شوسا معلمينا
لننصر أحمدا والله حتى   نكون عباد صدق مخلصينا

وقال ابن إسحاق : وكان الذى أشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخندق سلمان الفارسى ، وكان أول مشهد شهده مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو يومئذ حر ، فقال : يارسول الله ، إنا كنا بفارس إذا حصرنا خندقنا علينا ، فعمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون حتى أحكموه ، وكان أحد جانبى المدينة عَوْرَة ، وسائر جوانبها مشككة بالبنيان والنخيل لايتمكن العدوُّ منها ، انتهى .

فهذا الجانب هو الذى تقدم بيانه ، والمراد بجعل ظهورهم إلى سَلْع من جهة الشام والمغرب ، وما ذكره المطرى فى مضرب القبة مردود كما بيناه فى مسجد ذباب ، وكأنه ظن لحصره الخندق فيما ذكره أن موضع مسجد الفتح هو المسمى بذباب ؛ لأن الوارد أنه صلى الله عليه وسلم ضرب قبته على ذباب .

وفى تفسير الثعلبى عن عبد الله بن عمرو بن عوف قال : خط رسول الله صلى الله عليه وسلم الخندق عام الأحزاب ، ثم قطع لكل عشرة أربعين ذراعا ،

واستعاروا من بنى قُرَيْظة مثل المعاول والفؤس وغير ذلك ، وعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده ترغيبا للمسلمين ، وربما كان يحفر حتى يعيا ثم يجلس حتى يستريح ، وجعل أصحابه يقولون : يارسول الله نحن نكفيك ، فيقول : أريد مشاركتكم فى الأجر ، وذكر ماتقدم فى الاحتجاج فى سلمان ، ثم قال : وكنت ، أنا وسَلْمانُ وحذيفة والنعمان بن مُقَرِّن المزنى فى ستة من الأنصار فى أربعين ذراعا ، فحفرنا حتى إذا كنا تحت ذوباب فأخرج الله من بطن الخندق صخرة مرو كسرت حديدنا وشقت علينا ، فقلنا : ياسلمان أرْقَ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره خبر هذه الصخرة ، فإما أن نعدل عنها فإن المَعْدلَ قريبٌ وإما أن يأمرنا فيها بأمر فإنا لانحب أن نجاوز خطه ، فرقى سلمان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ضارب عليه قبة تركية فقال له ذلك ، فهبط مع سلمان الخندق فأخذ المِعْوَلَ من سلمان فضربها ضربة صدعها، وبرق منها برق أضاء مابين لابتيها —يعنى المدينة— حتى لكأنّ مصباحا فى جوف بيت مظلم ، فكبر النبى صلى الله عليه وسلم تكبير فتح ، ثم ضربها الثانية ، وذكر مثل ماتقدم، ثم ضربها الثالثة فكسرها ، وبرق منها برق، وذكر مثل ماتقدم، قال : فأخذ بيد سلمان ورقى ، فقال سلمان : بأبى أنت وأمى يارسول الله لقد رأيت شيئا مارأيت مثله قط ، فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى القوم فقال : أرأيتم مايقول سلمان ؟ فقالوا : نعم يارسول الله ، قال : ضربت ضربتى الأولى فبرق الذى رأيتم أضاءت لى منها قصور الحيرة ومداين كسرى كأنها أنياب الكلاب ، وأخبرنى جبريل أن أمتى ظاهرة عليها ، ثم ضربت الثانية فبرق الذى رأيتم أضاءت لى منها القصور الحمر من أرض الروم كأنها أنياب الكلاب ، فأخبرنى جبريل أن أمتى ظاهرة عليها ، ثم ضربت الثالثة فبرق الذى رأيتم أضاءت لى منها قصور صنعاء كأنها أنياب الكلاب ، وأخبرنى جبريل أن أمتى ظاهرة عليها ، فأبشروا ، فاستبشر المسلمون وقالوا : الحمد لله وعد صدق وعدنا النصر بعد الحصر ، فقال المنافقون : ألا تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل ، ويخبركم أنه يُبْصِر من يثرب قصورَ الحيرة ومداين كسرى وأنها تفتح لكم ،

وأنتم إنما تحفرون الخندق من الفَرَق لا تستطيعون أن تبرزوا ، فنزل القرآن (وإذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ما وَعَدَنا الله ورسوله إلا غرورا) وأنزل الله فى هذه القصة (قل اللهم مالك الملك) انتهى .

وقوله « ذو باب » كذا هو بالواو بعد الذال ، فإن صحت الرواية به فهو اسم لذباب أيضا ؛ لأنه مَضْرِب القبة فى الخندق ، ولم أر من ذكر ذو باب فى بقاع المدينة .

وروى الواقدى فى سيرته أن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه كان يضرب يوم الخندق بالمِعْوَل ، فصادف حجرا صلدا ، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم المعول وهو عند جبل بنى عبيد ، فضرب ضربة فذهبت أولها برقة إلى اليمن ، ثم ضرب أخرى فذهبت أخرى إلى الشام ، ثم ضرب أخرى فذهبت برقة نحو المشرق ، وكسر الحجر عند الثالثة ، فكان عمر رضى الله تعالى عنه يقول : والذى بَعَثَه بالحق لصار كأنه سهلة ، وكان كلما ضرب ضربة يتبعه سلمان ببصره فيبصر عند كل ضربة برقة ، فقال سلمان : رأيت المعول كلما ضربت به أضاء ماتحته ، فقال : أليس قد رأيتَ ذلك ؟ قال : نعم ، قال النبى صلى الله عليه وسلم : إنى رأيت فى الأولى قصورَ اليمن ، ثم رأيت فى الثانية قصور الشام ، ورأيت فى الثالثة قصر كسرى الأبيض بالمدائن ، وجعل يَصِفُه لسَلْمان ، فقال : صدقت والذى بعثك بالحق إن هذه لصفته ، فأشهد أنك رَسُولُ الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذه فتوح يفتحها الله عليكم بعدى ياسلمان ، ليفتحن الشام ويهرب هِرَقْل إلى أقصى مملكته وتظهرون على الشام فلا ينازعكم أحد ، ولتفتحن اليمن ، ولتفتحن هذا المشرق ويقتل كسرى فلا يكون كسرى بعده ، قال سلمان رضى الله تعالى عنه : فكُلٌّ هذا قد رأيت .

وماتقدم من فراغ الخندق فى ستة أيام هو المعروف ، لكن قال الحافظ ابن حجر : إن فى مغازى ابن عقبة أنهم أقاموا فى عمله قريبا من عشرين ليلة ، وعند الواقدى أربعا وعشرين ، وفى الروضة للنووى خمسة عشر يوما ، وفى

الهدى لابن القيم : أقاموا شهرا ، انتهى . والذى فى الهدى : وأقام المشركون شهرا يحاصرون ، وكذا مانقله عن الروضة إنما هو فى الحصار ، وكذا ابن عقبة إنما ذكر ذلك فى الحصار كما سبق فى السنة الخامسة ، لكن نقل ابن سيد الناس عن ابن سعد أن المدة فى عمل الخندق ستة أيام ، ثم قال : وغيره يقول : بضع عشرة ليلة ، وقيل : أربعا وعشرين.

خويفة — ذكرها صاحب « المسالك والممالك » فى توابع المدينة ومخاليفها . خويفة

خيبر — اسم ولاية مشتملة على حصون ومزارع ونخل كثير ، والخيبر بلسان اليهود : الحصن ، ولذلك سميت بخيابر أيضا ، لكثرة حصونها . خيبر

وقال أبو القاسم الزجاجى : سميت بخيبر أخى يثرب ابنى قانئة بن مهليل ابن إرم بن عبيل ، وعبيل : أخو عاد ، وعم الربذة وزرود والسفرة ، وكان أول مَنْ نزل بها ، وهى على ثلاثة أيام من المدينة ، على يسار حاج الشام ، نزلها النبى صلى الله عليه وسلم قريبا من شهر ، وافتتحها حصنا حصنا ، فأول ما افتتح حصن ناعم ، ثم العموص حصن ابن أبى الحقيق ، واختار سَبَايا منهن صَفِية ، ثم جعل بيدنا الحصون والأموال حتى انتهى إلى الوطيح والسلالم فكانا آخر ما فتح ، فحاصرهم بضع عشرة ليلة ، حتى إذا أيقنوا بالهلَكة صالحوه على حَقْن دمائهم وترك الذرية ، على أن يخلوا بين المسلمين و بين الأرض والصفراء والبيضاء والبزة إلا ما كان منها على الأجساد ، وأن لا يكتموه شيئا ، فإن فعلوا فلا ذمة لهم فغيبوا مسكا كان لحيى بن أخطب فيه حليهم ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : حتى نظفر بالمسك ، فقتل ابن أبى الحقيق وسبى نساءهم وذراريهم ، وأراد أن يجلى أهل خيبر فقالوا : دعنا نعمل فى هذه الأرض فإن لنا بذلك علما ، فأقرهم وعامَلهم على الشْطر من التمر والحب ، وقال : نقركم على ذلك ماشئنا أو ماشاء الله، فكانوا بها حتى أجلاهم عمر بعد ذلك .

وروى ابن شبة عن حسيل بن خارجة أن أهل الوطيح وسلالم صالحوا عليهما

النبي صلى الله عليه وسلم ، فكان ذلك له خاصة ، وخرجت الكثيبة فى الخمس، وهى مما يلى الوطيح وسلالم ، فجمعت شيئاً واحدا ؛ فكانت مما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم من صدقاته ، وهو يقتضى أن بعض خيبر فتح عنوة و بعضها صلحا ، و به يجمع بين الروايات المختلفة فى ذلك ، وهو الذى رواه ابن وهب عن مالك عن ابن شهاب قال : فتح بعضها عنوة و بعضها صلحا ، والكثيبة أكثرها عنوة ، وفيها صلح ، قلت لمالك : وما الكثيبة ؟ قال : أرض خيبر ، وهى أر بعون ألف عذق .

قلت : المراد أن الكثيبة بخيبر ، لا أنها كل أرضها ، لما سبق .

وروى ابن زبالة حديث « مِيلاَنِ فى ميل من خيبر مقدس » وحديث « خيبر مقدسة ، والسوارقية مؤتفكة » وحديث « نعم القرية فى سُنَيَّات المسيح خيبر » يعنى زمان الدجال .

وتوصف خيبر بكثرة التمر والنخل ، قال حسان بن ثابت رضى الله تعالى عنه :

أتفخر بالكتان لما لبسته وقد لبس الأنباط رَيْطاً مقصرا
و إنا ومن يهدى القصائد نحونا كمستبضع تمرا إلى أرض خيبرا

وتوصف أيضا بكثرة الحمى ، قَدِمَهاَ أعرابى بعياله فقال :

قُلْتُ لحمَّى خيبرَ اسْتَعِدِّى هاك عيالى فاجْهَدِى وجِدِّى
وباكِرِى بصالب ووِرْدِ أعانَكِ الله على ذا الجند

فحم ومات و بقى عياله .

خيط — خيط ـ بلفظ واحد الخيوط ، أطُمٌ كان لبنى سَوَّاد على شرف الحرة شرقى مسجد القبلتين .

الخيل — الخيل ـ بلفظ الخيل [التى] تركب ، يضاف إليه بقيع الخيل المتقدم فى سوق المدينة

عند دار زيد بن ثابت ، والخيل أيضاً : جبلٌ بين مجنب وصِرار ، له ذكر فى المغازى ، وروضة الخيل : بأرض نجد .

حرف الدال

دار القضاء — تقدمت فى باب زيادة أبواب المسجد . **دار القضاء**

دار ابن مكمل — تقدمت فى الدور المطيفة بالمسجد . **دار ابن مكمل**

دار النابغة — تقدمت فى مسجد دار النابغة . **دار النابغة**

دار نخلة — مضافة إلى واحدة النخل ، تقدمت فى سوق المدينة . **دار نخلة**

الدبة الدبة — بفتح أوله و تشديد ثانيه كدبة الدهن ، وقد تخفف ، موضع بمضيق الصفراء يقال له « دبة المستعجلة » قال نصر : كذا يقوله المحدثون بالتخفيف ، والصواب الأول : لأن معناه مجتمع الرمل ، والدبة أيضا : موضع بين أضافر و بدر اجتاز به النبى صلى الله عليه وسلم بعد ارتحاله من ذفران يريد بدرا ، وفى القاموس: الدبة بالضم موضع قرب بدر .

در در — بالفتح وتشديد الراء ، غدير بأسفل حرة بنى سليم على النقيع ، سقى ماله الربيع كله .

درك درك — بفتحتين ، موضع كانت فيه وقعة بين الأوس والخزرج فى الجاهلية، ويروى بسكون الراء ، أظنه الذى سبق فى بئر دريك مصغراً .

دعان دعان — بالفتح ، بين المدينة وينبع ، وإياه عنى معاوية رضى الله تعالى عنه بقوله « اللاتى فى الغابة ، وأما دعان فنهانى عن نفسه » ويأتى شاهده فى ضأس .

الدف الدف — بلفظ الدف الذى ينقر به ، موضع فى حدان بناحية عسفان .

الدماخ الدماخ — بالكسر وآخره خاء معجمة ، جبال ضخام بحمى ضرية ، ودمخ الدماخ : جبل هو أعظمها .

دهماء مرضوض دهماء مرضوض ـ موضع بنواحى حمى البقيع لمزينة ، قال ابن مَعْن بن أوْسٍ المزنى :

فدهماء مرضوض كأن عراصها بها نضو محذوف جميل محافده

الدهناء الدهناء ـ بفتح أوله وسكون ثانيه ونون وألف ممدودة وتقصر ، موضع بين المدينة و ينبع ، والدهناء أيضا : سبعة أحبل ـ بالحاء المهملة ـ من الرمل بديار تميم ، بين كل حبلين شقيقة ، من أ كثر بلاد الله كلأً مع قلة مياه ، و إذا أخصبت وسعت العرب كلهم لسعتها وكثرة شجرها ، وساكنها لايعرف الحُمَّى لطيب تربتها وهوائها ، و يصب واديها فى مَنْعِج ثم فى الدومة .

الدوداء الدوداء ـ بالمد ، موضع قرب ورقان .

دوران دوران ـ كحوران ، وادٍ عند طرف قديد مما يلى الجحفة .

الدومة الدومة ـ بالفتح ، تقدمت فى بئر أريس ، والمعروف اليوم بذلك حديقة قرب بنى قريظة ، و إلى جانبها الدويمة مصغرة .

دومة الجندل دومة الجندل ـ بضم أوله وفتحه ، وأنكر ابن دريد الفتح ، وفى رواية « دوما الجندل » وعدها ابن الفقيه من أعمال المدينة ، سميت بدوما بن إسماعيل عليه السلام ، وقال الزجاجى : دومان بن إسماعيل ، وقال ابن الكلبى : دوما بن إسماعيل . قال : ولما كثر ولد إسماعيل بتهامة خرج دوما حتى نزل موضعه دومة ، و بنى به حصناً فقيل « دوما » ونسب الحصن إليه ، وقال أبو عبيد : دومة الجندل حصن وقرى بين الشام والمدينة قرب جبل طيء .

قال : ودومة من القريات من وادى القرى ، وذكر أن عليها حصناً حصينا يقال له « مارد » وهو حصن أكيدر الملك ، وكان النبى صلى الله عليه وسلم وَجَّه إليه خالدَ بن الوليد من تبوك ، وقال له : ستلقاه يصيد الوحش ، وجاءت بقرة وحشية فحككت قرونها بحصنه ، فنزل إليها ليلا ليصيدها ، فهجم عليه خالد فأسره

وقتل حسانا أخاه ، وافتتح دومة عنوة ، وقدم بأكيدر معه على النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال بجير الطائى :

تبارك سائق البقـــرات إنى رأيت الله يهـــدى كل هاد

فمن يكُ حائداً عن ذى تبوك فإنا قـــد أمـرنا بالجهاد

ثم صالحه النبى صلى الله عليه وسلم على دومة الجندل ، وأقره على الجزية ، وكان نصرانيا ، ونقض أكيدر الصلح بعدُ ، فأجلاه عمر إلى الحيرة ، فنزل بقرب عين التمر ، و بنى منازل سماها دومة باسم حصنه بوادى القرى ، قاله المجد ، وفيه نظر ؛ لما سيأتى فى وادي القرى .

وقال ابن سعد : دومة الجندل طرف من الشام ، و بينها و بين دمشق خمس ليال ، و بينها و بين المدينة خمس عشرة أو ست عشرة ليلة ، وذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم غزاها ونزل بساحة أهلها ، فلم يلق أحدا ، فأقام بها أياما و بث السرايا .

وقال ابن هشام فى غزوة دومة : إن النبى صلى الله عليه وسلم رَجَعَ قبل أن يصلحها ، وقيل : كان منزل أكيدر أولا دومة الحيرة ، وكان يزور أخواله من كلب فخرج معهم للصيد ، فرفعت لهم مدينة متهدمة لم يبق إلا حيطانها مبنية بالجندل ، فأعادوا بناءها ، وغرسوا الزيتون وغيره فيها ، وسموها دومة الجندل ، فرقا بينها و بين دومة الحيرة ، وكان أكيدر يتردد بينهما .

وزعم بعضهم أن تحكيم الحكمين كان بدومة الجندل ، وفى كتاب الخوارج عن عبد الرحمن بن أبى ليلى قال : مررت مع أبى موسى بدومة الجندل ، فقال : حدثنى صلى الله عليه وسلم أنه حكم فى بنى إسرائيل فى هذا الموضع حكمان بالجور ، وأنه يحكم فى أمتى حكمان بالجور فى هذا الموضع ، قال : فذهبت الأيام حتى حكم هو وعمرو بن العاص فيما حكما ، قال : فلقيته فقلت : يا أبا موسى قد حدثتنى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : فالله المستعان ، كذا أورده المجد

الدويخل الدويخل — بالضم مصغرا ، جبل بنى عبيد ، قال المطرى : هو أحد الجبلين الصغيرين غربى وادى بطحان ومساجد الفتح .

حرف الذال

ذات أجدال ذات أجدال — بالجيم بمضيق الصفراء .

ذات القطب ذات القطب — من أودية العقيق كما سبق .

ذات النصب ذات النُّصُب — بضم النون والصاد المهملة وباء موحدة ، موضع بمعدن القبلية أقطعه النبي صلى الله عليه وسلم بلال بن الحارث المزنى ، وفى الموطأ أن ابن عمر ركب إلى ذات النصب فقصر الصلاة ، قال مالك : و بين ذات النصب والمدينة أربع برد .

ذباب ذباب — كغراب وكتاب لغتان ، قال البكرى : ذباب جبل بجبانة المدينة ، وسبق فى المساجد بيان أنه الجبل الذى عليه مسجد الراية ، وتقدم فى الخندق ما يقتضى أن اسمه ذو باب أيضاً .

ذرع ذرع — اسم بئر بنى خطمة المتقدمة .

ذروان ذروان — بمنازل بنى زريق قبلى الدور التى فى جهة قبلة المسجد ؛ وما والى ذلك ، يضاف له بئر ذروان المتقدمة .

ذفران ذفران — بفتح أوله وكسر ثانيه ثم راء وآخره نون ، وادٍ تقدم بيانه فى مساجد طريق مكه اليوم .

ذوحده ذوحدة — قال البيضاوى فى قوله تعالى (لقد ابتغوا الفتنة من قبل) إن ابن أبى وأصحابه تخلفوا عن تبوك بعد ما خرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ذى حدة أسفل من ثنية الوداع ، وعن ابن إسحاق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب عسكره يومئذ على ثنية الوداع ، وضرب عبد الله بن أبى معه على حدة عسكره أسفل منه نحو ذباب ، كذا فى تهذيب ابن هشام ، وفى دلائل النبوة للبيهقى عن ابن إسحاق : فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب عسكره

على ثنية الوداع ومعه زيادة على ثلاثين ألفا من الناس ، وضرب عبد الله بن أبى على ذى حدة أسفل منه .

ذهبان ـ بفتحات و باء موحدة ونون ، جبل لجهينة أسفل من ذى المروة ، بينه و بين السقيا ، وقرية بين حدة و بين قديد ، قاله ابن السكيت

ذهبان

حرف الراء

رائع ـ بهمزة بعد الألف ، يقال : فرس رائع أى جواد ، وشىء رائع ، أى حسن ، كأنه يَرُوعُ لحسنه أى يبهت ، وهو فناء من أفنية المدينة قاله ياقوت ، كذا قال المجد ، والذى رأيته فى المشترك لياقوت أنه بياء بعد الألف غير مهموزة ، وسبق ذكره فى قصر عنبسة بن عمرو بالعقيق ، وفى جرهشام بن إسماعيل .

رائع

رابغ ـ بموحدة بعد الألف ثم غين معجمة ، وادٍ من الجحفة ، ورابغ أيضا قال الهجرى : فلق بطرف أسقف به غدير ، واسمه القديم رابوغ كما سبق فى غدران العقيق عن الزبير ، قال : وقلما يفارقه ماء ، إذا قل ماؤه احتسى ، وهو أسفل شىء من غدير العقيق ، إلا غدير السيالة ، انتهى . ولعله المعروف اليوم هناك بالحسى .

رابغ

راتج ـ بالمثناة الفوقية بعد الألف ثم جيم ، أطم سميت به الناحية ، وكان ليهود ، ثم صار لبنى الجذماء ثم صار لأهل راتج خلفاء بنى عبد الأشهل كما سبق عن ابن زبالة آخر المنازل ، وأن ابن حزم قال : أهل راتج بنو زعورا بن جشم أخى عبد الأشهل أبناء الحارث بن الخزرج الأصغر ، قال ابن حبيب : الشرعبى وراتج ومزاحم آطام بالمدينة ، وهو لبنى جشم بن الحارث بن الخزرج أى الأصغر ، وسبق فى مسجد راتج أنه فى شرقى ذباب جانحا إلى الشام ، ولهذا خندقت بنو عبد الأشهل منه إلى طرف حرتهم ، وهو طرف بنى حارثة كما سبق فى الخندق ، ولم يعرج المطرى على ما ذكرناه ، بل قال : إن الجبل الذى إلى جنب جبل بنى عبيد غربى

راتج

بطحان يقال له راتج ، وقال بعضهم فى جبال المدينة : ذباب ، وسَلْع ، وراتج[1] ، وجبل بنى عبيد .

راذان — راذان — قرية بنواحى المدينة ، قاله المجد ، وراذان أيضاً : من سواد العراق قريتان عليا وسفلى ، وفى حديث ابن مسعود «لا تتخذوا الضيعة» قال عبد الله : براذان ما براذان ،أربعا، و بالمدينة ما بالمدينة،أى لا سيما إن اتخذتم الضيعة براذان أو بالمدينة ، خصَّهما لنفاستهما وكثرة الرغبة فيهما ، قال ياقوت:راذان من نواحى المدينة لها ذكر فى حديث ابن مسعود ، انتهى .

رامة — رامة — منزل بطريق الحاج العراقى على مرحلة من أمرة ، وسماه أبو عبيدة رامتان ، فقال فى منازل طريق الحاج : وأما رامتان فهما زبيبتان مثل ثدى المرأة ، ثم ذكر أمرة .

رانوناء — رانوناء — بنونين ممدودة كعاشوراء ، ويقال رانون كما سبق فى الفصل الخامس .

راية الأعمى — راية الأعمى — من أودية العقيق .

راية الغراب — راية الغراب — من أوديته أيضاً .

رباب — رباب — كسحاب ، جبل بطريق فيد للمدينة ، يقابله جبل يقال له حولة ، وهما عن يمين الطريق ويساره .

الربا — الربا — بالضم ثم الفتح مخففا مقصورا ، جمع ربوة ، بين الأبواء والسقيا بطريق مكة .

الربذة — الربذة — بالتحريك وإعجام الذال ، تقدمت فى الفصل السابع .

الربيع — الربيع — بلفظ ربيع الأزمنة ، موضع بنواحى المدينة ، ويوم الربيع : من أيام الأوس والخزرج ، قال قيس بن الخطيم :

ونحن الفوارس يوم الربيع وقد علموا كيف فرساننا

الرجام — الرجام — ككتاب ، جبل مستطيل أحمر على ثلاثة عشر ميلا من ضرية

على طريق أهل أضاخ ، وفى غربيه ماء عذب يقال له الرجام ، وليس بينه و بين طخفة إلا طريق ثنية ، وفى أعراضه نزل جيش أبى بكر أيام الردة .

الرجلاء

الرَّجْلاء ــ تقدم فى حرة الرجلاء .

الرجيع

الرجيع ــ كأمير ، وادٍ قرب خيبر ، قال ابن إسحاق فى غزوة خيبر : ثم أقبل حتى نزل بواد يقال له الرجيع ، فنزل بينهم و بين غطفان ليحيل بينهم و بين أن يمدوا أهل خيبر ، فعسكر به ، وكان يراوح القتال منه ، ويخالف الثقل والنساء والجرحى بالرجيع ، والرجيع أيضاً : بين مكة والطائف به سرية عاصم حَمِيِّ الدَّبْر كما سبق فى بئر مَعُونة .

الرحابة

الرحابة ــ كغمامة ، موضع بالحرة الغربية ببنى بياضة كما تقدم فى مساجد بنى بياضة .

الرحبة

الرحبة ــ كرقبة ، بلاد عذرة قرب وادى القرى وسقيا الجزل ، وذكرها صاحب المسالك والممالك فى توابع المدينة ومضافاتها .

رحرحان

رحرحان ــ بحاءين مهملتين بينهما راء ، تقدم فى حمى الربذة .

الرحضية

الرحضية ــ بالكسر كالزنجية والضاد معجمة ، هى الأرحضية كما سبق فيها ، قال الصغانى : الرحضية قرية للأنصار ، وحذاءها قرية يقال لها الحجر ، وقال المجد : هى للأنصار و بنى سليم ، بها آبار وعليها مزارع كثيرة ونخيل

رحقان

رُحْقَان ــ بالضم ثم السكون والقاف آخره نون ، وادٍ عن يمين المتوجه من النازية إلى المستعجلة وسيله يصب عن يسار المستعجلة فى خيف بنى سالم ، ولهذا قال ابن إسحاق فى السير إلى بدر كما سبق فى مسجد مضيق الصفراء : فسلكَ فى ناحية منها ، يعنى النازية ، حتى جَزَع واديا يقال له رحقان بين النازية و بين مضيق الصفراء ، أى قطع طرف الوادى المذكور مما يلى المستعجلة ، وهى أول مضيق الصفراء .

الرديهة

الرديهة ــ من أودية مسيل العقيق .

رحيب — رحيب ــ بالضم كتغير تصغير رحب ، جبل معروف قرب أراين ، سبق شاهده فيه .

رحية — رحية ــ تصغير رحا ، بئر بين المدينة والجحفة .

الرس — الرس ــ بالفتح وتشديد السين ، من أودية القبلية ، قاله الزمخشرى ، وقال غيره : هو ماء لبنى منقد من بنى أسد بنجد ، وقال ابن دريد : الرس والرسيس واديان بنجد أو موضعان ، والرس الذى فى التنزيل : وادٍ قبل وادى أذر بيجان ، وهو وادٍ عجيبٌ فيه رمان لم ير مثله ، وزَبيبُه يجفف فى التنانير ؛ لأنه لا شمس عندهم لكثرة الضباب ، وكان عليه ألف مدينة ، فبعث الله إليهم نبيا فكذبوه ، فدعا عليهم ، فحول الله جبلين عظيمين كانا بالطائف فأرسلهما عليهم فهم تحتهما .

رشاد — رشاد ــ من أودية الأجرد ، وكان اسمه غوى ، وهو لبنى عنان من جهينة ، فسماه النبى صلى الله عليه وسلم رشادا ، وقال لهم : أنتم بنو رشدان .

ذات الرضم — ذات الرَّضَم ــ محركة وتسكن ، موضع على ستة أميال من وادى القرى ، قال عمرو بن الأهيم [١] :

قفا نبك من ذكرى حبيب وأطلال بذى الرضم فالرمانتين فأوعال

الرضمة — الرضمة ــ محركة وتسكن ، من نواحى المدينة ، قال ابن هَرْمة :

سلكوا على صفر كأن حمولهم بالرضمتين ذرى سَفِينٍ عوم

رضوى — رضوى ــ بالفتح كسكرى ، جبل قرب ينبع ، ذو شعاب وأودية ، و به مياه وأشجار ، ومنه يقطع أحجار المسانّ ، قال ابن السكيت : رَضْوَى قَفَاه حجاز و بطنه غور ، وهو لجهينة . وقال عرام : هو أول جبال تهامة ، على مسيرة يوم من ينبع ، وعلى سبع مراحل من المدينة ، ميامنه طريق مكة ، وسبق آخر الباب الخامس عند ذكر فضل أحد أن رضوى مما وقع بالمدينة من الجبل الذى تَجَلَّى الله تعالى له ، وصار لهيبته ستة أجبل ، وأن أبا غسان قال : أما رضوى فبينبع

---

(١) البيت لعبدة بن الطبيب ، وفى ياقوت لعمرو بن الأهتم .

على مسيرة أربع ليال من المدينة ، وهذا هو المعروف فى المسافة بينهما .

وسبق هناك أيضاً أن رَضْوَى من جبال الجنة ، وفى رواية أنه من الجبال التى بنى منها البيت ، وفى حديث « رَضْوَى رضى الله عنه ، وقُدْس قدسه الله ، وأحد جبل يحبنا » وتزعم الكيسانية أن محمد بن الحنفية مقيم برضوى يرزق .

الرعل

الرِّعْل ـ بالكسر وسكون العين المهملة ، أطم بمنازل بنى عبد الأشهل ، ولما أجلاهم عنها بنو حارثة كما سبق قال حضير بن سماك يوما : ارفعونى أنْظُرْ إلى الرعل ، فقال أساف بن عدى الحارثى :

فلا و بَنَاتِ خالك لا تراه سجيسَ الدهر ما نَطَقَ الْحَمَامُ
فإنَّ الرعْلَ إذ أسْلَمْتُوهُ وساحة واقم منكم حرام

ذات الرقاع

ذات الرقاع ـ بالكسر ، جمع رقعة ، قال الواقدى : هي قرب نخل ، على ثلاثة أميال من المدينة ، وهى بئر جاهلية ، وإنما سميت بذلك لأن تلك الأرض بها بُقَع بيض وحمر وسود ، وقيل : ذات الرقاع جبل فيه سَوَاد و بياض وحمرة ، فكأنها رقاع فى الجبل ، كذا نقله المجد ، والذى نقله الحافظ ابن حجر عن الواقدى أن الغزوة سميت ذات الرقاع باسم نخيل هناك فيه نقع .

وسيأتى فى ترجمة نخل أن غَزْوة ذات الرقاع كانت به ، مع ما نقل عن الواقدى فى ذلك ، وقال ابن هشام وغيره : سميت بذلك لأنهم رقعوا راياتهم ، وقال الداودى : لأن صلاة الخوف كانت بها فسميت بذلك لترقيع الصلاة فيها ، وقال أبو موسى الأشعرى : سميت بذلك لما لفوا فى أرجلهم من الخرق كما فى صحيح مسلم ، وقيل : سميت باسم شجرة هناك يقال لها ذات الرقاع ، وقيل : لأن خيلهم كان بها سواد و بياض

الرقعة

الرقْعة ـ بالفتح ثم السكون ، موضع قرب وادى القرى من الشقة شقة بنى عذرة ، فيه مسجد للنبى صلى الله عليه وسلم كذا قاله المجد ، وهو مخالف لما سبق عن المطرى فى مساجد تبوك من أنه على لفظ رقعة الثوب ، وأن البكرى

قال : أخشى أن يكون بالرقة من الشقة شقة بنى عذرة ، فما ذكره المجد إنما يصح فى الرقة بالميم .

الرقمتان — الرقمتان — بحرة المدينة الغربية ، وهما نهدان من أنهادها لونهما أحمر إلى الصفرة ، وتلك الحرة سوداء ، فسميا بذلك،وقد يقال فيهما الرقمة — بالإفراد — قال الأصمعى : الرقمتان إحداهما قرب المدينة والأخرى بقرب البصرة ، وقال العمرانى : إحداهما بالبصرة والأخرى بنجد ، وأما التى فى شعر زهير :

ودار لها بالرقمتين كأنها مراجع وشم فى نواشر معصم

فبأرض بنى أسد .

رقم — رقم — محرك ، وقد يسكن ، بالمدينة ينسب إليه السهام الرقميات ، وقال نصر : الرقم جبال بدار غطفان ، وماء عندها ، والسهام الرقميات منسوبة إلى هذا الموضع .

وروى أبو نعيم خَبَرَ عامر بن الطفيل وأربد بن صيفى فى همهما بقتل النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، وأن أربد لما وضع يده على السيف يبست على قائمه ، فلم يستطع سَلَّه ، فخرجا حتى إذا كانا بحرة واقم نزلا فخرج إليهما سعد بن معاذ وأسد بن حضير فقال : اشْخَصَا يا عدوى الله ، لعنكما الله ، فخرجا حتى إذا كانا بالرقم أرسل الله على أربد صاعقةً فقتلته ، وخرج عامر حتى إذا كان بالحريث أرسل الله عليه قرحة ، وذكر موته بها .

الرقيبة — الرقيبة — تصغير رقبة ، وقال نصر : إنه بفتح أوله كسفينة ، جبل مطل على خيبر له ذكر فى قصة عُيَينة بن حصنٍ فى فتح خيبر .

الركابية — الركابية — بالكسر منسوبة إلى الركاب وهى الإبل ، موضع على عشرة أميال من المدينة .

ركنان — ركنان — بالتحريك ، قرب وادى القرى .

ركوبة ركوبة — بالفتح كحلوبة بالباء الموحدة ، ثنية بين مكة والمدينة عند العرج ، على ثلاثة أميال منه لجهة المدينة ، كما سيأتى فى المدارج .

قال ابن إسحاق فى سفر الهجرة : ثم خرج بهما دليلهما من العرج فسلك بهما ثنية الغاير عن يمين ركوبة .

وقال المجد : ركوبة ثنية شاقة يضرب بصعوبتها المثل ، سلكها النبى صلى الله عليه وسلم عند مُهَاجَرِه إلى المدينة ، قرب جبل ورقان وقدس الأبيض ، وكان معه ذو البجادين ، فحدا به وجعل يقول :

تَعَرَّضِى مَدَارجا وسُومِى   تَعَرُّضَ الجوزاء للنجوم

* هذا أبو القاسم فاستقيمى *

ومأخذه قول الأصمعى فى تفسير قول بشر بن أبى خازم :

* ولكن كراً فى ركوبة أعسر *

ركوبة عند العرج سلكها النبى صلى الله عليه وسلم ، وكان دليله إليها عبدالله ذو البجادين ، انتهى .

وكل من ركوبة وثنية الغاير بعقبة العرج ، والعقبة هى المدارج كما سيأتى ، وأغرب، الحافظ ابن حجر فقال فى الكلام على نار الحجاز : ركوبة ثنية صعبة المرتقى فى طريق المدينة إلى الشام ، مر بها النبى صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك ، ذكرها البكرى ، انتهى . فإن صح فهى غير هذه ، وسيأتى عن عرام فى ورقان أنه ينقاد إلى الحى بين العرج والرويثة ، ويغلق بينه و بين قدس الأبيض عقبة يقال لها ركوبة .

الرمة الرمة — بالضم ويكسر ، قاع عظيم بنجد ، قاله فى القاموس، وقال الأصمعى: الرمة تخفف وتثقل ، و بين أسفلها وأعلاها سبع ليالٍ من الحرة حرة فدك إلى القصيم ، وقال غيره : بطن الرمة ببلاد غَطفان فى طريق فيد إلى المدينة .

رواوة رُوَاوَة — بالضم كزرارة ، قال ابن السكيت ، رُوَاوة والمبيضى وذو السلاسل

أوْدِية بين الفرع والمدينة ، انتهى ، وسبق عن الهجرى أن سيل العقيق يفضى إلى غدير يقال له رُوَاوة ، قال أبو الحسن : رُوَاوة يدفع فى خليقة ابن أبى أحمد ، وسبق عن ابن شبة أن سيل العقيق يصبُّ فى غدير يلبن ، ثم على رُوَاوتين يعترضهما يَسَارا ، فثناه ، وأورد المجد شاهد الإفراد ، وسبق نحوه فى تيدد وشاهد التثنية ، وسيأتى فى لأى .

الروحاء

الروحاء ـ بالفتح ثم السكون والحاء المهملة ، قال المجد : موضع من عمل الفرع على نحو أربعين ميلا من المدينة ، وفى صحيح مسلم : على ست وثلاثين ميلا ، وفى كتاب ابن شبة : على ثلاثين ميلا ، وقال أبو غسان : إن ورقان بالروحاء من المدينة على أربعة برد ، وقال أبو عبيد البكرى : قبر مضر بن نزار بالروحاء على ليلتين من المدينة بينهما أحد وأربعون ميلا ، وذكر الأسدى فى موضع أنها على خمسة أو ستة وثلاثين ميلا ، وقال فى موضع : اثنين وأربعين ميلا ، قال : وعلى مدخل الروحاء عَلَمان ، وعلى مخرجها علمان ؛ فالجمع بين ذلك أن الروحاء اسم للوادى ، وفى أثنائه منزلة الحجاج ، فيحمل أقل المسافات على إرادة أوله مما يلى المدينة ، وأكثرها على آخره ، ومتوسطها على وسطه .

قال ابن الكلبى : لما رجع تُبَّع من قتال أهل المدينة نزل بالروحاء ، وأقام بها وأراح ، فسماها الروحاء . وسئل كثير : لم سميت الروحاء ؟ قال : لانفتاحها وروحها ، ويقال : بقعة روحاء ، طيبة ذات راحة .

وسبق فى مسجد شرف الروحاء أن من الشَّرَف يهبط فى وادى الروحاء ، وأن النبى صلى الله عليه وسلم قال : هذا وادٍ من أودية الجنة ، يعنى وادى الروحاء ، وأن اسمه سجاسج ، وأن موسى بن عمران عليه السلام مرّ بالروحاء فى سبعين ألفاً ، وأنه صلى بذلك الوادى سبعون نبياً .

وقال ابن إسحاق فى مسيره صلى الله عليه وسلم إلى بدر : ونزل سجسج ، وهى بئر الروحاء ، وقال الأسدى : وبالروحاء آثار لرسول الله صلى الله عليه وسلم ،

وبها قصران وآبار كثيرة منها [بئر] تعرف بمروان عندها بركة للرشيد ، وبئر لعثمان ابن عفان رضى الله تعالى عنه عليها سانية ، وسيل مائها إلى بركتها ، وبئر تعرف بعمر بن عبد العزيز فى وسط السوق يسنى منها فى إحدى البركتين ، وبئر تعرف بالواثق ، وهى شر آبار المنزل طول رشائها ستون ذراعا ، انتهى . وبها اليوم بركة تملأ للحاج تعرف ببركة طار ، ولعله جددها وجعل لها معلوما ووقفا . وقال ابن الرضية :

إذا اغرورقت عيناى قال صحابتى لقد أولعت عيناك بالهملان

ألا فاحملانى بارك الله فيكما إلى حاضر الروحاء ثم دعانى

ويؤخذ مما سلف فى فضائل بقيع الغرقد تسمية المقبرة التى بوسطه وفيها مشهد سيدنا إبراهيم عليه السلام بالروحاء .

روضة الأجاول

روضة الأجاول — بالجيم ، بنواحى وَدَّان ، منازل نصيب الشاعر .

روضة الأجداد

روضة الأجداد — قرية ببلاد غطفان من وادى القصيبة قبلى خيبر وشرقى وادى عصيرة ، قال الهيثم بن عدى : خرج عُرْوَة الصعاليك وأصحابه إلى خيبر يمتارون منها ، فعشروا — أى نهقوا كالحمير — يرون أنه يصرف عنهم الوَبَاء ، وامتنع عُرْوة أن يعشر ، وأنشد :

وقالوا احث وانْهَقْ لا تضرك خيبر وذلك من دين اليهود ولوع

لعمرى لئن عَشرتُ من خشية الردى نهاق حمير إننى لجزوع

فلا وألَتْ تلك النفوس ولا أتت على روضة الأجداد وهى جميع

قال : ودخلوا وامتاروا ورجعوا ، فلما بلغوا روضة الأجداد ماتوا إلا عروة .

روضة ألجام

روضة ألجام — بفتح الألف وسكون اللام والجيم وألف وميم ، ويقال : روضة آجام ، نحو النقيع ، قاله ابن السكيت فى قول كثير :

فروضة ألجام تهيج لى البكا وروضات شوظى عهدهن قديم

وعدها الهجرى من دوافع وادى العقيق المشهورة التى من الحرة .

روضة خاخ — روضة خاخ ـ بخاءين معجمتين ، تقدمت فى خاخ .

روضة الخرج — روضة الْخُرْج ـ بضم الخاء وسكون الراء ثم جيم ، من نواحى المدينة .

روضةالخرجين — روضة الخرجين ـ تثنية الذى قبله ، ولعله هو ، قال :

بروضة الخرجين من مهجور تربعت فى غارب نضـــير

ومهجور : ماء بنواحى المدينة .

روضةالخزرج — روضة الخزرج ـ بلفظ القبيلة من الأنصار ، بنواحى المدينة ، قال حفص الأموى :

فالمح بطرفك هل ترى أظعانهم بالبارقيـــة أو بروض الخزرج

روضة الحماط — روضة الحماط ـ هى روضة ذات الحماط ، وذات الحماط : من أودية العقيق .

روضة ذى الغصن — روضة ذى الغصن ـ بلفظ غصن الشجرة مضافة إلى ذى الغصن أحـد أودية العقيق .

روضة الصها — روضة الصها ـ بضم الصاد المهملة ، شمالى المدينة على ثلاثة أيام ، والصُّهَا : جمع صَهْوة ، وهى أجبال هنالك ، وربما قالوا رياض الصها .

روضة عرينة — روضة عُرَيْنة ـ لجهينة ، واد ناحية الرحضية ، كان يحمى للخيول فى الجاهلية والإسلام ، بأسفلها قلهى ، وهو ماء لبنى جذيمة بن مالك .

روضة العقيق — روضة العقيق ـ عقيق المدينة ، أنشد الزبير :

عُجْ بنا يا أنيس قبل الشروق نلتمسهـا على رياض العقيق

روضة الفلاج — روضة الفِلاج ـ بكسر الفاء آخره جيم ، يأتى فى الفلجة أحد أودية العقيق .

روضة المرخ — روضة مَرَخ ـ بالتحريك والخاء المعجمة ، بالمدينة ، قال ابن المولى المدنى :

هل تذكرين بجنب الروض من مَرَخ يا أمْلَحَ النـاس وَعْداً شفنى كمـدا

روضة نسر — روض نسر ـ بفتح النون وسكون السين المهملة آخره راء ، يأتى فى النون .

ذو رولان — ذو رولان ـ واد قرب الرحضية لبنى سليم به قلهى .

الرويثة — الرويثة ـ بالضم وفتح الواو وسكون المثناة تحت وفتح المثلثة آخره هاء ، قال ابن السكيت : منهل بين مكة والمدينة ، ولما رجع تبع من قتال أهل المدينة

نزل الرويثة ، وقد أبطأ فى مسيره ، فسماها الرويثة من رَاثَ إذا أبطأ ، وهى على ليلة من المدينة ، كذا قال المجد ، وصوابه ليلتين ؛ لأنها بعد وادى الروحاء ببضعة عشر ميلا ، ولذا قال الأسدى : إنها على ستين ميلا من المدينة .

رهاط

رُهَاط — كغراب والطاء مهملة ، موضع بأرض ينبع ، اتخذ به هُذَيل سُوَاعا ، قاله ابن الكلبى ، وعن راشد بن عبد ربه قال : كان سُوَاع بالمعلاة من رهاط يدين لها هذيل و بنو ظفر من سليم ، وذكر ما سمعه من الهاتف من بطن سُوَاع وغيره من الأصنام بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، وأنه رأى ثعلبين[1] يَلْحَسَان ما حول سُوَاع و يأكلان ما يهدى إليه ، ثم يبولان عليه ، فأنشد :

أربٌّ يبول الثُّعْلُبَان برأسه   لقد ذل من بالت عليه الثعالب

وذكر خروجه إلى النبى صلى الله عليه وسلم ليقطعه قطيعة برهاط ، فأقطعه بالمعلاة من رهاط شأو الفرس ورميته ثلاث مرات بحجر ، وأعطاه إداوة مملوءة من ماء وتَفَل فيها ، وقال له : فرغها فى أنحاء القطيعة ، ولا تمنع الناس فُضُولها ، ففعل ، فجعل الماء يغبُّ جمه فغرس عليها النخل وصارت رهاط كلها تشرب منه ، وسماها الناس ماء الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأهل رهاط يغتسلون منها و يستشفون بها .

وقال عرام : فيما يطيف بجبل شمنصير قرية يقال لها رهاط بقرب مكة على طريق المدينة ، و بقربها الحديبية ، وهى مواضع بنى سعد و بنى مسروح الذين نشأ فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال صاحب المسالك والممالك فيما نقله الأقشهرى : ومن توابع المدينة ومخاليفها ساية ورهاط وعران .

الريان

الرَّيَّان — ضد العطشان ، أطم لبنى حارثة ، وأطم لبنى زريق ، وماء بحمى ضرية فى أصل جبل أحمر طويل ، قال جرير :

(١) صوابه «ثعلبا» لأن الذى فى البيت مفرد بضم الثاء واللام ، وهو ذكر الثعالب

يا حبذا جبلُ الريان من جَبَلٍ   وحبذا ساكنُ الريان من كانا

والريان أيضا : وادٍ هناك ، وجبل ببلاد بنى عامر ، وموضع بمعدن بنى سليم به قصر كان الرشيد ينزله إذا حج .

ريدان

ريدان — بالفتح وسكون المثناة تحت ودال مهملة ، أُطم بالمدينة لآل حارثة ابن سهل بن الأوس ، نقله ياقوت ، ثم قال : ولا أعرف بطنا من الأنصار يقال لهم ذلك .

قلت : الذى ذكره ابن زبالة أن بنى واقف بن امرئ القيس بن مالك بن الأوس ابتنوا أطما يقال له الريدان كان موضعه فى قبلة مسجد الفضيخ ، وله يقول قيس بن رفاعة :

وكيف أرْجُو مَزِيدَ العيشِ بعدهُمُ   وبعد ما قد مَضَى من أهل ريدان

ريم

ريم — بالكسر وسكون الياء غير مهموز ، قاله عياض ، وضعفه المجد ، وقال : إنه بهمزة ساكنة وادٍ لمزينة يصب فيه ورقان ، وسبق أنه من أودية العقيق يلقاه ثم يدفع فى خليقة ابن أبى أحمد ، وفى الموطأ عن ابن عمر أنه ركب إلى ريم فقَصَرَ الصلاة فى سيره ذلك ، قال يحيى : قال مالك : وذلك نحو أربعة بُرُد ، قال عياض : وفى مصنف عبد الرزاق ثلاثين ميلا ، ونقل المجد ما يخالف ما سبق عن مالك ومصنف عبد الرزاق ، وفى طبقات ابن سعد : كان عبد الله بن بحينة رضى الله تعالى عنه ينزل بطن ريم على ثلاثين ميلا من المدينة ؛ فلا يخفى وجه الجمع ، وفى سفر الهجرة : وسار حتى هبط بطن ريم ، ثم قدم قباء . وقال حسان بن ثابت رضى الله تعالى عنه :

لسنا بريم ولا حمت ولاصَوَرَى   لكن بمرج من الجولان مغروس

والجولان : قرية بدمشق .

ريمة

ريمة — كديمة ، واد لبنى شيبة قرب المدينة بأعلى نخل .

ذوريش

ذوريش — بلفظ ريش الطائر ، تقدم فى أودية المدينة .

حرف الزاى

زبالة زبالة الزج ـ شمالى المدينة ، بينها و بين يثرب ، كان لأهلها أُطمان ، وهما اللذان عند كومة أبى الحمراء كما سبق ، وزبالة أيضاً : موضع بطريق العراق ، ليس من عمل المدينة .

الزج الزج ـ بالضم وتشديد الجيم ، قاله المجد ، وقال ابن سيد الناس : بالخاء المعجمة ، موضع بناحية ضرية ، بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الأصيد بن سلمة بن قرط مع الضحاك الكلابى إلى القرطاء ، وهم قرط وقَرِيط وقُرَيْط من أبى بكر ابن كلاب ، يدعوهم إلى الإسلام ، فقاتلوهم فهزموهم ، فلحق الأصيد أباه سلمة بزج بناحية ضرية ، والزج أيضاً : ما أقطعه رسول الله صلى الله عليه وسلم العَدَّاء ابن خالد من بنى ربيعة بن عامر .

الزراب الزراب ـ ككتاب ، ويقال : ذات الزراب ، تقدم فى مساجد تبوك .

زرود زرود ـ بالفتح ثم الضم آخره دال مهملة ، موضع بقرب أبرق العزاف كما يؤخذ مما سيأتى عن الصحاح فى العزاف ، وسبق فى ترجمة خيبر ما يؤخذ منه أنه اسم لأول مَنْ سكن به من أولاد إخوة عاد .

زريق زريق ـ مصغر ، ويقال : قرية بنى زريق ، ومسجد بنى زريق ، تَقَدَّما .

زغابة زغابة ـ كسحابة والغين معجمة ، مجتمع السيول آخر العقيق غربى قبر حمزة رضى الله تعالى عنه ، وهى أعلى إضم كما سبق عن المجرى وغيره ، وأن ابن إسحاق قال : نزلت قريش بمجتمع الأسيال من رومة بين الجرف وزغابة ، قال أبو عبيد البكرى فى ضبطه : زعابة بالضم وإهمال العين ، وقال محمد بن جرير : الرواية الجيدة بين الجرف والغابة ؛ لأن زعابة لا تعرف ، قال ياقوت : ليس كذلك ، فإن فى الحديث أنه صلى الله عليه وسلم قال « ألا تعجبون لهذا الأعرابى؟أهدى إلى

ناقتى أعرفها بعينى ، ذهبت منى يوم زعابة ، وقد كافأته بست — أى بست بكرات — فسخط » وجاء ذكر زعابة فى حديث آخر ، فكيف لا يكون يعرف؟ .

زمزم زمزم — اسم للبئر التى على يمين الذاهب للعقيق ، بعيدة من الجادة كما سبق فى الآبار ، سميت بذلك لكثرة التبرك بمائها ونقله إلى الآفاق .

زور زور — بالفتح آخره راء ، جبل بالحجاز ، أو وادٍ قرب السوارقية ، شاهده فى منور .

الزوراء الزوراء — بالفتح ثم السكون ، تقدم فى البلاط وسوق المدينة ، وقال ابن شبة فى دور العباس : منها الدار التى بالزوراء سوق المدينة عند أحجار الزيت ، وسبق أن أحجار الزيت عند مشهد مالك بن سنان ، لما فى رواية ابن زبالة أنهم دفنوه بالسوق فدفن عند مسجد أصحاب العباء ، وهناك كانت أحجار الزيت ، فالزوراء ذلك المحل من سوق المدينة ، وقيل : الزوراء اسم لسوق المدينة !

وفى صحيح مسلم عن أنس « أن نبى الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه كانوا بالزوراء ، والزوراء بالمدينة عند السوق » .

وفى البخارى « أن عثمان رضى الله تعالى عنه زاد النداء الثالث على الزوراء » قال البخارى : الزوراء موضع بالسوق ، وفى رواية له « النداء الثانى » .

وقوله « الثالث » لجعله الإقامة نداء ، ولفظ ابن ماجة « على دار فى السوق يقال لها الزوراء » ويؤخذ من وصف دار السوق التى أخذها ابن هشام أن لعثمان بالسوق دارا تسمى الزوراء ، ولذا قال ابن شبة : واتخذ عثمان الدار التى يقال لها الزوراء ، اهـ . فهى التى أحدث النداء عليها ، وكأنها سميت باسم موضعها من السوق ، قال الحافظ ابن حجر : جزم ابن بطال بأن الزوراء حجر عند باب المسجد ، وفيه نظر ؛ لما فى رواية ابن إسحاق عن الزهرى عند ابن خزيمة وابن ماجه « زاد النداء الثالث على دار فى السوق يقال لها الزوراء » وقال ابن حجر أيضا فى حديث

أنس فى تكثير الماء :قوله « بالزوراء» هو مكان معروف بالمدينة عند السوق،وزعم الداوودى أنه كان مرتفعا كالمنارة ، وكأنه أخذه من أمر عثمان بالتأذين عليه ، وذلك كان بالزوراء أى الذى يؤذن عليه ، لا أنه الزوراء نفسها ، اه . وفى المُتَبِيَّة ما يُشْعِر بأنه كان بالزوراء من سوق المدينة منارة ، ولعلها من الدار التى كان يؤذن عليها ؛ لأنه ترجم لتواضع العلماء وجلوسهم فى الأسواق ، وعند أصحاب العَبَاء أى الذين يبيعون العباء ، ثم أورد عن مالك عن يحيى بن سعيد قال : ما أحدث أحاديث كثيرة عن سعيد بن المسيب إلا من عند أصحاب العَبَاء فى السوق ، وما أحدث عن سالم بن عبد الله أحاديث إلا فى ظل المنارة التى فى السوق ، كان يقعد فى ظلها وسعيد عند أصحاب العباء ، اه .

ويؤخذ مما تقدم فى فضل بقيع الغرقد أن الزوراء أيضا : اسمٌ للموضع الذى دفن به سيدنا إبراهيم عليه السلام .

وقال البرهان بن فرحون : قال ابن حبيب : كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا رقى المنبر جلس ثم أذن المؤذنون ، وكانوا ثلاثة يؤذنون على المنائر واحدا بعد واحد ، فإذا فرغ الثالثُ قام فخطب ، ثم استمر ذلك ، فلما كان عثمان وكثر الناس أمر أن يؤذن بالزوراء عند الزوال وهو موضع بالسوق ، ليرتبع الناس منه ، وهو إلى ناحية البقيع ، فإذا جلس على المنبر أذن المؤذنون على المنار ، ثم نقل هشام بن عبد الملك الأذان الذى كان بالزوراء إلى المسجد فجعله واحدا يؤذن عند الزوال على المنار ، فإذا خرج هشام أذن المؤذنون كلهم بين يديه ، اه .

وقوله « فى ناحية البقيع » محمول على بقيع الخيل سوق المدينة ، لا بقيع الغرقد ؛ لأن سوق المدينة لم يكن فى ناحيته .

زهرة

زهرة - بالضم ثم السكون ، قال ابن زبالة : هى ثبرة - أى بمثلثة ثم موحدة - وهى الأرض السهلة بين الحرة والسافلة مما يلى القف ، وكان من أعظم

قُرَى المدينة ، وكان فى قريتها ثلثمائة صائغ ، وكانت لهم الأُطُمَان اللذان على طريق العرض حين يهبط من الحرة ، والمراد الحرة الشرقيـة ، فإنها تعرف بحرة زهرة كما سبق ، ومقتضاه أن زهرة مما يلى طرف العالية ، وما نَزَل عنها فهو السافلة ، وأدنى العالية ميل من المسجد كما سيأتى ،ويرجحه قوله « مما يلى القف» لما سيأتى فيه أنه بقرب صدقات النبى صلى الله عليه وسـلم ، وأن المشربة به ، وسبق فى الصدقات أن الظاهر أن حَسْنى وهى بالقف هى الحسنيات بقرب الدلال والصافية فتكون زهرة بقرب ذلك ، ويؤيده ما سبق فى الصدقات عن المراغى أنه يقال لجزع الصافية «جزع زهيرة» مصغر زهرة المذكورة ، ويؤيده أيضا ما سبق أول الباب الثانى أنه بقى من صعل وفالج امرأة تعرف بزهرة ، وكانت تسكن بها ، وأنه لما غشيها الدود قالت : رب جَسَدٍ مَصُون ، ومالٍ مدفون ، بين زهرة ورانون .

وفى كتاب الحرة للواقدى : أقبل نَفَر من أهل الشام على خيولهم يُطِيفون فيما بين زهرة إلى البقيع ، فيصادفون نفرا من الأنصار على أقدامهم .

الزين الزين ــ بلفظ ضد الشين ، مزرعة بالجرف . روى ابن زبالة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ازدَرَعَ المزرعة التى يقال لها الزين بالجرف .

حرف السين

سائر سائر ــ كصابر ، من نواحى المدينة ، قال :

عفا مثعر من أهـــله فثقيب   فسفح اللوى من سائر فجريب

وعد صاحب « المسالك والممالك » من توابع المدينة ومخاليفها السائر .

السافلة السافلة ــ تقابل العالية ، وأدنى العالية كما سيأتى فيها السنح على ميل من المسجد ، فما نزل عنه فهو السافلة ، ويحتمل أن يكون بينهما واسطة ، وربما أومأ إليه ما سبق فى زهرة أنها بين الحرة والسافلة ، والناس اليوم يطلقونها على ما كان فى شامى المدينة ، والعالية على ما كان فى قبلتها ، ويؤيد الأول مارواهابن إسحاق

من أن النبى صلى الله عليه وسلم لما انتصر ببدر أرسل ابنَ رَوَاحَة بشيرا إلى أهل العالية وزيد بن حارثة لأهل السافلة ، قال أسامة بن زيد : فأتانا الخبرُ حين سوّينا الترابَ على رُقَية ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن زيد بن حارثة قدم ، فجئته وهو واقف بالمُصَلّى قد غشيه الناس ، فظاهره الانقسام إلى السافلة والعالية فقط ، وأن المعروف بالمدينة اليوم من السافلة لإتيان بشير السافلة إلى المصلى .

الساهية — تقدمت فى أودية العقيق .

الساهية

ساية — كغاية ، قال المجد : وادٍ من أعمال المدينة لم يزل واليه من قبل صاحبها ، إلا فى زماننا ، وانفرد عن حكمها كسائر أعراض المدينة ، وفى ساية نخل ومزارع وموز ورمان وعنب ، وأصلها لولد على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهم وفيها من أفناء الناس ، ويطلع عليها جبل السَّرَاة دون عسفان ، قاله عرام ، وقال ابن جنى : شمنصير جبل ساية وادٍ عظيم به أكثر من سبعين عينا ، وهو وادى أَلج .

ساية

سبر — بالفتح وتشديد الموحدة المكسورة ، كثيبٌ بين بدر والمدينة ، قَسَم به رسول الله صلى الله عليه وسلم غنائم بدر ، نَقَله المجد عن نصر ، وذكر فى سير بالمثناة التحتية ما سيأتى من أن القَسم به فيرجع إلى الاختلاف فى ضبط اللفظ ، والراجح ما سيأتى .

سبر

السِّتَار — بالكسر والمثناة فوق ثم ألف وراء ، جبل بحمى ضرية ، وجبل آخر بالعالية فى ديار سليم ، وأجبل سود على ثلاثة أيام من ينبع .

الستار

سجاسج — اسم وادى الرَّوْحاء ، قال ابن شبة : والسجسج الهواء الذى لا حَرّ فيه ولا برد .

سجاسج

السد — بالضم ، سد عبد الله بن عمرو بن عثمان يأتى منه رانوناء فيها ، وهناك سد بقرب عير يعرف اليوم بسد عنتر ، وقال عرام : السد هو ماء سماء جبلُ شوران مُطِل عليه ، أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بسده ، ومن السد قناة إلى قباء اهـ

السد

وكأنه يريد السد المتقدم ، لما اقتضاه كلامه فى شوران أنه جبل عير كما سيأتى ، وقال بعضهم : السد موضع بالمدينة كان يجلس فيه إسماعيل بن عبد الرحمن السدى ، فنسب إليه .

وقال الحارثى : السد ماء سماء فى حزم بنى عوال ، ولعله يعنى السد الذى فى الطريق التى كان الرشيد يسلكها من المدينة إلى معدن بنى سُلَيم بين المدينة والرحضية على عشرين ميلا من المدينة ، قاله الأسدى ، قال : وبه ماء كثير فى شعب كان معاوية رضى الله تعالى عنه عمل له سدا يحبس فيه الماء شبيها بالبركة ، انتهى .

وأخبرنى بعض أمراء المدينة أنه معروف دون هكر .

وفى البخارى فى حديث رجوعه صلى الله عليه وسلم من خيبر بصفية : فخرج بها حتى بلغنا سد الروحاء حلت ، وكنت أستشكله ، لأن صفية حَلّت بالصهباء ، وليست الروحاء بطريق خيبر ، ولهذا قال الكرمانى : قيل الصواب سد الصهباء وقد ثبت فى رواية أخرى للبخارى : فخرج بها حتى بلغنا سد الصهباء ، وصوبها الحافظ ابن حجر ، وهى رواية أبى داود وغيره ، وبين ابن سعد فى خيبر رواية أن الموضع الذى وقع البناء بصفية فيه على ستة أميال من خيبر .

وقال عياض : سد الروحاء جبلها ، يقال بالضم والفتح ، وسد الصهباء مثله ، والسد : الردم أيضاً ، وقال : السد بالضم خِلْقة ، وبالفتح فعل الإنسان ، وقال الكسائى : هما واحد ، انتهى . ويؤخذ من كلام ياقوت أن الموضع المعروف بالحبس فى زماننا بأعلى وادى قناة يسمى بالسد أيضاً .

السراة

السراة — بالفتح وتخفيف الراء ، تقدم فى الحجاز .

ذو السرح

ذو السَّرْح — بفتح السين وسكون الراء ثم حاء مهملة ، وادٍ قرب مَلَل .

السر

السِّر — بالكسر ضد الجهر ، موضع بنجد لبنى أسد ، وموضع فى بلاد بنى تميم ، والسُّرُّ — بالضم — موضع بالحجاز فى ديار مُزَينة .

السَّرَّارة — بالفتح وتشديد الراء الأولى ، تقدمت فى منازل بنى بَيَاضة ، وفى رانوناء من أودية المدينة ، وهى غير الحديقة المعروفة اليوم بالسرارة عند قباء . السرارة

سَرْغ — بالفتح و إعجام الغين ، قرية بوادى تَبُوكَ على ثلاث عشرة مرحلة من المدينة ، وهى آخر أعمال المدينة ، قاله المجد . سرغ

السَّرِير — كز بير ، وادٍ قرب المدينة ، قال كثير : السرير

* وسُرَيْرُ البُضَيع ذاتَ الشمال *

وسرير أيضاً : موضع بقرب الجار ، وهى فُرْضَة أهـل السفن الواردة من الحبشة على المدينة ، قاله المجد ، والظاهر أنهما واحد ، لإضافة الأول فى شعر كثير إلى البضيع ، ثم ظفرت بالإشارة إلى ذلك فى كلام ياقوت ، فإنه ذكر ما قاله المجد ، ثم قال : ولا يبعد أن يكون الثانى هو الأول ، والسرير أيضاً : الوادى الأدنى بخيبر ، و به الشق والنطَاة ، نزل به النبى صلى الله عليه وسلم أولا فشدَّ أهله لقتاله فهزمهم الله .

السَّعْد — بالفتح وسكون العين ثم دالٍ مهملتين ، موضع كان بقر به غزوة ذات الرقاع ، وقال نصر : هو جبل على ثلاثين ميلا من الـكديد ، عنده منازل وسوق وماء عذب بطريق فَيْد ، و به يعلم خطأ من قال : إنه على ثلاثة أميال من المدينة . السعد

سفا — بالفاء كقفا ، موضع من نواحى المدينة . سفا

سفان — تثنية الذى قبله [؟] ، وادٍ يلقى وادى إضم عند البحر كما سبق . سفان

سفوان — بفتحات ، وادٍ من ناحية بدر ، إليـه انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بدر الأولى طالبا لـكرز الفهرى الذى أغار على سَرْح المدينة ، وقال وداك بن نميل المازنى : سفوان

رُوَيْدَ بنى شَيْبَان بعض وعيدكم ... تُلاَقُوا غَدًا خَيْلِى على سَفَوَان
تلاَقوا جياداً لا تَحِيدُ عن الوَغى ... إذا ما بَدَتْ فى المَأزِقِ المتدَانِى

عليها الـكُماة الغُرُّ من آل مازنٍ أولات طِعَانٍ عند كل طعان

سقاية سليمان

سقاية سليمان بن عبد الملك ـ بالجرف على محجة مَنْ خرج إلى الشام ، يعسكر بها الخارج من المدينة إلى الشام ، وكذا من خرج إلى مصر قديماً .

السقيا

السقيا — بالضم ثم السكون ، سقيا سعد بالحرة الغربية كما سبق في الآبار ، وقرية جامعة من عمل الفرع بطريق الحاج القديمة ، قال السهيلي : سميت السقيا بآبار كثيرة فيها و برك. وسئل كثير:لم سُمِّيت بذلك؟فقال لأنهم سُقوا بها ماء عذباً، وقال ابن الفقيه : لما رجع تبع من المدينة نزل السقيا وقد عطش ، فأصابه بها مطر، فسماها السقيا ، وقال الخوارزمي : السقيا قرية عظيمة قريبة من البحر ، على مسيرة يوم وليلة ، وقال المجد : هي على يومين من المدينة ، ومأخذه قول أبي داود عقب حديث الاستعذاب من السقيا ، قال قتيبة : هي عين بينها و بين المدينة يومان ، وتقدم أن حديث الاستعذاب إنما هو في سقيا سعد بالمدينة ، ومع ذلك فهو مخالف لقول المجد في القاحة : إنها قبل السقيا بميل ، على ثلاث مراحل من المدينة ، بل قال : إن الأبواء على نحو خمسة أيام من المدينة ، وسبق أنها بعد السقيا بأحد عشر ميلا ، فالسقيا على نحو أربعة أيام من المدينة ، وبه صرح الأسدي ، فإنه ذكر ما حاصله أن بينهما مائة ميل إلا أربعة أميال ، والسقيا اليوم معروفة على نحو هذه المسافة ، ويوافقه قول المجد : الفرع عن يسار السقيا على ثمانية بُرُدٍ من المدينة ، وقول عياض : بين السقيا و بين الفرع مما يلي الجحفة سبعة عشر ميلا ، والسقيا أيضاً :موضع بوادي الجزل ببلاد عذرة قرب وادي القرى ، وذكر الأسدي أنها على نحو سبع مراحل من المدينة ، وعلى نحو مرحلتين من ذي المروة ، وأنه كان يلتقي بها مَنْ يريد المدينة الشريفة على غير طريق الساحل مع من يصل من الشام .

سقيفة بني ساعدة

سقيفة بنى ساعدة ـ تقدمت بمنازلهم ومساجدهم ، وقال الأزهرى : السقيفة كل بناء سقف به صفة أو شبه صفة مما يكون بارزاً ، وقال المجد : سقيفة بنى ساعدة ظُلّة كانوا يجلسون تحتها عند بئر بضاعة ، ولعله يريد قربها من جهة بئر بضاعة ، لما سبق من أنها بمنزل رَهْط سعْد ، وهو القائل يوم بيعة أبى بكر بها : منا أمِيرٌ ومنكم أمير ، ولم يبايع أبا بكر ولا غيره ، وقتلته الجن بحوران فيما يقال .

سكاب

سكابِ ـ كقطَام ، جبل من جبال القبلية .

سلاح

سلاح — كقطام ، موضع أسفل خيبر ، عنده لقى بشير بن سعد الأنصارى جَمْعَ غَطَفَان فى سريته إلى يمن وجبار ، كذا قال المجد ، وضبطه ابن سيد الناس بكسر أوله، وسلاح أيضاً : ماء لبنى كلاب ملح لا يشرب أحد منه إلا سلح .

السلاسل

السلاسل — بلفظ جمع السلسلة ، ماء بأرض جُذَام ، على عشرة أيام من المدينة ، خلف وادى القرى ، به سميت الغزوة ، قال ابن إسحاق : الماء سلْسَل ، و به سميت ذات السلاسل .

السلالم

السلالم ـ بضم أوله ، كان آخر حصون خيبر فتحا .

ذو السلائل

ذو السلائل ـ واد بين الفرع والمدينة .

سلع

سلع — بالفتح ثم السكون آخره عين مهملة ، جبل معروف بالمدينة .

وفى صحيح البخارى أن جارية لكعب بن مالك كانت ترعى غنما لهم بالجبيل الذى بالسوق ، وهو سلع ، وسبق فى مساجد الفتح أن به كهف بنى حَرَام، دخله النبى صلى الله عليه وسلم و بات به مع ما يقتضى أنه يسمى بجبل بواب أيضاً .

قال الأصمعى: غنت حبابة جارية يزيد بن عبد الملك ، وكانت من أحسن الناس وجهاً ومسموعاً ، وكان شديد الكلف بها ، ونشأت بسلع :

لَعَمْرُكَ إننى لأُحِبُّ سلعاً　　لرؤيته ومن أكناف سلع

تقــــر بقر به عينى ، وإنى　　لأخشى أن يكون يريد فجعى

فتنفست الصعداء ، فقال لها : لم تنفسين ؟ والله لو أردتِهِ لنقلته إليك حجراً حجراً ، فقالت : وما أصنع به ؟ إنما أردت ساكنيه .

ذو سلم　　ذو سلم ـ بالتحريك، موضع من بطن مدلجة تعهن ، له ذكر فى سفر الهجرة، وذو سلم النظيم : تقدم فى أودية مسيل العقيق ، وله شاهد فى لأى .

سليع　　سليع ـ تصغير سلع ، جبل بالمدينة عليه بيوت أسلم بن أفصى ، نقله ياقوت ، ويؤخذ مما سبق فى منازلهم أنه الجبيل الذى يقابل سلعاً ، عليه حصن أمير المدينة اليوم ، والذى ابتناه عليه الأمير ابن شيخة أيام إمرته ، وابتداؤها قبل السبعين وستمائة ، ابتناه ليتحصن به ، ويكشف منه نواحى المدينة ، وكان حصن الأمراء قبله الحصن العتيق المجاور لباب السلام ، وهو اليوم المدرسة الأشرفية كما يؤخذ من كلام البدر ابن فرحون .

السليل　　السليل ـ كأمير ، اسمُ عرصة العقيق كما سبق .

السليلة　　السليلة ـ موضع من الربذة .

السليم　　السليم ـ مصغر سلم، وذات السليم : من أودية العقيق كما سبق .

سمران　　سمران — جبل بخيبر ، والعامة تقول له مسمران ، وضبطه بعضهم بالشين المعجمة .

روى ابن زبالة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « صلّى على رأس جبل بخيبر يقال له سمران » .

ذو سمر　　ذو سمر ـ من أودية العقيق .

سميحة　　سميحة ـ مصغر سمحة بالحاء المهملة، بئر بالمدينة معروفة ، قال نصر : هى بئر قديمة غزيرة الماء بالمدينة ، قال كثير :

كأنى أكف وقد أمعنت ... بها من سميحة غَرْبا سجيلا

وقال يعقوب : سميحة بئر بالمدينة عليها نخل لعبيد الله بن موسى ، قال كثير:

كأن دموع العين لما تخللت ... مَخَارِمَ بيضاً من تَمَنّى جِمَالُهَا

قبلن غروباً من سميحة أنزعت ... بهنّ السَّوَانى واستدار محالها

القابل : الذى يتلقى الدلو حين يخرج من البئر ويصبها فى الحوض ، وقد غرس بعضُ أهل المدينة اليوم على سميحة هذه حديقة .

سنام

سنام ــ مصبّ قرب الربذة .

السنح

السنح ــ بالضم ثم السكون كما قاله المجد ، أطم جُشَم وزيد ابنى الحارث، سميت الناحية به ، وسبق أنه على ميل من المسجد النبوى ، وكان بالسُّنْح منزلُ أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه بزوجته الأنصارية ، وبلغه وفاة النبى صلى الله عليه وسلم وهو به .

وقال ابن عساكر فى تحفته : السنح ـ بضم السين والنون ، وقيل بسكونها ـ موضع بعَوَالى المدينة فيه منازل بنى الحارث ، وذكر شيخنا أبو عبد الله ــ يعنى ابن النجار ــ أن السنح هو الموضع الذى فيه مساجد الفتح .

قلت : وهو وهم على ابن النجار ، لما سيأتى فى السيح بالمثناة التحتية وكسر السين ، وكأن المراغى اغتر بذلك فقال ما سيأتى عنه فيه من أنه سمى باسم أطم جُشَم وزيد .

سنحة

سَنْحة ــ بالفتح ثم السكون وحاء مهملة ، موضع بالمدينة .

سن

سن ــ بالكسر ، جبل حذاء شوران أو ميطان كما يؤخذ مما سبق فى الخلاء .

سواج

سواج ــ بالضم آخره جيم ، من جبال ضَرِية تأويه الجن ، ويقال له سواج طخفة .

سوارق — سوارق — وادٍ قرب السوارقية ، يستعذبون منه الماء .

السوارقية — السوارقية — بفتح أوله وضمه و بعد الراء قاف ، وياء النسبة ، و يقال السويرقية مصغرة ، قرية أبي بكر الصديق رضى الله تعالى عنه ، وكانت لبنى سليم ، وقال عرام : هى قرية غناء كبيرة ، فيها مسجد ومنبر وسوق . يأتيها التجار من الأقطار ولكل بنى سليم فيها شيء ، ولهم مزارع ونخيل كثيرة وموز وعنب وتين ورمان وسفرجل وخوخ ، ولهم إبل وخيل وشاء وقرى حواليهم و يميرون طريق الحجاز ونجد فى طريق الحاج .

سوق أهوى — سوق أهْوَى — كأحوى ، بالربَذَة .

سوق بنى قينقاع — سوق بنى قينقاع — بقافين بينهما مثناة تحتية ثم نون وآخره عين مهملة ، كان سوقاً عظيما فى الجاهلية عند جسر بطحان ، يقوم فى السنة مراراً ، و يتفاخر الناس به ، و يتناشدون الأشعار .

وذكر ابن شبة خبرا فى اجتماع حسان بن ثابت رضى الله تعالى عنه بنابغة بنى ذبيان بهذه السوق ، وأن النابغة لما قدمها نزل عن راحلته وجثا على ركبتيه واعتمد على يديه ، وأنشد :

عرفت منازلا بعد الثنايا ... بأعلى الجزع بالخيف المتن [1]

قال حسان : فقلت فى نفسي : هَلَكَ الشيخ ، ركب قافية صعبة ، قال : فوالله ما زال حتى أتى على آخرها ، ثم نادى : ألا رَجُل ينشد ، فتقدم قيس بن الخطيم بين يديه فأنشد :

أتعرف رسما كالطراز المُذَهَّب ... لعمرة وَحْشاً غير موقف راكب

حتى أتى على آخرها ، فقال له النابغة : أنت أشعر الناس يا ابن أخى ، قال حسان : فدخلنى بعض الفرق ، و إنى لأجد على ذلك فى نفسى قوة ، فجلست بين يديه ، فقال : أنشد فوالله إنك لشاعر قبل أن تتكلم ، فأنشدته :

---

(١) هكذا وقع فى أصول هذا الكتاب محرفا كأكثر ماورد فى هذا الباب من الشعر والأعلام ، وصوابه :

عرفت منازلا بعريتنات ... فأعلى الجزع للحى المبن

* أسألتَ رَبْع الدار أم لم تسأل *

فقال : حسبك يا ابن أخى .

وفى القاموس : حُبَاشة ـ أى بالحاء المهملة ثم الموحدة وشين معجمة بعد الألف ، كثمامة ـ سوق وكانت لبنى قينقاع .

السويداء

السو يداء ـ تصغير سوداء ، موضع بعد ذى خشب على ليلتين من المدينة .

سويد

سو يد ـ أطم أسود بمنازل بنى بَيَاضة شامى الحماضة .

سويقة

سو يقة ـ تصغير ساق ، هضبة حمراء طو يلة على ثلاثين ميلا أو أكثر من ضر ية ، وسو يقة أيضا : عين عذ بة كثيرة المـاء بأسفل حزرة على ميل من السيالة ناحية عن الطر يق يمين المتوجه إلى مكة ، لولد عبد الله بن حسن .

قال المجد : هى موضع قرب المدينة يسكنه آل على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه ، وكان محمد بن صالح بن عبد الله بن موسى الحسنى خرج على المتوكل ، فأنفذ إليه أبا الساج فى جيش ضخم ، فظفر به و بجماعة من أهله فأخذهم وقيدهم وقتل بعضهم ، وأخرب سو يقة ، وعَقَر بها نخلا كثيراً ، وخرب منازلهم ، وما أفلحت سو يقة بعد ذلك ، وكانت من جملة صدقات على بن أبى طالب ، ثم قال : وسو يقة أيضا قرب السيالة ، انتهى .

قلت : هى التى قبلها ، وتبع المجد فى المغايرة بينهما كلام ياقوت ، وسو يقة أيضا : جبيل بين ينبع والمدينة ، نقله ياقوت عن ابن السكيت ، وتعرف اليوم بالسو يق منازل بنى إبراهيم أخى النفس الزكية ، قال ياقوت : وجوّ سو يقة : موضع آخر ذكرته الشعراء ، وقال فى حرف الجيم : الجو عند العرب كل مكان اتسع بين الأودية ، وجو سو يقة : من نواحى المدينة لآل على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه .

قلت : فهو الذى بقرب السيالة لما سبق

السى — السِّيّ ـ بالكسر ، على خمس ليال من المدينة ناحية ركية من وراء المعدن كان إليها سرية شجاع بن وهب الأسدى لجمع من هوازن .

السيالة — السيالة ـ مخففة كسَحَابة ، سبقت فى مسجد شرف الروحاء . قال ابن السكيت : مرّ تُبّع بالسيالة بعد رجوعه من المدينة ، وبها واد يسيل ، فسماها السيالة ، وآخر السيالة شرف الروحاء ، وهى على ثلاثين ميلا من المدينة .

السيح — السيح ـ بالكسر[1] وسكون المثناة التحتية ، مصدر ساح يسيح سيحا ، اسم للموضع الذى فى غربى مساجد الفتح .

قال ابن النجار : وفى الخندق قناة تأتى إلى النخل الذى بأسفل المدينة بالسيح حوالى مسجد الفتح ، انتهى .

وذكره المطرى ، وزاد ضبطه كما سبق ، وكذا الزين المراغى ، وزاد ابن زبالة نقل أن تلك الناحية إنما سميت بذلك لأن جُشما وأخاه زيدا سكنا فيه ، وأُبتنيا أطما يقال له السيح ، فسميت به الناحية . انتهى .

وهذا ما نقله ابن زبالة فى السنح بالنون كما سبق ، ولهذا أورده المجد وغيره فيه ، والقناة التى ذكرهاابن النجار هى قناة العين التى تقدم أنها هناك فى تتمة الفصل الأول من الباب السادس .

سير — سير ـ بفتح أوله والمثناة التحية كجَبل، كثيب بين المدينةو بدر،يقال: إن قسمة غنائم بدر كانت به ، قاله المجد ، قال : وقال أبو بكر بن موسى : وقد يخالف فى لفظه .

قلت : كأنه يشير إلى ما سبق فى سبر بالموحدة من أن القسم وقع به ، على أن أبا بكر هو الحازمى ، وفى تهذيب النووى بعد ذكر القسم بشعب من شعاب الصفراء أن الحازمى قال : وأما شير بفتح الشين المعجمة بعدها ياء مثناة من تحت مشددة مكسورة ـ فكثيب بين المدينة و بدر ، يقال : هناك قَسَم النبىُّ صلى الله عليه وسلم غنائمَ بدر ، قال : وقد يخالف فى لفظه ، انتهى .

(١) ضبطه ياقوت بفتح السين ، ومصدر ساح يسيح بفتح السين .

وما ذكره المجد من الضبط أقرب إلى الصواب ؛ لأنى رأيته كذلك فى نسخة معتمدة من تهذيب ابن هشام ، ولفظه : حتى خرج من مضيق الصفراء نزل على كثيب بين المضيق و بين النازية يقال له سير ، فقسم هناك النفل ، و بين النازية والصفراء علو خيف بنى سالم موضع يعرف اليوم عند العرب بشعب سير كما ضبطه المجد ، ورأيت فى أوراق لبعضهم وصفه بما هو عليه اليوم ، فقال : شعب سير هو المنزلة القديمة للحاج إذا رحل من المستعجلة ونزل فى فركات الخيف وهناك بركة قديمة ، قال : وهذا الشعب بين جبلين يعرف بجبال المضيق علو الصفراء بينه و بين المستعجلة نحو نصف فرسخ .

حرف الشين

شابة — بباء موحدة مخففة ، جبل بين الر بذة والسليلة .   شابة

شاس — أطم برحبة مسجد قباء ، على يسارك مستقبل القبلة ، كان لشاس أخى بنى عطية بن زيد .   شاس

الشبا — كالعصا ، واد بالأثيل بناحية الصفراء ، فيه عين تسمى خيف الشبا لبنى جعفر بن أبى طالب .   الشبا

شباع — ككتاب ، سبق فى بئر السائب أنه الجبل المشرف عليها .   شباع

الشباك — كالجبال ، جمع شبكة ، موضع من بلاد غنى ، بين المدينة وأبرق العزاف ، وموضع آخر قرب سَفَوان ، وشباك بنى الكذاب : من نواحي المدينة .   الشباك

الشبعان — بلفظ ضد الجيعان ، أطم بالمدينة ، كان فى ثمغ صدقة عمر رضى الله تعالى عنه .   الشبعان

الشبكة — مفرد الشباك ، موضع بوادى إضم ، به مال يسمى الشبكة بعد ذى خشب .   الشبكة

الشجرة — الشجرة ـ بلفظ واحـــدة الشجر ، يضاف إليها مسجد ذى الحليفة كما سبق فيه ، وهى سَمُرة كان النبى صلى الله عليه وسلم ينزل تحتها هناك فعرف الموضع بها ، والشجرة أيضا : مال فيـــه أطم لبنى قُرَيظة ؛ ولعله المعروف اليوم هناك بالشجيرة مصغرا .

شدخ — شدْخ ـ بسكون الدال المهملة وخاء معجمة ، وادٍ به الموضع المسمى بنخل كما سيأتى .

الشراة — الشراة ـ جبل مرتفع فى السماء تأويه القِرَدة ، لبنى ليث و بعض بنى سليم ، دون عُسْفَان عن يسارها ، وفيه عقبة تذهب إلى ناحية الحجاز تسمى الخريطة .

الشربة — الشربة ـ بثلاث فتحات والباء موحدة مشددة ، كل أرض مُعْشِبة لا شَجَر بها ، وهى اسم موضع بين السليلة والربذة ، وقيل : إذا جاوزت البقرة وماوان تريد مكة وقعت فى الشربة ، وهى أشد بلاد نجد قرا ، وقيل : هى فيما بين نخل ومعدن بنى سليم ، ومعنى هذ الأقوال واحد .

شرج — شرج ـ بالفتح ثم السكون آخره جيم ، موضع قرب المدينة يعرف بشرج العجوز ، له ذكر فى حديث كعب بن الأشرف ، وشرج أيضا : ماء بنجد ، وماء أو وادٍ لفَزَارة به بئر .

الشرعبى — الشرعبى ـ بالفتح ثم السكون وفتح العين المهملة وكسر الموحدة آخره ياء النسبة، أطم دون ذباب ، كان لأهل الشوط من يهود ، ثم صار لبنى جُشَم من الأوس .

الشرف — الشرف ـ محرك ، الموضع العالى ، وهو شرف الروحاء ، وشرف السيالة لكونه آخر السيالة وأول وادى الروحاء ، والشرف أيضا : كبد نجد ، وفيه الربذة وحمى ضرية كما سبق فى حمى الشرف .

شريق ـ تصغير شرق ، موضع بوادى العقيق ، قال أبو وجرة :

إذا تربعت مابين الشريق إلى   روض الفلاج أولات الشرج والعنب

أى عنب الثعلب . وروى « الشريف » بالفاء .

الشطآن

الشطآن ـ بالضم وسكون الطاء المهملة ، من أودية المدينة .

شطان

شطان ـ مال فى بنى قريظة .

الشطون

الشطون ـ بئر بناحية شعر .

الشطيبة

الشطيبة ـ مال ابن عتبة بجنب الأعواف ، ولعلها المعروف هناك بالعتبي ، قال ابن زبالة : وفى الشطيبة يقول رجل من بنى قريظة وخطب امرأة من بَلْحَارث ابن الخزرج ، فقالت : أله مال على بئر مدري أو هامات أو ذى وشيع أو الشطيبة أو بئر فجار ؟ وهى فى بئر أريس ، فقال القرظى : .

تكلفنى مخارق بئر مدرى   وهامات وأعذق ذى وشيع

فما حازت شطيبة من سواد   إلى الفجار من عذق الرجيع

الشظاة

الشظاة ـ بالفتح ، اسم لوادى قناة ، تقدم فى إضم عن القاموس أنه اسم مايلى السد من الوادى ، وفى تهذيب ابن هشام فيما قيل فى بنى النضير من الشعر قول عباس بن مرداس أخى بنى سُلَيم من أبيات :

و إنك عَمْرى هَلْ أريك ظَعَائنا   سَلَكْنَ على ركن الشظاة فتيأبا

عليهن عين من ظباء تبالة   أوانس تصبين الحليم المجربا

شعب

شعب ـ بالضم ، علم لوادٍ يصبُّ فى الصفراء ، نقله النووى عن الحازمى ، وسيأتى فى نخال أنه اسمه ، والشعب ـ بالكسر ـ واحد الشعاب للطريق بين الجبلين أو ما انفجر بينهما أو مسيل الماء فى بطن وأرض . وشعب أحد : هو الذى نهض المسلمون برسول الله صلى الله عليه وسلم إليه يوم أحد ، وأسندوا إليه ، قال ابن إسحاق : فلما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى فم الشعب خرجَ على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه حتى ملأ درقته من المهراس . وشعب العجوز :

بظاهر المدينة ، قتل عنده كعب بن الأشرف ، ويذكر بدله شرج العجوز ، وقد سبق ، وفى السير أنه لما هتف أبو نائلة بكعب بن الأشرف وهو فى حصنه ببنى النضير ليلة قتله ، فنزل لأبى نائلة وأصحابه ، فقالوا : هل لك يا ابن الأشرف أن تماشى إلى شعب العجوز فنبحث بقية ليلتنا هذه ؟ فقال : إن شئتم ، فمشوا ساعة حتى استمكنوا منه وقتلوه .

شعبى — شعبى ـ بالضم وفتح العين والموحدة مقصورة ، جبل ، وقيل : جبال منيعة بحمى ضرية .

شعب المشاش — شعب المشاش ـ تقدم فى العقيق ، وهو خلف جماء العاقل .

شعب شوكة — شعب شوكة ـ يأتى فى شوكة أنه المعروف بشعب على قرب الشرف .

شعبة — شعبة ـ بالضم ثم السكون ، واحدة الشُّعَب ، وهى الطائفة من الشىء ، ومن الجبال رؤسها،ومن الشجر أغصانها ، وشعبة:اسم عين قرب بليل، وشعبةعبد الله : تقدمت فى الخلائق،وشعبة عاصم:ستأتى فى عاصم، ووادى شعبة : من أودية أُبلى .

شعث — شعث ـ بالضم ثم السكون آخره مثلثة جمع أشعث ، موضع بين السوارقية ومعدن بنى سليم .

شعر — شَعْر ـ بلفظ شعر الرأس ، جبل ضخم مشرف على معدن الماوان ، قبل الربذة بأميال ، قاله المجد ، وقال الهجرى : هو من ناحية الوضح ، وقد أكثر الشعراء من ذكره ، قال حكيم الخضرى :

سقى الله الشطون شطُون شَعْر ... وما بين الكواكب والغدير

شغبى — شَغْبى ـ بالفتح وسكون الغين المعجمة وفتح الموحدة كسَكْرَى ، قرية بين المدينة وأيلة ، وكذا بدا قرية أخرى ، قال كثير :

وأنتِ التى حَبَّبْتِ شَغْبَى إلى بَدَا ... إلىّ ، وأوطانى بلادٌ سواهما

حللت بهذا حَلَّة ، ثم حلة ... بهذا ، فطاب الواديان كلاهما

شفر

شُفَر ـ كزفر جمع شَفِير الوادى[1] ، جبل بأصل حمى أم خالد، يهبط إلى بطن العقيق ، كان يرعى به سَرْح المدينة يوم أغار عمرو بن جابر الفِهْرِى ، فخرج النبى صلى الله عليه وسلم فى طلبه حتى ورد بدرا .

شقر

شقر ـ بالقاف كزُفَر ، ماء بالربذة عند سَنَام جبل مشرف على معدن الماوان.

الشقراء

الشقراء ـ تأنيث الأشقر ، فى الحديث : وفَدَ عمرو بن سلمة الكلابى على النبى صلى الله عليه وسلم ، واستقطعه حمى بين الشقراء والسعدية ، وهما ماآن فى البادية ، قاله ياقوت .

الشقراة

الشقراة ـ جبيل انصب فى غربى النقيع .

الشقرة

الشقرة ـ بالضم ثم السكون ، موضع بطريق فيد ، بين جبال حمر ، على نحو ثمانية عشر ميلا من النخيل ، وعلى يوم من بئر السائب و يومين من المدينة ، انتهى إليه بعضُ المنهزمين يوم أحد ، كما رواه البيهقى ، ومنه قطع كثير من خشب الدوم لعمارة المسجد النبوى بعد الحريق .

شق

شق ـ بالفتح عن الزمخشرى ، وقيل: بالكسر ، من حصون خيبر ، وقرية من قرى فدك يعمل فيها اللجم .

وروى الواقدى أن النبى صلى الله عليه وسلم تحوَّل إلى أهل الشق، و به حصون ذوات عدد ، يعنى بعد فراغه من النطاة ، فذكر فتح أول حصونه ، وأن أهله هربوا إلى حصن البزار بالشق أيضاً ، وأنهم كانوا أشد أهل الشق رمياً للمسلمين بالنبل والحجارة ، وأن النبى صلى الله عليه وسلم أخذ كفا من حصباء فحصب به حصنهم ، فرجف بهم ثم ساخ فى الأرض ، فأخذ المسلمون أهله .

شقة بنى عذرة

شقة بنى عذرة ـ تقدمت فى مساجد تبوك .

شاول

شاول ـ بلامين كصَبُور ، موضع بنواحى المدينة ، قال ابن هَرْمَة :

أتذكر عهد ذى العهد المحيل   وعصرك بالأعارف والشَّلُول

(١) لا يكون جمع شفير على وزن زفر، بل يكون بضم أوله وثانيه كسرير وسرر

وتعريج المطية يوم شوطى على العرصات والدمن الحلول

الشماء الشماء ـ بالتشديد والمد ، هضبة عالية فى حمى ضرية ، قاله المجد ، وسماها المجرى الشياء ـ بالمثناة التحتية ـ وقال : إنها من هضب الأشقِ بناحية عرفجا ، سميت بذلك لأنها حمراء وفى ناحيتها سواد .

الشماخ الشماخ ـ بالفتح والتشديد و إعجام الخاء ، أُطم فى قبلة بيوت بنى سالم خارجها .

شمنصير شَمَنْصير ـ بفتحين ثم نون ساكنة وصاد مهملة مكسورة ثم مثناة تحتية وراء ، جبل ساية .

شناصير شناصير ـ من نواحى المدينة ، قال ابن هَرْمَة :

لو عاج صحبك شيئا من رواحلهم بذى شناصير أو بالنعْفِ من عظم

شنوكة شنوكة ـ بالفتح ثم الضم ثم السكون وفتح الكاف بعدها ، جبل بعد شرف الروحاء بقليل ، يقابل الشعب المعروف بشعب على ، وهو شعب شنوكة على ثلاثة أميال من مسجد شرف الروحاء ، قاله الأسدى ، قال ابن إسحاق فى المسير لبدر : مر على فج الروحاء ، ثم على شنوكة حتى إذا كان بعرق الظبية ، وقال ابن سعد : شنوكة فيما بين السيالة وملل ، وعندها هرب سهيل بن عمرو ، وكان أسره ابن الدخشم يوم بدر ، فقال له عند ما كانوا بها : خل سبيلى للغائط ، فهرب وظفر به النبى صلى الله عليه وسلم .

الشنيف الشنيف ـ كز بير ، أُطم لبنى ضبيعة بقرب أحجار المراء ، وسبق ذكره فى مقدمه صلى الله عليه وسلم قباء ، قال كعب بن مالك :

فلا تَتَهَدَّدْ بالوعيـــد سَفَاهةً وأوعد شُنَيْفاً إن غضبت وواقا

شواحط شُوَاحط : بالضم و بعد الألف حاء مهملة مكسورة وطاء مهملة ، جبل قرب السوارقية كثير النمور والأرَاوى ، و يوم شُوَاحط : من أيام العرب .

شوران

شَوْران ـ بالفتح ، جبل يضاف إليه حرة شوران التى تقدم أن صدر مهزور منها ، ولعله المعروف اليوم هناك بشوطان.

وقال عرام : ويُحيط بالمدينة عير ، ثم قال : وعير جبلان أحمران من عن يمينك وأنت ببطن العقيق تريد مكة ، ومن عن يسارك شوران ، وهو جبل مطل على السد كبير مرتفع .

ثم ذكر الصادر[1] فى قبلة المدينة، ثم قال : وليس على شيء من هذه الجبال نبت ولا ماء ، غير شوران فإن فيه مياه سماء كثيرة يقال لها : البجيرات ، وكرم ، وعين ، وامعاء ، وهو ماء يكون السنين الكثيرة ، وفى كلها سمك أسود مقدار الذراع وما دون ذلك أطيب سمك يكون ، انتهى .

فقوله « من عن يمينك وأنت ببطن العقيق » يقتضى أن الجبل المعروف بعير هو شوران ، وهو مشرف على السد كما سبق ، وكان بناحيته بالعقيق كرم ثنية شريد ، لكن ابن زبالة والزبير والمجرى كلهم سموه عيرا ، وليس عليه ماء ، فتناول كلامه بأن المتوجه إلى مكة من قبلة المدينة إذا صار ببعض أودية العقيق التى تصب فيه هناك كان فى جهة يمينه عير الصادر ، وعير الوارد فى المغرب ، وعن يساره شوران فى المشرق ، ويؤيده أن ما ذكره بعد ذلك كله فى شرقى المدينة من ناحية القبلة ، وقال : ثم يمضى نحو مكة مصعدا ، وذكر ما سبق فى أُبْلَىٰ ، ولأنه قال : إن ميطان حذاء شوران ، وميطان فى المشرق من جهة القبلة . فيكون السد المشرف عليه شوران غير السد الذى بقرب عير .

وقال نصر : شوران وادٍ فى ديار سليم يفرغ فى الغابة ؛ وهى من المدينة على ثلاثة أميال ، وكأنه أطْلَق وادى شوران على ما ينحدر من حرته إلى المدينة .

وروى الزبير عن محمد بن عبد الرحمن قال : رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم إبلاً فى السوق ، فأعجبه سمنها ، فقال : أين كانت ترعى هذه ؟ قالوا : بحرة شوران ، فقال : بارك الله فى شوران! .

---

(١) فى نسخة « الصارى » وكلاهما يصح

وكانت البغوم صاحبة ريحان الخضرى نذرت أن تمشى فى شوران حتى تدخل من أبواب المسجد كلها مزمومة بزمام من ذهب ، فقال :

يا ليتنى كنتُ فيهم يوم صَبَّحَهم من نقب شوران ذو قرطين مزموم
تمشى على نجش يدمى أناملها وحولها القبطريات العياهيم
فبات أهل بقيع الدار يفعمهم مسك ذكى ويمشى بينهم ريم

شوط

شوط ـ بالفتح ثم السكون وطاء مهملة ، كان لأهله الأطم الذى يقال له الشرعبى دون ذباب ، وتقدم أن بعض بنى الحارث سكن الشوط وكرم الكومة التى يقال لها كومة أبى الحمراء ، فهو فى شامى ذباب قرب منازل بنى ساعدة والكومة المذكورة .

وقال ابن إسحاق فى مخرجه صلى الله عليه وسلم إلى أحد : حتى إذا كان بالشوط بين المدينة وأحد انخذل عبد الله بن أبى ، ورجع إلى المدينة .

وروى البيهقى فى الدلائل عن ابن شهاب أنه قال فى خروج النبى صلى الله عليه وسلم إلى أحد : حتى إذا كان بالشوط من الجبانة انخذل عبد الله بن أبى ، وسبق فى ذباب أنه بالجبانة ، وفى الصحيح فى حديث العابدة : خرجنا مع النبى صلى الله عليه وسلم حتى انطلقنا إلى حائط يقال له الشوط ، وذكر نزول الجونية هناك فى بيت لبعض بنى ساعدة ، ودخوله صلى الله عليه وسلم عليها .

وفى رواية ابن سعد عن أبى أسيد قال : تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة من بنى الجون ، فأمرنى أن آتيه بها ، فأتيته بها ، فأنزلتها بالشوط من وراء ذباب فى أطم ، وفى رواية له : فأنزلتها فى بنى ساعدة ، وفى أخرى : فنزلت فى أجم بنى ساعدة ، فخرج إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاءها ، وقال النضر بن شميل : الشوط مكان بين شرفين من الأرض ، يأخذ فيه الماء والناس كأنه طريق ، ودخوله فى الأرض أن يوارى البعير وراكبه ،

ولا يكون إلا فى سهول الأرض ، انتهى ، وسبق فى سيل مهزور أن آخره كومة أبى الحمراء ، ثم يصب فى قناة .

شوطى

شوطى — بحروف الذى قبله مقصور كسكرَى ، قال الهجرى : وللعقيق دوافع من الحرة مشهورة ذكرتها الشعراء ، منها شوطى وروضة أجام ، قال ابن أذَينَة :

جاد الربيع بشوطى رسم منزلة أحبُّ من حبها شوطى فأجاما
فبطن خاخ فأجزاع العقيق لها نهوى، ومن جونتى عيرين أهضاما

وقال المجد : شوطى موضع بعقيق المدينة فيها يقول المزنى لغلام اشتراه بالمدينة :

تروَّحْ يا يسار فإن شوطى وتربانين بعد غد مقيل[1]
بلاد لا يحس الموت فيها ولكن الغذاء بها قليل

وشوطى أيضاً : بحرة بنى سليم .

قلت : وأظنه الذى قبله .

شيخان

شيخان — بلفظ تثنية شيخ ، أطمان بجهة الوالج ، قال ابن زبالة : بفضائهما المسجد الذى صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سار إلى أحد .

وقال المجد : هو موضع يقال له ثنية شيخان ، عسكر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة خرج لأحد ، وهناك عرض الناس فأجاز من رأى وردَّ من رأى ، قال أبو سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه : كنت ممن رُدَّ من الشيخين يوم أحد ، وقيل : هما أطمان ، سميا به لأن شيخاً وشيخة كانا يتحدثان هناك ، وقال المطرى : هو موضع بين المدينة وجبل أحد على الطريق الشرقية مع الحرة إلى جبل أحد قال : خرج النبى صلى الله عليه وسلم هو وأصحابه لأحد على الحرة الشرقية حرة واقم ، و بات بالشيخين ، وغدا صبح يوم السبت إلى أحد .

(١) فى معجم ياقوت « تروح ياسنان » .

حرف الصاد

صاحة — صاحة ـ كرامة ، الأرض التي لاتنبت أصلا ، وهو اسم هضبات خمس لباهلة قرب عقيق المدينة ، قاله المجد ، وكأن الوليد بن عقبة جمعها حيث قال :

ولولا عليّ كان جلّ مقالهم كضرطة عير بالصحاصح من إضم

صارة — صارة ـ جبل بين تيماء ووادى القرى ، قال :

سقى الله حيا بين صارَةَ والحمى حمى فيد صَوْبَ المدجنات المواطر

صارى — صارى ـ بكسر الراء وتخفيف الياء ، جبل فى قبلة المدينة .

صايف — صايف ـ موضع بنواحى المدينة .

صبح — صبح ـ بالضم ثم السكون بلفظ أول النهار، قال ياقوت : صبح وصباح ما آن حيال نملى لبنى قريظة ، وقال الأصمعى: وفى حيال نملى صباح وصبيح ما آن ، قالت امرأة تزوجها رجل فحنت إلى وطنها :

ألا ليت لى من وَطْب أمى شربةً تشاب بمــاء من صبيح فأبضع

أى أروى ، والباضع : الريان ، انتهى ، وأما قول أعرابى:

ألا هل إلى أجبال صبح بذى الغَضَى غضى الأثل من قبــل الممات مَعَادُ

فالظاهر أنها جبال صبح التى عن يسار المتوجه إلى مكة ببدر وما حولها ، ولهذا قال المجد : اجتزتُ بها فى مسيرى إلى المدينة من مكة ، فذكر بعض العرب أن على متن جبال صبح نخيلا كثيرة ومزارع ، انتهى . وليست هى فى جهة نملى ؛ لما سيأتى فيها .

الصحرة — الصحرة ـ بالضم وإسكان الحاء المهملة لغة جوبة تنجاب فى الحرة ، وهى اسم أرض تحف قاع النقيع من غربيه ، وأعراب تلك الجهة يسمونها اليوم السحرة ـ بضم السين المهملة بدل الصاد .

صحن — صحن ـ بلفظ صحن الدار ، جبل فوق السوارقية ، فيه ماء عذب يزرع عليه ، قال شاعرهم :

جلبنا من جنوب الصحن جُرْداً عتاقا سرها نســـلا لنسل
فسوافينا بهـــا يومى حنين رسول الله جدا غـير هزل

صخيرات الثمام

صخيرات الثمام ــ تقدم فى الثاء المثلثة .

صدار

صُدَار ــ كغراب ، موضع بنواحى المدينة .

قلت : لعله المعروف بالصدارة بوادى الروحاء .

صرار

صِرَار ــ ككتاب ، وروى بالضاد المعجمة ، وهو وهم ، قال الخطابى : هى بئر قديمة على ثلاثة أميال من المدينة على طريق العراق ، قال عياض : ويدل لكونها اسم موضع غير بئر لكن بها بثار قولُ الشاعر :

* لعل صرارا أن تجيش بثارها *

قلت : سبق فى منازل يهود أن أناساً منهم كانوا بالجوانية ، وكان لهم بها الأطُم الذى يقال له صرار ، وبه سميت تلك الناحية صرارا ، ولهم الريان أيضاً ، وصارا لبنى حارثة ، قال ابن زبالة : وله يقول نُهيك بن سياف :

لعـــل صرارا أن تجيش بثاره ويسمع بالريان تبنى مسار به

فصرار : أطم شامى المدينة من ناحية الحرة ومنازل بنى حارثة ، وسبق أنهم كانوا مع بنى عبد الأشهل فى دارهم ، ثم أجلوهم إلى خيبر ، ثم رق لهم حضير ابن سماك الأشهلى لما عناه خُفَاف بن نَدْبة بقوله :

فإن حضـــيرا والذى قد أرادها حضير كرانى حفته وهو شــــار به
لعـــل صرارا أن تغـــور بثـاره ويسمع بالريان تعوى ثعــــالبه
فإن يهلكوا تهلك ، وإن تدن دارهم تكون حبا خـير أصابك خاصبه

فقال: إن هذا لهكذا ، إنى والله إن هلكت هلكت بنوحارثة ، وإن يهلكوا نهلك ، ولا مانع أن يكون فى طريق العراق ماء يسمى بصرار أيضاً ، ويدل له قول نصر : صرار ماء بقرب المدينة محتفر جاهلى ، له ذكر كثير على سَمْت العراق

وقال ياقوت : صرار اسم جبل من جبال القبلية قرب المدينة ، قال جرير :

إن الفرزدق لا يزايل لؤمه حتى تزول عن الطريق صرار

قال : وصرار أيضا موضع على ثلاثة أميال من المدينة على طريق العراق ، انتهى.

وقال العمرانى : صرار اسم جبل ، وأنشدنى جار الله العلامة للأفطس العلوى ، وفى الأغانى أنه لأيمن بن خريم :

كأن بنى أمية حين راحوا وَعُرِّىَ من منازلهم صرار

وقال : هو من جبال القبلية ، قال : وصرار أيضا بئر قديمة على ثلاثة أميال من المدينة ، على طريق العراق ، وقيل : موضع بالمدينة ، وفى غزوة عرفدة الـكدر أنهم اقتسموا غنائمهم بصرار على ثلاثة أميال من المدينة ، قاله ابن سعد .

قلت : والمراد من حديث أمره صلى الله عليه وسلم بنحر بقرة لما قدم صرارا إنما هو صرار الذى بالمدينة ، ولهذا قال البخارى : صرار موضع ناحية بالمدينة ، وترجم عليه « باب اتخاذ الطعام عند القدوم » وتوضحه الرواية الأخرى أن النبى صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة نحر جزورا أو بقرة .

الصعبية — الصعبية ــ بالفتح ثم السكون ، آبار عذبة يزرع عليها ، لبنى خفاف من بنى سليم قرب أُبلىٰ .

صعيب — صعيب ــ تصغير صعب ، وقيل : صعين بالنون تصغير صعن ، تقدم مستوفى فى الاستشفاء بتراب المدينة ، وله ذكر فى البويرة .

الصفاح — الصِّفَاح ــ بالـكسر والحاء المهملة ، موضع بالروحاء .

صفاصف — صفاصف ــ موضع بين سد عبد الله بن عمرو بن عثمان و بين الصعبية .

الصفراء — الصفراء ــ تأنيث الأصفر ، وادٍ كثير النخل والعيون والزروع ، سبق ذكره فى المساجد ، وأن النبى صلى الله عليه وسلم عدل عنه إلى ذفران فى المسير

إلى بدر الكبرى ، وسلكه فى رجوعه ، وقال المجد : سلكه النبى صلى الله عليه وسلم غير مرة .

صفر — بلفظ الشهر الذى يلى المحرم ، جبل أحمر بفرش ملل ، يقابل عبودا ، الطريقُ بينهما ، و به بناء كان للحسن بن زيد ، و بقَفَاه ردهة يقال لها ردهة العجوزين ، والعجوزين : هضبات هناك كان يسكنها أبو عبيدة بن عبد الله بن زمعة بن الأسود بن المطلب الزمعى جد ولد عبد الله بن حسن بن حسن بن على ابن أبى طالب رضى الله تعالى عنهم لأمهم ، وقال بعضهم فى رثائه :

إذا ما ابن زاد الركب لم يَسْرِ ليلة   فنى صَفَر لم يقرب الفرش زائر[1]

وقال عمر بن عائذ الهذلى :

أرى صَفَرا قد شاب قبل لِدَاته   وشابة أيضا شاب منه العواقر

وشابت قناة بالعجوزين لم تكن   تشيب وشاب العرفط المتجاور

الصفة — بالضم وفتح الفاء المشددة ، تقدمت فى الفصل الثانى من الباب الرابع .

صَفْنة — بالفتح كجفنة بالنون ، منزلة بنى عطية بن زيد ، و به أطمهم شاس برحبة مسجد قباء .

صفينة — كسفينة ، موضع بين بنى سالم وقبَاء

ذو صلب — بالضم ، تقدم فى أودية المدينة .

صلحة — بالضم ثم السكون ، اسمُ دار بنى سلمة ، سماها بذلك النبى صلى الله عليه وسلم كما سبق عن المجد فى حربى ، وأن الذى فى نسخة ابن زبالة وخط المراغى طلحة بالطاء المهملة .

صلصل — بالضم ثم السكون والتكرير ، موضع على سبعة أميال من المدينة ، قاله المجد ، وسبق فى أودية العقيق أن ما أقبل من الصلصلين يدفع فى بئر أبى

---

(١) فى معجم ياقوت « لم يمس نازلا » ، وفى الأصول «لم يقرب الفرش رائد»

عاصية ، وما دبر منهما يدفع فى البطحاء ، والبطحاء تدفع من بئر الجبلين فى العقيق ، وقال ابن سعد : خرج النبى صلى الله عليه وسلم فى غَزْوة الفتح من المدينة يوم الأربعاء لعشر خلون من رمضان بعد العصر ، فلما انتهى إلى الصلصل قدم أمامه الزبير بن العوام فى مائتين من المسلمين ، ونادى مناديه : مَنْ أَحَبَّ أن يفطر فليفطر ، ومن أَحَبَّ أن يصوم فليصم ، وله شاهد بالإفراد ، فما قيل فى العقيق من الشعر فهو بالتثنية كما يأتى ، وهو جبل معروف اليوم فى أثناء البيداء على يمين المتوجه إلى مكة شرقى عظم إلى القبلة .

صلاصل

صلاصل[1] — أرض بحرة وادى بطحان ، تقدمت فى قصر عاصم بالعقيق ، قال أبو معروف أخو بنى عمرو بن تميم :

أحِبُّ الصلصلين فبطن خاخ ... إلى مُفْضَى البلاط إلى النقيع
إلى قبر النبى فجانبيه ... إلى الفيفاء أو أدنى مطيع
إلى وادى صلاصل فالمصلَّى ... إلى أكناف أعذق ذى وشيع
فتلك إذا تشاجرت النَّوَاصِى ... ولج الناس فى الخلق البديع
منازل غبطة وبلاد أمن ... تكفُّ عن المفاقر والقنوع

الصمد

الصمد — بسكون الميم وإهمال الدال ، ماء قرب المدينة ، له يوم مشهور ، قاله المجد . والصمد : موضع بقباء ، وجمعه كعب بن مالك فى شعره فقال :

ألا أبلغ قريشا أن سَلْعاً ... وما بين العريض إلى الصماد
نواضح فى الحروب مدربات ... وحوص نقيت من عهد عاد

الصمغة

الصمغة — بالغين المعجمة ، موضع بقرب قناة ، ذكر ابن هشام نزول قريش بعينين على شفير وادى قناة ، ثم ذكر تسريحهم الظَّهْر والكُرَاع فى زرع كانت بالصمغة من قناة .

الصمان

الصمان — بالفتح وتشديد الميم وألف ونون ، جبل أحمر ينقاد ثلاثة أيام ، وليس له ارتفاع ، يجاور الدهناء ، وقيل : قرب رمل عالج ، قاله ياقوت .

(١) فى معجم البكرى بضادين معجمتين ، وعجز ثانى الأبيات عنده « إلى العنقاء قبر بنى مطيع » .

قلت : والمراد من الدهناء التى هى سبعة أحبل ـ بالحاء المهملة ـ من الرمل بديار تميم . والظاهر أنها رمل عالج ، فالمراد من العبارتين واحد ، ولذا قال فى القاموس : الصمان كل أرض صلبة ذات حجارة إلى جنب رمل ، وموضع بعالج .

صوار

صُوَار ـ بالضم وواو وألف وراء ، موضع بالمدينة ، قال الشاعر:

فمحيص فواقم فصُوَار فإلى ما يلى حجاج غُرَاب

صورى

صَوَرَى ـ كجَمَزَى ، قال ابن الأعرابى : واد فى بلاد مزينة قرب المدينة .

قلت : هو بجهة النقيع ، يعرف اليوم بصورية بزيادة هاء ، وقد أورد الزبير شاهد ريم المتقدم ، وفيه ذكره ، ثم قال : وصورى من صـــــدور أتمة ابن الزبير .

الصوران

الصَّوْرَان ـ تثنية صور بالفتح ثم السكون ، النخل المجتمع الصغار ، موضع بأقصى البقيع مما يلى طريق بنى قريظة ، قال مالك : كنت آتى نافعاً مولى ابن عمر نصفَ النهار ما يظلنى شىء من الشمس ، وَكان منزله بالبقيع بالصورين ، وفى السير : لما توجه النبى صلى الله عليه وسلم إلى بنى قريظة مر فى طريقه بنفر من أصحابه بالصورين ، وتقدم أن الصافية وما معها من الصدقات متجاورات بأعلى الصورين قصر مروان ، وأن سيل مهزور يسقيها ، ثم يُفْضى إلى الصورين قصر مروان ، ثم يأخذ بطن الوادى على قصر بنى يوسف ، ثم يصب فى النقيع ، والصوران أيضاً : فى أدنى الغابة .

ذو صوير

ذو صوير — كزبير ، من أودية العقيق بقرب صورى .

صهى

صُهِىّ — بالضم ، جمع صهوة ، قُلل فى جبل تقدمت فى روضة الصهى .

الصهباء

الصهباء ـ بلفظ اسم الخمر ، من أدنى خيبر ، بها مسجد ، وبها كان رد الشمس كما سبق ، وهى على بريد من خيبر فيما قاله ابن سعد .

الصهوة

الصهوة ـ من أودية العقيق ، قال ابن شبة : وتصدّق عبدُ الله بن عباس

رضى الله تعالى عنهما بماله بالصُّهوَة ، وهو موضع بين ينبع و بين حورة ، على ليلة من المدينة ، وتلك الصدقة بيد الخليفة تو كل بها .

الصياصى — الصياصى — أر بعة عشر أُطما كانت بقباء يتعاطى أهلها النيران بينهم من قربها .

الصيصة — الصيصة — أطم بقباء .

حرف الضاد

ضاحك — ضاحك — اسم فاعل من ضحك ، جبل بفرش ملل ، بينه و بين ضو يحك واد يقال له يين .

ضأس — ضأس — كفأس ، موضع بين المدينة و ينبع ، قال كثير :

بعينك تلك العــير حتى تغيبت   وحتى أتى من دونها الخبت أجمع(١)

وحتى أجازت بطن ضأسٍ ودونها   دعان فهضبا ذى النخيل فينبع(٢)

ضاف — ضاف — واد غربى النقيع ، من أوديته ، تحفه الجبال ، وقدس فى غربيه ، وأرضه مستوية يخالطها حمرة مهبط ثنية تبع من أثمة ابن الزبير ، قال عروة بن أذينة :

لسعدى بضاف منزلٌ متأبد   عَفَا ليس مأهولا كما كنت تعهد

ضبع — ضبع — بسكون الباء الموحـدة وضمها ، من أودية العقيق ، فيه يقول أبو وجرة :

فما بغرة فالأجـراع من ضبع   فالموفيات فذات الغيض فالسند[؟؟]

والضبع أيضاً : موضع بحرة بنى سليم ، بينها و بين أفاعية .

ضبوعة — ضبوعة — بالفتح كحلوبة ، منزل عند بليل ، بين مشيرب و بين الخلائق ، ومشيرب : شامى ذات الجيش ، وسبق فى الخلائق نزوله صلى الله عليه وسلم بمجتمع بليل ومجتمع الضبوعة ، واستقى له من بئر الضبوعة ، وفى بعض النسخ «الصبوغة» بالصاد المهملة والغين المعجمة .

ضجنان — ضَجْنان — بالفتح وسكون الجيم ونونين بينهما ألف ، قال أبو موسى : موضع

(١) فى ياقوت « أتى من دونها الحب » (٢) وفيه «رعان فهضبا ذى النجيل»

أو جبل بين الحرمين ، وقال البكرى : بين قديد وضجنان يوم ، وفى القاموس أنه على خمسة وعشرين ميلا من مكة .

ضحيان — ضحيان — بالفتح وسكون الحاء المهملة وبالمثناة تحت ، أطم بالعصبة لأُحَيْحَة ابن الُجلاَح ، وقال ياقوت : شاده بأرضه التى يقال لها قنان ، وله يقول :

إنى بنيت واقما والضحيان والمستظل قبـــله بأزمان

ضرعاء — ضرعاء — قرية قرب جبل شَمَنْصير .

ضرية — ضرية — تقدمت فى حمى ضرية .

ضرى — ضرى — كسمى ، بئر من حفر عاد بضرية .

ضع ذرع — ضع ذرع — أطم شبه الحصن ، كان عند بئر بنى خطمة المسماة بذرع .

ضغاضغ — ضغاضغ — بضادين وغينين معجمات[1] ، جبل قرب شَمَنْصير ، عنده قرى لبنى سعد بن بكر أصهار[2] النبى صلى الله عليه وسلم .

ضغن — ضِغْن — بالكسر وسكون الغين المعجمة ثم نون ، ماء لفزارة ، بين خيبر وفيد .

ضفيرة — ضفيرة — بالفتح وكسر الفاء ، الحقف من الرمل ، والمسناة المستطيلة فى الأرض وما يعقد بعضه على بعض ليحبس السيل ونحوه، قال المجد : هى اسم أرض بالعقيق للمغيرة بن الأخنس ، قال الزبير : أقطع مروان عبد الله العامرى ما بين الميل الرابع من المدينة إلى ضفيرة أرض المغيرة بن الأخنس التى بالعقيق كما سبق .

قلت : هذا لا يقتضى أنها اسم لأرضه ، بل مضافة لأرضه ، وكأنها بناء يفصلها من غيرها ويحبس السيل ، وسبق بالعقيق بناء الضفيرة به فى غير موضع وأن أروى زعمت أن سعيد بن زيد أدخل ضفيرتها فى أرضه ، ثم أبدى السيل عن ضفيرتها خارجة عن أرضه ، وقال الهجرى : إن عثمان بن عنبسة ضفر بعين ضرية ضفيرة بالصحراء ، وجعلها تحبس الماء .

ضلع — ضلع بنى الشيصبان وضلع بنى مالك — جبلان بحمى ضرية ، بينهما وادى

---

(١) جعله ياقوت بعينين مهملتين . (٢) كذا ، ولعله « أظآر » جمع ظئر .

التسرير مسيرة يوم ، و بنو مالك : بطن من الجن مسلمون ، و بنو الشيصبان : بطن من الجن كفار ، ولم يزل الناس يذكرون إسلام هؤلاء وكفر هؤلاء ، و يقع بينهما القتال ، وفى ذلك خبر غريب نقله المجد ، قال : وضلع بنى مالك يحل به الناس ويرعون ويصيدون ، بخلاف ضلع بنى الشيصبان ، وربمـا مر به من لا يعرف فيرعى الـكلأ فأصابه شر ، ولغنى ماء إلى جنب ضلع بنى مالك .

ضويحك — ضويحك ـ جبل يناوح ضاحكا ، بينهما وادى يين .

الضيقة — الضيقة ـ بقرب ذات خماط ، بها مسجد تقدم فى الفصل الرابع من الباب السادس، والضيقة أيضا : يسمى بها اليوم أعلى وادى إضم .

حرف الطاء

طاشا — طاشا ـ بالشين المعجمة[1] ،من أودية الأشعر الغَوْرية، يصب على وادى الصفراء

طخفة — طِخْفَه ـ بالـكسر وسكون الخاء المعجمة ، جبل أحمر طويل حذاء منهل وآبار، سبق ذكره فى حمى ضرية .

الطرف — الطرف ـ بفتح الراء و بالفاء ، قال المجد : إنه على ستة وثلاثين ميلا من المدينة، قال الواقدى : هو ماء دون النخيل ، وقال ابن إسحاق : هو من ناحية العراق ، وقال الأسدى فى وصف طريق العراق : إنه على خمسة وعشرين ميلا من المدينة ، وعلى عشرين ميلا من بطن نخل ، وذكر فيه آبارا وبركا ،قال : وآخر أعلى الطرف بئر أبى ركانة على عشرة أميال من المدينة .

ذو الطفيتين — ذو الطُّفْيتين ـ بالضم وسكون الفاء ، من غدران مسيل العقيق ، واسمه اليوم أبو الطفا ، قال الهجرى : وهو فى رَضْرَاضة غليظة من أعذب ماء شرب ،ماشرب منه أحد إلا بال الدم .

طفيل — طفيل — قال عرام : إنه جبيل صغير متوسط للخبيت ، والخبتُ : يمين هَرْشَى فى المغرب ، وهو غير طفيل المذكور فى شعر بلال

(١) جعله البكرى بالسين المهملة .

طويلع — تصغير طالع ، فى ألسنة العامة أنه موضع بالمدينة ، وليس كذلك ، إنما هو موضع بنجد ، وقيل : لبنى تميم . طويلع

طيخة — بسكون المثناة تحت وإعجام الخاء — وقيل : مهملة — ويقال فيه « طيخ » بغير هاء ، موضع بأسفل ذى المروة . طيخة

حرف الظاء

الظاهرة — بناحية النقا والمدرج من الحرة الغربية ، وسبق أواخر الفصل الحادى عشر من الباب الثالث قول الطائفتين من الأنصار : موعدكم الظاهرة ، وهى الحرة ، فخرجوا إليها ، وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخرج إليهم فيمن عنده من المهاجرين . الظاهرة

ظبية — بلفظ واحـــدة الظباء ، موضع بديار جهينة ، وفى حديث عمرو ابن حزم : كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا ما أعطى محمد النبى صلى الله عليه وسلم عوسجة بن حرملة الجهنى من ذى المروة إلى الظبية إلى الجعلات إلى جبل القبلية ، وظبية أيضا : موضع بين ينبع وغيقة بساحل البحر ، وماء بنجد . ظبية

ظبية — بالضم ثم السكون ، علم مرتجل يضاف إليه عرق الظبية المتقدم فى مساجد طريق مكة بوادى الروحاء ، وقال السهيلى : الظبية شجرة تشبه القَتَادة يستظل بها ، وبهذا الموضع قُتلَ عقبة بن أبى مُعَيْط صبرا منصرَفَهم من بدر ، فقوله فى حديث الصحيح « رأيتهم صَرْعَى ببدر » معناه أكثرهم ، ولأن عمارة ابن الوليد أيضاً كان عند النجاشى ، فاتهمه فى حرمه ، وكان جميلا ، فنفخ فى إحليله شجرا فهام مع الوحش فى بعض جزائر الحبشة فهلك . ظبية

ظلم — بالفتح ثم الكسر ككَتِف ، من أودية القبلية ، وعدّه الهجرى فى أودية الأشعر ، وقال نصر : ظلم جبل بين إضم وجبل جهينة ، وظلم أيضاً كما قال الأصمعى ظلم

جبل أسود لعمرو بن كلاب ، وهو أحد الجبال الثلاثة التى تكتنف الطرق فيما قاله عرام .

الظهار الظهار — ككتاب ، حصن بخيبر .

حرف العين

عابد عابد — بكسر الباء الموحدة ودال مهملة ، وعَبُّود — بالفتح وتشديد الموحدة — وعُبَيْد بالضم مصغراً ، ثلاثةُ أجْبُلٍ ذكرها الهجرى فيما نقله من وصف فرش ملل ، وعبود فى الوسط ، وهو الأكبر ، وهو بين مدفع مربين وبين ملل مما يلى السيالة ، وقيل : عنده البريد الثانى من المدينة ، وبطرفه عين لحسن بن زيد ، على الطريق منقطعة ، فيها يقول ابن معقل الليثى :

قد ظهرت عين الأمير مظهراً بسفح عبود أتته من مرا

عارمة عارمة — كفاطمة ، ردهة بين هضبات تدعين عوارم بوسط حمى ضرية ، وشاهدها فى حِلّيت .

عاص عاص وعويص — واديان عظيمان بين مكة والمدينة .

عاصم عاصم — كصاحب ، أطُم لبنى عبد الأشهل ، كان على القفارة فى أدنى بيوت بنى النجار ، وأطم آخر لبعض يهود بقباء ، وفيه البئر التى يقال لها قباء ، وذو عاصم : من أودية العقيق ، سمى بذلك لأن الأوس لما جَلَوْا عن المدينة ونزلوا النقيع حالفوا مزينة ، وعقد الحلف بينهم عاصم بن عدى بن العجلان ، فسميت الشعبة التى وقع فيها الحِلْف : شعبة عاصم .

عاقل عاقل — بكسر القاف ، جبل يناوح منعجاً ، وكان يسكنه الحارث بن آكل المرار جَدُّ امرئ القيس بحمى ضرية .

العالية العالية — تأنيث العالى ، قال عياض : العالية وعوالى المدينة كل ما كان من

جهة نجد من المدينة من قراها وعمائرها إلى تهامة ، وما كان دون ذلك من جهة تهامة فهى السافلة

قلت :هذا مسمى العالية من حيث هى[لا]عالية المدينة؛ إذ مقتضاه أن المدينة وما حولها عالية لما سبق فى الحجاز عن الأصمعى ، و إن قلنا برأى عرام من أن المدينة نصفها حجازى ونصفها تهامى فلا تصدق العالية على شىء منها ، أو على نصفها الذى يلى المشرق فقط ، واستعمال عالية المدينة فى الأحاديث وغيرها يخالفه لتصريح الأحاديث بأن قباء من العالية ، ولما عدد ابن زبالة أودية العالية لم يعد قناة ، وهى فى شرقى المدينة ، وعد رانوناء وهى فى غربيها للقبلة ، والمعروف أن ما كان فى جهة قبلة المدينة على ميل أو ميلين فأكثر من المسجد النبوى فهوعالية المدينة كما سنوضحه ، وقال المجد عقب ماسبق عن عياض : وقال قوم : العالية ما جاوز الرمة إلى مكة ، وقال أبو منصور : عالية الحجاز أعلاها بلداً وأشرفها موضعاً ، وهى بلاد واسعة ، انتهى ، و به يعلم أن هـذا كله فى مطلق العالية ، لا فى عالية المدينة ، وقال عياض : والعوالى من المدينة على أربعة أميال ، وقيل : ثلاثة ، وهذا حد أدناها ، وأبعدها ثمانية أميال، انتهى ، و يرده أنه قال فى السنح : إنه منازل بنى الحارث بن الخزرج بعوالى المدينة ، بينه و بين منزل النبى صلى الله عليه وسلم ميل ، وذكره ابن حزم أيضاً ، ونقله الحافظ ابن حجر عن أبى عبيد البكرى، وفى العتبية عن مالك : أقصى العالية على ثلاثة أميال ، يعنى من المسجد النبوى ، و يؤيده ما فى الصحيح عن أنس من طريق الزهرى « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى العصر والشمس مرتفعة حية ، فيذهب الذاهب إلى العوالى فيأتيهم والشمس مرتفعة ، و بعض العوالى من المدينة على أربعة أميال أو نحوها» ولفظ البيهقى « و بُعْدُ العوالى » بضم الموحدة ، وفى رواية له « و بعد العوالى أربعة أميال أو ثلاثة » ولفظ أبى داود « العوالى على ثلاثة أميال » ووقع عند الدارقطنى « على ستة أميال » وعند عبد الرزاق « على ميلين أو ثلاثة » .

وقوله « والعوالى » إلى آخره مُدْرَج من كلام الزهرى كما بينه عبد الرزاق وطريق الجمع أن أدنى العوالى من المدينة على ميل أو ميلين ، وأقصاها عمارة على ثلاثة أو أربعة أميال ، وأقصاها مطلقاً ثمانية أميال .

عاند — عاند — بكسر النون ودال مهمله ، وادٍ بجنب السقيا من عمل الفرع ، ويروى «عايذ» بالياء والذال المعجمة ، قاله المجد ، وقال الأسدى : وادى العاند قبل السقيا بميل ، ويقال له : وادى القاحة .

عائذ — عائذ — بالذال المعجمة ، قرب الربذة .

عاير — عاير — يضاف إليه ثنية العاير ، عن يمين ركوبة ، ويقال بالغين المعجمة أيضاً ، والأول أشهر .

عبابيد — عبابيد — موضع قرب تعهن ، وروى عبابيب بثلاث باآت موحدات بعد الثانية مثناة تحتية ، ويروى العثيانية بمثلثة ثم مثناة تحت ثم ألف ونون ، جاء ذكره فى سفر الهجرة .

عباثر — عباثر — جمع عبيثران للنبات المعروف ، وادٍ من الأشعر بين نخل وبُوَاط ، به نقب يؤدى إلى ينبع ، وهو لبطن من جهينة ، ابتاع موسى بن عبد الله الحسينى منهم أسفله ، وعالج به عيناً .

العبلاء — العبلاء — بالفتح ثم السكون ممدود ، موضع من أعمال المدينة ، ويقال لها : عبلاء الهرودة ، نبت يصبغ به ، وعبلاء البياض : موضع آخر .

عبود — عبود — بالفتح ثم الضم مشدداً ، تقدم فى عابد .

العتر — العتر — بالكسر وسكون المثناة الفوقية ثم راء ، جبل بالمدينة فى قبلتها . يقال له : المستندر الأقصى ، قال زهير :

* كمنصب العتر إذ فى رأسه النسك *

قالوا: أراد بمنصب العتر صنما كان يقرب له عتر ، أى ذبيحة ، والعتر بالفتح : الذبح ، قاله المجد .

عثاعث — جبال صغار سود بحمى ضرية مشرفات على مهزور . عثاعث

عثعث — بمثلثتين كَرَبْرَب ، الجبل الذى يقال له سليع بالمدينة ، عليه بيوت أسلم . عثعث

العجمتان — تثنية عجمة ، بجانب البطحاء بالعقيق . العجمتان

عدنة — بالنون محركا ، موضع من الشربة وهضبة بالفريش كان بها منزل داود بن عبد الله بن أبى الكرام و بنى جعفر بن إبراهيم . عدنة

عدينة — مصغر عدنة ، أطُم بالعصبة بين الصفاصف والوادى ، سمى باسم امرأة كانت تسكنه . عدينة

عَذْق — بالفتح ثم السكون ، أطم لبنى أمية بن زيد ،و بئر عذق : تقدمت فى الآبار . عذق

عذيبة — تصغير عذبة ماء بين الينبع والجار ، و يقال فيها العذيب بغير هاء ، قال كثير : عذيبة

خليليّ إنْ أمَّ الحكيم تحملت وأخلت لخيمات العذيب ظلالها

فلا تسقيانى من تهامة بعـــدها بلالا ، و إن صَوْبُ الربيع أسالها

عراقيب — قرية ضخمة ، ومعدن بحمى ضرية . عراقيب

عُرّى — كغُرّى ، اسم وادى نقمى كما سيأتى فى النون ، قال سالم بن زهير الخضرى : عرى

إذا ما الصبا هبت وقد نام صبيتى بأخيال عُرّى لم يرعنا حثيثها

عَرِب — بكسر الراء ككَتِف ، ناحية قرب المدينة أقطعها عبد الملك كثيراً الشاعر ، وأما عرم بوزنه إلا أن آخره ميم فوادٍ ينحدر من ينبع إلى البحر ، وجبل لعله بالوادى المذكور ، و إياه عنى كثير بقوله : عرب

* سحت بماء الفلاة من عرم *

العرج — بالفتح ثم السكون ، قرية جامعة تقدمت فى مساجد طريق مكة . العرج

قال المجد : هى ثمانون ميلا إلا ميلين من المدينة ، قيل : لما رجع تُبَّع من المدينة رأى هناك دوابَّ تعرج فسماها العَرْجَ ، وقيل لـكثير : لم سميت بذلك ؟ قال : لأنها يعرج بها عن الطريق ، قال ابن الفقيه : يقال إن جبلها يمتد إلى الشام حتى يصل بلبنان ، ثم إلى جبال أنطاكية وشمساط ، وتسمى هناك اللكام ، ثم إلى ملطية وقالى قلا إلى بحر الخزر ، وفيه البـاب ويتصل ببلاد الدان ، وطوله خمسمائة فرسخ ، وفيه اثنان وسبعون لسانا .

العرصة — العَرْصَة ـ بالفتح ثم السكون وإهمال الصاد ، كل جوبة متسعة لا بناء فيها لاعتراض الصبيان فيها ، أى لعبهم ، وعرصة العقيق : تقدمت فى الفصل الثالث ، وتنقسم إلى كبرى وصغرى كما سبق .

العرض — العِرْض ـ بالـكسر ، اسم للجرف كما سبق فيه ، قال المطرى : إن حول مسجد القبلتين آباراً ومزارع تعرف بالعرض ، فى قبلة مزارع الجرف ، قال شمر : وأعراض المدينة بطون سوادها حيث الزرع ، وقال الأصمعى : أعراضها قراها التى فى أوديتها ، وقيل : كل وادٍ فيه شجر فهو عرض ، وقيل : كل واد عرض ، ويقال للرساتيق بأرض الحجاز : الأعراض ، وقال يحيى بن أبى طالب :

ولست أرى عيشاً يطيب مع النوى ولـكنه بالعِرْض كان يَطِيبُ

عرفات — عرفات ـ بلفظ عرفات مكة ، تَلٌ مرتفع فى قبل مسجد قباء ، سمى بذلك لأن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقف يوم عرفة عليه ، فيرى منه عرفات ، كذا قاله ابن جُبَير فى رحلته .

عرفجاء — عرفجاء ـ أحد مياه الأشق .

عرفة — عرفة ـ بالضم وسكون الراء وفتح الفاء ، لغةً : المتين المرتفع من الأرض فينبت الشجر ، ويقال لمواضع متعددة منهـا : عرفة الأجبال ، أجبال صبح فى ديار فزارة بها ثنايا يقال لها المهادر ، وعرفة الحمى حمى ضرية ، وعرفة منعج .

عرق الظبية — عرق الظبية ـ تقدم فى الظاء المعجمة .

عريان — بلفظ ضد المكتسى ، أطُم لآل النضر رهط أنس بن مالك من بنى النجار ، كما فى صقع القبلة ، كذا قاله المجد .

عريان

عُرَيْض — تصغير عرض ، واد بالمدينة ، قاله الهمْدانى ، وهو معروف شامى المدينة قرب قناة ، وتقدم حديث « أصح المدينة من الحمى مابين حرة بنى قريظة إلى العريض » وفى السير أن أبا سفيان أحرق صورا من صيران نخل العريض ، ثم انطلق هاربا .

عريض

عريفطان — تصغير عرفطان تثنية عرفط ، واد سبق فى أُبْلى .

عريفطان

عرينة — كجهينة ، قرى بنواحى المدينة فى طريق الشام ، وعن معاذ بن جبل قال : بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على قرى عرينة ، فأمرنى أن آخذ خط الأرض ، رواه أحمد والطبرانى فى الكبرى ، وقال الزهرى : قال عمر (ما أفاء الله على رسوله) الآية : هذه لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة قرى عرينة : فدك وكذا وكذا .

عرينة

ووجد على حجر بالحمى كما سبق : أنا عبد الله الأسود رسولُ عيسى بن مريم إلى أهل قرى عرينة .

العزاف — بالفتح وتشديد الزاى آخره فاء ، جبل بالدهناء ، قاله المجد ، وسيأتى شاهده فى المحيصر ، وقال المجد هناك : ومن العزاف إلى المدينة اثنا عشر ميلا ، وقال فى القاموس : إنه بوزن شدّاد وسَحَاب فيه عزيف الرعد ، ورمل لبنى سعد ، أو جبل بالدهناء على اثنى عشر ميلا من المدينة ، سمى بذلك لأنه كان يسمع به عزيف الجن ، وأبرق العزاف : ماء لبنى أسد يجاء من حَوْمَانة الدرّاج إليه ، ومنه إلى بطن نخل ، ثم الطرف، ثم المدينة ، انتهى . وفى الصحاح العزاف : رمل لبنى سعد ، ويسمى أبرق العزاف ، وهو قريب من زرود ، وفى النهاية عزيف الجن جرس أصواتها ، وقيل : هو صوت يسمع بالليل كالطبل ، وقيل : إنه صوت الرياح فى الجو فيتوهمه أهل البادية صوت الجن ، وعزيف الرياح : ما يسمع من دويها .

العزاف

عزوزى — عزوزى ـ بزايين معجمتين ، موضع بين الحرمين ، وفى ســـنن أبى داود « خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة نريد المدينة ، حتى إذا كنا قريباً من عزوزى نزل ، ثم رفع يديه فدعا الله ساعة ثم خرّ ساجداً » الحديث .

عسعس — عَسْعَس ـ كفر قد ، جبل بحمى ضرية تضاف إليه دارة عسعس .

عسفان — عسفان ـ بالضم ثم السكون و بالفاء ، كانت قرية جامعة بين مكة والمدينة ، على نحو يومين من مكة ، سميت بذلك لعَسْفِ السيول فيها ، وذكر الأسدى بها آبارا و بركا وعيناً تعرف بالعولاء .

عسيب — عسيب ـ جبل يقابل برأما ، فى شرق النقيع ، وهو أول أعلامه من أعلاه ، ونقل الهجرى عن بعضهم أن عليه مسجداً للنبي صلى الله عليه وسلم ، والمعروف بذلك إنما هو مقمل ، قال : وفيه يقول صخر ، ونسبه المجد إلى امرىء القيس :

أجارتَنَا إن الخطوبَ تنوبُ وإنى مقيمٌ ما أقام عسيب

قال المجد : وهو جبل بعالية نجد لهذيل .

عسية — عسية ـ بالفتح كدَنية ، موضع بناحية معدن القبلية ، و يروى بالغـــين والشين المعجمتين .

العش — العش ـ بالضم للغراب وغيره ، وذو العش : من أودية العقيق .

العشيرة — العشيرة ـ تصغير عشرة من العدد ، وذو العشيرة : من أودية العقيق ، قال عروة بن أذينة :

ياذا العُشَيْرَة هَيَّجْتَ الغَدَاةَ لنا شوقا ، وذكرتنا أيامنا الأوَلاَ

ما كان أحْسَنَ فيك العيشَ مرتبعاً غَضًا وأطْيَبَ فى آصالك الأصُلاَ

وذو العشيرة أيضاً : تقدم فى حدود الحرم شرقى الحَفياء ، وقال المطرى : نقب بالحفياء من الغابة ، وذو العشيرة أيضاً : موضع بالصّمان ينسب إلى عُشَرَةٍ فيه نابتةٍ ، قال الأزهرى : وذو العشيرة أيضاً : حصن صغير بين ينبع وذى المروة يفضل تمره على سائر تمر الحجاز إلا الصيحانى بخيبر والبرنى والعجوة بالمدينة ، قاله

أبو زيد ، وتقدم في المساجد ذو العشيرة بينبع ، وتقدمت غزوتها . وفي المغازي « باب غزو العشيرة ، أو العسيرة » بالشك بين إعجام الشين و إهمالها ، وعند أبي ذر « ذو العشيرة » بالمعجمة من غير شك ، ونقل عياض عن الأصيلي « العشيرة ، أو العَسِير » بفتح العين وكسر السين المهملة ، وعند القابسي في الأول « العَشِير » كالأول إلا أنه بغير هاء « أو العسر » كما للأصيلي في الثاني ، وقيل : العشيرة أو العشير ، بالشين المعجمة ، بلفظ التصغير ، ثم أضيف إليها « ذات » قال ابن إسحاق : ذات العشيرة من أرض بني مدلج ، أي الغزوة ، وقال فيها : حتى نزل العشيرة من بطن ينبع ، قال الحافظ ابن حجر : ومكانها عند منزل الحاج بينبع ، ليس بينها و بين البلد إلا الطريق .

العصبة

العُصْبة ـ بإسكان الصاد المهملة ، واختلف في أوله فقيل : بالضم ، وقيل : بالفتح ، وضبطه بعضهم بفتح العين والصاد معاً ، و يروى المُعَصَّب كمحمد ، منزل بني جحجبى ، غربي مسجد قباء ، وفي البخاري عن ابن عمر : لما قدم المهاجرون الأولون العُصْبة موضع بقباء قبل مَقْدم النبي صلى الله عليه وسلم كان يؤمهم سالم مولى أبي حذيفة ، وكان أكثَرَ قرآنا ، ثم أورده في الأحكام ، وزاد : وفيهم أبو بكر وعمر وأبو سلمة وزيد بن حارثة وعامر بن ربيعة ، واستشكل ذكر أبي بكر ، وأجاب البيهقي باستمرار إمامته حتى قدم أبو بكر فأمَّهُمْ أيضاً .

عصر

عِصْر ـ بالكسر ثم السكون ، و يروى بفتحتين ، جبل سلك عليه النبي صلى الله عليه وسلم لما خرج لخيبر ، كما سبق في المساجد ، وقال ابن الأشرف في حديث خيبر « سلكَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إليها على عَصَر » : هو بفتحتين جبل بين المدينة ووادي الفرع ، وعنده مسجد صلى به النبي صلى الله عليه وسلم ، انتهى ، وفيه نظر .

عظم

عظم ـ بفتحتين ، تقدم في أعظم . وأما ذو عُظُم بضمتين فمن أعراض خيبر ، فيه عيون ونخيل ، قال ابن هَرْمة :

أهاج صَحْبُكَ شيئاً من رَوَاحلهم ... بذى شناصير أو بالنعف من عظم

ويروى عَظَم بالتحريك .

عقرب ... عقرب ـ بلفظ عقرب الحشرات ، أُطم شامى الروحاء ، به بنو بياضة .

العقيان ... العقيان ـ بالكسر ثم قاف ومثناة تحت ، أُطم ببنى بيَاضة ، شامى أرض فراس مما يلى السبخة .

عقيربا ... عقيربا ـ مصغر عقرب ، مال كان لخالد بن عقبة شامى بنى حارثة .

العقيق ... العقيق ـ بالفتح ثم الكسر وقافين بينهما مثناة تحتية ساكنة ، تقدم أول الباب .

العلاء ... العلاء ـ بالفتح والمد بمعنى الرفعة ، أُطم أو موضع بالمدينة ، والعُلاَ ـ بالضم والقصر ـ بناحية وادى القرى ، تقدم فى مساجد تبوك .

العلم ... العلم ـ بالتحريك ، جبل فرد شرقى الحاجر يقال له أبان ، فيه نخل ، وفيه وادٍ لو دخله مائة أهل بيت بعد أن يملكوا عليهم المدخل لم يقدر عليهم أبدا ، وفيه مياه وزروع ، قاله ياقوت ، وكأن المراد بالحاجر حاجر الثنيا بطريق مكة ، وهذا الوصف مشهور عن جبل هناك لصبح .

العمق ... العَمْق ـ بالفتح ثم السكون آخره قاف ، وادٍ يصب فى الفرع ، ويسمى عمقين ، لبعض ولد الحسين بن على رضى الله تعالى عنهما ، وقيل : هو عين بوادى الفرع ، وسبق فى أودية العقيق أن ما دبر من ثنية عمق يصب فى الفرع ، والعمق أيضاً : منزل للحاج بين السليلة ومعدن بنى شريد ، وفى القاموس أنه كصُرَد ، وبضمتين ، أو بضمتين خطأ : منزل بين ذات عذق ومعدن بنى سليم .

العميس ... العَمِيس ـ بالفتح ثم الكسر وسكون المثناة تحت وسين مهملة ، وادٍ بين الفرش وملل ، قال ابن إسحاق فى المسير إلى بدر : ثم مر على تربان ، ثم على ملل ، ثم على عَمِيس الحمام من مريين ، ثم على صخيرات الثمام ، قال المجد : هكذا ضبطه ابن الفرات ، وعليه المحققون ، وقيل : إنه بالغين المعجمة .

عناب

عناب ــ بالضم وفتح النون آخره موحدة ، اسمُ الطريق المطروقة بين المدينة وفَيْد ، وقيل : جبل ، قال جرير :

أنكرت عهدك غير أنك عارف ... طَللاً بألوية العنــاب مُحيلا

العنابس

العنابس ــ بالفتح وكسر الموحدة ، مَزَارع فى جهة قبلة مسجد القبلتين .

العنابة

العنابة ــ بلفظ عناب بزيادة هاء ، قارة سوداء أسفل من الرويثة إلى المدينة ، وماءة فى ديار بنى كلاب على طريق كانت تسلك إلى المدينة ، كان زين العابدين ابن الحسين رضى الله تعالى عنهما يسكنها ، والمحدثون يشددون ، والعنابة أيضا : بركة ومكان قرب سميراء .

العناقة

العَنَاقة ــ بالقاف كسَحَابة ، موضع لغنى قرب ضرية ، وفى القاموس أنها ماءة لهم .

العواقر

العواقر ــ هضبات بالفرش شاهدها فى ضفر .

عوال

عُوَال ــ بالضم والتخفيف ، أحد الأجْبُل الثلاثة التى تكتنف الطريق ، على يوم وليلة من المدينة ، والآخران ظلم واللعباء ، قاله المجد ، وعبارة عرام : الطرف يكتنفه ثلاثة أجبال : ظلم ، وحزم بنى عوال ، وهما لغطفان ، وفى عوال آبار منها بئر لية ، ثم قال : والسد ماء سماء ، واللعباء ماء سماء ، فليس فيه أن اللعباء الجبل الثالث ، وظاهره أن حزم بنى عوال جبلان ، أوفى النسخة خلل ، ونقل ياقوت عن عرام أن حزم بنى عوال جبل لغطفان على طريق القاصد إلى المدينة فيه مياه آبار ، ثم قال : وعوال ناحية يمانية عن الحازمى .

العوالى

العوالى ــ تقدمت فى العالية .

عوسا

عوسا ــ تقدمت فى وادى رانوناء .

العويقل

العويقل ــ تصغير العاقل ، نقب بحزرة .

عير

عير ــ بالفتح وسكون المثناة تحت آخره راء حمار الوحش ، اسم للجبل الذى فى قبلة المدينة شرقى العقيق ، سبق فى حدود الحرم ، وفوقه جبل آخر يسمى باسمه ،

ويقال له عير الصادر ، وللأول عير الوارد ، ولهذا قال الزبير فى أودية العقيق :
ثم شعار الحمراء والفراة وعيرين ، قال : وفى عيرين يقول الأَحْوَص :

أَقْوَتْ رواوة من أسماء فالجد فالنعف فالسفح من عيرين فالسند

قال المجرى : إن سيل العقيق يُفْضِى لثنية الشريد ، ثم قال : ويحف الثنية شرقيا عير الوارد ، وغربيا جبل يقال له الفراة ، ثم يفضى إلى الشجرة التى بها المحرم، وسبق فى شوران قوله إن عرارا وعيرا جبلان أحمران ، وذكر ابن أذينة أيضاً عيرين فى شعر تقدم فى شوظا ، وقال عامر بن صالح الزبيرى فيما نقله الزبير :

قل للذى رام هذا الحى من أسد رمت الشوامخ من عير ومن عظم

ونقل أيضاً عن عمه مصعب الزبيرى من أبيات :

وعلى عير فما جاز الفرا وابل مار عليه واكتسح

وهذا يقدح فيما سبق فى حدود الحرم عن عياض أن مصعبا الزبيرى قال : لا يعرف بالمدينة جبل يقال له عير ولا ثور ، وتقدم فى فضل أحد حديث « أحد على ركن من أركان الجنة ، وعير على ركن من أركان النار » . وفى رواية لابن ماجه بإسناد وَاهٍ « إن أحدا جبل يحبنا ونحبه وهو على ترعة من ترع الجنة ، وعير على ترعة من ترع النار » .

العيص العيص ــ بالكسر ثم السكون وإهمال الصاد ، من الأودية التى تجتمع مع إضم ، وفى غزوة وَدَّان : وبعث النبى صلى الله عليه وسلم حمزة بن عبد المطلب إلى سيف البحر من ناحية العيص ، وفى حديث أبى بصير : خرج حتى نزل بالعيص من ناحية ذى المروة على ساحل البحر بطريق قريش إلى الشام ، وقال ابن سعد: سرية زيد بن حارثة إلى العيص على أربع ليال من المدينة وعلى ليلة من ذى المروة .

عينان عينان ــ تثنية العين كما فى المشارق والنهاية والقاموس ، ونقل عن الصغانى

وضبطه أولهم بكسر أوله ، قال المجد : وليس بثبت ، وضبطه المطرى بالفتح ثم السكون وكسر النون الأولى ، وسيأتى مستنده فى عينين ، وهو الجبل الذى كان عليه الرماة يوم أحد ، وفى ركنه الشرقى مسجد نبوى كما سبق فى مساجد المدينة وكانت قنطرة العين التى هناك عنده ، ولعل عين الشهداء كانت هناك أيضاً فسمى عينان ، وقيل : إن إبليس قام عليه يوم أحد ونادى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل .

وقال ابن إسحاق : وأقبلوا — يعنى المشركين — حتى نزلوا بعينين جبل ببطن السبخة من قناة على شفير الوادى مقابل المدينة .

عين إبراهيم

عين إبراهيم بن هشام — بفرش ملل .

عين أبى زياد

عين أبى زياد — فى أدنى الغابة ، كما فى خاتمة أودية المدينة .

عين أبى نيزر

عين أبى نَيْزَر — بفتح النون وسكون المثناة تحت وفتح الزاى ثم راء ، بينبع من صدقة على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه .

قال ابن شبة فيما نقل فى صدقته : وكانت أمواله متفرقة بينبع ، ومنها عين يقال لها : عين البحير ، وعين يقال لها : عين أبى نيزر ، وعين يقال لها : نولا ، وهى التى يقال : إن عليا رضى الله تعالى عنه عمل فيها بيده ، وفيها مسجد النبى صلى الله عليه وسلم وهو متوجه إلى ذى العشيرة ، وعمل على أيضا بينبع البغيبغات ، وفى كتاب صدقته أن ما كان لى بينبع من ماء يعرف لى فيها وما حوله صدقة وقفتها غير أن رباحا وأبا نيزر وجبيرا أعتقناهم وهم يعملون فى الماء خمس حجج ، وفيه نفقتهم ورزقهم ، انتهى ، وأبو نيزر : مولى على الذى تنسب إليه العين ، كان ابنا للنجاشى الذى هاجرَ إليه المسلمون ، اشتراه على وأعتقه مكافأة لأبيه .

وذكروا أن الحبشة مرج أمرها بعد النجاشى ، وأرسلوا إلى أبى نيزر ليملكوه ، فأبى وقال : ما كنت أطلب الملك بعد ما من الله على بالإسلام ، وكان من أطول الناس قامة وأحسنهم وجها .

وقال ابن هشام : صح عندى أن أبانيزر من ولد النجاشى ، فرغب فى الإسلام صغيرا ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وصار مع فاطمة وولدها .

قال أبو نيزر : جاءنى علىّ وأنا أقوم على الضيعتين عين أبى نيزر والبغيبغة فقال: هل عندك من طعام؟ وذكر قصة أكله وشربه ، قال :ثم أخذالمعول وانحدر فجعل يضرب ، وأبطأ عليه الماء ، فخرج وقد تصبَّبَ جبينُه عرَقا ، فانتكف العرق عن جبينه ، ثم أخذ المعول وعاد إلى العين ، فأقبل يضرب فيها وجَعَل يهمهم ، فسالَتْ كأنها عنق جزور ، فخرج مسرعا ، وقال : أشهد الله أنها صدقة ، علىّ بدَوَاة وصحيفة ، قال : فجئت بهما إليه ، فكتب وذكر الصدقة بالضيعتين البغيبغة وعين أبى نيزر ، على فقراء أهل المدينة وابن السبيل ، لا يُبَاعان ولا يُوهَبَان ، إلا أن يحتاج لها الحسن أو الحسين فهما طِلْق لهما ، وليس ذلك لغيرهما .

قال ابن هشام : فركب الحسينَ رضى الله تعالى عنه دَيْنٌ فحمل إليه معاوية بعين أبى نيزر مائتى ألف دينار ، فأبى أن يبيع .

عين الأزرق — عين الأزرق ــ وتسميها العامة العين الزرقاء ، تقدمت فى تتمة الفصل الأول من الباب السادس .

عين تحنس — عين تُحَنِّس ــ بضم المثناة فوق وفتح الحاء المهملة وكسر النون المشددة وسين مهملة ، كانت بالمدينة للحسين بن على رضى الله تعالى عنهما ، أستنبطها غلام له يقال له تحنس ، و باعها على بن الحسين رضى الله تعالى عنهما من الوليد أبن عقبة بن أبى سفيان بسبعين ألف دينار ، قضى بها دين أبيه الحسين إذ قُتِلَ وعليه هذا القدر .

عين الحديد — عين الحديد ــ بإضم .

عيون الحسين — عيون الحسين بن زيد بن على بن الحسين ــ وهى ثلاث بأعمال المدينة : إحداها بالمضيق ، والأخرى بذى المروة ، والثالثة بالسقيا .

روى أبو الفرج النهرواني عنه أنه نشأ في حجر أبي عبد الله جعفر الصادق ، فلما بلغ قال له : مايمنعك أن تتزوج من فتيات قومك ؟ قال : فأعرضت عن ذلك ، فأعاد ، فقلت : من ترى ؟ فقال : كلثوم بنت محمد بن عبد الله الأرقط ، فإنها ذات جمال ومال ، فأرسلت إليها ، فضحكت من رسولي وتعجَّبت من جرأتي على ذلك ، فأخبرت أبا عبد الله ، فألبسني ثوبين يمنيين مُعْلَمين ، ثم قال : تعرّض أن تمر بمنزلها واحرص على أن تعلم بمكانك ، فوقفت ببابها ، فأشرفَتْ فنظرَتْ إليّ وقالت : تَسْمَعُ بالمعيديِّ خير من أن تراه ، فأخبرت أبا عبد الله فقال : إذا شئتَ فتغيَّبْ عن المدينة أياما ، فغبت أتصيد ، ثم نزلت المدينة فإذا مَوْلاَةٌ لها أتتني فقالت : نحن نريدك للفرش وأنت تطلب الصيد ؟ قد جئتك غير مرة من سيدتي ، بعثت معي ألف دينار وعشرة أثواب وتقول لك : تقدم إذا شئْتَ فاخطبني وامهر بها فإن لك عِشْرَة جميلة ، فغدوت فملكتها وأمرتها بالتهيؤ ، ثم أخبرت أبا عبد الله ، فقال : تهيأ للسفر ، وإذا كان ليلة الخميس فادخل المسجدَ وسَلِّم على جدك ، ونحن ننتظرك ببئر زياد بن عبيد الله ، ففعلت ، فأتيته ، فأمر لي بثياب السفر ، وقال : استشعر تقْوَى الله ، وأحْدِثْ لكل ذنب توبة ، امْضِ فقد كتبت لك إلى معن بن زائدة ، وغيبتك ثلاثة أشهر إن شاء الله ، فإذا جئت صنعا فانزل منزلا وأتِ معناً ؟ ففعلت ماأمرني به ، ودخلت على معن بإذن عام ، فإذا به قاعداً والناس سماطان قياما ، فسلمتُ فردَّ وقال : مَنْ أنت ؟ فأخبرته ، فصاح : لا والله ، ما أريد أن تأتوني ، بابُ أمير المؤمنين أعْوَدُ عليكم من بابي ، فقلت : أستغفر الله من حُسْنِ الظن بك ، وانصرفت ، فأدركني رجل فقال : قد عَوَّضَكَ الله خيراً مما فاتك ، وآتاني ثلاثة آلاف دينار ، وسألني عما أحتاج إليه من الكسوة ، فكتبتها له ، فلما كان بعد العشاء دخل عليَّ معنُ بن زائدة وأكَبَّ على رأسي ويدي وقال : يا ابن سيدي وسادتي اعْذِرْني فإني أعرف ما أداري ، وأعطيته كتابَ أبي عبد الله ، فقبله وقرأه ، ثم أمر لي بعشرة آلاف

دينار ، ثم قال : أىُّ شىء أقْدَمَكَ ، فأخبرته خبرى ، فأمر لى بعشرة آلاف دينار أخرى وثلاث نجائب برحالها ، وكسانى ثلاثين ثوباوغيرها ، ثم وَدَّعنى، فقضيتُ حوائجى وقدمت مكة موافيا لعمرة رمضان ، فوافيتُ أبا عبد الله قَدِمَ مكة ، وسلمت عليه ، فقال : أصَبْتَ من معن بعد ماجبهك عشرين ألف دينار سوى ما أصبت من غيره ؟ قلت : نعم ، قال : فإن معنا جماعة كانوا يدعون الله لك ، فمر لهم شىء ، فقلت : ذاك إليك ، قال : كم فى نفسك أن تعطيهم ؟ قلت : ألف دينار ، قال : إذاً تُجْحِفُ بنفسك، ولكن فرق عليهم خمسمائة دينار وخمسمائة لمن يعتريك بالمدينة ، ففعلت ، وقدمت المدينة واستخرجت عينا بالمروة وعينا بالمضيق وعينا بالسقيا ، و بنيت منازل بالبقيع ،فترونى أؤدى شكر أبى عبدالله وولده أبدا؟ .

عين الخيف — عين الخيف — تأتى من عوالى المدينة فتسقى ما حول مساجد الفتح ، وهى متقطعة ، وفقرها ظاهرة تسمى اليوم بشبشب .

عين الرسول — عين رسول الله صلى الله عليه وسلم — تقدمت فى تتمة الفصل الأول من الباب السادس .

عين الشهداء — عين الشهداء — التى تقدم أن معاوية رضى الله تعالى عنه أجْرَاها ، وكانت تسمى الكاظمة ،غير معروفة ، و بقرب عينين مجرى عين فوقها ثنية تأتى من العالية ، والظاهر أنها غير عين الشهداء .

عين الغوار — عين الغوار — بالغين المعجمة ، بإضم .

عين فاطمة — عين فاطمة — سبق لها ذكر فى منازل يهود ، وأنها حيث كان يطبخ اللبن للمسجد النبوى ، و بالحرة الغربية قرب بطحان آرام كانت فى مطابخ للآجر قديما ، كما يظهر من رؤيتها ، وهناك بئر طويلة على هيئة قصب العين [؟] .

عين القشيرى — عين القشيرى — بطريق مكة ، بين السقيا والأبواء ، كثيرة الماء ، لها مشارع، يشرب منها الحاج ، وعليها نخل كثير ، كانت لعبد الله بن الحسن العلوى .

عين مروان — عين مروان — بإضم ، وكذا اليسرى .

عينين عينين – قال المجد : هو تثنية عين ، وتقدم آنفاً فى عينان ، لكن بعضهم يتلفظ به على هذه الصيغة فى جميع أحواله ، فإن الأزهرى ذكره مبتدئاً فقال : عينين – بفتحتين – جبل بأحد ، انتهى .

وكذا صنع عياض فى المشارق ، وهو يقتضى أنه بفتح العين والنون الأولى ، وإنما خالف ما سبق فى لزومه لذلك ، لكن المطرى ضبطه بفتح العين وكسر النون الأولى، فلعله كذلك فى كلام الأزهرى ، فلا يكون تثنية عين ، قال المجد: وضبطه بعضهم بكسر العين وفتح النون الأولى ، وليس بثبت .

حرف الغين

الغابة الغابة — قال فى المشارق : بالموحدة ، مال من أموال عوالى المدينة ، وهو المذكور فى السباق : من الغابة إلى كذا ، ومن أثل الغابة حتى يأتى أحداً من الغابة ، وفى تركة الزبير منها الغابة ، فقد صحف قديماً كثير هذا الحرف فى حديث السباق ، فقال : الغاية – أى بالمثناة تحت – فرده عليه مالك ، انتهى .

وقال الحافظ ابن حجر تبعاً له : الغابة من عوالى المدينة ، وزاد أنها فى جهة الشام ، انتهى . والغابة إنما هى فى أسفل سافلة المدينة ، لا يختلف فيه اثنان، ولهذا قال : إنها فىجهة الشام، وكيف تكون من عوَالى المدينة وهى مغيض مياه أوديتها كما سبق فى خاتمة الفصل الخامس ؟

وقال الهجرى : ثم تُفْضِى – يعنى سيول المدينة – إلى سافلة المدينة وعين الصورين بالغابة ، انتهى .

وهى معروفة اليوم فى سافلة المدينة ، وكان بها أملاك لأهلها استولى عليها الخراب ، وكان الزبير بن العوام رضى الله تعالى عنه قد اشتراها بمائة وسبعين ألفاً، وبيعت فى تركته بألف ألف وستمائة ألف .

وروى الزبير بن بكار عن عبيد الله بن الحسن العلوى قال : قال معاوية بن

أبي سفيان لعبد الرحمن بن أبي أحمد بن جحش ، وكان وكيله بضياعه بالمدينة ، يعني أودية اشتراها واعتملها ، فلبث ثم جاء فقال : قد وجدت لك أودية بجهة ، قال: قل ، قال : البلدة ، قال : لاحاجة لي بها ، قال : النخيل ، قال : لاحاجة لي به ، قال : رعان ، قال : لا حاجة لي به ، قال : الغابة ، قال : اشْتَرِها لي ، فقال له ابن أبي أحمد : ذكرت لك أودية لاتعرفها فكرهتها ، وذكرت لك وادياً لاتعرفه فقلت اشْتَرِه ، فقال : ذكرتُ البلدة فبلدت عليَّ والنخيل وكان مصغراً ورعان فنهتني عن نفسها والغابة فدلتني على كثرة مائها ، وقد قال الأول :

إن كنت تبغي العلم أو مثله   أو شاهداً يخبر عن غائب

فاخْتَبِرِ الأرض بأسمائها   واعتبر الصاحبَ بالصاحب

قلت : أخذ من لفظ الغابة كثرة مائها لأنها لغةً ذاتُ الشجرِ المتكاثف ، فتغيب ما فيها ، وذلك لكثرة الماء ، وعن محمد بن الضحاك أن العباس رضي الله تعالى عنه كان يقف على سلع فينادي غلمانه وهم بالغابة فيسمعهم ، وذاك من آخر الليل، و بينهما ثمانية أميال.

وقال المجد : الغابة على نحو بريد ، وقيل : ثمانية أميال من المدينة .

قلت : يحمل البريد على أقصاها ، وما بعده على أثنائها ، وأما أدناها فقدسبق في الحفياء .

وقال ياقوت : إن السباع وفدت على النبي صلى الله عليه وسلم بالغابة تسأله أن يفرض لها ما تأكله ، وروى ابن زبالة حديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قصر الصلاة بالغابة في غزوة ذي قرد .

ذات الغار ذات الغار — بئر عذبة كثيرة الماء على ثلاثة فراسخ من السوارقية ، وغار الآتي في شاهد مثعر هو من الصدارة نحو شرف السيالة شرقا ، والغار بأحد فوق المهراس ، لما سيأتي في المهراس .

الغبيب — بالضم تصغير غب ، اسمُ موضع مسجد الجمعة . **الغبيب**

ذو عُشث — كقُبُرَد بمثلثتين ، جبل بحمى ضرية . **ذو عشث**

غدير الأشطاط — بالفتح وشين معجمة وطاءين ، على ثلاثة أميال من عسفان **غدير الأشطاط** مما يلى مكة .

غدير خم — سبق فى الخاء المعجمة . **غدير خم**

غراب — بلفظ الطائر المعروف ، جبل شامى المدينة ، بينها و بين مخيض ، **غراب** وسبق عن المطرى فيما يجتمع مع السيول برومة .

وقال ابن زبالة فى المنازل : كان قوم من الأمم فيما بين مخيض إلى غراب الضائلة إلى القصاصين إلى طرف أحد .

وقال ابن إسحاق : خرج النبى صلى الله عليه وسلم من المدينة فسلك على غُرَاب جبل بناحية المدينة على طريق الشام ، ثم على مخيض ، ويقال فيه : غُرَابات بصيغة الجمع ، ومنه الحديث: حتى إذا كنا بغُرَابات نظر إلى أحد ، ويسمى اليوم غريبات — بالتصغير — قال المجد : و إياه أراد معن بن أوس بقوله :

فمندفع الغلان من جنب منشد فنعف الغراب خطبه وأساوده

قلت : قال الزبير فى أودية العقيق : ثم راية الغراب ، وفيها يقول معن بن أوس ، وذكر البيت ، وظاهره بعده عن هذا ، وغراب أيضاً : غدير فى طريق الرحضية على يوم من المدينة .

غران — بالضم والتخفيف ، اسم وادى الأزرق ، خلف أمج بميل ، كما سبق إليه . **غران**

وقال المجد : هو علم مرتجل لوادٍ ضخم وراء وادى ساية ، ويقال له أيضاً : رهاط .

قال ابن إسحاق : غَرَان وادٍ بين نخل وعسفان إلى بلد يقال له ساية ، وغران : منازل بنى لحيان ، وسبق فى رهاط عن صاحب المسالك والممالك عَدُّه فى توابع المدينة ومخاليفها .

ذو الغراء ذو الغَرَاء – بالفتح ممدوداً ، بعقيق المدينة ، له ذكر فى شعر أبى وجرة .

غرة غرة — بالضم والتشديد ، بلفظ غرة الفرس لبياض بجهته ، اسمُ أطُم موضعه منارة مسجد قباء ، وكأنه يروى بالعين المهملة أيضاً ؛ لأن المجد ذكره فيهما .

غزة غزة – بالفتح وتشديد الزاى ، منزل بنى خطمة عند مسجدهم ، شبهوها بغزة الشام لكثرة أهلها .

غزال غزال – بلفظ واحد الظباء ، وادٍ يأتى من ناحية شَمَنْصِير سكانه خزاعة .

غشية غشية – بالفتح وكسر المعجمة وتشديد المثناة تحت ، موضع بناحية معدن القبلية ، وروى بمهملتين .

ذو الغصن ذو الغصن – بلفظ غصن الشجرة ، من أودية العقيق .

غضور غضور – كجعفر والضاد معجمة آخره راء ، موضع بين المدينة و بلاد خُزَاعة وكنانة ، وقال ياقوت : هى بين مكة والمدينة بديار خزاعة .

ذو الغضوين ذو الغَضَوَيْن – محرك بلفظ تثنية الغضى ، قال ابن إسحاق فى سفر الهجرة : ثم تبطَّنَ بهما الدليلُ مرجحا من ذى الغضوين ، ويقال : من ذى العصوين بالمهملتين .

غمرة غمرة – بالفتح ثم السكون ما يغمر الشىء ويعمه ، اسمُ موضع بطريق نجد، أغزاه النبى صلى الله عليه وسلم عُكاشة بن محصن ، وسماه ابن سعد « غمر مرزوق» بغير هاء ، قال : وهو ماء لبنى أسد .

الغموض الغموض – بلفظ الغموض بالضم والضاد المعجمة ، حصن بنى الحقيق بخيبر، وقيل : هو قوص – بالقاف والصاد المهملة – وهو أقرب .

غميس غَميس – كأمير والسين مهملة ، تقدم فى العين المهملة .

الغميم الغميم– بالفتح، موضع بين رابغ والجحفة ، قاله نصر، سمى برجل اسمه الغميم، أقطعه رسول الله صلى الله عليه وسلم أوفى بن موالية ، وشرط عليه إطعام ابن السبيل

والمنقطع،وكتب له كتاباً فى أديم ،قاله المجد هنا ، وأحال عليه[فى]« كراع الغميم» لكن الأسدى ذكر كراع الغميم فيما بين عسفان ومر الظهران ، وقال عياض : إن الغميم وادٍ بعد عسفان بثمانية أميال ، والكراع : جبل أسود بطرف الحرة يمتد لهذا الوادى .

قلت : ويؤيده قول ابن هشام : الغميم بين عسفان وضجنان.

الغور الغَوْر ـ بالفتح ثم السكون ، كل ما انحدر مغرباً عن تهامة وما بين ذات عرق إلى البحر ، وسمى الغور الأعظم ، وموضع بديار بنى سليم ، وما سال من أرض القبلية إلى ينبع .

غول غول ـ كجول ، جبل غربى حِلّيت ، سبق شاهده فيه، وبه نخل ليس بالقليل.

غيقة غيقة ـ بالفتح ثم السكون ثم قاف وهاء ، موضع بساحل البحر قرب الجار ، يصب فيها وادى ينبع ورضوى ، قاله عرام .

وقال السكونى : هو ماء لبنى غفار .

وقال ابن السكيت : غَيْقَة : أحساء على شاطىء البحر فوق العذيبة ، وغيقة أيضاً : بظهر حرة النار لبنى ثعلبة بن سعد ، أو سُرَّةُ وادٍ لهم .

حرف الفــــاء

فارع فارع ـ بالراء والعين المهملتين كصاحب ، أطُم كان فى موضع دار جعفر بن يحيى بباب الرحمة ، وجاء جلوس النبى صلى الله عليه وسلم فى ظله ، وفارع أيضاً : قرية بأعلى ساية بها نخيل وعيون .

فاضجة فاضجة ـ بكسر الضاد المعجمة وفتح الجيم ، مال بالعالية معروف اليوم بناحية جفاف ، كان به أطم لبنى النضير عامة ، وفاضجة أيضا : وادٍ من شُعَبَى إلى ضَرية، قاله الهجرى ، وفاضجة : انفضاج أى انفراج من الأرض بين جبلين أو جبال .

فاضح — فاضح — بكسر الضاد ثم حاء مهملة ، جبل قرب ريم ، وواد فى الشريف من بلاد بنى العير .

فج الروحاء — فج الروحاء — بالفتح ثم الجيم ، بعد السيالة ، مرّ به النبى صلى الله عليه وسلم غير مرة .

فحلان — فحلان — بلفظ تثنية الفحل ، موضع بجبل أحد ، وفى القاموس فحلان — بالكسر — موضع فى أحد .

الفحلتان — الفحلتان — قنتان مرتفعتان على يوم من المدينة ، بينها و بين ذى المروة عند صحراء يقال لها : فيفاء الفحلين ، لها ذكر فى مساجد تبوك ، وغزاة زيد بن حارثة لبنى جُذَام .

فدك — فدك — بالفتح و إهمال الدال ثم كاف ، تقدمت فى الصدقات ، قال عياض : هى على يومين —وقيل : ثلاثة — من المدينة ، واقتصر المجد على الأول ، واستغرب عدم معرفة أهل المدينة لها اليوم ، وكنت أيضا أستغرب به لشهرتها وقربها ، حتى رأيت كلام ابن سعد فى سرية على رضى الله تعالى عنه إلى بنى سعد بن بكر بفَدَك ، فنقل أنه بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لهم جمعا يريدون أن يمدوا يهود خيبر ، فبعث إليهم عليا رضى الله تعالى عنه فى مائة رجل ، فسار الليل وكَمَنَ النهار حتى انتهى إلى العجم وهو ما بين خيبر وفدك ، و بين فدك والمدينة ست ليال ، فوجد به رجلا ، فسألوه عن القوم ، فقال : أخبركم على أن تؤمنونى ، فأمنوه ، فدلهَّم ، فأغاروا عليهم ، وأخدوا خمسمائة بعير وألفى شاة ، وهربت بنو سعد بالظعن ، انتهى .

وسبق قول الأصمعى : حرة النار فدك ، انتهى .

وكان أهلها يهود ، فلما فتحت خيبر طلبوا من النبى صلى الله عليه وسلم الأمان على أن يتركوا له البلد ، فكانت له خاصة ، لأنها مما لم يُوجَفْ عليه بخيل ولا ركاب ، وفى رواية : أنهم صالحوه على النصف ، وأن عمر رضى الله تعالى عنه لما

أجلاهم بعث من قوَّمها وعوَّضهم من نصفها ، ويجمع بأن الصلح وقع عليها كلها واستعملهم النبي صلى الله عليه وسلم فيها بشَطْر ثمارها كخيبر ، فمن روى الصلح على الشطر نظر لما استقر عليه الأمر في الثمار .

قيل : وسميت بفَدَك بن حام ؛ لأنه أول من نزلها .

الفراء

الفراء ـ بالراء والمدّ كالغراب ، وجاء في الشعر مقصورا ، جبلٌ غربي عير الوأرد ، بينهما ثنية الشريد ، وسبق شاهده ، وفي القاموس : ذو الفراء موضع عند عقيق المدينة .

فرش ملل

فرش ملل ، والفُرَيش مصغره ـ معروفان قرب ملل ، يفصل بينهما بطن واد يقال له مثعر ، كان بهما منازل وعمائر ، كان كثير بن العباس ينزل فرش ملل على اثنين وعشرين ميلا من المدينة .

الفرع

الفرع ـ بضم أوله وسكون ثانيه ثم عين مهملة ، وقال السهيلي : هو بضمتين ، قاله المجد ، والثاني هو الذي اقتصر عليه في المشارق ، وقال في التنبيهات : كذا قيده ابن سيد الناس ، وكذا رويناه ، وذكر عبد الحق عن الأجدل أنه بإسكان الراء ، ولم يذكره غيره ، انتهى . واقتضى ترجيح مانقله المجد عن السهيلي ، لكن قال ابن سيد الناس في غزوة نجران : قال ابن إسحاق : ثم غزا يريد قريشا حتى بلغ نجران معدنا بالحجاز من ناحية الفرع ، قال : والفرع بفتح الفاء والراء قيده السهيلي ، انتهى . فاقتضى أنه عند السهيلي محرك بالفتح ، والمحرك بالفتح من أودية الأشعر قرب سويقة ، بينها و بين مثعر ، على مرحلة من المدينة ، وهو فرع المسور بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف الزهري على مانقله الهجري ، وأما الفرع الذي هو بضمتين أو بضمة وسكون ونجران من ناحيته فيما يظهر فهو كما قال عياض عمل من أعمال المدينة ، واسع به مساجد للنبي صلى الله عليه وسلم ومنابر وقرى كثيرة .

وقال المجد : الفرع عن يسار السقيا على ثمانية برد من المدينة ، و بها منبر ونخل ومياه كثيرة ، وهي قرية غَنَّاء كبيرة ، وأجل عيونها عينان غزيرتان : إحداها

الربض ، والأخرى النجف ، يسقيان عشرين ألف نخله ، وهى كالكورة ، فيها عدة قرى ، سبقت فى آره .

قال السهيلى : يقال ، هى أول قرية مَارَتْ إسماعيلَ وأمه التمر بمكة .

فريقات — فريقات — بلفظ جمع مصغر فرقة ، من أودية العقيق ، وهن عقد يدفعن فى هلوان .

الفضاء — الفضاء — بفتح الفاء والضاد المعجمة و بالمد ، وقال الصغانى : بالقصر ، موضع بالمدينة ، قاله المجد ، وفضاء بنى خطمة تقدم فى منازلهم ، و يُفْضِى إليه سيل بطحان و به يلتقى سيل مهزور ومذينب ، وهو بقرب الماجشونية .

فعرى — فعرى — بسكون العين المهملة كَسَكْرَى ، وقيل : بكسر الفاء ، جبل يصب فى وادى الصفراء .

الفغوة — الفغوة — بسكون الغين المعجمة ، قرية بلحف جبل آرة .

الفقار — الفقار — تقدم ذكره فى حرزة بالحاء المهملة ، وأظنه المعروف اليوم بالفقرة .

الفقير — الفَقِير — ضد الغنى ، اسم موضعين قرب المدينة يقال لهما : الفقيران ، وعن جعفر الصادق رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم أقطع عليا رضى الله تعالى عنه أربع أرضين : الفقيرين ، و بئر قيس ، والشجرة ، وقيل : الفقير اسم بئر بعينها ، قاله المجد ، و بعالية المدينة حديقة تعرف بالفُقَير بالضم تصغير الفقير بالفتح ، ونقل ابن شبة فى صدقة على رضى الله تعالى عنه أن منها الفقيرين بالعالية ، وأنه ذكر أن حسنا أو حُسَينا باع ذلك ، فتلك الأموال متفرقة فى أيدى الناس . ثم حكى كتاب الصدقة نصا ، ولفظه : والفقير لى كما قد علمتم صدقة فى سبيل الله . ثم ذكر تسويغ البيع لكل من الحسن والحسين دون غيرهما ، وسبق فى الصدقات مكاتبةُ سلمانَ سيدَه القرظى على أن يُحْيِى له ذلك النخل بالفقير ، فالظاهر أنه المعروف اليوم بالفقير قرب بنى قريظة ، وإن كان أصله مكبرا فقد صغروه كما صغروا الشجرة فيقولون فيها « الشجيرة » كما سبق .

الفلجان — بالضم ثم السكون ثم جيم ، اسم أرض سقيا سعد بالحرة الغربية . الفلجان

فلجة — بالفتح ثم السكون وفتح الجيم ، من أودية العقيق كما سبق ، قال الزبير: الفلجة
وفيها يقول أبو وجرة السعدى :

إذا تربعت ما بـــين الشريق إلى روض الفلاج أولاتِ السَّرْح والعنب
واحْتَلّتِ الجوّ فالأجراع من مرج فـالها من مـــلاحات ولا طلب

فعلم أن المراد بالفـــلاج جمع فلجة المذكور بعد حذف تائه ، و به صرح ياقوت ، فقال : فلجة موضع بعقيق المدينة بعد الصوير سماها أبو وجرة الفلاج ، انتهى . وغاير المجد بينهما واستشهد للفلاج ، وقال : هى ككتاب رياض بنواحى المدينة جامعة للناس أيام الربيع ، و بها مسايل تجتمع فيها مياه المطر ، ومنها غدير يقال له المختبى ، قال : ومرج واد بين فدك والوابشة .

قلت : فى غدران العقيق مرج ، لـكنه بالزاى . ولعله المراد فى شعر أبى وجرة و بالعقيق مختبيات فليج الثلاثة ، لـكن ذكر عرام السوارقية وقبة الحجر ثم قال : وهناك واد يقال له ذو رولان لبنى سليم فيه قرى ، ثم قال : وبأعلى هذا الوادى رياض تسمى الفلاج ، وذكر ماقاله المجد ، إلا أنه لم يستشهد بالشعر .

فليج : كزبير تصغير فلج بالـكسر أو الفتح ، من العيون التى تجتمع فيها فُيُوضُ أودية المدينة ، قال هلال بن سعد المازنى : فليج

أقول وقد جاوَزْتُ نقمى وناقتى تحنُّ إلى جنبى فليج مع الفجر

وهو يقتضى أنه بالضم .

فنيق — بالفتح وكسر النون ثم مثناة تحتية وقاف ، موضع قرب المدينة . فنيق

فويرع — أطم بمنازل بنى غنم من بنى النجار . فويرع

فيفاء الخبار — تقدم فى الخبار من الخاء المعجمة . فيفاء الخبار

فيفاء الفحلين — فى الفحلتين . فيفاء الفحلين

حرف القاف

القائم القائم ـ كصاحب ، مال لبنى أنيف ، معروف فى قبلة قباء من المغرب .

القار القار ـ قرية من قرى المدينة كما فى العباب .

القاحة القاحة ـ بفتح الحاء المهملة ثم هاء ، على ثلاث مراحل من المدينة كما فى البخارى ، وهى قبـل السقيا لجهة المدينة بنحو ميل ، قاله المجد ، قال الحافظ ابن حجر وغيره : ويقال لواديها : وادى العباديد ، وتقدم عن الأسدى أنه يقال له : وادى العائد ، وهو لبنى غفار ، وقال عياض : القاحة واد بالعباديد ، رواه الناس بالقاف إلا القابسى والهمدانى فبالفاء وهو تصحيف ، وفى حديث الهجرة : أجاز القاحة ، قال المجد : الأشهر فيـه القاف ، وروى بالفاء ، وقال عرام : وفى ثافل الأصغر ماء فى دارة فى جوفه يقال له القاحة ،وظاهر إيراد المجد[له]هنا أنه بالقاف، والذى رأيته فى نسختين من كتاب عرام بالفاء والجيم .

القاع القاع ـ موضع مسجد بنى حرام غربى مساجد الفتح ، وقال المجد : هو أطم البلويين ، عنده بئر عذق ، وما علمت مأخذه فيه ، والقاع أيضاً : بطريق مكة ، وقاع النقيع : بديار سليم .

قباء قباء ـ بالضم والقصر وقد تمد ، وأنكر البكرى القصر؛ وقال النووى : المشهور الفصيح فيه المد والتذكير والصرف ، وقال الخليل : هو مقصور قرية بعوالى المدينة وقال ابن جبير : مدينة كبيرة كانت متصلة بالمدينة المقدسة ، والطريق إليها من حدائق النخل ، وفى الأحاديث مايقتضى أن منها العصبة و بئر غرس ، فيظهر أن ذلك حدها من المغرب والمشرق ، وآبار عماراتها كثيرة ممتدة فى جهة قبلة مسجدها، ولم أقف على شىء فى حدها الشامى مما يلى المدينة إلا ما سيأتى فى المسافة بينهما ، وفى منازل بنى عمرو بن عوف من الأوس ، قال المجد تبعاً للمشـارق : وهى فى الأصل اسم بئر هناك عرفت القرية بهـا ، ومأخذه قول ابن زبالة : كان بقباء

شخص من يهود له أُطُم بها يقال له عاصم ، كان فى دار ثوبة بن حسين بن السائب ابن أبى لبابة ، وفيه البئر التى يقال لها قباء ، وقال المراغى ومن خطه نقلت : و إنما سميت قباء ببئر كانت بها تسمى هبارا ، فتطيروا منها فسموها قباء كما نقله ابن ز بالة ، انتهى . ولعله سقط من النسخة التى وقفت عليهـا من كتاب ابن ز بالة لأنى رأيته بخط الأقشهرى : قال ابن ز بالة : حدثنى عبدالرحمن بن عمرو العجلانى قال : إنما سميت قباء ببئر كانت بها يقال لها قبار ، فتطيروا منها ، فسموها قباء ، وكانت البئر فى دار ثوبة بن جسين بن أبى لبابة ، انتهى . وقتار فى خط المراغى بالمثناة فوق ، وفى خط الأقشهرى بالباء الموحدة ، قال المجد : وهى على ميلين من المدينة ، وهو قول الباجى ، ونقله النووى عن العلمـاء ، وعبر بمنازل بنى عمرو بن عوف ، وفى مشارق عياض : هى قرية بالمدينة على ثلاثة أميال منها ، وعبر عنه الحافظ ابن حجر بقوله : هى على فرسخ من المسجد النبوى بالمدينة .

قلت : وقد اختبرته من عتبة باب المسجد النبوى المعروف بباب جبريل إلى عتبة مسجد قباء ، فكانت مساحة ذلك بذراع اليد المتقدم وصفه فى حدود الحرم سبعة آلاف ذراع ومائتى ذراع ، تزيد يسيرا ، وذلك ميلان وخمسا سبع ميل على المعتمد من أن الميل ثلاثة آلاف ذراع ، فالأصوب هو الأول ، و إن صحح المطرى الثانى ، ونسب إلى عياض الأول .

وفضائل قباء ومآثرها تقدمت فى مسجدها .

وقباء أيضا : قرية كبيرة لمحارب وعامر بن ربيعة وغيرهم ، بها آبار ومزارع ونخيل ، ذكرها عرام فى ناحية أفاعية ومران ، وذكرها الأسدى فى طريق ضرية إلى مكة على نحو أربع مراحل من ذات عرق ، وذلك بجهة الموضع المعروف اليوم بكشب .

قباب — كغراب ، من آطام المدينة ، قاله الصغانى ، وقال ياقوت : هو قبابة كصبابة .			قباب

القبلية

القبلية ـ بفتحتين مثال عَرَبية ، كأنه نسبة إلى القَبَل محركا ، وهو النشز من الأرض يستقبلك ، وفى القاموس أنها بالكسر والتحريك وإليها تضاف معادن القبلية ، قال عياض وتبعه المجد : هى من نواحى الفرع ، وفى النهاية: هى ناحية من ساحل البحر بينها وبين المدينة خمسة أيام ، وقيل : هى من ناحية الفرع ، وهو موضع بين نخلة والمدينة ، انتهى . وقال الزمخشرى : القَبَلية سراة فيما بين المدينة وينبع ، ماسال منها إلى ينبع سمى بالغَوْر ، وما سال منها إلى المدينة سمى بالقبلية ، وحدها من الشام مابين الخبء ـ وهو من جبال بنى عراك من جهينة ـ وما بين شرف السيالة ، أرض يطؤها الحاج ، وفيها جبال وأودية ، انتهى . ويؤيده أن مايذكر أنه بالقبلية ماهو معروف اليوم أنه بهذه الجهة ، فالفرع الذى عمل فيه قرى ليست القبلية منه ، وبالجهة التى ذكرها الزمخشرى فرع المسور بفتحتين كما سبق ، فالظاهر أنه المراد ، ويؤيده أن الزبير نقل عن محمد بن المسور أنه كان بفرع المسور ابن إبراهيم ، قال : فرأى فراس المزنى جبلا فيه عروق مَرْو ، فقال : إن هذا المعدن فلو علمته ، قال محمد بن المسور : فقلت: مالك وله ؟ إنما هو ابتعنا مياهه وقطع لنا سائره أبان بن عثمان فى إمارته ، فقال المزنى : عندى أحق من ذلك قطيعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، و قال محمد: فرجعت إلى إبراهيم فذكرت له ذلك ، فقال : صدق إن يكن معدنا فهو لهم ، قطع لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم معادن القبلية غوريها وجلسيها ، يشير إلى حديث « أقطع بلالَ بن الحارث المزنى معادن القبلية غوريها وجلسيها ، وذات النصب وحيث صلح الزرع من قدس » وفى رواية « وثنايا عمق » وفى رواية عقب وجلسيها: عشبة وذات النصب وحيث صلح الزرع من قدس إن كان صادقا .

قلت : والجلسى نسبة إلى الجَلْس ، وهو أرض نجد ، يقال لكل مرتفع من الأرض جَلْس ، والغَوْر : ما انهبط من الأرض ، فالمراد أنه أقطعه جميعَ تلك الأرض نجدها وغورها .

قدس

قُدْس : بالضم وسكون الدال المهملة ، قال الهجرى : جبال قُدْس غربى ضاف من البقيع ، وقدس : جبال متصلة عظيمة كثيرة الخير تنبت العَرْعَر والحزم ، وبها تين وفواكه وفراع ، وفيها بستان ومنازل كثيرة من مزينة ، وسبق أن صدور العقيق ما دفع فى النقيع من قدس ، وذكر الأسدى أن الجبل الأيسر المشرف على عين القشيرى يقال له قدس ، أوله فى العرج وآخره وراء هذه العين ، وقال عرام : ورقان ينقاد إلى الجىّ بين العرج والرويثة ، ويفلق بينه وبين قدس الأبيض ثنية بل عقبة يقال لها ركوبة ، وقدس هذا ينقاد إلى المتعشى بين الفرع والسقيا ، ثم يقطع بينه وبين قدس الأسود عقبة يقال لها حمت ، والقدسان جميعا لمزينة .

القدوم

القدوم — كصَبور ، جبل . قال المدائنى : قناة واد يمر على طرف القَدُوم فى أصل قبور الشهداء بأحد ، قال الزمخشرى : وقَدُوم أيضا ثَنِيه بالسَّراة ، وموضع من نعمان ، واسم مختتن إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام ، قال عياض : وأما طرف القَدُوم فى حديث الفريعة فلم يختلف فى فتح القاف فيه ، وقالوه بتخفيف الدال وتشديدها ، قال ابن وضاح : هو جبل بالمدينة ، وأما الذى فى حديث أبى هريرة « قدوم ضان » مفتوحا مخففا فثنية من جبل ببلاد دوس .

قديد

قُدَيد — كزُبَير ، قرية جامعة بين مكة والمدينة كثيرة المياه ، قاله البكرى ، والمسلك الذى كان به شاه الطاغية ثنية مشرفة عليه ، ويضاف إليه طرف قديد بطريق مكة.

قديمة

قديمة — بالضم ثم الفتح كجُهَينة ، جبل بالمدينة ، شاهده سبق فيما قيل فى العقيق من الشعر .

قراضم

قراضم — بالضم وكسر الضاد المعجمة ، موضع بنواحى المدينة ، قال ابن هَرْمَة :

فأجزاع كفت فاللِّوَى فقراضم   تناجى بليـــــل أهله فتحملوا

قراقر — قراقر ـ بالفتح وقافين ، موضع من أعراض المدينة لآل حسين بن على بن أبى طالب .

القرائن — القرائن ـ ثلاث دور اتخذها عبد الرحمن بن عوف رضى الله تعالى عنه ، فدخلت فى المسجد ، وقيل : ثلاث جنابذ له .

قران — قران ـ بالضم وتشديد الراء ، وادٍ بين مكة والمدينة إلى جنب أُبلىٰ .

قرح — قرح ـ بالضم ثم السكون ، سوق وادى القرى ، يضاف إليه صعيد قرح ، قاله المجد ، ومقتضاه أن يكون بالراء ، لكنه بخط المراغى فى مساجد تبوك بفتح الزاى ، وكان به سوق فى الجاهلية ، وقيل : بهذه القرية كان هلاك عاد قوم هود عليه الصلاة والسلام ، وقال عبد الله بن رَوَاحة :

جلبنا الخيل من آجام قُرْحٍ تُغَرُّ من الحشيش لها العُكُومُ

قرد — قَرَد ـ بفتحتين ، وذو قرد : ما انتهى إليه المسلمون فى غَزَاة الغابة ، ولهذا أضيفت الغزوة إليه أيضا ، قال ابن الأثير: هو بين المدينة وخيبر ، على يومين من المدينة ، وقال عياض : هو على نحو يوم من المدينة مما يلى بلاد غَطَفَان ، وقال أبان بن عثمان صاحب المغازى : ذو قَرَد ماء لطلحة بن عبيد الله اشتراه فتصدق به على مارة الطريق ، قاله المجد ، والذى سبق فى بيسان ورواه المجد فيه أن النبى صلى الله عليه وسلم مر فى غزاة ذى قَرَد على ماء يقال له بيسان ، وذكر ما سبق فيه ، وشراه طلحة وتصدق به .

قردة — قردة ـ كسجدة ، ويقال بالفاء : ماء من مياه نجد ، كان به سرية زيد بن حارثة ، ومات بها زيد الخيل ، قاله مغلطاى .

القرصة — القرصة ـ محركة والصاد المهملة ، ضيعة لسعد بن معاذ ، تقدمت فى مساجد المدينة .

قرقرة الكديد — قرقرة الكديد ـ ستأتى فى الكاف ، والقرقرة أيضا : بخيبر ، سلك بهم الدليل يوم خيبر صدور الأودية فأدركتهم الصلاة بالقرقرة ، فلم يصل رسول الله

صلى الله عليه وسلم حتى نزل بين الشق و نَطَاة ، وفى مغازى ابن عقبة فى قتل ابن رزام اليهودى : فلما بلغوا قرقرة تياز وهى من خيبر على ستة أميال ، وذكر قتله مع أصحابه .

القرية — القرية ــ مصغر كسُمَيَّة ، موضع قرب المدينة ، قال ابن هَرْمَةَ :

انظر لعلك أن ترى بسُوَيْقَةٍ   أو بالقُرَيَّةِ دون مغنى عاقل

القرى — القرى ــ جمع قرية يضاف إليها وادى القرى الآتى ، وسبق فى العين قرى عرينة .

قسيان — قسيان ــ كعثمان بمثناة تحتية ، وقُسَيَّان مصغرة : من أودية العقيق .

قشام — قشام ــ كغراب بالشين المعجمة ، جبل على أيام من المدينة ، قال جبيهاء لزوجته فى قصة طلبها سكنى المدينة :

إن المدينة لا مدينة فالزمى   حقف الستار وفيئة لقشام(١)

قصر إسماعيل — قصر إسماعيل بن الوليد ــ على بئر إهاب ، سبق فيها .

قصر إبراهيم — قصر إبراهيم بن هشام ــ دون بنى أمية بن زيد ، ولعله بالناعمة التى له .

قصر بنى حديلة — قصر بنى حُدَيلة ــ بضم الحاء المهملة ، تقدم فى بيرحاء .

قصر خارجة — قصر خارجة بن حمزة ــ بالعرصة ، وسائر قصور العقيق تقدمت فيه .

قصر خل — قصر خل ــ بالخاء المعجمة ، ويعرف اليوم بحصن خل ، غربى بطحان .

قال ابن شبة : وأما قصر خل الذى بظاهر الحرة على طريق رومة فإن معاوية أمر النعمان بن بشير ببنائه ليكون حصنا لأهل المدينة ، ويقال : بل أمر به معاويةُ مروانَ بن الحكم وهو بالمدينة ، فولاه مروانُ النعمانَ بن بشير ، وفيه حجر منقوش فيه: لعبد الله معاوية أمير المؤمنين مما عمل النعمان بن بشير ، و إنما سمى قصر خل لأنه على الطريق ، وكل طريق فى حرة أو رمل يقال له : خل ، انتهى .

وروى ابن زبالة فى بيرحاء عن أبى بكر بن حزم أن معاوية رضى الله تعالى

(١) فى معجم ياقوت « وقنة الأرجام » .

عنه بنى قصر خل ليكون حِصْناً ، لما كان يحدث أنه يصيب بنى أمية ، وإنما سمى قصر خل لأنه بُنى على خل من الحرة فقيل له : لو كان كوزماء ما بلغوه حتى يقتطعوا دونه ،فلما شرى بيرحاء بنى قصر بنىحُدَيلة فى موضعها ؛ للذى كان يخاف من ذلك ، وكان قصر خل فى بعض السنين سجناً .

قصر ابن عراك

قصر ابن عراك — بجهة مقبرة بنى عبد الأشهل بطريق أحد .

قصر ابن عوان

قصر ابن عوان — كان بالمدينة ، وكان ينزل فى شقه اليمانى بنو الجذماء من اليمن قبل الأوس والخزرج ، قاله ياقوت عن نصر .

قلت : وهو الذى قبله ، إلا أن النسخة التى وقعت لنا من كتاب ابن ز بالة « ابن عراك » ولفظه : كان بنو الجذماء مابين مقبرة بنى عبد الأشهل و بين قصر ابن عراك ، انتهى .

قصر ابن ماه

قصر ابن ماه — أسفل من بئر هجيم .

قصر مروان

قصر مروان بن الحكم — قرب الصورين والصدقات النبوية ، وفى تلك الجهة مواضع تعرف بالقصور ، كل حائط منها يضاف لمسالكه .

قصر نفيس

قصر نفيس — بفتح النون وكسر الفاء رجل من موالى الأنصار ، وقصره بحرة واقم على ميلين من المدينة .

قصر بنى يوسف

قصر بنى يوسف موالى آل عثمان — أسفل من قصر مروان مما يلى النقال والنقيع .

ذو القصة

ذو القصة — بالفتح وتشديد الصاد ، موضع على بريد من المدينة تلقاء نجد ، خرج إليه أبو بكر رضى الله تعالى عنه فقطع الجنودَ وعقدالألوية ، قاله المجد ، وقال الأسدى : إنه على خمسة أميال من المدينة ، وقال نصر : أربعة وعشرين ميلا ، وقال ابن سعد : سرية محمد بن مسلمة إلى بنى ثعلبة و بنىعوال، وهم بذى القصة ، بينه و بين المدينة أربعةوعشرون ميلا،[على]طريق الربذة،وذو القصة أيضاً:موضع

بين ز بالة والشقوق ، دون الشقوق بميلين ، فيه قُلُب للأعراب يدخلها ماء السماء ، وليس هو من عمل المدينة ، فإنه قبل فيد بأيام بجهة العراق .

القصيبة

القصيبة — بالضم وفتح المهملة وسكون المثناة تحت وفتح الموحدة ، وادٍ بين المدينة وخيبر ، وسيأتي في وادي الدوم .

ذو القطب

ذو القطب — بالضم وسكون الطاء المهملة ، من أودية العقيق .

القف

القف — بالضم والتشديد ، أصله ما ارتفع من الأرض وغلظ ، وكان فيه إشراف على ما حوله وأحجار كالإبل البُرُوك ، وقد تكون فيه رياض وقيعان ، وهو عَلَمٌ لوادٍ من أودية المدينة فيه أموال لأهلها ، وسبق له ذكر في زهرة ، وكان بنو ماسكة مما يلي صدقة النبي صلى الله عليه وسلم لهم الأُطمان اللذان في القف في القرية ، كما سبق ، وسبق أن حَسْناء أَحَدَ الصدقات بالقف تشرب بمهزور ، وأن الظاهر أنها الموضع المعروف بالحسينيات ، ويؤيده أن الحسينيات في شامي المشربة بقربها ، وهي من القف ، قال الزبير فيما نقله ابن عبد البر : إن مارية ولدت إبراهيم عليه السلام بالعالية في المال الذي يقال له اليوم مشربة أم إبراهيم بالقُفّ ، وأسند أن النبي صلى الله عليه وسلم كان له قطعة غنم ترعى بالقُفّ تروح على مارية .

وروى أبو داود عن ابن عمر : أن نَفَراً من اليهود دَعَوْا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى القف ، فأتاهم في بيت المِدْرَاس ، وقد سبق بيان بيت المِدْرَاس في مسجد المشربة .

وفي الموطأ أن رجلا من الأنصار كان يصلي في حائط بالقف ، وادٍ من أودية المدينة في زمان التمر والنخل ، قد ذللت فهي مطوقة بتمرها ، فنظر إليها فأعجبه ما رأى من تمرها ، ثم رجع إلى صلاته فإذا هو لا يدري كم صلى ، فقال : لقد أصابني في مالي هذا فتنة ، فجاء عثمان وهو خليفة ، فذكر له ذلك ، فقال : هو صدقة فاجعله في صدقة الخير ، فباعه عثمان بخمسين ألفا ، فسمى ذلك المال « الخمسين » .

و بقرب الحسينيات مال يعرف بالثمين ، بمعنى كثير الثمن ، فلعله هو فغير اسمه .

القلادة | القلادة ـ بلفظ قلادة العنق ، جبل من جبال القبلية .

قلهى | قلهىّ ـ بفتحتين وكسر الهاء و بالياء المشددة ، حفيرة قرب المدينة لسعد ابن أبى وقاص ، اعتزل بها بعد قتل عثمان ، وأمر أن لا يُحَدَّثَ بشيء من أخبار الناس حتى يصطلحوا .

وقال ابن السكيت : قَلَهِىّ مكان به ماء لبنى سليم ، وفى أبنية كتاب سيبويه قلهيا و برديا ، قالوا فى تفسيره : قلهيا حفيرة لسعد بن أبى وقاص ، وقال كثير :

ولكن سقى صوب الربيع إذا أتى ‏ ‏ إلى قلهيا الدار والمتخيا

قلهى | قَلهى ـ بفتحات كجَمَزَى ، وحكى بعضهم سكون لامه ، قرية بوادى ذى رولان لبنى سليم ، قاطبة ، وهى التى عنى ابن السكيت ، وأنشد لزهير :

إلى قَلَهى تكون الدار منا ‏ ‏ إلى أكناف دومة والحجون

بأودية أسافلهن روض ‏ ‏ وأعلاها إذا خفنا حُصُون

وقال ياقوت : وأما قَلْهى بسكون اللام فقال عرام : بالمدينة وادى ذى رولان به قرى منها قلهى ، وهى كثيرة ، وقلهى فى قول زهير :

إلى قلهى تكون الدار منا ‏ ‏ إلى أكناف مكة والحجون

فإنى أظنه موضعا آخر ، انتهى .

القموص | القَمُوص ـ كصبور بالصاد المهملة ، جبل بخيبر ، كذا فى العباب ، وقيل : حصن ، وقيل : جبل عليه حصن لبنى الحقيق اليهودى ، وهو أصوب ، وقيل : الحصن بالغين والضاد المعجمتين ، وذكر موسى بن عقبة فى غزوة خيبر أن اليهود دخلوا حصنا لهم منيعا يقال له القَمُوص ، فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قريبا من عشرين ليلة ، ثم ذكر خروج مَرْحَب و إعطاء الراية لعلى وقَتْلَ مَرْحَب .

قناة | قناة ـ أحد أودية المدينة المتقدمة .

قنيع | قنيع ـ بالضم وفتح النون ثم مثناة تحتية ، تقدم فى حمى ضرية .

القواقل | القواقل ـ بقافين ، أطم بطرف منازل بنى سليم مما يلى العصبة .

القويع القويع ـ بالفتح والموحدة ، من أودية العقيق .

قوران قوران ـ وادٍ يصب فى الحرة ، يبطنه قرية تسمى الملحاء من قرى السوارقية فيه مياه آبار كثيرة عذاب ونخل .

قورى قورى ـ كسكرى ، تقدم فى بعاث ، والظاهر أنه الحائط المعروف اليوم بقوران شرقى المدينة أسفل الدلال ، لما سبق فى بعاث .

قينقاع قَيْنُقَاع ـ بالفتح ثم سكون المثناة تحت وضم النون وكسرها وفتحها ثم قاف وألف وعين مهملة ، شَعْب من يهود يضاف إليهم سوق بنى قَيْنُقَاع لأنه كان بمنازلهم كما سبق .

حرف الكاف

كاظمة كاظمة ـ بالظاء المعجمة ، قال ابن مرزوق فى شرح البردة : رأيت ولا أتحقق الآن محله أن كاظمة موضع بقرب المدينة المشرفة ، وقال الأصمعى : يخرج ـ أبى مريد مكة ـ من البصرة إلى كاظمة فيسير ثلاثا ، وماؤها ملح صلب ، انتهى .
وقال ياقوت بعد ذكر ماقاله الأصمعى : وكاظمة أيضا موضع ذكره أبو زياد .

قلت : ولعله الذى عناه ابن مرزوق .

كبا كبا ـ بالفتح والتشديد مقصور كحَتّى ، موضع ببطحان ، قال الكلبى : كان بالمدينة مخنث يقال له البغاشى ، فقيل لمروان : إنه لا يقرأ من القرآن شيئا ، فاستقرأه أم القرآن ، فقال : والله ما أقرأ بناتها ، فكيف الأم ؟ فقال مروان : أتهزأ بالقرآن ؟ وأمر به فضربت عنقه بموضع يقال له كبا فى بطحان .

كتانة ـ بالضم ثم مثناة فوقيه وألف ونون مفتوحه وهاء ، عين بين الصفراء والأثيل لبنى جعفر بن أبى طالب .

كتيبة كتيبة ـ بلفظ كتيبة الجيش ، وقال أبو عبيد : بالثاء المثلثة ، حصن بخيبر ، كان خمس الله وسهم رسوله صلى الله عليه وسلم وذوى القربى واليتامى والمساكين

وطعم أزواج النبى صلى الله عليه وسلم وطعم رجال مَشَوْا بين رسول الله صلى الله عليه وسلم و بين أهل فدك فى الصلح .

وقال الواقدى بعد ذكر فتح الشق والنطاة : ثم إن النبى صلى الله عليه وسلم تحول إلى الكتيبة بالوطيخ والسلالم ، حصن ابن أبى الحقيق الذى كانوا فيه فتحصنوا أشد التحصن ، وجاءهم كل فَلّ انهزم من النطاة والشق فتحصنوا معهم فى القموص وهو فى الكتيبة ، وكان حصناً منيعا فى الوطيخ والسلالم ، وذكر محاصرة النبى صلى الله عليه وسلم لهم أربعة عشر يوما ، وهمُّهُ بنصب المنجنيق ، وسؤالهم الصلح على حقن دماء مَنْ فى حصونهم وترك الذرية لهم ، ويخلون مالهم من مال وأرض والصفراء والبيضاء والكراع والحَلْقة والبز إلا ثوبا على ظهر إنسان .

كدر كدر ـ بالضم جمع أكدر يضاف إليه « قرقرة الكدر » والقرقرة : أرض ملساء ، والكدر : طير فى لونه كدرة ، يسمى بذلك موضع بناحية المعدن قرب الرحضية .

وفى طبقات ابن سعد : قرقرة الكدر ـ ويقال : قرارة الكدرة ـ بناحية معدن بنى سليم قريب من الأرحضية ، وراء سد معاوية ، خرج إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم لجمع من سُليم ، فوجد الحى خلوفا ، فاستاق النعم ، ولم يلق كيدا ، وبلغها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة السويق يطلب أبا سفيان ، وكان سلك النجدية بعد أن أحرق صورا بالعريض .

وقال ابن إسحاق فى غزوة بنى سُلَيم : فبلغ صلى الله عليه وسلم ماء من مياههم يقال له الكدر ، فأقام عليه ثلاث ليال .

وقال عرام : فى حرم بنى عوال مياه آبار ، منها بئر الكدر ، وذلك بجهة الطرف ، قال كثير :

سَقَى الكُدْرَ فاللعباء فالبرق فالحمى ... فكود الحصى من يعملين فأظلما[1]

(١) فى معجم ياقوت « فلوذ الحصى من تغلمين فأظلما »

الكديد ـ بالفتح ودالين مهملتين بينهما مثناة تحت ساكنة ، وادٍ قرب النخيل يقطعه الطريق من فيد إلى المدينة ، على ميل منه مسجد تقدم ، وقال بعضهم : هو قرب نخل ، والمعروف اليوم ما سبق . والكديد أيضا : عين بعد خليص بثمانية أميال لجهة مكة يمنة الطريق . الكديد

كراع الغميم ـ فى الغين المعجمة . كراع الغميم

الكر ـ بالضم ، جزيرة على البحر المالح على ستة أميال من الجحفة . الكر

كشب ـ بالمعجمة ككتب ، جبل أسود تعرف به ناحيته ، وبها ينزل أمراء المدينة أحيانا . كشب

الكِفَاف ـ بالكسر ، موضع قرب وادى القرى . الكفاف

كفت ـ بالفتح ثم السكون ، من نواحى المدينة ، شاهده فى قرى إضم . كفت

كفتة ـ بزيادة هاء فى آخره ، اسم لمقبرة بقيع الغرقد ؛ لأنها تسرع البلى كما سبق عن الواقدى فى الفصل الخامس من الباب الخامس ، وقال المجد : سميت به لأنها تكفت الموتى ، أى تحفظهم وتحرزهم . كفتة

الكلاب ـ بالضم مخففا آخره موحـــدة . ماء بناحية حمى ضرية ، قال الفرزدق : الكلاب

مـــلوك منهمُ عمرو بن عمرو وسفيان الذى ورد الكلاَبَا

أى سفيان بن مجاشع ، كان يوم الكُلاَب أول الناس وَرَدَه .

كلاف ـ بالضم آخره فاء ، وادٍ من أعمال المدينة . كلاف

كلب ـ أُطمٌ من آطام المدينة ، ورأس الكلب : جبل . كلب

كُلَيّة ـ تصغير كلية ، قرية بطريق مكة ، وقال الأسدى : وعلى اثنى عشر ميلا من الجحفة إلى القاع بها بئر مالحة يقال لها كلية ، فتحها ذراعان وعندها حوانيت كلية

كملى ـ ككسرى ، اسم بئر ذروان ، قال ابن الكلبى فى رواية قصة السحر عن ابن عباس : تحت صخرة فى بئر كملى ، قاله المجد . كملى

كنس حصين — كَنْسُ حُصَيْنُ — بالفتح وسكون النون و إهمال السين ، وحُصَين : تصغير حصن ، أطم كان عند المهراس بقباء .

كواكب — كواكب — بضم الكاف الأولى وقد تفتح ، وكسر الثانية، جبل بين المدينة وتبوك ، سبق فى مساجدها ، وقال أبو زياد الكلابى : الكواكب جبال عدة فى بلاد أبى بكر بن كلاب .

كوثر — كوثر — جبل بين المدينة والشام،وقرية بالطائف، وكان الحجاج الثقفى مُعَلماً بها

كومة — كومة أبى الحمراء الرابض — كومة تراب كأنها آطام قريبة من ثمغ فى شامى المدينة ، وآخر بطن مهزور كومة أبى الحمراء ، ثم تصب فى قناة كما سبق ، ولعلها كومة المدر .

كوير — كُوَيْر — كزبير ، جبل بضرية .

الكويرة — الكويرة — كالذى قبله بزيادة هاء ، من جبال القَبَلية .

كيدمة — كيدمة — بالفتح وسكون المثناة تحت وفتح الدال المهملة والميم ثم هاء ، سهم عبد الرحمن بن عَوْف رضى الله تعالى عنه من أموال بنى النضير ، تقدمت فى بئر أريس ، فى الأوسط للطبرانى بإسناد حسن أن عبد الرحمن بن عوف باع كيدمة من عثمان بأربعين ألف دينار ، وأنه قسم ذلك بين بنى زهرة وفقراء المسلمين وأزواج النبى صلى الله عليه وسلم .

حرف اللام

لأى — لأى — بوزن لعا ، من نواحى المدينة ، قال ابن هرمة :

حىّ الديار بمسند فالمنتضى   فالهَضْب هضب رواوتين إلى لأى

اللابتان — اللابتان — تثنية لابة وهى الحرة ، وهما حرتا المدينة الشرقية والغربية ، وقال الأصمعى : اللابة الأرض التى ألبست الحجارة السود .

لأى — لأى — كلَحْى بهمزة ساكنة ثم ياء ، من أودية العقيق ، وقال المجد : موضع بالعقيق ، وهو غير لأى المذكورة أولا ، قال مَعْنُ بن أوس :

تغير لأىٌ بعدنا فعتائده   فذو سَلَم أنشاجه فسواعده

لحيا جمل

لحيا جمل ــ بالفتح ثم السكون تثنية لحى وهما العظمان اللذان فيهما الأسنان السفلى ، وجمل : بالجيم للبعير ، وروى « لحى جمل » بالإفراد ، وروى بكسر اللام ، والفتح أشهر ، وسبق بيانه فى مسجد « لحى جمل » من مساجد طريق مكة ، ولحيا جمل أيضا : جبل بطريق فيد على ستة أميال من الأحرجة ، قال الأسدى : سميا بذلك لأنهما نشزا وامتدا واقترب ملتقاهما ، فشبها باللحيين ، وقال المجد فى جمل : ولحى جمل أيضا بين المدينة وفيد على عشرة فراسخ من فيد ، ولحى جمل أيضا : موضع بحران وتثليث ، ولحيا جمل بالتثنية : جبلان بالمدينة فى ديار قشير .

لظى

لظى ــ بالقصر والفتح من أسماء النار ، وذات لظى : منزل ببلاد جُهَينة فى جهة خيبر ، ويقال « ذات اللظى » أيضا .

اللعباء

اللعباء ــ بالموحدة ممدودا ، موضع كثير الحجارة بحزم بنى عوال ، قاله فى القاموس ، وسبق فى عوال ما يخالفه ، وقال ياقوت : لعباء ماء سماء فى حزم بنى عوال ، جبل لغطفان فى أكناف الحجاز ، واللعباء : أرض غليظة بأعلى الحمى لبنى زنباع من بنى أبى بكر بن كلاب .

لعلع

لعلع ــ بعينين مهملتين ، جبل قرب المدينة ، وجبل بمكة ، وماء بالبادية ، ومنزل بين البصرة والكوفة .

لفت

لفت ــ بالفتح ؛ وقيل : بالكسر ، وقيل : بالتحريك ، ثنية بطريق مكة إلى المدينة أقرب ، وقيل : وادٍ بجنب هَرْشَى .

لقف

لقف ــ بالكسر وسكون القاف ثم فاء ، آبار عذبة ليس عليها مزارع ولا نخل ، بأعلى قوران وادٍ بناحية السوارقية ، وفى لقف ولفت وقع الخلاف فى حديث الهجرة ، وكلاهما صحيح ، هذا موضع وذاك آخر ، قاله المجد ، والصحة من حيث وجود الموضعين مُسَلمة ، لكن ناحية السوارقية ليست فى طريق الهجرة .

اللوى

اللوى ــ بالكسر والقصر كإلى ، أطم ببنى بياضة ، ووادٍ بمنازل بنى سليم ،

وموضع بين رملة الدملول و بين الجريب على أربعين ميلا من ضرية ، وسبق له شاهد فى حرة النار ، وقال بعضهم :

لقد هاج لى شوقا بكاء حمامة　　ببطن اللوى ورقاء تصرخ بالفجر
هَتُوف تبكى ساقَ حُرٍّ ولا ترى　　لها عَبْرَةً يوما على خدها تجرى

حرف الميم

المابة — مال لبنى أنيف بقباء ، كان بينه و بين القائم أطمان لهم .　(المابة)

الماجشونية — نسبة إلى الماجشون ، علم معرب ، مال بوادى بطحان بقربه تربة صعيب .　(الماجشونية)

المثب — مهموز كمنبر والثاء مثلثة ، فى اللغة : ما ارتفع من الأرض ، وكذا الأرض السهلة ، وهو اسم لإحدى صدقات النبي صلى الله عليه وسلم ، كما سبق فيها ، وفى القاموس : هو جبل أو موضع كان به صدقة النبي صلى الله عليه وسلم .　(المثب)

قلت : ووقع فى كتاب يحيى ميثم بميم فى آخره بدل الموحدة والأول أصوب .

وقال ياقوت : إنه بكسر الميم والياء الساكنة والمثلثة والباء الموحدة ، ومقتضى كلامه أنه غير مهموز ، فإنه أورده أواخر الحرف فى الميم مع الياء المثناة تحت .

المأثول — بضم المثلثة آخره لام ، من نواحى المدينة .　(المأثول)

مَبْرَك — كمَقْعَد ، مكان بركت فيه راحلة النبي صلى الله عليه وسلم ببنى غنم عند مسجده ، وهو معروف اليوم بالمدرسة الشهابية التى بنيت فى موضع دار أبى أيوب كما سبق فى الفصل الحادى عشر من الباب الثالث ، ومبرك أيضا: نقب يخرج من ينبع إلى المدينة ، عرضه نحو أربعة أميال أو خمسة ، تنسب إليه ثنية مبرك ، وهو معروف اليوم ، و إياه عنى كثير بقوله :　(مبرك)

* فقد جعلت أشجان برك يمينها *

قال المجد : الأشجان المسائل ، و برك ههنا : نقب يخرج إلى المدينة ، وذكر ما تقدم ، قال : وكان يسمى مبركا ، فدعا له النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال ابن السكيت فى قول كثير :

إليك ابن ليلى تمتطى العيس صحبتى ترامى بنا من مبركين المثاقل

أراد مبركا ومناخا فَثَنى ، وهما نقبان ينحدر أحدهما على ينبع بين مضيق يلبل وفيه طريق المدينة ، ومناخ على قفا الأشعر .

مبضعة — بالضاد المعجمة ، بين الجى والرويثة ، قال ابن عاديا :

ولم أر غيرهن مجلجلات كأن ببطن مبضعة كلابا

مُتَابِع — بالضم والمثناة فوق ، جبل عن يمين أمرة بحمى ضرية ، وقال ياقوت : متالع بضم الميم وكسر اللام : ماء شرقى الظهران عند الفوارة فى جبل القنان ، والظهران : جبل فى أطراف القنان ، وهو غير الوادى الذى قرب مكة .

مثعر — بالمثلثة والعين المهملة كمقعد ، ويروى بالغين المعجمة ، من أودية القَبَلية بين الثاجة وحورة ، ويدفع فيما بين الفرش والفريش ، قال ابن أذينة :

عفا بعدنا ذات السليم فمثعر ففرق فما حول الجراديج مقفر

مثقب — بالكسر ثم السكون وفتح القاف ثم موحدة ، اسم الطريق التى بين المدينة ومكة ، قيل : سمى باسم رجل من أشراف حمير ، بعثه بعض ملوكها على جيش فَسَلَكه ، ومنقب أيضا : طريق مكة إلى الكوفة ، وعن الأصمعى فتح ميمه .

المجتهر — تقدم فى حدود الحرم .

المجدل — أطم بمزرعة تقابل سقاية سليمان بن عبد الملك ، وقال ياقوت : هو بالفتح ثم السكون وفتح الدال المهملة منزل لهذيل

مجر — بالفتح ثم السكون ثم راء ، غدير كبير بين هضبات ببطن قوران حول الملحاء بناحية السوارقية ، ويقال للهضبات : ذو مجر .

المحضة — بالحاء المهملة من المحض للخالص ، قرية بلحف جبل آرة .

محنب — بالضم ثم الفتح وكسر النون المشددة ثم موحدة ، بئر وأرض بناحية طريق العراق .

المحيصر — تصغير المحصر من الحصار ، موضع قرب المدينة ، قال جرير :

بين المحيصر والعـــزاف منزلة   كالوحى من عهد موسى فى القراطيس

محيص — بالفتح ثم الكسر والصاد المهملة كمليك ، موضع بالمدينة ، قال الشاعر :

اسْلُ عَمَّنْ سلا وصالك عَمْداً   وتصابى وما به مِنْ تَصَابِ

ثم لا تنسها على ذاك حتى   يسكن الحى عند بئر رئاب

فإلى ما يلى العقيق إلى الجما وسلع   ومسجد الأحزاب

فمحيص فواقـــم فصؤار   فإلى ما يلى حجاج غراب

المخاضة — بالخاء المعجمة ، بقاع فى حوزة اليمانية .

مخايل — بالضم وكسر المثناة تحت آخره لام ، من أودية العقيق ، وقال الحلصى : مُخايل ثلاث عقد ، فالعلياء تصب فى أفلس ، والثنتان على حضير ، قال نمير مولى عمر :

ألا قالت أثيلة إذ رأتنى   وحلو العيش يذكر فى السنين

سكنت مُخَايلا وتركت سَلْعا   شقاء فى المعيشة بعد لين

المختبى — غدير بالفلاج من وادى ذى رولان ، سمى بذلك لأنه بين عَضَاه وسلم وسدر وجلاف ، وإنما يؤتى من طرفه دون جنبيه ، لأن له حرفين لا يقدر عليه من جهتهما ، قاله عرام ، ومختبيات فليح : تقدمت فى غدر العقيق .

مخرى — بالضم ثم الفتح وكسر الراء المشددة اسم فاعل من خرّاه إذا أسلحه ، اسم لأحد جبلى الصفراء ، واسم الآخر مسلح ، ولذلك كره النبى صلى الله عليه وسلم المرور بينهما كما سبق . وسبب تسميتهما بذلك أن عبد الغفار كان يرعى بهما

غنما فرجع يوما من المراعى فقال له سيده : لم رجعت ؟ فقال : هذا الجبل مسلح للغنم ، وهذا مخرى لها .

مخيض

مخيض ـ بلفظ مخيض اللبن ، جبل سلك عليه النبى صلى الله عليه وسلم ثم على غُرَاب ، وسبق فى حدود الحرم .

المدارج

المدارج ـ عقبة العرج ، قبله بثلاثة أميال مما يلى المدينة ، قاله الأسدى ، وبها ثنية الغاير وركوبة ، وقال الأصمعى : طرف تهامة من جهة الحجاز مدارج العرج ، وإذا تصوبت من ثنايا العرج فقد أتهمت ، وقال ذو البجادين فى رجزه وقد سلكها مع النبى صلى الله عليه وسلم :

تعرضى مَدَارجا وسُومى   تَعَرُّضَ الجوزاء للنجوم

* هذا أبو القاسم فاستقيمى *

مدجج

مدجج ـ بالضم وتشديد الجيم المكسورة كما فى النهاية ، من « دجّج » إذا لبس السلاح ، وادٍ بطريق مكة ، زعموا أن دليل رسول الله صلى الله عليه وسلم سلكه فى سفر الهجرة .

مدران

مدران ـ يضاف إليه « ثنية مدران » فى مساجد تبوك ، ذكره المجد هنا على الصواب ، ثم أعاده فى مردان بتقديم الراء على الدال ، وقال : إنه اسم للموضع المذكور .

المدرج

المدرج ـ بفتح الراء المشددة من « دَرَّجَه » إذا رفعه دَرَجَةً بعد أخرى ، اسم مُحْدَث لثنية الوداع ، قاله المجد بناء منه على أنها من جهة طريق مكة ، فجعلها الثنية التى تنحدر على العقيق .

مدعى

مِدْعى ـ بالكسر ثم السكون والعين مهملة مقصورة ، وقيل : الذال معجمة ، ماء لبنى جعفر بن كلاب بناحية ضرية ، وقال الهجرى : وادى مِدْعى يصبُّ فى ذى عثث ، وذو عثث من أكرم مياه الحمى ، وقال العامرى : مدعى ورقا ما آن لغنى بينهما ضحوة ، وبمدعى بئر لبنى جعفر ، قال الشاعر :

فَلَنْ تَرِدِي مدعى ، ولن تردى رقا　　ولا النقر إلا أن تخــلى الأمانيا
ولن تسْمَعِى صوت المهيب عشيةً　　بذى عُشَث يدعو القِلَاصَ الشواليا

مدين　　مدين — نقل المقريزى عن محمد بن أسهل الأحول أنها من أعراض المدينة مثل فدك والفرع ورهاط ، قال المقريزى : ومدين على بحر القُلْزُم تحاذى تَبُوك على نحو ست مراحل ، وهى أكبر من تبوك ، وبها البئر التى استقى منها موسى عليه الصــلاة والسلام لسائمة شعيب وعمل عليها بيتاً ، انتهى .

المذاد　　المذاد ـ بالفتح ثم ذال معجمة وآخره مهملة من « ذَادَه » إذا طرده ، اسمُ أُطم لبنى حَرَام من بنى سلمة غربى مسجد الفتح ، به سميت الناحية ، وعنده مزرعة تسمى بالمذاد ، قال كعب بن مالك يوم الخندق :

مَنْ سَرَّه ضَرْب يرعبل بعضه　　بعضاً كمعمعة الأباء المحْرَق
فليأتِ مأسَدَة تســل سيوفها　　بين المَذَاد وبين جزع الخندق

المذاهب　　المذاهب ـ موضع بنواحى المدينة .

مذينب　　مذينب ـ تصغير مذنب ، تقدم فى الأودية .

المرابد　　المرابد ـ جمع مربد ، موضع بعقيق المدينة ، قال معن بن أوس :

فذات الحماط خرجها وطلوعها　　فبطن العقيق قاعه فمرابده[1]

كذا أورده المجد ، والذى فى كتاب الزبير .

* فبطن النقيع قاعه فمرابده *

مراخ　　مراخ ـ بالضم آخره خاء معجمة ، سبق فى أودية العقيق مما يلى القبلة فى المغرب ، ويقال له « مراخ الصحرة » وبئر معروف اليوم .

المراض　　المراض ـ كسَحَاب ، موضع بناحية الطرف على ستة وثلاثين ميلا من المدينة ، قاله ابن سعد ، ويضاف إليه « روضات المراض » ويروى بكسر الميم .

(١) فى معجم ياقوت « فبطن البقيع » .

مران

مران ـ بالفتح وتشديد الراء آخره نون ، وحكى ضم أوله ، موضع على ثمانية عشر ميلا من المدينــة ، كذا قال عياض ، وقال المجد : مران فى كتاب مكة ، يعنى « مرّ الظهران » المتقدم فى مساجد طريق مكة بقربها ، فإنه يقال فيه « مران » فكأنه ينكر مقالة عياض ، لـكن فى عمل المدينة مران أيضاً ، و إن لم يكن على المسافة التى ذكرها عياض ، فقد سبق فى الجموم أنه بين قباء ومران ، وليست قباء التى بالمدينة ، بل بجهة أفاعية قرب معدن بنى سُلَيم ، قال عرام : مران قرية غَنَّاء كبيرة كثيرة العيون والآبار والنخل والمزارع على طريق البصرة لبنى هلال وجزء لبنى ماعز(١) ، و بها حصن ومنبر ، وفيها يقول الشاعر :

مررنا على مران يوماً فلم نَعُجْ ... على أهل آجام به ونخيــل

ثم ذكر قباء .

قلت : وهى بالجهة المعروفة اليوم بكشب .

المراوح

المراوح ـ بالفتح جمع مروح ، أطم بقباء كان لثابت من بنى ضبيعة .

المربد

المربد ـ بالـكسر ثم السكون ثم موحدة مفتوحة ودال مهملة ، تقدم فى بناء المسجد النبوى أنه كان مِرْبَداً ، وكذا مسجد قباء ، والمرابد كثيرة بالمدينة .

مربد النعم

مربد النعم ـ تيمم ابن عمر عنده كما فى البخارى ، وترجم عليه بالتيمم فى الحضر ، ورواه الشافعى بسند صحيح بلفظ أن ابن عمر أَقْبَل من الجرف حتى إذا كان بالمربد تيمم وصلى العصر ، فقيل له : أتتيمم وجُدْرَان المدينة تنظر إليك ؟ فقال : أو أحيا حتى أدخلها ؟ ثم دخل المدينة والشمس حية مرتفعة ولم يُعِدِ الصلاة .

وقال المجرى : مربد النعم على ميلين من المدينة ، وقال غيره : على ميل ، وهو الأقرب ، قال الواقدى فى الاصطفاف فى وقعة الحرة على أفواه الخنادق :

(١) فى أصل هذا الـكتاب « لبنى هلال وجسر وبنى ماعر » تحريف مضحك .

كان يزيد بن هرمز فى موضع ذباب إلى مربد النعم معه الدُّهْم من المَوالى وهو يحمل رايتهم ، قال الواقدى : ومربد النعم كانت النعم تحبس فيه زمن عمر ابن الخطاب .

مربع مربع — كمنبر ، أطم فى بنى حارثة .

مرتج مرتج — بالفتح ثم السكون وكسر المثناة فوق آخره جيم ، وادٍ قرب المدينة لحسن بن علىّ رضى الله تعالى عنهما ، وقيل : موضع قرب ودان .

مرجح مرجح — بجيم مفتوحة ثم حاء مهملة، موضع بطريق مكة، وقال ابن إسحاق فى سفر الهجرة : ثم سلك بهما الدليلُ مرجح مجاج ، ثم تبطّن بهما مرجحاً من ذى العضوين، ثم بطن كشد ، ثم على الجداجد، ثم ذكر الأجرد وذا سلم وتعهن.

وكان المنذر بن ماء السماء الملك نزل على مراد مُرَاغماً لأخيه عمرو بن هند ، فتجبر عليهم فقتله المكشوح المرادى ، وقال :

نحن قَتَلْنَا الكَبْشَ إذ ثرنا به   بالخل من مرجح قمنا به[؟؟]

وقال قيس بن مكشوح لعمرو بن معدى كرب :

وأعمامى فَوَارسُ يوم لحج   ومرجح إن شككت ويوم شام

مرحب مرحب — بالحاء المهملة كمقعد ، طريق سلكه النبى صلى الله عليه وسلم لخيبر ، وكان الدليل انتهى به إلى موضع وقال : إن لها طرقا تؤتى منها كلها ، فقال : سَمِّها لى ، فقال : طريق يقال لها حزن ، قال : لا تسلكها ، قال : طريق يقال لها شاش ، قال : لا تسلكها، قال: طريق يقال لها حاطب ، قال: لا تسلكها، ما رأيت كالليلة أسماء أقبح ، قال : لها طريق واحدة لم يبق لها غيرها اسمها مرحب فقال : نعم اسلكها .

ذو المرخ ذو المرخ — بالخاء المعجمه وسكون الراء ، موضع قرب ينبع بساحل البحر .

ذو مرخ — بفتحتين وقد تسكن الراء ، وادٍ بين فدك والوابشية ، قال الحطيئة: ذو مرخ

ماذَا تقولُ لأفرَاخٍ بذى مَرَخٍ زُغْبِ الحواصل لا ماء ولا شجر

وأورد المجد هنا شاهد فلجة المتقدم فيها ، والظاهر أن الذى فيه إنما هو مزج الآتى غير أنه حرك الزاى ، لكن قال ياقوت : ذو مرخ بفتح الراء والخاء المعجمة بالعقيق ، قال الزبير: مرخ وذو مرخ فى العقيق ، وأنشد لأبى وجزة :

واحتلت الجو فالأجراع من مرخ

وأنشد لابن المولى المدنى :

هل تذكرين بجنب الروض من مرخ يا أملح الناس وَعْداً شـفنى كمدا

مروان — تثنية مَرْو للحجارة البيض البراقة ، جبل بأكناف الربذة ، مروان وقيل : حصن .

ذو المروة — بلفظ أخت الصفا، على ثمانية بُرُد من المدينة كما سبق فى مساجد ذو المروة تَبُوكَ ، وقال المجد : هى قرية بوادى القرى ، وهو مأخوذ من قول ياقوت : ذو المروة قرية بوادى القرى ، على ليلة من أعمال المدينة ، ثم قال المجد : وقيل: بين ذى خشب ووادى القرى .

قلت : كونها بين ذى خشب ووادى القرى المشهور هو المعروف ، لكن أهل المدينة اليوم يسمون القرى التى بوادى ذى خشب « وادى القرى » فلعله مراد ياقوت .

وذكر الأسدى ما يقتضى أن ذا المروة بعد وادى القرى بنحو ثلاث مراحل لجهة المدينة الشريفة ، وروى ابن زبالة أن النبى صلى الله عليه وسلم نزل بذى المروة وصَلّى بها الفجر ، ومكث لا يكلمهم حتى تعالى النهار ، ثم خرج حتى أتى المروة فأسند إليها ظهره ملصقاً ، ثم دعا حتى ذرّ قرن الشمس شرقاً يدعو ، ويقول فى آخر دعائه : أللهم بارك فيها من بلاد ،

واصرف عنهم الوباء ، وأطعمهم من الجـنى ، اللهم اسقهم الغيث ، واللهم سلمهم من الحاج ، وسلم الحاج منهم ، وفى رواية أنه نزل بذى المروة فاجتمعت إليه جهينة من السهل والجبل يشكون إليه نزول الناس بهم ، وقهر النـاس لهم عند الميـاه ، فدعا أقواما فأقْطَعهم ، وأشهد بعضهم على بعض بأنى قد أقطعتهم ، وأمرت أن لا يضاموا ، ودعوت لـكم ، وأمرنى حبيبى جبريل أن أعدكم حلفاء ، وسبق فى آخر مساجد تبوك ذكر إقطاعها لبنى رفاعة من جهينة .

مريح — مُرَيح — بالحاء المهملة تصغير مرح وهو الفرح ، أطم كان لبنى قينقاع ، عند منقطع جسر بطحان ، يمين قاصد المدينة .

مريخ — مريخ — بالخاء المعجمة تصغير مرخ للشجر المعروف ، قرن أسود قرب ينبع ، بين برك وورعان .

مريسيع — مريسيع — بالضم ثم الفتح وسكون المثناة تحت وسين مهملة مكسورة ثم مثناة تحت وعين مهملة فى أصح الروايات وأشهرها ، وضبط بالغين المعجمة ، وهو بناحية قديد إلى الساحل ، قاله ابن إسحاق ، وفى حديث للطبرانى : هو ماء لخزاعة بينه وبين الفرع نحو يوم ، وقال المجد : الفرع على ساعة من المريسيع ، وبه غزو بنى المصطلق وسبيهم .

مزاحم — مزاحم — بالضم وكسر الحاء المهملة ، أطم كان بين ظهرانى بيوت بنى الحبلى ، وكان بزقاق ابن حيين سوق يقوم فى الجاهلية وأول الإسلام يقال لموضعها مزاحم كما سبق فى سوق المدينة .

مزج — مزج — بالضم ثم السكون ثم جيم ، من غدر العقيق ، يُفضى السيل من حضير إليه ، وهو فى شق بين صدمتين ، يعنى حجابين من الحرة يمر به السيل فيحفره لضيق مسلـكه ولا يفارقه الماء .

المزدلف — المزدلف — بالضم ثم السكون وفتح الدال المهملة وكسر اللام ثم فاء ، أطم مالك بن العجلان والد عتبان ، عند مسجد الجمعة .

المستظل — اسم فاعل من قولك «اسْتَظَلّ بالظل» أطم كان عند بئر غَرْس لأُحَيْحَة بن الجُلاَح ، ثم صار لبنى عبد المنذر فى دية جدهم .

المستعجلة — وهى المضيق الذى يصعد إليه مَنْ قطع النازية قاصدا الخيف والصفراء

المستنذر — جبل سبق فى منازل بنى الديل من القبائل ، والمستنذر الأقصى : تقدم فى العير .

المسير — بالضم ثم الفتح وسكون المثناة تحت ، أطم بنى عبد الأشهل ، كان لبنى حارثة .

المسكبة — بالفتح من السكب وهو الصَّبُّ ، موضع شرقى مسجد قباء ، كان به أطم يقال له واقم .

المسلح — بالفتح ثم السكون ثم لام مفتوحة وحاء مهملة ، موضع من أعمال المدينة .

مُسْلِح — بالضم ثم السكون وكسر اللام ، أحد جبلى الصفراء كما سبق فى مخرّى .

المشاش — وادٍ يصب فى عرصة العقيق .

مسروح — بالفتح ثم السكون وراء وحاء مهملة ، موضع بنواحى المدينة .

مشعط — كمرفق ، أطم لبنى حُدَيلة غربى مسجد أبى بن كعب ، وفى موضعه بيت أبى نبيه ، ويؤخذ مما سبق فى قبور أمهات المؤمنين وفاطمة الزهراء رضى الله تعالى عنهن أنه فى غربى البقيع لذكر خوخة أبى نبيه هناك ، وسبق حديث « إن كان الوباء فى شىء فهو فى ظل مشعط »وفى الحديث الآخر « ومابقى منه فاجعله تحت ذنب مشعط » .

مشعل — كمنبر ، موضع بين مكة والمدينة .

المشفق — وادٍ بين المدينة وتبوك .

قال ابن إسحاق فى منصرفه صلى الله عليه وسلم من تبوك إلى المدينة : وكان فى الطريق ماء يخرج من وشل ما يروى الراكب والراكبين والثلاثة بوادٍ يقال له وادى المشقق ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : مَنْ سبقنا إلى ذلك الوادى فلا يسقين منه شيئاً حتى نأتيه ، فسبقه نفر من المنافقين فاستقوا ما فيه ، فلما أتاه لم ير شيئاً ، فقال : ألم أنْهَهُم ، ثم لعَنَهم ودعا ، ثم وضع يده تحتَ الوَشَل ، فجعل يصب من يده ما شاء الله ، ثم نَضَحه به ومسحه بيده ودعا بما شاء الله ، فانخرق من الماء كما يقول مَنْ سمعه أن له حساً كحس الصواعق ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لئن بقيتم — أو من بقى منكم — ليسمعن بهذا الوادى وهو أخصب ما بين يديه وما خلفه .

وذكره الواقدى بنحوه ، إلا أنه قال : وأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم قافلا ، حتى إذا كان بين تبوك ووادٍ يقال له وادى الناقة وكان فيه وَشَل .

المشيرب المشيرب — تصغير مشرب موضع الشرب ، سبق فى حدود الحرم .

مصر مَصَرّ — بفتحتين وتشديد الراء ، وادٍ بأعلى حمى ضرية .

مصلوق مصلوق — ماء من مياه بنى عمرو بن كلاب يصدقهم المصدق عليها بعد مِذْعَىٰ ، قال ابن هَرْمَة :

لم ينس ركبك يوم ذاك مطيهم   من ذى الحليف فصبحوا مصلوقا

المصلى المصلى — بالضم ثم الفتح وتشديد اللام ، مصلى العيد بالمدينة ، وموضع بعينه فى عقيق المدينة ، قال المجد منشدا يقول ابن هرمة :

* ليت شعرى هَلِ العقيقُ فَسَلْع *

الأبيات المتقدمة فى العقيق ، وليس المراد منها إلا مصلى العيد .

المضيح المضيح — بالضم وفتح الضاد المعجمة وتشديد المثناة تحت وإهمال آخره ، جبل لهوازن ، وماء لمحارب بن خَصَفَة ، وماء لبنى الأضبط بن كلاب ، وجبل بنجد على شط وادى الحريب كان معقلا فى الجاهلية فى رواية محصن قاله ياقوت .

المضيق — بالفتح وكسر الضاد المعجمة ومثناة تحت وقاف ، قرية تقدمت مع الفرع فى آرة ، وبها إحدى عيون الحسين بن زيد، ومضيق الصفراء : هو المستعجلة فما بعدها على ما سبق فى المساجد .

المضيق

مطلوب — بئر بعيد القعر قرب المدينة فى شاميها ، وماء بنملى ، وماء كان لخثعم ، واتخذ عليه عبد الملك ضيعة من أحسن ضياع بنى أمية .

مطلوب

مظعن — بالضم وسكون الظاء المعجمة وكسر العين المهملة ، واد بين السقيا والأبواء .

مظعن

معجب — وفى بعض النسخ « معجف » بالفاء بدل الموحدة ، أَحَدُ أودية المدينة المتقدمة ، ومعجف : اسم حائط كان لعبد الله بن رَوَاحة جعله لله ورسوله فى غزوة مؤتة .

معجب

معدن الأحسن — ويقال « معدن الحسن » موضع أو قرية من أعمال المدينة لبنى كلاب ، وقيل : هو من قرى اليمامة .

معدن الحسن

معدن بنى سُلَيم — بضم السين ، ويقال له « معدن قران » به قرية كبيرة بطريق نجد بها آبار وبرك على مائة ميل من المدينة ، وقال ابن سعد : على ثمانية بُرُد .

معدن بنى سليم

معدن المأمون — سيأتى فى مغيث .

معدن المأمون

معدن النقرة — على يومين من بطن نخل

معدن النقرة

المعرس — بالضم ثم الفتح وتشديد الراء المفتوحة وسين مهملة ، سبق فى مسجد المعرس ، والتعريس : نومة المسافر وقت السحر بعد إدلاجه .

المعرس

المعرض — أطم بنى قريظة الذى كانوا يلجؤن إليه إذا فَزِعوا ، كان فيما بين الدوحة التى فى بقيع بنى قريظة إلى النخيل التى يخرج منها السيل . ومعرض أيضا : أطم لبنى عمرو وبنى ثعلبة من بنى ساعدة بدار سويد المواجهة لمسجدهم .

المعرض

المعرقة — بالضم ثم السكون ثم الكسر وبالقاف ؛ طريق كانت قريش

المعرقة

تسلكها إذا سارت إلى الشام ، تأخذ على ساحل البحر ، وفيها سلكت عِيرُ قريش حين كانت وقعة بدر ، وقال عمر لسلمان رضى الله تعالى عنهما : أين تأخذ أعلى المعرقة أم على المدينة ؟

المعصب — المعصب — بوزن المعرس والصاد مهملة ، اسم منازل بنى جَحْجَبَى كما سبق فى العصبة .

المغسلة — المغسلة — بالغين المعجمة ، قال المجد : هى بكسر السين المهملة كمنزلة : جَبَّانة بطرف المدينة يغسل فيها ، كذا ذكره أصحاب التاريخ ، وهى اليوم حديقة كبيرة من أقرب الحدائق الكبار إلى المدينة ، انتهى . وهى غربى بطحان ، لكنها معروفة اليوم بالمغسلة بفتح السين كمَرْحَلة ، وسبق أن مسجد بنى دينار يعرف بمسجد الغسالين لأنه كان عند الغسالين وأن الظاهر [أنه] كان بها .

مغلاوان — مغلاوان[1] — بالضم ثم الفتح ، مغلى الموارد ، ومغلى ، الحرومة يلتقيان من المعرس، والحرومة : هضبة عظيمة هى على عين ابن هشام ، وقال كثير :

فليت مغلاوين لم يك فيهما طريق يعديه من الناس راكب

مغيث — مُغِيث : اسم فاعل من « أغاثه » وادٍ بين معدن النقرة والربذة ، يعرف بمغيث ماوان ، قاله المجد ، وسماه الأسدى « مغيثة الماوان » بزيادة هاء ، وذكر بها آبارا وبركا ، قال : وعلى ميل ونصف منها معدن الماوان ، ويقال للجبل المشرف على المعدن : مشقر .

مغوثة — مغوثة — بضم الغين المعجمة وفتح الثاء المثلثة ، موضع قرب المدينة .

مفحل — مفحل — بالضم وسكون الفاء وكسر الحاء ، من نواحى المدينة ، قال ابن هَرْمَة :

فكيف إذا حلت بأكناف مفحل وحل بوعْسَاء الحليف تبيعها

مقاريب — مقاريب — بالفتح وبعد الألف راء ثم مثناة تحت وباء موحدة ، من نواحى المدينة .

المقاعد — المقاعد — جمع مقعد ، موضع عند باب المدينة ، وقيل : مساقف حولها ،

(١) هى فى الأصول بعين مهملة ، وترتيب الكتاب يقتضى أنها بالغين معجمة .

وقال الداوودى : هى الدرج ، وقيل: دكا كين عند دار عثمان بن عفان ، قاله المجد وعبارة عياض : قيل: هو موضع عند باب المسجد ، وقيل: مساطب حوله ، وقال ابن حبيب عن مالك : هى دكا كين عند دار عثمان ، انتهى . ودار عثمان عند باب المسجد فى المشرق ، فيوافق قول الباجى وغيره : هو موضع عند باب المسجد

وفى صحيح البخارى عن حُمْرَان قال : أتيت عثمان بِطَهور وهو جالس على المقاعد ، فتوضأ فأحسن الوضوء ، ثم قال : رأيت النبى صلى الله عليه وسلم توضأ وهو فى هذا المجلس ، الحديثَ .

ولأبى داود : لما مات إبراهيم ابن النبى صلى الله عليه وسلم صلى عليه فى المقاعد

وفى خبر حكاه أبو الفرج النهروانى أن أبا بكر رضى الله تعالى عنه استأذن النبى صلى الله عليه وسلم وهو فى المسجد أن ينشد رجل جاء به شعرا ، قاله فى الله ورسوله ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : قُومُوا بنا إلى المقاعد ، فلما أتوا المقاعد أنشد شعره .

المقشعر — اسم فاعل من القشعريرة من جبال القبلية . المقشعر

مقمل — بفتح القاف والميم المشددة ، ظرب صغير على غَلْوة من برام بحمى النقيع ، عليه مسجد مقمل المتقدم فى المساجد . مقمل

المكرعة — بالفتح ، موضع بقباء قرب بئر عذق . المكرعة

المكسر — اسم مفعول من كَسَّرَه تكسيرا ، وذو المكسر : من أودية العقيق . المكسر

مكيمن — تصغير مكمن ، ويقال : مكيمن الجماء ، وهو الجبل المتصل بجماء تضارع ببطن العقيق ، وفى أخبار مكة لابن شبة أنه كان بجماء العاقر بعقيق المدينة صنم يقال له المكيمن ، فلعله سبب التسمية لقرب جماء العاقر منه ، وقد رَدَّه إلى مكبره سعيدُ بن عبد الرحمن بن ثابت فقال : مكيمن

عفَا مكمن الجماء من أم عامر فسَلْع عفَا منها فحَرَّةُ وَاقِمِ

ملتذ — ملتذ ـ بالضم ثم السكون ثم فتح المثناة فوق وذال معجمة ، موضع بعقيق المدينة ، قال عروة بن أذينة :

فروضه ملتذ فجنبا منـــــــيرة فوادى العقيق أنْسَاحَ فيهن وابله

الملحاء — الملحاء ـ بالحاء المهملة ممدود ، من أودية العقيق ، قال ابن أذينة :

مباعدة بعد أزمامها بملحاء ريم وأمهارها

الملحة — الملحة ـ أطُم لبنى قريظة دبر مال ابن أبى جديس ، وفى أسفل بنى قريظة مزرعة إلى جانب ركية وضرية يقال لها « مِلْحَة » بكسر الميم ، وبهـــا أطم ، فلعله هو .

ملحتان — ملحتان ـ تثنية ملحة للقطعة من الملح ، من أودية القبلية بالأشعر مما يلى ظلم من شقه الشامى ، وهما ملحة الرمث وملحة الحريض ، وبهـــا شعب ضيق بحرض الإبل .

ملل — ملل ـ بلامين مُحرَّكا ، وادٍ بطريق مكة ، على أحد وعشرين ميلا من المدينة ، وعن ابن وضاح اثنين وعشرين ميلاً ، وقيل : ثمانية عشر ميلا ، وقيل : على ليلتين منها ، وفى الموطأ أن عثمان بن عفان صلى الجمعة بالمدينة وصلى العصر بملل قال مالك : وذلك للتهجير وسرعة السـير ، قال بعضهم : ملل وادٍ ينحدر من ورقان جبل مزينة حتى يصب فى فرش سويقة ، ويقال : فرش ملل ، ثم ينحدر من الفرش حتى يصب فى إضم ، وسبق أنه يلقى إضم بذى خشب ، فذلك مراد القائل بأنه على ليلتين من المدينة ، ويضاف إليه الفرش والفريش ، وجمعه كثير فى قوله :

* إذ نحن بالهضبات من أملال *

قال ابن الكلبى : لما صدر تُبَّع عن المدينة نزل ملل وقد أعيا ومَلّ ، فسماه ملل، وقيل لـكثير : لم سمى بذلك ؟ قال : لأن ساكنه مَلَّ المُقَام به، وقيل : سمى

به لأن الماشى من المدينة لايبلغه إلا بعد جَهْد ومَلَل .

وقال كثير بن عبد الرحمن الخزاعى ، وقيل : جعفر الزبيرى :

أجزنا على ماء العشيرة والهوى   على ملل يالهف نفسى على ملل

وفى كتاب النوادر لابن جنى أن رجلا من أهل العراق نزل بملل ، فسأل عنه ، فأخبر باسمه ، فقال : قبح الذى يقول :

* على ملل يالهف نفسى على ملل *

أى شىء كان يتشوق إليه من هذه ؟ وإنما هى حرة سوداء ، فقالت له صبية كانت تلقط النوى : بأبى أنت وأمى إنه كان والله له بها شَجَن ليس لك .

المناصع — متبرز النساء بالمدينة ليلا ، قبل اتخاذ الكنف بالبيوت ، على مذاهب العرب ، وهو ناحية بئر أبى أيوب ، ولعلها المعروفة اليوم ببئر أيوب شرقى سور المدينة شامى بقيع الغرقد ، وزقاق المناصع : تقدم فى الدور المطيفة بالمسجد من جهة المشرق . [المناصع]

المناقب — جبل قرب المدينة ، فيه ثنايا طرق إلى اليمن وإلى اليمامة وإلى أعالى نجد ، قاله المجد ، واستشهد بأبيات فيها ذكره وذكر العقيق . والذى يفهمه كلام الأصمعى أنه بنجد قرب ذات عرق ، فليس المراد عقيق المدينة ، لأن الأصمعى ذكر قرنا ونخلة اليمانية ، ثم قال : ثم يجلس إلى نجد بطلع المناقب ، ووصف ثناياه بما سبق ، وقال : وإلى أعالى نجد وإلى الطائف ، قال : وفيه ثلاث مناقب : إحداها عقبة يقال لها الزلالة ، بها صخرة ، وهى التى أقحم فيها العقيلى ناقته فاقتحمت من شق فيها ، وذاك أنهم خاطروه على ذلك . [المناقب]

المنبجس — بالضم ثم السكون ثم موحدة ثم جيم مكسورة ثم سين مهملة ، وادى العرج . [المنبجس]

منتخر — بالضم ثم السكون ثم مثناة فوق وخاء معجمة مكسورة ، موضع بفرش ملل بجنب مثعر . [منتخر]

المنحنى

المنحنى ـ بالضم ثم السكون وفتح الحاء والنون الثانية ، موضع له ذكر فى الغزل بأماكن المدينة ، وأهلها اليوم يقولون : إنه بقرب المصلى شرقى بطحان ، ولهذا قال الشيخ شمس الدين الذهبى :

تولى شبابى كأن لم يكن   وأقبل شيبٌ علينا تَولى

ومن عاين المُنحَنَى والنقا   فما بعد هــذين إلا المصلى

منشد

منشد ـ بالضم ثم السكون وكسر الشين المعجمة ثم دال مهملة ، جبل فى الشق الأيسر من حمراء الأسد كما قال الهجرى ، ولعله المعروف اليوم بحمراء نملة كما سبق ، وفيه يقول الأحوص :

نظرت رجا بالموقران ، وقد أرى   أكاديس يحتلون خاخا فمنشدا

وقال المجد : هو على ثمانية أميال من حمراء المدينة بطريق الفرع ، ومنشد أيضاً : موضع بين رضوى والساحل ، و بلد لتميم ، قال زيد الخيل :

سقى الله مابين العقيق فطابة   فما دون أزمام فما فوق منشد(١)

منعج

منعج ـ بالفتح ثم السكون وكسر العين المهملة وروى بفتحها ، وسماه الهجرى منجع بتقديم الجيم على العين ، وادٍ فيه أملاك لغنى ، بين أضاخ وأمرة ، بناحية حمى ضرية ، وقال المجد : هو موضع بحمى ضرية ، ووادٍ لبنى أسد كثير المياه .

المنقى

المنقى ـ اسم مفعول من نقاه ، قال المجد : هو اسم للأرض التى بين أُحُد والمدينة ، قال ابن إسحاق : وقد كان الناس انهزموا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أُحد حتى انتهى بعضهم إلى المنقى دون الأعراض .

قلت : فالمنقى ليس اسما لما ذكر المجد لما سبق فى الأعوص ، بل هو معروف شرق المدينة فى طريق العراق ، والمجدُ ظن أن الانهزام لم يكن إلا للمدينة ، وليس كذلك ، لما سبق فى الشقرة ، وفى معارف ابن قتيبة فى ترجمة بعضهم أنه انهزم على مسيرة ثلاثة أيام .

(١) فى معجم ياقوت « مابين القفيل » وفيه ، « فمادون أرمام » .

منكثة — من نكث ينكث إذا نقض ، من أودية القبلية ، يسيل من الأجرد جبل جهينة فى الجلس ، و يلقى بوطا .

منكثة

منور — كمقعد آخره راء ، جبل قرب المدينة ، وفى القاموس هو موضع أو جبل بظهر حرة بنى سليم ، قال أبو هريرة : أيكم يعرف دور ومنور ؟ فقال رجل من مزينة : أنا ، قال : نعم المنزل مابين دور ومنور لأنها مقانب الخيل ، أما والله لوددت أن حظى من دنيا كم مسجد بين دور ومنور أعْبُدُ الله فيه حتى يأتينى اليقين ، ومنور أيضاً : أطم لبنى النضير كان فى دار ابن طهمان .

منور

منيع — فَعِيل ، موضع أُطم لبنى سواد يمانى مسجد القبلتين على ظهر الحرة .

منيع

منيف — اسم فاعل من أناف ، أطم لبنى دينار بن النجار عند مسجدهم .

منيف

مهايع — قرية غنَّاء كبيرة ، بها منبر ، قرب ساية ، واليها كان من قبل أمير المدينة .

مهايع

مهجور — ماء بنواحى المدينة .

مهجور

مهراس — بالكسر ثم السكون آخره سين مهملة ، ماء بجبل أُحُد ، قاله المبرد، وهو معروف أقصى شعب أحد ،يجتمع من المطر فى نقر كبار وصغار هناك ، والمهراس : اسم لتلك النقر .

مهراس

روى أن النبى صلى الله عليه وسلم عَطِشَ يومَ أحد فجاءه على فى درقته بماء من المهراس ، فوجد له ريحا فعافَهُ وغسل به الدم عن وجهه وصَبَّ على رأسه ، وفى رواية لأحمد « وجال المسلمون جولة نحو الجبل، ولم يبلغوا حيث يقول الناس الغار ، إنما كان تحت المهراس » ثم ذكر إقبال النبى صلى الله عليه وسلم إليهم .

وفى مغازى ابن عقبة أن الناس أصْعَدُوا فى الشعب ، وثبت الله نبيه وهو يدعوهم فى أخراهم إلى قريب من المهراس فى الشعب ، ثم ذكر إصعاد النبى صلى الله عليه وسلم فى الشعب يدعوهم .

مهروز   مهروز — بضم الراء وآخره زاى ، موضع سوق المدينـة كما فى معارف ابن قتيبة والفائق .

مهزور   مهزور — بالفتح ثم السكون وضم الزاى وآخره راء ، تقـدم فى أودية المدينة .

مهزول   مهزول — آخر لام ، وادٍ فى أقبال البئر بحمى ضرية ، وقال الزمخشرى : إنه فى أصل جبل يقال له تنوف .

مهيعة   مَهِيعة — كمعيشة بالمثناة تحت ، ويقال « مَهْيَعة » كمرحلة ، اسم للجُحْفة ، قال الحافظ المنذرى : لما أخرج العماليق بنى عبيل أخى عاد من يثرب نزلوها ، فجاءهم سيل الجُحَاف — بضم الجيم — فجحفهم وذهب بهم ، فسميت حينئذ الجحفة ، انتهى . وقال عياض : سميت الجحفة لأن السيول أجحفتها وحملت أهلها ، وقيل : إنما سميت بذلك من سنة سيل الُجحَاف سنة ثمانين لذهاب السيل بالحاج وأمتعتهم .

الموجا   الموجا ـ بالفتح والجيم ، أطم لبنى وابل بن زيد كان موضع مسجدهم .

مياسر   مياسر ـ موضع بين الرحبة وسقيا الجزل ببلاد عذرة ، قرب وادى القرى .

ذو الميثب   ذو الميثب ـ بالـكسر ثم السكون ثم مثلثة ، من أودية العقيق .

ميطان   مَيْطان ـ بالفتح ثم السكون وطاء مهملة وألف ونون ، جبل شرقى بنى قريظة وهو المذكور فى شعرهم فى مسلم ، وقال عرام : هو حذاء شوران ، به ماء بئر يقال لها صعة ، وليس به نبات ، وهو لسليم ومزينة ، وبحذائه جبل يقال له سن ، وجبال شواهق يقال لها الحِلاَء واحدها حلاة ، وقال فى النهاية : وفى حديث بنى قريظة والنضير

وقد كانوا ببلدتهم ثقـالا   كما ثقلت بميطان الصخور

وهو ـ بكر الميم ـ موضع فى بلاد بنى مزينة بالحجاز ، انتهى ، والمعروف ماسبق .

المنفعة

المِنْفَعَة — بالكسر ثم السكون وفاء وعين بمهملة ، موضع بناحية نجد وراء بطن نخل على النقرة قليلا ، على ثمانية برد من المدينة ، إليه كانت سرية غالب بن عبد الله الليثى .

حرف النون

نابع

نابع — كصاحب من نبع الماء إذا ظهر ، موضع قرب المدينة .

ناجية

ناجية — بالجيم والمثناة التحتية ، موضع قرب المدينة على طريق البصرة ، قاله المجد ، وقال الأصمعى : ماء ببلاد بنى أسد أسفل من الحبس .

النازية

النازية — بالزاى وتخفيف المثناة تحت ، موضع واسع به عَضَاء ومَرْخ بين المستعجلة وهو مضيق الصفراء و بين مسجد المنصرف وهو مسجد الغزالة ، وجعله عياض اسمَ عينٍ هناك ، فقال : هى عين كانت ترد على طريق الآخذ من مكة قرب الصفراء ، وهى إلى المدينة أقرب قبل مضيق الصفراء ، سدت بعد حروب جرت فيها ، انتهى . وتبعه المجد ، وقال عرام بعد ذكر الرحضية : ثم يميل نحو مكة مصعدا إلى واد يقال له عريفطان ، وحذاءه جبال يقال لها أبلى ، وقنة يقال لها السودة لبنى حقاق من بنى سليم ، وماؤهم الضبعية وهى آبار عذاب يزرع عليها ، وأرض واسعة ، وكانت بها عين يقال لها النازية بين بنى حقاف و بين الأنصار ، فتصاروا فيها فسدّوها ، وهى عين ماؤها عذب كثير ، وقد قتل فيها أناس كثيرون بذلك السبب ، وطلبها سلطان البلد مراراً بالثمن الكثير فأبوا ، ثم ذكر مياه أُبْلَى ، وقال : و إذا جاوزت عين النازية وردت ماء يقال له المدينة ، ثم ينتهى إلى السوارقية على ثلاثة أميال منها ، انتهى ؛ فالنازية التى هى عين وقع فيها حروب ليست فيما بين مضيق الصفراء والمدينة ، بل فى جهة أُبْلَى والرحضية والسوارقية ، ولكن اتفقا فى الاسم .

النازيين

النازيين — موضع مرتفع به قبر عبد الله بن الحارث كما سبق فى مسجد مضيق الصفراء .

الناصفة	الناصفة ـ بكسر الصاد المهملة ، من أودية العقيق ، وعدّه الزمخشرى فى أودية القبلية .

ناعم	ناعم ـ كصاحب ، من حصون خيبر ، قتل عنده محمود بن مسلمة يوم خيبر ألقوا عليه رحا . وناعم : موضع آخر .

الناعمة	الناعمة ـ حديقة غنّاء بالعوالى ، وإلى جنبها النويعمة ، ويعرف الموضع بالنواعم .

النباع	النباع ـ بالكسر وعين مهملة، موضع بين ينبع والمدينة ، وفى أودية العقيق نبعة العشرة ، ثم نبعة الطوى ، ثم الحيثية ، ثم النبعة ، قال الزبير عقبه : وفى النباع يقول خفاف بن ندبة :

* عشقت دياراً ببطن النباع *

فاقتضى أن النباع ما ذكر .

نبيع	نبيع ـ كزبير من نبع الماء ، موضع قرب المدينة .

النبى	النبى ـ بلفظ النبى صلى الله عليه وسلم ، اسم جبل قرب المدينة ، واسم أماكن أخرى ، وقيل : رمل بعينه .

نجد	نجد ـ ما بين جرش إلى سواد الكوفة ، وحده مما يلى المغرب الحجاز ، وعن يسار القبلة اليمن ، ونجد كلها من عمل اليمامة ، قاله عياض ، والصواب أن الذى من عمل اليمامة موضع مخصوص من نجد لا كله .

النجير	النجير ـ بالضم وفتح الجيم آخره راء ، ماء حذاء صفينة ، قاله عرام .

النجيل	النجيل ـ بالجيم تصغير النجل ، من أعراض المدينة قرب ينبع ، قال كثير :

وحتى أجازت بطن ضاس ودونها	رعان فهضبا ذى النجيل فينبع

وفى القاموس : النجيل كزبير موضع بالمدينة أو من أعراض ينبع .

نخال	نخال ـ بالضم ، علم مرتجل لوادٍ يصب فى الصفراء يقال له شعب ، وشاهده فى أراين .

نخل — بلفظ اسم جنس النخلة ، من منازل بنى ثعلبة بنجد ، على يومين من المدينة ، قال ابن إسحاق : وغزا النبى صلى الله عليه وسلم نجدا يريد بنى محارب و بنى ثعلبة بن غطفان حتى نزل نخلا ، وهى غزوة ذات الرقاع ، وقال الحافظ ابن حجر فى غزوة ذات الرقاع : قوله « فنزل نخلا » هو مكان على يومين من المدينة بوادٍ يقال له شدخ ، وبالوادى طوائف من قيس وفزارة وأشجع وأنمار ذكره أبو عبيد البكرى ، وذكر الواقدى فى سبب غزوة ذات الرقاع ما يقتضى إيجادها مع غزوة أنمار ، ونقل البيهقى فى الدلائل عن الواقدى أنه قال : ذات الرقاع قريبة من النخيل بين السعد والشقراء و بئر أرما ، على ثلاثة أميال من المدينة ، انتهى وصوابه ثلاثة أيام لقوله بين السعد والشقراء .

نخلى — كجَمَزَى ونسكى ، من أودية الأشعر الغَوْرِية ، تصب فى ينبع ، و بأسفله عيون لحسن بن على بن حسن منها ذات الأسيل ، و بأسفله البلدة والبليدة .

نخيل — تصغير نخل ، عين على خمسة أميال من المدينة ، قاله المجد ، وقال الأسدى : إنه منزل فى طريق فيد به مياه وسوق قرية الكديد ، و به عيون كانت للحسين بن على المقتول بفخ ، وذكر ما يقتضى أنه على نيف وستين ميلا من المدينة وأن بالكديد مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن الوادى الذى به الطريق ذو أمر .

و إذا تأملت ذلك مع ما سبق فى مساجد الغزوات علمت أن الذى عبر عنه بالنخيل هو نخل ؛ لقوله فى خبر المسجد « نزل بنخل ، ثم أصعد فى بطن نخل حتى جاز الكديد بميل » ويؤيده ما سبق فى نخل عن الواقدى من تعبيره فى ذات الرقاع بالنخيل مصغراً ، لكن الأسدى غاير بين بطن نخل و بين النخيل ، والنخيل معروف اليوم بقرب الكديد فوق الشقرة .

النسار — ككتاب ، جبل بحمى ضرية ، وقيل : هما نسران جمعا وجعلا

موضعاً واحداً ، وقيل: هو جبل يقال له «نسر» . فجمع ، وقال أبو عبيد : النسار أجبل متجاورة يقال لها الأنسر وهي النسار .

نسر — نسر ـ بلفظ الطائر المعروف، موضع بنواحي المدينة، قال أبو وجزة السعدي:

فنعف سويقة فرياض نسر[1] بأجماد العقيق إلى مراخ

نسع — نسع ـ بالكسر ثم السكون وعين مهملة ، موضع حَمَاه النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء بعده ، وهو صدر وادي العقيق ، قاله المجد ، وكأنه اسم لحمى البقيع؛ إذ هو صدر العقيق .

النصيب — النصب ـ بالضم ثم السكون وصاد مهملة و باء موحدة ، موضع قرب المدينة ، وقيل : من معادن القبلية .

وعن مالك أن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما ركبَ إلى ذات النصب فقَصَر الصلاة ، والنصب ـ بالضم و بالضمتين ـ الأصنام المنصوبة، قاله المجد ، وسبق في ذات النصب أنها بضمتين من معادن القبلية ، وهو الذي قاله عياض .

النصع — النصع ـ بالكسر و إهمال الصاد والعين ، جبال سود بين الصفراء و ينبع ، والنصيع مصغرا :جبل قرب العذيبة .

نضاد — نضاد ـ بالفتح وضاد معجمة وآخره دال مهملة ، والحجازيون يقولون نَضَادِ كقطام ، وتميم تنزله منزلة مالا ينصرف ، وهو جبل لغني بحمى ضرية ، وكان سراقة السليمي أصاب دما في قومه فانحاز لغني فقال :

حللت إلى غنيّ في نَضَاد بخير محلة وبخير حال

النضير — النضير ـ بالفتح ثم الكسر ثم مثناة تحت ثم راء ، قبيل من يهود تقدموا في منازلهم .

نطاة — نطاة ـ كقَطَاة ، حصن من حصون خيبر ، وقيل : كل أرض خيبر، وقيل : عين ماء و بيئة هناك ، والذي يقتضيه كلام الواقدي أنه ناحية من خيبر ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم لما افتتح حصن ناعم وغيره من حصونه تحوَّل أهلُها إلى

(١) في معجم ياقوت « فنعاف نسر ».

قلعة الزبير ، وهو حصن منيع فى رأس قُلَّة ، قال : فجاء رجل من يهود للنبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : تؤمننى على أن أدلك على ما تستريح من أهل النطاة وتخرج إلى أهل الشق ؟ فآمنه ، فقال : إنك لو أقمت شهرا ما بالوا ، إن لهم دبولا تحت الأرض يشربون منها ، فقطع دبولهم ، قال : وكان هذا آخر حصون النَّطَاة فتحا ، ثم تحوّل إلى أهل الشق .

نعمان — بالضم والعين المهملة ، وادٍ بالمدينة يلقى سيول المدينة هو ونقمى أسفل عين أبى زياد بالغابة ، وفى دلائل النبوة للبيهقى عن ابن إسحاق أن المشركين فى غزوة الخندق نزلوا باب نعمان إلى جانب أحد ، وفى الاكتفاء عن ابن إسحاق أن عُيَينة بن حِصْن فى غطفان نزلوا إلى جانب أُحُدٍ بباب نعمان ، والذى فى تهذيب ابن هشام عن ابن إسحاق نزولهم بنقمى .

نعمان

نُعَيم — كزبير ، موضع قرب المدينة ، وجمعه بعضهم فى شعره فقال نعائم .

نعيم

نعف مناسير — قال ابن السكيت : نعف هنا ما بين الدوداء و بين المدينة ، وهو حد الخلائق خلائق الأحمديين ، والخلائق : آبار ، وسبق شاهد النعف فى حمى النقيع فيما قيل فيه من الشعر ، وسبق أيضا ذكر نعف النقيع ، ومقتضى إثبات المجد له هنا أن يكون بالغين المعجمة ، و إلا لقدمه على ما قبله ، ولم يتعرض لذلك فى القاموس ، بل قال فى النعف بالعين المهملة : إنه ما انحدر من حزونة الجبل وارتفع عن منحدر الوادى ، ومن الرملة مقدمها وما استدق . وفى الصحاح فى مادة العين المهملة أيضا : النعف ما انحدر من حزونة الجبل وارتفع عن منحدر الوادى ، فما بينهما نعف وسرو وخنف ، والجمع نعاف ، انتهى ، فالظاهر أن ما سبق كله بالعين المهملة الساكنة مع فتح أوله .

نعف مناسير

النفاع — بالفتح وتشديد الفاء ، أُطم بمنازل بنى خطمة ، كان على بئر عمارة .

النفاع

ذونفر — بالتحريك وقد تسكن الفاء ، موضع خلف الربذة ، على ثلاثة أيام من السليلة .

ذو نفر

نفيس نفيس ـ بالفتح ثم الكسر يضاف إليه قصر نفيس المتقدم .

النقات النقاب ـ بلفظ نقاب المرأة ، من أعمال المدينة ، يتشعب منه طريقان إلى وادى القرى ووادى المياه .

النقا النقا ـ بالفتح والتخفيف مقصور ، ما بين وادى بطحان والمنزلة التى بها السقيا المعروفة ببئر الأعجام ، قال المطرى : النقا المذكور فى الأشعار غربى المصلى إلى منزلة الحاج غربى وادى بطحان ، والوادى يفصل بين المصلى والنقا ، ولمجاورة المكانين قال بعضهم موريا عن الشيب ومصلى الجنائز :

ألا ياساريا فى قعر عمرو يكاد وفى السرى وعرا وسهلا

بلغت نقا المشيب وجزت عنه وما بعد النقا إلا المصلى

نقب بنى دينار نقب بنى دينار بن النجار ـ ويقال « نقب المدينة » هو طريق العقيق بالحرة الغربية ، وبه السقيا كما سبق عن الواقدى فى بقع ، وقال ابن إسحاق فى المسير إلى بدر : فسلك طريق مكة على نقب المدينة ، ثم على العقيق ، وقال فى موضع آخر : غزا قريشا فسلك على نقب بنى دينار ، ثم على فيفاء الخبار

نقعاء نقعاء ـ كحمراء بالعين المهملة ، موضع خلف حمى النقيع من ديار مزينة ، نزله النبى صلى الله عليه وسلم فى غزوة بنى المصطلق ، وهو من أودية العقيق ، ولهذا روى فى شعر الخنساء كما سبق :

وقولى إن خير بنى سُلَيم وغيرهم بنقعاء العقيق

وسمى كثير مرج راهط نقعاء راهط .

وفى سير الواقدى ذكر إسراعهم السير فى الرجوع من المريسيع ، وأنه صلى الله عليه وسلم نزل فى اليوم الثالث ماء يقال له نقعاء فوق النقيع ، وسرح الناس ظهورهم ، فأخذهم ريح شديدة حتى أشفق الناس منها ، ثم ذكر إخبار النبى صلى الله عليه وسلم بأن الريح عصفت لموت منافق عظيم النفاق بالمدينة ، وكان موته للمنافقين غيظا شديدا ، وهو زيد بن رفاعة بن التابوت ، مات ذلك اليوم ،

ولما قدموا المدينة ذكر لهم أهلها أنهم وَجَدُوا مثل ذلك من شدة الريح ، حتى دفن عدو الله فسكنت الريح

نقمى

نقَمَى ـ قال المجد : هو مثال نسكى وجَمَزَى موضع بقرب أحد ، كان لأبى طالب ، قال ابن إسحاق : وأقبلت غطفان يوم الخندق ومن تبعها من أهل نجد حتى نزلوا بذنب نَقَمَى إلى جانب أحد وروى نقم ، اه . وسبق فى مجتمع الأودية أن وادى نقمى يلقاها أسفل من عين أبى زياد بالغابة ، وروى الزبير عقبه عن عمر بن عبيد الله بن معمر أن اسم نقمى ليس نَقَمى ، وإنما هو نقمان ، أى بالتثنية ، وأن اسمه أولا كان عرى فخرج رجلان من العرب لقومهما فرجعا فلم يحمدا فقيل نقمان ، أى بالتثنية ، فسميا بذلك السبب نقما ، انتهى . ومقتضاه أن يكون بكسر القاف .

النقيع

النقيع ـ بالفتح ثم الكسر وسكون المثناة تحت وعين مهملة ، تقدم فى حمى النقيع .

نقيع الخضمات

نقيع الخضمات ـ بفتح الخاء وكسر الضاد المعجمتين ، قال المجد : نقيع الحمى غير نقيع الخضمات . وكلاهما بالنون ، وأما الباء فيهما فخطأ صراح ، والخضمة : النبات الناعم الأخضر والأرض الناعمة النبات ، كأنهم جمعوها على خضمات تخفيفا . ونقيع الخضمات : موضع قرب المدينة حماه عمر رضى الله تعالى عنه لخيل المسلمين ، وهو من أودية الحجاز ، يدفع سيله إلى المدينة ، وحمى النقيع على عشرين فرسخا ، انتهى .

وذكر ابن سيد الناس حديث أبى داود عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك : حدثنى سلمة قال : كان أبى إذا سمع الأذان للجمعة استغفر لأسعد بن زرارة ، فسألته ، فقال : كان أول من جَمَّع بنا فى هَزْم النبيت من حرة بنى بياضة فى نقيع يقال له نقيع الخضمات ، ثم قال : نقيع الخضمات وقع فى هذه الرواية بالتاء ، وقيده البكرى بالنون ، وقال : هزم النبيت جبل على بريد من المدينة .

قلت : هو مردود بقوله فى الحديث من حرة بنى بياضة ؛ لأنها موضع قريتهم من الحرة الغربية ، ولهذا قال ابن زبالة فى روايته : كان أول من جَمَّع بنا فى هذه القرية فى هزمة من حرة بنى بياضة ، فالصواب قول النووى فى تهذيبه : نقيع الخضمان بالنون كما قيده الحارثى وغيره ، وهى قرية بقرب المدينة على ميل من منازل بنى سلمة ، قاله الإمام أحمد كما نقله الشيخ أبو حامد ، اهـ . وقرية بنى بياضة على نحو الميل من بنى سلمة ، فهى المراد ، ورأيت بين منازلهم بالحرة أماكن منخفضة يستنقع فيها ماء السيل ، والهزمُ لغةً : النقر والحفر ، ويحتمل أن يراد به محل الهزيمة ؛ فإن النبيت اسم لقبائل من الأوس ، وقد وقع بينهم و بين بنى بياضة من الخزرج حروب كان الظفر فى أكثرها قبل بعاث للخزرج .

نمرة نمرة ــ كعطرة ، موضع بقديد ، ذكرها صاحب المسالك والممالك فى توابع المدينة ومخاليفها .

نملى نملى ــ كجمزى وقلبى ونسكى ، عن الجرمى أنه ماء بقرب المدينة ، ويقال نَمْلاَء كحمراء ، كأنه سمى به لكثرة النمل عنده ، وقال الأصمعى عن العامرى : نملى جبال حواليها جبال متصلة فيها سواد وليست بطوال . ومن مياه نملى الحنجرة والودكاء ، قال : ولأهل نملى ماء آخر بوادٍ يقال له مهزور ، ومقتضاه أنه بناحية حمى ضرية ، قال : وسمع هاتف فى جوف الليل من الجن يقول :

وفى ذات آرام حبوب كثيرة ... وفى نَمَلَى لو تعلمون الغنائم

نهبان نَهْبان ــ بالفتح ثم السكون ، نهب الأسفل ونهب الأعلى ، وهما جبلان شامخان لمزينة و بنى ليث يقابلان القدسين يمين طريق المصعد ، يفرق الطريق بينهما و بين القدسين وورقان ، وفى نهب الأعلى ماء فى دوار من الأرض و بئر كبيرة غزيرة الماء عليها مباطح و بقول ونخلات يقال لها ذوخيما .

النواحان النواحان ــ أطمان لبنى أنيف بقباء .

النواعم النواعم ــ سبقت فى الناعمة ، وهى منازل بنى النضير [فى] العالية .

نوبة — بالضم ثم السكون وباء موحدة ، موضع على ثلاثة أميال من المدينة ، له ذكر فى المغازى ، قاله ياقوت ، ونوبة أيضا : هضبة حمراء بأرض بنى أبى بكر ابن كلاب . **نوبة**

نيار — بالكسر آخره راء ، أُطم أو شخص أضيف إليه أطم نيار بمنازل بنى مخدعة من بنى حارثة . **نيار**

النير — بالكسر ، جبال تقدم ذكرها فى حمى ضرية ، وقال الأصمعى : النير جبل بأعلى نجد ، شرقيه لغنى ، وغربيه لفاخرة . **النير**

نيق العقاب — بالكسر وضم العين ، موضع قرب الجحفة ، لقى به رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وعبد الله بن المغيرة مهاجرين عام الفتح ، وفى الاستيعاب أنهما لقياه بين السقيا والعرج ، وقيل : بالأبواء . **نيق العقاب**

حرف الهاء

الهَدَبِيَة — بفتح أوله وثانيه وكسر الموحدة وتشديد المثناة تحت ثم هاء ، ثلاث آبار لبنى خِفاف ليس عليهن مزارع ولا نخل ، بقاع واسع بين حرتين سوداوين ، على ثلاثة أميال من السوارقية . **الهدبية**

هجر — المذكور فى حديث القُلّتين ، قال النووى : هى بفتح الهاء والجيم قرية قرب المدينة النبوية عملت فيها تلك القِلاَل أولا ، وليست هى هجر البحرين المدينة المعروفة ، اهـ . قال الزركشى : وقيل هجر البحرين ، وبه قال الأزهرى ، وهو الأسَدُّ . **هجر**

قلت : ولذا لم يذكرها المجد .

الهجيم — بالضم وفتح الجيم ، أطم بالعصبة ، تقدم فى بئر هجيم . **الهجيم**

الهدار — بالفتح وتشديد الدال المهملة آخره راء مشدداً ، حساء من أحساء مغار قرب السوارقية ، قاله ياقوت ، والهدار أيضا : منزل مسيلمة الكذاب من ناحية اليمامة **الهدار**

المدن المدُن — بضمتين وإهمال الدال ، ماء وراء وادى القرى .

هرشى هَرْشَى — كسكرى والشين معجمة ، ينسب إليها ثنية هرشى ، ويقال : عقبة هرشى . وعلم منتصف طريق مكة دون عقبة هرشى بميل كما سبق فى مسجدها .

قال عرام : هرشى هضبة ململة بأرض مستوية لا تنبت شيئاً ، أسفلها ودان على ميلين مما يلى مغيب الشمس ، يقطعها المصعدون من حجاج المدينة ، ويتصل بها عن يمينها ، بينها وبين البحر خبت وهو رمل لا ينبت غير الأرْطَى ، وهرشى على ملتقى طريق الشام وطريق المدينة ، قال المجد : أراد بطريق الشام طريق مصر اليوم .

قلت : وهى طريق حجاج المدينة اليوم ، لكن يكون هرشى على يسارهم ؛ لأنهم يسيرون فى الخبت ، وودان أسفل منها إلى رابغ ، فإنما كانت ملتقى الطريق قديماً ، ولها طريقان ، وكل من سلك واحداً منهما أفضى به إلى موضع واحد ، ولذلك قيل :

خذا أنفَ هَرْشَى أو قفَاها؛ فإنما　　كلا جانبى هَرْشَى لهن طريق

وحكى أن عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه استقرأ عقيل بن علقمة ، فقرأ الزلزلة حتى بلغ آخرها فقرأ (فمن يعمل مثقال ذرة شراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة خيراً يره) فقال عمر : ألم أقل إنك لا تحسن أن تقرأ ؟ إن الله قدم الخير وأنت قدمت الشر ، فقال * خذا أنفَ هرشىَ — البيت المتقدم * فضحك القوم .

هلوان هلوان — من أودية العقيق ، قال مصعب الزبيرى :

وما حسنت من رحلة مثل رحلة　　بهـــلوان لما هيجتها المحاصر

هكر هَكْر — بالفتح ثم السكون ثم راء ، موضع معروف ، به ماء ، على أربعين ميلا من المدينة ، ينزله أمراؤها أحياناً ، له ذكر فى شعر امرىء القيس .

هكران

هَكَران ـ محرك ، جبل حذاء قباء التى بالناحية المعروفة بكشب .

همج

همج ـ محرك ، ماء عيون عليه نخل من ناحية وادى القرى .

هيفاء

هيفاء ـ بمثناة تحت وفاء ، موضع على ميل من بئر المطلب ، وفى سرية أبى عبيدة إلى ذى القصة أن سرح المدينة كانت ترعى بهيفا على سبعة أميال من المدينة .

حرف الواو

وابل

وابل ـ كصاحب ، المطر الشديد الوقع ، وهو موضع فى أعالى المدينة .

الواتدة

الواتدة ـ قرن منتصب شارع على أعلى نقيع الحمى بمدفع شجوى ، ورواه الخلصى « الوتدة » بغير ألف ، نقله الهجرى .

وادى

وادى ـ معرفة غير مضافة ، علم للوادى الذى به فج الروحاء ، وتقدم فى مفرش قول ابن عمر : هبطت بطن واد فإذا ظهر من بطن واد مع بيان المزية .

وادى أبى كبير

وادى أبى كبير ـ فوق الخرم والمعرس وصدر الحفيرة .

وادى أحيليين

وادى أحيليين ـ بضم الهمزة وسكون الحاء المهملة ثم مثناة تحتية ثم لام ومثناتين كذلك ، تقدم فى نار الحجاز .

وادى الأزرق

وادى الأزرق ـ بسكون الزاى ثم راء ، سبق فى جمدان أنه بعد أمج بميل وفى الصحيح أن النبى صلى الله عليه وسلم مر بوادى الأزرق فقال : كأنى أنظر إلى موسى هابطاً من الثنية له جُؤار إلى الله بالتلبية ، ثم أتى على ثنية هَرْشَى فقال : كأنى أنظر إلى يونس بن متّى ،الحديث .

وقوله « ثم أتى » يعنى فى الرجوع إلى المدينة .

وادى بطحان

وادى بطحان وغيره من الأودية التى بالمدينة ـ سبقت فى الفصل الخامس وما قبله .

وادى الجزل — وادى الجزل — بالجيم والزاى ، الوادى الذى به الرحبة ، وسقيا الجزل قرب وادى القرى ، و يلقى وادى إضم فى نخيل ذى المروة .

وادى دحيل — وادى دحيل — سبق فى حمى النقيع .

وادى الدوم — وادى الدوم — معترض فى شمالى خيبر إلى قبلتها ، أوله من الشمال غمرة ، ومن القبلة القصيبة، وهو فاصل بين خيبر والعراص .

وادى السمك — وادى السَّمْك — بفتح السين المهملة ثم السكون ، بناحية الصفراء ، يسلكه الحاج أحياناً ، ذكره المجد فى السين .

وادى القرى — وادى القرى — واد كثير القرى ، بين المدينة والشام ، وقال الحافظ ابن حجر : هى مدينة قديمة بين المدينة والشام ، وأغرب ابن قُرْقُول فقال : إنها من أعمال المدينة ؛ انتهى . ولا إغراب فيه لتصريح صاحب المسالك به كما سبق فى تبوك ، وسبق أن دومة الجندل من أعمال المدينة ، وأنها بوادى القرى ، بل يظهر أنها أبعد منه لأنها على خمس عشرة أو ست عشرة ليلة من المدينة ، وأما وادى القرى ففى طبقات ابن سعد أن أسامة بن زيد لما رجع من غزوة الروم أجَدَّ السير ، فورد وادى القرى فى سبع ليال ، ثم قصد يعدو فى السير فسار إلى المدينة ستاً ، وسبق أن حجر ثمود على يوم من وادى القرى ، وأن العلا بناحية وادى القرى .

وروى البيهقى من طريق الواقدى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر إلى وادى القرى ، فلما نزلنا إلى وادى القرى انتهينا إلى يهود وقد ثَوَى إليها ناس من العرب ، وذكر استقبال يهود لهم بالرمى وهم يصيحون فى آطامهم وقتالهم حتى أمسوا ، قال : وغدا عليهم النبى صلى الله عليه وسلم، فلم ترتفع الشمس قيدَ رمح حتى أعطوا بأيديهم . وفتحها عَنْوة ، وغنمه الله أموالهم ، وأصابوا أثاثاً ومتاعاً كثيراً ، فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بوادى القرى أربعة أيام ، وقسم ما أصاب ، وترك الأرض والنخل

بأيدى يهود ، وعاملهم عليها ، فلما بلغ يهود تيماء ما وطىء به رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر وفدك ووادى القرى صالحوه على الجزية ، وأقاموا بأيديهم أموالهم فلما كان عمر أخرج يهود خيبر وفدك ، ولم يخرج أهل تيماء ووادى القرى ؛ لأنهما داخلتان فى أرض الشام — ويروى أن ما دون وادى القرى إلى المدينة حجاز ، وأن ما وراء ذلك من الشام — فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن ترفع من خيبر ومن وادى القرى ، وقال أحمد بن جابر : قيل : إن عمر أجلى يهود وادى القرى ، وقيل : لم يجلهم .

وسبق فى ذى المروة أن بعضهم عده من وادى القرى ، وأنه إن ثبت فهو غير وادى القرى المذكور ، وسبق فى بلاكث وبرمة ما يؤيده ، وعليه أهل المدينة اليوم ؛ لأنهم يسمون ناحية ذى المروة وناحية ذى خشب وادى القرى ، ولعلها قرى عرينة .

واردات

واردات — هضبات صغار بحمى ضرية ، فيها يقول الأخطل :

إذا ما قلت قد صالحت بكراً أبى الأضغان والنَّسَبُ البعيد

ومُهْـــرَاق الدماء بواردات تبيد المجريات ولا تبيـــد

واسط

واسط — أطم لبنى خدرة ، وأطم آخر لبنى خزيمة رهط سعد بن عبادة ،[1] وآخر لبنى مازن بن النجار ، وموضع بين ينبع وبدر ، وجبل تنتطح سيول العقيق عنده ثم يفضى إلى الجنجانة ، وفيه يقول كثير :

أقاموا ، فأما آل عزة غدوة فبانوا ، وأما واســط فمقيم

واقم

واقم — كصاحب ، أُطم بنى عبد الأشهل ، نسبت إليه حَرَّتهم ، وله يقول شاعرهم :

نحن بنينا واقماً بالحـــرهْ بلازب الطين وبالأصِرَّهْ

وواقم أيضاً : أطم بالمسكبة شرقى مسجد قباء لأبى عويم بن ساعدة ، وأطم آخر فى موضع الدار التى يقال لها واقم بقباء كان لأحيحة قبل تحوله للعصبة .

(١) سعد بن عبادة — رضى الله عنه — من بنى حارثة الخزرجيين

الوالج — الوالج ـ كان به الشيخان ، وهما أطمان كما سبق ، و بطرفه ممايلى قناة أطم يقال له الأزرق .

الوبره — الوبْرَة ـ بسكون الموحدة ، قرية على عين من جبال آرة ، وجاء ذكرها في حديث أهبان الأسلمى أنه كان يسكن يين وهى من بلاد أسـلم : بينا هو يرعى بحرة الوَبْرَة عدا الذئب على غنمه ، الحديث ، قاله المجد تبعا لياقوت ، وهو وهم ؛ لأن الوبرة هذه بالفرع كما يؤخذ مما سبق فى آرة ، على أربعة أيام من المدينة و يين على بريد من المدينة كما سيأتى ، وتقدم عن المجد فى حرة الوبرة ما يخالف المذكور هنا ، وهو الصواب ، وقد وقع الموضعان كذلك فى كلام ياقوت فتبعه المجد .

وبعان — و بعان ـ بالفتح ثم الكسر و إهمال العين آخره نون ، و يقال باللام بدل الباء ، قرية على أكناف آرة ، قاله المجد .

وجمة — وجْمة ـ بالفتح وسكون الجيم ، جبل يدفع سيله فى عنقه .

الوحيدة — الوحيدة ـ مؤنث الوحيد للمنفرد، من أعراض المدينة بينها و بين مكة .

ودان — وَدّان ـ بالفتح ودال مهملة مشددة آخره نون، قريةمن نواحى الفرع لضمرة وغفار وكنانة ، على ثمانية أميال من الأبواء ، أكثر نُصَيب من ذكرها قال :

أقول لركْبٍ قافلـين عشيةً قفَا ذَات أوشالٍ ومولاكَ قاربُ

قفوا أخبرونى عن سليمان ، إننى لمعروفهِ من أهل ودّان راغب

فعاجوا فأثنوا بالذى أنت أهله ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب

وقال أبو زيد : ودّان من الجحفة على مرحلة ، بينها و بين الأبواء ستة أميال وبها كان أيام مقامى بالحجاز رئيس لبنى جعفر بن أبى طالب ، ولهم بالفرع وساية ضياع وعشيرة ، و بينهم و بين الحسنيين حروب ، ولم يزل كذلك حتى استولت طائفة من اليمن تعرف ببنى حرب على ضياعهم .

ودعان — ودعان ـ بالفتح ثم السكون وعين مهملة آخره نون ، موضع بينبع .

الوراق — هضب الوراق ـ جبل تقدم [فى] حمى ضرية .

ورقان وَرِقان ـ بالفتح ثم الكسر وقد تسكن وبالقاف ، جبل عظيم أسود على يسار المصعد من المدينة ، وينقاد من سيالة إلى الجى بين العرج والرويثة ، وبسفحه عن يمينه سيالة ثم الروحاء ثم الرويثة ثم الجى ، وفى ورقان أنواع الشجر المثمر وغير المثمر والقرظ والسماق ، وفيه أوشال وعيون ، سكانُه بنو أوس من مزينة قوم صدق أهل عمود ، قاله عرام .

وقال الأسدى : إنه على يسار الطريق حين يخرج من السيالة ، ويقال : إنه يتصل إلى مكة ، انتهى .

وذكر عرام أن الذى يليه عند الجى القدسان، يفصل بينه وبينهما عقبة ركوبة، وسبق فى فضل أُحُد من حديث الطبرانى أن ورقان من جبال الجنة ، وحديث « خير الجبال أحد والأشعر وورقان » وأنه أحَدُ الأجْبُل التى وقعت بالمدينة من الجبل الذى تجلى الله تعالى له ، وفى رواية أنه أحد الأجبل التى بنيت الكعبة منها ، وسبق فى مسجد عرق الظبية قوله صلى الله عليه وسلم « هل تدرون ما اسم هذا الجبل » يعنى ورقان « هذا حمت ، جبل من جبال الجنة ، اللهم بارك فيه وبارك لأهله » ثم قال « هذا سجاسج للروحاء ، هذا واد من أودية الجنة » قال ابن شبة: يقال يومٌ حمت ؛ إذا كان شد الحر : أى هو قوى شديد .

الوسباء الوسباء ـ بالفتح وسكون السين المهملة ثم باء موحدة وبالمد ، ماء لبنى سليم بلحف أبلى .

وسط وسط ـ جبل بحمى ضرية ، ينسب إليه دارة وسط بناحيته اليسرى .

وسوس وسوس ـ من الوسواس من أودية القبلية ، يصب من الأجرد على الحاضرة والتكباء ، وهما فرعان بهما نخل لجهينة وغيرهم ، والحاضرة عين لبنى عبد العزيز ابن عمر فى صدر الحرار .

الوشيجة الوشيجة ـ بالفتح وكسر الشين المعجمة ثم مثناة تحت وجيم وهاء ، من أودية العقيق

ذو وشيع ذو وشيع ـ بالفتح ثم الكسر آخره عين مهملة ، من أموال المدينة .

الوطيح — الوطيح — بالفتح وكسر الطاء المهملة وياء وحاء مهملة ، من أعظم حصون خيبر ، سمى بوطيح بن مازن رجل من ثمود ، وفى كتاب أبى عبيدة «الوطيحة» بزيادة هاء .

وظيف الحمار — وظيف الحمار — بالظاء المعجمة والمثناة تحت والفاء ، مستدق الذراع والساق من الحمار ونحوه ، هو من العقيق ما بين سقاية سليمان بن عبد الملك إلى زغابة

وفى طبقات ابن سعد فى قصة ماعز أنه لما مَسَّته الحجارة فر يعدو قبل العقيق فأدرك بالمكيمن ، وكان الذى أدركه عبد الله بن أنيس بوظيف حمار ، فلم يزل يضرب به حتى قتله ، انتهى . والمكيمن : بالعقيق ، لكنه بعيد من الموضع المذكور

وعيرة — وعيرة — بالفتح وكسر العين المهلة وسكون المثناة تحت وفتح الراء ثم هاء ، جبل شرقى ثور ، أكبر منه وأصغر من أحد .

ولعان — ولعان — لغة فى و بعان كما سبق

حرف الياء

يتيب — يتيب — بالفتح ثم كسر المثناة فوق ثم مثناة تحت ثم موحدة ، جبل له ذكر فى حدود الحرم ، وفى نزول أبى سفيان به حين حرق صورا من صيران العريص كذا قاله المجد ، وسبق فى حدود الحرم مايخالفه فى الضبط .

يثرب — يثرب — تقدم فى أسماء المدينة ، وقال ابن زبالة : يثرب أم قرى المدينة ، وهى ما بين طرف قناة إلى طرف الجرف ، أى هذا حدها من المشرق والمغرب وما بين المال الذى يقال له البرنى إلى زبالة أى من الشام والقبلية ، وفى شامى الموضع المعروف اليوم بيثرب نخل يعرف بالمال ، وزبالة تقدم بيانها .

ذو يدوم — ذو يدوم — من أدوية العقيق

يديع — يديع — بالفتح وكسر الدال المهملة ومثناة تحتية ثم عين مهملة ، ناحية بين فدك وخيبر ، بها مياه وعيون لفزارة وغيرهم

يراجم — يراجم — غدير ببطن قاع النقيع فى صير الجبل نصيف [؟] روى الزبير أن

النبي صلى الله عليه وسلم توضأ من غدير يراجم بالنقيع وقال : إنكم ببقعة مباركة، وقال تبع الملك :

ولقد شربت على يراجم شربة ... كادت بباقية الحـــياة تذيع

يرعة

يَرَعَة ـ محركة والعين مهملة ، فى ديار فزارة ، بين ثوابة والحراضة .

يلبن

يلبن ـ بالفتح ثم السكون ثم موحدة مفتوحة ثم نون ، غدير بنقيع الحمى فى صير ، وقال ابن السكيت : هو قَلْتٌ[1] عظيم بالنقيع من حرة سليم ، قال الهجرى : و يقول الفصحاء فيه « أبلن » بهمزة بدال الياء و « يلبن » بالياء ، وقال المجد : هو جبل قرب المدينة ، وقيل: غدير بها .

اليسيرة

اليسيرة ـ بئر بنى أمية بن زيد ، تقدمت فى الآبار .

يليل

يليل ـ بياءين مفتوحتين بينهما لام وآخره لام ، وادٍ بناحية ينبع والصفراء، يصب فى البحر ، و به عين كبيرة تخرج من جوف رمل من أغزر ما يكون من العيون ، وتجرى فى الرمل فلا يستطيعون الزراعة عليها إلا فى أحياء الرمل ، وبها نخل وبُقُول ، وتسمى النجير ، و يتلوها الجار ، وهو على شاطىء من النجير ، قاله عرام .

وفى غزوة بدر أن قريشا نزلت بالعُدْوَة القُصْوَى من الوادى خلف العَقَنْقل ويليل بين بدر و بين العقنقل ، فيليل هذا غير يليل السابق ذكره فى الخلائق ؛ لأن ذاك عند الضبُوعة ، ومن مجتمعهما تخرج إلى فرش ملل .

وروى برجال وثقوا عن سبرة بن معبد قال: رأى أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم سحابة ، فقالوا : يا رسول الله كنا نرجو أن تُمْطِرنا هذه السحابة، فقال : إن هذه أمِرَتْ أن تمطر بيليل ، يعنى واديا يقال له يليل .

---

(١) القلت : النقرة فى الجبل .

ينبع

ينبع ـ بالفتح ثم السكون وضم الموحدة و إهمال العين مضارع « نَبَع الماء » أى ظهر ، من نواحى المدينة على أربعة أيام منها ، و إنما أفردت عنها فى الأعْصُر الأخيرة ، سميت به لكثرة ينابيعها ، قال بعضهم : عددت بها مائة وسبعين عينا .

ولما أشرف عليها على رضى الله تعالى عنه ونظر إلى جبالها قال : لقد وضعت على نقى من الماء عظيم ، وسكانها جهينة و بنو ليث والأنصار ، وهى اليوم لبنى حسن العلويين .

وروى ابن شبة أن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه أقطع عليا بينبع ، ثم اشترى علىّ إلى قطيعة عمر شيئاً .

وروى أيضاً عن كشد[؟] بن مالك الجهنى قال : نزل طلحة بن عبيد الله وسعيد ابن زيد بن علىّ بالمنحار ـ وهو موضع بين حوزة السفلى و بين منحوين على طريق تجار الشام ـ يرقبان عير أبى سفيان ، فأجازهما كشد ، فلما أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ينبع أقطعها لكشد ، فقال : إنى كبير ، ولكن أقطعها لابن أخى ، فأقطعها له ، فابتاعها منه عبد الرحمن بن سعد الأنصارى بثلاثين ألف درهم ، فخرج عبد الرحمن إليها وأصابه صافيها وريحها ، فقدرها ، وأقبل راجعاً ، فلحق على ابن أبى طالب رضى الله تعالى عنه دون ينبع ، فقال : من أين جئت ؟ فقال : من ينبع ، وقد سئمتها ، فهل لك أن تبتاعها ؟ قال على : قد أخذتها بالثمن ، قال : هى لك ، فكان أول شىء عمله على فيها البغيبغة .

وعن عمار بن ياسر قال : أقطع النبى صلى الله عليه وسلم عليا بذى العشيرة من ينبع ، ثم أقطعه عمر بعد ما استخلف قطيعة ، واشترى علىّ إليها قطيعة ، وكانت أموال على بينبع عيونا متفرقة تصدق بها .

وروى أحمد بن الضحاك أن أبا فضالة خرج عائداً لعلى بينبع ، وكان مريضاً ، فقال له : ما يسكنك هذا المنزل ؟ لو هلكت لم يلك إلا الأعراب أعراب جهينة ،

فاحتمل إلى المدينة فإن أصابك قَدَر وَليكَ أصحابُكَ ، فقـال على : إنى لستُ بميت من وجعى هـذا ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد إلىّ أن لا أموت حتى أضرب ثم تخضب هذه – يعنى لحيته – من هذه،يعنى هامته .

يهيق – موضع قرب المدينة ، قال المجد : لم أر مَنْ تعرض له ، وفى الحديث « ليوشكن أن يبلغ بنيانهم سيفاً » يعنى أهل المدينة

يهيق

ينين – بياءين مفتوحة ثم ساكنة ثم نون ، وليس فى كلامهم ما فاؤه وعينه ياء غيره ، وضبطه الصغانى بفتح الياءين .

يين

قال نصر : يين وادٍ به عين من أعراض المدينة ، على بريد منها ، وهى منازل أسلم من خزاعة .

وقال الزمخشرى : يَيْن عين بوادٍ يقال له حورتان ، لبنى زيد الموسوى من بنى الحسن .

وفى سر الصناعة : يين واد بين ضاحك وضويحك ، جبلان بأسفل الفرش .

قلت : وسيلهما يصب فى حورتين ، فلا تخالف ، وأثر العين والقرية اليوم موجود هناك ، وكان بها فواكه كثيرة ، حتى نقل الهجرى أن يين بلد فاكهة المدينة ، وكانت تعرف من قريب بقرية بنى زيد ، فوقع بينهم و بين بنى يزيد حروب ، فجلا بنو زيد عنها إلى الصفراء ، و بنو يزيد إلى الفرع ، فخربت ، وكانت منازل بنى أسلم قديماً .

وعن أسماء بن خارجة الأسلمى قال : دخلت على النبى صلى الله عليه وسلم يوم عاشوراء ، فقال : أصُمْتَ اليوم يا أسماء ؟ فقلت : لا ،قال : فصم ، قلت : قد تغديت ، قال : صُمْ ما بقى من يومك ، وأمر قومك يصومونه ، قال : فأخذت نعلى بيدى فما دخلَتْ رجلى حتى وردت يين على قومى ، فقلت : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركم أن تصوموا بقية يومكم .

وفى حديث أهبان الأسْلَمِى ثم الخزاعى أنه كان يسكن يين ، فبينا هو يرعى بحرة الوَبْرَة عدَا الذئبُ على غنمه ، الحديثَ .

وقال ابن هَرْمَة :

أدار سـليمى بَيْنَ يَيْنَ فمثعر أبينى ، فما استُخْبِرْتَ إلا لتُخْبِرى

ومحجة يين طريق درب الفقرة التى فى شـامى الجمّاوات : لأن يَيْن على يمين طريق مكة قرب ملل ، وقال الهجرى : قال أبو الحسن : عبود جبل بين مدفع مريين و بين ملل ومر يين طريق ، أى يسلك هناك و يريد مريين بطرف عبود . وقال ابن إسحاق ، فى المسير إلى بدر : ثم مر على تربان ، ثم على ملل ، ثم على عميس الحمام من مريين ثم على صخيرات الثمام ، و يين أيضاً : بئر بوادى بوادى عياش ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

الباب الثامن

فى زيارة النبى صلى الله عليه وسلم

وفيه أربعة فصول

الفصل الأول

فى الأحاديث الواردة فى الزيارة نصا

الحديث الأول

روى الدار قطنى والبيهقى وغيرها ، قال الدارقطنى : حدثنا القاضى المحاملى ، حدثنا عبيد بن محمد الوراق ، حدثنا موسى بن هلال العبدى ، عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من زار قبرى وجبت له شفاعتى » .

قال السبكى: كذا فى عدة نسخ مُعْتَمَدة من سنن الدارقطنى عبيدالله مصغرا، وكذلك الدارقطنى فى غير السنن ، واتفقت رواياته من طريق محمد بن أحمد بن

محمد ومحمد بن عبد الملك بن بشران وأبى النعمان تراب بن عبيد كلهم عن الدارقطنى عن المحاملى على عبيد الله مصغراً ، ورواه غير الدارقطنى عن غير المحاملى كما رواه البيهقى من طريق محمد بن رنجويه القشيرى ، قال : حدثنا عبيد بن محمد بن القاسم ابن أبى مريم الوراق ، حدثنا موسى بن هلال العبدى ، عن عبيد الله بن عمر ، عن نافع عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما ، الحديث ؛ فثبت عن عبيد بن محمد وهو ثقة روايته على التصغير ، ورواه جماعة غيره عن موسى بن هلال منهم جعفر ابن محمد البزورى حدثنا محمد بن هلال البصرى عن عبيد الله مصغراً رواه العقيلى ومنهم محمد بن إسماعيل بن سمرة الأحمسى ، واختلف عليه؛فروى عنه مصغرا كغيره، وروى عنه مكبراً ، ومرّض ذلك الحافظ يحيى بن على القرشى ، وصوب التصغير ، وفى تاريخ ابن عساكر بخط البرزالى : المحفوظ عن ابن سمرة « عبيد الله » وفى كامل ابن عدى « عبد الله أصح » قال السبكى : وفيه نظر ، والذى يترجح « عبيد الله » لتضافر روايات عبيد بن محمد كلها و بعض روايات ابن سمرة ، ولما سيأتى فى الحديث الثالث من متابعة مسلمة الجهنى لموسى بن هلال ، و يحتمل أن موسى سمع الحديث من عبيد الله وعبد الله جميعاً ، وحدث به عن هذا تارة وعن هذا أخرى . وممن رواه عن موسى عن عبد الله مكبراً الفضلُ بن سهل ؛ فإن صح حمل على أنه عنهما ، إذ لا منافاة ، على أن المكبر روى له مسلم مقرونا بغيره ، وقال أحمد : صالح ، وقال أبو حاتم : رأيت أحمد بن حنبل يحسن الثناء عليه ، وقال يحيى بن معين : ليس به بأس ، يُكتَب حديثه ، وقال : إنه فى نافع صالح ، وقال ابن عدى : لا بأس به ، صدوق . وقال ابن حبان ما حاصله : إن الكلام عليه لكثرة غلطه لغلبة الصلاح عليه ، حتى غلب عن ضبط الأخبار .

قال السبكى : وهذا الحديث ليس فى مظنة الالتباس عليه ، لا سندا ولا متنا ؛ لأنه فى نافع ، وهو خصيص به ، ومتنه فى غاية القصر والوضوح ، والرواة إلى موسى

ابن هلال ثقات ، وموسى قال ابن عدى : أرجو أنه لا بأس به ، وقد روى عنه ستة منهم الإمام أحمد ، ولم يكن يروى إلا عن ثقة ، فلا يضره قول أبى حاتم الرازى : إنه مجهول ، وقول العقيلى : لا يتابع عليه ، وقول البيهقى : سواء قال عبيد الله أم عبد الله فهو منكر عن نافع ، لم يأت به غيره ، فهذا وشبهه يدلك على أنه لا علة لهذا الحديث إلا تفرد موسى به ، وأنهم لم يحتملوه له لخفاء حاله ، وإلا فكم من ثقة ينفرد بأشياء وتُقْبل منه :

قلت : ولهذا قال بعض الحفاظ ممن هو فى طبقة ابن منده : هذا الخبر رواه عن موسى بن هلال محمد بن إسماعيل بن سمرة الأحمسى ، ومحمد بن جابر المحاربى ، ويوسف بن موسى القطان ، وهرون بن سفيان ، والفضل بن سهل ، والعباس بن الفضل ، وعبيد بن محمد الوراق ، وبعض هؤلاء قال فى حديثه : عن عبيد الله بن عمر ، ذكرناه بأسانيده فى الكتاب الكبير ، ولا نعلم رواه عن نافع إلا العمرى ، ولا عنه إلا موسى بن هلال العبدى ، تفرد به ، انتهى .

قال السبكى عقب ما تقدم : وأما بعد قول ابن عدى فى موسى ما قال ووجود متابع فإنه يتعين قبوله ، ولذلك ذكره عبد الحق فى الأحكام الوسطى والصغرى ، وسكت عليه مع قوله فى الصغرى « إنه تخيرها صحيحة الإسناد ، معروفة عند النقاد » وقد نقلها الأثبات ، وتداولها الثقات ، وذكر نحوه فى الوسطى المعروفة اليوم بالكبرى ، وسبقه ابن السكن إلى تصحيح الحديث الثالث كما سيأتى ، وهو متضمن لمعنى هذا ، وأقل درجات هذا الحديث الحُسْنُ إنْ نُوزِعَ فى صحته لما سيأتى من شواهده ، وتضافُرُ الأحاديثِ يزيدُها قوة ، حتى إن الحسن قد يترقى بذلك إلى درجة الصحيح .

وقال الذهبى : طرق هذا الحديث كلها لينة يقوى بعضها بعضاً ؛ لأنه ما فى رواتها متهم بالكذب ، قال : ومن أجودها إسناداً حديث حاطب « مَنْ رآنى بعد موتى فكأنما رآنى فى حياتى » أخرجه ابن عساكر وغيره ، انتهى .

ومعنى قوله « وجبت » أنها ثابتة لا بد منها بالوعد الصادق .

وقوله «له» إما أن يراد بخصوصه فيخص الزائر بشفاعةٍ لا تحصل لغيره ، وإما أن يراد أنه تفرد بشفاعةٍ مما يحصل لغيره ، والإفراد للتشريف والتنويه بسبب الزيارة ، وإما أن يراد أنه بعدم تركه الزيارة يجب دخوله فيمن تناله الشفاعة؛ فهو بشرى بموته مسلماً ، فيجرى على عمومه ، ولا يضم فيه شرط الوفاة على الإسلام ، بخلافه على الأولين .

وقوله « شفاعتى » فى هذه الإضافة تشريف ، فإن الملائكة والأنبياء والمؤمنين يشفعون ، والزائر له نسبة خاصة فيشفع هو فيه بنفسه ، والشفاعة تعظم بعظم الشافع .

الحديث الثانى

روى البزار من طريق عبد الله بن إبراهيم الغفارى : حدثنا عن عبد الرحمن ابن زيد عن أبيه عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « مَنْ زار قبرى حَلَّتْ له شفاعتى » .

قال البزار : عبدالله بن إبراهيم حدث بأحاديثَ لم يتابَعْ عليها ، وإنما يكتب من حديثه مالا يحفظ إلا عنه ، وقال أبو داود : إنه منكر الحديث.

قال السبكى : وهذا الحديث هو الأول ، ولذلك عزاه عبدُ الحق للدارقطنى والبزار ، إلا أن فى الأول « وجبت » وفى هذا «حلت » فلذلك أفردته ، والقصدُ تقوية الأول به ، فلا يضره ما قيل فى الغفارى ، وكذا ما قيل فى عبد الرحمن بن زيد ، إذ ليس راجعاً إلى تهمة كذب ولا فسق ، ومثله يحتمل فى المتابعات والشواهد ، وقد روى الترمذى وابن ماجه لعبد الرحمن بن زيد، وقال ابن عدى: إن له أحاديث حِساناً ، وإنه ممن احتمله الناسُ وصدقه بعضهم ، وإنه ممن يكتب حديثه ، وصحح الحاكم حديثاً من جهته فى التوسل بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم.

الحديث الثالث

روى الطبرانى فى الكبير والأوسط ، والدارقطنى فى أماليه ، وأبو بكر بن

المقرئ في معجمه ، من رواية مسلمة بن سالم الجهنى قال : حدثنى عبيد الله بن عمر عن نافع عن سالم عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « مَنْ جاءنى زائراً لا تَحمِله حاجة إلا زيارتى كان حقا علىّ أن أكون له شفيعا يوم القيامة » وفى معجم ابن المقرىء عن مسلمة عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن سالم عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « مَنْ جاءنى زائراً كان له حقاً على الله عز وجل أن أكون له شفيعاً يوم القيامة » فقد تابع مسلمة الجهنى موسى بن هلال فى شيخه عبيد الله العمرى ، والطرق كلها فى روايته متفقة على عبيد الله المصغر الثقة ، إلا أن مسلمة بن حاتم الأنصارى رَوَاه عن مسلمة عن عبد الله مكبراً ، وأورد الحافظ ابن السكن هذا الحديث فى باب « ثواب من زار قبر النبى صلى الله عليه وسلم » من كتابه المسمى بالسنن الصحاح المأثورة عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ، وهو إمام حافظ ثقة مات بمصر سنة ثلاث وخمسين وثلثمائة ، وكتابه هذا محذوف الأسانيد ، ومقتضى ما شرطه فى خطبته أن يكون هذا الحديث مما أجمع على صحته .

قلت : ولهذا نقل عنه جماعة منهم الحافظ زين الدين العراقى أنه صححه ، فإما أن يكون ثبت عنده من غير طريق مسلمة أو أنه ارتقى إلى ذلك بكثرة الطرق، وتبويبهُ دال على أنه فهم من هذا الحديث الزيارة بعد الموت ، أو أن ما بعد الموت داخل فى العموم ، قال السبكى : وهو صحيح .

الحديث الرابع

روى الدارقطنى، والطبرانى فى الكبير والأوسط، وغيرهما من طريق حفص ابن داود القارىء عن ليث عن مجاهد عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما ، قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « مَنْ حَجَّ فزار قبرى بعد وفاتى كان كمن زارنى فى حياتى » .

ورواه ابن الجوزى فى « مثير الغرام الساكن» من طريق الحسن بن الطيب: حدثنا على بن حجر حدثنا حفص بن سليمان عن ليث عن مجاهد عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما ، قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « من حج فزار قبرى بعد موتى كان كمن زارنى فى حياتى وصَحِبنِى » قال أبو اليمن بن عساكر : تفرد بقوله « وصحبنى» الحسن بن الطيب عن على بن حجر ، وفيه نظر، وهى زيادة منكرة ، قال السبكى : ولم ينفرد بها ابن الطيب ؛ فقد رواه كذلك ابن عدى فى كامله من طريق الحسن بن سفيان عن على بن حجر بالسند المتقدم ، ورواه أبو يعلى من طريق حفص بن سليمان عن كثير بن شنظير عن ليث بن أبى سليم عن مجاهد عن ابن عمر بدون قوله « وصحبنى» .

قلت : والتشبيه بمن صحبنى لا يقتضى التشبيه به من كل وجه حتى يناقضه قوله « لو أنفق أحَدُكم مثلَ أحُدٍ ذهبا ـ الحديثَ » كما زعمه بعضهم .

وروى بعض الحفاظ المعاصرين لابن منده هذا الحديث من طريق حفص ابن سليمان عن ليث بلفظ « من حج فزارنى فى حياتى » قال السبكى : وحفص ابن أبى داود وَثّقه أحمد ، ثم روى ذلك عنه من طريقين ، قال : وذلك مقدم على من روى عنه تضعيفه ، وضعفه جماعة ، وهم حفص بن سليمان القارى الغاضرى على ما قاله البخارى وابن أبى حاتم وابن عدى وابن حبان وغيرهم ، وهو لم ينفرد بهذا الحديث ، ودعوى البيهقى انفراده به بحسب اطلاعه ؛ فقد جاء فى الكبير والأوسط للطبرانى متابعته ؛ فإنه روَاه من طريق عائشة بنت يونس امرأة الليث عن ليث بن أبى سليم عن مجاهد عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مَنْ زار قبرى بعد موتى كان كمن زارنى فى حياتى » قال الهيثمى : فيه عائشة بنت يونس ، ولم أجد مَنْ ترجمها .

الحديث الخامس

روى ابن عدى فى الكامل من طريق محمد بن محمد بن النعمان حدثنى جدى

قال : حدثنى مالك عن نافع عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مَنْ حج البيت ولم يزرنى فقد جفانى » قاله ابن عدى : ولا أعلم رواه عن مالك غير النعمان بن شبل ، ولم أر فى أحاديثه حديثا غريباً قد جاوز الحد فأذكره ، وروى فى صدر ترجمته عن عمران بن موسى أنه وثقه وعن موسى بن هارون أنه متهم ، قال السبكي : هذه التهمة غير مفسدة ، فالحكم بالتوثيق مقدم عليها ، والحديث ذكره الدار قطنى فى غرائب مالك بالسند المتقدم وقال : تفرد به هذا الشيخ وهو منكر ، والظاهر أن ذلك بحسب تفرده ، وعدم احتماله له بالنسبة إلى الإسناد المذكور ، ولا يلزم أن يكون المتن فى نفسه منكرا ولا موضوعا ، وذكر ابن الجوزى له فى الموضوعات سَرَفٌ منه.

الحديث السادس

روى الدارقطنى فى السنن فى الكلام على حديث ابن عمر رضى الله تعالى عنهما « مَنِ استطاع أن يموت فى المدينة فليفعل » من طريق موسى بن هارون عن محمد بن الحسن الجيلى عن عبد الرحمن بن المبارك عن عون بن موسى عن أيوب عن نافع عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما ، قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « مَنْ زارنى إلى المدينة كنت له شهيدا وشفيعا » قيل للجيلى : إنما هو سفيان بن موسى ، قال : اجعلوه على بن موسى . قال موسى بن هارون : ورواه إبراهيم بن الحجاج عن وهيب عن أيوب عن نافع مرسلا عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ، فلا أدرى أسمعه إبراهيم بن الحجاج أولا ؟

قلت : والصواب أنه من رواية سفيان بن موسى ، وقد ذكره ابن حبان فى الثقات .

قيل : وأخطأ راويه فى متنه ، والمعروف من حديث ابن عمر رضى الله تعالى عنهما « من استطاع منكم أن يموت بالمدينة ـ الحديث » وفيه نظر .

الحديث السابع

روى أبو داود الطّيالسي قال : حدثنا سوار بن ميمون أبو الجراح العبدى قال : حدثنى رجل من آل عمر ، عن عمر رضى الله تعالى عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « مَنْ زار قبرى — أو قال مَنْ زارنى — كنت له شفيعا ، أو شهيدا ، ومن مات فى أحَدِ الحرمين بَعَثَهُ الله عز وجلّ فى الآمنين يوم القيامة » .

قال السبكى : سَوّار بن ميمون روى عنه شعبة ، فدل على ثقته عنده ، فلم يبق من يُنْظَرَ فيه إلا الرجل الذى من آل عمر ، والأمر فيه قريب ، لاسيما فى هذه الطبقة التى هى طبقة التابعين .

الحديث الثامن

روى أبو جعفر العقيلى من رواية سَوّار بن ميمون المتقدم عن رجل من آل الخطاب عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « مَنْ زارنى متعمدا كان فى جِوارِى يوم القيامة ، ومن مات فى أحد الحرمين بعثه الله فى الآمنين يوم القيامة » وفى رواية أخرى عن هارون بن قزعة عن رجل من آل الخطاب مرفوعا نحوه ، وزاد عقب قوله فى جوارى يوم القيامة « ومن سَكَنَ المدينة وصبر على بَلاَئها كنت له شهيدا ، أو شفيعا ، يوم القيامة » وقال فى آخره « من الآمنين يوم القيامة » بدل « فى الآمنين » . وهارُون بن قزعة ذكره ابن حبان فى الثقات ، والعقيلى لم يذكر فيه أكثر من قول البخارى : إنه لا يتابع عليه ، فلم يبق فيه إلا الرجل المبهم وإرساله .

وقوله فيه « من آل الخطاب » يوافق قوله فى رواية الطيالسى « من آل عمر » وقد أسنده الطيالسى عن عمر رضى الله تعالى عنه ، لكن البخارى لما ذكره

فى التاريخ قال: هارون بن قزعة عن رجل من ولد حاطب عن النبى صلى الله عليه وسلم « من مات فى أحد الحرمين » روى عنه ميمون بن سوار لا يتابع عليه ، وقال ابن حبان : إن هٰرون بن قزعة روى عن رجل من ولد حاطب المراسيلَ ، وعلى كلا التقديرين فهو مرسل جيد ، وسيأتى عن هٰرون بن قزعة أيضاً مسنداً بلفظ خر فى الحديث التاسع ، قاله السبكى .

الحديث التاسع

روى الدارقطنى وغيره من طريق هارون بن قزعة عن رجل من آل حاطب عن حاطب رضى لله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «مَنْ زارنى بعد موتى فكأنما زارنى فى حياتى ، ومن مات بأحد الحرمين بعث من الآمنين يوم القيامة» وفى رواية أحمد بن مروان صاحب المجالسة عن هارون بن أبى قزعة مولى حاطب عن حاطب ، والرواية « عن رجل عن حاطب » كما سبق أولى الصواب

الحديث العاشر

روى أبو الفتح الأزدى فى الثانى من فوائده من طريق عمار بن محمد : حدثنى خالى سفيان عن منصور عن إبراهيم عن عَلْقمة عن عبد الله رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مَنْ حج حجة الإسلام ، وزار قبرى ، وغزا غَزْوَة ، وصلى فى بيت المقدس ، لم يسأله الله عز وجل فيما افترض عليه » .

قال السبكى : وعمار هو ابن أخت سفيان ، روى له مسلم والحسن بن عثمان الزيادى ، ووثقه الخطيب ، والراوى عنه ماعلمت من حاله شيئاً . وصاحب الخبر أبو الفتح من أهل العلم والفضل ، وكان حافظا ، ذكره الخطيب وابن السمعانى ، وأثنى عليه محمد بن جعفر بن علان ، وقال أبو النجيب الأرموى : رأيت أهل الموصل يُوَهِّنُونه جدا ، وسئل البرقانى عنه ، فأشار إلى أنه كان ضعيفا ، وذكر غيره كلاما أشد من هذا الحديث .

الحديث الحادي عشر

روى أبو الفتوح سعيد بن محمد اليعقوبي في جزئه رواية إسماعيل المشهور بابن الأنباطي عنه قال فيه من طريق خالد بن يزيد : حدثنا عبد الله بن عمر العمري قال : سمعت سعيدا المقبري يقول : سمعت أبا هريرة رضي الله تعالى عنه يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «مَنْ زارني بعد موتي فكأنما زارني وأنا حيّ ، ومن زارني كنت له شهيدا ، أو شفيعا ، يوم القيامة » .

وخالد بن يزيد إن كان العمري فقد قال ابن حبان : إنه منكر الحديث.

الحديث الثاني عشر

روى ابن أبي الدنيا من طريق إسماعيل بن أبي فديك عن سليمان بن يزيد الكعبي عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « مَنْ زارني بالمدينة كنت له شفيعا وشهيدا يوم القيامة » وفي رواية « كنت له شهيدا ـ أو شفيعاً ـ يوم القيامة » ورواه البيهقي بهذا الطريق ، ولفظه «مَنْ مات في أحد الحرمين بعث من الآمنين يوم القيامة ، ومن زارني محتسباً إلى المدينة كان في جواري يوم القيامة » .

وإسماعيل مجمع عليه ، وسليمان ذكره ابن حبان في الثقات ، وقال أبو حاتم : إنه منكر الحديث ليس بقوي .

قلت : وزعم ابن عبد الهادي أن روايته عن أنس منقطعة، وأنه لم يدركه، فإنه إنما يروى عن التابعين وأتباعهم .

الحديث الثالث عشر

روى ابن النجار في أخبار المدينة له، قال : أنبأنا أبو محمد بن علي أخبرنا أبو يعلى الأزدي أخبرنا أخبرنا أبو إسحاق البجلي أخبرنا أبو سعيد بن أبي سعيد النيسابوري أخبرنا إبراهيم بن محمد المؤدب حدثنا محمد بن محمد حدثنا محمد بن مقاتل حدثنا

جعفر بن هارون حدثنا سمعان بن المهدى عن أنس رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مَنْ زارنى ميتا فكأنما زارنى حيا ، ومن زار قبرى وجبت له شفاعتى يوم القيامة ، وما من أحدٍ من أمتى له سَعَة ثم لم يزرنى فليس له عذر » .

قلت : لم يتكلم عليه السبكى ، وقال الذهبى : سمعان بن مهدى عن أنس لايعرف ، أُلصِقَتْ به نسخة مكذوبة ، رأيتها ، قبح الله مَنْ وضعها، انتهى .

قال الحافظ ابن حجر : وهى من رواية محمد بن مقاتل عن جعفر بن هارون الواسطى عن سمعان ، وهى أكثر من ثلثمائة حديث ، أكْثَرُ متونها موضوعة ، انتهى .

الحديث الرابع عشر

روى أبو جعفر العقيلى فى الضعفاء فى ترجمة فضالة بن سعيد بن زميل المازنى من طريقه عن محمد بن يحيى المازنى عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «مَنْ زارنى فى مماتى كان كمن زارنى فى حياتى ، ومن زارنى حتى ينتهى إلى قبرى كنت له يوم القيامة شهيدا ، أو قال شفيعا » وذكره ابن عساكر من جهته بإسناده، إلا أنه قال « من رآنى فى المنام كان كمن رآنى فى حياتى » والباقى سواء .

وفضالة قال العقيلى : حديثه غير محفوظ ، لا يعرف إلا به ، قال السبكى : كذا رأيته فى كتاب العقيلى . ونقل ابن عساكر عنه أنه قال : لا يتابع على حديثه من جهةٍ تَثْبت ، ولا يعرف إلا به . ومحمد بن يحيى المازنى قال ابن عدى: أحاديثه مظلمة منكرة ، ولم يذكر ابن عدى هذا الحديث فى أحاديثه ، ولم يذكر فيه ولا العقيلى فى فضالة شيئاً من الجرح سوى التفرد والنكارة .

الحديث الخامس عشر

روى بعض الحفاظ فى زمن ابن مَنْده قال : حدثنا أبو الحسن حامد بن حماد

ابن المبارك بسُرَّ مَنْ رأى بنصيبين حدثنا أبو أيوب إسحاق بن يسار بن محمد النصيبي حدثنا أسيد بن زيد حدثنا عيسى بن بشير عن محمد بن عمرو بن عطاء عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « مَنْ حج إلى مكة ثم قصدنى فى مسجدى كتبت له حجتان مبرورتان » وهو فى مسند الفردوس ، ولم يذكره السبكى .

وأسيد بن زيد هو الجمال ، قال الحافظ ابن حجر : هو ضعيف ، أفرط ابن معين فكذبه ، وله فى البخارى حديث واحد معروف بغيره ، انتهى؛ فهو ممن يستشهد به . وعيسى بن بشير : مجهول ، ومَنْ بعده ثقة .

الحديث السادس عشر

روى يحيى بن الحسن بن جعفر الحسينى فى أخبار المدينة له من طريق النعمان ابن شبل قال : حدثنا محمد بن الفضل مدينى سنة ست وسبعين عن جابر عن محمد ابن على عن على رضى الله تعالى عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « مَنْ زار قبرى بعد موتى فكأنما زارنى فى حياتى ، ومن لم يزرنى فقد جفانى » ولم يتكلم السبكى عليه .

والنعمان بن شبل : تقدم الكلام عليه فى الحديث الخامس ، وعن محمد بن الفضل قال : إنه مدينى ، فهو غير محمد بن الفضل بن عطية الذى كذبوه ، خلاف قول ابن عبد الهادى إنه هو ؛ لأن ذاك كوفى ، ويقال : مروزى نزل بخارى . وجابر إن كان الجعفى ــ كما قال ابن عبد الهادى ــ فهو ضعيف ، فيه كلام كثير وثقه شعبة والثورى . ومحمد بن على إن كان أبا جعفر الباقر فالسند منقطع ؛ لأنه لم يدرك جده على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه ، وإن كان ابن الحنفية فقد أدرك أباه علياً ، وقد قال أبو سعيد عبد الملك بن محمد بن إبراهيم النيسابورى الجركوسى فى شرف المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم : روى عن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « من زار قبرى بعد موتى فكأنما زارنى فى حياتى ، ومن لم يزر قبرى فقد جفانى » .

وعبد الملك هذا توفى سنة ست وأربعمائة بنيسابور ، وقبره فيها مشهور يزار ، قاله السبكى ، قال : وقد روى حديث على من طريق أخرى ليس فيها تصريح بالرفع ، ذكرها ابن عساكر من طريق عبد الملك بن هرون بن عنترة عن أبيه عن جده عن على رضى الله تعالى عنه قال : مَنْ سأل لرسول الله صلى الله عليه وسلم الدرجَةَ والوسيلة حَلّتْ له شفاعته يوم القيامة ، ومن زار قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فى جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعبد الملك بن هرون بن عنترة فيه كلام كثير ، رَمَاه يحيى بن معين وابن حبان ، وقال البخارى :منكر الحديث ، وقال أحمد : ضعيف الحديث ، اه .

قلت : وقد رأيت فى نسخة من كتاب يحيى رواية ابنه طاهر بن يحيى عنه عقب حديث علىّ المتقدم مالفظه : حدثنا أبو يحيى محمد بن الفصل بن نباتة النميرى قال : حدثنا الجمالى قال : حدثنا الثورى عن عبد الله بن السائب عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مثله ، اه . ولم أر ذلك فى النسخة التى هى رواية ابن ابنه الحسين بن محمد بن يحيى عن جده يحيى .

الحديث السابع عشر

روى يحيى أيضاً قال : حدثنا محمد بن يعقوب حدثنا عبد الله بن وهب عن رجل عن بكر بن عبد الله رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « مَنْ أتى المدينة زائراً لى وجبت له شفاعتى يوم القيامة ، ومن مات فى أحد الحرمين بعث آمنا » ولم يتكلم عليه السبكى .

ومحمد بن يعقوب هو أبو عمر الزبيرى المدنى ، صدوق . وعبد الله بن وهب ثقة ، ففيه الرجل المبهم . و بكر بن عبد الله إن كان المزنى فهو تابعى جليل؛ فيكون مرسلا ، و إن كان هو بكر بن عبد الله بن الربيع الأنصارى فهو صحابى .

الفصل الثانى

فى بقية أدلة الزيارة، وإن لم تتضمن لفظ الزيارة نصاً

وبيان تأكد مشروعيتها وقربها من درجة الوجوب ، حتى أطلقه بعضهم عليها ، وبيان حياة النبى صلى الله عليه وسلم فى قبره ، ومشروعية شَدِّ الرحال إليه ، وصحة نَذر زيارته صلى الله عليه وسلم ، والاستئجار للسلام عليه .

روى أبو داود بسند صحيح كما قال السبكى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « مامن أحدٍ يُسَلِم علىّ إلا رَدَّ الله علىّ رُوحى حتى أرد عليه السلام » وقد صَدَّر به البيهقى باب زيارة قبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ، واعتمد عليه جماعة من الأئمة فيها منهم الإمام أحمد ، قال السبكى : وهو اعتماد صحيح ؛ لتضمنه فضيلة رد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ، وهى عظيمة .

وذكر ابن قدامة الحديثَ من رواية أحمد بلفظ « مامن أحد يسلِّم علىّ عند قبرى » فإن ثبت فهو صريح فى تخصيص هذه الفضيلة بالمسلم عند القبر ، وإلا فالمسلِّم عند القبر امتاز بالمواجهة بالخطاب ابتداء وجوابا ، ففيه فضيلة زائدة على الرد على الغائب ، مع أن السلام عليه صلى الله تعالى عليه وسلم على نوعين : الأول ما يقصد الدعاء منا بالتسليم عليه من الله ، سواء كان بلفظ الغيبة أو الحضور ، كقولنا : صلى الله تعالى عليه وسلم ، والصلاة والسلام عليك يارسول الله ، سواء كان من الغائب عنه أو الحاضر عنده ، وهذا هو الذى قيل باختصاصه به صلى الله عليه وسلم عن الأمة ، حتى لا يسلم على غيره من الأمة إلا تبعاً كالصلاة عليه ، فلا يقال : فلان عليه السلام . الثانى : مايقصد به التحية كسلام الزائر إذا وَصَل إلى قبره ، وهو غير مختص ، بل يعم الأمة ، وهو مبتدع للرد على المسلم بنفسه أو برسوله فيحصل ذلك منه عليه السلام . وأما الأول فالله أعلم ، فإن ثبت امتاز

الثانى بالقرب والخطاب ، و إلا فقد حُرِمَ مَنْ لم يزر هذه الفضيلة ، وهو مقتضى ما فسر به الحديث الإمام إلجليل أبوعبدالرحمن عبد الله بن زيد المقبرى أحداً كابر شيوخ البخارى ، حيث قال فى قوله «مامن أحديسلم علىّ الحديثَ» :هذا فى الزيارة إذا زارنى فسلَّم على رد الله علىّ روحى حتى أرد عليه ، وأما حديث « أتانى ملك فقال يامحمد أما يرضيك أن لايصلى عليه أحد من أمتك إلا صليت عليه عشرا ، أو لا يسلم عليك إلا سلمت عليه عشراً؛ فالظاهر أنه فى السلام بالنوع الأول .

وروى النسائى و إسماعيل القاضى بسند صحيح عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه مرفوعاً إن لله ملائـكةً سَيّاحِينَ فى الأرض يُبَلِّغون من أمتى السـلام ، وجاءت أحاديث أخرى فى عرض الملك لصلاة الأمة وسلامها على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ، وهذا فى حق الغائب . وأما الحاضر عند القبر ، فهل يكون كذلك أو يسمعه صلى الله تعالى عليه وسلم بلا واسطة ؟ فيه حديثان : أحدهما : « مَنْ صلى علىّ عند قبرى سمعته ، ومن صلى على نائياً بُلِّغْته » رواه جماعة عن أبى هريرة رضى الله تعـالى عنه مرفوعاً من طريق أبى عبد الرحمن محمد بن مروان السدى الصغير ، وهو ضعيف . قال الطيالسى: حدثنا العلاء بن محمود حدثنا أبو عبدالرحمن ـ قال البيهقى : أبو عبد الرحمن هذا هو محمد بن مروان السدى فيما أرى ـ وفيه نظر ، انتهى . قلت : وروى نحوه أبو محمد عبد الرحمن بن حمدان بن عبد الرحمن ابن المرزبان الخلال من طريق أبى البحترى ، وهو ضعيف جدا ،عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما ، قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « مَنْ صلى علىّ عند قبرى رَدَدْتُ عليه ، ومن صلى على فى مكان آخر بلغونيه» .والحديث الثانى ـ وهو أضعف من الأول ـ عن أبى هريرة رضى الله تعـالى عنه أيضاً « مَنْ صلى على عند قبرى وكّلَ الله بها ملكا يبلغنى ، وكُفِيَ أمر آخرته ، وكنت له شهيداً وشفيعاً » وفى رواية « ما من عبد يسلم على عنـد

قبرى إلا وكل الله بها مَلَكا يبلغنى ، وكفى أمر آخرته ودنياه ، وكنت له شهيداً وشفيعا يوم القيامة » فإن ثبت الأول فكفى بذلك شرفا ، وإلا فهو مرجو ، فينبغى الحرص عليه ، قال السبكى : وسيأتى مايدل على أنه صلى الله تعالى عليه وسلم يسمع من يسلم عليه عند قبره ويرد عليه عالما بحضوره عند قبره . وكفى بهذا فضلا حقيقا بأن ينفق فيه مُلك الدنيا حتى يتوصل إليه من أقطار الأرض .

قلت : روى عبد الحق فى الأحكام الصغرى ـ وقال : إسناده صحيح ـ عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « ما مِنْ أحدٍ يمر بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه فيسلم عليه إلا عَرَفَه ، ورد عليه السلام » ورواه ابن عبد البر وصححه كما نقله ابن تيمية ، لكن بلفظ « مامن رجل يمر بقبر الرجل كان يعرفه فى الدنيا فيسلم عليه إلا رَدَّ الله عليه روحه حتى يرد عليه السلام » وقال عبد الحق فى كتاب العاقبة : ويروى من حديث عائشة رضى الله تعالى عنها « ما من رجل يزور قبر أخيه فيجلس عنده إلا استأنس به حتى يقوم » وروى ابن أبى الدنيا عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : إذا مر الرجل بقبرٍ يَعْرِفه فسلم عليه رد عليه السلام وعرفه ، وإذا مر بقبر لا يعرفه فسلم عليه رد عليه السلام .

والآثار فى هذا المعنى كثيرة ، وقد ذكر ابن تيمية فى اقتضاء الصراط المستقيم ـ كما نقله ابن عبد الهادى ـ أن الشهداء بل كل المؤمنين إذا زارهم المسلم وسلَّم عليهم عرفوا به ، وردوا عليه السلام ، فإذا كان هذا فى آحاد المؤمنين فكيف بسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ؟

وذكر البارزى فى « توثيق عرى الإيمان » عن سليمان بن سحيم قال: رأيت النبى صلى الله تعالى وسلم فى النوم فقلت : يارسول الله هؤلاء الذين يأتونك فيسلمون عليك أتفقه سلامهم ؟ قال : وأرد عليهم .

وروى ابن النجار عن إبراهيم بن بشار ، قال : حججت فى بعض السنين ،

فجئت المدينة فتقدمت إلى قبر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فسلمت عليه ، فسمعت من داخل الحجرة : وعليك السلام ، وقد نقل مثل ذلك عن جماعة من الأولياء والصالحين .

ولا شك فى حياته صلى الله تعالى عليه وسلم بعد وفاته ، وكذا سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أحياءٌ فى قبورهم حياةً أكملَ من حياة الشهداء التى أخبر الله تعالى بها فى كتابه العزيز ، ونبيُّنا صلى الله تعالى عليه وسلم سيدُ الشهداء ، وأعمال الشهداء فى ميزانه ، وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم « علمى بعد وفاتى كعلمى فى حياتى » رواه الحافظ المنذرى .

وروى ابن عدى فى كامله عن ثابت عن أنس رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « الأنبياء أحياء فى قبورهم يصلون » ورواه أبو يعلى برجال ثقات ، ورواه البيهقى وصححه ، وروى من طريق ابن أبى ليلى — وهو سيىء الحفظ — عن ثابت عن أنس رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال « إن الأنبياء لا يتركون فى قبورهم بعد أربعين ليلة ، ولكن يصلون بين يدى الله حتى ينفخ فى الصور » قال البيهقى : وإن صح بهذا اللفظ فالمراد — والله أعلم — لا يتركون لا يصلون إلا هذا المقدار ، ثم يكونون مصلين فيما بين يدى الله تعالى .

قال البيهقى : ولحياة الأنبياء — صلوات الله وسلامه عليهم — بعد موتهم شواهد من الأحاديث الصحيحة ، ثم ذكر حديث « مَرَرْتُ بموسى وهو قائم يصلى فى قبره » وغيره من أحاديث لقاء النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الأنبياء وصلاته بهم ، وحديثَ الصحيحين « فإذا موسى باطش بجانب العرش ، فلا أدرى أكان فيمن صعق فأفاق قبلى أم كان ممن استثنى الله عز وجل » قال البيهقى : وهذا إنما يصح على أن الله عز وجل يردُّ على الأنبياء صلوات الله

وسلامه عليهم أرواحَهُم ، فهم أحياء عند ربهم كالشهداء ، فإذا نفخ فى الصور النفخة الأولى صُعِقُوا فيمن صعق ، ثم لا يكون ذلك موتا فى جميع معانيه ، إلا فى ذهاب الاستشعار فى تلك الحالة . ويقال : إن الشهداء ممن استثنى الله عز وجل بقوله (إلا من شاء الله) قال : وروينا فى ذلك خبرا مرفوعا ، وذكر أيضا حديث أوس بن أوس مرفوعا « أَفضَلُ أيامِكم يومُ الجمعة ، فيه خلق آدم ، وفيه قبض ، وفيه النفخة ، وفيه الصعقة ، فأَكْثِرُوا علىّ من الصلاة فيه ، فإن صلاتكم معروضة على » قالوا : وكيف تعرض صلاتنا عليك وقدأَرِمْتَ ؟ يقولون بَلِيتَ ، فقال « إن الله حَرَّمَ على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء » أخرجه أبو داود وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه والحاكم وصححه ، وذكر البيهقى له شواهد ، ثم ذكر حديث « إن لله ملائكة سَيَّاحين يبلغون عن أمتى السلام » وغيره .

وروى ابن ماجه بإسناد جيد ـ كما قال المنذرى ـ عن أبى الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « أَكْثِرُوا الصلاةَ على يوم الجمعة فإنه مَشْهود تَشْهده الملائكة ، وإنْ أَحَدٌ يصلى على إلا عرضت على صلاته حين يفرغ منها » قال : قلت : وبعد الموت ؟ قال « وبعد الموت ، إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام » فنبى الله صلى الله عليه وسلم حى يرزق ، هذا لفظ ابن ماجه ، قال السبكى : وفى إسناده زيد بن أيمن عن عبادة بن نسى، إلا أنه يتقوى باعتضاده بغيره .

وروى البزار برجال الصحيح عن عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال « إن لله ملائكةً سَيَّاحِينَ يبلغونِّى عن أمتى » قال : وقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « حياتى خير لكم ، تُحَدِّثون ويحدث لكم ، ووفاتى خير لكم ،تعرض على أعمالكم ،فما رأيت من خير حمدت الله عليه ، وما رأيت من شر استغفرت الله لكم » .

وقال الأستاذ أبو منصور البغدادى فى أجوبة مسائل الجاجرميين : قال المتكلمون المحققون من أصحابنا : إن نبينا محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم حى بعد وفاته ، يُسَرُّ بطاعات أمته، وإن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم لا يَبْلَوْنَ ، وسيأتى فى الفصل الثالث قولُ ابن حبيب : فإنه صلى الله عليه وسلم يَسْمَع ويَعْلَم وقوفك بين يديه .

وقال البيهقى فى كتاب الاعتقاد : الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بعد ما قبضوا ردَّتْ إليهم أرواحهم ؛ فهم أحياء عند ربهم كالشهداء ، وقد رأى نبيُّنا صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة المعراج جماعةً منهم ، قال : وقد أفردنا لإثبات حياتهم كتابا .

قلت : ويؤيد ذلك حديث « إن عيسى ابن مريم عليه السلام مار بالمدينة حاجا أومعتمرا ، وإن سلم علىَّ لأردَّنَّ عليه » .

فان قيل : قوله فى الحديث المصدر به هذا الفصل « إلا رد الله علىّ روحى حتى أرد عليه » دال على عدم استمرار الحياة .

فالجواب من وجوه : الأول : أن البيهقى استدل به على حياة الأنبياء ، قال : وإنما أراد والله أعلم إلا وقد رد الله علىّ روحى حتى أرد عليه، الثانى : أن السبكى قال : يحتمل أن يكون ردا معنويا ، وأن تكون روحه الشريفة مشتغلة بشهود الحضرة والملأ الأعلى عن هذا العالم ؛ فإذا سلم عليه أقبلت روحه على هذا العالم لتدارك السلام وترد على المسلِّم ، يعنى أن رد روحه الشريفة التفاتٌ روحانى ، وتنزُّلٌ إلى دوائر البشرية من الاستغراق فى الحضرة العلية . الثالث : قال بعضهم : هو خطاب على مقدار فَهم المخاطبين فى الخارج من الدنيا أنه لا بد من عَوْد روحه حتى يسمع ويجيب ، فكأنه قال : أنا أجيب ذلك تمام الإجابة ، وأسمعه تمام السماع ، مع دلالته على رد الروح عند سلام أول مسلِّم ، وقبضها

بعد لم يرد ، ولا قائل بتكرر ذلك ، إذ يفضى ذلك إلى توالى موتات لا تحصر ، مع أنا نعتقد ثبوتَ الإدراكات كالعلم والسماع لسائر الموتى ، فضلا عن الأنبياء ، ويَقْطَع بعوْد الحياة لكل ميت فى قبره ، كما ثبت فى السنة ، ولم يثبت أنه يموت بعد ذلك موتة ثانية ، بل ثبت نعيمُ القبرِ وعذابه ، وإدراك ذلك من الأعراض المشروطة بالحياة ، لكن يكفى فيه حياة جزء يقع به الإدراك ، فلا يتوقف على البنية كما زعم المعتزلة .

وأما أدلّة حياة الأنبياء فمقتضاها حياة الأبدان كحالة الدنيا ، مع الاستغناء عن الغذاء ، ومع قوة النفوذ فى العالم ، وقد أوضحنا المسألة فى كتابنا المسمى « بالوفا ، لما يجب لحضرة المصطفى » صلى الله تعالى عليه وسلم .

وقال أبو محمد عبد الله بن عبد الملك المرجانى فى أخبار المدينة له : قال صاحب الدر المنظم : إن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لما مات ترك فى أمته رحمة لهم، روى عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : مامن نبى دفن إلا وقد رفع بعد ثلاث غيرى ، فإنى سألتُ الله عز وجل أن أكون بينكم إلى يوم القيامة ، اهـ وقال الحافظ ابن حجر : إن حديث « أنا أكرم على ربى من أن يتركنى فى قبرى بعد ثلاث » ذكره الغزالى لا أصل له ، اهـ .

وروى عبد الرزاق أن سعيد بن المسيب رأى قوما يسلمون على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال : مامكث نبى فى الأرض أكثر من أربعين ، ثم روى عبد الرزاق إلىّ حديث « مررت بموسى ليلة أسرى بى وهو قائم يصلى فى قبره » كأنه أراد رَدّ ما روى عن ابن المسيب ، وهو رد صحيح ، ولو صح قول ابن المسيب لم يقدح فى مشروعية زيارة القبر ؛ لشرفه بنسبته إليه صلى الله تعالى عليه وسلم ، وعلاقته به ، وابن المسيب لم ينكر التسليم ، وإنما أفاد تلك الفائدة ، مع أنا قد قطعنا بوضع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى قبره الشريف ، والأصل استمراره ؛ فيستمر على ذلك حتى يقوم قاطع على خلافه ، مع أنه جاء عن غير

ابن المسيب ما يقتضي الاستمرار ، فمن عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه أنه لما حُضِرَ أشار بعضُ الصحابة عليه أن يلحق بالشام ، فقال : لن أفارق دار هجرتى ومجاورة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيها ، وقصة سعيد بن المسيب فى سماعه الأذان والإقامة من القبر الشريف أيام الحرة مشهورة .

وقال يحيى : حدثنا هرون بن عبد الملك ابن الماجشون أن خالد بن الوليد بن الحارث بن الحكم بن العاص وهو ابن مطيرة قام على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم جمعة فقال : لقد استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه وهو يعلم أنه خائن ، ولكن شفعت له ابنتُه فاطمة رضى الله تعالى عنها ، وداود بن قيس فى الروضة ، فقام فقال : أس ، أى يسكته، قال : فزق الناس قميصا كان عليه شقائق حتى وتروه ، وأجلسوه حذرا عليه منه ، وقال : رأيت كفا خرجت من القبر قبر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يقول : كَذَبْتَ ياعدوّ الله ، كذبت يا كافر ، مرارا .

وممن سافر إلى زيارة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من الشام إلى قبره عليه السلام بالمدينة بلال بن رباح مؤذن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، كما رواه ابن عساكر بسند جيد عن أبى الدرداء رضى الله تعالى عنه،قال : لما رحل عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه من فَتْح بيت المقدس فصار إلى جابية ، سأله بلال أن يقره بالشام ، ففعل ، وذكر قصة فى نزوله بداريا ، قال : ثم إن بلالا رأى فى منامه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يقول : ما هذه الجفوة يا بلال ؟ أما آن لك أن تزورنى يا بلال ؟ فانتبه حزينا وَجِلاً خائفاً ، فركب راحلته وقصد المدينة فأتى قبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ، فجعل يبكى عنده ويمرغ وجهه عليه ، فأقبل الحسنُ والحسين رضى الله تعالى عنهما ، فجعل يضمهما ويقبلهما ، فقالا له : يا بلال، نشتهى أن نَسْمَعَ أذانك الذي كنت تؤذن به لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى المسجد ، ففعل ، فَعَلاَ سَطْحَ المسجد ، فوقف موقفه الذى كان يقف فيه ،

فلما أن قال « الله أكبر الله أكبر » ارتجّت المدينة ، فلما أن قال : « أشهد أن لا إله إلا الله » ازدادت رجتها ، فلما أن قال «أشهد أن محمداً رسول الله» خرجت العَوَاتق من خدورهن،وقالوا : بعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، فما رؤى يومٌ أكثر باكياً ولا باكية بالمدينة بعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من ذلك اليوم ، كذا ذكر ابن عساكر فيما نقل السبكى ، فقال الحافظ عبد الغنى وغيره فى ترجمة بلال : ولم يؤذن بعد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فيما روى إلا مرة واحدة فى قدومه المدينة لزيارة قبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ، وقد طلب إليه الصحابة ذلك ، فأذن ولم يتم الأذان ، وقيل : إنه أذن لأبى بكر رضى الله تعالى عنه فى خلافته ، قال السبكى : ليس اعتمادنا — يعنى فى الأخذ بذلك فى السفر للزيارة — على رؤيا المنام فقط ، بل على فعل بلال، سيما فى خلافة عمر رضى الله تعالى عنه ، والصحابة متوافرون ولا تخفى عنهم هذه القصة ، ورؤيا بلال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مؤكدة لذلك .

وقد استفاض عن عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه أنه كان يبرد البريد من الشام يقول : سلم لى على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، وذلك فى زمن صدر التابعين .

وممن ذكره عنه الإمام أبو بكر بن عمرو بن عاصم النبيل ، ووفاته فى المائة الثالثة ، قال فى مناسكه له «ألتزم له الثبوت» وكان عمر بن عبد العزيز يبعث بالرسول قاصداً من الشام إلى المدينة ليقرىء النبى صلى الله تعالى عليه وسلم السلام ثم يرجع ، انتهى .

وفى فتوح الشام أن عمر رضى الله تعالى عنه لما صالح أهل بيت المقدس وقدم عليه كعب الأحبار وأسلم وفرح بإسلامه قال له : هل لك أن تسير معى إلى المدينة وتزور قبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وتتمتع بزيارته؟ فقال : نعم يا أمير المؤمنين

أنا أفعل ذلك ، ولما قدم عمر المدينة كان أول ما بدأ بالمسجد وسلم على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم .

وروى عبد الرزاق بإسناد صحيح أن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما كان إذا قدم من سفر أتى قبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال : السلام عليك يا رسول الله ، السلام عليك يا أبا بكر ، السلام عليك يا أبتاه .

وفى الموطأ رواية يحيى بن يحيى أن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما كان يقف على قبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فيصلى على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، وعلى أبى بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما ، وعند ابن القاسم والقَعْنبى : ويدعو لأبى بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما .

وعن ابن عون قال : سأل رجل نافعا : هل كان ابن عمر رضى الله تعالى عنهما يسلم على القبر ؟ قال : نعم ، لقد رأيته مائة مرة أو أكثر من مائة ، كان يأتى القبر فيقوم عنـده فيقول : السلام على النبى ، السلام على أبى بكر ، السلام على أبى .

وفى مسند أبى حنيفة عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال : من السنة أن تأتى قبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من قبل القبلة ، وتجعل ظهرك إلى القبلة، وتستقبل القبر بوجهك ، ثم تقول : السلامُ عليك أيها النبى ورحمة الله و بركاته، أخرجه الحافظ طلحة بن محمد فى مسنده عن صالح بن أحمد عن عثمان بن سعيد عن أبى عبد الرحمن المقرىء عن أبى حنيفة عن نافع عن ابن عمر .

قلت : وقد تقرر أن قول الصحابى « من السنة كذا » محمول على سنته صلى الله تعالى عليه وسلم ؛ فله حكم المرفوع .

وروى أحمد بسند حسن كما رأيته بخط الحافظ أبى الفتح المراغى المدنى قال : حدثنا عبد الملك بن عمرو قال : حدثنا كثير بن زيد عن داود بن أبى صالح قال:

أقبل مروان يوما ، فوجد رجلا واضعاً وجهه على القبر ، فأخذ مروان برقبته ثم قال : هل تدرى ما تصنع ؟ فأقبل عليه، فقال : نعم إنى لم آتِ الحجر ، إنما جئتُ رسولَ الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولم آت الحجر ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا تبكوا على الدين إذا وليه أهله ، ولـكن ابكوا على الدين إذا وليه غير أهله ، قال الهيثمى : رواه أحمد والطبرانى فى الـكبير والأوسط، وفيه كثير بن زيد ، وثقه جماعة وضعفه النسائى وغيره .

قلت : هو ـ كما قال فى التقريب ـ صدوق يخطىء ، وسيأتى فى الفصل بعده أن يحيى رواه من طريقه ، وأن السبكى اعتمد توثيقه .

وذكر المؤرخون والمحدثون منهم ابن عبد البر وأحمد بن يحيى البـلاذرى وابن عبد ربه أن زياد بن أبيه أراد الحج ، فأتاه أبو بكرة وهو لا يكلمه ، فأخذ ابنه فأجلسه فى حجره ليخاطبه ويسمع زياداً ، فقال : إن أباك فعل وفعل ، وإنه يريد الحج ، وأم حبيبة زوج النبى صلى الله تعالى عليه وسلم هناك ، فإن أذنت له فأعظم بها مصيبة وخيانة لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، وإن هى حَجَبته فأعظم بها حُجّة عليه ، فقال زياد : ما تَدَعُ النصيحة لأخيك ، وترك الحج تلك السنة فيما قاله البلاذرى .

وحكى ابن عبد البر ثلاثة أقوال : أحدها أنه حج ولم يزر من أجـل قول أبى بكرة . والثانى أنه دخل المدينة وأراد الدخول على أم حبيبة رضى الله تعالى عنها فذكر قول أبى بكرة فانصرف . والثالث أن أم حبيبـــة رضى الله تعالى عنها حجبته

قال السبكى : والقصة على كل تقدير تشهد لأن زيارة الحاج كانت معهودة من ذلك الوقت ، وإلا فكان زياد يمكنه الحج من غير طريق المدينة ، بل هى أقرب إليه ؛ لأنه كان بالعراق ، ولـكن كان إتيان المدينة عندهم أمراً لا يترك .

وتقدم فى سابع فصول الباب الثانى عند ذكر الخاصة الثمانين اختلاف السلف فى أن الأفضل البداءة بالمدينة قبل مكة أو بمكة قبل المدينة ، وأن ممن اختار البداءة بالمدينة علقمة والأسود وعمرو بن ميمون من التابعين ، ولعل سببه عندهم ـ كما قال السبكى ـ إيثار الزيارة ، وممن اختار البداءة بمكة ثم إتيان المدينة والقبر الإمامُ أبو حنيفة رضى الله تعالى عنه ، ففى فتاوى أبى اللّيْث السَّمَرْقندى: روى الحسن بن زياد عن أبى حنيفة أنه قال : الأحسن للحاج أن يبدأ بمكة، فإذا قضى نُسُكه مر بالمدينة ، وإن بدأ بها جاز ، فيأتى قريباً من قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيقوم بين القبر والقبلة .

وقد أوضح السبكى أمر الإجماع على الزيارة قولا وفعلا ، وسَرَد كلام الأئمة فى ذلك ، و بين أنها قُرْبة بالكتاب ، والسنة ، والإجماع ، والقياس .

أما الكتاب فقوله تعالى (ولو أنهم إذ ظَلَمُوا أنفسهم جاؤك) الآية دالة على الحث بالمجىء إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ، والاستغفار عنده ، واستغفاره لهم وهذه رتبة لا تنقطع بموته صلى الله تعالى عليه وسلم ، وقد حصل استغفاره لجميع المؤمنين؛ لقوله تعالى (استغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات) فإذا وجد مجيئُهم فاستغفارهم تكملت الأمور الثلاثة الموجبة لتوبة الله ولرحمته . وقوله (واستغفرلهم) معطوف على قوله (جاؤك) فلا يقتضى أن يكون استغفار الرسول بعد استغفارهم مع أنا لا نسلم أنه لا يستغفر بعد الموت ؛ لما سبق من حياته ومن استغفاره لأمته بعد الموت عند عرض أعمالهم عليه ، و يعلم من كمال رحمته أنه لا يترك ذلك لمن جاءه مستغفراً ربه .

والعلماء فهموا من الآية العموم لحالتى الموت والحياة ، واستحبوا لمن أتى القبر أن يتلوها و يستغفر الله تعالى ، وحكاية الأعرابى فى ذلك نقلها جماعة من الأئمة عن العُتْبِى ، واسمه محمد بن عبيد الله بن عمرو ، أدرك ابن عيينة وروى عنه ،

وهى مشهورة حكاها المصنفون فى المناسك من جميع المذاهب ، واستحسنوها ، ورأوها من أدب الزائر ، وذكرها ابن عساكر فى تاريخه ، وابن الجوزى فى مثير الغرام الساكن ، وغيرهما بأسانيدهم إلى محمد بن حرب الهلالى ، قال : دَخَلْتُ المدينة ، فأتيت قبر النبى صلى الله عليه وسلم ، فزرته وجلست بحذائه ، فجاء أعرابى فزاره ، ثم قال : يا خَيْرَ الرسل إن الله أنزل عليك كتابا صادقا قال فيه (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم — إلى قوله رحيما) وإنى جئتك مستغفرا ربك من ذنوبى ، متشفعا بك ، وفى رواية : وقد جئتك مستغفرا من ذنبى مستشفعا بك إلى ربى ، ثم بكى وأنشأ يقول :

يا خير من دُفِنَتْ بالقــاع أعْظُمُهُ ‏ ‏ فطاب من طيبهن القاعُ والأكَمُ

نفسى الفداء لقبرٍ أنتَ ساكِنُهُ ‏ ‏ فيه العَفَاف وفيه الجودُ والكرم

ثم استغفر وانصرف ، قال : فرقدت فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى نومى وهو يقول : الحق الرجلَ وبَشِّرْهُ بأن الله غفر له بشفاعتى ، فاستيقظت فخرجت أطلبه فلم أجده .

قلت : بل قال الحافظ أبو عبد الله محمد بن موسى بن النعمان فى كتابه مصباح الظلام : إن الحافظ أبا سعيد السمعانى ذكر فيما روينا عنه عن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه قال : قدم علينا أعرابى بعد مادفنا رسول‌الله صلى الله عليه وسلم بثلاثة أيام ، فرمى بنفسه على قبر النبى صلى الله عليه وسلم ، وحَثَا من ترابه على رأسه ، وقال : يا رسول الله ، قلت فسمعنا قولك ، ووعيت عن الله سبحانه وما وعينا عنك ، وكان فيما أنزل عليك (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله — الآية) وقد ظلمت وجئتك تستغفر لى ، فنودى من القبر : إنه قد غفر لك ، انتهى .

وروى ذلك أبو الحسن على بن إبراهيم بن عبد الله الكَرْخى عن على ابن محمد بن على ، قال : حدثنا أحمد بن محمد بن الهيثم الطائى قال : حدثنى أبى

عن أبيه عن سلمة بن كهيل عن ابن صادق عن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه ، فذكره .

وأما السنة فما سبق من الأحاديث فى زيارة قبره صلى الله عليه وسلم بخصوصه وقد جاء فى السنة الصحيحة المتفق عليها الأمر بزيارة القبور ، وقبرُ النبى صلى الله عليه وسلم سيد القبور وداخل فى عموم ذلك .

وأما الإجماع فقال عياض رحمه الله تعالى : زيارة قبره صلى الله عليه وسلم سنة بين المسلمين مجمع عليها ، وفضيلة مرغب فيها ، انتهى .

وأجمع العلماء على استحباب زيارة القبور للرجال كما حكاه النووى ، بل قال بعض الظاهرية بوجوبها .

وقد اختلفوا فى النساء ، وقد امتاز القبر الشريف بالأدلة الخاصة به كما سبق ، قال السبكى : ولهذا أقول : إنه لا فرق فى زيارته صلى الله تعالى عليه وسلم بين الرجال والنساء ، وقال الجمال الريمى فى التقفية : يستثنى — أى من محل الخلاف — قبر النبى صلى الله عليه وسلم وصاحبيه ، فإن زيارتهم مستحبة للنساء بلا نزاع ، كما اقتضاه قولهم فى الحج : يستحب لمن حج أن يزور قبرَ النبى صلى الله عليه وسلم ، وحينئذ فيقال معاياةً : قبورٌ يستحب زيارتها للنساء بالاتفاق ، وقد ذكر ذلك بعض المتأخرين وهو الدمنهورى الكبير ، وأضاف إليه قبور الأولياء والصالحين والشهداء ، انتهى .

وأما القياس فعلى ما ثبت من زيارته صلى الله عليه وسلم لأهل البقيع وشهداء أُحُد ، وإذا استحب زيارة قبر غيره فقبره صلى الله عليه وسلم أولى ؛ لما له من الحق ووجوب التعظيم ، وليست زيارته إلا لتعظيمه والتبرك به ، ولتنالنا الرحمة بصلاتنا وسلامنا عليه عند قبره بحضرة الملائكة الحافين به ، وذلك من الدعاء المشروع له .

والزيارة قد تكون لمجرد تذكر الآخرة ، وهو مستحب ؛ لحديث « زوروا

القبور فإنها تذكركم الآخرة » . وقد تكون للدعاء لأهل القبور كما ثبت من زيارة أهل البقيع ، وقد تكون للتبرك بأهلها إذا كانوا من أهل الصلاح ، وقال أبو محمد الشارمساحي المالكي : إن قصد الانتفاع بالميت بِدْعَة إلا في زيارة المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم وقبور الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، قال السبكي : وهذا الاستثناء صحيح ، وحكمه في غيرهم بالبدعة فيه نظر .

قلت : قد ذكر هذا الاستثناء ابن العربي أيضاً ، فقال : ولا يقصد ـ يعني زائر القبر ـ الانتفاع بالميت فإنها بدعة ، وليس لأحد على وجه الأرض إلا لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم ، نقل ذلك عنه الحافظ زين الدين الحسيني الدمياطي ، ثم تعقبه بأن زيارة قبور الأنبياء والصحابة والتابعين والعلماء وسائر المرسلين للبركة أثر معروف .

وقد قال حجة الإسلام الغزالي : كلُّ من يتبرك بمشاهدته في حياته يتبرك بزيارته بعد موته ، ويجوز شد الرحال لهذا الغرض ، انتهى .

وقد تكون الزيارة لأداء حق أهل القبور ، وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « آنَسُ ما يكون الميتُ في قبره إذا زاره مَنْ كان يحبه في دار الدنيا» وسبق عن ابن عباس مرفوعا «ما من أحَدٍ يمر بقبر أخيه المؤمن يعرفه في الدنيا فسلم عليه إلا عرفه ورد عليه السلام » ورأيت بخط الأقشهري : روى بَقِيُّ بن مخلد بسنده إلى محمد بن النعمان عن أبيه مرفوعا « مَنْ زار قبر أبَوَيْهِ في كل جمعة أو أحدهما كتب بارا و إن كان في الدنيا قبل ذلك بهما عاقا »

قال السبكي : وزيارة قبره صلى الله عليه وسلم فيها هذه المعاني الأربعة فلا يقوم غيرها مقامها .

وقد قال عبد الحق الصقلي عن أبي عمران المالكي ، قال : إنما كره مالك أن يقال « زُرْنَا قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم » لأن الزيارة من شاء فعلها ومن

شاء تركها ، وزيارة قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم واجبة ، قال عبد الحق : يعنى من السنن الواجبة ، انتهى .

واختار عياض أن كراهة مالك لذلك لإضافة الزيارة إلى القبر ، وأنه لو قال « زرنا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم » لم يكره ؛ لحديث « اللهم لا تجعل قبرى وثنا يعبد ، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » فحمى إضافة هذا اللفظ إلى القبر قطعا للذريعة .

قال السبكي : ويشكل عليه حديث «من زار قبرى » إلا أن يكون لم يبلغ مالكا ، أو لعله يقول : المحذور فى قول غيره صلى الله تعالى عليه وسلم ، مع أن ابن رشد نقل عن مالك أنه قال : وأكره ما يقول الناس زرت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، وأعظم ذلك أن يكون النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يزار .

قال ابن رشد : ما كره مالك هذا إلا من وجه أن كلمة أعلى من كلمة ، فلما كانت الزيارة تستعمل فى الموتى وقد وقع من الكراهة ما وقع كره أن يذكر مثل ذلك فى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، وقيل : كرهه لأن المضى إلى قبره ليس ليَصِلَه بذلك ولا لينفعه ، وإنما هو رغبة فى الثواب ، انتهى ملخصا .

والأخير هو المختار فى تأويل كلام مالك كما قاله السبكى ، قال : والمختار عندنا أنه لا يكره إطلاق هذا اللفظ .

ويستدل أيضاً بقوله تعالى (ولو أنّهم إذ ظلموا أنفسهم ــ الآية) على مشروعية السفر للزيارة وشَدِّ الرحال إليها ، على ما سبق تقريره بشموله المجىء من قرب ومن بعد ، وبعموم قوله « من زار قبرى » وقوله فى الحديث الذى صححه ابن السكن « من جاءنى زائرا » وإذا ثبت أن الزيارة قربَةٌ فالسفر إليها كذلك ، وقد ثبت خروج النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من المدينة لزيارة قبور الشهداء ، فإذا جاز الخروج للقريب جاز للبعيد ، وحينئذ فقبره صلى الله تعالى عليه وسلم أولى ، وقد انعقد الإجماع على ذلك ؛ لإطباق السلف والخلف عليه . وأما حديث

« لا تشدوا الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد » فمعناه لا تشدوا الرحال إلى مسجد إلا إلى المساجد الثلاثة ، إذ شَدُّ الرحال إلى عرفة لقضاء النسك واجب بالإجماع ، وكذلك سفر الجهاد والهجرة من دار الكفر بشرطه ، وغير ذلك ، وأجمعوا على جواز شد الرحال للتجارة ومصالح الدنيا .

وقد روى ابن شبة بسند حسن أن أبا سعيد ــ يعنى الخدرى رضى الله تعالى عنه ــ ذكر عنده الصلاة فى الطور ، فقال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا ينبغى للمَطِىِّ أن تشدَّ رحالها إلى مسجد يبتغى فيه الصلاة غير المسجد الحرام ومسجدى هذا والمسجد الأقصى » فهذا الحديث صريح فيما ذكرناه ، على أن فى شَدِّ الرحال لما سوى هذه المساجد الثلاثة مذاهب : نقل إمام الحرمين عن شيخه أنه أفتى بالمنع ، قال : وربما كان يقول : يكره ، وربما كان يقول : يحرم ، وقال الشيخ أبو على : لا يكره ولا يحرم ، وإنما أبان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أن القربة المقصودة فى قصد المساجد الثلاثة،وما عداها ليس قربة .

قال السبكى : ويمكن أن يقال : إن قَصَدَ بذلك التعظيم فالحق ماقاله الشيخ أبو محمد ؛ لأنه تعظيم لما لم يعظمه الشرع،وإن لم يقصد مع عينه أمر آخر [؟] فهذا قريب من العبث؛ فيترجح ما قاله أبو على .

وذهب الداودى إلى أن ماقرب من المساجد الفاضلة من المصر فلا بأس بإتيانه مشيا وركوبا ، استدل بمسجد قباء لأن شد الرحال لا يكون لما قرب غالبا ، ونقل عياض أنه إنما يمنع إعمال المطىِّ للناذر ، ومذهبنا ومذهب الجمهور أنه لا يصح نذر ما سوى المساجد الثلاثة ، ومذهب ليث بن سعد صحة ذلك مطلقا ، وقال بعضهم : يلزم ما لم يكن شد رحل كمسجد قباء وهو قول محمد بن مسلمة المالكى .

وروى مالك عن عبد الله بن أبى بكر بن حزم أن عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهما سئل عمن جعل على نفسه مشياً إلى مسجد قباء وهو بالمدينة ، فألزمه ذلك ، وأمره أن يمشى ، قال ابن حبيب فى الواضحة : فكذلك من نذر أن

يمشى إلى مسجده الذى يصلى فيه مكتوبته ، وليس بلازمه فيما نأى عنه من المساجد لا ماشياً ولا راكباً . قال السبكى : هذا كله فى قصد المكان لعينه ، أو قصد عبادة فيه تمكن فى غيره ، أما قصده بغير نذر لغرض فيه كالزيارة وشبهها فلا يقول أحد فيه بتحريم ولا كراهة ، مع أن السفر بقصد زيارة النبى صلى الله عليه وسلم غايته مسجد المدينة ؛ لأنها إنما تكون فيه لمجاورته القبر الشريف ، وغرض الزائر التبركُ بالحلول فى ذلك المحل، والتسليمُ على مَنْ بذلك القبر الشريف ، وتعظيم مَنْ فيه كما لو كان حيا بالحياة المألوفة فسافر إليه ، وليس القصد تعظيم بقعة القبر لعينها .

وقال الماوردى : قال أصحابنا عند ذكر من يلى أمر الحج: فإذا قضى الناس حجهم أمهلهم الأيام التى جرت عادتهم بها ، فإذا رجعوا سار بهم على طريق مدينة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، رعاية لحرمته ، وقياما بحقوق طاعته ، وذلك و إن لم يكن من فروض الحج فهو من مندوبات الشرع المستحبة ، وعبادات الحجيج المستحسنة ، وقال القاضى الحسين : إذا فرغ من الحج فالسنة أن يقف بالملتزم و يدعو ، قال : ثم يأتى المدينة ، و يزور قبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم . وقال القاضى أبو الطيب : و يستحب أن يزور النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بعد أن يحج و يعتمر ، وقال المحاملى فى التجريد : و يستحب للحاج إذا فرغ من مكة أن يزور قبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، وتقدم قول أبى حنيفة رضى الله تعالى عنه : الأحسن للحاج أن يبدأ بمكة ، فإذا قضى نسكه مر بالمدينة ـ إلى آخره . والحنفية قالوا : إن زيارة قبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من أفضل المندوبات والمستحبات ، بل تقرب من درجة الواجبات، وكذلك نص عليه المالكية والحنابلة، وأوضح السبكى نقولهم وسردها فى كتابه فى الزيارة ، ولا حاجة إلى تتبع ذلك مع الإجماع عليه .

فإن قيل : روى عبد الرزاق أن الحسن بن الحسن بن على رضى الله تعالى عنهم رأى قوما عند القبر ، فنهاهم ، وقال : إن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال

« لاتتخذوا قبرى عيدا ، ولا تتخذوا بيوتكم قبوراً،وصلوا علىّ حيثما كنتم ؛ فإن صلاتكم تَبْلُغُنى » وروى أبو يعلى عن على بن الحسين رضى الله تعالى عنهما ، أنه رأى رجلا يجىء إلى فرجة كانت عند قبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فيدخل فيها فيدعوه ، فنهاه ، فقال: ألا أحدثكم حديثاً سمعته من أبى عن جدى عن رسول صلى الله عليه وسلم قال « لاتتخذوا قبرى عيدا ، ولا بيوتكم قبوراً ، فإن تسليمكم يبلغنى أينما كنتم » وروى القاضى إسماعيل فى الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عن سهل بن أبى سهيل قال :جئت أُسَلِّمُ على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وحَسَنُ بن حسن رضى الله تعالى عنهما يتعشى ، و بيتُه عند بيت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ـ وفى رواية : رآنى الحسنُ بن الحسن رضى الله تعالى عنهما عنـد القبر ، وهو فى بيت فاطمة رضى الله تعالى عنها يتعشى ـ فقال : هَلُمَّ إلى العَشاء ، فقلت : لا أريده ، فقال : مالى رأيتُكَ عند القبر ؟ وفى رواية : مالى رأيتك وقفت ؟ قلت : وقفتُ أُسَلِّم على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ، فقال : إذا دخلْتَ فسلم عليه ، وفى رواية « إذا دخَلْتَ المسجدَ فسلم عليه » ثم قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «لاتتخذوا بيتى عيدا ، ولا بيوتكم مقابر ـ الحديث» ثم قال : ما أنتم ومَنْ بالأندلس إلا سَوَاء .

قلنا: روى القاضى إسماعيل أيضاً فى فضل الصلاة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بسَنَده إلى علىّ بن الحسين بن على رضى الله تعالى عنهم أن رجلا كان يأتى كل غداة؛ فيزور قبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ، و يصلى عليه ، و يصنع من ذلك ما انتهره عليه على بن الحسين ، فقال له على بن الحسين رضى الله تعالى عنهما : ما يحملك على هذا ؟ قال : أحب التسليم على النبى صلى الله تعالى عليـه وسلم ، فقال له على بن الحسين رضى الله تعالى عنهما : هل لك أن أحدثك حديثاً عن أبى ؟ قال: نعم ، قال له على بن الحسين رضى تعالى عنهما: أخبرنى أبى عن جدى أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تجعلوا قبرى عيدا ـ الحديث »

فهذا يبين أن ذلك الرجل زاد فى الحد ، فيكون على بن الحسين رضى الله تعالى عنهما موافقا لما سيأتى عن مالك من كراهة الإكثار من الوقوف بالقبر ، وليس إنكاراً لأصل الزيارة ، أو أنه أراد تعليمه أن السلام يبلغه مع الغيبة لما رآه يتكلف الإكثار من الحضور .

وعلى ما ذكرناه يحمل ماورد عن حسن بن حسن رضى الله تعالى عنه ، بدليل قوله « إذا دخلْتَ فسلم عليه » ولأن يحيى الحسينى روى فى كتابه عن جعفر بن محمد بن علىّ بن الحسين عن أبيه عن جده أنه كان إذا جاء يسلم على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقف عند الأسطوانة التى تلى الروضة ، ثم يسلم ، ثم يقول : ههنا رأسُ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم .

قال المطرى وغيره : وهـذا موقف السلف قبل إدخال الحجر فى المسجد . وسبق فى الكلام على المسمار المواجه للوجه الشريف بيانُ الموضع الذى كان يقف عنده على بن الحسين من جهة الوجه الشريف أيضاً ، وقال يحيى فى أخبار المدينة له : حدثنا هرون بن موسى الفروى قال : سمعت جدى أبا علقمة يسأل : كيف كان الناسُ يُسَلِّمون على النبى صلى الله تعالى عليـه وسلم قبل أن يَدْخُلَ البيتُ فى المسجد ؟ فقال : كان يقف الناسُ على باب البيت يسلمون عليه ، وكان الباب ليس عليه غَلَق ، حتى هلـكت عائشة رضى الله تعالى عنها .

قلت : وكيف يتخيل فى أحد من السلف المنع من زيارة المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم ، وهم مجمعون على زيارة سائر الموتى ، فضلا عن زيارته صلى الله تعالى عليه وسلم ؟ وما روى عن إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى أنه قال « مارأيت أبى قط يأتى قبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ، وكان يكره إتيانه » محمولٌ على تقدير صحته على ما سيأتى عن مالك من كراهة الوقوف بالقبر لمن لم يقدم من سفر .

وقوله صلى الله عليه وسلم « لا تجعلوا قبرى عيدا » قال الحافظ المنذرى : يحتمل أن يكون المراد به الحث على كثرة زيارة قبره صلى الله تعالى عليه وسلم ، وأن لا يهمل حتى لا يزار إلا فى بعض الأوقات كالعيد الذى لا يأتى فى العام إلا مرتين ، قال : ويؤيده قوله « لا تجعلوا بيوتكم قبورا » أى لا تتركوا الصلاة فيها حتى تجعلوها كالقبور التى لا يصلى فيها ، قال السبكى : ويحتمل أن يكون المراد لا تتخذوا له وقتا مخصوصا لا تكون الزيارة إلا فيه ، ويحتمل أيضا أن يراد لا تتخذوه كالعيد فى العكوف عليه وإظهار الزينة والاجتماع وغير ذلك مما يعمل فى الأعياد ، بل لا يأتى إلا للزيارة والسلام والدعاء ثم ينصرف عنه .

قلت : وقد كانت الصحابة رضى الله تعالى عنهم يقصدون النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قبل وفاته للزيارة ، وهو صلى الله تعالى عليه وسلم حى الدارين ، بل روى أحمد بإسنادين أحدهما برجال الصحيح عن يعلى بن مرة من حديث قال فيه : ثم سرنا فنزلنا منزلا ، فنام النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ، فجاءت شجرة تشق الأرض حتى غشيته ثم رجعت إلى مكانها ، فلما استيقظ ذكرتُ له ، فقال: هى شجرة استأذنت ربها عز وجل أن تسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأذن لها . فإذا كان هذا حال شجرة فكيف بالمؤمن المأمور بتعظيم هذا النبى الكريم صلى الله تعالى عليه وسلم الممتلئ بالشوق إليه ؟ وحديث حَنين الجذع تقدم ذكره فى محله . وقال القاضى ابن كج من أصحابنا : إذا نذر أن يزور قبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فعندى يلزمه الوفاء وَجْهاً واحدا ، وإذا نذر أن يزور قبر غيره ففيه وجهان . قال السبكى : لم ير لغيره من أصحابنا خلافه ، والقطع بذلك هو الحق ؛ للأدلة الخاصة فى ذلك ، ومن يشترط فى النذر أن يكون مما وجب جنسه بالشرع ويقول « إن الاعتكاف كذلك ؛ لوجوب الوقوف[1] » فقد يقول : إن زيارة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وجب جنسها وهى الهجرة إليه فى حياته .

---

(١) أراد الوقوف بعرفة ، وأنه من جنس الاعتكاف .

ووجه الخلاف فى قبر غيره تشبيهه بزيارة القادمين و إفشاء السلام ونحو ذلك مما لم يوضع قربة مقصودة و إن كان قربة من حيث ترغيب الشرع فيه لعموم فائدته ، وعلى هذا يكون الأصح لزومه بالنذر كما فى تلك المسائل .

وقال العبدى من المالكية فى شرح الرسالة : وأما النذر للمشى إلى المسجد الحرام والمشى إلى مكة فله أصل فى الشرع وهو الحج والعمرة ، والمشى إلى المدينة لزيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم أفضل من الكعبة ومن بيت المقدس ، وليس عنده حج ولا عمرة ، فإذا نذر المشى إلى هذه الثلاثة لزمه ، فالكعبة متفق عليها، ويختلف أصحابنا وغيرهم فى المسجدين الآخرين ، قال السبكى : والخلاف الذى أشار إليه فى نذر إتيان المسجدين الآخرين لا فى الزيارة .

وفى كتاب تهذيب الطالب لعبد الحق : رأيت فى بعض المسائل التى سئل عنها الشيخ أبو محمد بن أبى زيد ، قيل له فى رجل استؤجر بمال ليحج بهوشرطوا عليه الزيارة ، فلم يستطع تلك السنة أن يزور لعذر منعه من ذلك . قال : يَرُدُّ من الأجرة بقدر مسافة الزيارة ، قال الحاكى لذلك عنه : وقال غيره من شيوخنا : عليه أن يرجع ثانية حتى يزور ، وقال ابن عبد الحق : انظر ، إن استؤجر للحج لسنة بعينها فهاهنا يسقط من الأجرة ما يخص الزيارة ، و إن استؤجر على حجة مضمونة فى ذمته فهاهنا يرجع و يزور ، وقد اتفق النقلان ، قال السبكى : وهذا فرع حسن ، والذى ذكره أصحابنا أن الاستئجار على الزيارة لا يصح ؛ لأنه عمل غير مضبوط ولا مقدر بشرع ، والجعالة إن وقعت على نفس الوقوف لم يصح أيضا؛ لأن ذلك مما لا يصح فيه النيابة عن الغير ، و إن وقعت الجعالة على الدعاء عند قبر النبى صلى الله عليه وسلم كانت صحيحة ؛ لأن الدعاء مما يصح النيابة فيه ، والجهل بالدعاء فيه لا يبطلها ، قاله الماوردى فى الحاوى .

قال السبكى : و بقى قسم ثالث لم يذكره ، وهو إبلاغ السلام ، ولا شك فى جواز الإجارة والجعالة عليه كما كان عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه

يفعل ، وأن الظاهر أن مراد المالكية هذا ، وإلا فمجرد الوقوف من الأجير لا يحصل للمستأجر غرضا ، انتهى .

وذكر الديمى فى التقفية : أن حاصل مافى مسألة الاستئجار للزيارة ثلاثة أوجه للأصحاب : أصحها فيما حكاه ابن سراقه فى مختصره جواز ذلك ، واختاره الإمام محمد بن أبى بكر الأصبحى صاحب الإيضاح والمفتاح وأفتى به ، والثانى لا يجوز ، وبه قطع الماوردى ، قال : لأنه عمل غير مضبوط ، والثالث — وبه قال الإمام على بن قاسم الحكمى ، واختاره صاحب الأصبحى — أنه يُبْنَى على ما إذا حلف لا يكلم فلانا فكاتبه أو راسله ، والصحيح عند الأكثرين أنه لا يحنث ، فلا يصح الاستئجار ، وإن قلنا يحنث صح الاستئجار .

قلت : وهذا البناء ضعيف ؛ لأن مبنى الأيمان على العرف ، وأما ذلك فقربة مقصودة كما أن المكاتبة والمراسلة يحصل بهما التودد والصِّلة ، وإن لم يسم كلاما ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

الفصل الثالث

فى توسُّل الزائر ، وتشفعه به صلى الله تعالى عليه وسلم إلى ربه تعالى ، واستقباله صلى الله تعالى عليه وسلم فى سلامه وتوسله ودعائه .

اعلم أن الاستغاثة والتشفع بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وبجاهه وبركته إلى ربه تعالى من فعل الأنبياء والمرسلين ، وسير السلف الصالحين ، واقعٌ فى كل حال ، قبل خلقه صلى الله تعالى عليه وسلم وبعد خلقه ، فى حياته الدنيوية ومدة البرزخ وعَرَصات القيامة .

الحال الأول : وَرَدَ فيه آثار عن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ، ولنقتصر على ما رواه جماعة منهم الحاكم وصحح إسناده عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لما اقترف آدمُ الخطيئةَ قال : يارب أسألك

بحق محمد لما غفرت لى ، فقال الله : يا آدم وكيف عرفت محمدا ولم أخلقه ؟ قال : يا رب لأنك لما خلقتنى بيدك ونفخت فىّ من روحك رفَعْتُ رأسى فرأيت على قوائم العرش مكتوبا : لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ، فعرفت أنك لم تُضِفْ إلى اسمك إلا أحَبَّ الخلق اليك ، فقال الله تعالى : صدقت يا آدم إنه لأحَبُّ الخلق إلىّ ، إذ سألتنى بحقه فقد غفرت لك ، ولولا محمد ما خلقتك » رواه الطبرانى وزاد « وهو آخر الأنبياء من ذريتك » .

قال السبكى : وإذا جاز السؤال بالأعمال كما فى حديث الغار الصحيح وهى مخلوقة فالسؤالُ بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم أولى ، وفى العادة أن مَنْ له عند شخص قدر فتوسل به إليه فى غيبته فإنه يجيب إكراما للمتوسَّل به ، وقد يكون ذكر المحبوب أو المعظم سببا للاجابة ، ولا فرق فى هذا بين التعبير بالتوسل أو الاستغاثة أو التشفع أو التوجه ، ومعناه التوجه به فى الحاجة ، وقد يتوسل بمن له جاه إلى من هو أعلى منه .

الحال الثانى : التوسل به صلى الله تعالى عليه وسلم بعد خلقه فى مدة حياته فى الدنيا . منه ما رواه جماعة منهم النسائى والترمذى فى الدعوات من جامعه عن عثمان بن حنيف أن رجلا ضَرِيرَ البصرِ أتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال : ادع الله لى أن يعافينى ، قال : إن شئتَ دعوتُ وإن شئتَ صبرتَ فهو خير لك ، قال : فادعه ، فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء : اللهم إنى أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبى الرحمة ، يا محمد إنى توجهت بك إلى ربى فى حاجتى لتقضى لى ، اللهم شفعه فىّ . قال الترمذى . حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، وصححه البيهقى ، وزاد : فقام وقد أبصر ، وفى رواية : ففعل الرجل فبرأ .

الحل الثالث : التوسل به صلى الله تعالى عليه وسلم بعد وفاته ، روى الطبرانى

فى الكبير عن عثمان بن حنيف المتقدم أن رجلا كان يختلف إلى عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه فى حاجة له ، وكان لا يلتفت إليه ولا ينظر فى حاجته ، فلقى ابن حنيف فشكا إليه ذلك ، فقال له ابن حنيف : ائْتِ الميضأة فتوضأ ، ثم ائت المسجد فصل ركعتين ، ثم قل : اللهم إنى أسألك وأتوجه إليك بنبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم نبى الرحمة ، يا محمد إنى أتوجه بك إلى ربك أن تقضي حاجتى ، وتذكر حاجتك ، فانطلق الرجل فصنع ما قال ، ثم أتى باب عثمان ، فجاءه البواب حتى أخذ بيده ، فأدخل على عثمان رضى الله تعالى عنه ، فأجلسه معه على الطِّنْفِسة ، فقال : حاجتك ، فذكر حاجته وقضاها له ثم قال له : ما ذكرت حاجتك حتى كانت الساعة ، وقال : ما كانت لك من حاجة فاذكرها ، ثم إن الرجل خرج من عنده فلقى ابن حنيف فقال له : جزاك الله خيراً ، ما كان ينظر فى حاجتى ولا يلتفت إلى حتى كلَّمْتَهُ فىَّ ، فقال ابن حنيف : والله ما كلمته ولكن شهدْتُ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأتاه ضرير فشكا إليه ذهاب بصره ، فقال له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم : إن شئت دعوت أو تصبر ، فقال : يا رسول الله إنه ليس لى قائد وقد شق علىَّ ، فقال له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم : ائت الميضأة فتوضأ ، ثم صل ركعتين ، ثم ادع بهذه الدعوات ، قال ابن حنيف فوالله ما تفرقنا ، وطال بنا الحديث حتى دخل علينا الرجل كأنه لم يكن به ضر قط ، ورواه البيهقى من طريقين بنحوه .

قال السبكى : والاحتجاج من هذا الأثر بفهم عثمان ومَنْ حضره الذين هم كانوا أعلم بالله ورسوله و بفعلهم .

قلت : وقد سبق فى قبر فاطمة بنت أسد رضى الله تعالى عنها قوله صلى الله تعالى عليه وسلم فى دعائه إليها « بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلى » وأن فى سنده روح بن صلاح وثقه ابن حبان والحاكم وفيه ضعف ، و بقية رجاله رجال الصحيح ، وفيه دلالة ظاهرة للحال الثانى بالنسبة إليه صلى الله تعالى عليه وسلم ،

وكذا الحال الثالث ، لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم « والأنبياء الذين من قبلي » .

وقد يكون التوسل به صلى الله عليه وسلم بعد الوفاة بمعنى طلب أن يدعو كما كان فى حياته ، وذلك فيما رواه البيهقى من طريق الأعمش عن أبى صالح عن مالك الدار ، ورواه ابن أبى شيبة بسند صحيح عن مالك الدار ، قال : أصاب الناسَ قحط فى زمان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ، فجاء رجل إلى قبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال: يا رسول الله ، استسق الله لأمتك فإنهم قد هلكوا ، فأتاه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى المنام فقال : ائت عمر فاقرئه السلام وأخبره أنهم مسقون ، وقل له: عليك الكيس الكيس ، فأتى الرجل عمر رضى الله تعالى عنه فأخبره ، فبكى عمر رضى الله تعالى عنه ثم قال : يا رب ما آلو إلا ما عجزت عنه .

وروى سيف فى الفتوح أن الذى رأى المنام المذكور بلالُ بن الحارث المزنى أحد الصحابة رضى الله تعالى عنهم .

ومحل الاستشهاد طلب الاستسقاء منه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو فى البرزخ ودعاؤه لربه فى هذه الحالة غير ممتنع ، وعلمه بسؤال من يسأله قد ورد ، فلا مانع من سؤال الاستسقاء وغيره منه كما كان فى الدنيا .

وسبق فى الفصل الحادى والعشرين من الباب الرابع ما رواه أبو الجوزاء قال : قحط أهل المدينة قحطاً شديدا فشكوا إلى عائشة رضى الله تعالى عنها ، فقالت : فانظروا إلى قبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ، فاجعلوا بينه كوّة إلى السماء حتى لا يكون بينه و بين السماء سقف ، ففعلوا ، فمطروا — الخبر المتقدم .

وقد يكون التوسل به صلى الله تعالى عليه وسلم بطلب ذلك الأمر منه ، بمعنى أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قادر عَلَى التسبب فيه بسؤاله وشفاعته إلى ربه فيعود إلى طلب دعائه و إن اختلفت العبارة . ومنه قول القائل له : أسألك

مرافقتك فى الجنة ــ الحديث ، ولا يقصد به إلا كونه صلى الله تعالى عليه وسلم سببا وشافعا .

الحال الرابع : التوسل به صلى الله تعالى عليه وسلم فى عَرَصَات القيامة فيشفع إلى ربه تعالى ، وذلك مما قام الإجماع عليه وتواردت به الأخبار . وروى الحاكم وصححه عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : أوحى الله إلى عيسى : ياعيسى آمِنْ بمحمد وأمُرْ مَنْ أدركته من أمتك أن يؤمنوا به ، فلولا محمد ما خلقت آدم ، ولولا أنى خلقت محمدا ماخلقت الجنة والنار ، ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب ، فكتبت عليه لا إلهَ إلا الله محمد رسول الله فسكن .

قلت : فكيف لا يستشفع ، ولا يتوسل بمن له هذا المقام والجاه عند مولاه ؟ بل يجوز التوسل بسائر الصالحين كما قاله السبكى ، وإن نقل بعضُهم عن ابن عبد السلام ما يقتضى أن سؤال الله بعظيم من خلقه ينبغى أن يكون مقصورا على نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم .

وقد روى ابن النعمان فى مصباح الظلام قصة استسقاء عمر رضى الله تعالى عنه بالعباس عم رسول الله صلى الله عليه تعالى وسلم نحو ما فى الصحيح ، وأن الحافظ أبا القاسم هبة الله بن الحسن رواها من طرق ، وفى بعضها عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه قال : كان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه إذا قحط استسقى بالعباس بن عبدالمطلب رضى الله تعالى عنه ، و يقول : اللهم إنا كنا إذا قحطنا توسلنا إليك بنبينا فتسقينا ، و إنا نتوسل إليك بعم نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فاسقنا ، قال : فيسقون . وفى رواية له عن ابن عباس أن عمر رضى الله تعالى عنهم قال : اللهم إنا نستسقيك بعم نبيك صلى الله عليه وسلم ، ونستشفع إليك بشيبته ، فسقوا وفى ذلك يقول عباس بن عتبة بن أبى لهب :

بعمى سَقَى الله الحجاز وأهله ... عشيةَ يَسْتَسْقِى بشيبته عُمَرْ

وروى أن العباس رضى الله تعالى عنه قال فى دعائه : وقد توجه بى القوم إليك لمكانى من نبيك صلى الله تعالى عليه وسلم .

وقال عياض فى الشفاء بسند جيد عن ابن حميد أحد الرواة عن مالك فيما يظهر قال : ناظر أبو جعفر أمير المؤمنين مالكا فى مسجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، فقال مالك : يا أمير المؤمنين لاترفع صوتك فى هذا المسجد فإن الله تعالى أدَّبَ قوماً فقال : (لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى) الآية ، ومدح قوماً فقال (إن الذين يغضون أصواتهم عندرسول الله) الآية، وذم قومافقال : (إن الذين ينادونك من وراءالحجرات) الآية ، و إن حرمته ميتا كحرمته حيا ، فاستكان لها أبو جعفر ، فقال : يا أبا عبد الله أستقبل القبلة وأدعو أم أستقبل رسول الله صلى الله تعالى وسلم ؟ فقال : لم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام إلى الله يوم القيامة ؟ بل استقبله واستشفع به ، فيشفعك الله تعالى قال الله تعالى (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم) الآية .

فانظر هذا الكلام من مالك ، وما اشتمل عليه من أمر الزيارة والتوسل بالنبى صلى الله عليه وسلم واستقباله عند الدعاء ، وحسن الأدب التام معه .

وقال أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن الحسين السامرى الحنبلى فى المستوعب: باب زيارة قبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ، وذكر آداب الزيارة ، وقال : ثم يأتى حائطَ القبر فيقف ناحيته ، ويجعل القبر تلقاء وجهه ، والقبلة خلف ظهره، والمنبر عن يساره ، وذكر كيفية السلام والدعاء . منه : اللهم إنك قلت فى كتابك لنبيك عليه السلام (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك) الآية ، وإنى قد أتيت نبيك مستغفراً ، فأسألك أن توجب لى المغفرة كما أوجبتها لمن أتاه فى حياته ، اللهم إنى أتوجه إليك بنبيك صلى الله عليه وسلم ، وذكر دعاء طويلا .

وقال أبو منصور الكرمانى من الحنفية : إن كان أَحَدٌ أوصاك بتبليغ التسليم تقول : السلام عليك يارسول الله من فلان بن فلانٌ ، يستشفع بك إلى ربك بالرحمة والمغفرة فاشفع له .

وقال عياض : قال مالك فى رواية ابن وهب : إذا سلم على النبى صلى الله عليه وسلم ودعا يقف ووجْهُه إلى القبر لا إلى القبلة ، ويدنو ، ويسلم ولا يمس القبر بيده ، وفى رواية نقلها عياض عن المبسوط أنه قال : لا أرى أن يقف عند القبر يدعو ، لكن يسلم ويمضى .

قلت : وهى مخالفة أيضا لما تقدم فى مناظرة المنصور لمالك ، وكذا لما نقله ابن المواز فى الحج فيما جاء فى الوداع ، فإنه قال: قيل لمالك : فالذى يلتزم أترى له أن يتعلق بأستار الكعبة عند الوداع ؟ قال : لا،ولكن يقف ويدعو ، قيل له : وكذلك عند قبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ؟ قال : نعم ، انتهى . وحَمَل بعضُهم رواية المبسوط على مَنْ لم يُؤْمَنْ منه سوء الأدب فى دعائه عند القبر .

نقل ابن يونس المالكى عن ابن حبيب فى باب فرائض الحج ودخول المدينة أنه قال : ثم اقصد إذا قضيت ركعتيك إلى القبر من وُجاه القبلة ، فادْنُ منه وسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأثن عليه وعليك السكينة والوقار ، فإنه صلى الله عليه وسلم يسمع ويعلم وقوفك بين يديه، وتسلم على أبى بكر وعمر وتدعو لهما .

وقال النووى فى رؤس المسائل : عن الحافظ أبى موسى الأصبهانى أنه روى عن مالك أنه قال : إذا أراد الرجل أن يأتى قبر النبى صلى الله عليه وسلم فيستدبر القبلة ، ويستقبل النبى صلى الله عليه وسلم ، ويصلى عليه ويدعو .

وقال إبراهيم الحربى فى مناسكه : تولى ظهرك القبلة ، وتستقبل وسطه — يعنى القبر —

وروى أبو القاسم طلحة بن محمد فى مسند أبى حنيفة بسنده عن أبى حنيفة قال : جاء أيوب السختيانى فدنا من قبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ، فاستدبر القبلة ، وأقبل بوجهه إلى القبر ، وبكى بكاء غير متباك .

وقال المجد اللغوى : روى عن الإمام الجليل أبى عبد الرحمن عبد الله بن المبارك قال : سمعت أبا حنيفة يقول : قدم أيوب السختيانى وأنا بالمدينة فقلت : لأنظرنّ ما يصنع ، فجعل ظهره مما يلى القبلة ووجْهه مما يلى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبكى غير متباك ، فقام مقام رجل فقيه .

قلت : فهذا يخالف ما ذكره أبو الليث السمرقندى فى الفتاوى عطفا على حكاية حكاها الحسن بن زياد عن أبى حنيفة من أن المسلِّم على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يستقبل القبلة ، وقال السروجى الحنفى : يقف عندنا مستقبل القبلة ، قال الكرمانى الحنفى منهم : ويقف عند رأسه ويكون وقوفه بين المنبر والقبر مستقبل القبلة .

وعن أصحاب الشافعى وغيره : يقف وظهره إلى القبلة ووجهه إلى الحظيرة ، وهو قول ابن حنبل ، انتهى .

وقال محقق الحنفية الكمال بن الهمام : إن ما نقل عن أبى الليث من أنه يقف مستقبل القبلة مردود بما رَوَى أبو حنيفة فى مسنده عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما ، قال : من السنة أن تأتى قبر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قبل القبلة ، وتجعل ظهرك إلى القبلة ، وتستقبل القبر بوجهك ، ثم تقول : السلام عليك أيها النبى الكريم ورحمة الله وبركاته .

وقال ابن جماعة فى منسكه الكبير : ومذهب الحنفية أنه يقف للسلام والصلاة عليه صلى الله عليه وسلم عند الرأس المقدس بحيث يكون عن يساره ، ويبعد عن الجدار قدر أربعة أذرع ، ثم يدور إلى أن يقف قبالة الوجه المقدس مستدبر القبلة ، فيسلم ويصلى عليه صلى الله تعالى عليه وسلم . وشذ الكرمانى من الحنفية فقال : إنه يقف للسلام عليه صلى الله عليه وسلم مستدبر القبر المقدس مستقبل القبلة ، وتبعه بعضهم ، وليس بشىء ، فاعتمد على ما نقلته ، انتهى .

واعتمد السبكى ما تقدم من نسبة ماقاله الكرمانى للحنفية ، قال : واستدلوا بأن ذلك جمع بين العبارتين ، قال : وقول أكثر العلماء هو الأحسن ؛ فإن الميت يعامل معاملة الحى ، والحى يسلم عليه مستقبلا ، فكذلك الميت ، وهذا لا ينبغى أن يتردد فيه ، انتهى .

وذكر المطرى أن السلف كانوا إذا أرادوا السلام على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قبل إدخال الحُجُرات فى المسجد وقفوا فى الروضة مستقبلين السارية التى فيها الصندوق الخشب ، أى لكونها فى جهة الرأس الشريف ، مستدبرين الروضة وأسطوان التوبة . وتقدم من رواية يحيى عن زين العابدين على بن الحسين أنه كان يفعل نحو ذلك ، وروى يحيى بسند جيد عن أبى علقمة الفروى الكبير قال : كان الناس قبل أن يدخل البيت فى المسجد يقفون على باب البيت يسلمون .

قلت : وذلك لتعذر استقبال الوجه الشريف حينئذ ، ولذا قال المطرى : فلما أدخل بيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى المسجد وأدخلت حجرات أزواجه رضوان الله عليهن وقف الناس مما يلى وجه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ، واستدبروا القبلة للسلام عليه ، فاستدبارُ القبلة فى هذه الحالة مستحب كما فى خطبة الجمعة والعيدين وسائر الخطب المشروعة كما قاله ابن عساكر فى التحفة .

وروى ابن زبالة عن سلمة بن وردان قال : رأيت أنس بن مالك رضى الله تعالى عنهما إذا سلم على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يأتى فيقوم أمامه . وفى كلام أصحابنا أن الزائر يستقبل الوجه الشريف فى السلام والدعاء والتوسل ، ثم يقف بعد ذلك مستقبل القبلة والقبر عن يسار والمنبر عن يمينه فيدعو أيضاً كما سنشير إليه .

خاتمة — فى نُبَذٍ مما وقع لمن استغاث بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم ،

أو طلب منه شيئاً عند قبره ، فأعطى مطلوبه ونال مرغوبه ، مما ذكره الإمام محمد بن موسى بن النعمان فى كتابه « مصباح الظلام ، فى المستغيثين بخير الأنام » .

فمن ذلك ما قال : اتفق الجماعة من علماء سلف هذه الأمة من أئمة المحدثين والصوفية والعلماء بالله المحققين ، قال محمد بن المنكدر : أودع رجل أبى ثمانين ديناراً وخرج للجهاد ، وقال لأبى : إن احتجْتَ أنفقها إلى أن أعود ، وأصاب الناسَ جهدٌ من الغلاء ، فأنفق أبى الدنانير ، فقدم الرجل وطلب ماله ، فقال له أبى : عُدْ إلىّ غداً ، وبات فى المسجد يلوذ بقبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مرة وبمنبره مرة ، حتى كاد أن يصبح ، يستغيث بقبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ، فبينما هو كذلك وإذا بشخص فى الظلام يقول : دونكها يا أبا محمد ، فمد أبى يده فإذا هو بصرة فيها ثمانون ديناراً ، فلما أصبح جاء الرجل فدفعها إليه .

وقال الإمام أبو بكر بن المقرىء : كنت أنا والطبرانى وأبو الشيخ فى حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكنا على حالة ، وأثر فينا الجوع ، وواصلنا ذلك اليوم ، فلما كان وقتُ العشَاء حضرتُ قبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقلت : يا رسول الله الجوعُ ، وانصرفت ، فقال لى أبو القاسم : اجلس ، فإما أن يكون الرزق أو الموت ، قال أبو بكر : فقمت أنا وأبو الشيخ والطبرانى جالس ينظر فى شىء ، فحضر بالباب علوى ، فدقّ ففتحنا له ، فإذا معه غلامان مع كل واحد زنبيل فيه شىء كثير ، فجلسنا وأكلنا وظننا أن الباقى يأخذه الغلام ، فولى وترك عندنا الباقى ، فلما فرغنا من الطعام قال العلوى : يا قوم أشكوتم إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ؟ فإنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام فأمرنى أن أحمل بشىء إليكم .

وقال ابن الجلاد : دخلت مدينة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وبى

فاقة ، فتقدمت إلى القبر وقلت : ضيفك ، فَغَفَوْتُ فرأيت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، فأعطانى رغيفاً ، فأكلت نصفه ؛ وانتبهت و بيدى النصف الآخر .

وقال أبو الخير الأقطع : دخلتُ مدينة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأنا بفاقة، فأقمت خمسة أيام ما ذقت ذَوَاقاً ، فتقدمت إلى القبر ، وسلمت على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى أبي بكر وعمر ، وقلت : أنا ضيفك يا رسول الله ، وتنحّيْتُ ونمت خلف القبر ، فرأيت فى المنام النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأبو بكر عن يمينه وعمر عن شماله وعلى بن أبى طالب بين يديه ، فحركنى علىّ وقال : قم ، قد جاء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، فقمت إليه وقبلت بين عينيه ، فدفع إلىّ رغيفا ، فأكلت نصفه ، وانتبهت فإذا فى يدى نصف رغيف .

وقال أبو عبد الله محمد بن أبى زرعة الصوفى : سافرت مع أبى ومع أبى عبدالله ابن خفيف إلى مكة، فأصابتنا فاقة شديدة، فدخلنا مدينةَ الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ، و بتنا طاوِينَ ، وكنت دون البلوغ ، فكنت أجيء إلى أبى غير دفعة وأقول : أنا جائع ، فأتى أبى الحظيرة وقال : يا رسول الله أنا ضيفك الليلة ، وجلس على المراقبة ، فلما كان بعد ساعة رفع رأسه وكان يبكى ساعة ويضحك ساعة ، فسئل عنه فقال : رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فوضع فى يدى دراهم ، وفَتَح يده ، فإذا فيها دراهم ، و بارك الله فيها إلى أن رجعنا إلى شيراز، وكنا ننفق منها .

وقال أحمد بن محمد الصوفى : تُهْتُ فى البادية ثلاثة أشهر ، فانسلخ جلدى، فدخلت المدينة . وجئت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فسلمت عليه وعلى صاحبيه ثم نمت فرأيته صلى الله عليه وسلم فى النوم فقال لى : يا أحمد ، جئت ؟ قلت: نعم ، وأنا جائع وأنا فى ضيافتك ، قال : افتح كفيك ، ففتحتهما فملأها دراهم،

فانتبهت وهما مملوءتان ، وقمت فاشتريت خبزاً حوارياً وفالوذجا ، وأكلت ، وقمت للوقت ودخلت البادية .

وذكر الحافظ أبو القاسم بن عساكر فى تاريخه بسنده إلى أبى القاسم ثابت ابن أحمد البغدادى ، قال : إنه رأى رجلا بمدينة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أذن للصبح عند قبر النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال فيه : الصلاة خير من النوم ، فجاءه خادم من خدم المسجد فلطمه حين سمع ذلك ، فبكى الرجل ، وقال : يارسول الله فى حضرتك يفعل بى هـذا الفعل ؟ ففلج الخادم ، وحمل إلى داره فمكث ثلاثة أيام ومات .

قلت : والواقعة التى نقلها ابن النعمان عن أبى بكر المقرئ رواها ابن الجوزى فى كتابه الوفاء بإسناده إلى أبى بكر المقرى ، وبقية الوقائع المذكورة ذكرها غيره أيضا .

ومن ذلك ما ذكر ابن النعمان أنه سمعه ممن وقع له أو عنه بواسطة فقال : سمعت أبا إسحاق إبراهيم بن سعيد يقول : كنت بمدينة النبى صلى الله عليه وسلم ومعى ثلاثة من الفقراء فأصابتنا فاقة ، فجئت إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، فقلت : يا رسول الله ليس لنا شئ ، ويكفينا ثلاثة أمداد من أى شئ كان ، فتلقانى رجل فدفع إلى ثلاثة أمداد من التمر الطيب .

وسمعت الشريف أبا محمد عبد السلام بن عبد الرحمن الحسينى الفاسى يقول : أقمت بمدينة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ثلاثة أيام لم أستطعم فيها ، فأتيت عند منبره صلى الله عليه وسلم فركعت ركعتين وقلت : يا جدى جعت وأتمنى عليك ثردة ، ثم غلبتنى عينى فنمت ، فبينا أنا نائم وإذا برجل يوقظنى ، فانتبهت فرأيت معه قدحا من خشب وفيه ثريد وسمن ولحم وأفاويه ، فقال لى : كل ، فقلت له : من أين هذا ؟ فقال : إن صغارى لهم ثلاثة أيام يتمنون هـذا الطعام ، فلما كان اليوم فتح الله لى بشيء عملت به هذا ، ثم نمت فرأيت رسول الله صلى الله

تعالى عليه وسلم فى النوم وهو يقول : إن أحد إخوانك تمنى على هـذا الطعام فأطعمه منه .

وسمعت الشيخ أبا عبد الله محمد بن أبى الأمان يقول : كنت بمدينة النبى صلى الله عليه وسلم خلف محراب فاطمة رضى الله تعالى عنها ، وكان الشريف مكثر القاسمى قائما خلف المحراب المذكور ، فانتبه فجاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم وعاد علينا متبسما ، فقال له شمس الدين صواب خادم الضريح النبوى : فيم تبسمت ؟ فقال : كانت بى فاقة ، فخرجت من بيتى فأتيت بيت فاطمة رضى الله تعالى عنها ، فاستغثت بالنبى صلى الله عليه وسلم وقلت : إنى جائع ، فنمت فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم فأعطانى قدح لبن فشربت حتى رويت ، وهذا هو فبصق اللبن من فيه فى كفى ، وشاهدناه من فيه .

وسمعت عبد الله بن الحسن الدمياطى يقول : حكى لى الشيخ الصالح عبد القادر التنيسى بثغر دمياط قال : كنت أمشى على قاعدة الفقير ، فدخلت إلى مدينة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ، وسلمت على النبى صلى الله عليه وسلم ، وشكوت له ضررى من الجوع ، واشتهيت عليه الطعام من البر واللحم والتمر ، وتقدمت بعد الزيارة للروضة فصليت فيها ، وبت فيها ، فإذا شخص يوقظنى من النوم ، فانتبهت ومضيت معه ، وكان شابا جميلا خَلقا وخُلقا ، فقدم إلى جفنة ثريد وعليها شاة وأطباق من أنواع التمر صيحانى وغيره وخبزا كثيرا من جملته خبز أقراص سويق النبق ، فأكلت فملأ لى جرابى لحما وخبزا وتمرا، وقال : كنت نائما بعد صلاة الضحى فرأيت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى المنام وأمرنى أن أفعل لك هذا ، ودلّنى عليك ، وعرفنى مكانك بالروضة، وقال لى : إنك اشتهيت هذا وأردته .

وسمعت صديقى على بن إبراهيم البوصيرى يقول : سمعت عبد السلام بن

أبى القاسم الصقلى يقول : حدثنى رجل ثقة نسى اسمه، قال : كنت بمدينة النبى صلى الله عليه وسلم ، ولم يكن لى شىء ، فضعفت ، فأتيت إلى الحجرة وقلت : يا سيد الأولين والآخرين ، أنا رجل من أهل مصر ولى خمسة أشهر فى جوارك ، وقد ضعفت ، فقلت : أسأل الله وأسألك يا رسول الله أن يسخر لى من يشبعنى أو يخرجنى ، ثم دعوت عند الحجرة بدعوات ، وجلست عند المنبر فإذا برجل قد دخل الحجرة فوقف يتكلم بكلام، ويقول : ياجداه ياجداه، ثم جاء إلى وقبض على يدى وقال لى : قم ، فقمت وصحبته ، فخرج بى من باب جبريل ، وعدا إلى البقيع وخرج منه فإذا بخيمة مضروبة وجارية وعبد، فقال لهما: قُوما فاصنعا لضيفكما عيشه فقام العبد وجمع الحطب وأوقد النار ، وقامت الجارية وطحنت وصنعت مَلّة ، وشاغلنى بالحديث حتى أتت الجارية بالملة فقسمها نصفين وأتت الجارية بعُكّة فيها سَمْن فصَبَّ على الملة وأتت بتمر صَيْحانى فصنعها جيدا ، وقال لى : كل ، فأكلت شيئاً قليلا ، فصدرت، فقال لى : كل ، فأكلت ، ثم قال لى : كل ، فقلت : يا سيدى لى أشهر لم آكل فيها حنطه ، ولا أريد شيئا ، فأخذ النصف الثانى وضم ما فضل منى من الملة وأتى بمزود وصاعين من تمر فوضعهما فى المزود ، وقال لى : ما اسمك ؟ فقلت : فلان ، فقال : بالله عليك لا تَعُدْ تشكو إلى جدى فإنه يعز عليه ذلك ، ومن الساعة متى جعت يأتيك رزقك حتى يسبب الله لك من يخرجك ، وقال للغلام : خُذه وأوصله إلى حجرة جدى ، فغدوت مع الغلام إلى البقيع ، فقلت له : ارجع قد وصلت ، فقال : يا سيدى الله الأحد ما أقدر أفارقك حتى أوصلك إلى الحجرة لئلا يُعْلِم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم سيدى بذلك ، فأوصلنى إلى الحجرة ، وودعنى ورجع ، فمكثت آكل من الذى أعطانى أربعة أيام ، ثم جُعْتُ بعد ذلك ، فإذا بالغلام قد أتانى بطعام ، ثم لم أزل كذلك كلما جعت أتانى بطعام حتى سبب الله لى جماعة خرجْتُ معهم إلى ينبع .

وروى ابن النعمان أيضاً بسنده إلى أبى العباس بن نفيس المقرىء

الضرير قال : جُعْت بالمدينة ثلاثة أيام ، فجئت إلى القبر وقلت : يا رسول الله ، جعت ، ثم نمت ضعيفا ، فركضتنى جارية برجلها ، فقمت إليها فقالت : أعزم ، فقمت معها إلى دارها ، فقدمت إلى خبز بر وتمرا وسمنا وقالت : كل يا أبا العباس، قد أمرنى بهذا جدى صلى الله عليه وسلم ، ومتى جعت فأت إلينا .

قال أبو سليمان داود فى مصنفه فى الزيارة بعد روايته لذلك كله : إنه قد وقع فى كثير مما ذكر وأمثاله أن الذى يأمره صلى الله عليه وسلم فى ذلك إنما يكون من الذرية الشريفة ، لاسيما إذا كان المتناول طعاما ؛ لأن من تمام جميل أخلاق الكرام إذا سئلوا القِرَى البداءة بأنفسهم ، ثم بمن يكون منهم ، فاقتضى خلقه الكريم أن إعطاء سائل القِرَى يكون منه ومن ذريته الكريمة .

قلت : والحكايات فى هذا الباب كثيرة ، بل وقع لى شىء منها : أنى كنت بالمسجد النبوى عند قدوم الحاج المصرى للزيارة ، وفى يدى مفتاح الخلوة التى فيها كتبى بالمسجد ، فمر بى بعض علماء المصريين ممن كان يقرأ على بعض مشايخى ، فسلمت عليه ، فسألنى أن أمشى معه إلى الروضة الشريفة وأقف معه بين يدى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ، ففعلت ، ثم رجعت فلم أجد المفتاح ، وتطلبته فى الأماكن التى مشيتُ إليها فلم أجده ، وشق على ذهابه فى ذلك الوقت الضيق مع حاجتى إليه ، فجئتُ إلى النبى صلى الله عليه وسلم وقلت : يا سيدى يا رسول الله ، ذهب مفتاح الخلوة ، وأنا محتاج إليه وأريده من بابك ، ثم رجعت فرأيت شخصا قاصدا الخلوة ، فظننته بعض مَنْ أعرفه، فمشيت إليه، فلم أجده إياه ، ووجدت صغيرا لا أعرفه بقرب الخلوة بيده المفتاح ، فقلت له : من أين لك هذا ؟ فقال : وجدته عند الوجه الشريف، فأخذته منه.

ومن هذا النوع ما اتفق لى فى سكناى تلك الخلوة فى ابتداء الأمر وغير ذلك مما يطول ذكره .

وأنشدت مرة بين يديه صلى الله عليه وسلم فى قضية أوذيت فيها قصيدة أولها :

يُضَام بحيكم يا عُرْبَ رَامَه ... نزيل أنتمُ صرتم مَرَامَه
ويعدو من أعاديه عليه ... عداة صار قصدهم اهتضامه
وأنتم عز من ينمى إليكم ... ومن أبوابكم حاز احترامه
وفى حرم بساحتكم مقيم ... فلا يبغى العراق ولا شآمه
وحبكمُ تحكم فى حشاه ... وحبكم لذا أضحى غرامه
وليس له ملاذ أو نصير ... يجرد دون نصرته حسامه
سواكم آل غالب الموالى ... حماة الجار إن لحقته ضامه
ليوث الحرب إن مدت حراب ... غيوث المحل إن يخلب غمامه
بحقكم وذاك أجل حَقٍّ ... له انتصروا فأنتم من تهامه
كرام مكرمون بخير رسل ... عظيم الجار موفيه ذمامه

وهى طويلة تزيد على ستين بيتا ، ومنها :

له حرم به كرم مفاض ... لساكنه فقد حاز الكرامه
به قد صار عندكمُ نزيلا ... ويرجو نصركم فيما أضامه
جواركمُ عدت فيه الأعادى ... عليه إذ رأوا منه الإقامه
بحضرتكم فلا يبغى انتقالا ... ولكن قد أطال لها التزامه
وكادوه بما لم يخف عنكم ... ليقصُوا عن عراصكمُ خيامه
فأنجز لى رسول الله نصرى ... لتهنأ لى بذا الحرم الإقامه
ويكبت من عداتى شامتوهم ... وتعظم فى قلوبهم الندامه
فقد أملت جاهك يا ملاذى ... لذا ولكل هول فى القيامه
وحاشا أن تخيب لى رجاء ... وأنت الغوث من عرب برامه

كريم إن أضيمَ له نزيل ‏ ‏ فنصر الله يقـــدمه أمامه
ومن عاداته نصرى وجَبْرِى ‏ ‏ وعادة مثله أبدا مدامه

فرأيت عقب ذلك مناما يؤذن بالنصر العظيم ، ثم رأيته فى اليقظة ، ولله الحمد والمنة .

وقال الفقيه أبو محمد الإشبيلى فى مؤلفه فى فضل الحج : إنه نزل برجل من أهل غرناطةَ علة عجز عنها الأطباء وأيسوا من برئها ، فكتب عنه الوزير أبو عبد الله محمد بن أبى الخصال كتابا إلى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يسأله فيه الشفاء لدائه والبرء مما نزل به ، وضمنه شعرا ، وهو :

كتاب وقيذ من زمانة مستشف ‏ ‏ بقبر رسول الله أحمد يستشفى
له قدم قد قَيَّد الدهر خطوها ‏ ‏ فلم يستطع إلا الإشارة بالكف
ولمـــا رأى الزوار يبتدرونه ‏ ‏ وقد عاقه عن ظعنه عائق الضعف
بكى أسفا واستودع الركب إذ غدا ‏ ‏ تحية صدق تفعم الركب بالعرف
فيا خاتم الرسل الشفيع لربه ‏ ‏ دعاء مَهيض خاشع القلب والطرف
عتيقك عبد الله ناداك ضارعا ‏ ‏ وقد أخلص النجوى وأيقن بالعطف
رجاك لضر أعجز الناس كشفه ‏ ‏ ليصدر داعيه بما جاء من كشف
لرجل رمى فيها الزمان فقصرت ‏ ‏ خطاه عن الصف المقدم فى الزحف
وإنى لأرجو أن تعـود سويَّةً ‏ ‏ بقدرة من يحيى العظام ومن يشفى
فأنت الذى نرجوه حيا وميتا ‏ ‏ لصرف خطوب لا تريم إلى صرف
عليك سلام الله عـدة خلقه ‏ ‏ ومايقتضيه من مزيد ومن ضعف

قال : فما هو إلا أن وصل الركبُ إلى المدينة ، وقرئ على قبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم هـذا الشعر ، وبرأ الرجل فى مكانه ، فلما قدم الذى استودعه إياه وجده كأنه لم يصبه ضر قط .

الفصل الرابع

فى آداب الزيارة والمجاورة ، وهى كثيرة

منها الآداب المتعلقة بسفرها ، وهى كما فى سائر الأسفار : من الاستخارة ، وتجديد التوبة ، والخروج من المظالم ، واستحلال المعاملين ، والتوصية ، وإرضاء مَنْ يتوجه إرضاؤه ، وإطابة النفقة ، والتوسعة فى الزاد على نفسه ورفيقه وجماله ، وعدم المشاركة فيه ، وتوديع الأهل والإخوان والتماس أدعيتهم ، وتوديع المنزل بركعتين ، ويقرأ بعد السلام آية الكرسى ولإيلاف قريش ، ثم يدعو ويسأل الإعانة والتوفيق فى سائر أموره ، ويقول : اللهم أنت الصاحب فى السفر والخليفة فى الأهل ، اللهم إنى أعوذ بك من وَعْثاء السفر وكآبة المنظر وسوء المنقلب ، اللهم أقبض لنا الأرض وهون علينا السفر ، فإذا نهض من جلوسه قال : اللهم بك انتشرت ، وإليك توجهت ، وبك اعتصمت ، اللهم أنت ثقتى وأنت رجائى ، اللهم اكفنى ما أهمنى ، وما لا أهتم له ، وما أنت أعلم به منى ، اللهم زودنى التقوى ، واغفر لى ذنبى ، ووجهنى للخير حيثما توجهت .

ويستحب أن يتصدق عند الخروج من منزله بشىء وإن قل ، وأن يحرص على رفيق موافق ، راغب فى الخير ، كاره للشر ، إن نسى ذكره ، وإن ذكر أعانه ، إلى غير ذلك من آداب السفر .

ومنها : إخلاص النية ، وخلوص الطوية ، فإنما الأعمال بالنيات ، فينوى التقرب إلى الله تعالى بزيارة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم .

ويستحب أن ينوى مع ذلك التقرب بالمسافرة إلى مسجده صلى الله تعالى عليه وسلم ، وشد الرحل إليه ، والصلاة فيه ، كما قاله أصحابنا منهم ابن الصلاح والنووى ، قال ابن الصلاح : ولا يلزم من هذا خلل فى زيارته على ما لا يخفى.

ونقل شيخ الحنفية الكمال بن الهمام عن مشايخهم أنه ينوى مع زيارة القبر

زيارة المسجد ، ثم قال : إن الأولى عنده تجريد النية لزيارة قبره صلى الله تعالى عليه وسلم ، ثم إن حصل له إذا قدم زيارة المسجد أو يستفتح فضل الله فى مرة أخرى ينويهما فيها ؛ لأن ذلك زيادة تعظيمه وإجلاله صلى الله تعالى عليه وسلم ، وليوافق ظاهر قوله صلى الله تعالى عليه وسلم « لا تحمله حاجة إلا زيارتى » انتهى.

وفيه نظر ؛ لأنه صلى الله عليه وسلم حث أيضاً على قصد مسجده ، ففى امتثاله تعظيمه أيضاً .

وقوله « لا تحمله حاجة » أى لم يحث الشرع عليها ، وقد لا يسمح له الزمان بزيارة المسجد ، فليغتنم قصد ذلك مع الزيارة ، بل ينوى أيضاً الاعتكاف فيه ولو ساعة ، وأن يعلِّم فيه خيرا أو يتعلمه ، وأن يذكر الله فيه ويذكر به .

ويستحب إكثار الصلاة والتسليم على النبى صلى الله عليه وسلم ، وختم القرآن إن تيسر ، والصدقة على جيرانه صلى الله عليه وسلم ، وغير ذلك مما يستحب للزائر فعله ؛ فينوى به التقرب أولا ليثاب على القصد ، فنية المؤمن خير من عمله ، وينوى اجتناب المعاصى والمكروهات حياء من الله ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم .

ومنها: أن يكون دائم الأشواق إلى زيارة الحبيب الشفيع كل عام بالوصول إلى ذلك الجناب الرفيع ؛ فالشوق إلى لقائه وطلب الوصول إلى فنائه من أظهر علامات الإيمان . وأكثر وسائل الفوز يوم الفزع الأكبر بالأمن والأمان ، وليزدد شوقا وصَبَابة وتوقا ، وكلما ازداد دنوا ازداد غراما وحنوا .

ومنها: أن يقول إذا خرج من بيته : بسم الله ، وتوكلت على الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، اللهم إليك خرجت وأنت أخرجتنى ، اللهم سلمنى وسلم منى ، ورُدَّنى سالما فى دينى كما أخرجتنى ، اللهم إنى أعوذ بك أن أضل أو أُضَلّ ، أو أزل أو أُزل ، أو أظلم أو أُظلم ، أو أجهل أو يجهل علىّ ، عزّ جارك وجل ثناؤك

وتبارك اسمك ولا إلٰه غيرك ، وكذا يقول الدعاء المستحب لقاصد المسجد .

ومنها : الإكثار فى المسير من الصلاة والتسليم على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ، بل يستغرق أوقات فراغه فى ذلك وغيره من القربات .

ومنها : أن يتتبع ما فى طريقه من المساجد والآثار المنسوبة إلى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ، فيُحَيِّيها بالزيارة ، ويتبرك بالصلاة فيها ، وقد استقصيناها فيما سبق .

ومنها : إذا دنا من حرم المدينة وشاهد أعلامها ورُباها وآكامها فليستحضر وظائف الخضوع والخشوع مستبشرا بالهنا وبلوغ المنى ، وإن كان على دابة حَرَّكها أو بعير أوضعه تباشُرًا بالمدينة ، ولله در القائل :

قُرْبُ الديار يزيد شوق ألْوَالِهِ ... لاسيما إن لاح نُورُ جَمَالِهِ
أو بَشَّر الحادى بأن لاح النَّقا ... وبَدَتْ على بعد رؤس جباله
فهُنَاكَ عِيلَ الصَّبْر من ذى صَبْوَةٍ ... وبَدَا الذى يخفيه من أحواله

وليجتهد حينئذ فى مزيد الصلاة والسلام ، وترديد ذلك كلما دنا من الربا والأعلام .

ولا بأس بالترجُّلِ والمشى عند رؤية ذلك المحلِّ الشريف والقرب منه ، كما يفعله بعضهم ؛ لأن وَفْدَ عبد القيس لما رأوا النبى صلى الله عليه وسلم نزلوا عن الرواحل ، ولم ينكر عليهم ، وتعظيمه بعد الوفاة كتعظيمه فى الحياة .

وقال أبو سليمان داود المالكى فى الانتصار : إن ذلك يتأكد فعله لمن أمكنه من الرجال ، وإنه يستحب تواضعاً لله تعالى وإجلالا لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم .

وحكى عياض فى الشفا أن أبا الفضل الجوهرى لما ورد المدينة زائرا وقرب من بيوتها ترجَّلَ باكيا منشدا :

ولمَّا رَأَيْنَا رَسْمَ مَنْ لم يدع لنا ... فؤادا لعرفان الرسوم ولا لُبَّا

نزلْنَا عن الأكوار نمشى كرامة   لمن بان عنه أن نُلِمّ به ركبا

ومنها : إذا بلغ حرمَ المدينة الشريفة فليقل بعد الصلاة والتسليم : اللهم هذا حَرَمُ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الذى حَرّمْتَه على لسانه ، ودَعَاكَ أن تجعل فيه من الخير والبركة مِثْلَى ما هو فى حرم البيت الحرام ، فحرمنى على النار ، وآمِنِّى من عذابك يوم تبعث عبادك ، وارزقنى من بركاته مارزقته أولياءك وأهل طاعتك ، ووفقنى لحسن الأدب وفِعْلِ الخيرات وترك المنكرات . ثم تشتغل بالصلاة والتسليم . و إن كانت طريقه على ذى الُحلَيْفة فلا يجاوز المعرسَ حتى يُنِيخ به ، وهو مستحب ، كما قاله أبو بكر الخفاف فى كتاب الأقسام والخصال والنووى وغيرهما .

وقال صاحب الطراز من المالكية : من آداب الزائر الغسل ، ولباس أنظَفِ الثياب .

وقال أبو عبد الله السامرى الحنبلى فى باب الزيارة من المستوعب : و إذا قدم مدينة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم استحبّ له أن يغتسل لدخولها .

وقال فى الإحياء : وليغتسل قبل الدخول من بئر الحرة ، وليتطيب ، وليلبس أحسن ثيابه .

وقال الكرمانى من الحنفية : فإن لم يغتسل خارج المدينة فليغتسل بعد دخولها .

وفى حديث قيس بن عاصم أنه لما قدم مع وَفْدِهِ أسرعوا هم بالدخول ، وثبت هو حتى أزال مهنته وآثار سفره ولبس ثيابه ، وجاء على تؤدة ووَقار ، ثم أتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ، فرضى له ذلك وأثنى عليه بقوله « إن فيك لخصلتين يحبهما الله : الحلم ، والأناة » .

وفى حديث المنذر بن ساوى التميمى أنه وَفَدَ من البحرين مع أناس ، فذهبوا مع سلاحهم فسلموا على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، ووضع المنذر سلاحه

ولبس ثيابا كانت معه ومسح لحيته بدُهْن ، فأتى نبى الله صلى الله عليه وسلم — الحديث .

ويتجنب ما يفعله بعض الجهلة ، من التجرد عن المخيط تشبها بحال الإحرام .

ومنها : إذا شاهَدَ القبة المنيفة ، وشارف المدينة الشريفة ، فيلزم الخشوع والخضوع مستحضرا عظمتها ، وأنها البقعة التى اختارها الله تعالى لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم وحبيبه وصفيه ، ويمثل فى نفسه مواقع أقدام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عند تَرْدَاده فيها ، وأنه ما من موضع يطؤه إلا وهو موضع قدمه العزيزة ، فلا يضع قدمه عليه إلا مع الهيبة والسكينة ، متصوراً خشوعه صلى الله تعالى عليه وسلم وسكينته فى المشى وتعظيم الله عز وجل له حتى قرن ذكره بذكره وأحبط عمل من انتهك شيئاً من حرمته ، ولو برفع صوته فوق صوته ، ويتأسف على فوت رؤيته فى الدنيا ، وأنه من رؤيته فى الآخرة على خطر لسوء صنعه وقبح فعله ، ثم يستغفر لذنوبه ، ويلتزم سلوك سبيله ، ليفوز بالإقبال عند اللقاء ويحظى بتحية المقبول من ذوى البقاء .

ومنها : أن لا يخل بشىء مما أمكنه من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والغضب عند انتهاك حرمة من حرمه أو تضييع شىء من حقوقه صلى الله تعالى عليه وسلم ، فإن من علامات المحبة غيرة المحبِّ لمحبوبه ، وأقوى الناس ديانةً أعظمهم غيرة ، وإذا خلا القلب من الغيرة فهو من المحبة أخلى ، وإن زعم المحبة فهو كاذب .

ومنها : أن يقول عند دخوله من باب البلد : بسم الله ، ما شاء الله ، لا قوة إلا بالله ، رب أدخلنى مُدْخَلَ صِدْقٍ وأخرجنى مخرج صدق ، واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا ، حسبى الله ، آمنت بالله ، توكلت على الله ، لاحول ولاقوة إلا بالله ، اللهم إنى أسألك بحق السائلين عليك ، وبحق ممشاى هذا إليك ، فإنى لم أخرج بطرا ولا أشرا ولا رياء ولا سمعة ، خرجت اتقاء سخطك ، وابتغاء مَرْضاتك ، أسألك أن تنقذنى من النار ، وأن تغفر لى ذنوبى ؛ إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت .

ولْيَحْرِص على ذلك كلما قصد المسجد ؛ فنى حديث أبى سعيد الخدرِى رضى الله تعالى عنه مرفوعا أن مَنْ قال ذلك فى مسيره إلى المسجد وكَّلَ الله به سبعين ألف ملك يستغفرون له ، ويقبل الله عليه بوجهه . ثم لْيَقْوَ فى قلبه شرفُ المدينة وأنها حَوَتْ أفضلَ بقاعِ الأرض بالإجماع ، وأن بعض العلماء قال : إن المدينة أفضل أمكنة الدنيا .

أرض مَشَى جِبْرِيلُ فىعَرَصَاتِها والله شَرَّفَ أرضَهَا وسمـاءها

ومنها : أن يقدم صدقة بين يدى نَجْوَاه ، ويبدأ بالمسجد الشريف قبل أن يقدم على أمر من الأمور، أو شيء هو إلى مباشرته فى ذلك الوقت غير مضطر أو مضرور ؛ فإذا شاهَدَ المسجدَ النبوى والحرم الشريف المحمدى فليستحضر أنه آتٍ مهبط أبى الفتوح جبريل ، ومنزلَ أبى الغنائم ميكائيل ، والموضع الذى خصه الله بالوحى والتنزيل ، فليزدد خضوعاً وخشوعاً يليق بهذا المقام ، ويقتضيه هذا المحـــلُّ الذى ترتعد دونه الأقدام ، ويجتهد فى أن يوفى المقام حقه من التعظيم والقيام .

ومنها : ما قاله القاضى فضل الدين بن النصير الغورى من أن دخول الزائر من باب جبريل أفضلُ أيضاً، أى لمـا سبق فيه عند ذكر الأبواب ، وجرت عادة القادمين من ناحية باب السلام بالدخول منه ، فإذا أراد الدخول فليفرغ قلبه ، وليصف ضـميره ، ويقدم رجله اليمنى ، ويقول : أعوذ بالله العظيم ، وبوجهه الـكريم ، وبنوره القديم ، من الشيطان الرجيم ، بسم الله ، والحمد لله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، ماشاء الله ، لاقوة إلا بالله ، اللهم صل على سيدنا محمد عبدك ورسولك وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيراً ، اللهم اغفرلى ذنوبى ، وافتح لى أبواب رحمتك ، رب وفِّقْـنِى وسددنى وأصلحنى وأعِنِّى على ما يرضيك عنى ، ومُنَّ علىّ بحسن الأدب فى هذه الحضرة الشريفة، السلام عليك أيها النبى ورحمة

الله تعالى و بركاته ، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين . ولا يترك ذلك كلما دخل المسجد أو خرج منه ، إلا أنه يقول عند خروجه : وافتح لى أبواب فضلك ، بدل قوله « أبواب رحمتك » .

ومنها : إذا صار فى المسجد فَلْيَنْوِ الاعتكاف مدة لُبْثه به و إن قَلّ على مذهب الشافعى ؛ ليحوزَ ما فيه من الفضل ، ثم ليتوجه إلى الروضة المقدسة ، و إن دخل من باب جبريل فليقصدها من خلف الحجرة الشريفة مع ملازمة الهيبة والوقار ، وملابسة الخشية والانكسار ، والخضوع والافتقار ، ثم ليقف فى مُصَلّى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم إن كان خالياً ، و إلا ففيما يلى المنبر من الروضة و إلا ففى غيرهما ، فيصلى تحية المسجد ركعتين خفيفتين ، قال الكرمانى : يقرأ فى الأولى بعد الفاتحة (قل يا أيها الكافرون) وفى الثانية الإخلاص ، فإن أقيمت مكتوبة أو خاف فَوْتَها بدأ بها ، وحصلت التحية بها ، فإذا فَرَغَ حمد الله ، وأثنى عليه على ما منحه من هذه النعمة العظيمة ، والمنة الجسيمة .

قال الكرمانى وصاحب الاختيار من الحنفية : إنه يسجد بعد الركعتين شكراً لله تعالى ، و يبتهل إليه فى أن يتمم له ما قصد من الزيارة مع القبول ، وأن يهَبَ له من مهمات الدارين نهاية السُّول .

ونقل الزين المراغى عن بعض مشايخه أن محل تقديم التحية على الزيارة إذا لم يكن مروره قبالة الوجه الشريف ، فإن كان ذلك استحبت الزيارة أولا ، مع أن بعض المالكية رَخَّصَ فى تقديم الزيارة على الصلاة ، وقال : كل ذلك واسع .

والحجة فى استحباب تقديم التحية ما نقله البرهان ابن فرحون عن ابن حبيب أنه قال فى كتاب الصلاة : حدثنى مطرف عن مالك عن يحيى بن سعيد عن جابر ابن عبد الله رضى الله تعالى عنهما قال : قدمْتُ من سفر ، فجئت رسول الله

صلى الله تعالى عليه وسلم أسلم عليه وهو بفناء المسجد ، فقال : أدَخَلْتَ المسجد فصليت فيه ؟ قلت : لا ، قال : فاذهب فادخل المسجد وصل فيه ثم ائت فسلم على .

وقال اللخمى فى التبصرة فى باب من جاء مكة ليلا : ويبتدىء فى مسجد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بتحية المسجد قبل أن يأتى القبر ويسلم ، هذا قول مالك . وقال ابن حبيب : يقول إذا دخل : بسم الله ، والسلام على رسول الله ، يريد أن يبتدىء بالسلام من موضعه ، ثم يركع ، ولو كان دخوله من الباب الذى بناحية القبر ومروره عليه فوقف فسلم ثم عاد إلى موضع يصلى فيه لم يكن ضيقاً ، انتهى .

قلت : وليس فى كلام ابن حبيب مخالفة لما ذكره مالك؛ إذ مراده أن الداخل من باب المسجد يستحب له السلام على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عنده كما يستحب له الصلاة عليه؛ لما روى ابن خزيمة فى صحيحه عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه مرفوعاً « إذا دخل أحدكم المسجد فليسلم على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ، وليصل ، وليقل : اللهم أجرنى من الشيطان الرجيم » ولأن ابن حبيب ذكر بعد ذلك صلاة التحية ، ثم الوقوف بالقبر ، والسلام ، والله تعالى أعلم .

ومنها : أن يتوجه بعد ذلك إلى القبر الكريم، مستعيناً بالله تعالى فى رعاية الأدب فى هذا الموقف العظيم ، فيقف بخشوع وخضوع تامين تجاه مسمار الفضة الذى بجدار الحجرة المتقدم بيانه فى محله لجعله فى موضع محاذاة الوجه الشريف ، وربما منع بابُ المقصورة التى حول الحجرة الشريفة الواقفَ للزيارة خارجها من مشاهدة ذلك المسمار إلا بتأمل يشغل القلب ويذهب الخشوع فليقصد المصرعة الثانية من باب المقصورة القبلى الذى على يمين مستقبل القبر

الشريف ، فإذا استقبلها كان محاذيا له ، والزيارة من داخل المقصورة أولى ؛ لأنه موقف السلف .

والمنقول أن الزائر يقف على نحو أربعة أذرع من رأس القبر ، وقال ابن عبد السلام : على نحو ثلاثة أذرع ، وعلى كل حال فذلك من داخل المقصورة بلا شك . وقال ابن حبيب فى الواضحة : واقصد القبر الشريف من وجاه القبلة وادْنُ منه . وقال فى الإحياء — بعد بيان موقف الزائر بنحو ما قدمناه — : فينبغى أن تقف بين يديه كما وصفنا ، وتزوره ميتا كما كنت تزوره حيا ، ولا تقرب من قبره إلا ما كنت تقرب من شخصه الكريم لو كان حيا ، اه .

ولينظر الزائر فى حال وقوفه إلى أسفل مايستقبل من جدار الحجرة الشريفة ، ملتزما للحياء والأدب التام فى ظاهره وباطنه ، قال الكرمانى من الحنفية : ويضع يمينه على شماله كما فى الصلاة .

وقال فى الإحياء : واعلم أنه صلى الله عليه وسلم عالم بحضورك وقيامك وزيارتك ، وأنه يبلغه سلامك وصلاتك ، فمثل صُورَتَه الكريمة فى خيالك ، وأخطر عظيم رتبته فى قلبك ؛ فقد روى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم أن الله تعالى وَكَّلَ بقبره مَلَكا يبلغه السلام ممن يسلم عليه من أمته ، هذا فى حق مَنْ لم يحضر قبره ، فكيف بمن فارق الوطَن وقطع البوادى شوقا إليه واكتفى بمشاهدة مشهده الكريم إذ فاته مشاهدة غرته الكريمة ؟ انتهى .

ثم يسلم الزائر ، ولا يرفع صوته ولا يخفيه ، بل يقتصد فيقول : السلام عليك يا رسول الله ، السلام عليك يا نبى الله ، السلام عليك ياخيرة الله ، السلام عليك ياحبيب الله ، السلام عليك يا سيد المرسلين وخاتم النبيين ، السلام عليك يا خير الخلائق أجمعين ، السلام عليك يا قائد الغر المحجلين ، السلام عليك وعلى آلك وأهل بيتك وأزواجك وأصحابك أجمعين ، السلام عليك وعلى سائر الأنبياء والمرسلين وجميع عباد الله الصالحين ، جَزَاكَ الله عنا يا رسول الله أفضل ما جزى

به نبيا ورسولا عن أمته ، وصلّى عليك كلما ذكرك الذاكرون وغفل عن ذكرك الغافلون أفضل وأكمل ما صلى على أحد من الخلق أجمعين ، أشهد أن لا إلهَ إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أنك عبده ورسوله وخيرته من خلقه ، وأشهد أنك بلغت الرسالة ، وأديت الأمانة ، ونصحت الأمة ، وكشفت الغُمَّة ، وجاهدت فى الله حق جهاده ، اللهم آتِهِ الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذى وعدته وآته نهاية ما ينبغى أن يسأله السائلون ، اللهم صَلِّ على سيدنا محمد نبيك ورسولك النبى الأمى وعلى آل سيدنا محمد وأزواجه وذريته كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم ، وبارك على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم فى العالمين إنك حميد مجيد .

ومَنْ عجز عن حفظ هذا أو ضاق الوقت عنه اقتصر على بعضه كما قاله النووى ، قال : وأقله السلام عليك يا رسول الله صلى الله عليك وسلم ، وجاء عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما وغيره من السلف الاقتصار جدا ، وعن مالك «يقول : السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته».

ونقل البرهان ابن فرحون عن أبى سعيد الهندى من المالكية قال فيمن وقف بالقبر: ولا يقف عنده طويلا ، ثم ذكر سلام ابن عمر رضى الله تعالى عنهما ، ثم قال : وهذه طريقة ابن عمر ، وتبعه مالك فى ترك تطويل القيام ، واختار بعضهم التطويل فى السلام ،وعليه الأكثرون .

وقال ابن حبيب فيما نقل عياض : ثم تقف بالقبر متواضعا متوافرا ، فتصلى عليه صلى الله تعالى عليه وسلم ، وتثنى بما يحضرك ، قال ابن فرحون : وقال ابن حبيب : يقول السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته ، صلى الله عليك وسلم يارسول الله أفضل وأزكى وأعلى وأنمى صلاة صلاها على أحد من أنبيائه وأصفيائه أشهد يا رسول الله أنك قد بلغت ما أرسلت به ، ونصحت الأمة ، وعبدت ربك حتى أتاك اليقين ، وكنت كما نَعَتَك الله فى كتابه حيث قال (لقد جاءكم

رسول من أنفسكم ، عزيز عليه ما عنتم ، حريص عليكم ، بالمؤمنين رؤوف رحيم)
فصلوات الله وملائكته وجميع خلقه فى سمواته وأرضه عليك يا رسول الله، السلام عليكما
يا صاحبى رسـول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يا أبا بكر و يا عمر ، جزاكما الله
عن الإسلام وأهله أفضل ما جزى وزيرى نبى على وزارته فى حياته وعلى حسن
خلافته إياه فى أمته بعد وفاته ؛ فقد كنتما لرسول الله صلى الله عليه وسلم وزيرى
صدق فى حياته ، وخَلَفتماه بالعدل والإحسان فى أمته بعد وفاته ، فجزاكما الله على
ذلك مرافقته فى جنته و إيانا معكم برحمته ، انتهى .

وذكر المطرى والمجد تسليما يشتمل على أوصاف كثيرة ، وأوصافُه صلى الله
تعالى عليه وسلم غير منحصرة ، وهى شهيرة ، والحال يضيق عن الاستقصاء ؛ فلذلك
اقتصرنا على ماقدمناه .

وقال النووى عقب ما تقدم عنه : ثم إن كان قد أوصاه أحَدٌ بالسلام على
رسول الله صلى الله عليه وسلم فليقل : السلام عليك يارسول الله من فلان بن
فلان ، أو فلان بن فلان يسلم عليك يارسول الله ، ونحوه من العبارات ، ثم يتأخر
إلى صَوْب يمينه قدرَ ذراع فيصير تجاه أبى بكر رضى الله تعالى عنه فيقول: السلام
عليك ياأبا بكر صفىّ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، وثانيه فى الغار ، ورفيقه
فى الأسفار ، جزاك الله عن أمة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خير الجزاء ،
ثم يتأخر إلى صَوْب يمينه قدر ذراع فيقول : السلام عليك ياعمر الفاروق ، الذى
أعز الله به الإسلام ، جزاك الله عن أمة محمد صلى الله عليه وسلم خير الجزاء .

هذا ماذكره النووى وغيره من أصحابنا وغيرهم. ولعل ابن حبيب ـ حيث ذكر
التسليم على النبى صلى الله عليه وسلم ، وعلى ضجيعيه جملة ـ يرى اصطفاف القبور
سواء كما هو إحدى الروايات المتقدمة .

قال النووى وغيره : ثم يرجع الزائر إلى موقفه الأول قبالَةَ وجه رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم ، فيتوسل به فى حق نفسه ، و يستشفع إلى ربه سبحانه

وتعالى . قال : ومن أحسن ما يقول ما حكاه أصحابنا عن العتبى مستحسنين له، وسبق له ذكر فى الفصل الثانى .

قلت : وليجدد التوبة فى ذلك الموقف ، ويسأل الله تعالى أن يجعلها توبة نَصُوحا ، ويستشفع به صلى الله تعالى عليه وسلم إلى ربه فى قبولها ، ويكثر الاستغفار والتضرع بعد تلاوة قوله تعالى (ولو أنهم إذْ ظَلَموا أنفسهم ـ إلى قوله : رحيما) مع ما سبق فى حكاية العتبى ، ويقول : نحن وفدك يا رسول الله وزُوَّارك ، جئناك لقَضَاء حقك ، والتبرك بزيارتك ، والاستشفاع بك إلى ربك تعالى ، فإن الخطايا قد أثْقَلَتْ ظهورنا ، وأنت الشافع المشفع الموعود بالشفاعة العظمى والمقام المحمود ، وقد جئناك ظالمين لأنفسنا ، مستغفرين لذنوبنا ، سائلين منك أن تستغفر لنا إلى ربك ، فأنت نبينا وشفيعنا،فاشفع لنا إلى ربك ، واسأله أن يميتَنَا على سنتك ومحبتك ، ويحشرنا فى زُمْرَتك ، وأن يوردنا حوضك غير خزايا ولا نادمين .

وروى يحيى الحسينى وغيره عن ابن أبى فديك قال : سمعت بعضَ من أدركْتُ يقول : بلغنا أنه مَنْ وقف عند قبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال : (إن الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) صلى الله تعالى على محمد وسلم ، وفى رواية : صلى الله عليك يا محمد ، يقولها سبعين مرة ، ناداه مَلَك: صلى الله عليك يا فلان ، لم تسقط لك اليوم حاجة .

قلت : فينبغى تقديمُ ذلك على الدعاء والتوسل ، قال بعضهم : لكن الأولى أن يقول : صلى الله وسلم عليك يا رسول الله ، وإن كانت الرواية «يا محمد» تأدبا ؛ أى لأن من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم أن لا يُنَادَى باسمه ، بل يقال : يا رسول الله ، يا نبى الله ، ونحوه ، والذى يظهر أن هذا فى نداء لا يقترن به الصلاة والسلام .

قال المجد : وروينا عن الأصمعى قال : وقف أعرابى مقابل قبر النبى صلى الله

تعالى عليه وسلم فقال : اللهم إن هذا حبيبُكَ وأنا عبدُكَ والشيطان عدوك ، فإن غفرت لى سُرَّ حبيبُك وفاز عبدك وغضب عدوك ، وإن لم تغفر لى غضب حبيبُكَ ورضى عدوك وهلك عبدك ، وأنت أكرم من أن تغضب حبيبك وترضى عدوك وتهلك عبدك، اللهم إن العربَ الكرامَ إذا مات فيهم سيد أعتقوا على قبره،وإن هذا سيد العالمين فأعتقنى على قبره ، قال الأصمعى فقلت : يا أخا العرب إن الله قد غفر لك وأعتقك بحسن هذا السؤال .

قال المجد : ويجلس إن طال القيام به ، فيكثر من الصلاة والتسليم .

ونقل فى شرح المهذب عن كتاب آداب زيارة القبور لأبى موسى الأصفهانى أن الزائر بالخيار ، إن شاء زار قائما ، وإن شاء قعد كما يزور الرجل أخاه فى الحياة ، فربما جلس عنده وربما زار قائما ومارا ، انتهى .

قال المجد : ويأتى بأتم أنواع الصلاة وأكمل كيفياتها ، والإختلافُ فى ذلك مشهور ، قال : والذى أختاره لنفسى : اللهم صل على سيدنا محمد وآله وصحبه وأزواجه ، الصلاة المأثورة ،أى التى أخبر بها السائل عن كيفية الصلاة عليه: عددَ ما خلقتَ وعدد ما أنت خالق، وزنة ماخلقت وزنة ماأنت خالق ، وملء ماخلقت وملء ما أنت خالق ، وملء سمواتك وملء أرضك، ومثل ذلك ، وأضعاف ذلك ، وعدد خلقك ، وزنة عرشك ، ومنتهى رحمتك ، ومداد كلماتك ، ومَبْلَغَ رضاك، وحتى ترضى ، وعدد ما ذكرك به خلقك فى جميع ما مضى ، وعدد ماهم ذاكروك فيما بقى فى كل سنة وشهر وجمعة ويوم وليلة وساعة من الساعات ونسم ونفس ولمحة وطرفة من الأبد إلى الأبد أبد الدنيا والآخرة وأكثر من ذلك ، لا ينقطع أوله ولا ينفد آخره ، ثم يقول ذلك مرة أو ثلاث مرات ، ثم يقول : اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد كذلك ، ثم يتلو بين يدى سيدنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما تيسر من القرآن المجيد ، ويقصد الآى والسور الجامعة لصفات الإيمان ولمعانى التوحيد ، انتهى .

وقال النووى عقب ماتقدم عنه : ثم يتقدم — يعنى بعد فراغ الدعاء والتوسل

قبالة الوجه الشريف إلى رأس القبر ، فيقف بين القبر والأسطوانة التى هناك ، ويستقبل القبلة ، ويحمد الله تعالى ويمجده ، ويدعو لنفسه بما أهمه وما أحبه ، ولوالديه ، ولمن شاء من أقاربه وأشياخه وإخوانه وسائر المسلمين . وفى كتب الحنفية وغيرهم نحو هذا .

وقال العز بن جماعة : وما ذكروه من العَوْد إلى قبالة الوجه الشريف ومن التقدم إلى رأس القبر المقدس للدعاء عقب الزيارة لم يُنْقَلْ عن فعل الصحابة رضى الله تعالى عنهم والتابعين رحمهم الله تعالى .

قلت : أما الدعاء والتوسل هناك فله أصل عنهم ، والذى لم ينقل إنما هو هذا الترتيب المخصوص، والظاهر أن المراد بذلك تأخير الدعاء عن السلام على الشيخين والجمع بين موقفى السلف :الأول الذى كان قبل إدخال الحجر، والثانى الذى كان بعده ، وهو حسن ، بل سَبَق أوائل سادس فصول الباب الخامس من رواية ابن شبة أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حين فرغ من دَفن ابنه إبراهيم قال عند رأسه : السلام عليكم ، وهو ظاهر فى السلام من جهة الرأس .

ومنها : أن يأتى المنبر الشريف ، ويقف عنده ، ويدعو الله تعالى ، ويحمده على مايَسَّر له ، ويصلى على رسوله صلى الله عليه وسلم ، ويسأل الله سبحانه وتعالى من الخير أجمع ، ويستعيذ به ، كما قاله ابن عساكر ، زاد الأقشهرى عقبه : كما كانت الصحابة تفعل . يشير إلى ما رواه عن يزيد بن عبد الله بن قسيط قال : رأيت رجالا من أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إذا خلا المسجد يأخذون برمانة المنبر الصلعاء التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسكها بيده، ثم يستقبلون القبلة ويدعون .

وفى الشفاء لعياض عن أبى قسيط والعتبى رحمهما الله : كان أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ورضى الله تعالى عنهم إذا خلا المسجدُ حَبَسُوا رمانة المنبر التى تلى القبر بميامنهم ، ثم استقبلوا القبلة يدعون .

وقال النووى عقب ما تقدم عنه : ثم يأتى الروضة فيكثر فيها من الدعاء والصلاة ، ويقف عند القبر ويدعو .

قلت : ويقف أيضاً ويدعو عندأسطوان المهاجرين ، ويتبرك بالصلاةعندها وكذا أسطوان أبى لُبَابة ، وأسطوان الحرس، وأسطوان الوفود ، وأسطوان التهجد بعد أن يسلم على فاطمة الزهراء رضى الله تعالى عنها عند المحراب الذى فى بيتها داخل المقصورة ؛ للقول بدفنها هناك كما سبق .

ومنها : أن يجتنب لمس الجدار ، وتقبيله ، والطواف به ، والصلاة إليه ، قال النووى : لا يجوز أن يطاف بقبره صلى الله تعالى عليه وسلم ، ويكره إلصاق البطن والظهر بجدار القبر ، قاله الحليمى وغيره ، قال : ويكره مسحه باليد وتقبيله ، بل الأدب أن يبعد منه كما يبعد منه لو حضر فى حياته ، هذا هو الصواب ، وهو الذى قاله العلماء وأطْبَقُوا عليه ، ومَنْ خطر بباله أن المسح باليد ونحوه أبلغ فى البركة فهو من جهالته وغفلته ؛ لأن البركة إنما هى فيما وافق الشرع وأقوال العلماء ، انتهى .

وفى الإحياء : مَسُّ المَشَاهدوتقبيلها عادة النصارىواليهود ، وقال الأقشهرى: قال الزعفرانى فى كتابه : وضعُ اليد على القبر ومَسُّه وتقبيله من البِدَعِ التى تنكر شرعاً .

وروى أن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه رأى رَجلا وضع يده على قبر النبىصلى اللهتعالى عليهوسلم، فنهاه ، وقال : ما كنا نعرفُ هذا على عهد رسولالله صلى الله عليه وسلم ، وقد أنكره مالك والشافعى وأحمد أشَدَّ الإنكار .

وقال بعض العلماء : إنه إن قصد بوضع اليد مصافحة الميت يرجى أن لا يكون به حَرَجٌ ، ومتابعة الجمهور أحق ، انتهى .

وفى تحفة ابن عساكر : ليس من السنة أن يمس جدار القبر المقدس ، ولا أن يقبله ، ولا يطوف به كما يفعله الجهال ، بل يكره ذلك ، ولا يجوز ، والوقوف من بعـد أقرب إلى الاحترام ، ثم روى من طريق أبي نعيم قال : أنبأنا عبد الله بن جعفر بن فارس حدثنا أبو جعفر محمد بن عاصم حدثنا أبو أسامة عن عبيد الله عن نافع أن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما كان يكره أن يكثر مس قبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم .

قال البرهان ابن فرحون بعد ذكره : وهذا تقييد لما تقدم ، وهو عن ابن عمر فى القبر نفسه ، فالجدر الظاهرة أخف ، إذا لم يكثر منه ، قال: وهو دال على قرب موقف الزائر ، و يفسر معنى الدنو الذى عبر به مالك ، انتهى .

وقال أبو بكر الأثرم : قلت لأبى عبد الله ـ يعنى أحمد بن حنبل ـ قبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يلمس ويتمسح به ؟ قال : لا أعرف هذا ، قلت : فالمنبر ، قال : أما المنبر فنعم ، قد جاء فيه شيء يروونه عن ابن أبى فديك عن ابن أبى ذئب عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أنه مسح المنبر ، و يروونه عن سعيد ابن المسيب فى الرمانة ، أى رمانة المنبر قبل احتراقه .

و يروى عن يحيى بن سعيد شيخ مالك أنه حيث أراد الخروج إلى العراق جاء إلى المنبر فمسحه ودعا ، فرأيته استحسن ذلك ، قلت لأبى عبد الله : إنهم يلصقون بطونهم بجدار القبر ، وقلت له : ورأيت أهلَ العلم من أهـــل المدينة لا يمسونه ، و يقومون ناحيته ، و يسلمون ، فقال أبو عبد الله : نعم ، وهكذا كان ابن عمر رضى الله تعالى عنهما يفعل ذلك، نقله ابن عبد الهادى عن تأليف ابن تيمية.

وقال العز بن جماعة بعد ذكر ماسبق عن النووى : وقال السروجى الحنفى : لا يلصق بطنه بالجدار ، ولا يمسه بيده ، وقال عياض فى الشفاء : ومن كتاب أحمد ابن سعيد الهندى فيمن وقف بالقبر : لا يلصق به ولا يمسه ولا يقف عنده طويلا ، وقال ابن قدامة من الحنابلة فى المغنى : ولا يستحب التمسح بحائط قبر النبى صلى

الله تعالى عليه وسلم ، ولا يقبله ، قال أحمد : ما أعرف هذا ، قال الأثرم : رأيت أهل العلم من أهل المدينة لا يمسون قبر النبى صلى الله عليه وسلم ، بل يقومون من ناحيته فيسلمون ، قال أبو عبد الله : وكان ابن عمر رضى الله تعالى عنهما يفعل ذلك ، انتهى . قال العز : فى كتاب العلل والسؤالات لعبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه رواية أبى على بن الصوف عنه ،قال عبد الله : سألت أبى عن الرجل يمسُّ منبر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، و يتبرك بمسه ، و يقبله ، و يفعل بالقبر مثل ذلك رجاء ثواب الله تعالى ، قال : لا بأس به ، قال العز بن جماعة : وهـذا يبطل مانقل عن النووى من الإجماع .

قلت : النووى لم يصرح بنقل الإجماع ، لـكن قوة كلامه تفهمه .

وقال السبكى فى الرد على ابن تيمية فى مسألة الزيارة : إن عدم التمسح بالقبر ليس ممـا قام الإجماع عليه ؛ فقد روى أبو الحسين يحيى بن الحسين بن جعفر بن عبيد الله الحسينى فى أخبار المدينة قال : حدثنى عمر بن خالد حدثنا أبو نباتة عن كثير بن زيد عن المطلب بن عبد الله بن حنطب قال : أقبل مروان بن الحـكم ، فإذا رجل ملتزم القبر ، فأخذ مروان برقبته ثم قال : هل تدرى ما تصنع ؟ فأقبل عليه فقال : نعم، إنى لم آت الحجَر ، ولم آت اللَّبِنَ ، إنما جئتُ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، لا تبـكوا على الدين إذا وَليه أهله ، ولـكن ابكوا عليـه إذا وليه غير أهله ، قال المطلب : وذلك الرجل أبو أيوب الأنصارى . قال السبكى : وأبو نباتة يونس بن يحيى ، ومَنْ فوقه ثقات ، وعمر بن خالد لم أعرفه ، فإن صح هذا الإسناد لم يكره مس جدار القبر ، و إنما أردنا بذكره القدح فى القطع بكراهة ذلك ، انتهى .

قلت : سبق فى الفصل قبله أن أحمد رواه بأتم من ذلك عن عبد الملك بن عمرو ـ وهو ثقة ـ عن كثير بن زيد ، وقد حكم السبكى بتوثيقه ، فإنه الذى فوق

أبى نباتة فى إسناد يحيى ، وقد وثقه جماعة ، لـكن ضعفه النسائى كما سبق .

وتقدم أيضاً أن بلالا رضى الله تعالى عنه لما قدم من الشام لزيارة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أتى القبر ، فجعل يبكى عنده ، ويمرغ وجهه عليه ، وإسناده جيد كما سبق .

وفى تحفة ابن عساكر من طريق طاهر بن يحيى الحسينى قال : حدثنى أبى عن جدى عن جعفر بن محمد عن أبيه عن على رضى الله تعالى عنه قال : لما رُمِسَ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم جاءت فاطمة رضى الله تعالى عنها ، فوقفت على قبره صلى الله تعالى عليه وسلم ، وأخذت قبضة من تراب القبر ووضعت على عينيها وبكت ، وأنشأت تقول :

ماذا على مَنْ شَمَّ تربَةَ أحمدٍ ... أن لا يَشَمَّ مَدَى الزمان غَوَاليا

صُبَّت علىَّ مصائبٌ لو أنها ... صُبَّتْ على الأيام عُدْنَ لَيَاليا

ذكر الخطيب بن حملة أن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما كان يضع يده اليمنى على القبر الشريف ، وأن بلالا رضى الله تعالى عنه وضَع خديه عليه أيضاً ، ثم قال : ورأيت فى كتاب السؤالات لعبد الله بن الإمام أحمد ، وذكر ما تقدم عن ابن جماعة نَقْله عنه ، ثم قال : ولا شك أن الاستغراق فى المحبة يحمل على الإذن فى ذلك ، والمقصود من ذلك كله الاحترام والتعظيم ، والناس تختلف مراتبهم فى ذلك كما كانت تختلف فى حياته ، فأناس حين يرونه لايملكون أنفسهم بل يبادرون إليه ، وأناس فيهم أناة يتأخرون ، والكل محل خير ، انتهى .

وقال الحافظ ابن حجر : استنبط بعضهم من مشروعية تقبيل الحجر الأسود جواز تقبيل كل من يستحق التعظيم من آدمى وغيره ، فأما تقبيل يد الآدمى فسبق فى الأدب ، وأما غيره فنقل عن أحمد أنه سئل عن تقبيل منبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقبره ، فلم ير به بأساً ، واستبعد بعضُ أتباعه صحته عنه . ونقل

عن ابن أبي الصيف اليماني أحد علماء مكة من الشافعية جواز تقبيل المصحف وأجزاء الحديث وقبور الصالحين .

ونقل الطيب الناشري عن المحب الطبري أنه يجوز تقبيل القبر ومسه ؟ قال : وعليه عمل العلماء الصالحين ، وأنشد :

لو رأينـــا لسليمى أثراً　　لَسَجَدْنَا أَلْفَ أَلْفٍ للأثر

وقال آخر :

أمرّ على الديا ديار ليــلى　　أقبل ذا الجدار وذا الجدارا
وما حُب الديار شغفن قلبي　　ولـكن حب من سكن الديارا

ونقل بعضهم عن أبي خيثمة قال: حدثنا مصعب بن عبد الله حدثنا إسماعيل ابن يعقوب التيمي قال : كان ابن المنكدر يجلس مع أصحابه ، قال : وكان يصيبه الصمات ، فكان يقوم كما هو يضع خده على قبر النبي صلى الله عليه وسلم ثم يرجع ، فعوتب في ذلك ، فقال : إنه يصيبني خطرة ، فإذا وجدت ذلك استشفيت بقبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، وكان يأتي موضعاً من المسجد في الصحن فيتمرغ فيه ويضطجع ، فقيل له في ذلك ، فقال : إني رأيت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في هذا الموضع ، أراه قال «في النوم» انتهى .

ومنها : اجتناب الانحناء للقبر عند التسليم ، قال ابن جماعة : قال بعض العلماء : إنه من البِدع ، ويظن من لا علم له أنه من شعار التعظيم ، وأقبح منه تقبيل الأرض للقبر ، لم يفعله السلف الصالح ، والخير كله في اتباعه ، ومن خطر بباله أن تقبيل الأرض أبلغ في البركة فهو من جهالته وغفلته ؛ لأن البركة إنما هي فيما وافق الشرع وأقوال السلف وعملهم ، قال : وليس عجبي ممن جهل ذلك فارتكبه ، بل عجبي ممن أفتى بتحسينه مع علمه بقبحه ومخالفته لعمل السلف ، واستشهد لذلك بالشعر ، انتهى .

قلت : وقد شاهدت بعض جهال القضاة فعل ذلك بحضرة الملأ ، وزاد عليه وضع الجبهة كهيئة الساجد ، فتبعه العوام ، ولا قوة إلا بالله .

ومنها : أن لا يمر بقبر النبي صلى الله عليه وسلم حتى يقف ويسلم عليه ، سواء مر من داخل المسجد أو من خارجه ، ويكثر من قصده وزيارته .

روى الأقشهرى بسنده لابن أبي الدنيا قال : حدثنى الحسين بن عبد العزيز قال : حدثنا الحارث بن سليمان قال : أنبأنا ابن وهب قال : أنبأنا عبد الرحمن بن زيد أن أبا حازم حدثه أن رجلا أتاه فحدثه أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يقول لأبي حازم : أنت المارّ بي مُعْرضا لاتقف تسلم عليّ ؟ فلم يَدَعْ ذلك أبو حازم منذ بلغته هذه الرؤيا .

وفى كتاب الجامع من البيان لابن رشد شرح العتبية ، مالفظه : وسئل — يعنى مالكاً — عن المار بقبر النبي صلى الله عليه وسلم أترى أن يسلم كلما مر ؟ قال : نعم ، أرى ذلك ، عليه أن يسلم كلما مر به ، وقد أكثر الناس من ذلك، فإذا لم يمر به فلا أرى ذلك ، وذكر حديث « اللهم لاتجعل قبرى وثناً » الحديث .

قال : فقد أكثر الناسُ من هذا ، فإذا لم يمر عليه فهو فى سَعَة من ذلك ، قال : وسئل عن الغريب يأتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم كل يوم ، فقال : ماهذا من الأمر ، ولكن إذا أراد الخروج ، قال ابن رشد : المعنى فى ذلك أنه يلزمه أن يسلم عليه كلما مر به متى مامر ، وليس عليه أن يأتى ليسلم عليه إلا للوداع عند الخروج ، ويكره أن يكثر المرور به ، والسلام عليه ، والإتيان كل يوم إليه ؛ لئلا يجعل القبر بفعله ذلك كالمسجد الذى يؤتى كل يوم للصلاة فيه ، وقد نهى صلى الله تعالى عليه وسلم عن ذلك بقوله « اللهم لاتجعل قبرى وثنا» الحديث .

وقال عياض فى الشفاء : قال مالك فى كتاب محمد : و يسلم على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم إذا دخل وخرج ، يعنى فى المدينة ، وفيما بين ذلك ، وقال مالك فى المبسوط : وليس يلزم مَنْ دخل المسجد وخرج منه من أهل المدينة الوقوفُ بالقبر ، و إنما ذلك للغرباء ، وقال فيه أيضا : لا بأس لمن قدم من سفر أو خرج إلى سفر أن يقف على قبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ، فيصلى عليه ، و يدعو له ولأبى بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما ، فقيل له : إن ناسا من أهل المدينة لا يقدمون من سفر ولا يريدونه و يفعلون ذلك فى اليوم مرة أو أكثر ، ور بما وقفوا فى الجمعة أو فى الأيام المرة أو المرتين أو أكثر عند القبر فيسلمون و يَدْعُون ساعة ، فقال : لم يبلغنى هذا عن أحد من أهل الفقه ببلدنا ، وتركه واسع ، ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها ، ولم يبلغنى عن أول هذه الأمة وصدرها أنهم كانوا يفعلون ذلك ، و يكره إلا لمن جاء من سفر أو أراده .

قال الباجى : ففرق بين أهل المدينة والغرباء ؛ لأن الغرباء قصدوا لذلك، وأهل المدينة مقيمون بها لم يقصدوها من أجل القبر والتسليم .

قال السبكى : والمتلخص من مذهب مالك أن الزيارة قُرْبة ، ولكنه على عادته فى سد الذرائع يكره منها الإكثار الذى قد يُفْضِى إلى محذور، والمذاهب الثلاثة يقولون باستحبابها واستحباب الإكثار منها ؛ لأن الإكثار من الخير خير .

وقال النووى فى زيارة القبور من الأذكار : و يستحب الإكثار من الزيارة ، وأن يكثر الوقوف عند قبور أهل الخير والفضل . وسبق فى الفصل العشرين من الباب الرابع قول عبد الله بن محمد بن عقيل بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه فى خبر هَدْم جدار الحجرة : كنت أخرج كل ليلة من آخر الليل حتى آتى المسجد فأبدأ بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فأسلم عليه ، ثم آتى مصلاى فأجلس به حتى أصلى الصبح .

وروى ابن زبالة عن عبد العزيز بن محمد قال : رأيت رجلا من أهل المدينة يقال له محمد بن كيسان يأتى إذا صلّى العَصْرَ من يوم الجمعة — ونحن جلوس مع ربيعة بن أبى عبد الرحمن — فيقوم عند القبر فيسلم على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ، ويدعو حتى يمسى ، فيقول جلساء ربيعة : انظروا إلى ما يَصْنَع هـذا ؟ فيقول : دَعُوه فإنما للمرء مانوى .

وقال ابن عبد الحكم : سمعت الشافعى يقول : قال ابن عجلان لبعض الأمراء: إنك تطيل ثيابك ، وتطيل الخطبة ، وتكثر المجىء إلى قبر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، فلو كان فيه العجلان ما أتيته .

ومنها : إكثار الصلاة والتسليم على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ، وإيثار ذلك على سائر الأذكار ، ما دام هناك .

ومنها : اغتنام ما أمكن من الصيام ولو يسيرا من الأيام .

ومنها : الحرص على فعل الصلوات الخمس بالمسجد النبوى فى الجماعة ، والإكثار من النافلة فيه ، مع تحرى المسجد الذى كان فى زمنه صلى الله تعالى عليه وسلم ، إلا أن يكون الصفُّ الأولُ خارجه فهو أولى ، وإن أمكنه ملازمة المسجد ، وأن لا يفارقه إلا لضرورة ، أو مصلحة راجحة ، فليغتنم ذلك ، وكلما دخله فليجدد نية الاعتكاف ، ولله در القائل :

تمتع إن ظَفِرْتَ بنيل قرب وحَصِّلْ ما استطعت من ادخار

قال ابن عساكر : وليحرص على المبيت فى المسجد ولو ليلةً يحييها بالذكر والدعاء وتلاوة القرآن والتضرُّع إلى الله تعالى والحمد والشكر على ما أعطاه ، وعلى أن يختم القرآن العزيز فى المسجد لأثر فيه ، اه .

وقال أبو مخلد : كانوا يحبون لمن أتى المساجد الثلاثة أن يختم فيها القرآن قبل أن يخرج : المسجد الحرام ، ومسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومسجد بيت المقدس ، وأخرجه سعيد بن منصور .

ومنها : أن لا يستدبر القبر المقدس فى صلاة ولا فى غيرها من الأحوال ، ويلتزم الآداب شريعة وحقيقة فى الأقوال والأفعال .

قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام : وإذا أردت صلاة فلا تجعل حجرته صلى الله تعالى عليه وسلم وراء ظهرك ، ولا بين يديك ، قال : والأدب معه صلى الله تعالى عليه وسلم بعد وفاته مثله فى حياته ، فما كنت صانعه فى حياته فاصنعه بعد وفاته : من احترامه ، والإطراق بين يديه ، وترك الخصام ، وترك الخوض فيما لا ينبغى أن يخوض فيه فى مجلسه ، فإن أبيت فانصرافك خير من بقائك .

ومنها : أن يجتنب ما يفعله جَهَلَةُ العوام من التقرب بأكل التمر الصيحانى فى المسجد وإلقاء النوى به .

قال النووى وغيره : من جهالات العامة وبِدْعَتِهم تقربهم بأكل التمر الصيحانى فى الروضة الكريمة ، وقطعهم شعورهم ، ورميها فى القنديل الكبير ، وهذا من المنكرات المستشنعة .

ومنها : إدامة النظر إلى الحجرة الشريفة ؛ فإنه عبادة قياسا على الكعبة المعظمة كما قاله المجد ، قال : فينبغى لمن كان بالمدينة إدامة ذلك إذا كان فى المسجد ، وإدامة النظر إلى القبة الشريفة إذا كان خارجا مع المهابة والحضور .

ومنها : ما قاله النووى أنه يستحب الخروج كل يوم إلى البقيع ، ويكون ذلك بعد السلام على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، فإذا انتهى إلى البقيع قال : السلام عليكم دار قوم مؤمنين ، أنتم السابقون وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ، اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد ، اللهم لا تحرمنا أجرهم ، ولا تفتنا بعدهم ، واغفر لنا ولهم ، هذا محصل ما ورد ، زاد القاضى حسين : اللهم رب هذه الأجساد البالية والعظام النَّخِرة التى خرجت من الدنيا وهى بك مؤمنة ، أَدْخِلْ عليها رَوْحاً منك وسلاما منى ، اللهم برد مَضَاجعهم عليهم واغفر لهم . ثم يزور قبورَ السَّلَفِ

الظاهرة بالبقيع ، كقبر إبراهيم ابن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعثمان والعباس والحسن بن على وعلى بن الحسين ومحمد بن على وجعفر بن محمد وغيرهم ، رضى تعالى عنهم ، ويختم بصفية عمة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، انتهى .

وقال العلامة فضل الدين بن القاضى نصير الدين الغورى : وإذا أراد زيارة البقيع يخرج من باب البلد ، ويأتى قبة العباس بن عبد المطلب والحسن بن على رضى الله تعالى عنهم ، وذكر بعده إتيان بقية القبور ، ثم قال : ثم يختم زيارة البقيع بالسلام على صفية بنت عبد المطلب عمة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم .

فاقتضى سياقه البداءة بسيدنا العباس ومَنْ عنده من الحسن وغيره رضى الله تعالى عنهم ، ولعله لكون مشهدهم أولَ المَشَاهد التى يلقاها الخارج من البلد ، فإنه يكون على يمينه ، فمجاوزتهم من غير سلام عليهم جَفْوة ، فإذا سلك تلك الطريق سلم على من يمر به بعدهم ، فيكون مروره على صفية رضى الله تعالى عنها فى رجوعه فيختم بها .

وقال البرهان ابن فرحون : أول المشاهد وأولاها بالتقديم مشهد سيدنا أمير المؤمنين عثمان بن عفان ؛ لأنه أفضل الناس بعد أبى بكر وعمر رضى الله تعالى عنهم ، قال : واختار بعضهم البداءة بقبر إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، انتهى .

فتلخص فيمن يُبْدَأ به ثلاثة آراء ، وسبق أن مشهد سيدنا إسماعيل بن جعفر الصادق غربى مشهد العباس ، إلا أنه صار داخل سور المدينة ، ومشاهد البقيع كلها خارج السور ، فليختم الزائر به إذا رجع ، ويذهب إلى زيارة مشهد سيدنا مالك بن سنان ومشهد النفس الزكية فإنهما ليسا بالبقيع كما سبق .

ومنها : أنه يستحب أن يأتى قبور الشهداء بأحد ، قال النووى وغيره : وأفضلها يوم الخميس .

قلت : ولم يظهر لى وجه تخصيصه ، ثم رأيت الغزالى فى الإحياء فى زيارة القبور قال : كان محمد بن واسع يزور يوم الجمعة ، فقيل له : لو أخرت إلى يوم الاثنين ، فقال : بلغنى أن الموتى يعلمون بزوارهم يوم الجمعة ويوما قبله ويوما بعده ، انتهى . فلما كان المطلوب فى يوم الجمعة التبكير للجمعة وقبور الشهداء بعيدة ، والمطلوب فى يوم السبت الذهاب لمسجد قباء كما سيأتى ، فاختص الخميس بذلك ، ويبدأ بحمزة عم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، ويبكر بعد صلاة الصبح فى مسجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حتى يعود ويدرك جماعة الظهر فيه ، قال الكمال بن الهمام محقق الحنفية : ويزور جبل أحد نفسه ؛ ففى الصحيح « أُحُدٌ جبل يحبنا ونحبه » .

ومنها : أنه يستحب استحبابا متأكدا — كما قال النووى — أن يأتى مسجد قباء ، وفى يوم السبت أولى ، ناويا التقرب بزيارته والصلاة فيه ، وإذا قصد إتيانه توضأ وذهب ، ولا يؤخر الوضوء حتى يصل إليه .

ومنها : أن يأتى بقية المساجد والآثار المنسوبة للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم بالمدينة مما عُلمت عينه أو جهته ، وكذا الآبار التى شرب منها صلى الله تعالى عليه وسلم أو توضأ أو اغتسل ، فيتبرك بمائها ، صرح جماعة من الشافعية وغيرهم باستحباب ذلك كله ، وقد كان ابن عمر رضى الله تعالى عنهما يتحرّى الصلاة والنزول والمرور حيث حل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ونزل وغير ذلك .

ومأخذ ما نقل عن مالك مما يخالف هذا سَدًّا للذريعة ، تبعا لعمر رضى الله تعالى عنهما ، ما رواه سعيد بن منصور فى سننه عن المعرور بن سويد أنه خرج مع عمر رضى الله تعالى عنه فى حجة حجها ، فلما رجع من حَجَّته رأى الناس ابتدروا المسجد ، فقال : ما هذا ؟ فقالوا : مسجد صَلَّى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : هكذا أهل الكتاب قبلكم اتخذوا آثار الأنبياء بِيَعًا ، من عرضت له منكم الصلاة فيه فليصل ، ومن لم تعرض له فليمض .

وقال عياض فى الشفاء : ومن إعظامه صلى الله تعالى عليه وسلم وإكباره إعظام جميع أشيائه ، وإكرام جميع مشاهده وأمكنتِهِ ومعاهده ، وما لَمَسَه صلى الله تعالى عليه وسلم بيده أو عرف به ، انتهى .

قلت : ذلك بزيارة تلك المشاهد والتبرك بها ، ولله در القائل :

خَلِيلَىَّ هـذا رَبْعُ عزة فاعْقِلاَ　　قَلوصَيْكما ، ثم أنزلا حيث حَلَّتِ
ومَسَّا ترابا طال ما مَسَّ جـلدها　　وظَلاًّ وبيتا حيث باتَتْ وظلَّتِ
ولا تيأسا أن يَمْحُـوَ الله عنكما　　ذُنُوباً إذا صلَّيتما حيث صلَّتِ

وذكر خليل المالكى فى منسكه استحبابَ زيارة البقيع ، ومسجد قباء ، وغير ذلك ، ثم قال : وهذا إنما يكون فيمن كثرت إقامته بالمدينة ، وإلا فالمقام عنده عليه الصلاة والسلام أحسن ؛ ليغتنم مُشَاهداته صلى الله تعالى عليه وسلم ، وقد قال ابن أبى جمرة : لما دَخَلْتُ مسجد المدينة ما جلستُ إلا الجلوسَ فى الصلاة ، وما زلت واقفا هناك حتى رحل الركب ، ولم أخرج إلى بقيع ولا غيره ، ولم أرَ غيره صلى الله تعالى عليه وسلم ، وقد كان خطر لى أن أخرج إلى البقيع ، فقلت : إلى أين أذهب ؟ هذا باب الله تعالى مفتوح للسائلين والمتضرعين ، وليس ثَمَّ مَنْ يُقْصد مثله .

قلت : والحق أن مَنْ منح دوام الحضور والشهود وعدم الملل فاستمراره هناك أولى وأعلى ، وإلا فتنقُّله فى تلك البقاع أولى ، وبه يستجلب النشاط ودفع الملل ، ولذلك نَوَّعَ الله لعباده الطاعات ، والله أعلم .

ومنها : أن يلاحظ بعقله مدة إقامته بالمدينة جلالتها ، وأنها البلدة التى اختارها الله لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم فى الحياة وبعد الوفاة ، ويستحضر تَرَدُّدَهُ صلى الله تعالى عليه وسلم فيها ، ومشيه فى بقاعها ، ومحبته لها ، وتَرَدد جبرائيل عليه السلام فيها بالوحى ، فيحبها وسائر منازلها وأوديتها وجبالها ، سيما ما أثبت له صلى الله تعالى عليه وسلم المحبة من ذلك .

ومنها : أن لا يركَبَ بها دابة مهما قدر على المشى ، بل يؤثره على الركوب ، كما رأى ذلك مالك رحمه الله تعالى ؛ فإنه كان لا يركب بها دابة ، ويقول : أخشى أن يقع حافرها فى محل مشى فيه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم .

وفى رواية عن الشافعى رحمه الله تعالى قال : رأيت على باب مالك كُرَاعا من أفراس خراسان و بغال مصر ، ما رأيت أحسن منها ، فقلت له : ما أحسنها ! فقال : هو هدية منى إليك يا أبا عبد الله ، فقلت : دَع لنفسك منها دابة تركبها ، فقال : أستحيى من الله أن أطأ تربة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بحافر دابة

ومنها : محبة أهل المدينة وسكانها ، ومحبة مجاوريها وقُطّانها ، وتعظيمهم ، سيما العلماء والصلحاء والأشراف والفقراء وسَدَنة الحجرة وخُدّامها ، قال المجد : وهلم جرا إلى عوَامها وخوَاصها ، وكبارها وصغارها ، وزراعها وجرافها ، وباديتها وحاضرتها ، كل منهم على حسب حاله ورتبته وقرابته ودنوه من قبر رسول الله

المهذب : ويخص أقاربه صلى الله عليه وسلم بمزيد ؛ لحديث زيد بن أرقم رضى الله تعالى عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «أذكركم الله فى أهل بيتى» رواه مسلم ، وعن أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه موقوفا عليه قال : ارقبوا محمدا صلى الله عليه وسلم فى أهل بيته ، رواه البخارى .

ومنها : المجاورة بها فإنها مستحبة لمن قدر مع رعاية الأدب كما تقدم فى ثانى فصول الباب الثانى عن النووى .

ومنها : انشراح الصدر ودوام السرور واستمرار الفرح بمجاورة هذا النبى الكريم والحلول بحضرته الشريفة ، والإكثار من الدعاء بالتوفيق بشكر هذه النعمة ، مع قرنها بحسن الأدب اللائق بتلك الحضرة ، والرغبة إلى الله تعالى فى جبر التقصير عن القيام بواجب حقها ، والاعتراف بالقصور عن حال السلف الماضين ، وكثرة التفكر فى حالهم ومناقبهم وآدابهم .

ومنها : أن يزم نفسه مدة مقامه فى ذلك المحل الشريف بزمام الخشية والتعزيز والتعظيم ، ويخفض جناحه ويغض من صوته فى ذلك الموطن الشريف العظيم ، ويلحظ قول الله عز وعلا (إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى ، لهم مغفرة وأجر عظيم) وفى صحيح مسلم عن أنس ابن مالك رضى الله تعالى عنه قال لما نزلت (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى – إلى قوله : وأنتم لا تشعرون) قال ثابت بن قيس : أنا والله كنت أرفع صوتى عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، وإنى أخشى أن يكون الله تبارك وتعالى قد غضب علىّ ، قال : فحزن واصفر ، قال : ففقده رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسأل عنه ، فقيل : يا نبى الله إنه يقول : أخشى أن أكون من أهل النار ، قال : فكنا نراه يمشى بين أظهرنا رجلا من أهل الجنة .

وفى حديث أبى بكر الصديق رضى الله عنه : لما نزل قوله تعالى (إن الذين

يَغُضُّون أصواتهم عندرسول الله) قال أبو بكر : آليت أن لا أكلّم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إلا كأخى السرار .

وقد تقدم قول مالك رضى الله تعالى عنه فى مناظرة المنصور ، وأن حرمته صلى الله تعالى عليه وسلم ميتا كحرمته حيا .

ومنها : الحرص على فعل أنواع الخيرات بحسب الإمكان فى ذلك المكان ، من عيادة مريض ، وتشييع جنازة ، ومعونة ضعيف ، وإغاثةملهوف ، والإحسان إلى المقيمين والواردين ، وإكرام الزائرين ، ومُوَاساة فقرائهم ولو بلقمة أو تمرة أو سَقْى الماء إن أمكنه ، إلى غير ذلك من أنواع الخير والمعروف .

ومنها : أن لا يضيق على مَنْ بها من الفقراء والمحتاجين ، بسكنى الأرْبِطَة والأخذ من الصدقات ، إلا أن يحتاج لذلك فيقتصر على قدر الحاجة ، قاله الأقشهرى ، وهو حسن ، قال : ولا ينتحل نحلة صورتها صورة عبادة ومحصولها فائدة دنيوية كإمامة وأذان وتدريس وقراءة خَتْمة أو خدمة فى الحرم ، إلا أن يخلص النية فى ذلك ، أو يكون عاجزا عن قوته ، فيأخذ من الصدقات قوته ، وما لا بد منه ، من غير تعرض لها ولا إشراف نفس .

ومنها : أنه متى اختار الرجوع ، وعزم على النهوض إلى وطنه أو غيره ، فالمستحب ـ كما قاله النووى وغيره ـ أن يودع المسجد الشريف بركعتين ، ويكون ذلك فى المصلى الشريف النبوى ، أوما قرب منه من الروضة الشريفة ، ثم يحمد الله تعالى ، ويصلى على نبيه صلى الله تعالى عليهوسلم ، ويدعو بما أحب ، ويقول : اللهم إنا نسألك فى سفرنا هذا البرّ والتقوى ، ومن العمل ما تحب وترضى . اللهم كُنْ لنا صاحباً فى سفرنا ، وخليفة على أهلنا . اللهم ذَلّلْ لناصعوبة سفرنا ، وأطْوِ عنا بعده . اللهم إنا نعوذ بك من وَعْثاء السفر ، وكآبة المنظر ، وسوء المُنْقَلب فى الأهل والمال . اللهم أصحبنا بنصح ، وأقبلنا بذمة . اللهم اكفنا ما أهمنا وما لا نهتم له ، وارجعناسالمين مع القبول والمغفرةوالرضوان،ولا تجعله

آخر العهد بهذا المحل الشريف ، و يعيد السلام والدعاء المتقدم فى الزيارة ، و يقول بعده اللهم لا تجعل هذا آخر العهد بحرم رسولك صلى الله تعالى عليه وسلم وحضرته الشريفة، و يَسِّرْ لى العود إلى الحرمين سبيلا سهلة ، وأرزقنى العفو والعافية فى الدنيا والآخرة.

وقال الكرمانى من الحنفية : إذا اختار الرجوع يستحب له أن يأتى القبر الشريف و يقول بعد السلام والدعاء : ودَّعْناك يا رسول الله غير مودّع ولا سامحين بفرقتك ، نسألك أن تسأل الله تعالى أن لا يقطع آثارنا من زيارة حرمك ، وأن يُعيدنا سالمين غانمين إلى أوطاننا ، وأن يبارك لنا فيما وهب لنا ، وأن يرزقنا الشكر على ذلك . اللهم لا تجعل هذا آخر العهد من زيارة قبر نبيك صلى الله تعالى عليه وسلم . قال : ثم يتوجه إلى الروضة ، و يصلى ركعتين عند الخروج ، و يسأل الله العَوْدَ مع السلامة والعافية .

قلت : وهو صريح فى تقديم وَدَاع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على توديع المسجد بالركعتين ، ومقتضى كلام النووى وغيره ما قدمناه ، وممن صرح بمقتضاه فى تقديم الصلاة على توديعه صلى الله تعالى عليه وسلم أبو سليمان داود الشاذلى من المالكية فى كتابه النيات والانتصار ، والأصلُ فى ذلك كما أشار إليه ابن عساكر حديثُ أنس رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم « كان لا ينزل منزلا إلا ودَّعه بركعتين » .

ومنها : أن ينصرف عقب ذلك تلقاء وجهه ، ولا يمشى القهقرى إلى خلفه ، ويكون متألما متحزنا على فراق الحضرة النبوية ، متأسفاً على ما يفوته من تركه ملازمتها ، وهناك تظهر من المحبين سوابق العبرات ، و يتصعد من بواطنهم لقوة الوجد لواحق الزفرات .

وأنشد أبو الفضل الجوهرى فى توديعه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم :

لو كنت ساعة بيننا ما بيننا وشهدتَ كيف نكرر التوديعا
لعلمت أن من الدموع محدِّثا وعلمتَ أن من الحديث دموعا

وقال العز بن جماعة : أنشدنى والدى —يعنى البدر بن جماعة— لنفسه وهو يبكى عند وداعه لسفره من المدينة الشريفة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام :

أحِنُّ إلى زيارة حَيِّ ليلى ... وعهدى من زيارتها قريبُ
وكنت أظن قربَ الدار يُطْفِى ... لهيبَ الشوق فازداد اللهيب

ولله در القائل :

أرسَلَتْ أعينى دموعا غزارا ... وحَوَتْ أضلعى لهيبا ونارا
وتنا آى صبرى وهل بعد بعد ... يجد الصب سلوة واصطبارا
يا ديار الأحباب كان اختيارى ... أن أراك المساء والأبكارا
ذاك لو يسمح الزمان ، ولكن ... ليس لى أن أعارض الأقدارا
ليس نأيى رضى وعن طيب نفس ... إنما كان بالقضاء اضطرارا
واختيارى أن لا أفارقك الدهر ولكن لا أملك الاختيارا
فعسى الله أن يمن بعود ... فعساه يطفى لهيبا ونارا

ومنها : أن يستصحب منه هدية ليدخل بها السرور على أهله ومعارفه ، من غير أن يتكلفها ، سيما ثمار المدينة ومياه آبارها النبوية ، ولا يستصحب شيئا من تراب حرم المدينة ولا من الأكر المعمولة منه ، قال النووى : وكذا الأباريق والكيزان وغير ذلك من التراب والأحجار فإنه لايجوز .

قلت : وقد سبق واضحا فى الحرم ، واستدلوا لاستحباب استصحاب الهدية بحديث ضعيف رواه الدارقطنى عن عائشة رضى الله تعالى عنها أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال «إذا سافر أحدكم فَلْيهْدِ لأهله ، وليطرفهم ولو كانت حجارة» وذكر الغزالى فى الإحياء سببا لذلك ، وهو تشوف النفوس إلى ذلك ، خصوصا الأولاد ونحوهم .

ومنها : أن يتصدق بشىء مع خروجه من المدينة الشريفة ، وينوى حينئذ ملازمة التقوى ، والاستعداد للقاء الله ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم فى يوم الميعاد ، وليَحْذَرْ كل الحذر بعد ذلك من مقارفة الذنوب ، فإن النّكْسَة أشد من المرض ، وليحافظ على الوفاء بما عاهد الله تبارك وتعالى عليه ، ولا يكون خَوَّانا أثيما

فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ، ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيما .

ومنها : أن يكون مع ذلك دائم الأشواق لذلك المزار ، ومشاهدة عظيم تلك الآثار ، متعلق القلب بالعَوْد إلى تلك الديار ، ينمى شوقه بتأمل ما نقل فى ذلك من الأخبار والآثار ، وما نظم فيه من نفائس الأشعار .

ومن أعذبها وأعجبها قصيدة الإمام الولى العارف بالله أبى محمد البكرى ، وقد أخبرنى بها جماعة من المشايخ الأجلاَّء المسندين منهم شيخنا الشيخ الإمام العلامة شيخ المحدثين بالمسجد النبوى ناصر الدين أبو الفرج محمد ابن الإمام العلامة قاضى طيبة زين الدين أبى بكر بن الحسين العثمانى المراغى سَمَاعاً عليه بالروضة الشريفة النبوية ، قال : أخبرنى والدى إذنا إن لم يكن سماعا قال : أخبرنى شيخنا الحافظ أبو السيادة عبد الله عفيف الدين بن محمد بن أحمد المطرى قراءة عليه ، قال : أخبرنى الشيخ الإمام العارف أبو محمد عبد الله بن عمر بن موسى البكرى سماعا غير مرة ، قال :

دَارُ الحبيبِ أَحَقُّ أن تهواها ... وتَحِنَّ من طرَبٍ إلى ذكراها

وعلى الجفون متى هَمَمْتَ بِزَوْرَةٍ ... يا ابنَ الكرام عليك أن تغشاها

فلأنتَ أنت إذا حَلَلْتَ بطيبةٍ ... وظللت ترتع فى ظلال رباها

مغنى الجمال منى الخواطر والتى ... سلبت عقول العاشقين حلاها

لا تحسب المسك الذكى كتربها ... هيهات أين المسك من رَيَّاهَا

طابت فإن تبغى التطيب يا فتى ... فأدم على الساعات لثم ثراها

وابشر ففى الخبر الصحيح مقررا ... أن الإلٰهَ بطابة سماها

واختصها بالطيبين لطيبها ... واختارها ودَعَا إلى سكناها

لا كالمدينة منزل ، وكفى لها ... شرفا حلولُ محمد بفنائها

حظيت بهجرة خير من وطئ الثرى ... وأجلهم قدرا ، فكيف تراها ؟

كل البلاد إذا ذكرت كأحرف ... فى اسم المدينة لا خلت معناها
حاشى مسمى القدس فهى قريبة ... منها ، ومكة إنهـــا إياها
لا غرو إلا أن ثم لطيفـــة ... مهما بَدَتْ يجلو الظلامَ سناها
جزم الجميع بأن خير الأرض ما ... قد حاط ذات المصطفى وحَوَاها
ونعم،لقدصدقوا ، بساكنها علت ... كالنفس حين زكت زكى مأواها
وبهذه ظهرت مزية طيبـــة ... فغدت وكل الفضل فى معناها
حتى لقد خصت بروضة جنة ... الله شرفها بهـــا وحَبَاها
ما بين قبر للنبى ومنـــــبر ... حيا الإلهُ رســوله وسقاها
هذى محاسنها فهل من عاشق ... كلف شحيح باخل بنواها
إنى لأرهب من توقُّع بينهـــا ... فيظـــل قلبى موجَعًا أوَّاها
ولقلمـــا أبصرت حال مودِّع ... إلا رثت نفسى له وشجاها
فلكم أراكم قافلين جماعـــة ... فى إثر أخرى طالبين هواها
قسما لقـد أذكى فؤادى بينُكم ... نارا ، وفجــــر مقلتىَّ مياها
إن كان مزعجكم طلاب معيشة ... فالخير كل الخير فى مَثْوَاها
أو خفتم ضراً بهـــا فتأملوا ... بركات بلغتها فما أزكاها
إلا إذا يبغى الكثير لشهوة ... ورفاهـــة لم يدر ما عقباها
والعيش ما يكفى، وليس هو الذى ... يطغى النفوس ولا خسيس مناها
يارب أسأل منك فضل قناعة ... بيسيرهـــــا وتحببا لحماها
ورضاك عنى دائمـــا ، ولزومها ... حتى توافى مهجتى أخراها
فأنا الذى أعطيت نفسى سؤلها ... وقبلت دعوتهـــا ، فيابشراها
بجـــوار أوفى العالمين بذمة ... وأعز من بالقرب منه يُبَاهَى
من جاء بالآيات والنور الذى ... داوى القلوب من العمى فشفاها
أولى الأنام بخطة الشرف التى ... تدعى الوسيلة خير من يعطاها

إنسان عين الكون ، سر وجوده يس إكسير الحامد طه

حسبى ، فلست أفى بذكر صفاته ولو أن لى عدد الحصا أفواها

كثرت محاسنه فأعجز حصرها وغدت وما نلفى لها أشباها

إنى اهتديت من الكتاب بآية فعلمت أن علاه ليس يضاهي

ورأيت فضل العالمين محددا وفضائل المختار لا تتناهى

كيف التقصى والوصول لمدح من قال الإله له وحسبك جاها

(إن الذين يبايعونك إنما) فيما يقول (يبايعون الله)

هذا الفخار فهل سمعت بمثله واها لنشأته الكريمة واها

صلوا عليه وسلموا؛ فبذلكم تهدى النفوس لرشدها وغناها

صلى عليه الله غير مقيد وعليه من بركاته أنماها

وعلى الأكابر آله سُرُجِ الهدى أحبب بعترته ومن والاها

وكذا السلام عليه ، ثم عليهم وعلى عصابته التى زكاها

أعنى الكرام أولى النهى أصحابه فئة التقى ومن اهتدى بهداها

والحمد لله الكريم ، وهذه نُجِّزَتْ وظنى أنه يرضاها

قال البدر ابن فرحون أحد أصحاب ناظمها سيدى أبى محمد البكرى : إن بعض الصالحين رأى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى المنام ، قال البدر : وأشك هل كان هو الشيخ أو غيره ، وأنشد هذه القصيدة ، فلما بلغ آخرها قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم « رضيناها رضيناها » .

قلت : فلذلك ختمت بها كتابى هذا عسى أن يكون مرضيًا عند سيدنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ؛ فيلحظه بعين القبول ، لأنال منه من الرضوان غاية المأمول ، ولله در القائل :

إذا رَضِيَتْ عَنِّى كرامُ عَشِيرَتِى فلا زال غَضْبَانًا على لئامُهَا

اللهم جُدْ علينا برضوانك ، واجعلنا فى حِرْزك وأمانك ، وتفضل علينا بجودك وإحسانك ، بمُجَاورة حبيبك المصطفى فى الدارين ، والفَوْز من اتباع سنته بما تقر به العين ، وثبت قلوبنا على الهدى ، وسلمها من الزيغ والرَّدَى ، ونجنا من الفتن والبلوى ، وخلصنا من كَدُورَات هذه الحياة الدنيا ، ووفقنا للقيام بما أمرتنا قولا وفعلا ، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم ، وسامحنا بجودك وكرمك إنك أنت الجَوَاد الكريم ، وافعل ذلك بوالدينا ومشايخنا وأحبابنا وجميع المسلمين ، سيما من اشتغل بهذا الكتاب ، ورغب فيه من الطلاب ، جعله الله خالصا لوجهه الكريم ، مُوَصِّلا للفوز بجنات النعيم ، وحفظه من الحاسدين ، بالكرام الكاتبين ، وحَمَاه من السراق ، كما من بسلامته من الاحتراق .

وقد سلكت فيه إيضاح العبارات ، مع سلامتها من الركّة والغرابات ، ليسهل تناوله ، وتورد على العموم مَنَاهله ، وحذفْتُ الأسانيدَ من أحاديثه اكتفاء بتخريجها ، والكلام على ما يحتاج إلى الكلام عليه منها .

وكأنى بمن لا يميل طبعه المنحرف إلى الفقهيات ، قد عاب علينا بما أوردناه فيه ، من أحكام الحرم وغيره ، وكذا ما ذكرناه من منازل المهاجرين والأنصار والدور المباركات ، وأسماء البقاع والجهات البعيدات ، وإن كانت من التوابع والمضافات ، وما دَرَى موقع ذلك عند ذوى العنايات ، والهمم العاليات ، ومن جهل شيئاً عاداه ، والحمد لله على ما أولاه .

* * *

قال مؤلفه رحمه الله تعالى : فرغت من تأليفه فى اليوم المبارك الرابع والعشرين من جمادى الآخرة عام ست وثمانين وثمانمائة بالمدينة الشريفة ، ثم بلغنى بعد الرحلة إلى مكة المشرفة فى شهر رمضان منها ما أصيب به المسلمون من حريق المسجد فألحقته فى محله ، وسأتبعه بما يتعلق به من العمارة المتوقعة إن شاء الله تعالى .

قال مؤلفه : وكان الفراغ من تبييضه على يد مؤلفه بالمسجد الحرام المكى تجاه الكعبة المعظمة فى سلخ شوال المبارك ، عام ست وثمانين وثمانمائة ، ثم ألحقت فيه

ما سبق ذكره من العمارة المتجددة ، وما ترتب عليها فى محالها بعد رجوعى إلى المدينة الشريفة سنة ثمان وثمانين وثمانمائة ، والحمد لله وحده ، وصلى الله وسلم على من لا نبى بعده ، وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وصحابته الأكرمين ، رضوان الله عليهم أجمعين !

وقد تم — بحمد ذى القدرة والجبروت ، الذى بيده ملكوت السموات والأرض — تحقيق هذا الكتاب المبارك إن شاء الله فى شهر رمضان المعظم من سنة ١٣٧٤ هـ ، والله سبحانه ولى التوفيق والسداد ، وكان من عجائب المصادفات أن شرعت حكومة المملكة العربية السعودية بأمر كريم صدر من جلالة الملك المعظم سعود بن عبد العزيز آل سعود ، فى ترميم بعض مواطن مِنْ حرم النبى صلى الله عليه وسلم وعظم و بارك وكرم وتوسعته، فأحببنا أن نضيف تفصيل ذلك إلى هذا الكتاب كما أضاف المؤلف تفاصيل العمارة التى حدثت فى زمانه ، وجعلنا إضافتنا فى أخريات الكتاب ؛ لأننا لا نرى من حقنا أن نضيف فى أثناء الكتاب ما ليس من عمل صاحبه ، والله يتقبل منا و يجزينا بما هو أهله من الكرم والجود والإحسان ، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه .

التوسعة السعودية للمسجد النبوى الشريف

إتماما للفائدة المرجوة من نشر هذا الكتاب القيم والأثر الخالد (وفاء الوفا — بأخبار دار المصطفى) .

نرى أن نلحق به ملخصا عن العمل القائم فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم — فى توسعته الحالية وعمارته الضخمة على نفقة المغفور له الملك الراحل عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ثم على نفقة خلفه مولانا صاحب الجلالة الملك سعود ـ أيده الله .

وقد استقينا هذه المعلومات من مدير مكتب مشروع التوسعة سعادة الشيخ محمد صالح القزاز المشرف على إدارة أعمال العمارة بهمة فائقة وإخلاص منقطع النظير .

الناشر

محمد سلطان النمنكانى

صاحب المكتبة العلمية بالمدينة المنورة

فى ١٢ رمضان سنة ١٣٧٤ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

في اليوم الخامس من شهر شوال سنة ١٣٧٠ بدىء في تنفيذ مشروع توسعة الحرم النبوي الشريف ، وكان أول ما بدئ به هو هدم الدور المحيطة بالمسجد والتي انتزعت ملكيتها ، واستمر العمل جارياً في نقل أنقاضها ومتخلفاتها وكل ما استلزمه الحال حتى ١٤ شعبان سنة ١٣٧٣ .

وفي شهر ربيع أول عام ١٣٧٢ زار المدينة جلالة الملك سعود وكان إذ ذاك ولياً للعهد ، وفي حفل كبير رائع وضع جلالته الحجر الأساسي للمسجد .

وفي اليوم الرابع والعشرين من رمضان سنة ١٣٧٢ بدىء في حفر الأساسات للمسجد الشريف بالجناح الغربي بالمنطقة التي تلي باب الرحمة .

وفي شهر ربيع الأول عام ١٣٧٣ زار جلالة الملك المدينة المنورة ، وبنى بيده في عمارة المسجد ، ووضع أربعة أحجار في إحدى زوايا الجدار الغربي للمسجد الشريف .

وقد أنشىء من أجل العمارة مصنع مخصوص لعمل الأحجار الصناعية (الموزايكو) وزود بكافة الأدوات والجلايات الميكانيكية ، واختير له مكان في منطقة أبيار علي حيث جلب له مهندسون إخصائيون من إيطاليا ، ويعمل تحت إشرافهم قريب من أربعمائة شخص ، وإنتاجه بحمد الله يساير مستلزمات العمارة .

ويعمل بالحرم الشريف عشرة مهندسون منهم ثمانية من المصريين وواحد من السوريين وواحد من باكستان — ويعمل تحت إشرافهم أكثر من مائتي صانع من المصريين والسوريين وعدد من الباكستانيين والسودانيين واليمنيين والحضارمة كما يعمل معهم أكثر من ألف ومائة عامل من السعوديين .

استحضرت رافعات وسيارات ضخمة وتركترات وخلاطات ميكانيكية

وآلات مختلفة من أحدث الآلات الفنية ،وكلها تعمل فى عمارة الحرم الشريف ويزيد مجموعها عن أربعين قطعة .

استعمل ميناء ينبع لترسو به البواخر التى تحمل الأخشاب والحديد والإسمنت وجميع مواد البناء اللازمة للعمارة ، ثم تنقل هذه المواد على السيارات الضخمة للمدينة المنورة ، وقد رست به حتى الآن ثمانَ عشرة باخرة جاءت بمواد عمارة الحرم الشريف ، وقد بلغ مجموع ما أفرغته فى الميناء ١٤٧٠٠ طن من الحديد والإسمنت والأخشاب ومواد مختلفة .

وأنشئت ورشة خاصة بالمدينة زودت بالمهندسين الميكانيكيين ، والصناع وكلهم سعوديون لأجل تعمير وإصلاح السيارات والآلات الميكانيكية التى تعمل بالعمارة الشريفة .

وقيمة الدور التى انتزعت ملكيتها للتوسعة (١٧٥٤٠٠) جنيه ذهب — وتكاليف المشروع حسب تقدير المهندسين (٥٠٠٠٠٠٠٠) خمسين مليون ريال — وقد تشكلت لجنة خاصة من كبار رجال المدينة لتقدير قيم العقار وقد روعى فى ذلك مصلحة أصحاب الأملاك ، وقدرت لهم بأوفى ثمن .

وقد أنشىء مكتب خاص لمشروع التوسعة به أكثر من خمسين موظفاً يعملون فى الأعمال الإدارية والحسابية والمستودعات وغيرها من الأقسام اللازمة لمثل هذا العمل الجليل كالآتى :

المكتب الرئيسى	القسم الفنى
القسم الحسابى	قسم المستودعات
قسم الصندوق	

* * *

الإداريون المسؤولون بالمكتب الرئيسى بالمدينة

حضرة صاحب السعادة :	الشيخ محمد بن لادن	المشرف العام على عمارة الحرم النبوى الشريف
سعادة :	« محمد صالح القزاز	مدير مكتب توسعة الحرم النبوى الشريف
الشيخ :	جعفر الفقيه	مدير المستودعات
« :	أسعد صادق	رئيس الحسابات
« :	عباس سقاف	مفتش أعمال
« :	عبد المجيد خطاب	محاسب المستودعات
السيد :	محسن عمران	رئيس قسم التحرير
الشيخ :	على بازرعة	أمين الصندوق
« :	ناصر عبد الله	أمين المستودعات

* * *

القسم الفنى

السيد المهندس : فهمى مؤمن — المهندس المعمارى لمشروع الحرم النبوى الشريف

و يعاونه الرسامان المعماريان : عطية مؤمن ، و يوسف على

الرسام المعمارى الباكستانى

« « : الدكتور محمد هلال — المهندس الإنشائى للمشروع

« « : رياض محمد البحيرى — كبير مهندسى التنفيذ

السيد المهندس : عبد الله سرور الشريف
« « : حمدى محمد عبد الرحمن
« « : جميل كامل حسن الأسيوطى
« « : أكرم البقاعى (سورى)
« « : الدكتور كمال بركات — مهندسو التنفيذ
« « : محمد مسعد مدكور
« « : محمد سعيد حسن
« « : سعد الحداد
« « : سعيد أحمد قداح

« : عادل حسن محمد عبد العزيز — رسام
« : السيد محمد كريم — سكرتير القسم الفنى

* * *

رؤساء الأعمال

الشيخ : حسن زايد رئيس عمال
« : على الوتيرى « «
« : محمد صالح حضيرى « «
الريس : محمد أحمد « «

* * *

	أمتار مربعة
مساحة المسجد الشريف الذى بناه النبى صلى الله عليه وسلم	٢٤٧٥
زيادة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب	١١٠٠
« أمير المؤمنين عثمان بن عفان	٤٩٦
« الخليفة الأموى الوليد بن عبد الملك	٢٣٦٩
« الخليفة العباسى المهدى	٢٤٥٠
« الملك الأشرف قايتباى	١٢٠
« السلطان عبد المجيد العثمانى .	١٢٩٣
المساحة الكلية للمسجد النبوى الشريف قبل التوسعة السعودية	١٠٣٠٣
التوسعة السعودية ومقدارها	٦٠٢٤
المساحة الكلية للمسجد بعد التوسعة السعودية	١٦٣٢٧

	امتار مربعة
عمارة التوسعة السعودية	٦٠٢٤
عمارة الأجزاء القديمة التى هدمت وأعيد تعميرها وهى الجهات الثلاث	٦٢٤٧
مجموع العمارة السعودية	١٢٢٧١
مساحة الجهة القبلية	٤٠٥٦
	١٦٣٢٧

المجموع ١٦٣٢٧

إحصاء عن العمارة الجديدة

عدد الأعمدة المربعة المحيطة بالجدار	٤٧٠ عامود مربع
عدد الأعمدة المستديرة فى العمارة الجديدة	٢٣٢ « مستدير
الجـــــدار الغربى	١٢٨ متر طولى

الجـــدار الشرقى		١٢٨ متر طولى
الجـــدار الشمالى		٩١ » »
البواكى الشماليـــة		٥ باكيـــة
» الشرقيـــة		٣ »
» الغربيـــة		٣ »
» الوسطى		٣ »
الأبواب الجديدة		٩ أبواب
الحصاوى (٢ حصوة)	العقـــود	٦٨٩ عقد
النوافذ (٤٤ نافذة)		
عمق الأساسات للجدران والأعمدة (٥ر٤ مترا)		
عمق أساسات المآذن		١٧ مترا
عدد المآذن (٢ اثنتان)	ارتفاع المئذنة	٧٠ مترا

* * *

مشاريع أخرى بالمدينة المنورة

مشروع خط العين الزرقاء والخزانات

» إكمال تعمير بناية الكلية العلمية

» إنشاء جسور على متون الأودية بالمدينة المنورة

» إكمال إنشاء مستشفى جلالة الملك

» سفلتة الطرق الرئيسية بالمدينة

» إنشاء محطة كهربائية عامة للمدينة

* * *

ما تم من مشاريع المدينة المنورة

خط العين الزرقاء :

تم إنشاء خزانين سعة كل واحد منهما سبعمائة طن وخمسون طنا ، وقد أنشىء فى قباء عند منبع العين الزرقاء وركب على المنبع طلمبتان كل طلمبة ذات (٨ بوصة) تدار بواسطة ماكينتين كبيرتين قوة كل منهما (٣٦ حصانا) لرفع المياه من المنبع للخزانات ومد خط من المواسير الزهر قطرها ١٢ بوصة تتدفق منها المياه إلى المدينة المنورة .

وبدىء فى توزيع شبكة من الخطوط الفرعية فى أنحاء المدينة لتزويد السكان بالماء وقد تم من ذلك نحو ٣ — ٩ من العمل .

وأصبح السكان فى الجهات التى امتدت الخطوط الفرعية فيها يتناولون مياه شربهم من الصنابير التى انتشرت بشكل مجاميع فى تلك الجهات دون عناء أو تعب .

الذى تم من الخطوط المسفلتة :

خط المطار وطوله	١١	كيلو مترا	
خط سيد الشهداء وطوله	٣	«	«
خط المساجد وطوله	٣	«	«
	١٧		
وستتم بقية الخطوط التى تبلغ عشرين كيلو مترا	٢٠		
فيكون المجموع	٣٧	«	«

هذا عدا الخط الرئيسى الذى يربط المدينة بمكة والعمل يجرى فيه الآن فى منطقة مستورة بعد رابع مما يلى المدينة .

تم تسقيف بناية الكلية، وركبت فيها الأبواب والنوافذ ، و بيضت جدرانها ويبقى فرش أرضياتها بالبلاط ، و يمكن بعد ذلك أن تستعملها وزارة المعارف.

تم إنشاء مستشفى جلالة الملك ، وافتتحه جلالته فى عام ١٣٧٢ حينما كان ولياً للعهد ، وهو الآن يعمل فى خدمة الجمهور ، كما أنه أنشىء به جناحان آخران بأمر جلالته ، و يتم العمل فيهما قريباً.

تم إنشاء جسر كبير على وادى بطحان عند أول العنبرية فى الطريق المؤدى إلى قباء .

أما الجسور الأخرى فهى :

١ — جسر عند سيد الشهداء على وادى قنا .

٢ — جسر عند الجرف على وادى العقيق .

٣ — جسر عند طريق المساجد على بطحان أيضا .

٤ — جسر عند طريق بئر عروة ، على وادى العقيق أيضاً، وسيتم إنشاؤها طبقاً للخطة المرسومة للعمل .

مشروع الكهرباء :

يجرى العمل الآن فى تركيب ما كينتين كهربائيتين قوة كل منهما ١٥ حصاناً و ٤٠٠ كيلوات ، و ينتظر أن يتم العمل فيهما وفى التمديدات للأسلاك بعد سنة واحدة وحينئذ يمتد منه الضوء إلى المسجد الشريف و إلى منازل السكان فى المدينة.

والحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين
وعلى آله وصحبه أجمعين

فهرس الجزء الرابع من كتاب

« وفاء الوفا ، بأخبار دار المصطفى »

لنور الدين على بن أحمد ، المصرى ، السمهودى ، نزيل دار الهجرة

المتوفى فى عام ٩١١ من الهجرة النبوية

وقد تمت فهرست الجزء الرابع ، والحمد لله رب العالمين
وصلاته وسلامه وتحياته المباركة على سيدنا
محمد وعلى آله وصحبه